مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

سلسلة جواهر التاريخ

قراءة جديدة للفتوحات الإسلامية

علي الكوراني العاملي

المجلد الأول

المجلد الثاني

الطبعة الأولى ١٤٣٩

بسم الله الرحمن الرحیم

قراءة جديدة للفتوحات الإسلامية

كاتب:

علي الكوراني العاملي

نشرت في الطباعة:

مركز الابحاث العقائديه

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

قراءة جديدة للفتوحات الإسلامية 11

هوية الكتاب 11

المجلد 1 11

اشارة 11

مقدمة 13

الفتوحات في ثقافة المسلمين 17

الفصل الأول: التأصيل القانوني والشرعي للفتوحات 31

(1) هل يأذن الله تعالى باحتلال بلادالغير؟ 31

(2) الفتوحات حق للمأذونين بدعوة الناس الى الله تعالى 32

(3) أعطى الله تعالى ملكيةالأرض لآدم والأنبياء (عليهم السلام) ؟ 35

(4)الفتوحات حق لأصحاب الولاية العامة على العباد 37

(5) نصوص مؤيدة لهذا الرأي 46

(6) إذن المعصوم في الفتوحات لا يعطي شرعية للحاكم 57

(7) موقف أمير المؤمنين (عليه السلام) من نظام الحكم بعد النبي (صلى الله عليه و آله) 58

(8) عناصر موقف علي (عليه السلام) من نظام الخلافة القرشية 64

(9) مشاركةعلي (عليه السلام) بالفتوح لاتُحَمِّلُهُ مظالم الفاتحين 71

الفصل الثاني: تمهيدات ربانية للفتوحات الإسلامية 81

الدولتان الكبريان:الروم وفارس 81

رسالة النبي (صلى الله عليه و آله) الى هرقل 92

رسالة النبي (صلى الله عليه و آله) الى كسرى 98

بشر النبي (صلى الله عليه و آله) بانهيار أمبراطورية الفرس؟ 101

كسرى مديونٌ للإمبراطورالروماني موريس ! 103

كان كسرى عبقرياً، لكنه جبارٌعنيدٌ ! 107
لعنة كسرى وطاعون شيرويه ! 111
القبائل العربية في العراق في مطلع الإسلام 114
العلاقة بين القبائل العربية وكسرى 116
طلب النبي (صلى الله عليه و آله) من القبائل العراقية أن يأخذوه اليهم 118
وبعد سنوات قليلة كانت معركة ذي قار ! 123
وقتل شِيرَوَيْه أباه كسرى واضطربت الأمبراطورية ! 129
الفصل الثالث: صورة شاملة للفتوحات 131
التاريخ الرسمي والواقع ! 131
صُنَّاع النصر وأهل البلاء والنكاية بالعدو 135
صورة كلية لفتح العراق 140
اشارة 140
حقيقة دور خالد بن الوليد في فتح العراق 144
ثم كانت معركة الجسر فاجعة على المسلمين 147
ثم ثأر المثنى في معركةالبويب لمعركة الجسر 152
أمر عمر المسلمين بالإنسحاب من العراق ! 156
ثم كانت معركة القادسية حاسمة في فتح العراق 157
من وصف معركةالقادسية 160
سعد بن أبي وقاص قائد القادسية الهارب ! 180
ثم كان فتح المدائن بدون معركة مهمة 184
ملاحظات على هذه الرواية 185
غنائم قصور كسرى 189
ثم كانت معركة جلولاء آخر معارك فتح العراق 193
ملاحظات على معركة جلولاء 201
أبرز القادة الذين شاركوا في فتح العراق 204

صورة كلية لفتح إيران 209
اشارة 209
بدأ فتح إيران من البحرين 210
نقد هذه الرواية في مسائل 217
معركة تستر والهرمزان 236
أرسل يزدجرد الهرمزان الى تستر 236
الهرمزان يتحصن في تستر 239
وصف معركة تستر واستسلام الهرمزان 241
ملاحظات على فتح تستر وأسرالهرمزان 252
معركة نهاوند أمُّ المعارك في فتح إيران 258
التحشيد الفارسي لمعركة نهاوند 259
عمار بن ياسر يستنهض عمر بن الخطاب 261
شخصية النعمان بن مقرن قائد معركة نهاوند 271
النعمان يتحرك بقواته الى نهاوند 275
وصف معركة نهاوند بروايةالطبري 279
وصف المعركة برواية غيرالطبري 288
رواية نداء عمر: ياسارية الجبل 295
من أبطال معركة نهاوند وشهدائها 299
عمرو بن معدي كرب الزبيدي وآخرون 299
قيس بن المكشوح 304
زيد الخير بن صوحان 306
أبو عثمان النهدي (عبد الرحمن بن مَلّ) 307
طليحة بن خويلد الأسدي 308
وكان اليهود في نهاوند 308
معارضة عمر بن الخطاب لفتح العراق وإيران 309

الأحنف بن قيس رائد فتح خراسان ---------- 313

ملاحظات على دورالأحنف في فتح إيران ---------- 322

عبد الله بن بديل الخزاعي رائد فتح وسط إيران ---------- 328

علي (عليه السلام) يستكمل في خلافته فتح خراسان ---------- 332

نهاية يزدجرد بن شهريار بن كسرى ---------- 336

صورة كلية لفتح فلسطين وبلاد الشام ---------- 345

اشارة ---------- 345

كانت أول معارك المسلمين في غزة ---------- 346

معركة أجنادين ثأرت لجعفر وحررت فلسطين ---------- 355

معركة مرج الصُّفَّر ومعركة فِحل ---------- 367

خالد بن سعيد القائد العام للمعركة ---------- 369

تتم فتح دمشق ومدن بلاد الشام بدون قتال ---------- 372

وقاد خالد بن سعيد معركة فحل أيضاً ---------- 379

انسحب هرقل من حمص الى أنطاكية ---------- 383

معركة اليرموك أم المعارك في فتح الشام ---------- 386

أبو بكر وعمر يستنجدان بعلي (عليه السلام) ---------- 392

لم يكن خالد بن الوليد قائد معركة اليرموك ---------- 399

طالت معركة اليرموك أربعة أيام ---------- 411

غيب رواة السلطة دور الأشتر في اليرموك ! ---------- 413

لكن بطولات الأشتر ظهرت من بين السطور ---------- 418

نسبوا بطولات الأشتر الى ضرار وهو ميت ! ---------- 424

مالك الأشتر آية ربانية بشر بها النبي (صلى الله عليه و آله) ---------- 426

مالك الأشتر وجماعته هم العباد الموعودون ---------- 431

أبرزت السلطة غير الأشتر لطمس بطولاته ! ---------- 436

بانتصار المسلمين في اليرموك تحررت سوريا والقدس ---------- 440

صورة كلية لفتح مصر 443
فهرس موضوعات المجلد الأول 455
المجلد 2 462
هوية الكتاب 462
اشارة 462
الفصل الرابع: أصحاب الأدوار المدعاة في الفتوحات 464
كثرة القادة الحقيقيين والمدعى لهم 464
هل اخترع رواة السلطة أبطالاً من خيالهم؟ 465
خالد بن الوليد.والغدر ونبل الفروسية ! 467
سعد بن أبي وقاص قائد عيَّرته زوجته بالجُبن 511
نسبوا النصر الى سعد الهارب من قيادة جيشه ! 540
جرير بن عبد الله البجلي مقاول حرب في سبيل الله 548
عمرو بن العاص.. لا نبلٌ ولا شجاعة ! 588
الفصل الخامس: الأبطال الشيعة قادة الفتوحات 654
فاتح العراق المثنى بن حارثة رضي الله عنه 654
معركة بابل أول معركة مع الجيش الفارسي النظامي 667
المعركة الثانية مع الجيش الفارسي معركةالنمارق 672
معركة الجسر 678
المثنى يقود معركة البويب بجدارة 685
عمر يعزل المثنى في أوج انتصاراته ! 698
المثنى يموت فجأة بعد أن غضب عليه عمر ! 702
هاشم المرقال نقيض أبيه وعكس عمه 709
حصار المسلمين للمدائن 731
سلمان الفارسي المحمدي رضي الله عنه 749
حجر بن عدي الكندي رضي الله عنه 788

حذيفة بن اليمان أمين سرّ رسول الله (صلى الله عليه و آله) ---------- 799

الأحنف بن قيس رائد فتح خراسان ---------- 842

خالد بن سعيد بن العاص بطل فتح فلسطين ---------- 850

فهرس المجلد الثاني ---------- 922

تعريف مركز ---------- 944

قراءة جديدة للفتوحات الإسلامية

هوية الكتاب

قراءة جديدة للفتوحات الإسلامية

بقلم

علي الكوراني العاملي

المجلد الأول

الطبعة الأولى:1432-2011

ص: 1

المجلد 1

اشارة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم السلام، على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، لاسيما أولهم عليٍّ أمير المؤمنين، بطل الإسلام، وعضد رسول الله (صلى الله عليه و آله)، وقامع أعدائه، ومفرج الكرب عن وجهه، ومجندل الأبطال، وفاتح الحصون، وحافظ الإسلام وأمته من بعده، وقائد الغر المحجلين الى جنات النعيم .

وبعد، فقد كان عليٌّ (عليه السلام) العمود الفقري في معارك النبي (صلى الله عليه و آله) وانتصاراته، وعندما أبعدوه عن الخلافة واعتزل، فرحت القبائل الطامعة في السلطة، وقرر تحالفهم بقيادة المتنبئ طليحة فرض شروطهم على أبي بكر واحتلال عاصمة النبي (صلى الله عليه و آله)، فغزوا المدينة بعشرين ألف مقاتل، بعد وفاة النبي (صلى الله عليه و آله) بستين يوماً !

هنا نهض علي (عليه السلام) وهو الأسد المجروح، دفاعاً عن الإسلام وأهله، وإن كان لايعترف بنظام الحكم، فوضع خطة لدفع الهجوم، ورتَّبَ حراسة المدينة، وفاجأ المهاجمين فقتل قائدهم «حِبال» وغيره من قادتهم، وردهم خائبين مذعورين، وتبعهم مع المسلمين الى معسكرهم في ذي القَصَّة «أي الجَصة» على بعد عشرين كيلو متراً عن المدينة، وشجَّع أبا بكر على حرب المتنبئين، وأولهم طليحة في حائل، ثم مسيلمة في اليمامة، وهي مدينة الرياض الفعلية .

قال (عليه السلام) يصف تلك الفترة، في رسالته الى أهل مصر لما ولى عليهم مالك الأشتر: «أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً (صلى الله عليه و آله) نذيراً للعالمين، ومهيمناً على المرسلين، فلما مضى (صلى الله عليه و آله) تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده (صلى الله عليه و آله) عن أهل بيته، ولا أنهم مُنَحُّوهُ عني من بعده، فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي، حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد (صلى الله عليه و آله)، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله، أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم، التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب . فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه». (نهج البلاغة:3/118، والغارات للثقفي:1/307، والإمامة والسياسة:1/133، ومصادر أخرى) .

وتعبير: ما كان يُلقى في روعي، تعبير مجازي للأمر الغريب المفاجئ . وتنهنه: سكن.

وقد أثرت نهضة علي (عليه السلام) في نفس أبي بكر، فكان يعتذر اليه عن تقدمه عليه في الخلافة، ويؤكد له بأنه سيعيدها اليه بعد وفاته، وأخذ يستشيره في تدبير الحرب ضد القبائل الطامعة في دولة الإسلام الناشئة، فأرسل عليٌّ (عليه السلام) تلاميذه الفرسان وأولهم عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه لتوعية القبائل ومقاومة طليحة .

ثم أرسل نخبةً من أصحابه لحرب مسيلمة، كعمار بن ياسر، وأبي دجانة، وثابت بن قيس، رضي الله عنهم، فنهضوا في تلك الأحداث والمعارك، وحققوا النصر للإسلام، وهزموا المرتدين .

ثم استشاره أبو بكر في غزو الروم: «قال أبو بكر: ماذا ترى يا أبا الحسن؟ فقال: أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك، أو بعثت إليهم، نُصرت عليهم إن شاء الله . فقال: بشرك الله بخير ». (تاريخ دمشق:2/64) .

وكان أبو بكر وعمر يشاورانه (عليه السلام) في الحرب، فيدبر أمورها، ويضع لها الخطط ويختار لها القادة والفرسان، الذين يقطفون النصر للمسلمين .

وعندما جمع الفرس جيشاً من مئة وخمسين ألف جندي لشن هجوم كاسح على المدينة، كان والي الكوفة عمار بن ياسر، فبعث رسالة الى عمر بن الخطاب يخبره، فخاف عمر وأخذته الرعدة، واستشار علياً (عليه السلام)، فطمأنه وأعطاه الخطة واختار لها قائدين هما النعمان بن مقرن وحذيفة، فاستبشر عمر وشكره وأطلق يده في تدبير معركة نهاوند، وهي أكبر معركة مع الفرس، فحقق فيها النصر .

وكذلك بعث علي (عليه السلام) مالك الأشتر، وعمرو بن معدي كرب، وهاشم المرقال، ومجموعة فرسان، لمعركة اليرموك، فقطفوا النصر، كما أخبر به (عليه السلام) .

وكذلك في فتح مصر، وإن كانت فتحت صلحاً بدون أي معركة، لكن شارك في فتحها عدد من كبار الصحابة من تلاميذ علي (عليه السلام) كعبادة بن الصامت، وأبي ذر الغفاري، ومالك الأشتر، والمقداد بن عمرو، وأبي أيوب الأنصاري .

ثم عندما هاجم الروم مصر في زمن عثمان، قاد تلميذا علي (عليه السلام): محمد بن أبي بكر ومحمد بن حذيفة، معركة ذات الصواري في دفع هجوم الروم عنها .

وقد نسبت السلطة هذه الفتوح لقادتها، كخالد بن الوليد، وأبي عبيدة بن الجراح، وضرار بن الأزور، وعمرو العاص، وأبي موسى الأشعري، والخلفاء من ورائهم، مع أن الفضل فيها نظرياً وميدانياً لعلي (عليه السلام) وتلاميذه وفرسانه .

لذلك كان علي (عليه السلام) يشكو قريشاً فيقول،كما في شرح نهج البلاغة:20/298: «اللهم إني أستعديك على قريش، فإنهم أضمروا لرسولك (صلى الله عليه و آله) ضروباً من الشر والغدر فعجزوا عنها، وحِلْتُ بينهم وبينها، فكانت الوجبةُ بي والدائرةُ عليَّ...

ولولا أن قريشاً جعلت إسمه (صلى الله عليه و آله) ذريعة إلى الرياسة، وسلَّماً إلى العز والإمرة، لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً، ولارتدَّت في حافرتها، وعاد قارحها جذعاً وبازلها بكراً . ثم فتح الله عليها الفتوح فأثْرَتْ بعد الفاقة، وتمولت بعد الجَهد والمخمصة، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سَمِجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ماكان مضطرباً، وقالت: لولا أنه حق لما كان كذا !

ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين، فكنا نحن ممن خمل ذكرُه، وخَبَتْ نارُه، وانقطع صوته وصِيتُه، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها، ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لايعرف » !

يقول (عليه السلام) بذلك: إنه هو الذي رد هجوم المرتدين عن المدينة، ودفع الخليفة الى حروب الردة، ثم الى الفتوح، ودبر إدارتها وهيأ أبطالها، لكن إعلام السلطة نسبها الى الخليفة ومن عيَّنهم من قادتها الرسميين .

ومن الواضح أن ذلك لايعني مسؤولية الإمام (عليه السلام) عن المظالم التي رافقت الفتوحات، وصدرت من غير الذين اعتمد عليهم .

الفتوحات في ثقافة المسلمين

نسمع من طفولتنا عن بعثة النبي (صلى الله عليه و آله) وسيرته، وإنشائه الأمة والدولة، ثم عن فتح المسلمين للبلاد وتوسيعهم دولة الإسلام، فنفرح، لأنا نعتقد أن النبي (صلى الله عليه و آله) والمسلمين لهم الحق في حكم البلاد .

ثم نقرأ الفتوحات الإسلامية، فنجد أنها تختلف عما كتبه التأريخ الحكومي ورسمته القصص الشعبية، فقد صورت قوات أمبراطورتيْ الفرس والروم وأهل البلاد المفتوحة، كأنهم شرٌّ محض، وصورتهم أحياناً أبطالاً ـ أشداء لا مثيل لهم، لكنهم كالأواني تتداعى في الإنهيار، أو كالفراش يتهافت في النار ! وصورت الفاتحين المسلمين كأنهم ملائكة ربانيون يتحلَّوْن بالقيم الإسلامية، ومناقبية الشجاعة والفروسية، مع أن فيهم من قتل بدون رحمة، أو سرق مالاً بجشع، أو غصب امرأةً أعجبته من زوجها !

لقد أخفى الرواة كثيراً من المظالم التي ارتكبها القادة والمقاتلون في عمليات الفتح، أو ارتكبها حكام الخليفة في إدارة البلاد، فصارت مدخلاً للطعن في الإسلام، بأنه دين توسعي كغيره من مشاريع الإمبراطوريات .

كما نسبوا بطولات الفتح الى القادة الحكوميين، كخالد بن الوليد، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن العاص، وأبي موسى الأشعري، مع أنهم لم يبرزوا الى فارس أو راجل، ولم يشاركوا في حملة أبداً، ومنهم من هرب عند اشتداد الحرب فتقدم قادةٌ ميدانيون أنقذوا الموقف وحققوا النصر! فأخفى رواة السلطة أدوارهم، وأعطوا إنجازهم الى القادة الحكوميين !

ص: 7

بل إن رواة السلطة أحيوا أشخاصاً ماتوا من سنين، وأعطوهم بطولات في الفتوحات، كضرار بن الأزور، وضرار بن الخطاب، فقد قُتلا في معركة اليمامة قبل الفتوحات، لكنهم نسبوا اليهما بطولات في معارك فتح العراق والشام !

وأكثر مايكون تحريفهم للأحداث، بغضاً لعلي (عليه السلام) والقادة الأبطال من شيعته !

قواعد للبحث في حروب الفتوحات

الفتوحات مجموعة حروب وقعت بين المسلمين والفرس أو الروم، نتج عنها فتح العراق وفارس وماوراءها، وفلسطين والشام وما حولها، ومصر وامتدادها في إفريقيا .

والباحث فيها يواجه كّماً كبيراً من أحداث حروبها وشؤونها، دونتها مصادر رسمية وشبه رسمية، بصيغ متفاوتة، ونسبتها الى أشخاص وجماعات .

ونذكر فيما يلي قواعد تؤثر على استخلاص الباحث للصورة الصحيحة للفتوحات، أو الأقرب الى الصحة .

الأولى: يتوقف فهم الفتوحات على ثقافة الباحث العامة، ودقة ذهنه في الإنتباه والإلتقاط والربط، وعلى نوعية محرك تفكيره كيف يعمل، وجهاز عقله كيف يفقه، ويحاكم النص ويستخلص النتيجة .

الثانية: رجوع الباحث الى المصادر المهمة، ولعل أهم مصادر المغازي والفتوحات مؤلفات محمد بن إسحاق بن يسار، المتوفى سنة 151هجرية، فهو مؤسس المغازي، والمؤرخون بعده عيالٌ عليه. وهو صاحب السيرة النبوية التي اختصرها عبد الملك بن هشام، المتوفي سنة 218، فعُرفت باسم سيرة ابن هشام. وقد اعترف بأنه غيَّرَ فيها، أي إرضاءً للعباسيين .

وقد شهد الأئمة من المذاهب بمكانته فقال عنه شعبة: «محمد بن إسحاق أمير المؤمنين في الحديث » . (تاريخ بغداد:1/243(.

وقال أبو معاوية: «كان أحفظ الناس، وكان إذا كان عند الرجل خمسة أحاديث أو أكثر جاء واستودعها ابن إسحاق، يقول: إحفظها عني، فإن نسيتها كنت قد حفظتَها عليَّ »! (سير الذهبي: 7 /51) .

لكن ذلك لم ينفعه عند المنصور، فلم يتبرَّ محمد بن إسحاق، وتبنى مالك بن أنس وجعله إماماً، وادعى مالك أنه عربي من قبيلة أصبح اليمنية، فرد ابن إسحاق ادعاءه، فغضب عليه مالك ووالي المدينة، وأخرجاه منها !

قال الذهبي في سيره:8/48: «مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي..كان طوالاً جسيماً عظيم الهامة أشقر، عظيم اللحية، أصلع، وكان لا يُحْفي شاربه ويراه مُثْلَة.. أزرق العينين تبلغ لحيته صدره، ويلبس الثياب الرفيعة البياض» .

وقال ابن حبان في الثقات:7/382: « لم يكن بالحجاز أحد أعلم بأنساب الناس وأيامهم من محمد بن إسحاق، وكان يزعم أن مالكاً من موالي ذي أصبح، وكان مالك يزعم أنه من أنفسهم، فوقع بينهما لهذا مفاوضة . فلما صنف مالك الموطأ قال بن إسحاق: إئتوني به فإني بيطاره ! فنقل ذلك إلى مالك فقال: هذا دجال من الدجاجلة يروي عن اليهود ! وكان بينهم ما يكون بين الناس، حتى عزم محمد بن إسحاق على الخروج إلى العراق، فتصالحا حينئذ فأعطاه مالك عند الوداع خمسين ديناراً نصف ثمرته تلك السنة، ولم يكن يقدح فيه مالك من أجل الحديث، إنما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبي (صلى الله عليه و آله) عن أولاد اليهود

الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير وما أشبهها من الغزوات عن أسلافهم، وكان ابن إسحاق يتتبع هذا عنهم، ليعلم من غير أن يحتج بهم».

ومن كبار المؤلفين في المغازي الواقدي، وهو محمد بن عمر بن واقد، مولى بني سهم، وهو مؤرخ مشهور، نشأ في المدينة وسكن بغداد، واتصل بالبرامكة، وبالرشيد والمنصور والمهدي، وتوفي سنة 207. والغالب على أسلوبه السرد القصصي، والإشادة العاطفية بشخصيات الفاتحين والمسلمين .

وقد اشتهرت كتبه عبر العصور، وتداولها عوام المسلمين، لذلك يتطرق الشك الى نسختها الرائجة أن يكون فيها تغيير عن نسخة المؤلف الأصلية .

ومنهم محمد بن سعد، صاحب الطبقات، وهو كاتب الواقدي، ومولى بني العباس، وقد عاش في بغداد وتوفي فيها سنة230، ومنهجه أدق من منهج أستاذه، لأنه يستعمل أسلوب الرواية ولا يستعمل أسلوب القصصي الخطابي.

ومنهم البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، ونسبته الى نبات البلاذر الهندي، وثمره كنوى التمر، وهو بغدادي توفي سنة 279، يروي كثيراً عن ابن سعد والواقدي، لكن قد يتكلم بدون إسناد، أو يقول قالوا، ويقصد علماء المغازي والسير. وهو أقدم من الطبري وأجلُّ منه، والعجب أن الطبري لايروي عنه !

ومنهم ابن واضح اليعقوبي، أحمد بن إسحاق..بن واضح، وهو بغدادي من موالي المنصور العباسي، يميل الى التشيع، وهو مؤرخ جغرافي كثير الأسفار، توفي سنة 282، وكتابه تاريخ الأمم السالفة، المعروف بتاريخ اليعقوبي، صغير يمتاز بالتركيز والدقة غالباً .

ومنهم الطبري، محمد بن جرير الآملي، من طبرستان في شمال إيران، توفي في بغداد سنة310 هجرية، ويعتمد منهج الرواية، بقطع النظر عن توثيق الراوي أو عدمه، ويتدخل في انتقاء الرواية أو تركها، وقد يعلق عليهاويعطي رأيه فيها وقد يروي المتشابهات، أو المتضادات، في الأمر الواحد، ولا يعلق عليها .

وقد اعترف أكثر من مرة بأنه لايستطيع أن يذكر كثيراً من الحقائق !

ومنهم المسعودي، علي بن الحسين بن علي، من ذرية عبد الله بن مسعود، نشأ في بغداد، وعاش في مصر وتوفي فيها سنة 346، وهو يميل الى التشيع ويمتاز بالدقة فيما يهتم به، وبالخبرة بتاريخ الروم والفرس . وأشهر كتبه مروج الذهب وهو يُسند روايته، لكنه أكثر ما يتكلم من إنشائه .

ومنهم ابن الأعثم، أحمد بن محمد بن علي بن أعثم الكوفي، مؤرخ من أهل الكوفة توفي 314، وقد وصلنا من كتبه: الفتوح، وأسلوبه أقرب الى أسلوب الواقدي في الوصف والخطابة، ويتميز عنه بنفحة عراقية شيعية .

ومنهم الكلاعي الأندلسي، سليمان بن موسى، وهو من ذرية ذي الكلاع الحميري، عاش في الأندلس وتوفي فيها سنة 634، وله كتاب الإكتفا بسيرة المصطفى، ومنهجه الإنتقاء من المصادر المعروفة، وغيرها، وفيه نفحة يمانية .

هذه مجموعة من المصادر، وطبيعي أن لايقتصر الباحث عليها، خاصة إذا رأى أن مفردته مروية في مصادر أخرى، بأفضل مما رواه هؤلاء .

الثالثة: لا بد من معرفة الباحث بالدولة الفارسية والرومية آنذاك، لأن روايات الفتوح تنسب اليها والى أمبراطورها وقادتها، أقوالاً وأحداثاً، ينبغي التأكد منها، فهي تؤيد رواية كتب المغازي، أو تعارضها !

مثلاً: تقرأ في الطبري (2/557) عن وقعات لخالد بن الوليد ومعارك في فتح العراق: وقعة المذار، وقعة الولجة، وقعة أُلَيس، وقعة أمغيشيا، وقعة يوم المقر.. وقعة الأنبار، وقعة كلواذى، وقعة حصيد، وقعة الخنافس، وقعة بني البرشاء، وقعة الثنى والزميل، وقعة الفرائض، وقعة عين التمر، وقعة دومة الجندل..

وتقرأ خوف الفرس منه و إرسالهم الجيوش لحربه، وأن أحد قادتهم الكبار قارن طلب مبارزته فبرز اليه خالد، لكن سبقه اليه شخص وقتله !

ثم تقرأ عن الفرس فتجد أنهم كانوا في فترة وجود خالد في العراق، وهي السنة الثالثة عشرة للهجرة، مشغولين بصراعهم الداخلي، وكان همهم الدفاع عن المدائن فقط، ولم يكن في شرقي دجلة أي قوات فارسية، وإنما أرسلوا جيشاً لمعركة بابل بعد ذهاب خالد من العراق بمدة .

قال الطبري:2/573: «أقام خالد في عمله سنة ومنزله الحيرة، يُصَعِّد ويُصَوِّب قبل خروجه إلى الشام، وأهل فارس يخلعون ويُمَلِّكُون، ليس إلا الدفع عن بهرسير (المدائن) وذلك أن شيرى بن كسرى قتل كل من كان يناسبه إلى كسرى بن قباذ، ووثب أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه فقتلوا كل من بين كسرى بن قباذ وبين بهرام جوار، فبقوا لا يقدرون على من يملكونه ممن يجتمعون عليه».

فتعرف بذلك أن الحروب المدعاة لخالد لم تكن مع جيش فارسي، ولا حاميات فارسية، بل كانت غارات على قرى ودساكر لسكان عرب كبني تغلب، أو على مزارعين من أعراق متعددة كعين التمر، كان المثنى لايغير عليهم .

ص: 12

وكـذلك الأمر في فهم وضع الروم، فعنـدما تقرأ في الطبري (3/100) أن هرقل بعد معركة اليرموك قرر الإنسـحاب من سوريا، وهي تشـمل الأردن وفلسطين ولبنان، وقال: «فعليك السلام يا سورية تسليم المفارق، ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً» ! (تاريخ الطبري:3/100).

فلا يمكنك أن تقبل الرواية التي تدعي وجود معارك بعد هذا التاريخ !

وعندما تقرأ أن الروم انسـحبوا من مصـر، وقال أهلها الأقباط لملكهم المقوقس: «ما تريد إلى قوم فلُّوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم، صالحِ القومَ واعتقد منهم (أبرمْ معهم عقداً) ولاتَعْرُض لهم، ولا تُعَرِّضْنا لهم».(الطبري:3/199).

فلاـ يمكنـك أن تقبل ادعاء عمرو بن العاص بأنه خاض معارك مع الروم والأقباط لفتـح مصـر، وفتحها عنوة، فله أن يضع الخراج الـذي يراه على أهلها !

فلا بد أن تشـطب على عشرين معركة وأكثر ادعاها عمرو العاص ورواته، فهي إما غارات قتل وسبي على أهل البلاد الأقباط، أو مكذوبةٌ من أساسها.

الرابعـة: التدقيق في المعركة التي كانت العامل الأساسـي في الفتح، وخاضـها المسـلمون مع الفرس أو الروم أوالقوى المحلية، ومعرفة من قاتل فيها وحقق النصر، ومن خاف وانهزم، ثم ادعى البطولة لنفسه !

فقد اخترع الرواة معارك لاوجود لها، من أجل إثبات بطولة لزيد أو عمرو، أو ضـخموا معركة صغيرة، أو اخترعوا بطولة في معركة موجودة، أو جعلوا عملاً صغيراً بطولةً خارقة ..الى آخر القائمة !

والمعارك المهمـة مع الفرس في فتـح العراق وإيران هي: معركـة جسـر الكوفة، ومعركة البويب، والقادسـية، والمدائن، وجلولاء، وخانقين، وتستر، ونهاوند، ثم معارك فتح مدن إيران، وخاصة خراسان .

أما المعارك المهمة مع الروم في فتح فلسطين وسوريا فهي: معركة أجنادين، ومرْج الصُّفَّر، وفِحل، واليرموك . وما بقي فهو معارك صغيرة، أو مزعومة .

أما مصـرفقد فتحت صـلحاً بدون قتال، لأن الروم انسحبوا منها أثناء معاركهم مع المسلمين في بلاد الشام، وكان المقوقس ملك مصر عاقلاً حكيماً، فاتفق مع الأقباط وصالحوا المسـلمين على جزية قدرها ديناران عن كل بالغ، ما عدا العُجَّز والنساء والأطفال، وقد طلب أهل مصر منه ذلك .

أما معركة ذات الصواري البحرية مع الروم فكانت بعد فتح مصر ببضع عشرة سنة، عندما حاول الروم الرجوع الى مصر .

الخامسة: دراسة الأبطال الشـجعان المؤثرين في المعركة، أي المقاتلين المقتحمين والمقاومين، الذين يكونون في مقدمة صفوف الجيش لا في آخرها ولا وسـطها، ويهاجمون العـدو ولا يهربون . فهؤلاء هم رحى المعركـة الـذين يوقعون القتلى في صـفوف العـدو، ويُرَجِّحُون كفَّة المسلمين، ويَقْطُفُون لهم النصر . وهم الذين يُرَجِّحُون كفَّة الحرب لمصلحة المسلمين، إذا وقعت فيهم هزيمة .

وقد يكونون قادةً أو أفراداً عاديين، ويُسَمَّوْنَ أهل البلاء، وأهل النكاية في العدو، ولهم احترامٌ عند المسلمين وهدايا من الغنائم، وتفضيل على غيرهم . وكان عدد أهل البلاء في معركة القادسية خمساً وعشرين .

السادسة: دراسة الأشخاص الذين ادعت لهم السلطة أدواراً بطولية، ونسبت اليهم الفتوحات، وستجد أنهم في الغالب ليسوا بالحجم الذي أعطي لهم، وأن السلطة كبرتهم لأنهم معها، وتعمدت تنقيص آخرين لأنهم ليسوا معها !

من باب المثال: تسمع وتقرأ عن الصحابي عتبة بن غزوان، وأنه فاتح البصرة والأبلة ومنطقة الفرات وبيسان، وأنه الذي مَصَّر البصرة وأسسها، فتقول ما شاء الله ! ثم تقرأ أنه جاء من المدينة بثلاث مئة رجل وامرأة، قال الطبري في تاريخه:3/92: «قدم عتبة بن غزوان البصرة في ثلاث مائة » .

ثم تقرأ أن كل مدة ولايته كان ستة أشهر، قال الحافظ في تاريخ بغداد:1/168: «وهو الذي افتتح الأبِلَّة، وكانت ولايته البصرة ستة أشهر ».

ثم تقرأ أنه لم يكن مقابله جندي واحد من الفرس، لا في البصرة ولا في محيطها لا من جيشهم ولا من حاميات حدودهم ! فمن الذين قاتلهم إذن ؟

تجد الحقيقة في رواية المؤرخ والجغرافي ياقوت الحموي في معجم البلدان:4/242: «لما فتح عتبة بن غزوان الأبِلة عنوةً، عبر الفرات، فخرج لهم أهل الفرات بمساحيهم، فظفر بهم المسلمون، وفتحوا الفرات، وقيل إن ما بين الفهرج والفرات فتح صلحاً، وسائر الأبلة عنوة » !

إذن، كانت البصرة خالية من الفرس، وكانت قرى أوشبه قرى، ثم اتجه القائد الفاتح نحو ميسان، فاستولى على أراضي فلاحين مساكين، لايملكون سلاحاً، وبعضهم دافع عن أرضه وأمواله بالمسحاة !

قال البلاذري:2/419: «وكانت بالبصـرة سبع دساكر: اثنتان بالخريبة، واثنتان بالزابوقة، وثلاث في موضع دار الأزد اليوم . ففرق عتبة أصحابه فيها، ننزل هو بالخريبة، وكانت مسلحة للأعاجم».

فلماذا لا يقول الرواة لم يكن في البصرة ومحيطها معركة أصلاً، لأن الفرس أَخْلَوْهَا حتى من حاميتهم، فصالح المسلمون أهلها وسكنوها .

ولماذا يقول الرواة فتحت هذه القرى عُنْوةً بالقوة، مادام يمكن الصلح معها كغيرها، بأن يؤخذ من أهلها بدل سنوي لحمايتهم ؟!

فكأن الرواة مضطرون لافتراض معركة خاضها «القائد الفاتح البطل» عتبة بن غزوان بثلاث مئة رجل، ولو مع فلاحين مساكين لا سلاح لهم !

ومثال آخر: تقرأ في عامة كتب المحدثين وكتب المغازي، حديثاً لصـحابي بدوي هو خريم بن أوس، صـححه أئمة علماء السـلطة وأشـبعوه صحـة ! وقـد ادعى فيه خريم بطولـة لخالـد بن الوليـد عندما جاء الى العراق من جهة البصـرة، فلقيهم الفرس بجمع عظيم بقيادة هرمز عند كاظمـة قرب الكويت، فاصـطفوا للقتال وبرز هرمز، فبرز اليه خالـد فتضاربا، ثم احتضـنه خالـد وحمله بين يديه فأحاط به الفرس لكنه قتله وانهزم الفرس، وأخذ سلبه وكانت قلنسوته بمئة ألف درهم .

وقال خُريم في هذا الحديث أنه وفد على النبي (صلى الله عليه و آله) في آخر سنة من حياته (صلى الله عليه و آله) فسمعه يقول: لقد رُفعت اليَّ مدينة الحيرة فأنا أراها الآن، وهذه الشيماء أخت

بطرقها عبد المسيح بن بقيلة الغساني، أراها الآن خارجة من قصرها لابسة خماراً أسود، راكبة على بغلة شهباء فقال له خريم:يا رسول الله إذا ذهبنا الى الحيرة وكان الأمر كما تقول، فهب لي هذه الشيماء جاريةً، فوهبها له .

وزعم خريم أنه دخل مع خالد الى الحيرة، وإذا بالشيماء المحترمة بخمارها وبغلتها، فسباها خالد، فقال له خريم هي لي بوعد من النبي (صلى الله عليه و آله) وشهد له محمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر، فأعطاه إياها خالد ! فجاء أخوها البطرق عبد المسيح: «فقال لي: بعنيها. فقلت: لا أنقصها من عشر مئات شيئاً، فأعطاني ألف درهم، فقيل لي: لو قلت مائة ألف لدفعها إليك، فقلت: ما كنت أحسب أن عدداً أكثر من عشر مئات » ! (مجمع الزوائد:6/223، وتاريخ دمشق:37/364).

وبلغ من افتضاح القصة التي أعطاها المحدثون درجة الصحة على شرط البخاري والشيوخ، أن المؤرخين كذَّبوها، كالواقدي والبلاذري:2/295، قال: «والذي عليه أصحابنا من أهل الحجاز، أن خالداً قدم المدينة من اليمامة، ثم خرج منها إلى العراق، على فيد والثعلبية، ثم أتى الحيرة »،.

أي لم يأت خالد عن طريق البصرة وكاظمة أصلاً، بل جاء عن طريق حائل !

وقال الطبري:2/556: «وهذه القصة في أمر الأبلة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السير، وخلاف ماجاءت به الآثار الصحاح » !

ومثال آخر: أراد أتباع السلطة تغطية هروب خالد بن الوليد بالمسلمين من مؤتة، وكان جيشهم ثلاثة آلاف فاشتبكوا مع جيش كبير للروم، وتقدم القادة

الثلاثـة، وقاتلوا قتال الأبطال خاصة جعفر بن أبي طالب، حتى استشـهدوا رضوان الله عليهم . وكان النبي (صـلى الله عليه و آله) على منبره في المدينة يصف معركتهم .

فزادوا في حـديث النبي (صـلى الله عليه و آله) أنه وصف أخذ خالد للراية وقتاله، وسـماه سـيف الله المسـلول ! مع أن الذي أخذ الراية عن الأرض أبو اليسـر الأنصاري ثم أخذها منه شـخص ثم أخذها منه خالد، وانهزم بالمسـلمين ! «أنا دفعت الراية إلى ثابت بن أقرم، لما أصيب عبد الله بن رواحة، فدفعها إلى خالد بن الوليد». (فتح الباري:7/393). أي لم يكن خالد في الصف الأول ليأخذ الراية !

وفي تاريخ دمشق: 68/87: « لما قتل ابن رواحة نظرت إلى اللواء قد سـقط، واختلط المسلمون والمشركون، فنظرت إلى اللواء في يد خالد منهزماً، واتبعناه فكانت الهزيمة » !

ومعناه أنه أخـذه وهو منهزم أو أخذه وانهزم بالمسـلمين، وكان ذلك مشـهوراً ! ففي سـيرة ابن هشام:3/836: «لما دنوا حول المدينـة..جعل النـاس يَحْثُونَ على الجيش التراب ويقولون: يافُرَّار فررتم في سبيل الله ! قال: فيقول رسول الله (صـلى الله عليه و آله): ليسوا بالفرار ولكنهم الكُرار إن شاء الله تعالى...قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص:مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) ومع المسـلمين؟ قالت:والله مايستطيع أن يخرج، وكلما خرج صاح به الناس يافُرار فررتم في سبيل الله ! حتى قعد في بيته فما يخرج » .

وفي إمتاع الأسماع للمقريزي:1/341: « إن خالداً انهزم بالناس فعُيِّروا بالفرار، وتشاءم الناس به» !

ص: 18

فهزيمة خالد حقيقة في عامة المصادر، لكن رواة الخلافة أنكروها بعين يابسة، وكذبوا على رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنه قال: « ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه..ثم رفع رسول الله (صلى الله عليه و آله) إصبعه ثم قال: اللهم إنه سيف من سيوفك فانصره! فمن يومئذ سمي خالد بن الوليد سيف الله » !

قال الصالحي في سبل الهدى: 6/150: «رواه الإمام أحمد برجال ثقات، ويزيده قوة ويشهد له بالصحة ما رواه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والبرقاني » .

ثم صحح البخاري كذبة خالد بأنه قاتل في مؤتة قتال الأبطال، حتى كسَّر تسعة سيوف على رؤوس الروم، قال:«لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية ». (صحيح البخاري:5/87).

ومثال آخر: أنهم نسبوا فتح فلسطين الى عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وأبي عبيدة، مع أنهم لم يقاتلوا في معركة أجنادين، التي كانت سبب فتح فلسطين، فقد بدأت المعركة بمبارزات بطولية، تقدم لها حفيدان لعبد المطلب، ثأراً لجعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب، رضي الله عنهم .

ثم كانت بطولة المعركة لخالد بن سعيد بن العاص الذي كان قائد الخيل، وهاشم المرقال قائد الميسرة، وكانا من تلاميذ علي (عليه السلام) وشيعته الخاصين .

أما خالد وأبو عبيدة فقد نصوا على أنهما كانا خلف الناس ولم يقاتلا !

ففي تاريخ دمشق: 16/84: «عبأ خالد الناس فسيروا الأثقال والنساء، ثم جعل يزيد بن أبي سفيان أمامهم بينهم وبين العدو، وصار خالد وأبو عبيدة من وراء الناس.. فعبأ أصحابه تعبئة القتال على تعبئة أجنادين، ثم زحف إليهم فوقف

خالد بن سعيد في مقدمة الناس يحرض الناس على القتال، ويرغبهم في الشهادة فحملت عليه طائفة من العدو فقاتلهم...».

فكيف يقاتل العدو الذي كان في آخر الناس، وبينه وبين العدو جيش من خمسين ألفاً كما ذكروا !

وأمثلـةٌ كثيرة تجـدها في بحوث الكتـاب، تُقنعـك بـأن المحـدثين أكثر إعمالاً لهواهم من المؤرخين، وأن الفتوح تحتاج الى قراءة جديـدة، لمعرفة واقعها .

على ضوء ما تقدم، جعلنا الفصل الأول من هذ الكتاب لبحث الأصل القانوني والفقهي للفتوحات .

والفصل الثاني لبيان التمهيدات الربانية التي سهلت على المسلمين فتح فارس وبلاد الشام ومصر.

وخصصنا الفصل الثالث لتقديم الصورة الشاملة لقراءتنا للفتوحات .

ثم عقدنا الفصل الرابع للقادة الذين نسبت لهم السلطة بطولة معارك الفتوح .

والفصل الخامس للقادة الحقيقيين الذين حققوا الإنتصارات للمسلمين .

وبما أن هؤلاء القادة وأولئك كثيرون، فقد أخذنا منهم نماذج وترجمنا لهم، وكل ذلك من مصادر أتباع الحكومات .

آملين أن يكون جهـداً مفيـداً في تكوين صورة واقعيـة للفتوحات، وتحرير أذهاننا المسـلمين من الصورة الخياليـة التي سوَّقتها الحكومات، وغشَّتْ بها أجيالهم، وربتهم عليها في الكتاتيب، وفي المدارس الرسمية الحديثة .

كتبه: علي الكَوْراني العاملي

قم المشرفة في السادس والعشرين من محرم الحرام 1432

ص: 20

الفصل الأول: التأصيل القانوني والشرعي للفتوحات

(1) هل يأذن الله تعالى باحتلال بلادالغير؟

قال الغربيون إن الفتوحات الإسلامية ظلمٌ للشعوب، لأنها احتلال لأراضي الغير، ومصادرة لحرياتهم وأموالهم، وفرض للإسلام عليهم بالقوة .

وقد اتهموا الإسلام بسبب ذلك بأنه نظام «ثيوقراطي» يعطي النبي (صلى الله عليه و آله) وخليفته صلاحيات مطلقة بإسم الله تعالى، ويقمع الرأي المخالف، ويسلب حريات الشعوب، ويجبرها على دينه .

وأجاب بعض المسلمين بأن كل حروب النبي (صلى الله عليه و آله) دفاعية، واحتجوا بعدد منها، واستندوا الى آية: لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ..

فرد عليهم آخرون بأن هذا الجواب لايصح، لأن آيات فرض الجهاد والقتال صريحة في تشريع القتال للدفاع والهجوم معاً . ولأن الفقهاء دونوا في مصادر الفقه أحكام الجهاد الدفاعي والإبتدائي بالتفصيل، وفي كل المذاهب . كالكافي: 5/13، والمبسوط:2/2، والجواهر:21/3، والمجموع:19/265، والمغني:10/364 .

ص: 21

والجواب الصحيح: أن مالك الأرض وكل المخلوقات هو خالقها عز وجل، فالحقوق القانونية له بالذات، وكل صلاحية لمخلوقاته بالتصرف فيها، لا بد أن تستند قانونياً الى تمليكه وإعطائه، وإلا كانت بغير حق .

قال تعالى مرشداً الى حكم العقل: ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَايَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ.. قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأرض وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ .

فمن حقه الطبيعي عز وجل أن يبعث لهم رسلاً (عليهم السلام)، ويخولهم التصرف في أمور عباده وممتلكاتهم . قال تعالى: وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلارِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

لكنه عز وجل بحكم أنه عدل وحكيم بالمطلق، لم يعط حق دعوة الناس الى الإسلام إلا للمعصومين من أنبيائه وأوصيائه (عليهم السلام)، المطهرين عن الظلم، الذين لا يستعملون القوة إلا بالحق، وبقدر ما توجبه مصلحة المجتمع .

(2) الفتوحات حق للمأذونين بدعوة الناس الى الله تعالى

وقد بَيَّنَ فقه أهل البيت (عليهم السلام) صفات المأذون لهم بالدعوة الى الإسلام والقتال (تهذيب الأحكام: 6/131) وحصرهم بالمعصومين (عليهم السلام) الذين اختارهم الله تعالى، وهم النبي (صلى الله عليه و آله) والأئمة (عليهم السلام) .وليس الذين اختارهم الناس، أو فرضوهم بالقوة .

فالمعصوم (عليه السلام) وحده المخوَّل من الله تعالى بأن يدعو الشعوب الى الإسلام ويفتح بلادهم، ويقاتلهم إذا لزم الأمر، لأنه مُنزَّهٌ عن ظلمهم وضامنٌ للعدل فيهم.

ص: 22

يدل عليه ما رواه الكافي (5/13) بسند معتبر عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قلت له: أخبرني عن الدعاء إلى الله والجهاد في سبيله، أهو لقوم لا يحل إلا لهم ولا يقوم به إلا من كان منهم، أم هو مباح لكل من وحد الله عز وجل وآمن برسوله (صلى الله عليه و آله)، ومن كان كذا فله أن يدعو إلى الله عز وجل و إلى طاعته، وأن يجاهد في سبيله؟ فقال (عليه السلام): ذلك لقوم لا يحل إلا لهم، ولا يقوم بذلك إلا من كان منهم . قلت: من أولئك؟ قال: من قام بشرائط الله عز وجل في القتال والجهاد على المجاهدين فهو المأذون له في الدعاء إلى الله عز وجل، ومن لم يكن قائماً بشرائط الله عز وجل في الجهاد على المجاهدين، فليس بمأذون له في الجهاد ولا الدعاء إلى الله حتى يُحَكِّم في نفسه ما أُخذ الله عليه من شرائط الجهاد .

قلت: فبيِّن لي يرحمك الله . قال: إن الله تبارك وتعالى أخبر في كتابه عن الدعاء إليه، ووصف الدعاة إليه فجعل ذلك لهم درجات يعرف بعضها بعضاً، ويستدل بعضها على بعض، فأخبر أنه تبارك وتعالى أول من دعا إلى نفسه، ودعا إلى طاعته واتباع أمره، فبدأ بنفسه فقال: وَاللهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . ثم ثنى برسوله (صلى الله عليه و آله) فقال: أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . يعني بالقرآن. ولم يكن داعياً إلى الله عز وجل من خالف أمر الله ويدعو إليه بغير ما أمر في كتابه والذي أمر أن لايدعى إلا به . وقال: في نبيه (صلى الله عليه و آله): وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. يقول: تدعو.

ثم ثَلَّثَ بالدعاء إليه بكتابه أيضاً، فقال تبارك وتعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِى هِيَ أَقْوَمُ . أي يدعو ويبشر المؤمنين .

ثم ذكر من أذن له في الـدعاء اليه بعـده وبعـد رسـوله (صـلى الله عليه و آله) في كتـابه فقـال:وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.ثم أخبر عن هـذه الأمـة وممن هي، وأنها من ذريـة إبراهيم ومن ذريـة إسـماعيل من سكان الحرم، ممن لم يعبـدوا غير الله قط، الـذين وجبت لهم الدعوة دعوة إبراهيم وإسـماعيل (عليهما السـلام) من أهل المسـجد، الذين أخبر عنهم في كتابه أنه أَذْهَبَ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا...

ثم أخبر تبارك وتعالى أنه لم يأمر بالقتال إلا أصـحاب هـذه الشـروط، فقال عزوجل: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ..وذلك أن جميع ما بين السـماء والأرض لله عز وجل ولرسوله (صـلى الله عليه و آله) ولأتباعهما من المؤمنين من أهل هذه الصفة .

فما كان من الـدنيا في أيدي المشـركين والكفار والظلمة والفجار من أهل الخلاف لرسول الله (صـلى الله عليه و آله) والمولي عن طاعتهما، مما كان في أيديهم ظلموا فيه المؤمنين من أهل هذه الصفات وغلبوهم عليه، مما أفاء الله على رسوله (صلى الله عليه و آله) فهو حقهم أفاء الله عليهم ورده إليهم، وإنما معنى الفيئ كل ما صار إلى المشـركين ثم رجع، مما كان قـد غُلب عليه أو فيه . فما رجع إلى مكانه من قول أو فعل، فقد فاء .

وإن لم يكن (الداعي) مسـتكملاً لشـرائط الإيمان فهو ظالم، ممن يبغي ويجب جهاده حتى يتوب ! وليس مثله مأذوناً له في الجهاد والدعاء إلى الله عز وجل، لأنه ليس من المؤمنين المظلومين، الذين أذن لهم في القرآن في القتال.. فليتق الله عز وجل

عبدٌ، ولا يغترَّ بالأماني التي نهى الله عز وجل عنها، من هذه الأحاديث الكاذبة على الله التي يُكذبها القرآن، ويتبرأ منها ومن حملتها ورواتها».

ودلالة هذا الحديث واضحة، لأن دعوة الناس الى دين الله، منصبُ نيابةٍ عن الله تعالى يحتاج الى إثبات. ولأن الدعوة الكاملة فيها تصرفٌ في أنفس العباد وأموالهم، وهو يحتاج الى مجوزٍ قانوني من المالك عز وجل .

(3) أعطى الله تعالى ملكيةالأرض لآدم والأنبياء (عليهم السلام) ؟

الأصل القانوني في ملكية الأرض في فقه أهل البيت (عليهم السلام)، أنها مخلوقة ومملوكة لله تعالى، وأنه عز وجل مَلَّكَها لنبينا وآله (صلى الله عليه و آله) الذين هم عترته المطهرون: عليٌّ وفاطمة الزهراء والأئمة الأحد عشر (عليهم السلام) .

فكل الملكيات المتسلسلة، العرضية والطولية، لابد أن ترجع الى إذن المالك منهم (عليهم السلام)، وعليه تتوقف صحة الفتوحات التي حدثت بعد النبي (صلى الله عليه و آله) .

وقد استفاضت الأحاديث في ذلك، ومنها صحيح أبي خالد الكابلي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «وجدنا في كتاب علي (عليه السلام) أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين: أنا وأهل بيتي الذين أورثنا الله الأرض، ونحن المتقون والأرض كلها لنا، فمن أحيا أرضاً من المسلمين فليعمرها وليؤد خراجها إلى الإمام من أهل بيتي، وله ما أكل منها. فإن تركها أو أخربها وأخذها رجل من المسلمين من بعده فعمرها وأحياها، فهو أحق بها من الذي تركها، يؤدي خراجها إلى الإمام من أهل بيتي، وله ما أكل منها، حتى يظهر القائم من أهل بيتي بالسيف فيحويها ويمنعها، ويخرجهم منها كما حواها رسول

الله (صلى الله عليه و آله) ومنعها. إلا ما كان في أيدي شيعتنا فإنه يقاطعهم على ما في أيديهم ويترك الأرض في أيديهم . قال رسول الله: خلق الله آدم وأقطعه الدنيا قطيعة، فما كان لآدم (عليه السلام) فلرسول الله (صلى الله عليه و آله) وما كان لرسول الله فهو للأئمة من آل محمد (عليهم السلام) ». (الكافي:1/407 و409- باب أن الأرض كلها للإمام (عليه السلام) . راجع جواهر الكلام:14/71).

أقول: أعطاني الصديق المرحوم الدكتور عبد الحي حجازي، وهو حقوقي مصري متخصص في القانون الطبيعي، وكان رئيس كلية الحقوق في الكويت، كتابه «الحقوق الطبيعية» فقرأته، ثم ناقشته (رحمة الله) في الأصل القانوني لاستحقاق الإنسان لأرض لسكنه، فتوصلنا الى الإتفاق بأن الأرض مادامت مخلوقة مملوكة لله تعالى، فلا بد أن يكون منشأ الملكية فيها تمليكه وإذنه عز وجل .

وقد ثبت عندنا أنه ملَّكها لرسوله وآله (صلى الله عليه و آله)، فلا بد من إذن المعصوم منهم في الملكية . ولذا صار محور بحث فقهائنا: هل أذن الأئمة (عليهم السلام) في الفتوحات أم لا ؟ فالمفتوح منها بإذن الإمام (عليه السلام) إن كان عامراً عند الفتح فهو لكل المسلمين من وجد منهم ومن يوجد . وما كان غامراً يومها فهو باق على ملك الإمام (عليه السلام) .

أما المفتوح بدون إذنه فالعامر والغامر يبقى له، ويحتاج التصرف فيه الى إذنه .

وقد اتفق فقهاؤنا على صدور إمضاء ما من المالك المعصوم (عليه السلام)، ففي صحيح محمد بن مسلم الثقفي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: « سألته عن سيرة الإمام في الأرض التي فتحت بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال:إن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد سار في أهل العراق بسيرة فهي إمام لسائر الأرضين . وقال: إن أرض الجزية لا ترفع عنهم الجزية وإنما الجزية عطاء المهاجرين، والصدقات لأهلها الذين سمى الله في كتابه ليس لهم في الجزية شئ . ثم قال: ما أوسع العدل إن الناس يتسعون إذا عدل فيهم

وتنزل السماء رزقها وتخرج الأرض بركتها بإذن الله تعالى». (من لا يحضره الفقيه:2/53، وتهذيب الأحكام:4/118).

وقد يبدو هذا الأصل في ملكية الأراضي غريباً أو شديداً، لكنه يبقى أقوى علمياً من محاولات التأصيل عند الحقوقيين العلمانيين، وفقهاء بقية المذاهب .

فماذا نصنع إذا ملَّك الله أرضه لرسوله وآله (صلى الله عليه و آله)، فصار الأصل الحقوقي فيها ملكيتهم، وصار فتحها والتصرف يحتاج الى إثبات إذنٍ منهم بذلك .

(4)الفتوحات حق لأصحاب الولاية العامة على العباد

مضافاً الى أصل ملكية الله تعالى للأرض والعباد، وأصل تمليكه الأرض لخيرة خلقه محمد وآله الأئمة (عليهم السلام)، لأنهم معصومون مطهرون عن ظلم العباد .

يوجد أصل ثالث هو: أن التصرف في البلاد والعباد يحتاج الى ولاية عامة من الله تعالى، تجيز لصاحبها أن ينزع ملكية أحد أو يقاتل الناس عندما يلزم .

وقد أعطى الله هذه الولاية لرسوله (صلى الله عليه و آله) في مثل قوله تعالى: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ . وقد ثبت في أصولنا أن الأئمة من عترة النبي (صلى الله عليه و آله) لهم الولاية العامة التي لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، ويكفي دليلاً عليها ما تواتر وشهد بصحته الجميع، مثل قوله (صلى الله عليه و آله): من كنت مولاه فعليٌّ مولاه .

ومن هنا صار محور البحث الفقهي في مذهبنا صدور الإذن بالفتوح من عليٍّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أو عدم صدوره، لأن الفتح يستلزم الحرب وقتل نفوس من المسلمين وغيرهم، ويستلزم نزع ملكيات من حكومات وشعوب وإعطاءها

للمسـلمين . وهـذا التصـرف في الأنفس والملكيات لا يجوز إلا لمن له الولايـة العامـة على البلاد والعباد، وإلا كان عمله غير قانوني ولا شرعي !

ومن هنا قد تركز بحث فقهائنا رضوان الله عليهم، على المسائل الفقهية التالية:

1. هل صدر الإذن من أمير المؤمنين ومولى الناس عليٍّ (عليه السلام) بالفتوحات ؟

2. هل شاور أبو بكر وعمر علياً (عليه السـلام) في الفتوحات وإدارتها، وهل مَكَّنَاهُ أن يقوم بخبرته العسكرية بوضع خططها وإدارة معاركها، كلياً أو جزئياً ؟

3. هل شارك علي (عليه السلام) بنفسه أو بأولاده أو بتلاميذه وشيعته، في حروب الفتح؟

4. وإن لم يـأذن (عليه السـلام) ولم يشـارك ولم يرض، فهـل أمضـى الفتوحـات ومـا نتـج عنهـا من نقـل ملكيات من الفرس والروم وغير المسلمين، الى المسلمين ؟

وتفاوتت آراء فقهائنا رضوان الله عليهم في هذه المسائل، لكنهم اتفقوا على أن أمير المؤمنين (عليه السـلام) لم يشارك فيها بنفسه، لأن الله تعالى أَمَّرَه على الأمـة فلا يجوز له أن يقبل تأمير أحد عليه .وكذلك الحسن والحسـين (عليهما السـلام)، وقد وردت رواية بأنهما شاركا في بعض الفتوح، لكن لم يصححها أحد من فقهائنا .

أمـا عن إذنه (عليه السـلام) بالفتوح، فقـد قال بعض فقهائنا وهم قلـة، إن أبا بكر وعمر كانا يشاوران علياً (عليه السـلام) فيشـير عليها بالرأي، وفهموا من مشورته ومشاركته في تـدبيرها أنه أذنَ بالفتوح، وكـذلك من إذنه لخاصـته المشاركـة فيها، وقد يكون أمر بعضـهم بذلك، أو أشار على الحاكم بتوليته مسؤوليات في الحرب أو الإدارة .

بينما قال أكثر فقهائنا، إن الفتوحات المسـماة إسـلامية غير شرعية، لأنه لم يثبت إذن الإمام (عليه السلام) بها، فضلاً عن مشاركته فيها، وإن القدر المتيقن أنه (عليه السلام) أمضى الملكيات التي نتجت عنها، بالكيفية التي صحت عنه (عليه السلام) .

وقد أوردتُ لأحد الفقهاء من أصحاب هذا الإتجاه وهو آية الله السيد علي الميلاني حفظه الله، الأدلة على إذن أمير المؤمنين (عليه السلام) بالفتوحات، ومشاركته فيها برأيه وكبار أصحابه وشيعته، فضعفها واحداً واحداً، إما سنداً أو دلالةً .

ثم أوردتُ له ماثبت عن أمير المؤمنين (عليه السـلام) من نصيحته لعمر بن الخطاب أن لايتوجه الى حرب الفرس بنفسه، وقد تضمن كلامه (عليه السلام) الحث على حربهم .

وقوله (عليه السـلام) كما في نهج البلاغة: (1/118) وغيره من المصادر: « فأمسـكت يـدي (عن بيعة أبي بكر) حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسـلام، يدعون إلى محق دين محمد (صـلى الله عليه و آله) ! فخشـيت إن لم أنصـر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم ».

فأجاب السيد الميلاني بأنه يجب التفريق بين نهوضه (عليه السلام) في حروب الردة، فهذا لا إشكال فيه، وهو منسجم مع ولايته العامة على الأمة من الله تعالى ورسوله، وبين إذنه في الفتوحات أو مشاركته فيها، أو دفعه أصحابه اليها، فهذا لم يثبت .

وعنـدما أوردتُ له دور أمير المؤمنين (عليه السـلام) في الفتوح، كإرساله خالد بن سـعيد بن العاص الى فلسـطين، والذي حقق النصـر في معركة أجنادين .

وإرساله مالك الأشتر وعمرو بن معدي كرب ومجموعة فرسان النخع، الى معركة اليرموك، وتحقيقهم النصر فيها .

وإرساله سلمان الفارسي وهاشم المرقال وحجر بن عدي وغيرهم، الى معركة القادسية، وتحقيقهم النصر فيها .

وإرساله النعمان بن مقرن، وحذيفة بن اليمان الى معركة نهاوند، وتحقيقهم النصر فيها .. الخ.

فأجاب بأن هذا لو صح لايدل على إذن أمير المؤمنين (عليه السلام) أو على إطلاق القول بمشاركته في الفتوحات، بل يدل على أنه (عليه السلام) كلما تعرض المسلمون أو الإسلام الى خطر من عدوهم، أو وقعوا في مشكلة وورطة، لسبب من الأسباب، كان (عليه السلام) يتدخل لإنقاذ الموقف حتى لاتقع الكارثة على المسلمين أو الإسلام . وهذا العمل من شؤون كونه صاحب الولاية العامة على الأمة، وهو حالة ضرورة وإنقاذ من ورطة، لا تدل على تدخله بأوسع من مواردها .

وهذا هو رأي السيد الخوئي (قدس سره)، قال في مصباح الفقاهة:1/840، بتصرف بسيط:

«الشرط الثاني: أن يكون الفتح بإذن الإمام (عليه السلام) . واعتبار هذا الشرط هو المشهور بين الفقهاء...فمقتضى الأصل هو عدم كون الفتح بإذن الإمام (عليه السلام)، ولا يكون هذا(أصلاً)مثبِتاً فإن الفتح محرز بالوجدان، وعدم كونه بإذن الإمام (عليه السلام) محرز بالأصل، فيترتب الأثر على الموضوع المركب...وقد ذكرتْ وجوهٌ للخروج عن الأصل المذكور:

أولاً: أن الفتوحات الإسلامية كلها كانت بإذن الإمام (عليه السلام) وتدل على ذلك رواية الخصال الدالة على أن عمر كان يشاور أمير المؤمنين (عليه السلام) في غوامض

الأمور، ومن الواضح أن الخروج إلى الكفار ودعائهم إلى الإسلام من أعظم تلك الأمور، بل لا أعظم منه .

ويرد على هذا الوجه: أن الرواية ضعيفة السند فلايصح الاعتماد عليها. وأن عمر كان مستقلاً في رأيه ولم يشاور الإمام (عليه السلام) في كثير من الأمور المهمة، بل في جميعها الراجعة إلى الدين . وأن هذا الوجه إنما يجري في الأراضي التي فتحت في خلافة عمر، ولا يجري في غيرها .

وثانياً: إن الأئمة (عليهم السلام) راضون بالفتوحات الواقعة في زمن خلفاء الجور، لكونها موجبة لقوة الإسلام وعظمته. وفيه: أن هذه الدعوى وإن كانت ممكنة في نفسها، إذ المناط في ذلك هو الكشف عن رضا المعصوم (عليه السلام) بأي طريق كان، ولا موضوعية للإذن الصريح. ولكنها أخص من المدعى فإنه ليس كل فتح مرضياً للأئمة (عليهم السلام) حتى ما كان من الفتوح موجباً لكسر الإسلام وضعفه ».

أقول: اكتفى السيد الخوئي (قدس سره) بهذين الوجهين باختصار، لكن الأدلة أوسع منهما، وقد اعتمد عددٌ من فقهائنا على رواية الخصال كالشيخ الأنصاري (قدس سره) .

وفي مقابل هذا الرأي، يوجد رأي لقلة من فقهائنا رضي الله عنهم، لكن فيهم فقهاء كبار، منهم الشيخ البحراني (قدس سره) .

قال في الحدائق:18/308 : «الظاهر إنما هو رضاه (عليه السلام) به إن لم نقل إنه بإذنه، وذلك لأنه (عليه السلام) صاحب الأمر بعد النبي (صلى الله عليه و آله) فهو يحب ظهور الإسلام وقوته وإن لم يكن على يده، فإن الغرض من أصل البعثة ومن النيابة فيها خمود منار الكفر وظهور صيت الإسلام، فهو (عليه السلام) وإن لم يكن متمكناً من الأمر والنهي وتنفيذ الجيوش،

إلا ـ أن غرضه الأصلي ومطلبه الكلي حاصل بذلك، فكيف يكرهه ولا يرضاه ! وهذا بحمد الله سبحانه وجهٌ وجيهٌ لمن أخذ بالإنصاف وارتضاه ».

ومال الى هذا الرأي صاحب الجواهر (رحمة الله):21/161، فقال بعد أن ضعَّف بعض النصوص في إذن المعصوم (عليه السلام): « لكن قد يقال بأن الحكم في النصوص المعتبرة السابقة بكون هذه الأراضي للمسلمين، بعد معلومية اعتبار الإذن فيها، شاهد على صدوره منهم (عليهم السلام)، ولعله أولى من الحمل على التقية». انتهى.

كما استظهره المحقق السبزواري فقال في كفاية الأحكام:1/391 :«الظاهر أن الفتوح التي وقعت في زمن عمر كانت بإذن أمير المؤمنين (عليه السلام)، لأن عمر كان يشاور الصحابة خصوصاً أمير المؤمنين (عليه السلام) في تدبير الحروب وغيرها، وكان لا يصدر إلا عن رأي علي (عليه السلام) . والنبي (صلى الله عليه و آله) أخبر بالفتوح وغلبة المسلمين على أهل الفرس والروم . وقبول سلمان تولية المدائن، وعمار إمارة العساكر، مع ما روي فيهما، قرينة على ما ذكرنا. ومع ذلك وقع التصريح بحكم أرض السواد، وكونها للمسلمين في النص الصحيح كما ذكرنا. وقد روى الشيخ عن محمد بن مسلم، في الصحيح، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن سيرة الإمام في الأرض التي فتحت بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال: إن أمير المؤمنين قد سار في أهل العراق بسيرة، فهي إمام لسائر الأرضين » .

وتبنى هذا الرأي الشيخ الأنصاري (قدس سره)، قال في المكاسب:2/243: «والظاهر أن أرض العراق مفتوحة بالإذن كما يكشف عن ذلك ما دل على أنها للمسلمين .

ص: 32

وأمـا غيرهـا مما فتحت في زمان خلافـة الثاني، وهي أغلب ما فتحت، فظاهر بعض الأخبار كون ذلك أيضاً بإذن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) وأمره .

ففي الخصال في أبواب السبعة في باب أن الله تعالى يمتحن أوصياء الأنبياء في حياة الأنبياء في سبعة مواطن، وبعد وفاتهم في سبعة مواطن: عن أبيه وشـيخه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن الحسين بن سعيد، عن جعفر بن محمد النوفلي، عن يعقوب بن الرائد، عن أبي عبد الله جعفر بن أحمد بن محمد بن عيسـى بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، عن يعقوب بن عبد الله الكوفي، عن موسـى بن عبيد، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه أتى يهودي أمير المؤمنين (عليه السلام) في منصرفه عن وقعـة النهروان فسأله عن تلك المواطن.. وفيه قوله (عليه السـلام): وأما الرابعة، يعني من المواطن الممتحن بها بعد النبي (صـلى الله عليه و آله)، فإن القائم بعـد صاحبه، يعني عمر بعد أبي بكر، كان يشاورني في موارد الأمور فيصدرها عن أمري، ويناظرني في غوامضـها فيمضـيها عن رأيي، لا أعلم أحداً ولا يعلمه أصحابي يناظره في ذلك غيري ...الخبر.

والظـاهر أن عموم الأمور إضافي بالنسـبة إلى ما لا يقـدح في رئاسـته، مما يتعلق بالسـياسة، ولا يخفى أن الخروج إلى الكفار ودعاءهم إلى الإسـلام من أعظم تلك الأمور بل لا أعظم منه . وفي سـند الروايـة جماعة تخرجها عن حد الإعتبار، إلا أن اعتماد القميين عليها وروايتهم لها مع ما عرف من حالهم لمن تتبعها من أنهم لا يخرجون في كتبهم روايـة في راويها ضـعف إلا بعـد احتفافها بما يوجب الإعتماد عليها، جابرٌ لضعفها في الجملة . مضافاً إلى ما اشتهر من حضور أبي محمد الحسن (عليه السلام) في بعض الغزوات، ودخول بعض خواص أمير المؤمنين (عليه السلام) من الصحابة كعمار في أمرهم .وفي صحيحة محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال:

سألته عن سـيرة الإمام في الأرض التي فتحت بعد رسول الله (صـلى الله عليه و آله) فقال: إن أمير المؤمنين (عليه السـلام) قد سار في أهل العراق بسـيرة فهي إمام لسائر الأرضـين...الخبر. وظاهرها أن سائر الأرضـين المفتوحة بعد النبي (صلى الله عليه و آله) حكمها حكم أرض العراق مضافاً إلى أنه يمكن الإكتفـاء عن إذن الإمام المنصوص في مرسـلة الوراق بالعلم بشاهـد الحال برضـى أمير المؤمنين وسائر الأئمة (عليهم السـلام) بالفتوحات الإسـلامية الموجبـة لتأيـد هـذا الدين . وقد ورد أن الله تعالى يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فيه . مع أنه يمكن أن يقال بحمل الصادر من الغزاة من فتح البلاد على الوجه الصحيح، وهو كونه بأمر الإمام (عليه السلام) »‌.

أقول: لا مجال للتفريق بين حكم الفتوحات في العراق وإيران، والفتوحات في الشام ومصـر، لأن سـياقها واحد . كما أن رواية حضور الإمام الحسن أو الحسين (عليهما السلام) في بعض الفتوحات لم يثبت عند أحد من علمائنا .

ومن القائلين بهـذا الرأي السـيد ابن طاووس (رحمـة الله)، قال في كشف المحجة/57: «وقد ذكر جماعة من أصـحاب التواريخ تصديق ما أشـرت إليه . وعلى خـاطري مما وقفت عليه، ما ذكره أعثم في تاريخه ما معناه أن أبا بكر لما بـدأ بإنفاذ أبي عبيـدة والجيوش إلى الروم ومات قبـل أن يفتحهـا، وفتحها المسـلمون بعـده في ولايـة عمر، قال له قوم: لا تَخرج مع العسـكر وقال قوم أخرج معهـم . فقال لأبيك علي (عليه السـلام): ما تقول أنت يا أبا الحسن؟فقال له علي: إن خرجت نصـرت وإن أقمت نصـرت، لأن النبي (صـلى الله عليه و آله) وعدنا بالنصـر للإسلام . فقال له: صدقت، وأنت وارث علم رسول الله (صلى الله عليه و آله) .

فهل ترى يا ولـدي ما كان فتـح البلاد، إلا بقوة تلك الوعود الصادقـة والعنايـة الإلهيـة الفائقـة، وأن الذين كانوا خلفاء بالمدينة كان وجودهم كعدمهم كما قال لهم أبوك علي (عليه السلام): إن خرجت نصرت و إن أقمت نصرت...

ولقد رأيت في تاريخ من لايتهمه المخالفون أن المسـلمين لما اجتمعت عليهم الروم للإستيصال، كان المقوي لقلوب كثير من المسـلمين مقامـات رواها (عليه السـلام) تـدل على النصـرة في تلك الحال، لقصور علمهم وعلم من ولوه عليهم عن أسـرار ما بين أيـديهم . وأقول: يا ولدي محمد لو كانوا قد ولوا أمور الإسلام والمسلمين أباك علياً الذي دلهم عليه جدك سيد المرسلين (صلى الله عليه و آله)، كان قد فتحت البلاد على الإسـتقامة وكانت مفتوحة إلى يوم القيامة، وكان قد عرفهم من أسـرار فتوحها وما ينتهي حالهم إليه ما كان قد أودعه جدك محمد (صـلى الله عليه و آله) وكـان قـد كشف لعلمـاء الروم من أسـرارهم وأسـرار الإسـلام مـا كـان يرجى به فتوح البلاد بـدون قتل من قتل من المسـلمين والكفار، وسـلموا من الضلال والظلام، فإنه قال (عليه السلام): وأيم الله لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل القرآن بقرآنهم حتى يزهر كل كتاب ويقول: حكم فيَّ علي بن أبي طالب بحكم الله ».

أقول: نلفت هنا الى أهمية إخبار الإمام (عليه السلام) للخليفة بالمستقبل، وقد كان عمر وأبو بكر يهتمان بذلك ويسألان علياً (عليه السلام) لأنه أقرب الناس الى النبي (صلى الله عليه و آله)، وأعرفهم بعلومه وإخباره بالمغيبات .

كمـا نلفت الى قول بعض العلماء إن مشاركـة الإمام (عليه السـلام) تتنافى مع أصولنا في علم الكلام، فلعل القائلين بها لم يلتفتوا الى لوازم قولهم بإنه (عليه السلام) في الفتوحات .

وجوابه: أن هـذه اللوازم واضـحة جليـة، يلتفت اليهـا الفقهـاء المتكلمون وغير المتكلمين سواء . وكلها تتعلق بما يفهم منه التنازل عن حقه (عليه السـلام) أو الإعتراف بإمرة غيره . لكن الرأي يختلف في تفسير إذنه ومشاركته (عليه السلام) في الفتوح، هل توجب نوعاً من التنازل أو لاتوجبه .

(5) نصوص مؤيدة لهذا الرأي

ويمكن تأييد هذا الرأي بمؤيدات عديدة، نوجزها بما يلي:

فمنهـا: أن علياً (عليه السـلام) شـكى ظلامته من قريش لنسـبتها الفتوح الى غيره، و إخفاء عمله وجهوده، ففي شـرح النهـج (20/298): « اللهم إني أسـتعديك على قريش، فإنهم أضـمروا لرسولك (صلى الله عليه و آله) ضروباً من الشر والغدر فعجزوا عنها، وحِلْتُ بينهم وبينها، فكانت الوجبـة بي والـدائرة عليَّ ! اللهم احفظ حسـناً وحسـيناً، ولا تمكن فجرة قريش منهما ما دمت حياً، فإذا توفيتني فأنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شئ شهيد .

وقال له قائل: يا أمير المؤمنين، أرأيت لوكان رسول الله (صـلى الله عليه و آله) ترك ولـداً ذكراً قـد بلغ الحلم وآنس منه الرشد، أكانت العرب تسلم إليه أمرها؟ قال: لا، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلتُ ! ولولا أن قريشاً جعلت إسمه ذريعة إلى الرياسة، وسلَّماً إلى العز والأمرة لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً، ولارتدت في حافرتها، وعاد قارحها جذعاً، وبازلها بكراً .

ثم فتح الله عليها الفتوح فأثْرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجَهد والمخمصة، فحسن في عيونها من الإسـلام ما كان سـمجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً، وقالت: لولا أنه حق لما كان كذا !

ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين، فكنا نحن ممن خمل ذكره، وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها، ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف .

وما عسى أن يكون الولد لو كان ! إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) لم يقربني بما تعلمونه من القُرْب للنسب واللحمة، بل للجهاد والنصيحة، أفتراه لوكان له ولد هل كان يفعل ما فعلت. وكذاك لم يكن يَقْرُب ماقَرُبْتُ، ثم لم يكن عند قريش والعرب سبباً للحظوة والمنزلة، بل للحرمان والجفوة . اللهم إنك تعلم أني لم أرد الأمرة ولا علو الملك والرياسة، وإنما أردت القيام بحدودك، والأداء لشرعك، ووضع الأمور في مواضعها، وتوفير الحقوق على أهلها، والمضي على منهاج نبيك، وإرشاد الضال إلى أنوار هدايتك». انتهى.

وعلو هذا النص يوجب الإطمئنان بصدوره، وأنه لايمكن أن يصدر عن غير أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى لو حاول الرواة وتعاونوا على وضعه !

وقد يقال: إن الوثوق بصدور القول أو الفعل من المعصوم (عليه السلام) إنما يكون حجة إذا كان وثوقاً نوعياً لاشخصياً، لكن هذا النص فيما أحسب يوجب الوثوق النوعي لا ـ الشخصي . على أن التمييز بين الوثوق النوعي والشخصي قد يكون أحياناً صعباً، فيحتاج الى اجتهاد شخصي !

ومنها: النصوص المستفيضة على أن أبا بكر وعمر كانا يستشيران علياً (عليه السلام) في أمور الحرب، فقد استشاره أبو بكر في غزو الروم، أي في فتح بلاد الشام ومصر، فأشار عليه أن يفعل، وبشره بالنصر، بما عنده من علم النبي (صلى الله عليه و آله) .

قال اليعقوبي(2/ 132): «أراد أبو بكر أن يغزو الروم، فشاور جماعة من أصحاب رسول الله، فقدموا وأخروا، فاستشار علي بن أبي طالب، فأشار أن يفعل، فقال: إن فعلت ظفرت . فقال: بُشرت بخير ».

وفي تاريخ دمشق (2/64):«وعليٌّ في القوم لم يتكلم . قال أبو بكر:ماذا ترى يا أبا الحسن؟ فقال: أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نُصرت عليهم إن شاء الله . فقال: بشرك الله بخير، ومن أين علمت ذلك؟قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول:لايزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناوأه، حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون . فقال:سبحان الله، ما أحسن هذا الحديث، لقد سررتني به سرك الله »
.

وقد أشار (عليه السلام) على عمر بفتح فارس وشجعه عليه، ففي نهج البلاغة (2/29): «وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه: إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة، وهو دين الله الذي أظهره، وجنده الذي أعده وأمده، حتى بلغ ما بلغ، وطلع حيث طلع . ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده . ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز، يجمعه ويضمه، فإن انقطع النظام تفرق وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً . والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً، فهم كثيرون بالإسلام وعزيزون بالإجتماع، فكن قطباً واستدر الرحى بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات، أهم إليك مما بين يديك !

ص: 38

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا هذا أصل العرب، فإذا قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك .

فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين، فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره. وأما ما ذكرت من عددهم، فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة » .

أقول: سيأتي تفصيل ذلك، وكلامه (عليه السلام) ترغيبٌ في فتح فارس، وليس مجرد إشارة على عمر أن لايذهب بنفسه، لأنه تضمن قوله (عليه السلام): «ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده ».

فقد اعتبر (عليه السلام) فتح فارس من وعد الله تعالى للمسلمين، وبشر بالنصر .

وروى ابن الأعثم في الفتوح (2/78): أن أمير المؤمنين (عليه السلام) حدَّث عمر عن خراسان ومدنها، فقال عمر: «يا أبا الحسن لقد رغبتني في فتح خراسان، قال علي (عليه السلام): قد ذكرت لك ما علمت منها مما لا شك فيه ».

وروى الطبري (3 /246) « عن أبي الجنوب اليشكري عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: لما قدم على عمر فتح خراسان، قال لوددت أن بيننا وبينها بحراً من نار، فقال علي (عليه السلام): وما يشتد عليك من فتحها، فإن ذلك لموضع سرور » .

وقال المناوي في فيض القدير:3 /61:«وكان عمر يسأله عما أشكل عليه. جاءه رجل فسأله فقال: هاهنا عليٌّ فاسأله. فقال: أريد أسمع منك يا أمير المؤمنين. قال: قم لا أقام الله رجليك، ومحى إسمه من الديوان !

وصح عنه من طرق أنه كان يتعوذ من قوم ليس هو فيهم، حتى أمسكه عنده ولم يوله شيئاً من البعوث، لمشاورته في المشكل » .

وفي تاريخ اليعقوبي:2/132: «وأراد أبو بكر أن يغزو الروم، فشاور جماعة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فقدموا وأخروا، فاستشار علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فأشار أن يفعل فقال: إن فعلت ظفرت . فقال: بشرت بخير ! فقام أبو بكر في الناس خطيباً وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم، فسكت الناس ».

وفي سنن البيهقي:9/134: «أراد (عمر) أن يقسم أهل السواد بين المسلمين وأمر بهم أن يحصوا، فوجدوا الرجل المسلم يصيبه ثلاثة من الفلاحين يعنى العلوج فشاور أصحاب النبي (صلى الله عليه و آله) في ذلك فقال علي: دعهم يكونون مادةً للمسلمين . فبعث عثمان بن حنيف فوضع عليهم: ثمانية وأربعين، وأربعة وعشرين، واثنى عشر». وفتوح البلاذري:2/326.

ومنها: أن حواريي علي (عليه السلام) وخاصته، شاركوا بفعالية في كل الفتوحات، بل قادوها ميدانياً، وحملوا على عواتقهم ثقل جهادها، واستشهد فيها عدد منهم . ولا يصح القول إن ذلك بدون إذنه (عليه السلام)، لأن فيهم عدداً لا يتصرفون في الأمور السياسية والعسكرية، وحتى في الأمور الإجتماعية المهمة إلا بأمره (عليه السلام) كسلمان، والمقداد، وأبي ذر، وعمار، وخالد بن سعيد، وغيرهم، رضوان الله عليهم .

والقول بأن أصحابه (عليه السلام) كانوا يجهلون رأيه فشاركوا فيها، قولٌ واهٍ، فكيف نتصور أن هؤلاء العظماء خاضوا حروباً وتحملوا مسؤليات دماء وأعراض وأموال، ومسؤولية سمعة الإسلامٍ، وهم يعتقدون بأن علياً (عليه السلام) وصي نبيهم وإمامهم المفترض الطاعة، ولا يسألونه عن حكم عملهم !

قال السيد جعفر مرتضى حفظه الله في كتابه مختصر مفيد (6/182): «وأما بالنسبة لاشتراك بعض المخلصين من كبار الصحابة في الفتوح، فالظاهر هو أنهم كانوا غافلين عن حقيقة الأمر، فكانوا يقصدون بذلك خدمة الدين، ونصرة الإسلام والمسلمين، مع عدم إطلاعهم على رأي الأئمة (عليهم السلام) في هذه الفتوحات.. أو لعل السلطة كانت تهتم في إرسالهم في مهمات كهذه، وتمارس عليهم بعض الضغوط في ذلك». انتهى.

ولا يمكن الموافقة على هذه المقولة، لأن أمثال سلماناً وأبا ذر وعماراً والمقداد وحذيفة والأشتر، من حواري أمير المؤمنين (عليه السلام)، وغيرهم من خاصته المنقطعين اليه كخالد بن سعيد وهاشم المرقال ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة، لا يمكن أن يغفلوا عن حقيقة الأمر ويجهلوا رأيه (عليه السلام) في مشاركتهم في الفتوحات!

ويكفي أن نقرأ أن خالد بن سعيد الأموي كان أول الذين خطبوا في المسجد النبوي وأدان أبا بكر واصطدم بعمر بشدة، وقال لهم: (والله لولا أني أعلم أن طاعة الله ورسوله (صلى الله عليه و آله) وطاعة إمامي أولى بي، لشهرت سيفي وجاهدتكم في الله، إلى أن أبلي عذري) !

وعندما أراد أبو بكر أن يسترضيه وقال له كما في الإستيعاب (2/422): «ما لكم رجعتم عن عمالتكم؟ ما أحد أحقّ بالعمل من عمّال رسول الله (صلى الله عليه و آله)، إرجعوا إلى أعمالكم. فقالوا: نحن بنو أبى أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) أبداً » !

وكان خالد قال لانبايع حتى يأمرنا علي، وبعد شهرين أمره أن يبايع فبايع. (أنساب الأشراف:1/ 588). ثم نراه قَبِل مرسوم أبي بكر بقيادة جيش الشام !

فلا تفسير له إلا أمر علي (عليه السلام) أو إشارته علي أبي بكر بأن يؤمَّره على غزو الروم.

وكـذلك القول بـأنهم كـانوا مجبرين من أبي بكر أو عمر أو عثمان، فلم يكن يومها إجبار على التوليـة، بل كان كثيرون يتنافسون عليها، وكان الحصول على منصب، يحتاج الى علاقة خاصة لينة مع الخليفة .

وهذه قائمة بأبرز تلاميذه وشـيعته (عليه السلام)، من فرسان الفتوحات وقادتها الميدانيين الذين خاضوا غمار المعارك، وحققوا الإنتصارات الواسعة، فمنهم:

حذيفة بن اليمان، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن عمرو، وخالد بن سعيد بن العاص الأموي وأخيه عمرو، وهاشم بن عتبـة أبي وقاص المعروف بالمرقال، وعبـد الله بن الزبير بن عبـد المطلب الهاشـمي، وأولاده عبد الله وعتبة، وبريدة الأسـلمي، وعبـادة بن الصـامت، وأبو أيوب الأنصـاري، وعثمـان بن حنيف وإخوته، وعبـد الرحمن بن سـهل الأنصـاري، ومالـك بن الحارث الأشتر وإخوته، ومعه عـدد من القادة والفرسان النخعيين، وصعصـعة بن صوحان العبـدي وإخوته، والأحنف بن قيس، وحجر بن عـدي الكنـدي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وأبو الهيثم بن التيهان، وجعـدة بن هبيرة بن أخت أمير المؤمنين (عليه السـلام)، والنعمان بن مقرن، وبـديل بن ورقاء الخزاعي، ومحمد بن أبي حذيفةالأنصاري، وأبو أمامة الباهلي، وأبو رافع مولى النبي (صـلى الله عليه و آله) وأولاد أبي رافع، وواثلة بن الأسـقع الكنـاني، والبراء بن عـازب، وبلالـل بن ربـاح مؤذن النبي (صـلى الله عليه و آله)، وقيس بن ثـابت الأنصاري، وعبـد الله بن خليفة البجلي، وعدي بن حاتم الطائي، وأبو عبيد بن مسـعود الثقفي، وأبو الدرداء، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة الأموي، وجارية بن قدامة السعدي، وأبو الأسود الدؤلي.. وغيرهم..

وقدروي أن الإمام (عليه السلام) أرسل عدداً منهم، بل يبو أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يشير على الخليفة أن يولي فلاناً أو يؤمر على الجيش فلاناً، أو يكتب الى قائد الجبهة أن يفعل كذا، خاصة في المعارك الحرجة، كمعركة اليرموك التي كانت فاصلة في هزيمة الروم، وسببت انسحاب هرقل من بلاد الشام . ومعركة نهاوند التي أنهت القوة العسكرية الفارسية، وهرب بعدها ملكهم يزدجرد وصار يتنقل في البلاد متخفياً، حتى بات في مطحنة، فقتله الطحان !

هذا، وستعرف أن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الذي وضع خطة فتح فارس والشام وفلسطين ومصر، ودبَّر قادتها، وتابع مراحلها، وشجع عمر على مواصلتها . وأن أبا بكر وعمر بسطا يده (عليه السلام) في إدارة الفتوح، لحاجتهما الى علمه وتدبيره، وتأثيره على الفرسان والشخصيات، خاصة أنه لاخبرة عسكرية عندهما.

ومن المؤيدات: الأحاديث المتواترة في أن النبي (صلى الله عليه و آله) أخبر من أول بعثته وأكد في مراحل دعوته، بأن الله تعالى وعده أن يفتح على أمته بلاد فارس والروم . فصارت الفتوحات فرضاً على أي سلطة بعده، والفرض يتضمن الإذن . (الكافي: 8/216، وابن هشام:2/365، والبيهقي:7283).

ومن المؤيدات: أن النبي (صلى الله عليه و آله) بدأ الفتوحات بنفسه بحرب الروم، وأيد معركة ذي قار مع الفرس، وراسل ملوك العالم يدعوهم الى الإسلام أو الحرب !

ومنها: ما رواه في الكافي (1/539) عن عَلِيِّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، عَنْ أَبِيه، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ، أي الإِمَامِ الكَاظِم (عليه السلام) قَال: «والأَنْفَالُ إِلَى الْوَالِي،وكُلُّ أَرْضٍ فُتِحَتْ فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه و آله) إِلَى آخِرِ الأَبَدِ،

ومَا كَانَ افْتِتَاحاً بِدَعْوَةِ أَهْلِ الْجَوْرِ وأَهْلِ الْعَدْلِ، لأَنَّ ذِمَّةَ رَسُولِ اللّٰه فِي الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ ذِمَّةٌ وَاحِدَةٌ، لأَنَّ رَسُولَ اللّٰه (صلى الله عليه و آله) قَالَ: الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ تَتَكَافَى دِمَاؤُهُمْ ويَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ».

ومن المؤيدات: أن علياً (عليه السلام) عندما بويع بالخلافة واصل سياسة الفتوح في ثلاث جبهات أو أكثر . قال ابن الأعثم (2/447): «وأخذ علي برأي أبي أيوب الأنصاري في الإقامة بالمدينة، ثم دعا بابن أخته جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي، فعقد له عقداً وولاه على بلاد خراسان، وأمره بالمسير ليفتح ما بقي منها» .

كما بعث الذين شكُّوا في حربه لمعاوية في صفين الى المرابط والفتوح، فكان أول لواء عقده للربيع بن خيثم، وأرسله الى إيران .

وكذلك أرسل العلاء بن الحضرمي عامله على البحرين لفتح بعض مناطق الهند، وكان فتح مناطق من إيران حتى إصطخر وشيراز قبل ذلك .

بينما أوقف معاوية الفتوحات، وعقد صلحاً مع هرقل ملك الروم على جزية سنوية باهضة قدرها مئة ألف دينار ذهباً، ليتفرغ لحرب علي (عليه السلام) !

قال المسعودي في مروج الذهب(2/377):«وامتنع المسلمون عن الغزو في البحر والبر لشغلهم بالحروب،وقد كان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله اليه لشغله بعلي».

وقال ابن الأعثم(2/539): «فنادى علي في الناس فجمعهم، ثم خطبهم خطبة بليغة وقال: أيها الناس ! إن معاوية بن أبي سفيان قد وادع ملك الروم، وسار إلى صفين في أهل الشام عازماً على حربكم، فإن غلبتموهم استعانوا عليكم بالروم». وصححوا روايته في مسند أحمد:4/111، وتفسير ابن كثير: 2/333.

ونختم الموضوع بالإلفات الى أمور قد توجب الحكم بصحة الرواية الضعيفة كرواية مشاورة أبي بكر وعمر لعلي (عليه السلام)، وهي: الإستفاضة، وعلو المتن، واعتماد الرواية من قبل العلماء .

أما الإستفاضة فاعتبرها السيد الخوئي موجبة للصحة . قال في معجمه (8/360): «وإن استفاضة الروايات أغنتنا عن النظر في إسنادها، وإن كانت جلها بل كلها ضعيفة، أو قابلة للمناقشة ». وقال في كتاب الصلاة (4/392): «لما عرفت من أن النصوص الناطقة باختصاص المحل بما قبل الركوع بالغة حد الإستفاضة بحيث أصبحت معلومة الصدور».

لكنه قال في مصباح الفقاهة (1/524): «وأما الإستفاضة فهي لاتنافي عدم الإعتبار، فإن الخبر المستفيض قسم من أخبار الآحاد، كما حقق في محله، ولذا يجعلونه في مقابل المتواتر ». انتهى.

والصحيح ولعله مقصوده (رحمة الله): أن الإستفاضة قد توجب الإطمئنان بصدور الحديث، وقد لاتوجب . ومن الموارد التي توجب فيها الإطمئنان أحاديث إذن أمير المؤمنين (عليه السلام) في الفتوح ومشاركته في تدبيرها.

وكذلك القول في علو المتن، بمعنى أن تكون في النص صفات توجب الإطمئنان بأنه كلام المعصوم (عليه السلام)، لأنه لو أراد غيره أن يَكْذِبَه عليه ما استطاع، كعدد من خطب أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومنها كلامه الذي يتظلم فيه من نسبة الفتوحات الى تدبير الخلفاء، مع أنها من تدبيره (عليه السلام) .

وكذا عمل الأصحاب بالرواية، كعملهم برواية الخصال، فقد اعتبره الشيخ الأنصاري (رحمة الله) جابراً لضعفها في الجملة .

قال في المكاسب (2/244): «قوله (عليه السلام): وأما الرابعة - يعني من المواطن الممتحن بها بعد النبي (صلى الله عليه و آله) - فإن القائم بعد صاحبه - يعني عمر بعد أبي بكر - كان يشاورني في موارد الأمور فيصدرها عن أمري، ويناظرني في غوامضها فيمضيها عن رأيي .لا أعلم أحداً، ولا يعلمه أصحابي، يناظره في ذلك غيري...الخبر.

والظاهر أن عموم الأمور إضافي بالنسبة إلى ما لا يقدح في رئاسته مما يتعلق بالسياسة . ولا يخفى أن الخروج إلى الكفار ودعاءهم إلى الإسلام من أعظم تلك الأمور، بل لا أعظم منه . وفي سند الرواية جماعة تُخرجها عن حد الإعتبار إلا أن اعتماد القميين عليها وروايتهم لها، مع ما عرف من حالهم لمن تتبعها من أنهم لا يُخَرِّجُون في كتبهم رواية في راويها ضعف، إلا بعد احتفافها بما يوجب الإعتماد عليها، جابر لضعفها في الجملة ».

أقول: الإنصاف أن الرواية معتبرة بعمل الصدوق (عليه السلام) وبقرائن أخرى، وهي تدل على إمضاء الإمام (عليه السلام)، لأصل الفتح ومشاركته في تدبيره، لكنها لاتدل على تصحيحه لسياسات عمر في الفتح، وفي إدارة البلاد المفتوحة .

وبعد أن أنهيت هذا الفصل قدمته الى سماحة السيد الميلاني، وهو من جمهرة فقهائنا المتشددين في القول بأن أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يشارك في الفتوحات ولم يأذن بها، فتفضل بكتابة تعليقات، وهي تحتاج الى بحث لايتسع له المجال . وهي في إطار قوله دام ظله: المشاركة لايقول بها أحد له إلمامٌ بعلم الكلام، والإذن لادليل عليه !

(6) إذن المعصوم في الفتوحات لا يعطي شرعية للحاكم

تصور بعضـهم أن مشاركة أمير المؤمنين (عليه السـلام) في الفتوحات تعني اعترافه بشـرعية حكم أبي بكر وعمر وعثمان، وهو ما لم يصدر عنه (عليه السلام) بل لا يجوز له أن يفعله !

والصـحيح أن مشاركته لاتستوجب ذلك، فرب شخص لايعترف بشرعية حاكم ومع ذلك يساعده في بعض الأعمال، فقد كان يوسف (عليه السلام) وزيراً لفرعون وساعده في حل الأزمة الإقتصادية، ولم يعترف بألوهيته ولا شرعيته !

وقـد كتب أمير المؤمنين (عليه السـلام) في رسالته لأهل مصـر أنه نهض من أجل الإسـلام وأمته، وليس من أجل نظام الحكم، فقال (عليه السلام) كما في نهج البلاغة:3/118، والغارات للثقفي: 1/307، والإمامة والسياسة:1/133:«فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسـلام يدعون إلى محق دين محمد (صـلى الله عليه و آله) ! فخشـيت إن لم أنصـر الإسـلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصـيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم، التي إنمـا هي متـاع أيـام قلائـل، يزول منهـا مـا كـان كمـا يزول السـراب، أو كما يتقشـع السحاب.فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه». ومعنى تنهنه: سكن واطمأن .

وأضافت رواية الثقفي في الغارات:1/306، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة:1/133، وشرح النهج:6/95: «فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته، ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق ».

وكلمة «فبايعته» لاتصح على أصولنا، لأنه (عليه السـلام) كان بايعه مكرهاً بعد وفاة النبي (صـلى الله عليه و آله) بأيام، ولايجوز له أن يبايعه مختاراً .

والصحيح: تألفته بدل بايعته، كما رواه في المسترشد/97، و/411، ودلائل الإمامة: 1/83، في منشور أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي كتبه ليُقرأ على المسلمين في بلادهم وهو من صفحات، قال (عليه السلام): «ورأيت الناس قد امتنعوا بقعودي عن الخروج إليهم، فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فتألفته، ولولا أني فعلت ذلك لباد الإسلام ! ثم نهضت في تلك الأحداث حتى انزاح الباطل، وكانت كلمة الله هي العليا».

(7) موقف أمير المؤمنين (عليه السلام) من نظام الحكم بعد النبي (صلى الله عليه و آله)

استمرت المرحلة الحادة بين علي (عليه السلام) ومؤيديه مع أبي بكر وعمر ومؤيديهم نحو شهر، حتى أكمل الإمام (عليه السلام) إتمام حجته وسجل موقفه .

وقد بدأت عندما اغتنم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة انشغال علي (عليه السلام) بتجهيز النبي (صلى الله عليه و آله) وسارعوا ثلاثتهم الى سقيفة بني ساعدة، وصفقوا على يد أبي بكر باسم خليفة النبي (صلى الله عليه و آله)، فاعترض سعد وكان مريضاً مثقلاً فردوه بعنف، واستنفروا طلقاء قريش فزفوا أبا بكر وأجلسوه على منبر النبي (صلى الله عليه و آله) للبيعة .

واعترض عليهم أكثر الأنصار، وكل بني هاشم، وعدد من كبار الصحابة، بأن بيعتهم ابتزازٌ بدون مشورة، وقد وصفها عمر فيما بعد كما في البخاري، بأنها كانت فَلْتَة بدون مشورة، وقال: من فعل مثلها فاقتلوه !

وجاء سلمان بخبر السقيفة الى علي (عليه السلام) وهو يُغَسِّل النبي (صلى الله عليه و آله)، بأنهم صفقوا على يد أبي بكر، فسجل موقفه وأعطى رأيه، لكنه لم يحرك ساكناً . (الكافي: 8/343)

ثم جاءه أبو سفيان يحركه للقيام في وجه أهل السقيفة، فرده، ولم يحرك ساكناً .

ثم جاءه رسولهم يطلب حضوره لبيعة خليفة النبي (صلى الله عليه و آله) بتعبيرهم، فقال له: «لسريع ما كذبتم على رسول الله (صلى الله عليه و آله)، ما أعلم لرسول الله خليفة غيري ! فرجع فأبلغ الرسالة . قال:فبكى أبو بكر طويلاً. فقال عمر الثانية: لاتمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة». (الإمامة والسياسة لابن قتيبة:1/19).

ثم هاجموا بيته وأشعلوا الحطب على باب داره، وهددوه ومن معه بأنهم سيحرقون البيت عليهم إن لم يخرجوا فيبايعوا، فسجل موقفه ورأيه فيهم، لكنه لم يجرد سيفه !

ثم تكاثروا عليه وجروه الى المسجد وطلبوا منه البيعة فرفض، وهددوه بالقتل إن لم يفعل، فامتنع عن البيعة وسجل موقفه، وأعلن رأيه فيهم .

وجاء عمه العباس ليحل المشكلة، فأخذ يد علي (عليه السلام) فقبضها فلم يستطع العباس فتحها، فمسح بها وهي مقبوضة على يد أبي بكر، فرضوا بذلك .

وبعد أن أكمل علي (عليه السلام) تجهيز النبي (صلى الله عليه و آله) ودفنه، وأكمل جمع القرآن كما أمره، أخذ زوجته وولديه وجال على نقباء الأنصار وكبارهم، وطالبهم بالوفاء ببيعتهم للنبي (صلى الله عليه و آله) بحمايته وحماية أهل بيته (عليهم السلام)، فوعده قسم منهم، فطلب أن يأتوا غداً الى بيته محلقين رؤوسهم، فجاءه أربعة منهم فقط .

وتحرك عدد من كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، فتكلموا مع الأنصار، وناظروا القرشيين وخطبوا في المسجد، وأدانوا السقيفة، واستنكروا عزل قريش لعترة النبي (صلى الله عليه و آله) وطالبوا بتنفيذ وصيته في عترته (عليهم السلام) .

وخطبت فاطمة الزهراء (عليها السلام) في المسجد خطبة صريحة بليغة، أدانت فيها السقيفة لأنها انقلابٌ من الأمة بعد رسولها (صلى الله عليه و آله)، وطالبت الأنصار بالجهاد، لمنع الإنقلاب، وتدارك آثاره الكارثية على الأمة .

وكان آخر ما قام به علي (عليه السلام) عندما جاءه اثنا عشر صحابياً من المهاجرين والأنصار، وأخبروه بأنهم قرروا أن ينزلوا أبا بكر عن منبر النبي (صلى الله عليه و آله) يوم الجمعة، فنهاهم عن فعل ذلك لأنهم قلة، والأنصار منقسمون مترددون، والطلقاء ملؤوا المدينة حتى صاروا أكثر من أهلها، وهم مستعدون لسفك الدماء لأجل الخلافة !

وأمرهم أن يقيموا الحجة على أبي بكر وعمر، وحضر معهم، وكانت جمعة حافلة، كسروا فيها حجة أبي بكر وعمر، فذهبا مع أنصارهما الى بيوتهم، ولم يأتوا الى المسجد إلا بعد ثلاثة أيام، وقد حضَّروا الطلقاء لقتال من خالفهم .

روى في الإحتجاج:1/97 : «عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول (صلى الله عليه و آله) ؟ قال: نعم كان الذي أنكر على أبي بكر اثنا عشر رجلاً. من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص، وكان من بني أمية، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وبريدة الأسلمي . ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبي بن كعب، وأبو أيوب الأنصاري . قال: فلما صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم فقال بعضهم لبعض: والله لنأتينه ولننزلنه عن منبر رسول الله (صلى الله عليه و آله) ! وقال آخرون منهم: والله لئن فعلتم ذلك إذا أعنتم على أنفسكم فقد قال الله عز وجل: وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى

الْتَّهْلُكَةِ فـانطلقوا بنـا إلى أمير المؤمنين لنستشيره ونسـتطلع رأيه، فـانطلق القوم إلى أمير المؤمنين (عليه السـلام) بـأجمعهم فقالوا: يا أمير المـؤمنين تركت حقـاً أنت أحق به وأولى به من غيرك، لأنـا سـمعنا رسول الله يقول: علي مع الحق والحق مع علي يميـل مع الحق كيف ما مال. ولقد هممنا أن نصير إليه فننزل عن منبر رسول الله (صلى الله عليه و آله) فجئناك لنستشيرك ونستطلع رأيك، فما تأمرنا؟

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): وأيم الله لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلا حرباً، ولكنكم كالملح في الزاد وكالكحل في العين، وأيم الله لو فعلتم ذلـك لأـتيتموني شـاهرين بأسـيافكم مسـتعدين للحرب والقتال وإذا لأتوني فقالوا لي بايع وإلا قتلناك، فلا بـد لي من أدفع القوم عن نفسـي، وذلك أن رسول الله (صـلى الله عليه و آله) أوعز إلي قبل وفاته وقال لي: يا أبا الحسن إن الأمـة سـتغدر بك من بعـدي وتنقض فيك عهـدي، وإنك مني بمنزلـة هارون من موسـى، وإن الأمة من بعدي كهارون ومن اتبعه والسامري ومن اتبعه ! فقلت: يا رسول الله فما تعهد إلي إذا كان كـذلك؟ فقال: إذا وجـدت أعواناً فبادر إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً كف يدك واحقن دمك حتى تلحق بي مظلوماً. فلما توفي رسول الله (صـلى الله عليه و آله) اشـتغلت بغسـله وتكفينه والفراغ من شأنه، ثم آليت على نفسـي يميناً أن لا أرتدي برداء إلا للصلاة حتى أجمع القرآن، ففعلت، ثم أخذت بيد فاطمة وابني الحسن والحسين، فدرت على أهل بدر وأهل السابقة فناشدتهم حقي ودعوتهم إلى نصـرتي، فما أجابني منهم إلا أربعـة رهط: سـلمان وعمار وأبو ذر والمقداد، ولقد راودت في ذلك بقية أهل بيتي، فأبوا علي إلا السـكوت لما علموا من وغارة صدور القوم وبغضهم لله ورسوله ولأهل بيت نبيه .

فانطلقوا بأجمعكم إلى الرجل فعرفوه ماسمعتم من قول نبيكم، ليكون ذلك أوكد للحجة وأبلغ للعذر وأبعد لهم من رسول الله (صلى الله عليه و آله) إذا وردوا عليه . فسار القوم حتى أحدقوا بمنبر رسول الله (صلى الله عليه و آله) وكان يوم الجمعة، فلما صعد أبو بكر المنبر قال المهاجرون للأنصار: تقدموا وتكلموا فقال الأنصار للمهاجرين: بل تكلموا وتقدموا أنتم فإن الله عز وجل بدأ بكم في الكتاب... فأول من تكلم به خالد بن سعيد بن العاص..». ثم ذكر خطبة سعيد، ورد عمر بن الخطاب عليه، وجواب سعيد الشديد له، وانكسار عمر . وذكر خطب البقية..

ثم قال: «قال الصادق (عليه السلام): فأفحم أبو بكر على المنبر حتى لم يحر جواباً، ثم قال:وليتكم ولست بخيركم، أقيلوني أقيلوني ! فقال له عمر بن الخطاب: إنزل عنها يا لكع! إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لمَ أقمت نفسك هذا المقام؟ والله لقد هممت أن أخلعك وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة !

قال: فنزل ثم أخذ بيده وانطلق إلى منزله، وبقوا ثلاثة أيام لايدخلون مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله) ! فلما كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل(يقصد هيأ ألفاً) فقال لهم: ماجلوسكم فقد طمع فيها والله بنو هاشم؟ وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل حتى اجتمع أربعة آلاف رجل، فخرجوا شاهرين بأسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب، حتى وقفوا بمسجد رسول الله، فقال عمر: والله يا أصحاب علي لئن ذهب منكم رجل يتكلم بالذي تكلم بالأمس لنأخذن الذي فيه عيناه !

فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال: يا ابن صهاك الحبشية أبأسيافكم تهددوننا، أم بجمعكم تفزعوننا، والله إن أسيافنا أحد من أسيافكم، وإنا لأكثر

منكم وإن كنا قليلين، لأن حجة الله فينا. والله لولا أني أعلم أن طاعة الله ورسوله (صلى الله عليه و آله) وطاعة إمامي أولى بي، لشهرت سيفي وجاهدتكم في الله إلى أن أبلي عذري! فقام أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: أجلس يا خالد، فقد عرف الله لك مقامك وشكر لك سعيك . فجلس .

وقام إليه سلمان الفارسي فقال: الله أكبر الله أكبر! سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) بهاتين الأذنين وإلا صُمَّتَا، يقول: بينا أخي وابن عمي جالس في مسجدي مع نفر من أصحابه، إذ تكبسه جماعة من كلاب أصحاب النار، يريدون قتله وقتل من معه، فلست أشك إلا وإنكم هم !

فهمَّ به عمر بن الخطاب، فوثب إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخذ بمجامع ثوبه ثم جلد به الأرض، ثم قال: يا ابن صهاك الحبشية ! لولا كتاب من الله سبق وعهد من رسول الله تقدم، لأريتك أينا أضعف ناصراً وأقل عدداً !

ثم التفت إلى أصحابه فقال: إنصرفوا رحمكم الله، فوالله لا دخلت المسجد إلا كما دخل أخواي موسى وهارون، إذ قال له أصحابه: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ. والله لا دخلته إلا لزيارة رسول الله (صلى الله عليه و آله) أو لقضية أقضيها، فإنه لا يجوز لحجة أقامها رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن يترك الناس في حيرة »!

وهذه الفقرة الأخيرة تحدد موقف علي (عليه السلام) من نظام الخلافة القرشية بدقة .

(8) عناصر موقف علي (عليه السلام) من نظام الخلافة القرشية

أ. قرر الإمام (عليه السلام) أن لايقاومهم بالقوة، لأن النبي (صلى الله عليه و آله) أمره إن لم يجد ناصراً أن يحقن دمه ودم أهل بيته . قال (عليه السلام) كما في كتاب سليم بن قيس/215: «أخبرني رسول الله (صلى الله عليه و آله) بما الأمة صانعة بي بعده، فلم أك بما صنعوا حين عاينته بأعلم مني ولا أشد يقيناً مني به قبل ذلك، بل أنا بقول رسول الله (صلى الله عليه و آله) أشد يقيناً مني بما عاينت وشهدت! فقلت: يا رسول الله، فما تعهد إلي إذا كان ذلك؟ قال: إن وجدت أعواناً فانبذ إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فاكفف يدك واحقن دمك حتى تجد على إقامة الدين وكتاب الله وسنتي أعواناً ».

ب. أعلن (عليه السلام) أنه لن يعترف بشرعية نظامهم، إلا اعتراف المُكره المُجبر، لمن أجبره وقهره . ولذلك قال المفيد (رحمة الله) إنه (عليه السلام) لم يبايع ولا ساعة !

ومن العجيب أن من خالفنا يحتجون بأنه (عليه السلام) بايع، حتى لو كان مجبراً أو مكرهاً، مع أنهم يروون أن النبي (صلى الله عليه و آله) قال: إنما الأعمال بالنيات، وإنه لاقيمة لفعل أكره عليه صاحبه، ولا يصح فعلٌ من مكرهٍ. فكيف تصح بيعة المُكره ؟!

قال المفيد في المقنعة/612: «ولا يصح بيع بإكراه، ولا يثبت إلا بإيثار واختيار».

وقال الشيخ الأنصاري في المكاسب:3/311: «الإكراه لغة وعرفاً: حمل الغير على ما يكرهه. ويعتبر في وقوع الفعل عن ذلك الحمل اقترانه بوعيد منه مظنون الترتب على ترك ذلك الفعل، مُضِرٍّ بحال الفاعل أو متعلقه، نفساً أو عرضاً أو مالاً ».

وفي صحيح البخاري:8/57: «باب لا يجوز نكاح المكره . عن خنساء بنت خذام الأنصارية أن أباها زوجها وهي ثيب، فكرهت ذلك، فأتت النبي فرد

نكاحها..باب إذا اكره حتى وهب عبداً أو باعه لم يجز..». راجع: فتح الباري:12/280، وتحرير المجلة:3/156، مادة: 948. وكافة مصادر الفقه .

ج. أعلن الإمام (عليه السلام) أنه سيلتزم بالحضور في المسجد ليزور قبر النبي (صلى الله عليه و آله)، ويبين للأمة الشريعة ويقضي بينهم، لأن النبي (صلى الله عليه و آله) نصبه حجة لأمته، ولا يجوز له أن يترك الناس في حيرة . وأنه سيصلي مفرداً، ولا يأتم بمن نصبوه .

د. أعلن الإمام (عليه السلام) أن سيعتزلهم، فلا يكون جزء من جهازهم الإداري، ولا يقبل مناصبهم، لأنه يحرم عليه أن يقبل تأمير أحد عليه، فذلك ينقض تأمير الله والنبي (صلى الله عليه و آله) له على الأمة ! ولذلك لم يؤمِّر عليه النبي (صلى الله عليه و آله) في حياته أحداً أبداً بينما أمَّره على جميع الصحابة، وأمَّر بعضهم على بعض .

بل نهاه النبي (صلى الله عليه و آله) أن يتقدم عليه أحد من الصحابة، حتى في مجلس أو طريق !

قال أحمد بن همام فيما رواه في الإحتجاج (1/291): «أتيت عبادة بن الصامت في ولاية أبي بكر فقلت: يا عبادة أكان الناس على تفضيل أبي بكر قبل أن يستخلف؟ فقال:يا أبا ثعلبة إذا سكتنا عنكم فاسكتوا ولا تبحثونا! فوالله لعلي بن أبي طالب كان أحق بالخلافة من أبي بكر، كما كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) أحق بالنبوة من أبي جهل! قال: وأزيدكم: إنا كنا ذات يوم عند رسول الله (صلى الله عليه و آله) فجاء علي وأبو بكر وعمر إلى باب رسول الله (صلى الله عليه و آله) فدخل أبو بكر ثم دخل عمر ثم دخل عليٌّ على أثرهما، فكأنما سفي على وجه رسول الله الرماد! ثم قال: يا عليُّ أيتقدمانك هذان، وقد أمَّرك الله عليهما؟ فقال أبو بكر:نسيت يا رسول الله، وقال عمر:سهوت يا رسول الله! فقال رسول الله: مانسيتما ولا سهوتما ! وكأني

بكما قـد سـلبتماه ملكه وتحازبتما عليه، وأعانكما على ذلك أعـداء الله وأعـداء رسوله ! وكأني بكما قد تركتما المهاجرين والأنصار يضـرب بعضـهم وجوه بعض بالسيف على الدنيا! ولكأني بأهل بيتي وهم المقهورون المشتتون في أقطارها وذلك لأمر قد قضي! ثم بكى رسول الله (صلى الله عليه و آله) حتى سالت دموعه ثم قال: يا عليُّ الصبرَ الصبرَ حتى ينزل الأمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن لك من الأ-جر في كـل يوم مـا لايحصـيه كاتبـاك. فإذا أمكنك الأمر فالسـيفَ السـيفَ، القتلَ القتلَ، حتى يفيئوا إلى أمر الله وأمر رسوله، فإنك على الحق، ومن ناواك على الباطل، وكذلك ذريتك من بعدك إلى يوم القيامة» .

ولهذا لم يقبل أمير المؤمنين ولا الحسنان (عليهم السلام) أي منصب من أبي بكر وعمر وعثمان، ففي الفتوح لابن الأعثم:1/57، أن أبا بكر قـال لعمر: « إني عزمت على أن أوجه إلى هؤلاـء القوم علي بن أبي طالب فإنه عـدل رضا عنـد أكثر الناس لفضـله وشـجاعته وقرابته وعلمه وفهمه ورفقه بما يحاول من الأمور، قال: فقال له عمر بن الخطاب: صدقت يا خليفة رسول الله وسـلم ! إن عليا كما ذكرت وفوق ما وصـفت ولكني أخاف عليك خصـلة منه واحدة، قال له أبو بكر (صلى الله عليه و آله) وما هذه الخصلة التي تخاف علي منها منه ؟ فقال عمر: أخاف أن يأبى لقتال القوم فلا يقاتلهم فإن أبى ذلك فلم تجـد أحـداً يسـير إليهم إلا على المكروه منه، ولكن ذر علياً يكون عنـدك بالمدينة فإنك لا تسـتغني عنه وعن مشورته، واكتب إلى عكرمة بن أبي جهل فمره بالمسير إلى الأشعث وأصحابه، فإنه رجل حرب وأهلٌ لما أهل له، فقال أبو بكر: هذا هو الرأي .«

وروى المسعودي في مروج الذهب:2/309، أن عثمان أشار على عمر بعد هزيمة المسلمين في معركة الجسر فقال له: «إبعث رجلاً له تجربة بالحرب وبَصَر بها، قال عمر: ومن هو؟ قال: علي بن أبي طالب، قال: فالقه وكلمه وذاكره ذلك، فهل تراه مسرعاً إليه أولا؟ فخرج عثمان فلقي علياً فذاكره ذلك فأبى علي ذلك وكرهه، فعاد عثمان إلى عمر فأخبره، فقال له عمر: ومن ترى ؟ قال: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، قال: ليس بصاحب ذلك ..».

وروى في شرح النهج:9/174: «قيل لعمر: ولِّ علياً أمر الجيش والحرب، فقال: هو أتيه من ذلك »! والتحفة العسجدية ليحيى بن الحسين بن القاسم/142.

وفي فتوح البلاذري:2/313: «كتب المسلمون إلى عمر يعلمونه كثرة من تجمع لهم من أهل فارس ويسألونه المدد...وعرض على عليٍّ الشخوص فأباه ».

بل امتنع علي (عليه السلام) حتى من مرافقة عمر عندما ذهب الى الشام، فقد روى في شرح النهج: 12/78، والتحفة العسجدية/146، عن ابن عباس أن عمر قال له:«يا ابن عباس أشكو إليك ابن عمك سألته أن يخرج معي فلم يفعل، ولم أزل أراه واجداً، فيمَ تظن موجدته؟ قلت: يا أمير المؤمنين إنك لتعلم ! قال: أظنه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة . قلت: هو ذاك، إنه يزعم أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أراد الأمر له. فقال: يا ابن عباس، وأراد رسول الله الأمر له، فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك ؟! إن رسول الله أراد أمراً وأراد الله غيره فنفذ مراد الله تعالى ولم ينفذ مراد رسوله! أوَكلما أراد رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان ! ».

وكـان يجب أن يقول عمر: أراد رسول الله (صـلى الله عليه و آله) أمراً وأردنـا غيره، لأن الله تعالى لم يرد غيره، بل سـمح بمخالفـة الرسـل وأعطى الحرية للبشر، وهذا السماح إرادة تكوينية لاتشريعية حتى يصح نسبة الأمر الى تعالى، وإلا كانت كل المعاصي منه سبحانه !

أما الحسـنان (عليهما السلام) فروى أنهما شاركا في الفتوحات في عهد عثمان، رواه البلاذري (2/411) بصيغة تضعيف، قال: «فغزا سعيد طبرستان، ومعه في غزاته فيما يقال الحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ».

لكن لو شاركا لاشتهر ذلك، ويكفي لرد ذلك أن أمير المؤمنين كان شديد المحافظة على حياتهما (عليهم السلام)، وفي ذهابهما خطر على حياتهما من المنافقين قبل المعارك وقد بعث أمير المؤمنين (عليه السـلام) من يرد الإمام الحسن (عليهما السـلام) من المعركة في صفين، وقال كما في نهـج البلاغة(2/186): «وقـد رأى الحسن (عليه السـلام) يتسـرع إلى الحرب: إملكوا عني هـذا الغلام، لايهـدني، فإني أنفس بهذين، يعني الحسن والحسين على الموت، لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله (صلى الله عليه و آله)).

وبسبب ما قدمناه، لم يذكر أحد أن علياً (عليه السلام) شارك بنفسه في حرب المتنبئين خارج المدينة وضواحيها ولا في حروب الفتوحات، فلو حضر في أي منها لاشتهر ذلك، لأن مكانه ودوره (عليه السلام) في المعارك لايخفى .

وهذا تطبيق منه (عليه السلام) لعناصر موقفه من السلطة .

وكأن قبوله قيادة جيش يعني اعترافه بأن الخليفـة قائـده، والإعتراف الإختياري عنده مخالفة للنبي (صـلى الله عليه و آله) الذي لم يؤمِّر أحداً عليه طول عمره، ولم يبعثه إلاـ أميراً على الصـحابة واجب الطاعـة . فبماذا يجيب رسول الله (صـلى الله عليه و آله) لو قال له: لقـد حفظتُ مقامك الرباني فلم أؤمر عليك أحداً، وأخبرتك بأن الأمة ستغدر بك

بعدي، وأوصيتك أن تحفظ دمك إن لم تجد أنصاراً، وأن تبايعهم وتؤمرهم على نفسك مجبراً فقط، فلماذا أمَّرتهم على نفسك اختياراً ؟!

وبماذا يجيب الحسنان (عليهما السلام) إذا سألهما النبي (صلى الله عليه و آله): لقد جعلكما الله إمامين لتقتدي أمتي بكما، ولم أؤمر عليكما أحداً، فلماذا أمَّرتما على نفسيكما وأنتما مختارين؟!

هـ . أعلن الإمام (عليه السلام) أنه سينصح الحاكم الذي ينصبونه، بما يحقق مصلحة الإسلام وأهله، ويوجه شيعته وأنصاره في هذا الإتجاه لخدمة للإسلام وأمته .

و. سيكون مراقباً لعمل الحاكم، فيحثه إن قصر، ويشير عليه وينصح، ويسمع له ويطيع بشكل عام، لكن إذا رأى خطأ صحح له أو انتقد، ليقلل بذلك الإنحراف عن سنة النبي (صلى الله عليه و آله)، ما أمكن .

ز. فسر الإمام الباقر (عليه السلام) حيثيات هذا الموقف فقال: « إن الناس لما صنعوا ما صنعوا إذ بايعوا أبا بكر لم يمنع أمير المؤمنين (عليه السلام) من أن يدعو إلى نفسه إلا نظراً للناس وتخوفاً عليهم أن يرتدوا عن الإسلام فيعبدوا الأوثان، ولا يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (صلى الله عليه و آله) . وكان الأحب إليه أن يقرهم على ما صنعوا من أن يرتدوا عن جميع الإسلام، وإنما هلك الذين ركبوا ما ركبوا، فأما من لم يصنع ذلك ودخل فيما دخل فيه الناس على غير علم ولا عداوة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، فإن ذلك لا يكفره ولا يخرجه من الإسلام . ولذلك كتم علي (عليه السلام) أمره وبايع مكرهاً حيث لم يجد أعواناً ». (الكافي:8/295).

ص: 59

وقد طبَّق أمير المؤمنين (عليه السلام) موقفه في تعامله مع نظام أبي بكر وعمر وعثمان، ولم يخضع لضغوط الترغيب والترهيب الكثيرة .

وعمل في نفس الوقت لتكون له مع الحاكم علاقة شخصية هادئة، ليطمئن بأنه لن يخرج عليه، ويقبل منه النصح، ولا تأخذه العزة بالإثم .

وقد فرح أبو بكر وعمر بهذا الموقف، رغم بعض عناصره، فلا مانع عندهما أن لايعترف بشرعية نظامهما، ولا يصلي خلف الحاكم، ويجلس في زاويته في المسجد ويبين الشريعة، ما دام يسكت عنهم . بل قالوا له: « إن بايعت كففنا عنك، وأكرمناك، وقربناك وفضلناك . وإن لم تفعل قتلناك ». (كتاب سليم/216) .

وروى المؤرخون أن أبا بكر وعمر لما رأيا اهتمام علي (عليه السلام) وآراءه الصائبة ونصحه لهم في تدبير حرب المرتدين والفتوحات، طمعا بأن يقبل منهما قيادة جيش بمرسوم خلافي، لكنه لم يكن يقبل، وكان يقترح عليهم قائداً كفوءاً، وربما أخذا برأيه فيه، وربما لم يأخذا !

لهذا لايصح القول إن علياً (عليه السلام) اعتزل الشؤون العامة بنحو مطلق، لأنه كان يحضر يومياً لزيارة قبر النبي (صلى الله عليه و آله) ويصلي عنده، ويجلس لمراجعات الناس وبيان الشريعة . فهذا واجب عليه بموجب أن النبي (صلى الله عليه و آله) نصبه حجة للأمة .

نعم يصح القول إنه اعتزل (عليه السلام) نسبياً، وكان أوج اعتزاله في الشهرين الأولين حتى تفاقمت حركة طليحة الأسدي المتنبئ، واستجابت له قبائل كثيرة، وبلغ عدد قواته في حائل وسميراء وبزاخة عشرين ألفاً وأكثر . ثم اتخذ معسكراً في ذي القَصَّة قرب المدينة، وكان أنصاره فيه نحو عشرة آلاف مقاتل، وأرسل اليهم حِبَال بن أخيه سلمة بن خويلد الأسدي، قائداً، وكان فارساً مشهوراً .

(9) مشاركةعلي (عليه السلام) بالفتوح لاتُحَمِّلُهُ مظالم الفاتحين

من المؤكد أن الأمة لو أطاعت نبيها (صلى الله عليه و آله) وسلمت قيادتها لعلي وأئمة العترة (عليهم السلام) لقادوا سفينتها وسفينة العالم في مسار آخر، لا مثيل له .

ويكفي دليلاً عليه أن الله تعالى أعطاهم علم الكتاب، فهم أهل العلم واليقين، وغيرهم أهل الظنون والإحتمالات، ونَزْرٍ من العلم .

وقد روى الجميع أن الله تعالى أمر نبيه (صلى الله عليه و آله) أن يُعِدَّ علياً (عليه السلام) وأن يدنيه ويعلمه فقال له: «إني أمرت أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك وأن تعي، وحق لك أن تعي . قال: فنزلت هذه الآية: وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ».(أسباب النزول /294، والدر المنثور:6/260، وتفسير الطبري:29/69، وابن أبي حاتم:10/3369، والقرطبي:18/264،وغيرهم).

وقد حاول ابن تيمية وابن كثير (8 /211) تضعيف هذا الحديث، لكن أبا حاتم أخرجه، وهو عند ابن تيمية لايُخرج إلا الصحيح .

فأئمة العترة (عليهم السلام) أئمة ربانيون، مُلهمون مهديون، لو حكموا لأداروا الدولة بعلم وهدى، ولعمموا الإسلام على العالم في أقصر مدة، وأقاموا دولة العدل العالمية، وأعمروا الأرض والحياة بما عندهم من علوم، ورفعوا مستوى وعي الناس وثقافتهم، ومعيشتهم .

لكن الأمة لم تطع نبيها (صلى الله عليه و آله) فيهم، واختارت غيرهم، فكان الأئمة (عليهم السلام) يوجهون الأمة والحكام إذا قبلوا منهم، ويعطونهم من العلم بقدر ما يحفظ بقاء الإسلام وأمته، كما قال الله تعالى: وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ . ثم لايكونون مسؤولين عن انحرافاتهم .

وعليه، فبراءة أمير المؤمنين (عليه السلام) من ظلامات الفتوحات، لا يتوقف على نفي إذنه بها، أو رضاه، ولا على نفي مشاركته فيها، فلا تلازم بين أي من هذه الثلاثة وبين تحمل مسؤولية ظلامات الفاتحين والولاة .

ومثاله أن تأذن ببناء مسجد يتولاه غيرك، فتضع له خريطة البناء، وتساهم في تكاليفه، وتدفع مهندسين للعمل به، وأنت تعرف أن المتولي سيغصب أموالاً وأعياناً وينفقها فيه، ويجبر أشخاصاً على العمل فيه، ثم يستعمله لأغراض مفيدة ومضرة . فإن علمك بذلك لا يجعلك شريكاً في فعل المتولي، ولا يمنعك من المشاركة، مادام وجود المسجد ضرورة، أو وجوده خيراً من عدمه !

فينبغي الإلتفات الى أن مشاركة عليٍّ (عليه السلام) في دفع هجوم جيش طليحة عن المدينة وفي حروب الردة والفتوحات، لها صيغ عديدة، بعضها لايستلزم تأييده لنظام الحكم، ولا يتنافى مع رفضه النظام والخليفة، وبعضها يستلزم نوعاً من الإعتراف به، كقبوله أن يكون منصوباً من قبله مأموراً منه، وقد نهاه رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن يقبل بإمرة من أَمَّره الله عليهم .

وقد تصور بعضهم أن إذنه (عليه السلام) ورضاه، أو مشاركته مطلقاً، حتى في التدبير والإدارة، بنفسه أو بأصحابه وتلاميذه وفرسانه.. كل ذلك يتنافى مع كونه الإمام المعصوم الموصى له من رسول الله (صلى الله عليه و آله) !

وهذا خطأ، فليست كل صور المساعدة والمشاركة تستوجب ذلك .

ومن الواضح أن حكم الحسن والحسين حكم أبيهما (عليهم السلام)، لأن الله تعالى أمرهما على الأمة بعده بنص النبي (صلى الله عليه و آله) .

وعمـدة ما يسـتدل به أصـحاب هذا الرأي عدم أهلية الخليفة وقادته الفاتحين، وفقدانهم الشـروط الضـرورية لفتح البلاد وهداية العباد، وما ارتكبوه من مظالم لا يقرها الإسلام . ثم يؤيدون ذلك برفض الإمام (عليه السلام) أن يتولى منصباً.

قال السيد جعفر مرتضى في كتابه (مختصر مفيد:6/144) ما خلاصـته: «إن الفتوحات والإستيلاء على البلاد والعباد ليست غاية للإسلام، بـل الغايـة هي نشـر الـدين والحق والعـدل والإيمـان، من قبل من يحق له أن يتصـدى لـذلك، وبرعايـة وهدايـة ودلالـة، وتفويض من قبل المعصوم، وبإجازة ورضى منه .

والأمور بغاياتها ودوافعها..فإذا كان الدافع هو رضا الله تعالى، وروعيت في الفتوحات جيمع الشـرائط الشرعية، ومنها استجازة المعصوم في التصدي لمثل هذا الأمر الخطير.. أمكن القول: إن ما فعلوه من فتوحات كان حسناً .

ولكن الفـاتحين كـانوا لاـ يعترفون بالإمام الحق، بل يناوؤونه ويتآمرون عليه، ولا يراعون موازين القسط والعـدل في الناس الـذين يتسـلطون عليهم، ولا يهتمون بأمر الدعوة إلى الله ونشر الدين فيهم، بل يمارسون الظلم والتعدي، والعسف والإذلال !

وقـد نتـج عن تلك الفتوحات مصائب وبلايا، وكوارث ورزايا، سواء في المجال الإجتماعي أم التربوي، أم الإلتزام الـديني . وبسـببها دخلت الشـبهات وراج الفساد والإنحراف في المجتمعات الإسلامية، واختلطت المفاهيم، وظهرت الدعوات الهدامة، وما إلى ذلك من أمور اتسع بسببها الخرق على الراقع، وكانت قاصمة الظهر وضياع العمر وبوار الدهر ..

ص: 63

وإذا كان قواد الجيوش الفاتحة هم الفسقة الفجرة، من أمثال خالد بن الوليد، الغادر ببني جذيمة، والقاتل لمالك بن نويرة، والفاجر بامرأة ذلك القتيل في ليلة قتله، والفار من الزحف بجيش الإسلام في غزوة مؤتة، فإن على الإسلام السلام، وعلى البلاد المفتوحة على أيدي هؤلاء أن تنتظر المصائب والبلايا، والكوارث والرزايا، ولن تجد لرحمة وعدل الإسلام أية رائحة أو أثر في حياتها الإجتماعية والسياسية، وغيرها.

هذا بالإضافة إلى أن الجيوش الفاتحة كانت على جهل بأحكام الدين وشرائعه وفي منتهى الشراهة للأموال والتوثب للحصول على السبايا الحسناوات . وإن إلقاء نظرة سريعة على معاملتهم للناس آنئذٍ، تكفي لإعطاء صورة عن ذلك !

وكنموذج على ذلك نذكر النص التالي من الطبري:3/313:

«لم يزل أهل أفريقية من أطوع البلدان وأسمعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك حتى دب إليهم أهل العراق، واستثاروهم، فشقوا العصا وفرقوا بينهم إلى اليوم وكانوا يقولون: لا ـ نخالف الأئمة بما تجني العمال، فقالوا لهم: إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك . فقالوا حتى نَخْبُرَهُم، فخرج ميسرة في بضعة وعشرين رجلاً فقدموا على هشام فلم يؤذن لهم، فدخلوا على الأبرش فقالوا: أبلغ أمير المؤمنين: أن أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا غنمنا نفَّلهم ويقول: هذا أخلص لجهادنا . وإذا حاصرنا مدينة قدَّمنا وأخّرهم ويقول: هذا ازديادٌ في الأجر، ومثلنا كفى إخوانه !

ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا، فجعلوا يبقرون بطونها عن سخالها، يطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين، فيقتلون ألف شاة في جلد، فاحتملنا ذلك !

ثم إنهم ساموا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا ! فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة، ونحن مسلمون . فأحببنا أن نعلم أعن رأي أمير المؤمنين هذا، أم لا »!

ويذكر نص آخر: أن قتيبة بن مسلم أوقع بأهل الطالقان، فقتل من أهلها مقتلة عظيمة لم يسمع بمثلها، وصلب منهم سماطين: أربعة فراسخ في نظام واحد الرجل بجنب الرجل، وذلك مما كسر جموعهم» ! (النهاية:9/78).

كما أن بعضهم يعطي أماناً لبلد في جرجان، على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً، فيقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً » . (الطبري:3/324).

وآخر يصالح أهل مدينة قنسرين ويجعل من جملة الشروط: أن يهدم المدينة من الأساس وهكذا كان». (الطبري: 3/98) .

ودعا نائب خراسان: «أهل الذمة بسمرقند، ومن وراء النهر إلى الدخول في الإسلام، ويضع عنهم الجزية، فأجابوه إلى ذلك، وأسلم غالبهم، ثم طالبهم بالجزية، فنصبوا له الحرب، وقاتلوه ». (النهاية:9/259).

والجواب عن ذلك:

أولاً: أن هذه الجرائم وأمثالها لا توجب عدم إذن أمير المؤمنين (عليه السلام) ولا تجعل مشاركته حراماً، لأن الفتوحات أمرٌ مركب، فيه وجوه سلبية وإيجابية، فلا يصح تقييمه من إحدى الزوايا دون غيرها، ولا النظر الى مصلحة المجتمع في جيل واحد، لأن مصالح المجتمع متغيرة ممتدة مع الزمن .

ولو صح إشكالنا على إذن الإمام (عليه السلام) ورضاه بالفتوحات بكثرة أضرارها وقلة نتائجها، لصح الإشكال على نتائج عمل النبي (صلى الله عليه و آله) لأنه ما أن أغمض عينيه حتى انقلبت أمته، فتركت لبَّ رسالته وحكمت بقشورها، وأبعدت وصيه واضطهدت عترته (عليهم السلام)، وارتكبت فيهم مأساة ممتدة، وأقامت فيهم مناحة لم يشهد تاريخ الإنسانية أسوأ منها !

إن موقف أمير المؤمنين (عليه السلام) في الفتوحات ينطلق من أن عدمها أسوأ من وجودها بأضعاف ! ويكفي أن نتصور أن الإسلام بقي في الجزيرة في ظروفه بين أطماع قريش والقبائل، في فقرها وماديتها وصراعاتها ! إذن لتنازعت على الرئاسة وأفنت بعضها بالحروب، وأنهت الإسلام في مهده ! وتاريخها شاهد على أنها مستعدة لأن تحارب بعضها أربعين سنة، من أجل ناقة كناقة البسوس، أو تعصبات جوفاء لقبيلة مقابل غيرها !

كما أن البلاد المفتوحة لو بقيت تحت حكم الفرس والروم، ولم تدخل شعوبها في الإسلام، لخسرت الإنجازات العظيمة التي حققتها بسبب الإسلام .

إن انحرافات الفاتحين وولاة المناطق المفتوحة وجرائمهم، لا تمنع من المشاركة في الفتوحات، لأن قصده (عليه السلام) تحقيق ما يمكن من الخير لتلك الشعوب في كل العصور، حتى لو كان في الفتوحات أضرارٌ من جهات أخرى .

ثم نقول: نعم لايمكن الدفاع عن الفاتحين أبداً، إلا قلة منهم ثبت صلاحهم، ولا عن ولاة المناطق المفتوحة، الذين يندر فيهم مثل سلمان وعمار .

وإذا أردنا استقراء المظالم والمفاسد التي ارتكبها الولاة والفاتحون لملأنا منها مجلداً، وما أسهل أن نضيف عشرات الجرائم الى ماذكره أخونا الفاضل السيد جعفر مرتضى:

منها: قصة صححها علماء السلطة (سير أعلام النبلاء:1/329،وتاريخ دمشق: 65/250)، تدل على سفاهة الوالي الذي سلموه مقدرات بلاد الشام:

«غزا يزيد بن أبي سفيان بالناس وهو أمير على الشام، فغنموا وقسموا الغنائم فوقعت جارية في سهم رجل من المسلمين وكانت جميلة، فذُكرت ليزيد فانتزعها من الرجل! (وفي رواية فاغتصبها يزيد) وكان أبو ذر يومئذ بالشام، فأتاه الرجل فشكا إليه، واستعان به على يزيد ليرد الجارية إليه، فانطلق إليه معه وسأله ذلك، فتلكأ عليه ! فقال له أبو ذر:أما والله لئن فعلت ذلك لقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول:إن أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية، ثم قام ! فلحقه يزيد فقال له: أذكرك الله عز وجل، أنا ذلك الرجل! قال: لا. فرد عليه الجارية». وصحح الألباني: 4/329، حديثها، لكنه حاول التشكيك في القصة !

فهذا الصحابي العادل عندهم، نصبه أبو بكر قائداً لجيش الشام حسب طلب عمر، وعزل الفارس التقي النقي خالد بن سعيد بن العاص الأموي، لمجرد أنه من شيعة علي (عليه السلام)، وقد كان قطع الى الشام ثلث الطريق !

وجاء القائد الجديد ابن أبي سفيان، فلم يبرز الى فارس ولا شارك في معركة، وكان المسلمون يفتحون ويغنمون، وجلس مع شلته فذكروا له جارية حسناء لفلان، فأرسل جنوده فأتوا بها رغم أنف سيدها، واغتصبها !

ثم طالبه أبو ذر وهو المحترام في جيش الفتح، فرفض ردها الى زوجها حتى هدده أبو ذر بحديث نبوي في ذم بني أمية، فقبل بردها على مضض !

ومات يزيد بن أبي سفيان، أو سَمَّهُ أخوه معاوية وتولى مكانه، وكان أسوأ منه!

ومنها: أن الخليفة قد يأمر بهدم مدينة أو قرية ! ففي بغية الطلب: 1/332 : «كتب لعمير بن سعد عهداً بأن يخرب عرب سوس، إذا لم يستجيبوا لشروطه، فلما خربها بعد سنة علم عمر بذلك فضربه بالدره، فدخل عليه عمير منفرداً وطلب منه عهده الذي كتبه اليه فقال عمر: رحمك الله فهلا قلت لي ذلك وأنا أضربك قال كرهت أوبخك يا أمير المؤمنين » !

ومنها: ما رواه الواقدي(1/109) بسند صحيح، من أن قسماً من جنود الفتح كانوا يشربون الخمر: «كنت مع أبي عبيدة بالشام فكتب إلى عمر بن الخطاب يخبره بفتح الشام وفي الكتاب إن المسلمين يشربون الخمر واستقلوا الحد » !

ومنها: أن القادة الأبرار الذين فتحوا بلاد الشام بتضحياتهم، قُتلوا فيها بيد معاوية الذي حكمها ! كما حَدَث لحجر بن عدي وأصحابه رضي الله عنهم، الذين قتلهم معاوية لأنهم رفضوا أن يتبرؤوا من علي (عليه السلام)، فاعتقلهم في الكوفة وأحضرهم الى الشام، وقتلهم بمرج عذراء، قرب دمشق وهم الذين فتحوه !

قال الطبري:(4/205): « قال لهم (حِجْر): دعوني أتوضأ . قالوا له: توضأ. فلما أن توضأ قال لهم:دعوني أصلي ركعتين، فأيمن الله ما توضأت قط إلا صليت ركعتين. قالوا: ليصل. فصلى ثم انصرف فقال: والله ما صليت صلاة قط أقصر منها، ولولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لأحببت أن أستكثر منها، ثم قال: اللهم إنا نستعديك على أمتنا، فإن أهل الكوفة شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا ! أما والله لئن قتلتموني بها، إني لأول فارس من المسلمين هلَّلَ في واديها

وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها ! فمشى إليه الأعور هدبة بن فياض بالسيف.. وقتله مع أصحابه بأمر معاوية !

ولما رأت عائشة معاوية قالت له:«يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه ! قال:لست أنا قتلتهم إنما قتلهم من شهد عليهم» ! (الطبري:4/208).

أما مالك الأشتر بطل معركة اليرموك الذي قطف النصر للمسلمين، وهزم هرقل من سوريا، فقد اعترض مع تسعة زعماء، على حاكم العراق الأموي قريب عثمان، عندما قال إن العراق بستانٌ لبني أمية ! فردوه فشكاهم إلى عثمان فنفاهم إلى الشام، فناظرهم معاوية فغلبوه وفضحوه، وطالبوه منه أن يعتزل عمل المسلمين، لأن فيهم من هو خيراً منه !

فشكاهم معاوية الى عثمان فنفاهم إلى حمص، وأمر حاكمها أن يجعلهم في الدروب، أي في طريق هجمات الروم على المسلمين، لعلهم يقتلونهم!

وأسماؤهم حسب رواية الطبري (3/367): «مالك بن الحارث الأشتر، وثابت بن قيس النخعي، وكميل بن زياد النخعي، وزيد بن صوحان العبدي، وجندب بن زهير الغامدي، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد، وعمرو بن الحمق الخزاعي » . وهم من أبطال الفتوحات، ومالك هو الذي فتح سوريا !

فيقال: كيف يأذن أمير المؤمنين (عليه السلام) لأحد أو يشارك في فتح الشام، وهو يعلم أن عمر سيولي سفهاء ويسلطهم على أهلها وأعراضها ومقدراتها ؟!

وكيف يرسل عليٌّ (عليه السلام) أمثال هؤلاء الأبطال لفتح الشام، وهو يعلم أن الخليفة سيضع ثمار جهادهم بيد أناس يسفكون حتى دماء الفاتحين؟!

والجواب: أن هـذه المظـالم كلهـا صـحيحة، ومـا هو أعظم منهـا، لكن المصـلحة التي تترتب على فتـح هـذه المناطق، وإدخال أهلها في الإسلام، واستبدال حكامها الظلمة بحكام أقل ظلماً، أهم من هذه الأضرار وإن كانت عظيمة .

وقـد شـهد المؤرخون وشـعوب البلاد المفتوحـة بأن المسـلمين كانوا أرحم الفاتحين وأن حكامهم على ظلمهم، كانوا أقل ظلماً من حكام هرقل وكسرى .

بل نلاحظ أن شعوب المنطقة، طلبت من المسلمين مراراً فتح بلادهم، وتخليصهم من الإستعمار الروماني والفارسي .

على أنه إذا ثبت عمل المعصوم (عليه السلام) فلا نحتاج الى تبريره، لأنه يكون مصلحةً، حتى لو لم نعرف وجه الحكمة فيه .

ص: 70

الفصل الثاني: تمهيدات ربانية للفتوحات الإسلامية

الدولتان الكبريان:الروم وفارس

كانت الـدولتان الكبريتان في العالـم عنـد بعثة النبي (صـلى الله عليه و آله): دولة الروم، وعاصـمتها القسـطنطينية، التي أسسـها الأمبراطور قسطنطين، وهي إستامبول .

ودولة فارس، وعاصـمتها المدائن التي أسسـها كسـرى، وهي قرب بغداد، واسـمها الآن سلمان باك، أي سلمان الطاهر،لأن فيها قبر سلمان الفارسي . وما زال فيها هيكل طاق كسرى الضخم، وهو الصالة الكبرى في قصر كسرى .

فكان كسرى يحكم قسماً من العراق مباشرة، وقسماً بواسطة المناذرة، وكان في العراق قبائل عربية كبيرة أكبرها ربيعة بفروعها .

وكانت البحرين ومحيطها تحت حكم كسرى مباشرة أيضاً، يعين لها حاكماً يسمى المرزبان، وأبرز قبائلها عبد القيس وتميم .

وكانت اليمن تحت حكم كسـرى فيها حاكم فارسي الى جنب الملك، من أبناء الذين حرروها من الحبشة مع سيف بن ذي يزن، وكان فيها قبائل قوية عديدة كهمدان وكندة .

ص: 71

وكانت قبائل الحجاز شبه مستقلة، وأبرزها قريش بسبب ولايتها للكعبة، وأكثرها عدداً تميم، وهوازن في نجد .

وشـمل حكم كسرى بلاد فارس وما وراء النهر وقسماً من الهند، وكانت بلاد الشام منطقة صراع بين الفرس والروم، وقد غلب عليها الفرس، فأخبر القرآن بأن الروم سيغلبونهم بعد بضع سنين، فغلبوهم أيام معركة بدر.

وكانت أمبراطورية الروم أوسع، إذ تشـمل أكثر أوروبا الغربية والشـرقية . وكان قيصـر روما الشـرقية في القسطنطينية يحكم تركيا وبلاد الشام وفلسـطين ومصـر والحبشـة، ويمـد منها نفوذه الى أفريقيا، كما يمد نفوذه من جهة الشام الى الجوف في وسط الجزيرة، ويطمع أن يخضـع المدينة، ويقضي على النبوة .

وكان اليهود عملاء للرومان الذين دمروا دولتهم، وبعضـهم عملاء للفرس الذين دمروا دولتهم من قبل، وقد هاجرت قبائل منهم الى أرض العرب، تنتظر النبي الموعود، على أمل أن يكون من أبنائهم !

أمـا بقيـة دول العالم فكان أهمها الهنـد والصـين، وكان ينظر اليهما على أنهما دولتان نائيتان مقفلتان على نفسـيهما. وكانت توجـد ممالك صغيرة تحكمها أسر وقبائل.

ونورد خلاصـة عن ملوك الروم وفـارس، من كتاب المؤرخ ابن واضـح اليعقوبي . قال في تاريخه (1/153): «وكـان أول من ملك من ملوك الروم فخرج من مقالة اليونانية إلى النصـرانية:قسـطنطين..وقد ملك قسطنطين خمساً وخمسين سنة . ثم ملك يوليانوس سنة واحدة، ثم ملك دسيوس سنة واحدة، وفي أيامه ظهر

أصحاب الكهف بعد موتهم ثلاث مئة وتسع سنين .. ثم ماتوا فبنوا على المغارة مسجداً يصلى فيه..

ثم ملك والنطيانوس أربع سنين، ثم ملك تيدوسوس الأكبر سبع عشرة سنة . ثم ملك ابن أخيه تيدوسوس الأصغر والنطيانوس سبعاً وعشرين سنة . ثم ملك مرقيانوس خمس سنين . ثم ملك بعده اليون واليموس سبع عشرة سنة، ثم ملك زينون ثماني عشرة سنة، ثم ملك انسطاسيوس سبعاً وعشرين سنة .

ثم ملك يوسطوس الثاني تسعاً وعشرين سنة، وفي عصره ولد رسول الله (صلى الله عليه و آله) .

ثم ملك يوسطوس الثالث، عشرين سنة . ثم ملك طيبريوس، أربع سنين . ثم ملك هرقل وقسطنطين ابنه.. وكان ملكهما اثنتين وثلاثين سنة . ثم ملك قسطنطينوس ثماني عشرة سنة، ثم ملك بطرخ رومية ثلاث سنين، ثم ملك فلسعررنى أربع سنين، ثم ملك اليون وقسطنطين ابنه تسعاً وعشرين سنة .

وكانت مملكتهم من حد الفرات إلى حد الإسكندرية، مما صار في أرض الإسلام، سوى ما بأرض الروم، مما هو في أيديهم إلى هذه الغاية ..

وكانت أعظم مدائنهم: الرها من أرض الجزيرة، وهي من ديار مضر، ثم أنطاكية، وبها كرسي بطرس وكف يحيى بن زكرياء، في كنيسة القسيان، وهي الكرسي الرابع والبطرك الكبير .

فما كان في مملكة الروم وصار في الإسلام: أرض الجزيرة من حران والرها وسائر كورها، وبالس، وسميساط، وملطية، وأذنة، وطرسوس، وجند قنسرين، والعواصم وسائر كورها، وجند حمص، ومدينة حمص إحدى المدن

المعـدودة في مملكـة الروم، ثم اللاذقيـة، وهي من حمص أيضـاً . وجنـد دمشق، وكـان عمـال ملك الروم بها آل جفنـة من غسان . وجند الأردن، وكانت إليهم أيضاً، وعمالها من قبل ملك الروم من آل جفنة الغسانيين . وجند فلسطين، وتنيس، ودمياط، والإسكندرية .

ثم لهـم ما خلف الـدرب إلى بلاد الصـقالبة والألان، والإفرنـج، ومن المـدن التي في بلاد الروم المشـهورة المعروفـة مثل: روميـة، ونيقية، وقسـطنطينية، وأماسـية، وخرشـنة، وقره، وعمورية، وصـمله، والقلمة، وسـلندوا، وهرقلة، وصـقلية، وقلطينة، وأنطاكية المحترقة، ودهبرناطه، وملوية، وسلوقية، وامريه، وقونية، وجيوس، وبلوس، وبراوعس، وسلنيقة ».

وقال اليعقوبي (1/158) في تعـداد ملوك الفرس، ملخصـاً: «فـارس تَدَّعي لملوكها أموراً كثيرة مما لا يقبل مثلها، من الزيادة في الخلقـة، وطول المدة في العمر .

فالمملكة الأولى عندهم قبل أردشـير: شـيومرث سـبعون سنة، أوشهنج فيشداد أربعون سنة، طهمورث ثلاثين سنة، جم شاد سبع مائة سنة، الضحاك ألف سنة، أفريدون خمس مائة سنة، منوجهر مائة وعشرين سنة .

أفراسـياب ملك الترك، مائة وعشـرون سـنة، وطهماسب خمس سـنين، وكيقباذ مائة سنة، وكي كاووس مائة وعشرون سنة . كي خسرو ستون سنة . كي لهراسب مائة وعشـرون سنة . كي بشتاسب مائة واثنتا عشرة سنة . كي أردشير مائة واثنتي عشرة سنة . خماني بنت جهرزاد ثلاثون سنة . دارا بن جهرزاد اثنتا

عشرة سنة، ثم قتله الإسكندر الذي يقال له ذو القرنين فافترق ملك فارس، وملك ملوك يسمون ملوك الطوائف، وهؤلاء كان ملكهم ببلخ..

المملكة الثانية: من أردشير بابكان وهو أول ملوك الفرس المتمجسة، وسمي أردشير شاهنشاه، وبنى بيت نار بأردشير خره، ثم صار إلى الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، ثم صار إلى سواد العراق فسكنه، وصار إلى خراسان فافتتح كوراً منها..وكان ملكه أربع عشرة سنة .

وملك سابور بن أردشير، فغزا بلاد الروم، وفتح منها بلاداً وأسر خلقاً من الروم فبنى مدينة جنديسابور وأسكنها سبي الروم، وهندس له رئيس الروم القنطرة التي على نهر تستر، عرضها ألف ذراع .

وفي أيام سابور بن أردشير ظهر ماني بن حماد الزنديق، فدعا سابور إلى الثنوية وعاب مذهبه، فمال سابور إليه . وقال ماني: إن مدبر العالم اثنان وهما شيئان قديمان: نور وظلمة، خالقان، فخالق خير، وخالق شر !

فأقام سابور على هذه المقالة بضع عشرة سنة، ثم أتاه الموبذ(كبير رجال الدين المجوس) فقال: إن هذا قد أفسد عليك دينك، فاجمع بيني وبينه لأناظره، فجمع بينهما فظهر عليه الموبذ بالحجة، فرجع سابور عن الثنوية إلى المجوسية، وهمَّ بقتل ماني فهرب، فأتى إلى بلاد الهند فأقام بها حتى مات سابور .

ثم ملك بعد سابور هرمز بن سابور وكان رجلاً شجاعاً، وهو الذي بنى مدينة رامهرمز، ولم تطل أيامه وكان ملكه سنة واحدة .

ص: 75

ثم ملك بهرام بن هرمز، وكان مشغوفاً بالعبيد والملاهي، وكتب له تلاميذ ماني أن قد ملك ملك حديث السن كثير التشاغل، فقدم إلى أرض فارس واشـتهر أمره وظهر موضـعه فأحضـره بهرام، فسأله عن أمره، فذكر له حاله، فجمع بينه وبين الموبذ فناظره، ثم قال له الموبذ: يذاب لي ولـك رصـاص يصب على معـدتي ومعـدتك، فأينا لـم يضـره ذلك فهو على الحق. فقال: هـذا فعل الظلمـة! فأمر به بهرام فحبس وقال له: إذا أصبحت دعوت بك، فقتلتك قتلة ما قتل بها أحداً قبلك، فلم يزل ماني ليله يسلح حتى خرجت نفسه ! وأصبح بهرام فدعا به فوجدوه قد مات، فأمر بجز رأسه وحشى جسده بالتبن، وتتبع أصحابه فقتل منهم خلقاً عظيماً . وكانت مدة ملك بهرام ثلاث سنين .

ثم ملك بهرام بن بهرام وكان ملكه سـبع عشـرة سنة، ثم ملك بعده ابنه بهرام بن بهرام بن بهرام فكان ملكه أربع سنين. ثم ملك أخوه نرسي بن بهرام تسع سـنين . ثم ملك هرمز بن نرسي تسع سنين . وولد له ابن سماه سابور وعقد له الملك، ومات هرمز وسابور صبي في المهد، فأقام أهل مملكته متلومين عليه حتى ترعرع وشب، ثم ظهر منه عتو وجبرية، فغزا بلاد العرب وغوَّر عليهم المياه .

وغزاه ملـك الروم إليانوس فأعانته العرب على سابور، ثم تسـرعت قبائل العرب فأوقعت بسابور في دار ملكه حتى هرب فانتهبت مـدينته، ثم جاء سهم غرب فقتل إليانوس ملك الروم فملكت الروم يوبنيانوس، فصالح سابور .

وأقام سابور على معاداة العرب لا يظفر بأحد منهم إلا خلع كتفه، فلذلك سمي سابور ذا الأكتاف . وكان ملكه اثنتين وسبعين سنة .

ص: 76

ثم ملك أردشير بن هرمز أخو سابور، فساءت سيرته، وقتل من كبار شخصيات الفرس، فخلعوه بعد أربع سنين .

وملك الفرس سابور بن سابور، فخضع له أردشير المخلوع ومنحه الطاعة، وسقط على سابور فسطاط فقتله وكان ملكه خمس سنين .

وملك بعده بهرام بن سابور إحدى عشرة سنة، وكتب إلى الآفاق يعدهم العدل والإحسان، ثم ثار عليه قوم فقتلوه .

ثم ملك يزدجرد بن سابور، وكان فظاً غليظاً قليل الخير كثير الشر، فسامهم سوء العذاب، وطال حكمه إحدى وعشرين سنة، ثم رمَحَهُ فرس فقتله .

ثم ملك بهرام جور بن يزدجرد، وكان قد نشأ بأرض العرب وأرضعته نساؤهم فقال الفرس: نشأ بأرض العرب ولا علم له بالملك ! وأرادوا أن يملكوا رجلاً غيره فجاءهم فهابوه، فأخذوا تاج الملك والزينة التي تلبسها الملوك فوضعوهما بين أسدين، وقالوا لبهرام ولكسرى: أيكما أخذ التاج والزينة من بين هذين الأسدين فهو الملك . فأخذ بهرام جرزاً وتقدم فضرب الأسدين حتى قتلهما، وأخذ التاج والزينة فأذعنوا له وأعطوه الطاعة، فوعدهم من نفسه خيراً، وكتب إلى الآفاق يعدهم بالعدل، وتوخى عمارة البلاد، وأكرم مربيه المنذر بن النعمان ورفع منزلته . وكان مغرماً بالصيد فطرحه فرسه فمات، وكان ملكه تسع عشرة سنة .

ثم ملك يزدجرد بن بهرام سبع عشرة سنة، وكان له ابنان هرمز وفيروز، فغلب هرمز على الملك بعد أبيه، فهرب فيروز، ولحق ببلاد الهياطلة (وهي ما وراء خراسان الى الصين والهند) فأمده ملكهم بجيش فقاتل أخاه فقتله، وملك سبعاً

وعشرين سنة، وكان في أيامه جدب وقحط ومجاعة ثلاث سنين، ثم خصبت البلاد . وغزا بلاد الترك فحفروا له ولجيشه خندقاً فسقط مع جنده فيه فقتل، فانتقم له الفرس فسار القائد سوخرا فقاتل خاقان الترك ثم تصالح معه على أن يدفع إليه ماحواه من خزائن فيروز، ويرد أخته .

ثم ملك بلاش بن فيروز أربع سنين، ثم أخوه قباذ بن فيروز، وكان صغير السن، فترك لسوخرا تدبير المملكة، فلما بلغ قتل سوخرا وقدم مهران، فغضب عليه الفرس وحبسوه، وملكوا أخاه جامسب بن فيروز، فهرب من السجن الى بلاط الهياطلة وزحف قباذ إلى بلاده فغلب على الملك واشتدت شوكته، وغزا بلاد الروم، وكان ملكه ثلاثاً وأربعين سنة .

ثم عهد لابنه أنوشروان بن قباذ، فعفا عن قوم مخالفين لأبيه، وقتل مزدق وأصحابه، الذي كان أمر الناس بأن يتساووا في الأموال والحرم، وقتل زراذشت بن خركان واصحابه لما ابتدع في المجوسية . وغزا بلاد الروم ففتح مدناً كثيرة من الجزيرة والشام منها: الرها، ومنبج، وقنسرين، والعواصم، وحلب، وأنطاكية، وأفامية، وحمص وغيرها، وأعجبته أنطاكية، فبنى مدينة مثلها لم يخرم منها شيئاً، ثم جاء بسبي أنطاكية فأرسلهم فيها، فلم ينكروا شيئاً .

ومسح أنوشروان أراضي امبراطوريته ووضع عليها الخراج، ورتب ديوان المقاتلة والسلاح، وجعل ديوان العطاء، ودفاتر أسماء الناس وسماتهم، وسمات الدواب، وديوان العرض .

وهو الـذي وفـد عليه سـيف بن ذي يزن، فأعلمه أن الحبشـة قدمت بلاد اليمن، وغلبت عليها، وأنه هرقل ملك الروم لم ينصـره، فبعث معه بأهل السـجون وأمر عليهم رجلاً من مشـيخة قواده شـجاعاً مجرباً يقال له وهرز، فصار إلى بلاد اليمن، وقتل ملك الحبشة، وملَّك سيف بن ذي يزن . وكانت مدة ملك أنوشروان ثمانياً وأربعين سنة .

وعقـد لابنه هرمز من بعـده، فطمع بمملكته خاقـان الترك وزحف عليه بجيشه ودخل بلاد خراسان، وأقبل ملك الخزر في جموع حتى نزل آذربيجان، فخاف أنوشـروان وأرسل له قائداً مغموراً إسـمه بهرام شوبين أو جوبين، فانتصر على ملك الترك وقتله وكتب بالفتح مع ابنه برموذه إلى هرمز، فسـر به فـأكرمه هرمز، وأجلسه معه على السـرير، فأخبره بما صار إلى أبيه بهرام من الأموال والكنوز، وأنه كتمها عن هرمز، فكتب اليه هرمز يأمره أن يحملها إليه، فخلعه هو وجنـده وساءت علاقتهما وأرسل بهرام الى خاقان ملك الترك يطلب صـلحه على أن يرد عليه كل أرض حازها من بلاده .

وسـار بهرام إلى الري ودبر أن يوقـع الخلاف بيـن هرمز وبين ابنه كسـرى أبرويز، فـأراد هرمز أن يحبس ابنه كسـرى، فهرب إلى آذربيجـان، فـاجتمع إليه رؤسـاؤه وبايعوه . وكتب قادة جيش أبيه له بالبيعـة فقـدم من آذربيجان، فخلعوا أباه وملكوه فحبس أباه وسـمل عينيه! وكان ملك هرمز اثنتي عشرة سنة .

واسـتقام أمر كسـرى أبرويز لكنه اختلف مع بهرام فتفرق عنه جنـده فلحقته خيل بهرام فهرب حتى طلب طعاما فلم يجد إلا خبز شـعير . ثم ذهب إلى الرها

يريد مورق ملك الروم لينصره على بهرام، فنصره وزوجه ابنته، وشرط عليه شروط قبلها كسرى ووجه معه جيشاً ووجه معه أخاه ثيادوس، فتوجه الى آذربيجان وكانت بينه وبين بهرام معركة شديدة انهزم فيها بهرام وهرب إلى ملك الترك . واستقام الأمر لكسرى ابرويز، فكتب إلى ملك الروم بذلك، فأهدى له ثوبين فيهما الصلب فلبسهما، فقال الفرس: قد تنصر، ثم كتب في النصارى أن يكرموا ويقدموا ويبرزوا ..

ووثب بَنْدي خال كسرى بثيادوس أخي ملك الروم فصمَّه فوقع الشر، وقال أخو ملك الروم: إما أن تدفع إلي بندي، وإما أن يعود الشر، فسكنه كسرى .

وأما خاقان الترك فأكرم بهرام، فأرسل له كسرى بهدايا ليقتله فلم يفعل، فأرسل الى الخاتون زوجة الخاقان وأهدى لها جواهر ومتاعاً، وطلب منها أن تقتل بهرام ففعلت، فاستقامت لكسرى أموره، ودانت له بلاده .

ثم وثبت الروم بمورق ملكها، فقتلوه وملكوا غيره، فجاء ابنه الى كسرى يستنصره، فوجه معه جيشاً لكن ابن مورق قتله الروم وملكوا هرقل، فغزا كسرى وكانت بينهما حروب . وكان ملك كسرى أبرويز ثمانياً وثلاثين سنة» !

أقول: سبي كسرى أهل أنطاكية وأراد إثبات قدرته وقدرة مهندسيه، فبنى لهم قرب بغداد:«مدينة على مثال أنطاكية، بأسواقها وشوارعها ودورها، وسماها رند خسره، وهي التي يسميها العرب الرومية، وأمر أن يدخل إليها سبي أنطاكية، فلما دخلوها لم ينكروا من منازلهم شيئاً، فانطلق كل رجل منهم إلى منزله، إلا رجل إسكاف كان على باب داره بأنطاكية شجرة فرصاد، فلم يرها على بابه ذلك، فتحير ساعة ثم دخل

الدار، فوجدها مثل داره»! (تاريخ حلب: 1/91، والروض المعطار/276، ومعجم البلدان:2/170). وتسمى رومية بغداد أيضاً .

وقال الطبري(1/528) يصف سعة ملك كسرى: «ثم قصد لمدينة هرقل(القسطنطينية) ففتتحها، ثم الإسكندرية وما دونها، وخلف طائفة من جنوده بأرض الروم، بعد أن أذعن له قيصر وحمل إليه الفدية، ثم انصرف من الروم فأخذ نحو الخزر، فأدرك فيهم تَبَله (ثأره) وما كانوا وتروه به في رعيته، ثم انصرف نحو عدن فسكَّرَ ناحية من البحر هناك بين جبلين مما يلي أرض الحبشة بالسفن العظام والصخور وعمد الحديد والسلاسل، وقتل عظماء تلك البلاد ثم انصرف إلى المدائن وقد استقام له ما دون هرقلة من بلاد الروم وأرمينية، وما بينه وبين البحرين من ناحية عدن، وملَّك المنذر بن النعمان على العرب وأكرمه، ثم أقام في ملكه بالمدائن، وتعاهد ما كان يحتاج إلى تعاهده، ثم سار بعد ذلك إلى الهياطلة مطالباً بوتر فيروز جده». وبلاد الهياطلة هي ما وراء نهر جيحون، شرقاً .

وقال المسعودي في مروج الذهب (1/280): «وكان مبعثه (صلى الله عليه و آله) على رأس عشرين سنة من مُلْك كسرى أبرويز.. وكانت سنة إحدى من الهجرة، وهي سنة اثنتين وثلاثين من ملك كسرى أبرويز، وسنة تسع من ملك هرقل ملك النصرانية ».

ص: 81

رسالة النبي (صلى الله عليه و آله) الى هرقل

بعد صلح الحديبية كتب النبي (صلى الله عليه و آله) رسائله وبعثها مع موفديه، الى ملوك عصره وعدد من الحكام الصغار ورؤساء القبائل، وأول من كتب لهم: هرقل وكسرى.

ويظهر أنه (صلى الله عليه و آله) لم يرسل الى كسرى إلا رسالة واحدة، بينما أرسل الى هرقل عدة رسائل، ولعل آخرها رسالته له من تبوك عندما انسحب هرقل بجيشه خوفاً من مواجهة النبي (صلى الله عليه و آله) .

أما رسالته الأولى فنصها: «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك أثم الأريسيين و«يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ». (مكاتيب الرسول للأحمدي:2/390)

وفي رواية: «إني أدعوك إلى الإسلام، فإن أسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم . فإن لم تدخل في الإسلام فأعط الجزية، فإن الله تبارك وتعالى يقول: قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ . وإلا فلا تَحُلْ بين الفلاحين وبين الإسلام أن يدخلوا فيه، أو يعطوا الجزية ».

(مكاتيب الرسول للأحمدي: 2/290و397). والأريسيون أهل الزراعة، مقابل البدو، وهو تعبير آخر عن الفلاحين . (البكري:1/21).

ص: 82

وفي رواية ابن سعد (1 /259) أن النبي (صلى الله عليه و آله) بعث رسالته الى هرقل مع دحية بن خليفة الكلبي، وكان هرقل يومها في حمص ماشياً في نذر كان عليه إن انتصر على فارس أن يمشي حافياً من قسطنطنية إلى إيليا . فقرأ الكتاب، وأذن لعظماء الروم في دسكرة له بحمص فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم وتتبعون ما قال عيسى بن مريم؟ قالت الروم: وما ذاك أيها الملك؟ قال: تتبعون هذا النبي العربي! قال: فحاصوا حيصة حُمُر الوحش وتفاخروا، ورفعوا الصليب ! فلما رأى هرقل ذلك منهم يئس منهم وخافهم على نفسه وملكهم فسكنهم ثم قال: إنما قلت لكم ما قلت أختبركم، لأنظر كيف صلابتكم في دينكم، فقد رأيت منكم الذي أحب، فسجدوا له» .

وروى ابن عباس عن أبي سفيان أنه قال: «خرجت للتجارة إلى الشام، فبينا أنا بالشام إذ جئ بكتاب من رسول الله إلى هرقل، فأرسل هرقل إليه في ركب من قريش فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وهو على رأسه تاج وحوله عظماء الروم، ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسباً، فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال: إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه، فقال:

حدثني عن هذا الذي خرج بأرضكم ما هو؟ قلت: شاب، قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب.قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا . قال: فهل كان من آبائه ملك؟ قلت: لا .

قال: فأشـراف الناس يتبعونه أم ضـعفاؤهـم؟ قلت: بل ضعفاؤهـم. قال: أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت: لا بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له؟ قلت: لا.

قـال: فهل كنتم تتهمونه بالكـذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت: لا قال: فهل يغـدر؟ قلت: لا، قال: فهل قاتلتموه ؟ قلت: نعم، قال:فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سـجال . قال: كيف عقله ورأيه؟قلت: لـم نعب له عقلاً ولا رأياً قط . قال: كيف حسـبه فيكم ؟ قلت: هو فينا ذو حسب .

قال لترجمانه: قل له: فما يأمركم به ؟ قلت: يأمرنا بالصـلاة والزكاة والصدق والعفاف والصـلة، وأن نعبد الله وحده لا شـريك له، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة والطهارة .

فقال لترجمانه: قل له:إني سألتك عن حسبه، فزعمت أنه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها. وسألتك هل كان في آبائه ملـك فزعمت أن لا، فقلت: لو كـان من آبـائه ملـك قلتُ رجـل يطلب ملـك آبـائه . وسألتك عن أتباعه أضـعفاؤهم أم أشـرافهم فقلت بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل . وسألتك هل تتهمونه بالكـذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فقـد عرفت أنه لـم يكن ليـدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله . وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سـخطة له فزعمت أن لا، وكذلك الايمان إذا خالط بَشَاشـة القلوب . وسألتك هل يزيـدون أو ينقصون فزعمت أنهم يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم. وسألتك هل قاتلتموه، فزعمت أنكم قد قاتلتموه فيكون الحرب بينكم وبينه سجالاً ينال منكم

وتنالون منه، وكـذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة . وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله فزعمت أن لا، فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله، قلت: رجل ائتم بقول قيل قبله .

قـال ثم قال: إن يكن ما تقول حقاً فإنه نبي، وقـد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظنه منكم، ولو أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي .

قال:ثم دعا بكتاب رسول الله فقرأه . وذكر أن ابن أخ قيصر أظهر الغيظ الشديد، وقال لعمه: قد ابتدأ بنفسه وسماك صاحب الروم !

فقال: والله إنك لضـعيف الرأي، أترى أرمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر، وهو أحق أن يبـدأ بنفسه، ولقد صدق أنا صاحب الروم، والله مالكي ومالكه . قال أبو سـفيان: فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنـده، وكثر اللغط فأمر بنا فأخرجنا، قال: قلت لأصـحابي: لقد أَمَرَ أمرُ ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر ».

وردَّ قيصر على رسالة النبي (صلى الله عليه و آله) فأكرم مبعوثه وأرسل له هدية، وكتب جوابا ليِّناً، نصه: « إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى، من قيصر ملك الروم: إنه جاءني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله نجدك عندنا في الإنجيل، بشرنا بك عيسى بن مريم، وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا ولو أطاعوني لكان خيراً لهم، ولوددت أني عنـدك فأخـدمك، وأغسل قدميك! فقال رسول الله: يبقى ملكهم مابقي كتابي عندهم». (اليعقوبي: 2/77).

ص: 85

وفي السنة التاسعة للهجرة قصد النبي (صلى الله عليه و آله) معسكر هرقل في تبوك بجيش من ثلاثين ألفاً،فقرر هرقل أن ينسحب ولا يشتبك مع النبي (صلى الله عليه و آله)، مع أن ذلك تخاذلٌ منه، لأن واجب الإمبراطور أن يبادر الى قتال أي جيش معادٍ من ثلاثين ألفاً يدخل عمق بلاده ويعسكر في مكان قريب منه، وقد أسر النبي (صلى الله عليه و آله) أحد الملوك التابعين لهرقل وهو الأكيدر، وألزمه أن يكتب معه معاهدة صلح يدفع بموجبها جزية كبيرة مرتين في السنة . كما خاف منه حكام محليون فجاؤوه طائعين أو مكرهين وكتبوا معه معاهدات، يدفعون بموجبها الجزية .

لكن هرقل فضل أن يواصل استعمال الملاينة والدهاء الغربي، لكسب الوقت ليُعِدَّ العدة لحرب النبي (صلى الله عليه و آله) .

وروت المصادر أن النبي (صلى الله عليه و آله) أرسل اليه من تبوك رسالة قريبة من رسالته الأولى: فدعا هرقل رجلاً من عرب تجيب كان على نصارى العرب فقال: أدع لي رجلاً حافظاً للحديث عربي اللسان، أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه، فجاء بي، فدفع إليَّ هرقل كتاباً وقال: إذهب بكتابي إلى هذا الرجل فما ضيعت من حديثه، فاحفظ لي منه ثلاث خصال: أنظر هل يذكر صحيفته التي كتب إليَّ بشئ، وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل، وانظر في ظهره هل به شئ يريبك . فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوك فإذا هو جالس بين ظهراني أصحابه محتبياً على الماء فقلت: أين صاحبكم؟ قيل ها هوذا، فأقبلت أمشى حتى جلست بين يديه فناولته كتابي فوضعه في حجره ثم قال: ممن أنت؟ فقلت: أنا أحد تنوخ. قال: هل لك في الإسلام الحنيفية ملة أبيك إبراهيم؟ قلت إني رسول قوم وعلى دين

قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم، فضحك وقال: إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَأَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ .

يا أخا تنوخ إني كتبت بكتابي إلى كسرى فمزقه، والله ممزقه وممزق ملكه، وكتبت إلى النجاشي بصحيفة فخرّقها والله مخرقه ومخرق ملكه، وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها فلن يزل الناس يجدون منه بأساً، ما دام في العيش خير. قلت: هذه إحدى الثلاثة التي أوصاني بها صاحبي، وأخذت سهماً من جعبتي فكتبتها في جلد سيفي . ثم ناول الصحيفة رجلاً عن يساره..فإذا في كتاب صاحبي:تدعوني إلى جنة عَرْضُ هَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، فأين النار؟فقال: سبحان الله، أين الليل إذا جاء النهار؟قال فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جلد سيفي». (سبل الهدى: 11/356).

وقد علق النبي (صلى الله عليه و آله) على ادعاء هرقل أنه مسلم مؤمنه بنبوته، فقال:كذب بل هو على نصرانيته ». (مكاتيب الرسول (صلى الله عليه و آله):2/410، وفتح الباري:1/35).

وصدق رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقد قتل هرقل حاكم عَمَّان لأنه أسلم، وقتل مبعوث النبي (صلى الله عليه و آله) الى حاكم بصرى، وقتل يوحنا حاكم إيلات، لأنه وقع مع النبي (صلى الله عليه و آله) معاهدة صلح !

قال الواقدي في المغازي/615: «وقدم يُحَنَّه بن رؤبة على النبي (صلى الله عليه و آله) وكان ملك أيلة وأشفقوا أن يبعث إليهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) كما بعث إلى أكيدر. وأقبل معه أهل جرباء وأذرح فأتوه فصالحهم، فقطع عليهم الجزية جزية معلومة وكتب لهم كتاباً:بسم الله الرحمن الرحيم هذا أَمَنَةٌ من الله ومحمد النبي رسول الله، ليُحَنَّهْ بن رؤبة وأهل أيلة لسفنهم وسائرهم في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة محمد

رسول الله، ولمن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر. ومن أحـدث حدثاً فإنه لايحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من النـاس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يريـدونه، ولا طريقاً يريـدونه من بر أو بحر ». ومعجم البلـدان: 1/292 والطبري: 2/372، وابن هشام: 4/952، والتبيان: 5/172.

وعن جابرقـال:« رأيت يحنـة بن رؤبـة يوم أتى إلى النبي (صـلى الله عليه و آله) عليه صـليب من ذهب وهو معقود الناصـية، فلما رأى النبي (صـلى الله عليه و آله) كفَّرَ وأومأ برأسه (وضع يديه على بعضـهما،وذلك من فعل الفرس والروم في الخضوع لملكهم) فأومأ إليه النبي إرفع رأسك ! وصالحه يومئذ وكساه رسول الله (صلى الله عليه و آله) بُرداً يمنية ». (مغازي الواقدي/615).

وبلغ خبر يوحنا الى هرقل فأمر بقتله وصلبه عند قريته! (ابن خلدون: 2/ق1/224).

رسالة النبي (صلى الله عليه و آله) الى كسرى

في السـنة السادسة للهجرة بعث النبي (صـلى الله عليه و آله) رسالة الى كسـرى، نصها: « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كسـرى عظيم فارس: سـلام على من اتبع الهـدى وآمن بالله ورسوله، وشـهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له، وأن محمـداً عبـده ورسوله، أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين . أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس». (مكاتيب الرسول للأحمدي: 2/316) .

« فلما وصل إليه الكتاب مزقه واستخف به، وقال: من هذا الذي يدعوني إلى دينه، ويبدأ باسمه قبل اسمي! وبعث إليه بتراب !

فقال (صـلى الله عليه و آله): مزق الله ملكه كما مزق كتابي، أما إنه ستمزقون ملكه، وبعث إليَّ بتراب، أما إنكم ستملكون أرضه ! فكان كما قال (صلى الله عليه و آله) ..

كتب في الوقت إلى عامله باليمن باذان ويكنى أبا مهران، أن احمل إليَّ هذا الذي يذكر أنه نبي، وبدأ بإسـمه قبل إسمي ودعاني إلى غير ديني !

فبعث إليه فيروز الديلمي في جماعة مع كتاب يذكر فيه ما كتب به كسرى، فأتاه فيروز بمن معه فقال له: إن كسرى أمرني أن أحملك إليه !

فاسـتنظره ليلة، فلما كان من الغد حضـر فيروز مستحثاً، فقال النبي (صلى الله عليه و آله): أخبرني ربي أنه قتل ربك البارحة ! سلط الله عليه ابنه شيرويه على سبع ساعات من الليل ! فأمسكْ حتى يأتيك الخبر .

فراع ذلـك فيروز وهاله، وعاد إلى باذان فأخبره فقال له باذان: كيف وجـدت نفسك حين دخلت عليه؟فقال: والله ما هبت أحـداً كهيبـة هـذا الرجل ! فوصل الخبر بقتله في تلك الليلة من تلك الساعة، فأسلما جميعاً ». (المناقب: 1/70).

وفي مكاتيب الرسول: 2/329: «فلما قدما عليه المدينة قالا له: شاهنشاه (ملك الملوك) كسـرى بعث إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يـأتي بـك، وقـد بعثنـا إليـك لتنطلق معنـا، فـإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به ! و إن أبيت فهو من قد علمت، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك !

وكانـا دخلا على رسول الله (صـلى الله عليه و آله) على زي الفرس وقـد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما وقال:ويلكما من أمركما بهذا؟ قالا: أمرنا ربنا يعنيان كسرى ! فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): لكن أمرني ربي بإعفاء لحيتي وقص شاربي ثم

قال لهما: إرجعا حتى تأتياني غداً. وأتى رسول الله (صلى الله عليه و آله) الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه فقتله في شهر كذا وكذا، لكذا وكذا، في ليلة كذا، فلما أتاه الرسولان قال: إن ربي قد قتل ربكما ليلة كذا وكذا من شهر كذا وكذا، بعد ما مضى من الليل سبع ساعات، سلط عليه شيرويه فقتله! وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليان مضين من جمادى الأولى سنة سبع.. فقالا: هل تدري ما تقول، إنا قد نقمنا منك ما هو أيسر من هذا فنكتب بها عنك فنخبر الملك أي باذان؟قال: نعم أخبرا ذلك عني وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ إلى منتهى الخف والحافر، وقولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك... فخرج الرسولان وقدما على باذان وأخبراه الخبر فقال: والله ما هذا كلام ملك وإني لأراه نبياً.. فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه يخبر بقتل كسرى: أما بعد فقد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضباً لفارس فإنه قتل أشرافهم فتفرق الناس، فإذا جاءك كتابي فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب إليك فيه فلا تزعجه، حتى يأتيك أمري فيه !

فلما أتاه كتاب شيرويه أسلم، وأسلم معه أبناء فارس الذين كانوا باليمن، فبعث باذان بإسلامه وإسلامهم إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) ...

ولما سمعت قريش بأمر كسرى واستخفافه بكتاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) وكتابه إلى باذان ليبعثه إلى كسرى أو يقتله، فرحوا واستبشروا وقالوا نصب له كسرى ملك الملوك، كفيتم الرجل..ولكن لما سمعوا برجوع الرسولين وقتل كسرى، وإسلام باذان وأبناء فارس معه، صار رجاؤهم خيبة وقنوطاً » !

ص: 90

وروى القطب الراوندي في الخرائج:1/78، أن ملك بابل رأى رؤيا فسأل عنها دانيال (عليه السلام) فأخبره بتفسيرها وأن ملكه سيزول، وبعده يزول ملك الفرس وقال: «فتأويل الرؤيا مبعث محمد (صلى الله عليه و آله) تمزقت الجنود لنبوته، ولم تنتقض مملكة فارس لأحد قبله، وكان ملكها أعز ملوك الأرض وأشدها شوكة، وكان أول ما بدأ فيه انتقاضه قتل شيرويه بن أبرويز أباه، ثم ظهر الطاعون في مملكته وهلك فيه، ثم هلك ابنه أردشير، ثم ملك رجل لم يكن من أهل بيت الملك فقتلته بوران بنت كسرى، ثم ملك بعده رجل يقال له كسرى بن قباد ولد بأرض الترك، ثم ملكت بوران بنت كسرى، فبلغ رسول الله (صلى الله عليه و آله) تمليكها فقال: لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة .

ثم ملكت ابنة أخرى لكسرى فسُمَّت وماتت، ثم ملك رجل ثم قتل !

فلما رأى أهل فارس ما هم فيه من الإنتشار أمَرَ (كَبُرَ) ابنٌ لكسرى يقال له: يزدجرد فملكوه عليهم، فأقام بالمدائن على الإنتشار (تفرق المملكة) ثماني سنين، وبعث إلى الصين بأمواله، وخلف أخاً بالمدائن لرستم فأتى لقتال المسلمين، ونزل بالقادسية وقتل بها، فبلغ ذلك يزدجرد فهرب إلى سجستان فقتل هناك»!

بشر النبي (صلى الله عليه و آله) بانهيار أمبراطورية الفرس؟

بشَّرالنبي (صلى الله عليه و آله) الناس من أول بعثته بأن الله تعالى قد وعده أن ترث أمته أمبراطورية كسرى وقيصر! وعرف كسرى ببعثة النبي (صلى الله عليه و آله) لكنه لم يحرك ساكناً، واعتبر أن الأمر بعيدٌ عنه والنبي (صلى الله عليه و آله) مشغول بصراعه مع قريش، وكسرى مشغولٌ بمعركته مع هرقل لاسترجاع مصر منه وفلسطين، فانتصر كسرى في

معركة في أذرعات عند الحدود السورية الأردنية فأنزل الله فيها قوله: بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . اَلَمِ . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ للهِ الأمر مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَالْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ . يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ .

يقول عز وجل بـذلك لقريش: لا تفرحوا بغلبة الفرس وتقولوا هؤلاء مثلنا وقد غلبوا أهل الكتاب، ونحن سنغلب محمداً (صلى الله عليه و آله) وأتباعه المسلمين أهل الكتاب . فإن ميزان القوة سيتغير بعد قليل، ويغلب الروم الفرس !

ويقول لهم: إن ما ترونه من أسباب مادية في صراع الناس والدول، هو ميزان الظاهر، وفوقه الهيمنة الإلهية على الأسباب والمسببات، فلا تغتروا بأنكم تملكون ظاهر أسباب النصر على النبي (صلى الله عليه و آله) !

قال الحموي في معجم البلدان(5/140): «ثم ظهرت فارس على الروم وغلبوهم على الشام، وألحوا على مصر بالقتال، ثم استقرت الحال على خراج ضرب على مصر من فارس والروم في كل عام . وأقاموا على ذلك تسع سنين . ثم غلبت الروم فارس وأخرجتهم من الشام، وصار صلح مصر كله خالصاً للروم . وذلك في عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) في أيام الحديبية وظهور الإسلام، وكان الروم قد بنوا موضع الفسطاط الذي هو مدينة مصر اليوم، حصناً سموه قصر اليون، وقصر الشام، وقصر الشمع..

وفي التنبيه للمسعودي/222، أن هذه الآيات نزلت في السنة السادسة للهجرة .

ص: 92

وفي مناقب آل أبي طالب:1/93 : «إن قيصر حارب كسرى فكان هوى المسلمين مع قيصرلأنه صاحب كتاب وملة، وأشد تعظيماً لأمر النبي (صلى الله عليه و آله)، وكان وضع كتابه على عينه، وأمر كسرى بتمزيقه.. فلما كثر الكلام بين المسلمين والمشركين قرأ الرسول (صلى الله عليه و آله): ألم. غلبت الروم . ثم حدد الوقت في قوله بضع سنين، ثم أكده في قوله: وعد الله، فغلبوا يوم الحديبية وبنوا الرومية . وروي عنه (صلى الله عليه و آله): لفارس نطحة أو نطحتان، ثم لا فارس بعدها أبداً. والروم ذات القرون، كلما ذهب قرن خلَف قرنٌ هَبْهَبَ، إلى آخر الأبد ».

وفي تاريخ اليعقوبي(1/187): «ثم غلبت فارس على الشام في أيام أنوشروان فملكوهم عشر سنين، ثم ظهرت الروم فكان أهل مصر يؤدون إلى الروم خراجاً وإلى فارس خراجاً يدفعون شر الفريقين . ثم خرجت فارس عن الشام وصار أمرهم إلى الروم، فدانوا بدين النصرانية ».

كسرى مديونٌ للإمبراطورالروماني موريس !

قال المؤرخ المسيحي المعتدل ابن العبري في تاريخ مختصر الدول/72:

«وفي السنة الثامنة لموريقي(موريس أمبراطور الروم) وثب الفرس على هرمز ملكهم فسملوا عينيه ثم قتلوه، وملكوا عليهم بهرام المرزبان .

وكان لهرمز ابنٌ حَدَث إسمه كسرى وهو المعروف بأنوشروان العادل، فتنكر كأنه سائل وشق سلطان الفرس حتى جاء نصيبين، وصار إلى الرها ومنها إلى منبج، وكتب إلى موريقي كتاباً نسخته: للأب المبارك والسيد المقدم موريقي ملك الروم، من كسرى بن هرمز . السلام . أما بعد فإني أُعلم الملك أن بهرام

ومن معه من عبيد أبي، جهلوا قدرهم ونسوا أنهم عبيد وأنا مولاهم، وكفروا نعم آبائي لديهم، فاعتدوا عليَّ وأرادوا قتلي . فهممت أن أفزع إلى مثلك فأعتصم بفضلك، وأكون خاضعاً لك، لأن الخضوع لملك مثلك وإن كان عدواً أيسر من الوقوع في أيدي العبيد المردة، ولأن يكون موتي على أيدي الملوك أفضل وأقل عاراً من أن يجري على أيدي العبيد . ففزعت إليك ثقةً بفضلك، ورجاء أن تترأف على مثلي وتمدني بجيوشك لأقوى بهم على محاربة العدو، وأصير لك ولداً سامعاً ومطيعاً إن شاء الله تعالى.

فلما قرأ موريقي كتاب كسرى بن هرمز عزم على إجابة مسألته، لأنه لجأ إليه وأنجده بعشرين ألفاً، وسيَّر له من الأموال أربعين قنطاراً ذهباً .

وكتب إليه كتاباً نسخته: من موريقي عبد إيشوع المسيح، إلى كسرى ملك الفرس ولدي وأخي . السلام . أما بعد فقرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أمر العبيد الذين تمردوا عليك، وكونهم غمطوا أنعم آبائك وأسلافك غمطاً وخروجهم عليك ودحضهم إياك عن ملكك . فداخلني من ذلك أمرٌ حركني على الترأف بك وعليك، وإمدادك بما سألت .

فأما ما ذكرت من أن الإستتار تحت جناح ملك عدو والإستظلال بكنفه، آثر من الوقوع في أيدي العبيد المردة، والموت على أيدي الملوك أفضل من الموت على أيدي العبيد . فإنك اخترت أفضل الخصال ورغبت إلينا في ذلك، فقد صدقنا قولك وقبلنا كلامك، وحققنا أملك، وأتممنا بغيتك، وقضينا حاجتك وحمدنا سعيك، وشكرنا حسن ظنك بنا، ووجهنا إليك بما سألت من الجيوش والأموال، وصيرتك لي ولداً وكنت لك أباً .

فاقبض الأموال مباركاً لك فيها، وقُد الجيوش وسر على بركة الله وعونه، ولا يعترينك الضجر والهلع، بل تشمر لعدوك ولا تقصر فيما يجب لك إذا تطأطأت من درجتك، وانحططت عن مرتبتك، فإني أرجو أن يظفرك الله بعدوك ويكّبه تحت موطئ قدميك، ويرد كيده في نحره، ويعيدك إلى مرتبتك برجاء الله تعالى.

فلما وردت الجيوش على كسرى وقبض الأموال تشجع بقراءة كتاب موريقي سار مع جيوش الروم نحو بهرام، فلقيه بين المدائن وواسط، فصارت الهزيمة على بهرام وقتل أصحابه كلهم، واستباح كسرى عساكر بهرام، ورجع إلى مملكته فجلس فيها وبايعه الناس كلهم .

ودعا بالروم فأحسن جائزتهم وصرفهم إلى صاحبهم . وبعث إلى موريقي من الألطاف والأموال أضعاف ما كان أخذ منه . ورد دارا وميَّافارقين إلى الروم (منطقتان من تركيا) وبنى هيكلين للنصارى بالمدائن، وجعل أحدهما باسم السيدة مريام، والآخر باسم مار سرجيس الشهيد ».

أقول: بقيت العلاقة جيدة بين الفرس والروم حتى هلك القيصر موريس «موريقي» وقد قتله فوقا، وهو البطريق فوكاس ونصب نفسه مكانه .

ووقعت العداوة بينه وبين كسرى فغزا كسرى مصر والشام وفلسطين وكانت بينهم معركة في أذرعات أدنى الأرض، وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله: أَلَم . غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ .

ثم كان سبب هزيمة كسرى بعد انتصاراته، أنه أرسل جيشين أحدهما بقيادة شهر براز الى مصر فملك الإسكندرية وصالحه أهل مصر، والآخر بقيادة فروخان الى فلسطين، فخرب معابد الروم وقتل رجالهم وأسر وسبي ونهب،

وخرب القدس وخاصة كنيسة القيامة، وبعث بخشبة الصليب الذهبي الأكبر إلى كسرى- حتى أرجعته ابنته بعد موته- ثم سار الى الشام فلقي جيوش الروم بأذرعات وبصرى، فهزمها وسبا وغنم .

ثم قصد بلاد الروم، فقتل وسبي وخرب مدنها، حتى نزل على خليج عاصمتهم القسطنطينية، فحاصرها. (إمتاع الأسماع:14/171).

وفي أثناء حصارهم العاصمة قتل الروم أمبراطورهم البطريق فوكاس بعد أن حكم ثمان سنين (ابن خلدون:2/179) فجاء هرقل من مصر، وكان بحاراً من قادة جيش الروم، فدخل القسطنطينية من البحر وجيش كسرى محاصرٌ لها، فرضي به الروم واستبشروا ونصبوه أمبراطوراً .

واستطاع هرقل أن يخدع كسرى، وأن يتفق ضده مع قائد جيشه شهر براز !

فكتب الى كسرى يعرض عليه: «أن يلتزم في كل سنة بحمل ألف قنطار من ذهب، وألف قنطار من فضة، وألف جارية بكر، وألف فرس، وألف ثوب أطلس، وأن يعجل قطيعة سنة، فالتزم ذلك وسأل أن يفرج عن حصاره، وأن يمهله ستة أشهر حتى يخرج إلى الأعمال ويهئ ذلك منها . كل ذلك خديعة منه، فمشي على كسرى ذلك وأمربالإفراج عنه، فتنحت العساكر إلى بعض المروج، وخرج هرقل من القسطنطينية بعد ما أقام عليها أخاه قسطنطين، وانتخب معه خمسة آلاف فارس، فأوغل في بلاد أرمينية وقصد الجزيرة ونزل على نصيبين، وقاتل أهلها حتى ملكها، وقتل الفرس أفدح قتل وأسر، وسبا وخرب المدن، فبعث كسرى بعسكر إلى الموصل، وكتب يستدعي شهر براز لمحاربة هرقل، فأعلن انضمامه الى هرقل انتقاماً من كسرى الذي أراد قتله ! فقويت شوكة

هرقل وسار الجيشان إلى داخل العراق وأوقعا بجنود كسرى حتى قاربا المدائن فاستطاع كسرى أن يوقع بين شهر براز وهرقل، فانسحب هرقل الى بلاده، لكن بعد أن ترك عدوه كسرى يتخبط مع قادته ! (إمتاع الأسماع:14/173).

فأصل ضعف كسرى بسبب تنمره على قائديه شهر براز وفروخان، فقد أرسل الى كل منهما أن يقتل الآخر، فاتفقا مع هرقل على الإطاحة بكسرى !

واتفق المؤرخون على أن كسرى كان مغروراً متكبراً، يحتقر الروم ويشتمهم، وقد ساءت أخلاقه بعد خيانة قائدي جيشه له، وتواطؤهم مع هرقل وهزيمته على يده، وأساء الظن بكبار قادته ووزرائه ومدرائه، فسجن منهم نحو ثلاثين ألفاً، وأراد أن يقتلهم، فدبروا له ابنه شيرويه فقتله. (راجع: تاريخ الطبري:1/592، وتاريخ اليعقوبي:1/172، والأخبار الطوال/106).

كان كسرى عبقرياً، لكنه جبارٌعنيدٌ !

كان كسرى عندما هلك في أوج عزه، فأمبراطوريته ممتدة من الهند الى مصر والنوبة، وقد نظمها أفضل تنظيم، نافس الدولة الرومانية وتنظيماتها .

وأحاط نفسه بهالة من المراسم لانظير لها عند عدوه هرقل الذي يعتبره بحاراً صار أمبراطوراً . كان إيوان كسرى «الصالة الكبرى في قصره» يبلغ ارتفاعه أكثر من خمسين متراً، وطوله وعرضه نحو ذلك، وهو مُنَجَّدٌ بلوحات مجسمة من الفن الفارسي عليها صور أمجاده، ومؤثث بأفخر الكراسي والمقاعد، وفيه عرش الشاه الذي لا نظير له في العالم، فهو مسرح تتدرج فيه أرائك الوزراء، وفي أعلاها أريكة الشاه، يجلس فوقها بلباسه الحريري الموشى، وتاجه المرصع

بأنواع الجواهر، يبـدو كأنه على رأسه، لكنه ضـخم ثقيل لـذلك علقوه في السـقف بخيوط لاتظهر، وكان كسـرى يـدخل رأسه فيه فيظهر كأنه يلبسه ! ومن أراد أن ينظر اليه يجب أن يرفع رأسه نحو الأعلى، أما الـذي يريـد أن يكلمه فيحتاج الى إذن خاص، ومراسم لمخاطبته، أو نقل الكلام اليه وتلقي الجواب من ملك ملوك الأرض، إن تفضل عليه وأجابه !

وحوله الوزراء وكبار الموظفين كالمجسـمات المنظمة الخائفة، وله نحو عشرون ابناً كل واحد منهم أمير منطقة، أو قائد في جيشه، أو مسؤول في خدمة أبيه !

قال الطبري(1/528) يصف سـيطرة كسـرى على أكثر العالم في عصـره: «سار نحو أنطاكيـة بعـد سـنين من ملكه، وكان فيها عظماء جنود قيصرفافتتحها، ثم أمر أن تصور له مدينة أنطاكية على ذرعها وعدد منازلها وطرقها وجميع ما فيها، وأن يبتنى له على صورتها مدينة إلى جنب المدائن، فبنيت المدينة المعرفة بالرومية على صورة أنطاكية، ثم حمل أهل أنطاكية حتى أسـكنهم إياها، فلما دخلوا باب المدينة مضى أهل كل بيت منهم إلى ما يشبه منازلهم التي كانوا فيها بأنطاكية كأنهم لم يخرجوا عنها !

ثم قصد لمدينة هرقل (القسطنطينة) فافتتحها، ثم الإسكندرية وما دونها . وخلف طائفة من جنوده بأرض الروم بعد أن أذعن له قيصر وحمل إليه الفدية .

ثم انصـرف من الروم فأخـذ نحو الخزر فأدرك فيهم وتره وما كانوا وتروه به في رعيته، ثم انصـرف نحو عدن فسـكر ناحية من البحر هناك بين جبلين مما يلي

أرض الحبشة، بالسفن العظام والصخور، وعمد الحديد والسلاسل، وقتل عظماء تلك البلاد .

ثم انصرف إلى المدائن وقد استقام له ما دون هرقلة من بلاد الروم وأرمينية، وما بينه وبين البحرين من ناحية عدن ! وملَّك المنذر بن النعمان على العرب وأكرمه، ثم أقام في ملكه بالمدائن، وتعاهد ما كان يحتاج إلى تعاهد .

ثم سار بعد ذلك إلى الهياطلة (الترك والمغول)مطالباً بوتر فيروز جده..أتاهم فقتل ملكهم واستأصل أهل بيته، وتجاوز بلخ وما وراءها وأنزل جنوده فرغانة .

ثم انصرف من خراسان فلما صار بالمدائن وافاه قوم يستنصرونه على الحبشة فبعث معهم قائداً من قواده في جند من أهل الديلم وما يليها، فقتلوا مسروقاً الحبشي باليمن، وأقاموا بها .

ولم يزل مظفراً منصوراً تهابه جميع الأمم، ويحضر بابه من وفودهم عدد كثير من الترك والصين والخزر ونظرائهم . وكان مكرما للعلماء .

وملك ثمانياً وأربعين سنة، وكان مولد النبي (صلى الله عليه و آله) في آخر ملك أنو شروان..قال هشام وكان ملك أنوشروان سبعاً وأربعين سنة . قال وفى زمانه ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله (صلى الله عليه و آله) في سنة اثنتين وأربعين من سلطانه» .

قال الحموي في معجم البلدان(1/294): «إيوان كسرى الذي بالمدائن.. من أعظم الأبنية وأعلاها، رأيته وقد بقي منه طاق الإيوان حسب، وهو مبني بآجر طول كل آجرة نحو ذراع في عرض أقل من شبر وهو عظيم جداً..وقد كان في

الإيوان صورة كسرى أنوشروان وقيصر ملك أنطاكية، وهو يحاصرها ويحارب أهلها.. ومن أحسن ما قيل في الإيوان قول أبي عبادة البحتري (منها):

حضرت رحلي الهموم فو *** جهت إلى أبيض المدائن عنسي

لو تراه علمت أن الليالي *** جعلت فيه مأتماً بعد عرس

وهو ينبيك عن عجائب قوم *** لا يشاب البيان فيهم بلبس

فإذا ما رأيت صورة أنطا *** كية ارتعت بين روم وفرس

والمنايا مواثل وأنو شروان *** يزجي الصفوف تحت الدرفس

في اخضرار من اللباس على *** أصفر يختال في صبيغة ورس

وعراك الرجال بين يديه *** في خفوت منهم وإغماض جرس

من مشيح يهوي بعامل رمح *** ومليح من السنان بترس

تصف العين أنهم جد *** أحياء لهم بينهم إشارة خرس

يغتلي فيهم ارتيابي حتى *** تتقراهم يداي بلمس

وتوهمت أن كسرى أبرويز *** معاطيَّ والبلهبذ أنسي

حلم مطبق على الشك عيني *** أم أمان غيرن ظني وحدسي

وكأن الإيوان من عجب الصنعة *** جوب في جنب أرعن جلس

يتظنى من الكآبة أن يبدو *** لعيني مصبح أو ممس)

أقول: يدل عمل كسرى هذه الصورة المجسمة في إيوانه، على أن هدفه الأول إذلال هرقل والمسيحية، لأنه اختار تصوير احتلاله لمدينة أنطاكية وهي العاصمة الدينية للروم، ولم يختر القسطنطينية التي هي عاصمتهم السياسية .

وفي مناقب محمد بن سليمان(2/570)عن سنان الرهاوي: «دخلنا المدائن فنظرنا إلى آثار كسرى، قال جرير بن الغطفان:

عفت الرياح على رسوم ديارهم *** فكأنما كانوا على ميعاد

فقال علي (عليه السلام): لاتقل هكذا ولكن قل:كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ .وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ . فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ. إن هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين . إن هؤلاء بطروا النعم فحلت بهم النقم ».

وفي عيون المعجزات/10: «قدم أمير المؤمنين (عليه السلام) المدائن فنزل بإيوان كسرى وكان معه دلف ابن منجم كسرى، فلما ظل الزوال فقال لدلف: قم معي، وكان معه جماعة من أهل ساباط، فما زال يطوف في مساكن كسرى ويقول لدلف: كان لكسرى هذا المكان لكذا وكذا، فيقول هو والله كذلك، فما زال على ذلك حتى طاف المواضع بجميع من كانوا معه، وذلف يقول:مولاي كأنك وضعت الأشياء في هذه الأمكنة ».

لعنة كسرى وطاعون شيرويه !

حكم كسرى في رواية سبعاً وأربعين سنة، بينما حكم ابنه شيرويه ستة أشهر، فقد أصابته الكآبة بعد أن قتل أباه و إخوته السبعة عشر فمات، أو قتلوه !

قال الطبري:1/627:«وقتل شيرويه سبعة عشر أخاً له، ذوي أدب وشجاعة ومروءة، بمشورة وزيره فيروز وتحريض ابن ليزدين والى عشور الآفاق..فابتلى بالأهقام ولم يلتذ بشئ من لذات الدنيا، وكان هلاكه بدسكرة الملك (وهي

المقدادية قرب بعقوبة) وكان مشؤوماً على آل ساسان . فلما قتل إخوته جزع جزعاً شديداً، ويقال إنه لما كان اليوم الثاني من اليوم الذي قتلهم فيه، دخلت عليه بوران وآزرميدخت أختاه فأسمعتاه وأغلظتا له، وقالتا: حملك الحرص على ملك لا يتم، على قتل أبيك وجميع إخوتك وارتكبت المحارم ! فلما سمع ذلك منهما بكى بكاءً شديداً ورمى بالتاج عن رأسه، ولم يزل أيامه كلها مهموماً مدنفاً (مريضاً) ويقال إنه أباد من قدر عليه من أهل بيته، وإن الطاعون فشا في أيامه حتى هلك الفرس إلا قليلاً منهم، وكان ملكه ثمانية أشهر» !

ثم حكم ابنه أردشير سنة ونصفاً . ثم حكم القائد شهر براز أربعين يوماً .

ثم حكم كسرى بن قباذ ثلاثة أشهر.ثم حكمت بوران بنت كسرى سنة ونصفاً وهي التي قال النبي (صلى الله عليه و آله) فيها: لايفلح قوم ولوا أمرهم امرأة . ثم حكم فيروز جشنس بنده ستة أشهر. ثم حكمت آزر ميدخت بنت كسرى، ستة أشهر .

ثم حكم فرُّخزاذ خسرو بن أبرويز سنة .ثم حكم يزجرد بن شهريار عشرين سنة، وكان هارباً من المسلمين، حتى قتله طَحَّانٌ في خلافة عثمان سنة32. (اليعقوبي:1/156، والطبري:1/587).

وقال ابن حبيب في المحبر/177: «ثم وثب على كسرى إبرويز ابنه شيرويه فقتله وقتل أخوته، فكان ملكه ثمانية أشهر . وفي ملكه وقع الطاعون في أشراف فارس وعظمائها فماتوا ومات شيرويه فيه . ثم ملك ابنه أردشير بن شيرويه وكان غلاماً فاغتاله شهربراز فقتله، فكان ملكه سنة إحدى عشرة من الهجرة . ثم ملك بعده شهربراز ثمانية وثلاثين يوماً. ثم ملك بعده ابن أخ لكسرى يقال له كسرى بن قباذ بن هرمز عشرة أشهر، ثم قتل . ثم ملك رجل من ولد

أردشير اسـمه فيروز خمسـين يوماً . يزعمون أن آذرميـدخت دست إليه فقتلته . ثم ملكت آذرميدخت أربعة أشـهر ثم ماتت .ثم ملك ابن لكسـرى صـغير يقال له فرُّخْزاذ خسـرو أشهراً وأياماً، ثم مات . فكان جميع من ملك بعد كسرى إلى أن ملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى ثمانية نفر، ملكوا أربع سـنين ونصـفاً .ثم ملك يزدجرد بن شـهريار بن كسرى، وكان ملكه سنة إحدى عشرة من الهجرة، وملك عشرين سنة، وقتل بمرو في خلافة عثمان بن عفان».

أقول: لاحظ أن الخطـة الربانيـة لتفكيك أمبراطوريـة الفرس، بـدأت بفقـد كسـرى حلمه أو تحلمه، وعدله المزعوم مع رعيته، ثم طغيانه على الروم، وتنمره على قائديه الكفوئين شهر براز وفرخان..

ومن جهـة أخرى كيف أنقذ الله عاصـمة الروم من الحصار، على يد بحار وصل في ظرف حساس، فارتضوه ونصـبوه ملكاً، وأجاد اسـتثمار الفرص حتى قتل كسـرى بيـد ابنه، واسـتعاد ما احتله من بلاد ه، من مصـر الى أرمينية، ووصل نفوذ هرقل الى ما تبقى من عاصـمة كسـرى والأجنحة المتصارعة فيها !

ص: 103

القبائل العربية في العراق في مطلع الإسلام

ذكر المؤرخون أن هجرة العرب الى العراق والشام وسورية ومصر والبحرين، قديمة . ولعلها بدأت من أيام الدولة الحمورابية، أو قبلها بأمد .

ومن المؤكد أن سيل العرم في اليمن كان سبباً لهجرة عدد منهم، ثم تكاثر القحطانيون والعدنانيون وشكلوا تحالفاً سمي«التَّنُّوخ».

ومن التنوخيين تكونت دولة المناذرة التي رعاها الأكاسرة، ومنهم من سكن في أرياف الشام والعراق . وروي أن أهل الأنبار كانوا عند الفتح الإسلامي يكتبون بالعربية، وقد سكنوا فيها من أيام بختنصر . (الطبري:2/575)

وقد عرضنا في «سلسلة القبائل العربية في العراق» وجود العرب في العراق قبل الإسلام، وأن بعض العشائر العربية هاجرت من الخليج والجزيرة في العصرالساساني عبر كربلاء الى ضفاف نهر نار ملخا، الذي سمي نهر نينوى، ومنها عشائر الأزد وكهلان وبنو أسد وتميم، وغيرهم .

وفي المقتضب لياقوت الحموي/183، أن ربيعة انتشرت شرقي نهر الفرات غرب بغداد، ثم انتشرت بعد الإسلام غرب دجلة من الموصل إلى نصيبين والخابور، وعرفت المنطقة بجزيرة ربيعة .

واستقرت تغلب شمال الحيرة على نهر الفرات، وفي عين التمر .

واستقر بنو يربوع من تميم بين قصر الأخيضر وحروراء في الزكاريط الحالية، وتسمى الحَزَن . وأرسل الفرس قبائل من بكر بن وائل لاحتلال أرض بني يربوع، فأخذها بنو سليط من بكر بن وائل .

ص: 104

أما قضاعة فهي من القبائل التنوخية، وكانت عين التمر تابعة لهم عندما قامت دولة الحيرة التي أسستها تنوخ سنة 138م .

وأما أياد فكانوا في دير الجماجم، وكانت لهم وقعة فيها مع قضاعة، فقتل فيها من أياد خلق عظيم . (تاريخ الكوفة/19).

وقال الـدكتور أحمد صالح العلي: أصـبحت قبيلة كندة من أقوى قبائل العرب، وأصـبح الحارث بن عمرو أقوى ملوكها وحكم أربعين عاماً، وولى أولاـده على القبائـل، فولى حجراً على أسـد وكنانـة وغطفان، وكانوا في وادي الرمله بين جبل شـمر وخيبر . وولى شـرحبيل على بكر وحنظله والرباب وتميم، وكانوا في شـرقي نجد بين الفرات والبحرين . وولى سـلمه على تغلب والنمر بن قاسط، في بادية الشام . وولى معد بن يكرب على قيس عيلان، في تهامة والحجاز .

وقال ابن قتيبة إن حجراً ظلم بني أسد فتذمرت منه وثارت عليه، فبدأت كندة بالسقوط، وتحالفت أكثر القبائل مع المناذرة .

أما بنو أسد فسكنوا مدينة باروسما بعد القرن الخامس الميلادي أثناء الحكم الساساني للعراق، وصار لهم رستاق الغاضريات .

كما اسـتوطنت بطون يحابر من ولد كهلان بن سبأ في تل جمل، في السيب الأعلى في نينوى القديمة . كما وفد إلى عين التمر قبائل عدنانية أهمها ربيعة وقضاعة، وبكر بن وائل وتغلب . وبنو شيبان. وبنو النمر. ومن قضاعة بهراء، وكلب .

كانت تَغلب أهم أحلاف المناذرة، التي هاجرت بعد حرب البسوس، واسـتقرت على ضـفاف الفرات شمال الحيرة، وكذا بنو عجل وشيبان، من بكر بني وائل، وكان بجانبهم المزارعون النبط، من بقايا البابليين والسريان .

ص: 105

واستقر بنو النمر بن قاسط العدنانيين في رأس العين من أعمال الجزيرة الفراتية.

وقال الطبري: استوطنوا في أطراف الكوفة ورأس العين، وكانوا متحالفين مع أياد وتغلب، ومنهم: بنو الحارث، وبنو الحافي، وبنو عمران، وبنو أسلم، وبنو حلوان، ونهد جهينة، وعذرة جرم، والبرك وكلب، وأسد، وحيدان مرة، وبلي مجيد، ويزيد، وبهرا، وخولان، وهاني رسوان، وسعد وداعة، والأقارع، ومسبح، والكحل، وهزان، والكرب، ومنبه، وبنو جماعة، وبنو غالب، وبنو حرب ربيعة، وبنو أبحر، والعقارب، وبنو عوف، وبنو مالك، وبنو عبيدة، وبنو سليح، وبنو تنوخ القين، والخش زبيد، فهؤلاء بطون قضاعة . كما استوطنت بنو زهرة بن كلاب في رأس العين، بعد فتح العراق .

العلاقة بين القبائل العربية وكسرى

كان العراق والبحرين والجزيرة واليمن تحت نفوذ الفرس، وقد أقاموا دولة المناذرة وعاصمتها الحيرة لحماية حدود دولتهم . وكانوا يعينون حاكماً للبحرين يسمى مرزبان الزارة، وهي عين في البحرين . وحاكماً لليمن الى جنب ملكها الحميري . وكان هامش الحرية للعرب في العراق والجزيرة واليمن أكثر من هامش حريتهم في دولة الغساسنة في الشام والأردن .

ويدل عليه أن الفرس لم يجبروا العرب على اعتناق المجوسية، مع أنهم متعصبون لها، فبقي العرب على حنيفية إبراهيم (عليه السلام) وخلطوها بعبادة الأصنام !

وكانت علاقة العرب بالفرس هادئة ما عدا فترة سابور الذي سماه العرب «ذو الأكتاف» لأنه كان يعاقب من يغضب عليهم بكسر أكتافهم !

ص: 106

قال اليعقوبي في تاريخه (1/161): «ومات هرمز وسابور صبي في المهـد، فأقام أهل مملكته متلومين عليه (ينتظرون أن يكبر) حتى ترعرع وشب، ثم ظهر منه عُتُوٌّ وجبريـة(ديكتاتوريـة)فغزا بلاـد العرب وغَوَّر عليهم الميـاه ! وغزاه ملك الروم وهو إليانوس فأعانته العرب من جميع القبائل، ثم تسـرعت قبائل العرب إلى سابور فأوقعت به في دار ملكه، حتى هرب وخلا ملكه، فانتهبت مـدينته وخزائنه، ثم جاء سـهم غرب فقتل إليانوس ملك الروم، فملكت الروم يوبنيانوس فصالـح سابور . وأقام سابور على معاداة العرب لا يظفر بأحد منهم إلا خلع كتفه فلذلك سمي سابور ذا الأكتاف . وكان ملكه اثنتين وسبعين سنة..

وذكروا أن مالك بن زهير القضاعي سـكن وقومه الحيرة، واجتمع إليهم لما اتخذوا بها المنازل ناسٌ كثير من سواقط القرى، فأقاموا بها زماناً، ثم أغـار عليهم سابور الأكبر ذو الأكتاف، فقاتلوه وهزمهم سابور، فسار معظمهم الى الجزيرة، يقودهم الضـيزن بن معاويـة التنوخي، فنزلوا الحَضَر(قرب تكريت)وهو بناء بناه الساطرون الجرمقاني، فأقاموا به مع الزباء فكانوا رجالها وولاة أمرها».

وقال المسعودي في مروج الذهب (1/110): «فلما بلغ سابور من السن ست عشـرة سنة واعد أساورتهُ بالخروج إليهم والإِيقاع بهـم.. فأوقع بهم فعمهم القتل فما أفلَتَ منهم إلا نفر لحقوا بأرض الروم، وخلع بعد ذلك أكتاف العرب، فسـمي بعد ذلك سابوو ذا الأكتاف... أتى على بلاد البحرين وفيها يومئذ بنوتميم، فأمعن في قتلهم، وفرَّت بنوتميم ».

وصار إهلاك سابور لإياد مثلاً يضـرب، واشتهر البيتان التاليان، واستشهد بهما أمير المؤمنين (عليه السلام) مشبهاً معاوية بسابور، وهما كما في مروج الذهب(1/110):

إن حَيّاً يرى الصلاح فساداً *** أو يرى الغي في الأموررشادا

لقريب من الهلاك كما أه- *** -لك سابورُ بالسواد أيادا».

وذكر في معجم البلدان(2/267)، أن سابوراً آخر كان ملك الفرس غزا بجيشه حصن الحضر، وقتل ملكه وسيطر عليه .

طلب النبي (صلى الله عليه و آله) من القبائل العراقية أن يأخذوه اليهم

كان العرب يحجون الى مكة في ذي الحجة ويعتمرون في رجب، ويقيمون سوق عُكاظ بعد موسم الحج . وقد أمر الله نبيه (صـلى الله عليه و آله) أن يلتقي بهم ويدعوهم الى الإسلام، ويطلب منهم أن يحموه ليبلغ رسالة ربه،لأن قريشاً منعته من تبليغها.

ففي تفسير العياشي:2/253، عن الإمام الصادق (عليه السـلام) قال:إكتتم رسول الله (صـلى الله عليه و آله) بمكة سنين ليس يظهر، وعلي معه وخديجـة (عليهم السـلام) . ثم أمره الله أن يصـدع بمـا يؤمر، فظهر رسول الله (صـلى الله عليه و آله) فجعـل يعرض نفسه على قبـائل العرب .

وعدَّد منها المقريزي في إمتاع الأسماع(1/49) خمس عشرة قبيلة، فقال: «عرض نفسه على القبائل أيام الموسم ودعاهم إلى الإسلام وهم: بنو عامر، وغسان، وبنو فزارة، وبنو مرة، وبنو حنيفـة، وبنو سـليم، وبنو عبس، وبنو نصـر، وثعلبـة بن عكابـة، وكنـدة، وكلب، وبنو الحارث بن كعب، وبنو عـذرة، وقيس بن الخطيم». ونضـيف اليهم قبيلة ثقيف حيث قصدهم في الطائف، والأوس والخزرج الذين قبلوا عرضه وبايعوه، فهاجر اليهم.

وفي الطبقات: 1/216: « مكث رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثلاث سنين من أول نبوته مستخفياً ثم أعلن في الرابعة، فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين يوافي الموسم كل عام، يتتبع الحاج في منازلهم بعكاظ ومجنة وذي المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة فلا يجد أحداً ينصره ولا يجيبه، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتذل لكم العجم، وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة..جاءنا ثلاثة أعوام بعكاظ، ومجنة، وبذي المجاز، يدعونا إلى الله عز وجل وأن نمنع له ظهره حتى يبلغ رسالة ربه». وسبل الهدى:2/451، والطبري:2/84 .

وروى ابن حبان في الثقات (1/80) وغيره عن علي (عليه السلام) قال: «لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر، حتى دُفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر فسلم وقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة. قال: وأي ربيعة أنتم، أمن هامتها، أم من لهازمها؟ فقالوا: لا ـ بل من هامتها العظمى . قال أبو بكر: وأي هامتها العظمى أنتم؟ قالوا: من ذهل الأكبر. قال أبو بكر: فمنكم عوف الذي يقال له لا ـحُرَّ بوادي عوف؟ قالوا: لا. قال: فمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الأحياء؟ قالوا:لا. قال: فمنكم جساس بن مرة حامي الذمار ومانع الجار؟قالوا: لا. قال: فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا. قال: فمنكم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا.قال أبو بكر: فلستم إذا ذهلاً الأكبر، أنتم ذهل الأصغر !

فقام إليه غلام من بني شيبان يقال له دغفل حين بَقَل وجهه(أول ما نبت شعر لحيته) فقال: على سائلنا أن نسأله ! يا هذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئاً،

فممن الرجل؟ فقال أبو بكر: أنا من قريش . فقال الفتى: بخ بخ أهل الشرف والرئاسة، فمن أيّ القرشيين أنت؟ قال: من ولد تيم بن مرة. قال: أمكنت والله الرامي من صفاء الثغرة، فمنكم قصي الذي جمع القبائل من فهر، فكان يدعى في قريش مجمعاً؟ قال: لا. قال: فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف؟ قال: لا. قال: فمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا. قال: فمن أهل الندوة أنت؟قال: لا. قال: فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذي كأن وجهه القمر يضئ في الليلة الظلماء الداجية؟ قال: لا. قال: فمن أهل السقاية؟قال: لا !

واجتذب أبو بكر زمام الناقة فرجع إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال الغلام:

صادف درأُ السيل دراً يدفعه *** يُهيضه حيناً وحيناً يصدعه !

أما والله لو ثبت ! قال فتبسم رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال علي (عليه السلام) فقلت: يا أبا بكر لقد وقعت من الأعرابي على باقعة (داهية). فقال لي: أجل يا أبا الحسن، ما من طامة إلا وفوقها طامة، والبلاء موكل بالمنطق !

قال علي (عليه السلام): ثم دُفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار فتقدم أبو بكر فسلَّم وقال: ممن القوم؟ فقالوا: من شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ماوراء هؤلاء القوم عز، هؤلاء غرر قومهم وفيهم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك . وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالاً ولساناً، وكأن غديرتاه تسقطان على تربيته، وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر، فقال أبو بكر:

كيف العـدد فيكم؟فقال مفروق: إنا لنزيـد على ألف، ولن يغلب ألف من قلـة ! فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم؟ قال مفروق: علينا الجهد، ولكل قوم جد .

قال أبو بكر: كيف الحرب بينكم وبين عـدوكم؟ قال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضـباً حين نلقى، وإنا لأشد ما نكونن لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يديلنا مرة ويديل علينا أخرى، لعلك أخو قريش؟

قـال أبو بكر: وقـد بلغكم أنه رسول الله، هـا هو ذا. قـال مفروق: قـد بلغنا أنه يـذكر ذلك . قال: فإلى مَ تـدعو يا أخا قريش؟ قال: أدعوكم إلى شهـادة أن لا إله إلا الله وحـده لاشـريك له وأني رسول الله، وأن تؤووني وتنصـروني، فإن قريشاً قـد تظاهرت على أمر الله فكـذبت رسـله، واسـتغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميـد ! فقال مفروق بن عمرو: إلى ما تدعونا يا أخا قريش؟ تلا رسول الله (صـلى الله عليه و آله): قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشْـرِكُوا بِهِ شَـيْئًا وَبِالْوَالِـدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاتَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .

قال مفروق: وإلى مَ تـدعو يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله (صـلى الله عليه و آله): إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالآحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .

فقال مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة، فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا .

ص: 111

فقال هانئ: قـد سـمعت مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى إن تركنا ديننا واتبعناك على دينك لمجلس جلسـته إلينا، زلـةٌ في الرأي وقلة فكر في العواقب، وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر! وكأنه أحب أن يشـركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا .

فقـال المثنى: قـد سـمعت مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصـة، في تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك، وإنما أنزلنا بين ضرتين . فقال رسول الله (صـلى الله عليه و آله): ما هاتان الضرتان؟ قال: أنهار كسرى ومياه العرب، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى لا نحـدث حـدثاً ولا نؤي محـدثاً، وإني أرى هـذا الأمر الـذي تـدعو إليه مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصـرك مما يلي مياه العرب، فعلنا.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه الله من جميع جوانبه .

أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟

فقال النعمان بن شريك: اللهم لك ذلك». (شرح الأخبار للقاضي النعمان: 2/387).

ص: 112

وبعد سنوات قليلة كانت معركة ذي قار !

وقعة ذي قار من الوقائع المشهورة في التاريخ، وننقلها باختصار من تاريخ الطبري (1/608) وغيره من المصادر التي أدرجناها.

كان عدي بن زيد العبادي الشاعر مترجماً لكسرى، فقتله النعمان بن المنذر ملك الحيرة، فاستدعى كسرى النعمان فخاف منه، فمضى سراً الى ذي قار، ونزل على هانئ بن مسعود سيد شيبان وبكر بن وائل، وأودع عنده أمواله ونساءه، ثم ذهب الى كسرى فحبسه في خانقين حتى مات في سجنه بل قتله ! ونصب إياس بن قبيصة الطائي ملكاً على الحيرة، وأمره أن يبعث اليه بتركة النعمان وعائلته والدروع التي كانت لكسرى عنده، وكانت أربعة آلاف درع برواية اليعقوبي (1/225)، فأرسل إياس الى هانئ بن مسعود الشيباني أن يبعث بالأموال والنساء إليه، فأبى هانئ أن يسلم خَفْرَته وأمانته .

« فلما منعها هانئ غضب كسرى وأظهر أنه يستأصل بكر بن وائل، وعنده يومئذ النعمان بن زرعة التغلبي، وهو يحب هلاك بكر بن وائل، فقال لكسرى: يا خير الملوك أدلك على غرة بكر؟ قال: نعم. قال: أمهلها حتى تقيظ فإنهم لو قد قاظوا تساقطوا على ماء لهم يقال له ذو قار، تساقط الفراش في النار، فأخذتهم كيف شئت، وأنا أكفيكهم ! فترجموا له قوله تساقطوا تساقط الفراش في النار، فأقرهم حتى قاظوا، وجاءت بكر بن وائل، فنزلت الحنو حنوذى قار وهى من ذي قار ليلة، فأرسل إليهم كسرى النعمان بن زرعة، أن اختاروا واحدة من ثلاث خصال، فنزل النعمان على هانئ ثم قال له: أنا رسول الملك

إليكم، أخيركم ثلاث خصال: إما أن تعطوا بأيديكم فيحكم فيكم الملك بما شاء، وإما أن تعروا الديار، وإما أن تأذنوا بحرب !

فتآمروا وتشاوروا، فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي، وكانوا يتيمنون به فقال لهم:لا أرى إلا القتال، لأنكم إن أعطيتم بأيديكم قتلتم وسبيت ذراريكم، وإن هربتم قتلكم العطش وتلقاكم تميم فتهلككم، فآذِنوا الملك بحرب . فبعث الملك إلى إياس وإلى الهامرز التستري، وكان على مسلحة بالقطقطانة، وإلى جلابزين وكان مسلحةً ببارق، وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين، وكان كسرى استعمله على طف سفوان، أن يوافوا أياساً، فإذا اجتمعوا فأياس على الناس .

وجاءت الفرس معها الجنود والفيول عليها الأساورة- ويومها قال النبي (صلى الله عليه و آله): اليوم انتصفت العرب من العجم، فحفظ ذلك اليوم، فإذا هو يوم الوقعة- فلما دنا جيش الفرس بمن معهم انسلَّ قيس بن مسعود ليلاً فأتى هانئاً فقال له: أعط قومك سلاح النعمان فيقووا، فإن هلكوا كان تبعاً لأنفسهم وكنت قد أخذت بالحزم، وإن ظفروا ردوه عليك، ففرق الدروع والسلاح في ذي القوى والجلد من قومه، فلما دنا الجمع من بكر قال لهم هانئ: يا معشر بكر إنه لا طاقة لكم بجنود كسرى ومن معهم من العرب، فاركبوا الفلاة !

فتسارع الناس إلى ذلك، فوثب حنظلة بن ثعلبة بن سيار فقال له: إنما أردت نجاتنا، فلم تزد على أن ألقيتنا في الهلكة !

فرد الناس وقطع وُضَن الهوادج لئلا تستطيع بكر أن تسوق نساءهم إن هربوا، فسمى مُقَطِّع الوُضُن وهى حزم الرحال، ويقال مقطع البُطْن والبطن حزم

الأقتاب، وضرب حنظلة على نفسه قبة ببطحاء ذي قار، وآلى أن لا يفر حتى تفر القبة، فمضى من مضى من الناس ورجع أكثرهم!

واستقوا ماء لنصف شهر فأتتهم العجم فقاتلتهم بالحُنْو، فجزعت العجم من العطش فهربت، ولم تقم لمحاصرتهم، فهربت إلى الجبابات فتبعتهم بكر، وعجل أوائل بكر فتقدمت عجل وأبلت يومئذ بلاء حسناً، واضطمت عليهم جنود العجم، فقال الناس: هلكت عجل، ثم حملت بكر فوجدوا عجلاً ثابتة تقاتل وامرأة منهم تقول:

إن يظفروا يحرزوا فينا الغَرِلْ *** إيهاً فداءٌ لكم بني عِجِل

(والغرل: العيش الرغد) وتقول أيضاً تحضض الناس:

إن تَهزموا نعانقْ *** ونفرش النمارقْ

أو تهربوا نفارقْ *** فراق غير وامقْ

فقاتلوهم بالجبابات يوماً، ثم عطش الأعاجم فمالوا إلى بطحاء ذي قار، فأرسلت إياد إلى بكر سراً وكانوا أعواناً على بكر مع إياس بن قبيصة: أيُّ الأمرين أعجب إليكم: أن نطير تحت ليلتنا فنذهب، أو نقيم ونفرُّ حين تُلاقوا القوم؟ قالوا: بل تقيمون فإذا التقى القوم انهزمتم بهم! قال: فصبحتهم بكر بن وائل والظعن واقفة يذمرن الرجال على القتال .

وقال يزيد بن حمار السكوني وكان حليفاً لبنى شيبان: يا بنى شيبان أطيعوني وأكمنوني لهم كميناً، ففعلوا وجعلوا يزيد بن حمار رأسهم، فكمنوا في مكان من ذي قار يسمى إلى اليوم الجب، فاجتلدوا وعلى ميمنة أياس بن قبيصة الهامرز، وعلى ميسرته الجلابزين، وعلى ميمنة هانئ بن قبيصة رئيس بكر يزيد بن مسهر

الشيباني، وعلى ميسرته حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي، وجعل الناس يتحاضون ويرجزون، فقال حنظلة بن ثعلبة:

قد شاعَ أشياعُكم فجدوا *** ما عِلَّتِي وأنا مُؤْدٍ جَلْدُ

والقوسُ فيها وترٌ عَرَدُّ *** مثل ذراع البكر أو أشدُّ

جعلتْ أخبارُ قومي تبدو *** إن المنايا ليس منها بُدُّ

هذا عميرٌ حيه ألدُّ *** يقدمه ليس له مَرَدُّ

حتى يعود كالكميت الوردُ *** خلوا بني شيبان واستبدوا

نفسي فداكم وأبي والجد

وقال حنظلة أيضاً:

يا قوم طيبوا بالقتال نفسا *** أجدر يوم أن تفلوا الفرسا

ثم صيروا الأمر بعد هانئ إلى حنظلة، فمال إلى مارية ابنته وهى أم عشرة نفر أحدهم جابر بن أبجر، فقطع وضينها فوقعت إلى الأرض، وقطع وُضُن النساء فوقعن إلى الأرض، ونادت ابنة القرين حين وقعت النساء إلى الأرض:

ويهاً بنى شيبان صفاً بعد صف *** إن تهزموا يصبغوا فينا القلف

فقطع سبع مائة من بنى شيبان أيدي أقبيتهم من قبل مناكبهم، لأن تخف أيديهم بضرب السيوف، فجالدوهم . قال: ونادى الهامرز مرد ومرد ! فقال برد بن حارثه اليشكري: ما يقول؟ قالوا: يدعو إلى البراز رجل ورجل . قال: وأبيكم لقد أنصف ! فبرز له فقتله برد، فقال سويد بن أبي كاهل:

ومنا بريدٌ إذ تحدى جموعكم *** فلم تقربوه المرزبانَ المسورا

أي لم تجعلوه . ونادى حنظلة بن ثعلبة بن سيار: يا قوم لا تقفوا لهم فيستغرقكم النشاب، فحملت ميسرة بكر وعليها حنظلة على ميمنة الجيش، وقد قتل برد منهم رئيسهم الهامرز . وحملت ميمنة بكر وعليها يزيد بن مسهر على ميسرة الجيش وعليهم جلابزين، وخرج الكمين من جب ذي قار من ورائهم، وعليهم يزيد بن حمار، فشدوا على قلب الجيش، وفيهم إياس بن قبيصة، وولت أياد منهزمة كما وعدتهم، وانهزمت الفرس !

قال سليط: فحدثنا أسراؤنا الذين كانوا فيهم يومئذ، قالوا: فلما التقى الناس ولت بكر منهزمة فقلنا يريدون الماء، فلما قطعوا الوادي فصاروا من ورائه وجاوزوا الماء قلنا هي الهزيمة، وذاك في حر الظهيرة وفى يوم قائظ، فأقبلت كتيبة عجل كأنهم طن قصب لا يفوت بعضهم بعضاً، لا يمعنون هرباً، ولا يخالطون القوم، ثم تذامروا فزحفوا فرموهم بجباههم، فلم تكن إلا إياها فأمالوا بأيديهم فولوا، فقتلوا الفرس ومن معهم، ما بين بطحاء ذي قار حتى بلغوا الراحضة !

قال فراس: فخبرت أنهم أتبعوا فارس يسعون، لم ينظروا إلى سلب ولا إلى شئ، حتى تعارفوا بأدم موضع قريب من ذي قار، فوُجد ثلاثون فارساً من بنى عجل، ومن سائر بكر ستون فارساً، وقتلوا جلا بزين، قتله حنظلة بن ثعلبة...وقال أعشى بن ربيعة:

ونحن غداة ذي قار أقمنا *** وقد شهد القبائل محلبينا

وقد جاؤوا بها جأواء فلقاً *** ململمةً كتائبُها طَحونا

ليوم كريهةٍ حتى تجلَّت *** ظلال دجاه عنا مُصلتينا

فولونا الدوابر واتقونا *** بنعمان بن زرعة أكتعينا

وذدنا عارض الأحرار وِرْداً *** كما ورد القطا الثمد المعينا

وفي الإصابة لابن حجر:2/117: « حنظلة بن سيار.. كان رئيساً في الجاهلية وهو صاحب قبة حنظلة، ضربها يوم ذي قار فتقطعت عليها بكر بن وائل، فقاتلوا الفرس حتى هزموهم فبلغ ذلك النبي (صلى الله عليه و آله) فسرَّه وقال: هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نصروا ! قال:وبعث حنظلة يومئذ بخمس الغنائم إلى النبي (صلى الله عليه و آله) وبشره بالفتح، وكانت العرب قبل ذلك تُرَبِّع (أي ترسل ربع الغنيمة الى الملك) فلما بلغ حنظلة قول الله تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ..الآية، سره ذلك . وفي ذلك يقول حنظلة:

ونحن بعثنا الوفد بالخيل ترتمي *** بهم قُلُصٌ نحو النبيِّ محمدِ

بما لقي الهرموزُ والقومُ إذ غزوا *** وما لقي النعمانُ عند التورد».

وقال اليعقوبي في تاريخه:2/225: «لما قَتَلَ كسرى أبرويز النعمان بن المنذر بعث إلى هانئ بن مسعود الشيباني أن ابعث إليَّ ما كان عبدي النعمان استودعك من أهله وماله وسلاحه ! وكان النعمان أودعه ابنته وأربعة آلاف درع، فأبى هانئ وقومه أن يفعلوا، فوجه كسرى بالجيوش من العرب والعجم، فالتقوا بذي قار فأتاهم حنظلة بن ثعلبة العجلي فقلدوه أمرهم، فقالوا لهانئ: ذمتك ذمتنا ولا نخفر ذمتنا، فحاربوا الفرس فهزموهم ومن معهم من العرب ».

وقال اليعقوبي:2/46: «وحاربت ربيعة كسرى، وكانت وقعتهم بذي قار، فقالوا: عليكم بشعار التهامي، فنادوا: يا محمد يا محمد ! فهزموا جيوش كسرى

وقتلوهم، فقال رسول الله: اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نصروا . وكان يوم ذي قار بعد وقعة بدر بأشهر أربعة أو خمسة ».

فكان ذلك النصر ببركة إسم النبي (عليهما السلام)، لأنهم جعلوا إسمه الشريف شعاراً لهم رغم أنهم لم يكونوا دخلوا الإسلام ! راجع في معركة ذي قار: أمالي السيد المرتضى: 3/33، ومناقب آل أبي طالب:1/94، وتاريخ اليعقوبي:1/214 و225، ومعجم البلدان: 4/293، والمحبر/360، والإصابة:1/447و466و:2/117، و:6/222، وتاريخ الطبري: 1/606و608 و611 و613، ومجمع الزوائد:6/211، وفتح الباري:6/187، والمعجم الكبير للطبراني:2/46، و:6/62، ومعارف ابن قتيبة/603، ومعجم ما استعجم:3/1042) .

وقتل شِيرَوَيْه أباه كسرى واضطربت الأمبراطورية !

لم يثأر كسرى من بني شيبان وحلفائهم الذين انتصروا عليه وكسروا هيبته أمام قبائل العرب، وأذلوا جيشه وأخذوا منه أسرى، مع قربهم من عاصمته المدائن ؟ وذلك لثلاثة أسباب:

الأول: انشغال كسرى بحروبه مع هرقل، والتي بدأت بانتصارات كاسحة لكسرى في جبهات مصر والشام وتركيا، وانتهت بقتله على يد ابنه شيرويه، كما أخبر النبي (صلى الله عليه و آله) في العاشر من جمادى الأولى سنة سبع للهجرة .

والثاني: أن كسرى عرف علاقة بني شيبان بالنبي (صلى الله عليه و آله) وأنهم أرسلوا اليه خمس الغنائم وذهب اليه وفدهم، ثم وصلته رسالة النبي (صلى الله عليه و آله) بعد معركة ذي قار . ولعل كسرى فضل أن يعالج أصل المشكلة ويقتل نبيهم (صلى الله عليه و آله) ثم يثأر منهم، فأرسل قبيل موته الى عامله على اليمن، يأمره بإرسال النبي (صلى الله عليه و آله) اليه، أو قتله !

والثالث: أن كسرى وقادته يعرفون أن حرب القبائل العربية يحتاج الى إعداد واستعداد خاص بسبب الصحراء، فالعرب يعرفون أماكن الماء فيها، ويُحسنون التكيف معها، بينما يجهل الفرس أماكن الماء، ويصعب عليهم تحمل العطش أو حمل كميات كبيرة منه . لهذا كان العرب يغيرون على أطراف دولة الفرس فإذا جاءتهم قوة فارسية دخلوا في الصحراء، فلا يستطيع الفرس أن يتبعوهم .

لهذه الأسباب سكت كسرى بعد هزيمته في ذي قار، وبرز بنو شيبان قوة مهابة في العراق، وأخذوا يسيطرون على مساحات زراعية جديدة .

قال البلاذري في الفتوح(2/365): «كانت عيون الطف، مثل عين الصيد، والقطقطانة، والرهيمة، وعين جمل، وذواتها، للموكلين بالمسالح التي وراء السواد: وهي عيون خندق سابور، الذي حفره بينه وبين العرب الموكلين بمسالح الخندق، وغيرهم . وذلك أن سابور أقطعهم أرضها فاعتملوها من غير أن يلزمهم لها خراجاً . فلما كان يوم ذي قار ونصر الله العرب بنبيه (صلى الله عليه و آله) غلبت العرب على طائفة من تلك العيون، وبقي في أيدي الأعاجم بعضها ».

وهذا نصٌّ على تأثير معركة ذي قار على حركة فتح العراق، على يد بني شيبان وبني عجل، وحلفائهم من قبائل العرب .

ص: 120

الفصل الثالث: صورة شاملة للفتوحات

التاريخ الرسمي والواقع !

يقول التاريخ الرسـمي: إن الذي فتح العراق خالد بن الوليد، وسـعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان، وأبو موسـى الأشـعري . ويضيف الرواة على مضـض المثنى بن حارثـة الشـيباني، وهـاشم المرقال، وحجر بن عـدي، وعمار بن ياسـر، وسـلمان الفارسـي، وعـدداً آخر من القادة والفرسان .

لكنك تتفاجأ عنـدما تقرأ ثنايا التاريخ الرسـمي، فتجد أن الفاتحين الحقيقيين الذين عملوا وقاتلوا وقطفوا النصـر للمسـلمين، هم المثنى بن حارثـة الشـيباني، وهاشم بن عتبـة المرقال، وحجر بن عدي، وأمثالهم من القادة والفرسان الشـيعة، وأن السـلطة طمست أدوارهم، وأعطت إنجازاتهم الى آخرين !

ويقول التاريـخ الرسـمي: إن الـذي فتح إيران أبو موسـى الأشـعري، وجرير بن عبد الله البجلي، ويهملون العلاء بن الحضـرمي وقبائل عبد القيس، الذين بدأوا بفتح جنوب إيران الى إصـطخر بدون إذن عمر بن الخطاب، فغضب عليهم ! ثم واصلوا فتح شيراز وكرمان وسيستان، الى حدود الهند، وداخلها .

ص: 121

ثم يضطر رواة السلطة الى ذكر النعمان بن مقرن، وحذيفة بن اليمان، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن بديل بن ورقاء، والأحنف بن قيس، وعبد الله بن جعدة بن هبيرة، وأمثالهم من فرسان الشيعة، وهم الأساسيون في فتح إيران .

ويقول التاريخ الرسمي: إن الذي فتح سوريا خالد بن الوليد، وأبو عبيدة الجراح، والذي فتح فلسطين عمرو بن العاص .

لكنك تسأل عن قوات الروم أين كانت ومن قاتلها في فلسطين والأردن والشام، وما الذي جعل هرقل يقرر الإنسحاب من هذه المناطق؟

فتجد أن قواتهم تركزت في أجنادين وكانت كما نحو تسعين ألفاً، وكان بطل أجنادين الذي قطف النصر للمسلمين قائد الخيل في معركتها خالد بن سعيد بن العاص، وهو من شيعة علي (عليه السلام)، وصاحبه القائد العام شرحبيل بن حسنة قائد الجيش، وزميله هاشم المرقال قائد الميسرة، وأمثالهم من شيعة علي (عليه السلام)، فطمس رواة السلطة أدوارهم، أو نسبوها الى خالد بن الوليد !

ثم كان لقوات الروم تجمع في منطقة مرج الصُّفَّر بين دمشق والجولان، ثم في فِحْل بالأردن، وقد اعترف الرواة بأن أبا عبيدة وخالداً وعمرو العاص وشرحبيل أعطوا القيادة فيها الى خالد بن سعيد بن العاص، وهاشم المرقال، فقطفا النصر، لكنهم نسبوا بطولتهما لابن الوليد وابن العاص مع أنهما لم يقاتلا!

ثم كان التجمع الأهم لجيش الروم في اليرموك، وكان بطل اليرموك مالك الأشتر، وقد جندل ثلاثة من قادة الروم مبارزة، وثمانية أو أكثر من قادتهم في حملاته، وقطف النصر للمسلمين . وكان أرسله علي (عليه السلام) مع عمرو بن معدي كرب ومجموعة فرسان نخعيين .

قال الكلاعي في الإكتفاء:3/273: « إن الأشتر كان من جلداء الرجال وأشدائهم وأهل القوة والنجدة منهم، وإنه قتل يوم اليرموك قبل أن ينهزموا أحد عشر رجلاً من بطارقتهم، وقتل منهم ثلاثة مبارزة »!

فنسبوا البطولة والنصر الى ابن الوليد وأبي عبيدة، مع أنهما كاعا عن المبارزة. والى ضرار بن الأزور صاحب خالد، مع أنه قُتل قبل سنين في حرب اليمامة !

ويقول التاريخ الرسمي: إن عمرو العاص غزا مصر بثلاثة آلاف وخمس مئة مقاتل، وخاض فيها المعارك من حصن الى حصن ومن مدينة الى مدينة، حتى فتحها كلها ! فصارت مصر مفتوحةً عنوةً، ونُزعت ملكية أرضها من أهلها !

ثم اعترفت رواياتهم بأنه لم يكن في مصر أي قوة رومية، وأن المصريين قرروا أن لا يقاتلوا المسلمين، وأن يصالحوهم، فاستقبلوهم وعقدوا معهم عهد الصلح، وسلموهم البلد، فغضب عليهم هرقل، فلم يهتموا لغضبه !

«قال أهل مصر لملكهم: ما تريد إلى قوم فلُّوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم، صالحِ القومَ واعتقد منهم (أبرم عقداً معهم) ولا تَعْرُض لهم، ولا تُعرضنا لهم». (تاريخ الطبري:3/199).

ويقول التاريخ الرسمي: إن الإسكندرية نقضت عهد الصلح مع المسلمين واستدعت الروم، فغزاها والي مصر عمرو بن العاص وفتحها مرة ثانيةً عنوةً، فنُزعت ملكية أرضها من أهلها وصارت ملكاً للمسلمين، وجاز للوالي أن يأخذ منهم الخراج بما يراه، وليس دينارين على البالغ كما نص عهد الصلح !

ثم اعترفت رواياتهم بأن الـذي نقض عهـد الصـلح هو عمرو العاص فزعم أن مصـر مهـددة من الروم، مكيدةً حتى لايعزله عثمان ! وأنه غزا الإسكندرية لهذا الغرض، وعاث فساداً في قراها ونهب وسبى، وبطش بأهلها، وهدم سورها !

فكشف عثمان مكيدة عمرو، وأنه لم ينقض أحد من الأقباط العهد، ولا جاء جيش رومي الى مصـر، فعزل عمْراً، وأمره برد ما أخذه من أموال وسبي!

ثم تقرأ عن بطولات قادة السـلطة في معركة ذات الصواري، وكأنها في فتح مصـر، بينما هي بعد فتح مصر ببضع عشرة سنة، ففي سنة 35 في أواخر خلافة عثمان، غزا الروم مصـرلإخراج المسـلمين منها وقصدوها بمراكبهم، فتصدى لهم المسـلمون في معركة ذات الصواري . وكان بطلا المعركة شابين شـيعيين هما محمد بن أبي حذيفة الأموي، ومحمد بن أبي بكر رضـي الله عنهما، وكانا قصدا مصر لتحريك المسلمين على عثمان .

ص: 124

صُنَّاع النصر وأهل البلاء والنكاية بالعدو

إن كل فتح وإنجاز عسكري، يتوقف على شخصية القائد الميداني والجندي الشجاع . فهذان هما العنصران الأساسيان في الفتح، قبل القرار السياسي للخليفة، وقبل القائد الرسمي الذي ينصبه . فإذا أردت أن تعرف من الذي حقق النصرفابحث عن القادة الميدانيين، وعن الفرسان المقتحمين، الذين يُسَمَّوْنَ أهل البلاء . ولا تعجب إذا وجدت أن هؤلاء كلهم أو جِلُّهم من تلاميذ علي (عليه السلام) ومبعوثيه ! وأن أدوارهم أساسية حاسمة، وأدوار غيرهم مكملة، أو ثانوية، أومكذوبة !

ستجد دور المثنى بن حارثة في فتح العراق متصلاً بدوره في معركة ذي قار . وتجد سلمان الفارسي صاحب دور أساسي في فتح إيران، في الدعوة الى الإسلام وفي قيادة الفاتحين . وأنه كان في معركة القادسية في منصب داعية المسلمين ورائدهم، وفي فتح المدائن مفاوض المسلمين مع الفرس، وقد أقنع حامية القصر بالإسلام وإلقاء السلاح، وكذلك تجده في فتح أرمينيا وشرق آسيا.

وتجد مالك الأشتر، تلميذ علي (عليه السلام) ومبعوثه، بطل اليرموك الذي برز الى فارس الروم الأكبر ماهان، حين كاع عنه خالد وأبو عبيدة وغيرهم، فجندله ثم قتل عدة قادة بعده، فارتعب الروم وبدأت هزيمتهم .

وتجد حجر بن عدي الكندي الذي قتله معاوية لولائه لعلي (عليه السلام)، قائداً في القادسية، وفي فتح المدائن وجلولاء، وأرمينية، ودمشق، وبيروت .

وتجد عمار بن ياسر الموالي لعلي (عليه السلام) بطلاً في معركة اليمامة وفتح العراق وفارس.

وهاشم المرقال الزهري، الشيعي الصلب، قائداً في معركة أجنادين بفلسطين، ومعركة مرج الصُّفَّر واليرموك، ومعركة القادسية بالعراق، ثم قائد معارك المدائن وجلولاء وحلوان، ومعركة نهاوند الكبرى التي سميت فتح الفتوح .

وتجد أبا ذر الشيعي الصلب، عمل عشرين سنة في فتح الشام وقبرص ومصر .

وحذيفة الشيعي المتكتم، قائداً في القادسية، والقائد العام في معركة نهاوند، أكبر معركة في فتح فارس، وكذلك في فتح أرمينية، وغيرها .

وتجد خالد بن سعيد بن العاص الأموي، الذي كان أول المعترضين في المسجد النبوي على أهل السقيفة، بطل فتح فلسطين، وبطلاً في فتوح الشام .

وأخويه أبان بن سعيد وعمرو بن سعيد، وبريدة الأسلمي، وعبادة بن الصامت، وأبا أيوب الأنصاري، وعثمان بن حنيف وإخوته، وعبد الرحمن بن سهل الأنصاري، والمقداد بن عمرو، وواثلة بن الأسقع الكناني، والبراء بن عازب، وقيس بن ثابت، وبلال بن رباح، وعبدالله بن خليفة البجلي، وعدي بن حاتم الطائي، وأبا عبيد الثقفي، وإخوة مالك الأشتر، وعدداً من القادة النخعيين، وصعصعة بن صوحان العبدي وإخوته، والأحنف بن قيس، وعمرواً بن الحمق الخزاعي، وأبا الهيثم بن التيهان، وجعدة بن هبيرة ابن أخت أمير المؤمنين (عليه السلام)، والنعمان بن مقرن، وإخوته، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، والمسيب بن نجيبة، ومسلم بن عوسجة، ومحمد بن أبي حذيفة بن عتبة، وأبا رافع وأولاده .

ويليهم من التابعين: جارية بن قدامة السعدي، وأبا الأسود الدؤلي، ومحمد بن أبي بكر، والمهاجر بن خالد بن الوليد.. وعدداً آخر من القادة الميدانيين !

ص: 126

تجد لكل واحد من هؤلاء أدواراً وإنجازات، طمسها وأخفاها إعلام الخلافة وأظهر بدلها أصحاب الأدوار الشكلية، أو الثانوية، أو المسروقة !

لـذلك لا بـد أن لمعرفـة حقيقة الفتوحات، أن نبحث سـيرة من ادعيت لهم أدوار في فتح العراق وإيران وبلاد الشام ومصـر، وسـيرة الأبطال الفاتحين أصحاب الأدوار الحقيقية، رضوان الله عليهم .

صُنَّاع النصر معروفون، لكن إعلام السلطة عتَّمَ عليهم:

ففي كل معركة عادةً، أفرادٌ ضعاف الأبدان، أو أقوياء لكنهم خوافون، لا يطلبون مبارزة، ولا يستجيبون لمن يطلب مبارزتهم .

وإذا بدأت الحملة تأخروا الى آخر الصفوف يلوذون بالمقاتلين، وإذا أحسوا بخطر هربوا، وسببوا الوهن في صفهم، وأصيب الجيش بالهزيمة من جهتهم !

ويتفـاقم خطر هؤلاء إذا كـانت رايـة الميمنـة أو الميسـرة أو القلب بيـد أحـدهم، لأن فرار صاحب الرايـة يعني فرار من تحتها . ولـذا يؤكد المسلمون على صاحب الراية أن لا يفرّ: «كانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، فقالوا: نخشى علينا من نفسك شيئاً. فقال: بئس حامل القرآن أنا إذاً ». (الطبري:2/509).

ويوجد في الجيش عادةً رجالٌ شجعان، يتقدمون الى المبارزة، ويكونون الخط الأول في الهجوم . فهم يَثْبُتُون إذا تراجع غيرهم ويشجعونهم، فهؤلاء هم القوة الحقيقية للجيش، وقادته الميدانيون، وصُنَّاع النصر.

ويسـميهم التاريخ أهل البلاء أو أهل الغَناء في الحرب، أي يُغنون عن غيرهم . وكان المسـلمون يخصونهم باحترام، وخدمات وعطايا، عند توزيع الغنائم، أو بعد رجوع الجيش من الحرب، أو يخصونهم برواتب كافية .

قال الطبري: (3/71): «عن إبراهيم وعامر: إن أهل البلاء يوم القادسـية فُضِّلوا عنـد العطاء بخمس مائـة خمس مائة، في أعطياتهم، خمسـة وعشرين رجلاً . منهم زهرة، وعصمة الضبي، والكلج . وأما أهل الأيام، فإنه فرض لهم على ثلاثة آلاف، فُضِّلوا على أهل القادسية ».

وأهل الأيام هم مجموعة مقاتلين شـجعان من قبيلة واحدة عادةً، لهم رئيس، وسـموا بذلك، لأنهم يتكفلون بيوم من أيام الحرب، يكون لهم خاصة .

«وقسَّم حذيفة بن اليمان بين الناس غنائمهم، فكان سـهم الفارس يوم نهاوند ستة آلاف وسهم الراجل ألفين، وقد نَفَل حذيفة من الأخماس من شاء من أهل البلاء يوم نهاوند، ورفع مابقي من الأخماس إلى السائب بن الأقرع، فقبض السائب الأخماس فخرج بها إلى عمر، وبذخيرة كسرى». (الطبري:3/218).

«وقـدمت على عمر الفتوح من الشـام وجمع المسـلمين فقـال:ما يحل للوالي من هـذا المال؟فقالوا جميعاً:أما لخاصـته فقوته وقوت عياله لاوكسٌ ولاشـطط، وكسوتهم وكسوته للشـتاء والصـيف، ودابتان إلى جهاده وحوائجه وحملانه إلى حجه وعمرته.والقسم بالسوية وأن يعطى أهل البلاء على قدر بلائهم»(الطبري:3/210).

وفي سنن البيهقي (6/339): «إعطاء أهل البلاء في الإسلام نفلاً عند الحرب وغير الحرب، إعداداً للزيادة في تعزيز الإسلام وأهله، على ما صنع رسول الله (صلى الله عليه و آله) ».

إن معرفة هؤلاء الشجعان في أي معركة، شرطٌ لفهم الأحداث على وجهها، فإذا غفلنا عن ذلك أخطأنا ونسبنا النصر الى غير صاحبه، لأن صاحبه المقاتل الشجاع الذي يبارز وينتصر، ويقتحم وينتصر، ويدفع المهاجم وينتصر.

فلو لم يكن النبي (صلى الله عليه و آله) شجاعاً، ولم يكن معه فرسان بني عبد المطلب: عليٌّ وحمزة وعبيدة، لما انتصر المسلمون في بدر، ولما غيروا المعادلة لمصلحة الإسلام .

ولو لم يثبت علي (عليه السلام) مع النبي (صلى الله عليه و آله) في أحُد، ويردَّ عنه هجمات قريش المستميتة لقتله، لتغيَّر مسار المعركة، ومسار التاريخ .

وعندما طالت محاصرة المسلمين لحصن خيبر نحو شهر، وفشلوا في اقتحامه، لو لم يأت النبي (صلى الله عليه و آله) بعلي (عليه السلام) من مكان بعيد لاقتحامه لما تحقق النصر على اليهود.

وعندما انهزم المسلمون في حنين وتركوا النبي (صلى الله عليه و آله)، لو لم يهاجم عليٌّ (عليه السلام) جيش هوازن، ويغوص في أوساطهم ويقتل أربعين من حملة راياتهم، لما تحقق النصر .

وكذلك الحال في كل معركة، فإن النصر فيها يتوقف على البطل أو الأبطال الذين يغيرون المعادلة .

ومعارك الفتوحات لا تخرج عن هذه القاعدة، فكل نصر فيها يتوقف على وجود بطل أو عدة أبطال فرسان، يقتحمون ويقاتلون ويصمدون حتى النصر.

وإذا طبقت هذه القاعدة، انكشف لك حجم التزوير في معارك الفتوحات والردة، وقد رأيت بعضه في حرب اليمامة .

صورة كلية لفتح العراق

اشارة

إذا حسبنا بداية فتح العراق بمعركة ذي قار، التي وقعت بعد معركة بدر، وخاضها بنو شيبان وبنوعجل ضد الجيش الفارسي، يكون فتحه استغرق نحو عشرين سنة، لأن معركة ذي قار كانت بداية جرأة العرب على نظام كسرى، حتى تم فتح العراق وفارس بمعركة نهاوند، التي انكسر فيها جيش كسرى وانتهت محاولاته لاسترجاع ملكه، وكانت في سنة إحدى وعشرين هجرية .

أما إذا اعتبرنا بداية فتح العراق بعمليات المثنى بعد وفاة النبي (صلى الله عليه و آله) عندما تضعضع النظام الفارسي، فيكون فتحه استغرق عشر سنين .

وفي هذا السنين العشر، تم الفتح في مراحل، بدأت بعمليات المثنى ضد الحاميات الفارسية، ثم جاء خالد بن الوليد والياً على العراق من قبل أبي بكر، وكان دوره عقود الصلح مع القرى والدساكر، ولم يخض أي معركة مع الفرس بل شن غارات نهب وسبي على العرب، وغيرهم من السكان .

ثم كانت مرحلة خوض المعارك مع الجيش الفارسي النظامي، وقد بدأها المثنى وحده فخاض معهم معركة بابل، قبيل وصول أبي عبيد .

ثم كانت معركتان في ولاية أبي عبيد الثقفي، وهما معركة النمارق مع الجيش الفارسي، ثم معركة الجسر التي استشهد فيها رضي الله عنه .

ثم كانت معركة البويب التي ثأر فيها المثنى لمعركة الجسر .

ثم كانت معركة القادسية الكبرى التي كانت حاسمة في فتح العراق.

ص: 130

ثم تلتها بعد نحو سنتين معركة المدائن الصغيرة .

ثم كانت المرحلة الأخيرة معركة جلولاء، وهي معركة كبرى، وكانت آخر معارك فتح العراق .

وقد بدأ المثنى رضي الله عنه وحلفاؤه عمليات تحرير العراق في حياة النبي (صلى الله عليه و آله) فقد وفد على النبي (صلى الله عليه و آله) في سنة تسع للهجرة، وبدأ بغاراته على مسالح الفرس عندما ملكت بوران بنت كسرى، وكان ذلك سنة تسع أيضاً .

قال الدينوري في الأخبار الطوال/111:«فلما أفضى الملك إلى بوران بنت كسرى بن هرمز، شاع في أطراف الأرضين أنه لا مَلِكَ لأرض فارس وإنما يلوذون بباب امرأة، فخرج رجلان من بكر بن وائل يقال لأحدهما المثنى بن حارثة الشيباني والآخر سويد بن قطبة العجلي، فأقبلا حتى نزلا فيمن جمعا بتخوم أرض العجم فكانا يغيران على الدهاقين فيأخذان ما قدرا عليه، فإذا طُلبا أمعنا في البر فلا يتبعهما أحد . وكان المثنى يغير من ناحية الحيرة، وسويد من ناحية الأبلة» .

ولم ينشأ هذا العمل من فراغ، بل كان استمراراً لتوجيه النبي (صلى الله عليه و آله) لزعماء بني شيبان، الذين خاضوا معركة ذي قار وكان شعارهم: يا محمد يا محمد، ونصرهم الله تعالى ببركته , فجاؤوا اليه وفداً، ومعهم خمس الغنائم . (تاريخ اليعقوبي:2/46).

ثم وفد زعيم بني شيبان حريث بن حسان على النبي (صلى الله عليه و آله) وبايعه على الإسلام له ولقومه . (الطبقات:1/318 و:7/58، والإصابة:8/289، ومجمع الزوائد: 6/11).

وفي سنة تسع وفد المثنى على النبي (صلى الله عليه و آله) . قال في الإستيعاب:4/1456: «المثنى بن حارثة الشيباني كان إسلامه وقدومه في وفد قومه على النبي (صلى الله عليه و آله)، سنة تسع ».

وفي تاريخ دمشق:57/198، والإصابة:6/51: «كان المثنى ومذعور قد وفدا على النبي (صلى الله عليه و آله)، وصحباه ».

وفي الإصابة:2/117، قال بطل ذي قار حنظلة بن سيار، افتخر بذلك فقال:

ونحن بعثنا الوفد بالخيل ترتمي *** بهم قُلَّصٌ نحو النبي محمد

بما لقي الهرموز والقوم إذ غزوا *** وما لقي النعمان عند التورد ».

ومعناه أنهم أسلموا وواصلوا صراعهم مع كسرى، وإنما سكت كسرى على الهزيمة ولم يرسل لهم جيشاً بعد ذي قار، لانشغاله عنهم بقتال الروم !

ثم قُتل كسرى واضطرب نظامه، وبقي مضطرباً حتى حكمت بنته بوران، فنشطت في حرب العرب، وكانت الوصية على العرش، ولم تكن الملكة، فاستغل المثنى هذه الفترة فوسع هجماته على حاميات الفرس .

«كانت بوران بنت كسرى كلما اختلف الناس بالمدائن، عَدْلاً بين الناس حتى يصطلحوا، فلما قتل الفرخزاذ بن البندوان وقدم رستم فقتل آزرميدخت، كانت عدلاً إلى أن استخرجوا يزدجرد، فقدم أبو عبيد والعدل بوران وصاحب الحرب رستم، وكانت بوران أهدت للنبي (صلى الله عليه و آله) فقبل، وكانت ضداً على شيرين سنة، ثم إنها تابعته واجتمعا على أن ترأس وجعلها عدلاً». (الطبري:2/633»

ثم، خاض المثنى معركة بابل مع جيش الفرس وكان عشرة آلاف مقاتل، ثم خاض مع أبي عبيد الثقفي معركة المارق بقيادة شهر براز بين الكوت والكوفة .

ففي تاريخ دمشق:57/198، والإصابة:6/51: «كان المثنى ومذعور قد وَفَدَا على النبي (صلى الله عليه و آله) وصحباه، وكان حرملة وسلمى من المهاجرين.. وقدم المثنى بن

حارثة ومذعور بن عدي يوم القفل من اليمامة على أبي بكر، وكانت لهما وفادة ونصيحة..استأذناه في غزو أهل فارس وقتالهم، وأن يتأمرا على من لحق بهما من قومهما وقالا: فإننا و إخواننا من بني تميم قد دُرِبنا بقتال أهل فارس، وأخذنا النَّصَفَ منهم، فولاهما على من تابعهما، واستعملهما على ما غلبا عليه، فسارا فجمعا جموعهما ثم سارا بهم حتى قدما بلاد أهل فارس، وكان أول من قدم أرض فارس لقتال أهل فارس هما حرملة وسلمان .

فقدم المثنى ومذعور في أربعة آلاف من بكر وائل وعنزة وضبيعة، فنزل أحدهما بخفان ونزل الآخر بالنمارق، وعلى فرْج الفرس مما يليهما شهر براز بن نبدا، فلقيا شهر برار وغلبا على فرات بادقلى إلى السيلحين، واتصل ما غلبا عليه، وما غلب عليه سلمى وحرملة، وفي ذلك يقول مذعور بن عدي:

غلبنا على خَفَّانَ بِيداً وشِيحةً *** إلى النخلاتِ السُّمر فوق النمارق

وإنا لنرجو أن تجول خيولنا *** بشاطي الفرات بالسيوف البوارق»

وحرملة بن مريطة، وسلمى بن القين حنظليان تميميان، وقد شاركا في فتح العراق، وفتح الأهواز . (الإصابة:2/46) .

قال الحموي في معجم البلدان:5/372: «أول من قدم أرض فارس لقتال الفرس حرملة بن مريطة وسلمى بن القين، فكانا من المهاجرين ومن صالحي الصحابة فنزلا أطد ونعمان والجعرانة، في أربعة آلاف من بني تميم والرباب، وكان بإزائهما النوشجان والفيومان بالوركاء(قرب الحلة) فزحفوا إليهما فغلبوهما على الوركاء، وغلبا على هرمزجرد إلى فرات بادقلى، فقال في ذلك سلمى بن القين:

ألم يأتيك والأنباء تسري *** بما لاقى على الوركاء جانِ

وقد لاقى كما لاقى صتيتاً *** قتيل الطف إذ يدعوه ماني

وقال حرملة بن مريطة:

شللنا ماه ميسان بن قاما *** إلى الوركاء تنفيه الخيول

وجزنا ما جَلَوْا عنه جميعاً *** غداةَ تغيَّمت منها الجبول».

أقول: اغتنم هذان الزعيمان القبليان، والصحابيان القائدان، الفراغ السياسي في العراق، وضعف الدولة الفارسية، فخرجا بقومهما وسيطرا على منطقة منه .

أما المثنى ومذعور فهما عراقيان، لهما تاريخ في الصراع مع الفرس، وقد أخذا تأييد الخليفة، ووسعا الرقعة التي حرراها، حتى اتصلت بما حرره الحنظليان .

حقيقة دور خالد بن الوليد في فتح العراق

في سنة ثلاث عشرة هجرية أرسل أبو بكر خالد بن الوليد الى العراق، مدداً للمثنى، فبقي أقل من سنة قائداً رسمياً مبعوثاً من الخليفة، وكان عمله إبرام عقود الصلح مع أهل المدن والقرى والدساكر المفتوحة، فكان يوقع العهد ويأخذ المبلغ المقرر . ولم يقاتل خالد في العراق ولا شارك في معركة أبداً، لأنه لم يكن جيشٌ للفرس في العراق، وكانوا مشغولين بوضعهم الداخلي .

قال الطبري:2/605: «واستقام أهل فارس على رأس سنة من مقدم خالد الحيرة بعد خروج خالد بقليل، وذلك في سنة ثلاث عشرة على شهر براز بن أردشير».

وقال الطبري:2/573: «أقام خالد في عمله سنة ومنزله الحيرة، يُصَعِّد ويُصَوِّب قبل خروجه إلى الشام، وأهل فارس يخلعون ويُمَلِّكون، ليس إلا الدفع عن بهرسير (العاصمة) وذلك أن شيرى بن كسرى قتل كل من كان يناسبه إلى كسرى بن قباذ، ووثب أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه فقتلوا كل من بين كسرى بن قباذ وبين بهرام جوار، فبقوا لا يقدرون على من يملكونه ممن يجتمعون عليه».

أقول: هذا نصٌّ في انشغال الفرس بصراعهم الداخلي، مدة وجود خالد في العراق، وهو يردُّ ما اخترعوه من وقعات وحروب خاضها خالد، وما كذبوه عن تحشيد الفرس لألوف مؤلفة لمواجهة خالد، حتى أنه قتل منهم في أمغيشيا سبعين ألفاً !

فلم يكن في العراق شرقي دجلة إلا بقايا حاميات فارسية، الى أن أرسل الفرس جيشاً بعد ذهاب خالد مباشرة فكانت معركة بابل، ثم جيشاً آخر فكانت معركة الجسر. وبعدها بأكثر من سنة معركة القادسية، وبعدها بسنتين كان فتح المدائن!

ولم يقم خالد إلا بغارات، وكان أكثرها على عاتق المثنى وقواته . وتلخص عمل خالد بعقد الصلح مع الدساكر المفتوحة على مبالغ، فأبرم صلحاً مع القُرَيَّات، وهي سكاكة وما حولها، وهي اليوم في السعودية، وكانت قديماً من العراق . ثم دخل الى الحيرة، ووقع مع حاكمها صلحاً وقبض المال.. وهكذا.

قال الطبري:2/551: «ثم كانت سنة اثنتي عشرة .. فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقريات من السواد يقال لها بانقيا وباروسما وألِّيس فصالحه أهلها . وكان الذي صالحه عليها ابن صلوبا، وذلك في سنة اثنتي عشرة، فقبل منهم خالد الجزية، وكتب لهم كتاباً فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد لابن صلوبا السوادي، ومنزله بشاطئ الفرات، إنك آمن بأمان الله إذ حقن دمه

بإعطاء الجزية، وقد أعطيت عن نفسك وعن أهل خرجك وجزيرتك، ومن كان في قريتيك بانقيا وباروسما، ألف درهم فقبلها منك ورضى من معي من المسلمين بها منك، ولك ذمة الله وذمة محمد (صلى الله عليه و آله) وذمة المسلمين على ذلك..

ثم أقبل خالد بن الوليد بمن معه حتى نزل الحيرة، فخرج إليه أشرافهم مع قبيصة بن إياس بن حية الطائي، وكان أمَّره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر فقال له خالد ولأصحابه: أدعوكم إلى الله والى الإسلام فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين لكم مالهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم . فقال له قبيصة بن إياس: ما لنا بحربك من حاجة، بل نقيم على ديننا ونعطيك الجزية . فصالحهم على تسعين ألف درهم، فكانت أول جزية وقعت بالعراق هي والقريات، التي صالح عليها ابن صلوبا ».

وفي معجم البلدان(4/335): «القريات، جمع تصغير القرية: من منازل طئ، قال أبو عبيد الله السكوني: من وادي القرى إلى تيماء أربع ليال، ومن تيماء إلى القريات ثلاث أو أربع، قال: والقريات دومة وسكاكة والقارة ».

وذكر المؤرخون عقود خالد العديدة مع مدن وقرى بمبالغ كبيرة وصغيرة، كان ينفق قسماً منها ويرسل قسماً الى أبي بكر .

قال الطبري:2/570: «كان الدهاقين يتربصون بخالد وينظرون ما يصنع أهل الحيرة، فلما استقام ما بين أهل الحيرة وبين خالد واستقاموا له، أتته دهاقين الملطاطين، وأتاه زاذ بن بهيش دهقان فرات سريا، وصلوبا بن نسطونا بن

بصبهرى..فصالحوه على ما بين الفلاليج إلى هرمزجرد على ألفى ألف..وأن للمسلمين ما كان لآل كسرى.. وكتب لهم كتاباً: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من خالد بن الوليد لزاذ بن بهيش وصلوبا بن نسطونا إن لكم الذمة وعليكم الجزية...وكتب سنة اثنتي عشرة في صفر».

فقد كان النظام الفارسي غائباً تماماً، وقد شن خالد غارات مباغتة على قرى ودساكر وقبائل وأسّر وسبى، وقتل صبراً، لكن ليس من الفرس بل من العرب خاصة التغلبيين، والمزارعين البابليين ! وسيأتي المزيد في ترجمة خالد .

لكن التاريخ الحكومي يغطي على سيئات خالد، ويخترع له حسنات !

ثم كانت معركة الجسر فاجعة على المسلمين

عندما تولى عمر بعث أبا عبيد بن مسعود الثقفي والياً على العراق، وهو أبو المختار الثقفي، الآخذ بثأر الحسين (عليه السلام) .

وقد جاهد أبو عبيد بإخلاص الى جانب المثنى رضي الله عنهما، فثبَّت ما تمَّ تحريره، وطرد الحاميات الفارسية الصغيرة والمتوسطة من الدساكر .

وذكر البلاذري (2/307) أن أبا عبيد دخل العراق بألف مقاتل، وخاض حرباً مع القائد الفارسي جابان في تستر، قال: «فلما صار بالعذيب بلغه أن جابان الأعجمي بتستر في جمع كثير، فلقيه فهزم جمعه وأسر منهم . ثم أتى درنى وبها جمع للعجم فهزمهم إلى كسكر، وسار إلى الجالينوس وهو بباروسما، فصالحه ابن الأندرزغر عن كل رأس على أربعة دراهم على أن ينصرف . ووجه أبو عبيد

المثنى إلى زندورد فوجدهم قد نقضوا فحاربهم فظفر وسبى . ووجه عروة بن زيد الخيل الطائي إلى الزوابي، فصالح دهقانها على مثل صلح باروسما » .

ويظهر أن هـذه المعارك كانت صـغيرة . لكن بعـد أكثر من سـنة من ولايته على العراق، أرسل رُسـتم القائد الفارسـي العام ونائب الملك، جيشاً، فكانت معركـة الجسـر، وانهزم المسـلمون فيها وخسـروا نحو أربعة آلاف رجل، واستشـهد أبو عبيد، ومسـعود أخ المثنى، وكثير من فرسان المسلمين . وكانت في شهر رمضان سنة 13هجرية، أي بعد ذهاب خالد بشهور .

قال البلاذري في فتوح البلـدان:2/308: «يوم قس النـاطف وهو يوم الجسـر.. بعث الفرس إلى العرب حين بلغهـا اجتماعهـا ذا الحـاجب مردان شاه، وكان أنوشروان لقبه بهمن لتبركه به، وسمي ذا الحاجب لأنه كان يعصب حاجبيه ليرفعهما عن عينيه كبراً، ويقال إن اسمه رستم . فأمر أبو عبيد بالجسـر فعُقد، وأعانه على عقده أهل بانقيا، ويقال إن ذلك الجسـر كان قديماً لأهل الحيرة يعبرون عليه إلى ضياعهم، فأصلحه أبو عبيد، وذلك أنه كان معتلاً مقطوعاً .

ثم عبر أبوعبيد والمسـلمون من المروحة على الجسر، فلقوا ذا الحاجب وهو في أربعة آلاف مدجج، ومعه فيل ويقال عدة فيلة، واقتتلوا قتالاً شديداً، وكثرت الجراحات وفشت في المسـلمين . فقال سليط بن قيس: يا أبا عبيد قد كنت نهيتك عن قطع هذا الجسر إليهم، وأشرت عليك بالإنحياز إلى بعض النواحي والكتاب إلى أمير المؤمنين بالإستمداد فأبيت ! وقاتل سليط حتى قتل .

ص: 138

وسأل أبو عبيـد: أين مقتل هذه الدابة ؟فقيل خرطومه، فحمل فضـرب خرطوم الفيل، وحمل عليه أبو محجن بن حبيب الثقفي فضـرب رجله فعلقها، وحمل المشركون فقتل أبو عبيد، ويقال إن الفيل برك عليه فمات تحته !

فأخـذ اللواء أخوه فقتل، فأخـذه ابنه جبر فقتل . ثم إن المثنى بن حارثـة أخذه ساعةً وانصـرف بالناس، وبعضـهم على حامية بعض (يحمون بعضـهم لينسحبوا) وقاتل عروة بن زيد الخيل يومئذ قتالاً شديداً عُدِل بقتال جماعة، وقاتل أبو زبيد الطائي الشاعر حميةً للمسلمين بالغربية، وكـان أتى الحيرة في بعض أموره وكان نصـرانياً.وأتى المثنى أليس فنزلها، وكتب إلى عمر بن الخطاب بالخبر مع عروة بن زيـد..وكانت وقعة الجسر يوم السبت في آخر شهر رمضان سنة ثلاث عشرة».

وفي الأغاني:19/10: «فقال أبو محجن الثّقفيّ يرثي أبا عبيد:

وأنّى تسدّت نحونا أم يوسفٍ *** ومن دون مسراها فيافٍ مجاهلُ

إلى فتية بالطَّفّ نيلت سراتهم *** وغودر أفراسٌ لهم ورواحلُ

وأضحى أبو جَبْرٍ خلاءً بيوته *** وقد كان يغشاها الضعاف الأرامل

وأضحى بنو عمرو لدى الجسر منهم *** إلى جانب الأبيات جودٌ ونائل

وما لمتُ نفسي فيهم غير أنها *** لها أجلٌ لم يأتها وهو عاجل

وما رمتُ حتى خرقوا بسلاحهم *** إهابي وجادت بالدماء الأباجل

وحتى رأيتُ مهرتي مزوَئِرة *** من النبل يدمى نحرها والشواكل

وما رحتُ حتى كنت آخر رائح *** وصُرّع حولي الصالحون الأماثل

مررت على الأنصار وسط رحالهم *** فقلت: ألا هل منكم اليوم قافل

وقرّبت رواحاً وكوراً ونمرقاً *** وغودر في ألّيس بكر ووائل

ألا لعن اللَّه الذين يسرّهم *** ردايَ وما يدرون ما اللهُ فاعل».

وفي معجم البلدان:2/140: «وعبر إلى عسكر الفرس وواقعهم، فكثروا على المسلمين ونكوا فيهم نكاية قبيحة، لم ينكوا في المسلمين قبلها ولا بعدها مثلها وقتل أبو عبيد (رحمة الله) وانتهى الخبر إلى المدينة، فقال حسان بن ثابت:

لقد عظمت فينا الرزية إننا *** جلادٌ على ريب الحوادث والدهر

على الجسر قتلى لهف نفسي عليهم *** فيا حسرتا ماذا لقينا من الجسر ».

وفي تاريخ الطبري:2/639: «وقعة القرقس، ويقال لها القس قس الناطف، ويقال لها الجسر، ويقال لها المروحة».

وجاء في روايات الطبري: «فأقبل بهمن جاذويه ومعه درفش كابيان راية كسرى، وكانت من جلود النمر، عرض ثمانية أذرع في طول اثنى عشر ذراعاً.. واستعمل رستم على حرب أبي عبيد بهمن جاذويه وهو ذو الحاجب ورد معه الجالنوس، ومعه الفيلة فيها فيل أبيض عليه النخل، وأقبل في الدهم وقد استقبله أبو عبيد حتى انتهى إلى بابل، فلما بلغه انحاز حتى جعل الفرات بينه وبينه فعسكر بالمروحة، ثم إن أبا عبيد ندم حين نزلوا به وقالوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر، فحلف ليقطعن الفرات إليهم وليُمَحِّصن ما صنع (إذ لم ينازلهم في بابل) فناشده سليط بن قيس ووجوه الناس وقالوا إن العرب لم تلق مثل جنود فارس مذ كانوا، وإنهم قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزهاء والعُدة بما لم يلقنا به أحد منهم، وقد نزلت منزلاً لنا فيه مجالٌ وملجأ ومرجع من فرة إلى كرة .

فقال: لا أفعل، جبنتَ والله ! وكان الرسول فيما بين ذي الحاجب وأبى عبيد مردانشاه الخصـي، فأخبرهم أن أهل فارس قد عيروهم فازداد أبو عبيد مَحْكاً ورد على أصـحابه الرأي وجَبَّنَ سـليطاً، فقال سـليط: أنا والله أجرأ منك نفساً، وقد أشـرنا عليك الرأي فستعلم! فقال أبو عبيد: بل نعبر إليكم..وعهـد أبو عبيـد إلى النـاس فقـال: إن قتلت فعلى النـاس جبر (ابنه) فـإن قتـل فعليكم فلان.. ثم قال إن قتل أبو القاسم فعليكم المثنى، ثم نهـد بالنـاس فعبروا وعبروا إليهم وعضـلت الأـرض بأهلها، وألحم الناس الحرب، فلما نظرت الخيول إلى الفيلـة عليها النخل، والخيل عليها التجافيف، والفرسان عليهم الشـعر، رأت شـيئاً منكراً لم تكن ترى مثله، فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم لم تقدم خيولهم، وإذا حملوا على المسـلمين بالفيلـة والجلاجـل فرقت بين كراديسـهم ولاـ تقوم لهـا الخيـل إلا على نفار ! وخزقهم الفرس بالنشاب، وعض المسـلمين الألـم، وجعلوا لا يصـلون إليهم، فترجل أبو عبيـد وترجل الناس ثم مشوا إليهم فصافحوهم بالسـيوف، فجعلت الفيلـة لا تحمل على جماعـة إلاـ دفعتهم، فنادى أبو عبيـد: احتوشوا الفيلـة وقطعوا بُطُنَها(أحزمتها)وأقلبوا عنها أهلها، وواثب هو الفيل الأبيض فتعلق ببطانه فقطعه ووقع الذين عليه . وفعل القوم مثل ذلك فما تركوا فيلاً إلا حطوا رحله وقتلوا أصـحابه . وأهوى الفيل لأبي عبيد فنفح مشـفره بالسيف، فاتقـاه الفيـل بيـده، وأبو عبيـد يتجرثمه فأصـابه بيـده فوقع فخبطه الفيـل وقام عليه، فلما بصـر الناس بأبي عبيـد تحت الفيل خشـعت أنفس بعضهـم(ارتعبوا)وأخذ اللواء الذي كان أمره بعده، فقاتل الفيل حتى تنحى عن أبي عبيد، فاجتره إلى

المسلمين وأحرزوا شلوه، وتجرثم الفيل فاتقاه الفيل بيده دأب أبى عبيد وخبطه الفيل وقام عليه، وتتابع سبعة من ثقيف كلهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت.

ثم أخذ اللواء المثنى، وهرب الناس.. وحاز المشركون المسلمين إلى الجسر وخشع ناس، فتواثبوا في الفرات فغرق من لم يصبر، وأسرعوا فيمن صبر وحمى المثنى وفرسان من المسلمين الناس ونادى: يا أيها الناس إنا دونكم فاعبروا على هينتكم ولا تدهشوا، فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب، ولا تغرقوا أنفسكم ! فعبروا الجسر..وعبر الناس وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس . وعبر المثنى وحمى جانبه فاضطرب عسكره ورامهم ذو الحاجب فلم يقدر عليهم . فلما عبر المثنى ارفضَّ عنه أهل المدينة، حتى لحقوا بالمدينة، وتركها بعضهم ونزلوا البوادي وبقى المثنى في قلة.. هلك يومئذ أربعة آلاف بين قتيل وغريق، وهرب ألفان، وبقى ثلاثة آلاف .

وأتى ذا الحاجب الخبر باختلاف فارس فرجع بجنده، وكان ذلك سبباً لارفضاضهم عنه، وجُرح المثنى وأثبت فيه حلق من درعه، هتكهن الرمح» .

أقول: أثرت هذه الخسارة على عمر بن الخطاب كثيراً، فلم يرسل أحداً الى العراق إلا بعد أكثر من سنة، فأرسل جرير بن عبد الله البجلي .

ثم ثأر المثنى في معركةالبويب لمعركة الجسر

نشط المثنى رضي الله عنه بعد معركة الجسر فأسَرَ قائدين من الفرس، واستغل خلافاً داخلياً بين الفرس، فوسع غاراته في وسط العراق وغربه وشرقه، وبسط

نفوذه على أكثر أجزائه، فاغتاظ لذلك الفرس وأرسلوا جيشاً أكبر من جيشهم السابق، وجمع المثنى جيشه من المسلمين، وبعض العرب النصارى .

والبويب: «نهر كان بالعراق موضع الكوفة، فمه عند دار الرزق، يأخذ من الفرات». (معجم البلدان:1/512).

قال ابن الأعثم:1/136: «دعا عمر بجرير بن عبد الله البجلي فقال له:ويحك يا جرير! إنا قد أصبنا بالمسلمين مصيبة عظيمة، والمثنى بن حارثة في وجه العدو غير أنه جريح لما به، فسر نحو العراق فعسى الله عز وجل أن يدفع شر هؤلاء الأعاجم وتخمد بك جمرتهم . قال: فسار جرير بن عبد الله من المدينة في سبع مائة رجل حتى صار إلى العراق فنزلها ».

ونزل جرير بقومه في أول العراق من جهة الحجاز وطلب من المثنى أن يأتيه، فدعاه المثنى للحضور اليه، لأن الفرس يستعدون للمعركة، وجرت بينهم مراسلات !

قال ابن الأعثم:1/136: «فسار جرير بن عبد الله من المدينة في سبع مائة رجل، حتى صار إلى العراق فنزلها، وبلغ ذلك المثنى بن حارثة الشيباني، فكتب إليه: أما بعد يا جرير فإنا نحن الذين أقدمنا المهاجرين والأنصار من بلدهم، وأقمنا نحن في نحر العدو نكابدهم ليلاً ونهاراً، وإنما أنت مدد لنا، فما انتظارك رحمك الله لا تصير إلينا؟ فصر إلينا وكثِّرنا بأصحابك...

قال فكتب إليه جرير: أما بعد فقد ورد كتابك عليَّ فقرأته وفهمته، فأما ما ذكرت أنك الذي أقدمت المهاجرين والأنصار إلى حرب العدو، فصدقت . وليتك لم تفعل ! وأما قولك: إن المهاجرين والأنصار لحقوا ببلدهم، فإنه لما قتل

أميرهم لحقوا بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وأما ما ذكرت أنك أقمت في نحر العدو فإنك أقمت في بلدك، وبلدك أحب إليك من غيره . وأما ما سألتني من المصير إليك، فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لم يأمرني بذلك، فكن أنت أميراً على قومك، وأنا أمير على قومي. والسلام ».

أقول: هذا يكشف عن استياء عمر من توغل المثنى في فتح العراق، وخوفه من حرب الفرس، خاصة بعد معركة الجسر !

لكن المثنى بن حارثة رضي الله عنه فرض عليهم الأمر الواقع، وأقنع جريراً أخيراً، فجاء ببني بجيلة وشارك في معركة البويب . وقاد المثنى المعركة خير قيادة، وكانت كما يقول ابن كثير بحجم معركة اليرموك، وحقق المثنى فيها النصر المبين للمسلمين وطارد بعدها جيش الفرس، ووسع غاراته الى الأهواز شرقاً، والى حدود سوريا غرباً.

وسيأتي بعض خبر البويب وقتل القائد الفارسي مهران، في ترجمة المثنى بن حارثة، وترجمة جرير بن عبد الله البجلي .

وفي الأخبار الطوال/114: «واجتمع عظماء فارس إلى بوران، فأمرت أن يتخير اثنا عشر ألف رجل من أبطال الأساورة وولت عليهم مهران بن مهروية الهمداني، فسار بالجيش حتى وافى الحيرة، وزحف الفريقان، بعضهم لبعض، ولهم زجل كزجل الرعد، وحمل المثنى في أول الناس، وكان في ميمنة جرير، وحملوا معه وثار العجاج، وحمل جرير بسائر الناس من الميسرة والقلب، وصدقتهم العجم القتال، فجال المسلمون جولة (أي انهزموا) فقبض المثنى على لحيته، وجعل ينتف ما تبعه منها من الأسف، ونادى: أيها الناس، إليَّ إليَّ، أنا

المثنى! فثاب المسلمون، فحمل بالناس ثانية، وإلى جانبه مسعود بن حارثة أخوه وكان من فرسان العرب، فقتل مسعود، فنادى المثنى: يا معشر المسلمين هكذا مصرع خياركم، إرفعوا راياتكم . وحض عدي بن حاتم أهل الميسرة، وحرض جرير أهل القلب، وذمرهم.. فحمل المسلمون على العجم حملة صدقوا الله فيها، وباشر مهران الحرب بنفسه وقاتل قتالا شديدا، وكان من إبطال العجم فقتل مهران، وذكروا أن المثنى قتله، فانهزمت العجم لما رأوا مهران صريعاً واتبعهم المسلمون.. ومضت العجم حتى لحقوا بالمدائن..فقال عروة بن زيد الخيل في ذلك:

هاجت لعروة دار الحي أحزانا *** واستبدلت بعد عبد القيس همدانا

وقد أرانا بها والشمل مجتمع *** إذْ بالنخيلة قتلى جندُ مهرانا

أيام سار المثنى بالجنود لهم *** فقتَّل القوم من رجل وركبانا

سما لأجناد مهران وشيعته *** حتى أبادهم مثنى ووحدانا

ما إن رأينا أميراً بالعراق مضى *** مثل المثنى الذي من آل شيبانا

إن المثنى الأميرُ القَرْمُ لا كذب *** في الحرب أشجع من ليث بخفانا

قالوا: ولما أهلك الله مهران ومن كان معه من عظماء العجم، استمكن المسلمون من الغارة في السواد، وانتقضت مسالح الفرس وتشتت أمرهم، واجترأ المسلمون عليهم، وشنوا الغارات ما بين سورا وكسكر والصراة، إلى الفلاليج والأستانات ».

ص: 145

أمر عمر المسلمين بالإنسحاب من العراق !

بعـد معركـة البويب، رتب الفرس وضـعهم الداخلي وملَّكوا يزدجرد عليهم، وسارعوا في العمل لرد اعتبارهم من هزيمة البويب، فحشدوا جيشـهم لحرب المسـلمين، وحركوا المزارعين من أهـل السواد من الفرس والعرب والبابليين، لينقضوا عهودهم مع المسـلمين، فاسـتجابوا لهم، وبعضهم فعل ذلك غضباً من اعتداءات خالد بن الوليد عليهم بالتقتيل والأسر والسبي!

فأرسـل عمر الى المثنى أن لا ـ يقـاوم الفرس، وأن يسـحب المسـلمين كلهم الى أطراف العراق ! وأرسل عمر سـعد بن أبي وقاص والياً على العراق، وأمره أن لا يـدخل الى العراق فخيَّم في منطقة زرود، وهي على حدود العراق من جهة الحجاز، وتبعد عن حائل نحو170كيلو متراً، وبقي فها سعد نحو ستة أشهر، وأرسل الى المثنى يؤكد عليه أمر عمر، ويأمره أن يأتيه بجيشه الى زرود !

قال ابن خليفة:87: «وتنازع جرير والمثنى بن حارثة الإمارة، فبعث عمر سعد بن مالك وكتب إليهما أن اسمعا له وأطيعا » .

ومعنى طاعتهما لسـعد: أن ينسحبا من العراق ويأتيا بقواتهما الى زرود ! وقد استاء المثنى والمسلمون من قرار عمر بالإنسحاب، وانتقد عدم دخول سعد الى العراق، وطلبه منه أن يأتيه الى زرود، وجرت بينهما مراسلات شبيهة بمراسلاته مع جرير !

وفي هذا الجو مات المثنى فجأة ! وقالوا إنه كان مجروحاً في معركة الجسر، وإن بعض حلقات الدرع دخلت في بدنه، فانتقضت عليه جراحه بعد شهور .

ثم قالوا إنه أوصى أخاه المعنَّى وزوجته سلمى أن يذهبا الى سعد ويبلغاه وصيته بتنفيذ قرار عمر ! فذهبا اليه، وخطب سعد سلمى أرملة المثنى وتزوجها، وأمَّر أخاه المُعَّنى مكانه . وسنناقش ظروف موت المثنى في ترجمته رضي الله عنه .

وبعد وفاة المثنى نشط الفرس في الإستعداد لمعركة القادسية، وكانت معركتها في آخر سنة ستة عشر، أي بعد نحو سنة وأشهر من معركة الجسر، وبعد أقل من سنة من معركة البويب . (البلاذري:2/314) .

ثم كانت معركة القادسية حاسمة في فتح العراق

1. حشد الفرس قواتهم في القادسية قرب الكوفة، وكانوا ستين ألف جندي، وقيل مائة وعشرون ألفاً، واستعادوا السيطرة على أكثر المناطق التي حررها المسلمون، فأخضعوها لهم . والنص التالي يصور جو الموجة الفارسية .

قال الطبري:3/25: «دعا رستم أهل الحيرة، وسرادقه إلى جانب الدير، فقال: يا أعداء الله فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا، وكنتم عيوناً لهم علينا وقويتموهم بالأموال . فاتقوه بابن بقيلة وقالوا له كن أنت الذي تكلمه، فتقدم فقال: أما أنت وقولك إنا فرحنا بمجيئهم، فماذا فعلوا وبأي ذلك من أمورهم نفرح؟ إنهم ليزعمون أنا عبيد لهم وما هم على ديننا،وإنهم ليشهدون علينا أنا من أهل النار. وأما قولك إنا كنا عيوناً لهم، فما الذي يحوجهم إلى أن نكون عيوناً لهم وقد هرب أصحابكم منهم، وخلوا لهم القرى فليس يمنعهم أحد من وجه أرادوه، إن شاؤوا أخذوا يميناً أو شمالاً.

وأما قولك إنا قويناهم بالأموال فإنا صانعناهم بالأموال عن أنفسنا إذ لم تمنعونا مخافة أن نُسبى وأن نُحْرَب وتُقتل مقاتلتنا، وقد عجز منهم من لقيهم منكم فكنا نحن أعجز . ولعمري لأنتم أحب إلينا منهم وأحسن عندنا بلاءً، فامنعونا منهم نكن لكم أعواناً،فإنما نحن بمنزلة علوج السواد عبيد من غلب . فقال رستم: صدقكم الرجل ».

وقال ابن كثير في النهاية(7/35):«واستوثقت الممالك له (يزدجرد) واجتمعوا عليه وفرحوا به وقاموا بين يديه بالنصر أتم قيام واستفحل أمره فيهم، وقويت شوكتهم به، وبعثوا إلى الأقاليم والرساتيق فخلعوا الطاعة للصحابة ونقضوا عهودهم وذممهم! وبعث الصحابة إلى عمر بالخبر، فأمرهم عمر أن يتبرزوا من بين ظهرانيهم».أي أمر المسلمين أن يخرجوا من العراق ويبرزوا الى بادية الحجاز !

2. في مروج الذهب:1/118: «كان الفرات، الأكثر من مائه ينتهي إلى بلاد الحِيرةِ ونهرها بين الى هذا الوقت، وهو يعرف بالعتيق، وعليه كانت وقعة المسلمين مع رُستُم وهي وقعة القادسية، فيصب في البحر الحبشي(الخليج) وكان البحر حينئذ في الموضع المعروف بالنّجَف في هذا الوقت، وكانت تقدم هناك سفن الصين والهند، ترِد إلى ملوك الحيرة ».

أقول: معناه أن معركة القادسية كانت قرب مدينة النجف الأشرف، وأن الوادي المسمى اليوم بحر النجف، كان خليجاً متصلاً بالبصرة والخليج، تبْحرفيه السفن !

وفي تاريخ الطبري:3/24، و28: «وأمر الجالنوس حتى قدم الحيرة، فمضى واضطرب فسطاطه بالنجف..فلما دنا رستم ونزل النجف بعث سعد الطلائع».

3. في مروج الذهب:2/312: «فالتقى جيش المسلمين وجيش الفرس وعليهم رستم، والمسلمون يومئذ في ثمانية وثلاثين ألفاً، وقيل: إن من أُسْهِمَ له ثلاثون ألفاً، والمشركون في ستين ألفاً، أمام جيوشهم الفيلة عليها الرجال ».

وقال خليفة بن خياط/89: «كان رستم في ستين ألفاً من أخص ديوانه، والمسلمون ستة آلاف أو سبعة...عن إبراهيم قال: كانوا ما بين الثمانية آلاف إلى التسعة آلاف، وجاءهم قدر ألفين، فأقاموا قدر شهر لا يلقاهم العدو » .

وفي تاريخ الطبري:3/26: «وجعلت السرايا تطوف ورستم بالنجف، والجالنوس بين النجف والسيلحين، وذو الحاجب بين رستم والجالنوس والهرمزان ومهران على مجنبتيه، والبيرزان على ساقته، وزاذ بن بهيش صاحب فرات سريا على الرجالة، وكنارى على المجردة . وكان جنده مائة وعشرين ألفاً، ستين ألف متبوع، مع الرجل الشاكري، ومن الستين ألفاً خمسة عشر ألف شريف متبوع، وقد تسلسلوا وتقارنوا (ربطوا بعضهم ببعض) لتدور عليهم رحى الحرب ».

وروى ابن أبي شيبة (8/14و:7/718) أن النخعيين كانوا في القادسية ألفين وأربع مئة: «كنت لا تشاء أن تسمع يوم القادسية: أنا الغلام النخعي، إلا سمعته ».

«فقال عمر: ما شأن النخع أصيبوا من بين سائر الناس، أفرَّ الناس عنهم؟ قالوا:لا، بل وُلُّوا عِظَم الأمر وحدهم».(ابن أبي شيبة: 8/14، والإصابة:1/196).

وفي تاريخ الطبري:3/76: «عن عبد الرحمن بن الأسود النخعي، عن أبيه قال: شهدت القادسية، فلقد رأيت غلاماً منا من النخع يسوق ستين أو ثمانين رجلاً من أبناء الأحرار، فقلت: لقد أذلَّ الله أبناء الأحرار » !

ص: 149

وفي تاريخ الطبري: 3/82، أنهم هاجروا من اليمن مع عوائلهم، وزوجوا سبع مائة من بناتهم إلى المسلمين، خاصة الأنصار . (ونحوه تاريخ دمشق: 65/100).

وفي المنتظم لابن الجوزي:4/174: «لما اجتمع الناس بالقادسية دعت خنساء بنت عمرو النخعية بنيها الأربعة فقالت: يا بنيَّ، إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم، والله ما نبَتْ بكم الدار ولا أقحمتكم السنة، ولا أرداكم الطمع.

والله الَّذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنتُ أباكم ولا فضحت خالكم، ولا عَمَوْتُ نسبكم ولا أوطأت حريمكم ولا أبحت حماكم .فإذا كان غداً إن شاء الله فاغدوا لقتال عدوكم مستنصرين الله مستبصرين. فإذا رأيتم الحرب قد أبدت ساقها وقد ضربت رواقها فتيمموا وطيسها، وجالدوا خميسها، تظفروا بالمغنم والسلامة والفوز والكرامة في دار الخلد والمقامة». ثم ذكر انصرافهم الى المعركة، ورجزهم، وقتالهم .

والظاهر أن عدد قوات المسلمين كان أكثر من عشرة آلاف، منهم ألفان وأربع مئة من النخعيين جماعة مالك الأشتر رضي الله عنه، وكان ثقل القتال عليهم . وفي نفس الوقت كان نخبة من النخع مع الأشتر في اليرموك، فقد طارد الروم في جبال تركيا بعد المعركة، ومعه ثلاث مائة فارس من قومه النخعيين ! (الكلاعي:3/273).

من وصف معركة القادسية

1. رووا أن عمر كتب الى سعد بن أبي وقاص أن يرسل قبل المعركة وفداً الى يزدجرد يدعونه الى الإسلام، ففي الطبري(3/14): «وابعث إليه رجالاً من أهل المنظرة والرأي والجلد، يدعونه، فإن الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم وفلجاً..

جمع نفراً عليهم نجار ولهم آراء، ونفراً لهم منظر وعليهم مهابة ولهم آراء . فأما الذين عليهم نجار ولهم آراء ولهم اجتهاد، فالنعمان بن مقرن، وبسر بن أبي رهم، وحملة بن حوية الكناني، وحنظلة بن الربيع التميمي، وفرات بن حيان العجلي، وعدي بن سهيل، والمغيرة بن زرارة بن النباش بن حبيب .

وأما من لهم منظر لأجسامهم وعليهم مهابة ولهم آراء، فعطارد بن حاجب، والأشعث بن قيس، والحارث بن حسان، وعاصم بن عمرو، وعمرو بن معدي كرب، والمغيرة بن شعبة، والمعنى بن حارثة، فبعثهم دعاة إلى الملك..

قدموا المدائن احتجاجاً ودعاة ليزدجرد، فطووا رستم حتى انتهوا إلى باب يزدجرد، فوقفوا على خيول عروات معهم جنائب ولها صهال، فاستأذنوا فحبسوا، وبعث يزدجرد إلى وزرائه ووجوه أرضه يستشيرهم فيما يصنع بهم ويقوله لهم . وسمع بهم الناس فحضروهم ينظرون إليهم وعليهم المقطعات والبرود، وفي أيديهم سياط دقاق، وفي أرجلهم النعال . فلما اجتمع رأيهم أذن لهم فأدخلوا عليه... فلم أر عشرة قط يعدلون في الهيئة بألف غيرهم، وخيلهم تخبط ويوعد بعضها بعضاً، وجعل أهل فارس يسوؤهم ما يرون من حالهم وحال خيلهم، فلما دخلوا على يزدجرد أمرهم بالجلوس وكان سئ الأدب، فكان أول شئ دار بينه وبينهم أن أمر الترجمان بينه وبينهم فقال: سلهم ما يسمون هذه الأردية؟ فسأل النعمان وكان على الوفد: ما تسمى رداءك؟ قال: البُرد، فتطير وقال بردجهان ! وتغيرت ألوان فارس وشق ذلك عليهم . ثم قال: سلهم عن أحذيتهم؟ فقال: ما تسمون هذه الأحذية؟ فقال: النعال، فعاد

لمثلها فقال: ناله ناله في أرضنا. ثم سأله عن الذي في يده؟ فقال سوط، والسوط بالفارسية الحريق ! فقال أحرقوا فارس أحرقهم الله...

ثم قال الملك: سلهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا، أمن أجل أنا أجممناكم وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟!

فقال لهم النعمان بن مقرن: إن شئتم أجبت عنكم ومن شاء آثرته، فقالوا: بل تكلم، وقالوا للملك: كلام هذا الرجل كلامنا، فتكلم النعمان فقال: إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يدلنا على الخير ويأمرنا به، ويعرفنا الشر وينهانا عنه، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة، فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين فرقة تقاربه وفرقة تباعده ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب وبدأ بهم وفعل، فدخلوا معه جميعاً على وجهين مكره عليه فاغتبط، وطائع أتاه فازداد، فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق . ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسَّن الحسن وقبَّح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه: الجزاء . فإن أبيتم فالمناجزة . فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله، وأقمناكم عليه أن تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن أتقيمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم.

قال: فتكلم يزدجرد فقال: إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً، ولا أسوأ ذات بين منكم . قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفوناكم

لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم . فإن كان عددكم كثر فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم، وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم .

فأسكت القوم، فقال المغيرة بن زرارة بن النباش الأسيدي: أيها الملك إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم، وهم أشراف يستحيون من الأشراف، وإنما يكرم الأشراف الأشراف، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف، ويفخم الأشراف الأشراف، وليس كل ما أرسلوا به جمعوه لك، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك .

فجاوبني لأكون الذي أبلغك ويشهدون على ذلك، إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً، فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا . وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات، فنرى ذلك طعامنا ! وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم . ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً، ويغير بعضنا على بعض، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا، فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك، فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً، نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده، فأرضه خير أرضنا وحسبه خير أحسابنا، وبيته أعظم بيوتنا وقبيلته خير قبيلتنا، وهو بنفسه كان خيرنا، في الحال التي كان فيها أصدقنا وأحلمنا فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد أول من ترب كان له، وكان الخليفة من يعده، فقال وقلنا وصدق وكذبنا وزاد ونقصنا، فلم يقل شيئاً إلا

كان، فقـذف الله في قلوبنا التصـديق له واتباعه، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين فما قال لنا فهو قول الله، وما أمرنا فهو أمر الله، فقال لنا إن ربكم يقول إني أنا الله وحدي لا شـريك لي، كنت إذ لـم يكن شـئ، وكل شـئ هالك إلا وجهي، وأنا خلقت كل شـئ وإليَّ يصير كل شئ، وإن رحمتي أدركتكم فبعثت إليكم هـذا الرجل لأدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعـد الموت من عذابي، ولأحلكم داري دار السـلام . فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق.

وقال: من تابعكم على هـذا فله ما لكم وعليه ما عليكم، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية، ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسـكم، ومن أبى فقاتلوه فأنا الحكم بينكم،فمن قتل منكم أدخلته جنتي ومن بقى منكم أعقبته النصر على من ناوأه.

فاختر إن شـئت الجزية عن يد وأنت صاغر، وإن شئت فالسيف أو تسلم فتنجي نفسك ! فقال أتستقبلني بمثل هذا؟!فقال:ما استقبلت إلا من كلمني ولو كلمني غيرك لم أستقبلك به .

فقال: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم، لا شئ لكم عندي! فقال: إئتوني بوقر من تراب، فقال: إحملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن . إرجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أني مرسل إليكم رسـتم حتى يدفنكم ويدفنه في خندق القادسـية، وينكل به وبكم من بعد، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور .

ثم قال: من أشـرفكم؟ فسـكت القوم، فقال عاصم بن عمرو وافتأت(كذب) ليأخذ التراب:أنا أشـرفهم، أنا سـيد هؤلاء فحملنيه، فقال: أكذاك فقالوا: نعم،

ص: 154

فحمله على عنقه، فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته فحمله عليها، ثم انجذب في السير، فأتوا به سعداً وسبقهم عاصم، فمر بباب قديس فطواه فقالوا بشروا الأمير بالظفر ظفرنا إن شاء الله . ثم مضى حتى جعل التراب في الحجر، ثم رجع فدخل على سعد فأخبره الخبر فقال: أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم ».

ورووا ضمن هذه الرواية عن المغيرة بن شعبة، أنه قال: «لعلنا لا نزيد على سبعة آلاف أو نحو من ذلك، والمشركون ثلاثون ألفاً أو نحو ذلك، فقالوا لنا: لايدين لكم ولا- قوة ولا- سلاح، ما جاء بكم، إرجعوا . قال قلنا: لا نرجع وما نحن براجعين، فكانوا يضحكون من نبلنا ويقولون: دوك دوك، ويشبهونها بالمغازل !قال: فلما أبينا عليهم أن نرجع قالوا: إبعثوا إلينا رجلاً منكم عاقلاً يبين لنا ما جاء بكم، فقال المغيرة بن شعبة أنا، فعبر إليهم فقعد مع رستم على السرير فنخروا وصاحوا، فقال: إن هذا لم يزدني رفعة ولم ينقص صاحبكم ! قال رستم: صدقت، ما جاء بكم؟ قال: إنا كنا قوماً في سوق ضلالة، فبعث الله فينا نبياً فهدانا الله به ورزقنا على يديه، فكان مما رزقنا حبةً تنبت بهذا البلد فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا لا صبر لنا عن هذه، أنزلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحبة . فقال رستم: إذا نقتلكم ! فقال: إن قتلتمونا دخلنا الجنة وإن قتلناكم دخلتم النار، وأديتم الجزية . قال فلما قال أديتم الجزية نخروا وصاحوا، وقالوا: لاصلح بيننا وبينكم ! فقال المغيرة: تعبرون إلينا أو نعبر إليكم؟ فقال رستم بل نعبر إليكم ».

ص: 155

أقول: من المؤكد أن هرقل وقادة جيشه، ويزدجرد ورستماً وقادة الفرس كانوا يطلبون إرسال موفد أو موفدين، ليعرفوا منهم حقيقة مطلب العرب .

وقد أرسل سعد بن أبي وقاص وغيره من قادة الجيش الإسلامي موفدين الى يزدجرد في المدائن، والى رستم في مقر قيادته، والى هرقل وقادة جيشه .

لكن رواياتهم تركز على شكل الموفدين وكلامهم العنيف الذي فيه تحدٍّ للفرس والروم، وبعضه عنتريات فارغة، وبعضه كلامٌ منطقي ودعوة الى الإسلام .

لذلك نتحفظ على نصوصها لأن الراوي يريد إثبات فضيلة لشخصيات السلطة كالمغيرة والأشعث وخالد، ويطمس دور سلمان الفارسي رضي الله عنه، مع أنه أولى بمفاوضة الفرس، وأكفأ من هؤلاء، ولهذا عينه عمر داعية المسلمين ورائدهم .

كما نلاحظ في رواية الوفد الى يزدجرد، أنها متأثرة برواية رسالة النبي (صلى الله عليه و آله) الى كسرى عندما مزق رسالة النبي (صلى الله عليه و آله)، وحمَّل الرسول كيس تراب !

2. قال الحموي في معجم البلدان:4/292، و:1/225: «القادسية كانت أربعة أيام: فسموا الأول يوم أرماث، واليوم الثاني يوم أغواث، واليوم الثالث يوم عماس، وليلة اليوم الرابع ليلة الهرير واليوم الرابع سموه يوم القادسية..وفيه كان الفتح على المسلمين، ولا أدري أهذه الأسماء مواضع أم هي من الرمث والغوث والعمس». والرمث نبات . والغوث بمعنى مجئ المدد للمسلمين ولعله مدد هاشم المرقال الآتي من اليرموك . والعمس والمعس، بمعنى معك العدو ودلكه ودعسه .

3. وبقي الجيشان قبل المعركة أربعة أشهر، وكانوا في هذه المدة يسرقون ويأكلون ! قال الطبري(3/26): «وارتحل رستم فنزل النجف، وكان بين خروج رستم من

المـدائن وعسـكرته بسابـاط، وزحفه منهـا إلى أن لقى سـعداً أربعـة أشـهر، لاـ يقـدم ولا يقاتل، رجاء أن يضـجروا بمكانهم وأن يجهـدوا، فينصرفوا».

وقال البلاذري: (2/213): «وأقبل رسـتم وهو من أهل الري، ويقال بل هو من أهل همذان فنزل برس. ثم سار فأقام بين الحيرة والسـيلحين أربعة أشـهر، لا يقدم على المسـلمين ولا يقاتلهم، والمسـلمون معسـكرون بين العذيب والقادسـية. وقدم رستم ذا الحاجب فكان معسكراً بطيزناباذ، وكان المشركون زهاء مئة ألف وعشرين ألفاً ومعهم ثلاثون فيلاً، ورايتهم العظمى التي تدعى درفشكابيان . وكان جميع المسلمين ما بين تسـعة آلاف إلى عشـرة آلاف، فإذا احتاجوا إلى العلف والطعام أخرجوا خيولاً في البر، فأغارت على أسفل الفرات، وكان عمر يبعث إليهم من المدينة الغنم والجُزُر » .

وقال الطبري (3/13): «وبعث سـعد في مقامه ذلك إلى أسـفل الفرات عاصم بن عمرو، فسار حتى أتى ميسان فطلب غنماً أو بقراً فلم يقدر عليها، وتحصن منه من في الأفـدان ووغلوا في الآجام، ووغل حتى أصاب رجلاً على طف أجمة فسأله واسـتدله على البقر والغنم فحلف له وقال: لا أعلم، وإذا هو راعي ما في تلك الأجمة، فصاح منها ثور: كذب والله وها نحن أولاء، فدخل فاسـتاق الثيران وأتى بها العسكر فقسم ذلك سعد على الناس، فأخصبوا أياماً.. وبث الغارات بين كسكر والأنبار فحووا من الأطعمة ما كانوا يستكفون به زماناً ».

ص: 157

وقد رافق حروب الفتح كثير من هذه الأعمال، فكان القادة يغصبون ويأكلون ويطعمون جنودهم، والمسروق منهم محايدون أو معاهدون، وقلما يكونون محاربين، لأن المسلمين كتبوا عهود الصلح مع هؤلاء السكان الذين سرقوا أبقارهم !

ولم يكتف السارق بالسرقة، حتى ادعى أن الثيران كلمته ودعته الى أكلها !

وبهذا تعرف تقوى المثنى وأبي عبيد الثقفي رضي الله عنهما، في مطعمهما ومطعم جنودهما . وكان قلة من الجنود على مثلهما لايأكلون من المغصوب !

أما القادة الفرس فكان سلوكهم أسوأ، لكنهم يتصورون أن المسلمين كلهم أتقياء !

قال الطبري(3/24): «وخرج رستم من كوثى حتى نزل ببرس، فغصب أصحابه الناس أموالهم ووقعوا على النساء وشربوا الخمور، فضج العلوج إلى رستم وشكوا إليه ما يلقون في أموالهم وأبنائهم، فقام فيهم فقال: يا معشر أهل فارس والله لقد صدق العربي، والله ما أسلمَنا إلا أعمالنا، والله لَلعرب في هؤلاء وهم لهم ولنا حرب، أحسن سيرة منكم ! إن الله كان ينصركم على العدو، ويمكن لكم في البلاد، بحسن السيرة وكف الظلم، والوفاء بالعهود والإحسان . فأما إذا تحولتم عن ذلك إلى هذه الأعمال، فلا أرى الله إلا مغيراً ما بكم، وما أنا بآمن أن ينزع الله سلطانه منكم ! وبعث الرجال فلقطوا له بعض من يشكى، فأتى بنفر فضرب أعناقهم ».

4. روى الطبري:3/43، أن يزجرد اخترع في القادسية بريداً جديداً: «وكان يزدجرد وضع رجلاً على باب إيوانه إذ سرَّح رُستم وأمره بلزومه وإخباره، وآخر حيث يسمعه من الدار، وآخر خارج الدار وكذلك على كل دعوة رجلاً . فلما نزل

رستم قال الذي بساباط: قد نزل، فقاله الآخر، حتى قاله الذي على باب الإيوان ! وجعل بين كل مرحلتين على كل دعوة رجلاً، فكلما نزل وارتحل أو حدث أمر، قاله فقاله الذي يليه حتى يقوله الذي يلي باب الإيوان ! فنظَم ما بين العتيق والمدائن رجالاً، وترك البُرُد ».

أي ترك البريد العادي ورتب رجالاً يوصلون له البريد بالصوت . والعتيق واد ومغيض للفرات قرب القادسية، وهو بحر النجف . (معجم البلدان:4/292).

5. قال الطبري:3/42: «ولما عبر أهل فارس أخذوا مصافهم، وجلس رستم على سريره وضرب عليه طيارة (كالشمسية)وعبأ في القلب ثمانية عشر فيلاً عليها الصناديق والرجال، وفي المجنبتين ثمانية وسبعة عليها الصناديق والرجال، وأقام الجالنوس بينه وبين ميمنته، والبيرزان بينه وبين ميسرته، وبقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين وخيول المشركين..(وروي في المجنبين خمسة عشرفيلاً) وأخذ المسلمون مصافهم، وجعل(سعد)زهرة وعاصم بين عبد الله وشرحبيل، ووكل صاحب الطلائع بالطراد، وخلط بين الناس في القلب والمجنبات، ونادى مناديه: ألا إن الحسد لا يحل إلا على الجهاد في أمر الله . يا أيها الناس، فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد ».

وقال البلاذري (2/316): «ثم إن علّافة المسلمين، وعليها زهرة بن حوية بن عبد الله بن قتادة التميمي ثم السعدي..لقيَت خيلاً للأعاجم، فكان ذلك سبب الوقعة . أغاثت الأعاجم خيلها وأغاث المسلمون علافتهم، فالتحمت الحرب بينهم، وذلك بعد الظهر، وحمل عمرو بن معدى كرب الزبيدي فاعتنق عظيماً

من الفرس فوضـعه بين يديه في السرج وقال: أنا أبو ثور، إفعلوا كذا ! ثم حطم فيلاً من الفيلة وقال: إلزموا سيوفكم خراطيمها، فإن مقتل الفيل خرطومه» .

6. «فلما رأى أهل فارس ماتلقى الفيلـة من كتيبـة أسد، رموهم بحدهم وبدروا المسـلمين الشدة، عليهم ذو الحاجب والجالنوس..ثم نادى في رجـال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافـة(خبرة بتثقيف السـهام وبريها) فقال لهم: يا معشـر الرماة ذبوا ركبان الفيلـة عنهم بالنبل. وقال: يا معشـر أهـل الثقافـة إسـتدبروا الفيلـة فقطعوا وضـنها (أحزمتها). وخرج يحميهم والرحى تـدور على أسـد، وقـد جالت (انهزمت) الميمنة والميسرة غير بعيد، وأقبل أصحاب عاصم على الفيلة فأخذوا بأذنابها وذباذب توابيتها فقطعوا وضنها وارتفع عواؤها فما بقى لهم يومئذ فيل إلا أعرى وقتل أصـحابها، وتقابل الناس ونُفِّسَ عن أسد، وردوا فارساً عنهم إلى مواقفهم، فاقتتلوا حتى غربت الشمس، ثم حتى ذهبت هدأة من الليل ثم رجع هؤلاء وهؤلاء وأصـيب من أسد تلك العشـية خمس مائة، وكانوا ردءً للناس، وكان عاصم عادية الناس وحاميتهم، وهذا يومها الأول وهو يوم أرماث» . (الطبري:3/50).

7. قال الطبري:1/51 : «ولما أصبح القوم من الغد أصبحوا على تعبية، وقد وكل سعد رجالاً بنقل الشهداء إلى العذيب، ونقل الرثيث.. فلما اسـتقلت بهم الإبل وتوجهت بهم نحو العذيب، طلعت نواصي الخيل من الشام.. وهم ستة آلاف خمسة آلاف من ربيعة ومضر، وألف من أفناء اليمن ومن أهل الحجاز، وأمَّر

عليهم هـاشم بن عتبـة بن أبي وقاص..فقـدم على النـاس صبيحـة يوم أغواث وجعلت خيله ترد قِطعاً ومازالت ترد إلى الليل، وتَنَشَّطَ الناس وكأن لم يكن بالأمس مصـيبة...فاجتلدوا بها حتى المساء، فلم ير أهل فارس في هذا اليوم شـيئاً مما يعجبهم، وأكثر المسـلمون فيهم القتل ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل! كانت توابيتها تكسرت بالأمس فاستأنفوا علاجها حين أصبحوا».

8. «فأقبـل هاشم (المرقال) حتى إذا خالط القلب كبَّر فكبر المسـلمون، وقـد أخـذوا مصافهم وقال هاشم: أول القتال المطاردة ثم المراماة فأخـذ قوسه فوضع سـهماً على كبدها ثم نزع فيها..وأقبلت الفيلة معها الرجالة يحمونها أن تقطع وضـنها، ومع الرجالة فرسان يحمونهم، إذا أرادوا كتيبـة دلفوا لهـا بفيـل واتباعه لينفروا بهم خيلهم، فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس لأن الفيل إذا كان وحـده ليس معه أحـد كان أوحش، وإذا أطـافوا به كان آنس فكان القتال كـذلك، حتى عـدل النهار وكان يوم عماس من أوله إلى آخره شديـداً، العرب والعجم فيه على السواء، ولا يكون بينهم نقطـة إلا تعاورها الرجال بالأصوات، حتى تبلغ يزدجرد فيبعث إليهم أهل النجـدات ممن بقى عنـده فيقوون بهم» (الطبري:3/59).

«قدم هاشم في أهل العراق من الشام فتعجل في أناس ليس معه أحد من غيرهم إلا نفير، منهم ابن المكشوح، فلما دنا تعجل في ثلاث مائة فوافق الناس وهم على مواقفهم، فدخلوا مع الناس في صفوفهم » . (تاريخ الطبري:3/60).

« أن قيس بن المكشوح قال مقدمه من الشام مع هاشم، وقام فيمن يليه فقال لهم: يا معشـر العرب إن الله قد من عليكم بالإسلام، وأكرمكم بمحمد (صلى الله عليه و آله)

أصبحتم بنعمة الله إخواناً، دعوتكم واحدة وأمركم واحد، بعد إذ أنتم يعدو بعضكم على بعض عدو الأسد، ويختطف بعضكم بعضاً اختطاف الذئاب، فانصروا الله ينصركم، وتنجزوا من الله فتح فارس، فإن إخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام، وانتثال القصور الحمر». (تاريخ الطبري:3/61).

9. «قال عمرو بن معدي كرب: إني حامل على الفيل ومن حوله، لفيل بإزائهم فلا تدعوني أكثر من جزر جزور، فإن تأخرتم عني فقدتم أبا ثور فأنى لكم مثل أبي ثور، فإن أدركتموني وجدتموني وفي يدي السيف! فحمل فما انثنى حتى ضرب فيهم وستره الغبار، فقال أصحابه: ما تنتظرون ما أنتم بخلقاء أن تدركوه، وإن فقدتموه فقد المسلمون فارسهم! فحملوا حملة فأفرج المشركون عنه بعد ماصرعوه وطعنوه وإن سيفه لفي يده يضاربهم، وقد طعن فرسه! فلما رأى أصحابه وانفرج عنه أهل فارس، أخذ برِجل فرس رجل من أهل فارس فحركه الفارسي فاضطرب الفرس، فالتفت الفارسي إلى عمرو فهمَّ به وأبصره المسلمون فغشوه، فنزل عنه الفارسي وحاضر(ركض) إلى أصحابه، فقال عمرو: أمكنوني من لجامه، فأمكنوه من فركبه». (تاريخ الطبري:3/61).

أقول:حمل عمرو بن معدي كرب مثل هذه الحملة في نهاوند وغاص في وسط جيش الفرس، ويظهر أن المسلمين تأخروا عن نجدته، فأدركوه وقد استشهد رضي الله عنه!

10. « أنس بن الحليس قال: شهدت ليلة الهرير فكان صليل الحديد فيها كصوت القُيُون (الحدادين) ليلتهم حتى الصباح، أفرغ عليهم الصبر إفراغاً..

ص: 162

وأصـبحوا ليلة القادسـية وهي صبحة ليلة الهرير.. والناس حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها ! فسار القعقاع في الناس فقال: إن الدبرة بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبروا ساعة واحملوا، فإن النصر مع الصبر فآثروا الصبر على الجزع.. فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الـذين دونه.. وقام في ربيعة رجال فقالوا: أنتم أعلم الناس بفارس وأجراهم عليهم.. فكان أول من زال حين قام قائم الظهيرة الهرمزان والبيرزان فتـأخرا وثبتا حيث انتهيا، وانفرج القلب حين قام قائم الظهيرة وركـد عليهم النقع، وهبت ريـح عاصف فقلعت طيارة رسـتم (شبيه المظلة) عن سـريره فهوت في العتيق وهي دبور(شـمالية) ومال الغبار عليهم..وقام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة إلى بغال قد قدمت عليه بمال يومئـذ فهي واقفـة، فاسـتظل في ظل بغل وحِمله، وضـرب هلال بن علفـة الحمل الذي رسـتم تحته فقطع حباله، ووقع عليه أحد العـدلين ولا يراه هلال ولا يشـعر به، فأزال من ظهره فقاراً..ومضـى رسـتم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه، واقتحمه هلال عليه فتناوله وقـد عام وهلال قائم، فأخذ برجله، ثم خرج به إلى الجد فضرب جبينه بالسيف حتى قتله، ثم جاء به حتى رمى به بين أرجل البغال، وصعد السرير ثم نادى قتلت رسـتم ورب الكعبة إليَّ اليَّ، فأطافوا به وما يحسون السـرير ولا يرونه وكبروا وتنادوا، وانبثَّ قلب المشركين عندها وانهزموا . وقام الجـالنوس على الردم، ونـادى أهـل فارس إلى العبور وانسـفر الغبار . فأما المقترنون فإنهم جشـعوا فتهافتوا في العتيق، فوخزهم المسـلمون برماحهم، فما أفلت منهم مخبر، وهم ثلاثون ألفاً .

ص: 163

وأخذ ضرار بن الخطاب درفش كابيان (راية الفرس المرصعة المقدسة) فعُوِّض منها ثلاثين ألفاً، وكانت قيمتها ألف ألف ومائتي ألف .

وقتلوا في المعركـة عشـرة آلاف سوى من قتلوا في الأيام قبله...أصـيب من الناس قبل ليلـة الهرير ألفان وخمس مائة، وقتل ليلة الهرير ويوم القادسية ستة آلاف من المسلمين، فدفنوا في الخندق بحيال مشرق ». (تاريخ الطبري:3/67-69).

أقول:ورد في نصوص القادسـية ذكر سـعد بن أبي وقاص وكأنه كان حاضراً في المعركة مع أنه كان في قصر العذيب الذي يبعد ستة أميال عن المعركة، كما يأتي في ترجمته !

كما ورد ذكر ضـرار بن الأزور في معركة القادسـية وفيما بعدها، مع أنه قتل في معركة اليمامة التي كانت قبل القادسـية بسنين ! لكنهم أخذوا بطولة غيرهما ونسبوها اليهما!

11. من نماذج القتال في القادسية، ما رواه الدينوري في الأخبار الطوال/119: «وبرز النخارجان فنادى، مرد ومرد، أي رجل ورجل ! فخرج إليه زهير بن سـليم أخو مخنف بن سـليم الأزدي، وكان النخارجان سـميناً بـديناً جسـيماً، وزهير رجلاً مربوعاً شديد العضدين والساعدين، فرمى النخارجان نفسه عن دابته عليه فاعتركا، فصـرعه النخارجان وجلس على صدره واستل خنجره ليذبحه، فوقعت إبهام النخارجان في فم زهير فمضـغها، واسترخى النخارجان وانقلب عليه زهير، وأخـذ خنجره وأدخل يـده تحت ثيابه فبعجه وقتله . وكان برذون النخارجان مـدرباً فلم يبرح، فركبه زهير وقد سـلبه سواريه ودرعه وقباءه ومنطقته، فأتى به سـعداً فأغنمه إياه وأمره سـعد أن يتزيى بزيه، ودخل على سـعد، فكان زهير بن سليم أول من لبس من العرب السوارين !

وحمل قيس بن هبيرة على جيلوس رأس المستميتة فقتله. وحمل المسلمون من كل جانب فانهزمت العجم . وبادر جرير بن عبد الله إلى القنطرة فعطفوا عليه، فاحتملوه برماحهم فسقط إلى الأرض ولحقه أصحابه وهربت عنه العجم، ولم يصبه شئ، وغار فرسه فلم يلحق، فأتي ببرذون من مراكب الفرس في عنقه قلادة زمرد فركبه . وذهبت العجم على وجوهها حتى لحقت بالمدائن» .

قصة أبي محجن الثقفي في القادسية

12. قال الطبري:3/77: «فاقتتلوا قتالاً شديداً وسعد في القصر ينظر معه سلمى بنت حصفة، وكانت قبله عند المثنى بن حارثة فجالت الخيل(انهزمت) فرعُبت سلمى حين رأت الخيل فقالت: وا مثنياه ولا مثنى لي اليوم ! فغار سعد فلطم وجهها فقالت: أغيرةً وجبناً ! فلما رأى أبو محجن ما تصنع الخيل حيت جالت وهو ينظر من قصر العذيب، وكان مع سعد فيه قال:

كفى حزنا أن تردى الخيل بالقنا *** وأترك مشدوداً علي وثاقيا

إذا قمت عناني الحديد وأغلقت *** مصاريع دوني لا تجيب المناديا

وقد كنت ذا مال كثير وإخوة *** فقد تركوني واحداً لا أخا ليا

فكلم زبراء أم ولد سعد وكان عندها محبوساً وسعد في رأس الحصن ينظر إلى الناس، فقال: يا زبراء أطلقيني ولك عليَّ عهد الله وميثاقه لئن لم أقتل لأرجعن إليك حتى تجعلي الحديد في رجلي ! فأطلقته وحملته على فرس لسعد بلقاء، وخلت سبيله فجعل يشد على العدو وسعد ينظر، فجعل سعد يعرف فرسه وينكرها، فلما أن فرغوا من القتال وهزم الله جموع فارس رجع أبو محجن إلى

زبراء، فأدخـل رجله في قيـده ! فلمـا نزل سـعد من رأس الحصن رأى فرسه تعرق فعرف أنها قـد ركبت فسأل عن ذلك زبراء، فأخبرته خبر أبي محجن فخلى سبيله».وفي: 3/57: «وجعل سـعد يقول وهو مشـرف على الناس مكب من فوق القصر، والله لولا محبس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء»!

وقال المسعودي في مروج الذهب:2/214: «وكان أبو محجن الثقفي محبوساً في أسـفل القصر، فسمع انتماء الناس إلى آبائهم وعشائرهم، ووقع الحديـد وشدة البأس، فتأسف على ما يفوته من تلك المواقف، فحبا حتى صـعد إلى سـعد يستشـفعه ويسـتقيله، ويسأله أن يخلي عنه ليخرج، فزجره سعد ورَدَّه، فانحدر راجعاً، فنظر إلى سلمى بنت حفصة زوجة المثنى ابن حارثة الشيباني، وقد كان سعد تزوجها بعده، فقال: يا بنت

حفصة، هل لك في خير ؟ فقالت: وما ذاك ؟ قال: تخلين عني وتعيريني البلقاء ولله علي إن سَلَّمني الله أن ارجع إليك حتى أضع رجلي في القيد، فقالت: وما أنا وذلك ؟ فرجع يرسف في قيده وهو يقول.. وذكر الأبيات المتقدمة وزاد فيها

فلله عهد لا أخيس بعهده *** لئن فرجت أن لا أزور الحوَانيا

فقالت سـلمى: إني اسـتخرت الله ورضيت بعهدك، فأطلقته وقالت: شأنك وما أردت، فاقتاد بَلْقَاء سعد، وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخنـدق، فركبها ثم دب عليها حتى إذا كان بحيال ميمنـة المسـلمين كبر، ثم حمل على ميسـرة القوم يلعب برمحه وسـلاحه بين الصـفين، فأوقف ميسرتهم وقتل رجالًا كثيراً من فُتَّاكهم، ونكس آخرين، والفريقان يرمقونه بأبصارهم، وقد تنوزع في البلقاء،

فمنهم من قال: إنه ركبها عُرْياً، ومنهم من قال: بل ركبها بسَرْج، ثم غاص في المسلمين، فخرج في ميسرتهم، وحمل على ميمنة القوم فأوقفهم، وجعل يلعب برمحه وسلاحه، لا يبدو له فارس إلا هتكه، فأوقفهم، وهابته الرجال، ثم رجع فغاص في قلب المسلمين، ثم برز أمامهم ووقف بإزاء قلب المشركين، ففعل مثل أفعاله في الميمنة والميسرة، وأوقف القلب حتى لم يبرز منهم فارس إلا اختطفه، وحمل عن المسلمين الحرب، فتعجب الناس منه، وقالوا: من هذا الفارس الذي لم نرَه في يومنا ؟ فقال بعضهم: هو ممن قدم علينا من إخواننا من الشام من أصحاب هاشم بن عتبة المرقال، وقال بعضهم: إن كان الخضر عليه السلام يشهد الحرب فهذا هو الخضر قد من

الله به علينا وهو علم نصرنا على عدونا، وقال قائل منهم: لولا أن الملائكة لا تباشر الحروب لقلنا إنه ملك، وأبو محجن كالليث الضرْغام قد هتك الفرسان كالعقاب يجول عليهم، ومن حضر من فرسان المسلمين مثل عمرو بن معديكرب وطلحة بن خُوَيلد والقعقاع ابن عمرو وهاشم بن عُتْبة المرقال وسائر فتاك العرب وأبطالها ينظرون اليه، وقد حاروا في أمره، وجعل سعد يفكر ويقول وهو مُشْرِف على الناس من فوق القصر: والله لولا محبس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البَلْقاء، فلما انتصف الليل تحاجز الناس، وتراجعت الفرس على أعقابها، وتراجع المسلمون إلى مواضعهم على بقيتهم ومصافهم، وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر من حيث خرج ولا يعلم به ورَدَّ البلقاء إلى مربطها وعاد في محبسه ووضع رجله في القيد ورفع عقيرته وهو يقول:

لقد علمت ثقيفٌ غير فخر *** بأنا نحن أكرمهم سيوفا

وأكرمهم دُرُوعاً سابغاتٍ *** وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا

وليلة قادس لم يشعروا بي *** ولم أشعر بمخرجي الزحوفا

وأنا وفدهم في كل يوم *** فإن عتبوا فسل بهمُ عريفا

فإن أحبس فذلكُمُ بلائي *** وإن أترك أذيقهم الحتوفا

فقالت له سلمى: يا أبا محجن، في أي شئ حبَسَك هذا الرجل تعني سعداً؟ قال: والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته، ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية، وأنا امرؤ شاعر يدبُّ الشعر على لساني فأصف القهوة وتداخلني أريحية فألتذ بمدحي إياها، فلذلك حبسني لأني قلت فيها:

إذا مت فادفني إلى جنب كرمَة *** تروِّي عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفنني بالفلاة فانني *** أخاف إذا ما مُتُّ أن لا أذوقها

وهي أبيات . وقد كان بين سلمى وسعد كلام كثير أوجب غضبه عليها، لذكرها المُثَنَّى عند مختلف القنا، فأقامت مغاضبة له عشية أغواث وليلة الهَرير وليلة السواد، حتى إذا أصبحت أتته فترضَّته وصالحته .ثم أخبرته خبرها مع أبي محجن، فدعا به فأطلقه وقال: إذهب فما أنا مؤاخذك بشئ تقوله حتى تفعله. قال: لا جَرَمَ والله، لا أجبت لساني إلى صفة قبيح أبداً ».

أقول: رواية المسعودي أصح من رواية الطبري لأن القصركما ذكرنا يبعد بضعة عشر كيلو متراً عن المعركة، فلايمكن لسعد أن يرى قتال أبي محجن. فالصحيح ما ذكره المسعودي من أن سعداً لم يعرف بخبر أبي محجن حتى حكته له زوجته . وقد

يقال: فكيف رأت زوجته خيل المسلمين منهزمة وقالت: وامثنياه ؟! وجوابه أنها رأت أناساً منهزمين على خيولهم وقد فروا كلياً من المعركة ومروا في طريق فرارهم من مكان بحيث تراهم من القصر .

13. «وخرج صبيان العسكر في القتلى ومعهم الأداوى يسقون من به رمق من المسلمين، ويقتلون من به رمق من المشركين.. وخرج زهرة في طلب الجالنوس (وقتله) وخرج القعقاع وأخوه وشرحبيل في طلب من ارتفع وسفل، فقتلوهم في كل قرية وأجمة وشاطئ نهر، ورجعوا فوافوا صلاة الظهر .

وهنأ الناس أميرهم وأثنى على كل حي خيراً وذكره منهم... إن أهل البلاء يوم القادسية فُضلوا عند العطاء بخمس مائة خمس مائة في أعطياتهم، خمسة وعشرين رجلاً، منهم زهرة، وعصمة الضبي، والكلج، وأما أهل الأيام فإنه فرض لهم على ثلاثة آلاف فضلوا على أهل القادسية» . (تاريخ الطبري:3/71-72).

14. كان النبي (صلى الله عليه و آله) يعطي رواتب سنوية أو موسمية للمسلمين، وقد بدأت الدولة بإعطاء الرواتب العامة بعد غنائم القادسية . قال الطبري:3/152: «وعرفوهم على مائة ألف درهم، فكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة وأربعين رجلاً وثلاثاً وأربعين امرأة وخمسين من العيال، لهم مائة ألف درهم. وكل عرافة من أهل الأيام عشرين رجلاً على ثلاثة آلاف، وعشرين امرأة وكل عيل على مائة ألف درهم . وكل عرافة من الرادفة الأولى ستين رجلاً وستين امرأة وأربعين من العيال، ممن كان رجالهم ألحقوا على ألف وخمس مائة، على مائة ألف درهم . ثم على هذا من الحساب . وقال عطية بن الحارث: قد أدركت

مائة عريف . وعلى مثل ذلك كان أهل البصـرة، كان العطاء يدفع إلى أمراء الأسباع وأصحاب الرايات، والرايات على أيادي العرب، فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والأمناء، فيدفعونه إلى أهله في دورهم ».

سعد بن أبي وقاص قائد القادسية الهارب !

15. كان قائد جيش المسـلمين المفترض سعد بن أبي وقاص، لكنه كان كخالد بن الوليد لايقاتل بنفسه، فلم يشارك في معركة القادسية، ولا في غيرها !

والـذين قادوا المعركـة هم: هاشم بن عتبـة المرقال، وحجر بن عـدي، وعمرو بن معـدي كرب، وعدد من الأبطال من تلاميذ أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وغاب سـعد زاعماً أن في فخـذه دملة، ووكل بالجيش والمعركة خالد بن عرفطة، وهو مراسل عنده من بني عذرة، الذين يُتهم بنو أبي الوقاص بأنهم منهم وليسوا من بني زهرة، وسيأتي شهادة عبد الله بن مسعود بذلك !

وقد اتفق الرواة على أن سعداً عندما رأى المعركة اقتربت، ذهب من القادسية الى قصر العذيب، وهو يبعد عن القادسية بضع عشرة كيلومتر !

وقـد فضـح جبن سـعد زوجته، وابتعاده عن المعركـة هذه المسافة الكبيرة، وقد زعموا أنه كان يدير المعركة من العذيـب، فما الداعي للإبتعاد عنها مسافة ثلاث ساعات مشياً أو ساعة للفارس المُجِدّ !

قال في الأخبار الطوال/121: « وكانت بسـعد علـة من خراج في فخذه قد منعه الركوب، فولى أمر الناس خالد بن عرفطة، وولى القلب قيس بن هبيرة، وولى

الميمنة شرحبيل بن السمط، وولى الميسرة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وولى الرجالة قيس بن خريم، وأقام هو في قصر القادسية مع الحرم والذرية » !!

وذكر ابن الأثير (الكامل:2/452) أن عدد جيش المسـلمين بضعة وثلاثون ألفاً، وعلى كل عشرة جنود عريف، وعلى المقدمة زهرة بن عبد الله بن الحوية، وعلى الميمنة عبد الله بن المعتم، وعلى الميسرة شرحبيل بن السمط الكندي، وعلى الساقة عاصم بن عمرو التميمي، وعلى الطلائع سواد بن مالك التميمي، وعلى المجردة سـلمان بن ربيعـة الباهلي، وعلى الرجالة حمال بن مالك الأسدي، وكان رائدهم وداعيتهم سلمان الفارسي رضي الله عنه .

وحاول رواة السلطة أن يجعلوا العذيب قرب القادسية، وأن يزيدوا من وجع سعد ودمامله، ليستروا هروبه !

فروى الطبري:3/42: «وكان سـعد يومئذ لا يستطيع أن يركب ولا يجلس، به حبوب فإنما هو على وجهه، في صدره وسادة هو مُكب عليها، مشـرفٌ على الناس من القصر، يرمي بالرقاع فيها أمره ونهيه إلى خالد بن عرفطة، وهو أسفل منه، وكان الصف إلى جنب القصر، وكان خالد كالخليفة لسعد » ! وروى الطبري أيضاً (3/76): «قادس قرية إلى جانب العذيب، فنزل الناس بها، ونزل سعد في قصر العذيب».

لكن الجغرافي المعتمد الشـريف الإدريسي، قال في كتابه نزهة المشتاق: 1/383: «ومن القادسـية إلى العذيب وهي أول خط البادية، ستة أميال».

وفي معجم البلدان:4/92، إن قصر العذيب: «بينه وبين القادسية أربعة أميال» !

وكانوا يحملون اليه جرحى القادسية: «وكان بين موضع الوقعة مما يلي القادسية وبين حصن العذيب نخلة، فإذا حمل الجريح وفيه تمييز وعقل، ونظر الى تلك النخلة..قال لحامله: قد قربت من السواد، فأريحوني تحت ظل هذه النخلة». (مروج الذهب للمسعودي:2/317)

والميل قريب من كيلومترين، لأنه ثلث الفرسخ، فالمسافة بين المعركة وسعد نحو 15كلم، لكن الرواة كذبوا لأجل سعد، فجعلوا العذيب جنب المعركة !

وفي فتوح البلاذري(2/316): «وكان مقيماً في قصر العذيب، فجعلت امرأته وهي سلمى بنت حفصة من بنى تيم الله بن ثعلبة، امرأة المثنى بن حارثة، تقول: وامثنياه، ولا مثنى للخيل ! فلطمها، فقالت: يا سعد أغيرة وجبناً » !

وحفظ التاريخ شعر المسلمين في جبن سعد بن أبي وقاص، وكتمته السلطة !

ففي الطبري: (3/81) ومعجم البلدان (4/291):«وقاتل المسلمون يومئذ وسعد في القصر ينظر إليهم، فنُسب إلى الجبن، فقال رجل من المسلمين:

«ألم ترَ أن الله أنزل نصره *** وسعدٌ بباب القادسية مُعصمُ

فأبنا وقد آمت نساء كثيرة *** ونسوةُ سعدٍ ليس فيهنَّ أَيِّمُ »

وقال بشر بن ربيعة في ذلك اليوم:

ألمَّ خيال من أميمة موهناً *** وقد جعلت أولى النجوم تغور

ونحن بصحراء العذيب ودوننا *** حجازية، إن المحل شطير

فزارت غريباً نازحاً جلُّ ماله *** جوادٌ ومفتوقُ الغِرار طرير

وحلَّت بباب القادسية ناقتي *** وسعدٌ بن وقاص عليَّ أمير

تذكر هداك الله وقع سيوفنا *** بباب قُدَيْسٍ والمكر ضرير

عشية ودَّ القوم لو أن بعضهم *** يُعار جناحي طائر فيطير

إذا برزت منهم إلينا كتيبةٌ *** أتونا بأخرى كالجبال تمور

فضاربتهم حتى تفرق جمعهم *** وطاعنتُ إني بالطعان مهير

وعمرو أبو ثور شهيدٌ وهاشمٌ *** وقيس ونعمان الفتى وجرير».

وقال جرير بن عبد الله البجلي كما في النهاية:7/53:

«أنا جرير وكنيتي أبو عمر *** قد فتح الله وسعدٌ في القَصَر».

ومما يؤكد أقوالهم في جبن سعد أنه بعد القادسية لم يذهب الى المدائن مع جيشه حتى فتحت، ثم لم يذهب الى معركة جلولاء أو خانقين وبقي مشغولاً بغنائم قصور كسرى، وأرسل ابن أخيه هاشم المرقال رضي الله عنه !

وبعد انتصارهم في جلولاء طلب المسلمون حضور سعد، فحضر على كره منه ثم رجع، ولم يذهب معهم الى فتح حلوان !

وبعد الإنتصارات شكى المسلمون سعداً الى عمر، فأرسل محمد بن مسلمة فسأل عنه في الكوفة فقام: «رجل يقال له أبو سعدة أسامة بن قتادة فقال: أما إذ ناشدتنا، فإن سعداً لايقسم بالسوية، ولايعدل في الرعية، ولا يغزو في السرية». (النهاية:7/121). فاضطر عمر لعزله، لكنه بقي متمسكاً به !

ومن عجيب تاريخ الفتوحات أنك تجد الرواة يكتبون عن معركة القادسية ومسارها لأربعة أيام فيقولون: فأمر سعد، وقال سعد، وكبَّر سعد، وتقدم سعد، ورجع سعد ! ومعناه خادمه خالد بن عرفطة، أوهاشم المرقال، أو غيره من القادة الأبطال، الذين خاضوا المعركة، وفتح الله على أيديهم !

ثم كان فتح المدائن بدون معركة مهمة

ثم كان حصار المدائن ومعركتها السهلة سنة سبعة عشر، بقيادة هاشم المرقال .

قال الدينوري في الأخبار الطوال/126: «لما انهزمت العجم من القادسية وقتل صناديدهم، مروا على وجوههم حتى لحقوا بالمدائن، وأقبل المسلمون حتى نزلوا على شط دجلة بإزاء المدائن فعسكروا هناك، وأقاموا فيه ثمانية وعشرين شهراً، حتى أكلوا الرطب مرتين، وضحوا أضحيتين ! فلما طال ذلك على أهل السواد، صالحهم عامة الدهاقين بتلك الناحية. ولما رأى يزدجرد ذلك جمع إليه عظماء مرازبته فقسم عليهم بيوت أمواله وخزائنه، وكتب عليهم بها القبالات وقال: إن ذهب ملكنا فأنتم أحق به، وإن رجع رددتموه علينا، ثم تحمل في حرمه وحشمه وخاصة أهل بيته حتى أتى حلوان فنزلها، وولى خرزاد بن هرمز أخا رستم المقتول بالقادسية الحرب وخلفه بالمدائن .

وبلغ ذلك سعداً فتأهب، وأمر أصحابه أن يقتحموا دجلة وابتدأ (والصحيح أن سعداً لم يكن معهم!) فقال: باسم الله ودفع فرسه فيها، ودفع الناس فسلموا عن آخرهم إلا رجلاً غرق وكان على فرس شقراء، فخرجت الفرس تنفض عرفها وغرق راكبها، وكان من طيئ يسمى سليك بن عبد الله . فقال سلمان وكان حاضراً يومئذ: يا معشر المسلمين، إن الله ذلل لكم البحر كما ذلل لكم البر، أما والذي نفس سلمان بيده ليغيرن فيه وليبدلن . قالوا: ولما نظرت الفرس إلى العرب قد أقحموا دوابهم الماء وهم يعبرون، تنادوا: ديوان آمدند، ديوان

آمدند (الشياطين جاؤوا!) . فخرج خرزاد في الخيل حتى وقف على الشريعة، ونادى: يا معشر العرب، البحر بحرنا فليس لكم أن تقتحموه علينا !

وأقبلوا يرمون العرب بالنشاب، واقتحم منهم ناس كثير الماء فقاتلوا ساعة، وكاثرتهم العرب، فخرجت الفرس من الشريعة وخرج المسلمون وقاتلوهم ملياً، وانهزمت العجم حتى دخلت المدائن فتحصنوا فيها، وأناخ المسلمون عليهم مما يلي دجلة . فلما نظر خرزاد إلى ذلك خرج من الباب الشرقي ليلاً في جنوده نحو جلولاء، وأخلى المدائن فدخلها المسلمون فأصابوا فيها غنائم كثيرة ووقعوا على كافور كثير فظنوه ملحاً، فجعلوه في خبزهم فأمرَّ عليهم .

وقال مخنف بن سليم:لقد سمعت في ذلك اليوم رجلاً ينادي: من يأخذ صحفة حمراء بصحفة بيضاء، لصحفة من ذهب لا يعلم ما هي !

وكتب سعد إلى عمر بالفتح، وأقبل علج من أهل المدائن إلى سعد، فقال: أنا أدلكم على طريق تدركون فيه القوم قبل أن يمعنوا في السير، فقدمه سعد أمامه، (أي هاشم) واتبعته الخيل، فقطع بهم مخائض وصحاري».

ملاحظات على هذه الرواية

1. أخذنا هذه الرواية نموذجاً لما رواه الباقون، وهي تقول إن المسلمين توجهوا بعد القادسية بقيادة سعد الى المدائن وحاصروها نحو سنتين، فخاف ملكهم يزدجرد وهرب من عاصمته، ثم عبر المسلمون فخرج اليهم الجيش الفارسي وناوشهم بالسهام، وفي الليل هرب قائده وجنوده الى جلولاء !

فكتب سعد الى عمر فأمره أن يقيم في المدائن، ويرسل ابن أخيه هاشم المرقال لقتال جيش الفرس في جلولاء وخانقين .

وفي الرواية نقاط خطأ عديدة، لأنها تفترض أن سعداً كان مع الجيش، بينما بقي في الكوفة حتى فتحت المدائن فجاء اليها .

ثم أرسل ابن أخيه هاشم المرقال رضـي الله عنه الى معركـة جلولاء وبقي في المدائن، وبعد انتصارهم طلبوا مجيئه فلم يحضـر حتى هجوه بالشعر، فحضر كالمجبر، ووكل أميناً بكنوز كسرى، هو سلمان الفارسي رضي الله عنه .

ثم رجع الى المـدائن ولـم يـذهب معهم الى فتـح حلوان، وأرسل الجيش بقيادة هاشم، وحجر بن عدي الكندي، وجرير البجلي. وقد وثقنا ذلك في ترجماتهم.

وبـذلك تعرف أن روايتهم في فتـح المـدائن تريـد إثبـات فضائل لا وجود لها لسـعد ومنها مشـيه على وجه الماء . كما تريـد تبرير بقائه في المدائن بأنه كان بأمر عمر !

2. بالغ الرواة في تأثير حصار المسـلمين على سـكان المدائن، فقال أحد الرواة كما في تاريخ الطبري:3/16: «فمنهم من عبر من كلواذى، ومنهم من عبر من أسفل المدائن، فحصروهم حتى ما يجدون طعاماً يأكلونه إلا كلابهم وسنانيرهم، فخرجوا ليلاً فلحقوا بجلولاء ».

وهي مبالغـة لاتصـح، لأن المـدائن سـبعة مـدن، وقد حاصـر المسـلمون مدينة أو اثنتين فيهما يزدجرد وأهم قصور كسـرى وإيوانه، وكانت محاصرتهم من ناحية غرب دجلة، ولذلك انسحب كثيرون ولم يشعر بهم المسلمون .

3. والأهم من ذلك، أن رواياتهم طمست معركتين خاضهما المسلمون بعد القادسية إحداها مع بقايا جيش الفرس قرب الكوفة، والثانية مع كتيبة الحرس الشاهنشاهي في الطريق الى المدائن . وقد ذكرهما هاشم المرقال، فقال كما رواه الطبري:3/80:

يومُ جلولاءٍ ويومُ رستمِ *** ويومُ زحفِ الكوفة المقدم

ويومُ عرض النَّهَرِ المحرم *** من بين أيامٍ خلون صُرَّمِ

شَيَّبْنَ أصْداغي فَهَنَّ هَرمي *** مثلُ ثُغام البلدِ المحرم».

فذكر أربعة حروب شيبت صدغيه، وهي يوم جلولاء، ويوم القادسية التي كان قائدها الفارسي رستم، ويوم زحف الكوفة، ولا بد أنه بعد القادسية لأن هاشماً كان قبلها في الشام، فهو في طريقهم الى المدائن بعد القادسية، ويظهر أنهم اشتبكوا مع الفرس بين الكوفة والحلة، وكان ثقل المعركة على هاشم (رحمة الله) . ويوم عرض النهر، يظهر أنه دجلة، وكانت المعركة فيه مع كتائب حرس كسرى الخاصين ويسمون كتيبة بوران، وقد برز قائدهم فبرز اليه هاشم المرقال وقتله، وفي منطقة مظلم ساباط، أي النفق المظلم، جعل الفرس على باب النفق أسداً مدرباً فتقدم اليه هاشم المرقال فقتله . (الطبري:3/79، والروض المعطار/297).

وقال الطبري:3/116: «وانتهى هاشم إلى مظلم ساباط، ووقف لسعد حتى لحق به فوافق ذلك رجوع المقرط أسد كان لكسرى قد ألَّفَهُ وتخيره من أسود المظلم، وكانت به كتائب كسرى التي تدعى بوران، وكانوا يحلفون بالله كل يوم لا يزول ملك فارس ما عشنا ! فبادر المقرط الناس حين انتهى إليهم سعد فنزل إليه هاشم فقتله وسمى سيفه المنن، فقبل سعد رأس هاشم.. فلما ذهب من

الليل هدأة ارتحل فنزل على الناس ببهرسير وجعل المسلمون كلما قدمت خيل على بهرسير وقفوا ثم كبروا، فكذلك حتى نجز آخر من مع سعد ».

أقول: لا ـ بـد أن يكون شكره لهاشم وتقبيله جبينه، عندما جاء سعد الى المدائن ! وسنذكر في ترجمة هاشم مبارزته لرئيس الحرس الشاهنشاهي فيروز، وقتله له .

كما ذكرت المصادر أزمة المسلمين في محاصرتهم، فقد تحصن حرس كسرى في أبراج القصر وكانوا يرمون المسلمين ويقتلون منهم ولا يستطيعون الرد عليهم .

ثم روت أن سلمان الفارسي رضي الله عنه فاوض الحرس ودعاهم الى الإسلام حتى أسلموا، وسلموا القصور للمسلمين . (فتوح الواقدي:2/204).

كما نص الرواة على أن هاشماً قاد الجيش الى المدائن، ثم الى جلولاء، ولم يكن فيه سعد. (البلاذري:2/323) .

والظاهر أن يزجرد هرب من المدائن الى داخل إيران قبل توجه جيش المسلمين الى المدائن. ثم جمع الفرس قواتهم في جلولاء وخانقين، فانهزموا.ثم جمعوها في تستر فانهزموا . ثم كان أكبر تجمُّع لهم في نهاوند، وكانت معركتها سنة إحدى وعشرين للهجرة، وقادها النعمان ثم حذيفة، رضي الله عنهما .

قال اليعقوبي:2/151: «وهرب يزدجرد فيمن بقي معه فلحق بأصبهان، ثم سار إلى ناحية الري، وأتاه صاحب طبرستان فأعلمه حصانة بلاده، فامتنع عليه ومضى إلى مرو، وكان معه ألف أسوار من أساورته وألف جَبَّار(ضخم الجسم) وألف صناجة، فكاتب نيزك طرخان فعلاه بعمود، فمضى منهزماً حتى دخل بيت طحان، ولحقوه فقتلوه في بيت الطحان..وافترقت جموع الفرس، وأذهب الله ملكهم، وفرق جمعهم ».

غنائم قصور كسرى

في فتوح ابن الأعثم:1/215: «فغنم المسلمون غنائم كثيرة لا تحصى.. ثم جمع سعد غنائم حلوان وغنائم جلولاء وخانقين وغنائم المدائن والقادسية، وأخرج من ذلك الخمس ليوجه به إلى عمر بن الخطاب وقسم باقي الغنائم في المسلمين. فوردت الغنائم، وخرج المسلمون فنظروا إليها وعجبوا من كثرتها..ثم أمر بالغنائم فأدخلت إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثم أمر قوماً أن يحرسوها ليلتهم تلك، فلما أصبح عمر نادى في المهاجرين والأنصار فجمعهم، ثم جعل يعطى الناس على أقدارهم ويفضل من شاء أن يفضل، ويعطى كل ذي حق حقه قال: ثم كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يولي سلمان الفارسي المدائن وما والاها، ويرجع هو إلى الكوفة ».

وقال ابن خلدون:2 ق2/101: «وجمع ما كان في القصر والإيوان والدور وما نهبه أهل المدائن عند الهزيمة، ووجدوا حلية كسرى: ثيابه وخرزاته وتاجه ودرعه التي كان يجلس فيها للمباهاة، أخذ ذلك من أيدي الهاربين على بغلين وأخذ منهم أيضاً وَقْر بغل من السيوف، وآخر من الدروع والمغافر، منسوبة كلها: درع هرقل وخاقان ملك الترك وداهر ملك الهند وبهرام جور وسياوخش والنعمان بن المنذر وسيف كسرى وهرمز وقباذ وفيروز وهرقل وخاقان وداهر وبهرام وسياوخش والنعمان . أحضرها القعقاع وخَيَّره في الأسياف فاختار سيف هرقل وأعطاه درع بهرام، وبعث إلى عمر سيف كسرى والنعمان وتاج

كسرى وحليته وثيابه ليراها الناس . وقسم سعد الفئ بين المسلمين بعدما خمسه وكانوا ستين ألفاً، فصار للفارس اثنا عشر ألفاً ».

وقال الطبري:3/130: «عن عبد الملك بن عمير قال: أصاب المسلمون يوم المدائن بهار كسرى، ثقل عليهم أن يذهبوا به. وكانوا يعدونه للشتاء إذا ذهبت الرياحين فكانوا إذا أرادوا الشرب شربوا عليه فكأنهم في رياض، بساط ستين في ستين... وكان الذي ذهب بالأخماس أخماس المدائن بشير بن الخصاصية، والذي ذهب بالفتح حليس بن فلان الأسدي، والذي ولي القبض عمرو (بن معدي كرب) والقاسم: سلمان ».

وقال الطبري:3/131:«ولما أتى بحلى كسرى وزيه في المباهاة، وزيه في غير ذلك، وكانت له عدة أزياء لكل حالة زي قال (عمر): عليَّ بمَحْلَم، وكان أجسم عربي يومئذ بأرض المدينة، فألبس تاج كسرى على عمودين من خشب، وصُبَّ عليه أوشحته وقلائده وثيابه، وأُجلس للناس، فنظر إليه عمر ونظر إليه الناس فرأوا أمراً عظيماً من أمر الدنيا وفتنتها، ثم قام عن ذلك فألبس زيه الذي يليه، فنظروا إلى مثل ذلك في غير نوع، حتى أتى عليها كلها، ثم ألبسه سلاحه وقلده سيفه فنظروا إليه في ذلك..ثم قال: والله إن أقواماً أدوا هذا لذوو أمانة».

وفي شرح النهج:12/14: «جئ بتاج كسرى إلى عمر فاستعظم الناس قيمته للجواهر التي كانت عليه، فقال: إن قوماً أدوا هذا لأمناء . فقال علي (عليه السلام): إنك عففت فعفوا، ولو رتعت لرتعوا » .

وفي فتوح الواقدي:2/205: «إن هاشم بن عتبة تبع المنهزمين من جنود الملك فانتهى سيره إلى مرج حلوان، فالتقى بكتيبة من أهل فارس بالعدد والسلاح

ص: 180

والهوادج والخـدم والجواري والمماليك، وقد داروا بمحفة من العود الرطب وعليها من الثياب الملونة المذهبة، وأهلتها من الذهب مرصـعة بالجواهر، وقاتلوا دون المحفة قتالاً شديداً، وكانت المحفة لشاهران ابنة الملك يزدجرد بن كسرى، وكان السائر بها ساقر بن هرمز فقتله وقتل أصـحابه، وأكثر ما كان مع ساقر وولى الباقي منهزمين، وتسـلم هاشم المحفة وما حولها، وأتوا بذلك كله إلى سعد..ثم أشرف سعد على ما بقي من الخزائن، فوجـد صـندوقاً عظيماً ظاهره وباطنه بالـديباج المـذهب، وفي داخله بساط كسـرى، وهو البساط الذي كان يفتخر به على الملوك ملوك الـدنيا، كله ذهب منسوج بالحرير، منظوم بالدر واليواقيت الملونة والمعادن والجواهر المثمنة والزمرد . وكان طوله ستين ذراعاً قطعة واحدة، في جانب منه كالصور وفي جانب كالشجر والرياض والأزهار، وفي جانب كالأرض المزروعة المقبلة بالنبات في الربيع . وكل ذلك من الحرير الملون والمعادن على قضبان الذهب والزمرذ والفضة .

وكان الملك لا يبسـطه الا في أيام الشـتاء في إيوانه إذا قعد للشـراب، وكانوا يسمونه بساط النزهة والمسرات، فيكون لهم شبه الروضة الزهراء، فلما رآه العرب قالوا: والله هذه قطيفة زينة !

قـال: ولمـا قسم سـعد على الناس الغنائم أصاب الفارس اثنا عشـر ألف دينار، وكلهم كانوا فرساناً ولم يكن فيهم راجل، وأخرج للغائبين مع النساء والحريم في الحيرة نصـيبهم، وقسم الدور بين الناس.. وأخرج الخمس لعمر بن الخطاب وأراد أن يقسم البساط فلم يدر كيف يقسمه فقال سعد: معاشر المجاهدين إني

رأيت من الرأي أن نرسله إلى عمر ليصنع فيه ما يختاره، فأجابوه على لسان واحد: نعم ما رأيت أيها الأمير، فردوه إلى صندوقه وأضافه إلى الخمس ...

ثم إن سعداً رأى رأياً أن يُسَيِّرَ بشيراً يبشر عمر بفتح المدائن وبقدوم الخمس وبما أنعم الله على المسلمين ليكون أزيد هيبة وبهجة بالفتوح، فأرسل جيش بن ماجد الأسدي، فخرج على ناقته وقصد المدينة يجد السير قال: وكان عمر في كل يوم بعد ما يصلي الصبح يقرأ ما تيسر، ويركب ناقته ويتوجه نحو طريق العراق ويرتقب ما يرد عليه من أخبار المسلمين ..

قال فخرج على حسب العادة وإذا هو بجيش قد أقبل على ناقته فلما رآه عمر قصده وقال له: يا عبد الله من أين أقبلت؟ قال: من المدائن يا أمير المؤمنين . قال: فما عندك من الخبر أقر الله عينك وغفر لنا ولك؟ قال: أبشر يا أمير المؤمنين بالفتح العميم والسعد الجسيم، وإن الله سبحانه وتعالى قد هزم جند المشركين وقطع دابر القوم المجرمين، وأخلى منهم ديارهم، وأخفى آثارهم وزعزع مراكبهم، وطحطح مواكبهم وكتائبهم، وشتت جموعهم، وأخلى ربوعهم وقصم آجالهم، وفرق أحوالهم وترك مساكنهم خالية، وأوطانهم خاوية .

قال: فلما سمع عمر رضي الله عنه هذا المقال حمد الله وأثنى عليه.. ثم إنه قسم البساط قطعاً بين الناس . قال: فأصاب كل رجل منهم قطعة، فباعها بنحو العشرين ألف دينار ».

ص: 182

ثم كانت معركة جلولاء آخر معارك فتح العراق

كان فتح العراق وإيران متلازمين تقريباً، وكانت معركة جلولاء ثم خانقين آخر معارك فتح العراق فتحاً تاماً شاملاً، ثم كانت معركة نهاوند آخر معارك فتح إيران فتحاً عاماً، وبقيت مدنها ومحافظاتها العديدة، ففتح بعضها صلحاً، واحتاج بعضها الى معارك، خاصة مدن خراسان وآذربيجان .

وتقع جلولاء شمال شرق بغداد، قرب الحدود العراقية الإيرانية، وتبعد عن بغداد180كيلو متراً، وقد اتخذها الفرس مركزاً لتجميع قواتهم الآتية من أنحاء إيران لنجدة يزدجرد في المدائن، وتجمَّع فيها مئة ألف وأكثر، لأنهم رووا أن القتلى منهم بلغوا مئة ألف ! (تاريخ الذهبي:3/160).

والظاهر أن ذلك مبالغة، وقد يكون عددهم خمسين ألفاً والقتلى بضعة آلاف.

وكان جيش المسلمين اثني عشر ألفاً، وروي أنه كان أربعاً وعشرين ألفاً .

قال الطبري:3/134:«ففصّل هاشم بن عتبة (المرقال) بالناس من المدائن في صفر سنة ست عشرة، في اثني عشر ألفاً، منهم وجوه المهاجرين والأنصار، وأعلام العرب، ممن ارتد وممن لم يرتد، فسار من المدائن إلى جلولاء أربعاً، حتى قدم عليهم وأحاط بهم، فحاصرهم وطاولهم أهل فارس، وجعلوا لا يخرجون عليهم إلا إذا أرادوا وزاحفهم المسلمون بجلولاء ثمانين زحفاً كل ذلك يعطى الله المسلمين عليهم الظفر، وغلبوا المشركين على حسك الخشب، فاتخذوا حسك الحديد ». والحسك، قطع حديد مسننة توضع في طريق الخيل لتعقرها .

وقال ابن الأعثم:1/210 : «وصار المسلمون بجلولاء في أربعة وعشرين ألفاً ويزيدون . وتحرشت الفرس بالمسلمين وطلبوا الحرب، وكتب سعد بن أبي وقاص إلى ابن أخيه هاشم بن عتبة، فجعله أمير المسلمين، وأمر أصحابه بمحاربة الفرس . قال:فعندها وثب هاشم بن عتبة فعبأ أصحابه، فكان على ميمنته جرير بن عبد الله البجلي، وعلى ميسرته حجر بن عدي الكندي، وعلى الجناح المكشوح المرادي، وجعل عمرو بن معد يكرب على أعنة الخيل، وطلحة بن خويلد الأسدي على الرجالة .

قال: وعَبَّت الفرس جيوشها، فكان على ميمنتهم رجل من قواد الأعاجم يقال له خر زاذ بن وهرز، وعلى ميسرتهم فيروز بن خسرو، وفي القلب الهرمزان بن أنو شروان صاحب بلاد الأهواز .

قال: ودنا القوم بعضهم من بعض، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا في موطن بمثله من مواطنهم التي سلفت، وذلك أنهم رموا بالسهام حتى أنفدوها، وتطاعنوا بالرماح حتى قصفوها، ثم صاروا إلى السيوف والعمد فاقتتلوا بها من وقت الضحى إلى أن زالت الشمس، وحضر وقت الصلاة، فلم تكن الصلاة في ذلك اليوم إلا بالتكبير والإيماء نحو القبلة .

قال: ونظر هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى رجل من المسلمين يقال له سعد بن عبيد الأنصاري وقد فصل من الصف، فقال له: ما وقوفك يا سعد ؟ فقال: أيها الأمير ! وقوفي والله إني أفكر في فعلة فعلتها يوم الجسر يوم قتل أبو عبيد بن مسعود الثقفي، أنا نادم عليها، وذلك أني فررت يومئذ من الزحف وقد

عزمت اليوم أن أجعل توبتي من فراري، أن أشتري لله نفسي، فلعله تبارك وتعالى أن يتجاوز عني ما قد مضى .

قال: ثم تقدم بسيفه نحو الفرس فقاتل قتالاً عجب منه الفريقان جميعاً، فلم يزل كذلك حتى قتل منهم جماعة، وقُتل رحمة الله عليه .

قال: ثم أقبل جرير بن عبد الله البجلي على بني عمه فقال: يا معشر بجيلة ! إعلموا أن لكم في هذه البلاد إن فتحها الله عليكم حظاً سنياً، فاصبروا لقتال هؤلاء الفرس التماساً لإحدى الحسنيين: إما الشهادة فثوابها الجنة، وإما النصر والظفر ففيهما الغنى من العيلة . وانظروا لا تقاتلوا رياء ولا سمعة، فحسب الرجل خزياً أن يكون يريد بجهاده حمد المخلوقين دون الخالق . وبعد فإنكم جربتم هؤلاء القوم ومارستموهم، وإنما لهم هذه القسي المنحنية وهذه السهام الطوال، فهي أغنى سلاحهم عندهم، فإذا رموكم بها فتترسوا، والزموا الصبر وصابروهم، فو الله إنكم الأنجاد الأمجاد، الحسان الوجوه في اقتحام الشدائد ! فاصبروا صبراً يا معشر البجيلة، فوالله إني لأرجو أن يرى المسلمون منكم اليوم ما تقر به عيونهم ! وما ذاك على الله بعزيز . ثم أنشأ جرير في ذلك يقول:

تلكم بجيلة قومي إن سألت بها *** قادوا الجياد وفضوا جمع مهران

وأدركوا الوتر من كسرى ومعشره *** يوم العروبة وتر الحي شيبان

فسائل الجمع جمع الفارسي وقد *** حاولت عند ركوب الحي قحطان

عز الأول كان عزا من يصول بهم *** ورمية كان فيها هلك شيطان

كان الكفور وبئس الفرس أن له *** آباء صدق نموه غير ثبيان

قال: ثم حمل جرير بن عبد الله على جميع أهل جلولاء، فلم يزل يطاعن حتى انكسر رمحه، وجرح جراحات كثيرة..

قال: وتقدم رجل من المرازبة يقال له رستم الأصغر، حتى وقف بين الجمعين فجعل يقاتل أشد القتال، قال: وانبرى له رجلان من المسلمين أخوان، أحدهما يقال له عوام والآخر يقال له زهير ابنا عبد شمس، قال: فحملا عليه وحمل عليهما فجاولهما في ميدان الحرب ساعة.. وجعل رستم يجول في ميدان الحرب، فمرة يحمل على زهير ومرة يحمل على عوام.. ثم اعتوره زهير والعوام وحمل عليه جابر بن طارق النخعي، فضربه ضربة على تاجه فقدَّ التاج وهامته، فخر رستم صريعاً، ثم نزلوا إليه فسلبوه، وكانت قيمة سلبه ألف دينار..

قال: فبينما المسلمون كذلك في أشد ما يكون من الحرب وذلك في وقت العصر إذا هم بكتيبة للفرس جامة حسناء قد خرجت إليهم، فكأن الناس هالتهم تلك الكتيبة فاتقوها، فقال عمرو بن معدي كرب: يا معشر المسلمين ! لعله قد هالتكم هذه الكتيبة؟ قالوا: نعم والله يا أبا ثور لقد هالتنا ! وذلك أنك تعلم أنا نقاتل هؤلاء القوم من وقت بزوغ الشمس إلى وقتنا هذا، فقد تعبنا وكلت أيدينا ودوابنا وكاعت رجالنا، وقد والله خشينا أن نعجز عن هذه الكتيبة، إلا أن يأتينا الله بغياث من عنده، أو نرزق عليهم قوة ونصراً .

قال فقال عمرو: يا هؤلاء ! إنكم إنما تقاتلون عن دينكم، وتذبون عن حريمكم، وتدفعون عن حوزة الإسلام، فصفوا خيولكم بعضها إلى بعض وانزلوا عنها والزموا الأرض، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، فإنكم

بحمـد الله صُبراء في اللقـاء، ليوثٌ عنـد الوغى، وهـذا يوم كبعض أيامكم التي سـلفت، ووالله إني لأرجو أن يعز الله بكم دينه ويكبت بكم عدوه .

قـال: ثم نزل عمرو عن فرسه ونزل معه زهـاء ألف رجـل من قبائـل اليمن، مـا فيهـم إلا فارس مـذكور.. قال: ثم تقـدم عمرو حتى وقف أمام المسلمين شاهراً صمصامته، وقد وضعها على عاتقه، وهو يقول:

لقد علمت أقيال مذحج أنني *** أنا الفارس الحامي إذا القوم أضجروا

صبرت لأهل القادسية معلماُ *** ومثلي إذا لم تصبر الناس يصبر

وطاعنتهم بالرمح حتى تبددوا *** وضاربتهم بالسيف حتى تكسروا

بذلك أوصاني أبي وأبو أبي *** بذلك أوصاه فلست أقصر

حمدت إلهي إذ هداني لدينه *** فلله أسعى ما حييت وأشكر

قال:وحملت تلك الكتيبة الحامَّة، على عمرو بن معد ي كرب الزبيدي وأصـحابه، فلم يطمعوا منهم في شئ . قال: وحمل جرير بن عبد الله من الميمنـة، وحجر بن عـدي من الميسـرة، والمكشوح المرادي من الجنـاح، وعمرو بن معـد يكرب من القلب، وصـدقوهم الحملـة لولوا مـدبرين، ووضع المسـلمون فيهم السـيف، فقتل منهم من قتل، وانهزم الباقون حتى صاروا إلى خانقين . وأمسـى المسـلمون فلم يتبعوهم، لكنهم أقاموا في موضـعهم حتى أصـبحوا وأقبلوا حتى دخلوا جلولاء، فجعلوا يجمعون الأموال والغنائم، حتى جمعوا شيئاً كثيراً لم يظنوا أنه يكون هناك . قال فقال رجل من المسلمين: رحم الله المثنى بن حارثة

الشيباني ! أما أنه لو كان حياً لقرت عيناه بهذا الفتح، فإني كنت أسمعه مراراً يقول: وددت أني قد رأيت فتح جلولاء ولو قبل موتي بيوم واحد !

قال فقال عبيد بن عمرو البجلي: نعم فرحم الله المثنى بن حارثة، إنه وإن كان قد مضى لسبيله لم تقر عينه بفتح جلولاء، لقد قرت عيناه بالجنة إن شاء الله، وقد قدم على ما قدم من الثواب الوافر، ثم أنشأ عبيد بن عمرو البجلي يقول:

أبشر مثنى فقد لاقيت مكرمةً *** يوم التغابن لما ثَوَّب الداعي

سل أهل ذي الكفر مهراناً وأسرته *** يوم البجيلة إذ خلوا عن القاع

وأسلموا ثم مهراناً ببلقعةٍ *** يوم العروبة مطروحاً بجعجاع

وفي جلولا أثرنا كل ذي بدع *** بكل صاف كلون الملح لماع

في كف كل كريم الجد ذو حسب *** حامى الحقيقة للاواء دفاع

قال:ثم رجع هاشم بغنائم جلولاء فوجه بها إلى المدائن إلى عمه سعد».

وجاء في رواية الطبري: 3/133: «لما نزل هاشم على مهران بجلولاء، حصرهم في خندقهم، فكانوا يزاحفون المسلمين في زهاء (عدد كثير) وأهاويل . وجعل هاشم يقوم في الناس ويقول: إن هذا المنزل منزل له ما بعده، وجعل سعد يمده بالفرسان، حتى إذا كان أخيراً احتفلوا للمسلمين فخرجوا عليهم، فقام هاشم في الناس فقال: أبلوا الله بلاء حسناً يتم لكم عليه الأجر والمغنم واعملوا لله .

فالتقوا فاقتتلوا، وبعث الله عليهم ريحاً أظلمت عليهم البلاد، فلم يستطيعوا إلا المحاجزة، فتهافت فرسانهم في الخندق، فلم يجدوا بداً من أن يجعلوا فرضاً

مما يليهم تصعد منه خيلهم، فأفسدوا حصنهم، وبلغ ذلك المسلمين فنظروا إليه فقالوا ننهض إليهم ثانية فندخله عليهم، أو نموت دونه .

فلما نهد المسلمون الثانية خرج القوم فرموا حول الخندق مما يلي المسلمين بحسك الحديد، لكيلا تقدم عليهم الخيل، وتركوا للمجال وجهاً، فخرجوا على المسلمين منه فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله إلا ليلة الهرير، إلا أنه كان أكمش وأعجل، وانتهى القعقاع بن عمرو في الوجه الذي زاحف فيه إلى باب خندقهم فأخذ به، وأمر منادياً فنادى يا معشر المسلمين، هذا أميركم قد دخل خندق القوم وأخذ به، فأقبلوا إليه ولا يمنعنكم من بينكم وبينه من دخوله، وإنما أمر بذلك ليقوى المسلمين به، فحمل المسلمون ولا يشكون إلا أن هاشماً فيه، فلم يقم لحملتهم شئ حتى انتهوا إلى باب الخندق، فإذا هم بالقعقاع بن عمرو قد أخد به، وأخذ المشركون في الهزيمة يمنة ويسرة عن المجال الذي بحيال خندقهم، فهلكوا فيما أعدوا للمسلمين، فعقرت دوابهم وعادوا رجالة وأتبعهم المسلمون، فلم يفلت منهم إلا من لا يعد، وقتل الله منهم يومئذ مائة ألف، فجللت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه، فسميت جلولاء بما جللها من قتلاهم فهي جلولاء الوقيعة ».

وجاء في رواية للطبري: «واستمد المسلمون سعداً فأمدهم بمائتي فارس ثم مائتين ثم مائتين، ولما رأى أهل فارس أمداد المسلمين بادروا بقتال المسلمين.. فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقاتلوا المسلمين مثله في موطن من المواطن، حتى أنفذوا النبل وحتى أنفذوا النشاب . وقصفوا الرماح حتى صاروا إلى السيوف

ص: 189

والطبرزينات (الفؤوس) فكانوا بذلك صدر نهارهم إلى الظهر، ولما حضـرت الصلاة صلى الناس إيماء، حتى إذا كان بين الصلاتين خنست كتيبة، وجاءت أخرى فوقفت مكانها...كان أشقى أهل فارس بجلولاء أهل الري، كانوا بها حماة أهل فارس، ففنى أهل الري يوم جلولاء ..

واقتسم فئ جلولاء على كل فارس تسـعة آلاف، تسـعة آلاف، وتسـعة من الـدواب . ورجع هاشم بالأخماس إلى سـعد.. اقتسم الناس فئ جلولاء على ثلاثين ألف ألف وكان الخمس سـتة آلاف ألف.. وقالوا جميعاً: كان فتح جلولاء في ذي القعدة سـنة سـتة عشر في أوله . بينها وبين المدائن تسعة أشهر ».

قال الطبري:3/139: «وقالوا جميعاً: كان فتح جلولاء في ذي القعدة سنة ستة عشر في أوله، بينها وبين المدائن تسعة أشهر ».

وفي فتوح البلاذري:2/370: «لما فرغ المسـلمون من أمر جلولاء الوقيعـة، ضم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى جرير بن عبد الله البجلي خيلاً كثيفة، ورتبه بجلولاء، ليكون بين المسلمين وبين عدوهم .

ثم إن سعداً وجه إليهم زهاء ثلاثة آلاف من المسلمين، وأمره أن ينهض بهم وبمن معه إلى حلوان . فلما كان بالقرب منها هرب يزدجرد إلى ناحيـة أصـبهان، ففتح جرير حلوان صـلحاً، على أن كف عنهم وأمنهم على دمائهم وأموالهم، وجعل لمن أحب منهم الهرب أن لا يعرض لهم .

ثم خلف بحلوان جريراً مع عزرة بن قيس بن غزيـة البجلي، ومضـى نحو الدينور فلم يفتحها، وفتح قرماسـين على مثل ما فتح عليه حلوان . وقدم

حلوان فأقام بها والياً عليها، إلى أن قدم عمار بن ياسر الكوفة، فكتب إليه يعلمه أن عمر بن الخطاب أمره أن يمد به أبا موسى الأشعري، فخلف جرير عزرة بن قيس على حلوان، وسار حتى أتى أبا موسى الأشعري، في سنة تسع عشرة» .

وقال الطبري:3/140: «فلما بلغ يزدجرد هزيمة أهل جلولاء ومصاب مهران خرج من حلوان سائراً نحو الري، وخلف بحلوان خيلاً عليها خسروشنوم، وأقبل القعقاع حتى إذا كان بقصر شيرين على رأس فرسخ من حلوان، خرج إليه خسروشنوم، وقدم الزينبي دهقان حلوان، فلقيه القعقاع فاقتتلوا فقتل الزينبي، واحتق فيه عميرة بن طارق وعبد الله فجعله وسلبه بينهما فعد عميرة ذلك حُقْرة . وهرب خسروشنوم، واستولى المسلمون على حلوان، وأنزلها القعقاع الحمراء(أسكن فيها الفرس وكانوا من حرس الشاه وأسلموا) وولى عليهم قباذ ».

ملاحظات على معركة جلولاء

1.قاد هذه المعركة الصعبة البطل الشيعي هاشم المرقال رضي الله عنه، وكان جيش المسلمين12 ألفاً برواية الطبري، و24 ألفاً برواية ابن الأعثم، لكن رواية الطبري عن مبلغ الغنائم وحصة المقاتل ترجح رواية ابن الأعثم . أما جيش الفرس فقد يكون ضعفي جيش المسلمين، وذكرت المصادر أن القتلى مئة ألف!

قال ابن خياط/94: «فكتب يزدجرد إلى الجبال فجمع المقاتلة، فوجههم إلى جلولاء، فاجتمع بها جمع كثير، عليهم خرزاد بن جرمهز». وخرزاد أخ رستم

القائد الفارسي المشهور الذي قُتل في القادسية . وقد تشكل جيش جلولاء من الآتين للدفاع عن المدائن من أنحاء إيران، ومن الجنود الهاربين من المدائن .

والظاهر أن إسم جلولاء قديم، وأنها كانت معسكراً للفرس، لأن المثنى كان يتمنى فتحها كما تقدم . وقد سميت بعد المعركة جلولاء الوقيعة .

وذكر المؤلفون أن عدد قتلى الفرس بلغوا مئة ألف، وهو مبالغة، خاصة أن المعركة كانت يوماً واحداً، ولا يتسع اليوم لأن يقتل المسلمون مئة ألف !

2.ذكرت بعض المصادر أن المسلمين جالوا جولة فكان النصر ! ففي الأخبار الطوال للدينوري/94: «هرب يزدجرد بن كسرى بعد وقعة المدائن إلى جلولاء وأقام سعد بالمدائن، فكتب يزد جرد إلى الجبال فجمع المقاتلة، فوجههم إلى جلولاء، فاجتمع بها جمع كثير عليهم خرزاد بن جرمهز، فكتب سعد إلى عمر يخبره، فكتب عمر: أقم بمكانك ووجه إليهم جيشاً، فإن الله ناصرك ومتم وعده، فعقد سعد لهاشم بن عتبة بن أبي وقاص، فالتقوا فجال المسلمون جولة (انهزموا) ثم هزم الله المشركين، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وحوى المسلمون عسكرهم وأصابوا أموالاً عظيمة وسلاحاً ودواب وسبايا ».

وهذا تبسيط خاطئ، أو تزوير لإثبات عذر سعد أمام الذين انتقدوه لعدم حضوره المعركة، فقالت الرواية إن المعركة كانت سهلة، وإن عمر كتب لسعد أن أقم وأرسل جيشاً! لكنها كانت معركة صعبة، فقد تخندق الفرس ثم فرشوا الحسك ليعقروا الخيول، وكانوا يبدلون الكتائب المقاتلة بكتائب جديدة مرتاحة . وتقدم قول المقاتلين لعمرو بن معدي كرب في نص ابن الأعثم: «تعلم أنا نقاتل هؤلاء القوم من وقت

بزوغ الشمس إلى وقتنا هذا، فقد تعبنا وكلت أيدينا ودوابنا وكاعت رجالنا، وقد والله خشينا أن نعجز عن هذه الكتيبة » !

ومن النصوص المعقوله في وصف المعركة قول البلاذري (2/324): «فلقوهم وحجر بن عدي الكندي على الميمنة، وعمرو بن معدى كرب على الخيل، وطليحة بن خويلد على الرجال، وعلى الأعاجم يومئذ خرزاد أخو رستم . فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله، رمياً بالنبل وطعناً بالرماح حتى تقصفت، وتجالدوا بالسيوف حتى انثنت . ثم إن المسلمين حملوا حملة واحدة قلعوا بها الأعاجم عن موقفهم وهزموهم فولوا هاربين، وركب المسلمون أكتافهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً حتى حال الظلام بينهم ».

3. ومما يدل على صعوبة المعركة قول قائدها هاشم، كما في الطبري:3/80):

يومُ جلولاءٍ ويومُ رستمِ *** ويومُ زحفِ الكوفة المقدم..

فذكر أولها يوم جلولاء، ثم يوم القادسية التي كان قائدها الفارسي رستم..

وقد اكتفت المصادر التي بأيدينا في معركة جلولاء برواية عن جرير وعن عمرو بن معدي كرب ولم ترو بطولات الأبطال الحقيقيين كعادتها، خاصةً هاشم المرقال، وحجر بن عدي، وابن المكشوح رضي الله عنهم .

4. ذكرنا في ترجمة سعد بن أبي وقاص، أنه فرَّ من معركة القادسية، وهجاه شعراء المسلمين وسخروا من جبنه، وحتى زوجته . وبعد القادسية انتظر حتى فتحوا المدائن فسارع اليها وانشغل بكنوز كسرى، ولم يذهب الى جلولاء ! ثم أرادوا التوجه الى داخل إيران لفتح حلوان وطلبوا حضوره فلم يحضر، فهجاه المسلمون بالشعر، فحضر على مضض الى خانقين فقط !

أبرز القادة الذين شاركوا في فتح العراق

أبرز القادة والفرسان الشيعة الذين شاركوا في فتح العراق وإيران، هم:

المثنى بن حارثـة، وإخوته مسـعود والمعنى وإبراهيم، وبقيـة قادة جيشه من بني شـيبان وبني عجل وبني تميم، وغيرهم.والمثنى أكثر القادة تأثيراً في فتح العراق.

وسلمان الفارسي، الذي نشط في دعوة الفرس الى الإسلام، خاصة شخصياتهم وحكامهم، وقد عينه عمر رائد المسلمين وداعيتهم، ثم أميناً على كنوز كسرى وأمواله عند فتح المدائن، ثم والياً على المدائن، وقاد بعض الفتوحات عسكرياً.

وعمار بن ياسر، كان والي الكوفة، وقائداً في معركة فتح تستر، وهو الذي جاء بالهرمزان أسيراً الى المدينة، فأسلم على يد أمير المؤمنين (عليه السلام) .

ثم كان عمار قائداً في معركة نهاوند، وغيرها من معارك فتح إيران .

وحذيفة بن اليمان، كان قائداً في معارك فتح العراق، والقائد العام في فتح نهاوند، وما بعدها، ثم في فتح أرمينيا، ومناطق من آسيا .

وعدي بن حاتم الطائي، كان قائداً في معارك فتح العراق وإيران، والشام .

وحجر بن عدي، كان قائداً في القادسية والمدائن وجلولاء، وفي فتح الشام .

وأبو عبيد بن مسعود الثقفي، كان والياً على العراق، وقائداً لمعركة الجسر أو قس الناطف، واستشهد فيها رضي الله عنه .

وهاشم المرقال بن عتبة بن أبي وقاص، كان قائداً في معركة أجنادين التي سببت فتح فلسطين، ثم في معركة اليرموك، ثم في معركة القادسية .

وكان القائد العام من قبل عمه سعد في معركة المدائن وجلولاء وحلوان، وقائداً في معركة نهاوند، ثم كان له دور في ترسيخ حكم المسلمين في مصر .

وقطبة بن قتادة بن الخصاصية، وابنه سويد، وهو صحابي، كان مع المثنى يغير على مسالح الفرس في البصرة .

وبشير بن الخصاصية، وهو صحابي قائد، كان المثنى يعتمد عليه في الإدارة والمعارك ويستخلفه إذا غاب، وقد استخلفه قائداً لجيشه عندما توفي .

وعمرو بن حزم، كان يغير مع المثنى على أطراف أرض السواد .

والنعمان بن مقرن، وإخوته، وهم سبعة: معقل وعقيل وسويد وسنان وعبد الرحمن، وسابع لم يسم، صحابة كان يعتمد عليهم علي (عليه السلام)، وكلهم قادة، كانوا مع علي (عليه السلام) عندما خرج للدفاع عن المدينة، وكانوا قادة في فتح العراق وغيره . وكان النعمان القائد العام لمعركة نهاوند باقتراح علي (عليه السلام)، وقد استشهد فيها .

ومذعور بن عدي العجلي، كان قائداً عند المثنى في معركة الجسر، ومعركة البويب وغيرها. وهو صحابي وفد مع المثنى الى النبي (صلى الله عليه و آله) (تاريخ دمشق: 57/198).

لكن رواة الخلافة عاملوهما كأنهما غير صحابة، تبعاً لعمر !

وعمرو بن معدي كرب الزبيدي، كان قائداً في معركة اليرموك، ثم سارع مع هاشم المرقال الى القادسية وشارك فيها، ثم في معركة جلولاء وحلوان، وتستر واستشهد في فتح تستر .

وقيس بن مكشوح المرادي، وهو صحابي كتب له النبي (صلى الله عليه و آله) ليساعد في قتل مدعي النبوة الأسود العنسي، وكانت له أدوار بطولية وقيادية في الفتوحات،

فقد شارك في معركة اليرموك وسارع مع هاشم المرقال الى العراق، فحضر القادسية وكان قائد ميسرتها، وكان قائداً فيما بعدها من معارك . وهو من كبار أصحاب علي (عليه السلام)، واستشهد معه في صفين .

وعطارد بن حاجب، وأبوه حاجب زعيم بني تميم، الذي اشتهر برهن قوسه وثيقة عند كسرى، وابنه عطارد جاء بوفد تميم الى النبي (صلى الله عليه و آله) وأسلم في السنة التاسعة، وشارك في القادسية وبعض الفتوح، وكذا ابنه عمير، وكان من أصحاب علي (عليه السلام) وقادته في صفين .

وغيرهم كثير.. ورد ذكرهم في معارك الفتوحات، وأحداثها .

أما أبرز القادة والفرسان غير الشيعة، المشاركين في فتح العراق وإيران، فهم: خالد بن الوليد، كان والياً على العراق من قبل أبي بكر نحو سنة، ولم يكن في عصره معارك مع الفرس أبداً، لا نشغالهم بوضعهم الداخلي . فكان عمل خالد في العراق توقيع عهود الصلح مع القرى والدساكر التي خرجت من تحت النفوذ الفارسي . وقد أغار على بعض الدساكر وقتل منها وأخذ منها أسرى . وأغار على قبائل عربية منهم بنو تغلب وقتل منهم وسبى، وكان منهم مسلمون فلم يصدقهم وقتل منهم، فدفع أبو بكر دية بعضهم .

ثم ذهب خالد قائداً في جيش فتح الشام، ثم عزله عمر، وبقي بدون صفة رسمية، وشارك في معركة اليرموك وغيرها، لكن لم يثبت أنه قاتل أبداً، وقد ادعى لنفسه وادعوا له بطولات كبيرة ! وسكن خالد في حمص وتوفي فيها .

وعتبة بن غزوان: بعثه عمر الى البصرة في ثلاث مئة مقاتل، وبقي فيها شهوراً، وكره أن يكون أميره سعد بن أبي وقاص، واستعفى.

ونسبوا له فتح الأبلة في البصرة، ورووا أن أهلها خرجوا اليه بالمساحي ! ومعناه أنه لم يكن فيها جيش للفرس ولا حاميات، ولا كان أهلها مسلحين.

كما نسبوا الى عتبة فتح ميسان وإرسال جيش الى فارس . ورددنا ذلك في محله .

والأشعث بن قيس الكندي:وكان يقود مقاتلي قبيلته كندة في القادسية وبعدها.

والمغيرة بن شعبة: وهو ثقفي استنابه عتبة بن غزوان على البصرة، ووقعت له فضيحة مع امرأة محصنة زنى بها، فسترها عمر، ثم ولاه البصرة، ثم الكوفة .

فالأشعث والمغيرة لايعتبران قائدين عسكريين في الفتح، بل هما واليان .

قال البلاذري في أنساب الأشراف:13/344: «خرج المغيرة ومعه جرير بن عبد الله، والأشعث بن قيس، وهو يومئذ والي الكوفة، فلقوا أعرابياً فقالوا له: ما تقول في المغيرة بن شعبة؟ قال أعيور زنّاء، ترفعه إمرته وتضعه أسرته !

قالوا: فجرير بن عبد الله ؟ قال: هو بجيلة إذا رأيتموه فقد رأيتموها !

قالوا: فالأشعث ؟ قال: لا يغزى قومه ما بقي لهم . (أي لحنكته وحيله).

فقالوا له: هذا المغيرة، وهذا جرير، وهذا الأشعث ! فانصرف وقال: ما كنت لآتي قوماً أسمعتهم المكروه، وقال لامرأته: يا أم فلان إصرفي حمارك ».

وأبو موسى الأشعري: وكان معروفاً ببغضه لعلي وأهل البيت (عليهم السلام)، وقد بعثه عمر والياً على البصرة، وكان القائد الرسمي لمعركة تستر، ولم يبرز الى أحد ولا قاتل في معركة، فهو من نوع خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص، بل دونهما .

وجرير بن عبد الله البجلي: بعثه عمر والياً على العراق ومدداً للمثنى، وأعطاه ربع الخمس من الغنائم . وشارك في معركة البويب والقادسية، وما بعدها، وكان له ولبجيلة دور متوسط في المعارك، ضخَّمه الرواة .

وعياض بن غنم: الأشعري أو الفهري على خلاف فيه، وقد شهد اليرموك، ونسبوا اليه أنه فتح الجزيرة والموصل .

وطليحة بن خويلد الأسدي: الذي تنبأ وانهزم الى الشام، ثم تاب، وكان قائداً في القادسية وما بعدها، والمعروف أنه استشهد في معركة نهاوند .

والقعقاع بن عمرو التميمي، وقد بالغ رواة الفتوح في بطولاته وأساطيره، حتى أنكر وجوده بعض الباحثين، وقد ترجمنا له باختصار .

وذو الخمار الأسدي: وكان من فرسان القادسية . (الأنساب:4/122) .

وأبو محجن الثقفي: الذي كان محبوساً لإدمانه على الخمر، فلما رأى خيل المسلمين انهزمت في القادسية طلب من امرأة سعد أن تطلقه وسيعود الى سجنه فأطلقته وأعطته فرس سعد فحمل على العدو حملة فارس بطل، وقتل منهم ورجع الى سجنه وتاب عم الخمر . وذكرالطبري (2/644) أنه هرب من أليس .

وسنورد ترجمات بعضهم لنكشف حجم أدوارهم في معارك الفتح وفعالياته .

صورة كلية لفتح إيران

اشارة

تم فتح إيران من ثلاث جبهات:

الأولى: جبهة تحرير العراق الذي كان أكثره تحت احتلال النظام الفارسـي، وكانت عاصـمتهم المدائن التي تبعد عن بغداد نحو ستين كيلو متراً، ولذلك تعتبر معارك فتح العراق جزءاً أساسياً من فتح فارس .

وقد صارت الكوفة قاعدة عسكرية ومدينة كبيرة، تجتمع فيها قوات المسلمين وتنطلق الى أنحاء العراق و إيران، وآذربيجان وما وراءها .

والثانيـة: جبهـة البصـرة، وصارت قاعـدة لانطلاق قوات المسـلمين الى الأهواز وتستر ونهاونـد وأصـفهان وبقيـة إيران . وكانت أهم معارك المسـلمين مع الفرس بعـد تحرير العراق، معركـة تستر «شوشتر» ثم معركـة نهاونـد الكبرى، التي كان النصـر فيها مدخلاً لفتح كل إيران . وكانت قواتها من الكوفة والبصرة .

والثالـثة: جبهـة البحرين، التي بـدأت بحملـة العلاء الحضـرمي وبني عبد القيس بالسـفن من البحرين، وبقيت البحرين قاعدة لفتح شـيراز وكرمـان وبلوشسـتان وقسـم من الهنـد وقسم من خراسـان، لأن البحرين تقابـل هـذه المنـاطق، ويبعـد عنهـا مينـاء سـيراف «بنـدر جم» نحو200كيلو متر . بينما يبعد ساحل شيراز عن الأهواز نحو700 كيلو متراً.

وعندما توغل المسلمون في هذه الجبهات انفتحت جبهات أخرى، كجبهة خراسان، لفتح بقية مناطقها وما وراء النهر، من شرق آسيا.

وجبهة آذربيجان لفتح أرمينيا وجهتها. وجبهة مكران لفتح الباكستان والهند .

ص: 199

بدأ فتح إيران من البحرين

كان إسم البحرين يشمل البحرين الفعلية والقطيف والأحساء . وقد وَفَدَ أهلها الى النبي (صلى الله عليه و آله) وأسلموا طوعاً، فعيَّن العلاء بن الحضرمي والياً عليهم .

قال البلاذري:1/95:«فلما كانت سنة ثمان وجه رسول الله (صلى الله عليه و آله) العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي حليف بنى عبد شمس، إلى البحرين ليدعوأهلها إلى الإسلام أو الجزية، وكتب معه إلى المنذر بن ساوى والى سيبخت مرزبان هجر يدعوهما إلى الإسلام أو الجزية، فأسلما وأسلم معهما جميع العرب هناك وبعض العجم . فأما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى، فإنهم صالحوا العلاء...

عن قتادة قال: لم يكن بالبحرين في أيام رسول الله (صلى الله عليه و آله) قتال، ولكن بعضهم أسلم، وبعضهم صالح العلاء على أنصاف الحب والتمر ».

ثم اشتكى أهل البحرين على العلاء لشدته في استيفاء الخراج، فعزله النبي (صلى الله عليه و آله) وولى مكانه أبان بن سعيد بن العاص . ثم تولاها العلاء ثانيةً في زمن أبي بكر .

قال ابن سعد في الطبقات:4/260: «وكان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد كتب إلى العلاء بن الحضرمي أن يقدم عليه بعشرين رجلاً من عبد القيس،فقدم عليه منهم بعشرين رجلاً رأسهم عبد الله بن عوف الأشج، واستخلف العلاء على البحرين المنذر بن ساوى، فشكا الوفد العلاء بن الحضرمي، فعزله رسول الله (صلى الله عليه و آله)، وولى أبان بن سعيد بن العاص وقال له: استوص بعبد القيس خيراً وأكرم سراتهم...فلم يزل أبان بن سعيد عاملاً على البحرين حتى قبض رسول الله (صلى الله عليه و آله) وارتد ربيعة

بالبحرين، فأقبل أبان بن سـعيد إلى المدينـة وترك عمله، فأراد أبو بكر الصديق أن يرده إلى البحرين فأبى وقال: لا أعمل لأحد بعد رسول الله (صـلى الله عليه و آله) فأجمع أبو بكر بعثة العلاء بن الحضرمي، فدعاه فقال: إني وجدتك من عمال رسول الله الذين ولَّى، فرأيت أن أوليك ما كان رسول الله (صـلى الله عليه و آله) ولاك، فعليك بتقوى الله . فخرج العلاء بن الحضـرمي من المدينة في ستة عشر راكباً معه فرات بن حيان العجلي دليلاً، وكتب أبو بكر كتاباً للعلاء بن الحضـرمي أن ينفر معه كل من مر به من المسـلمين إلى عدوهم، فسار العلاء فيمن تبعه منهم، حتى نزل بحصن جواثـا فقـاتلهم فلم يفلت منهم أحـد . ثم أتى القطيف وبهـا جمع من العجم فقاتلهم فأصاب منهم طرفاً وانهزموا، فانضـمت الأعاجم إلى الزارة فأتاهم العلاء فنزل الخط على ساحل البحر، فقاتلهم وحاصـرهم إلى أن توفي أبو بكر وولي عمر بن الخطاب، وطلب أهل الزارة الصلح فصالحهم العلاء .

ثم عبر العلاء إلى أهل دارين فقاتلهم، فقتل المقاتلة وحوى الذراري .

وبعث العلاء عرفجة بن هرثمة إلى أسـياف فارس فقطع في السـفن، فكان أول من فتح جزيرة بأرض فارس، واتخذ فيها مسـجداً، وأغار على باريخان والأسياف، وذلك في سنة أربع عشرة ».

هكـذا روى ابن سـعد بداية فتح إيران من جهة البصـرة، فقد بدأ به العلاء وأرسل القائد الأزدي عرفجة، الذي كان رئيس بجيلة وتركهم، وعاد الى قومه الأزد .

وعبر عرفجـة بجنوده من بني عبد القيس ومن انضم اليهم من الأزد في سـفنهم الى الساحل الفارسـي الذي يقابل البحرين، ويظهر أنه ميناء سيراف الذي يسمى الآن

ميناء جم، ويبعد عن البحرين في البحر نحو200كيلومتر، ويبعد عن إصطخر وشيراز نحو300 كيلومتر، كما يفهم من الخرائط .

والأمر المنطقي أن يتخذ عرفجة الميناء معسكراً ويغير منه على القرى والمدن داخل إيران فإن لم يحقق نصراً مهماً، رجع الى معسكره .

وكانت هذه الغزوة الأساس والركيزة لما بعدها من عمليات لفتح تلك المناطق . كما يظهر أيضاً أن غضب الخليفة عمر على العلاء الحضرمي، قد سبَّبَ تأخير فتح تلك المناطق الى أواخر خلافة عمر، وأوائل خلافة عثمان !

وتقول الرواية الرسمية عن تلك الحملة إن العلاء بن الحضرمي وأهل البحرين أخطأوا، لأنهم ركبوا البحر وهو محرم شرعاً، فغضب عمر وأمرهم بالإنسحاب !

وقد رواها الطبري، وابن خياط، والحموي، والكلاعي، والنويري، وابن خلدون، وغيرهم، وأضافت الرواية أن عمر حكم على نية العلاء الحضرمي بأنها لغير الله تعالى وأنه أراد أن ينافس سعد بن أبي وقاص لنجاحه في معركة القادسية، فارتكب جريمة تعريض المسلمين للخطر بإرسالهم في البحر، فعاقبه عمر وأمره أن يكون تحت إمرة خصمه اللدود سعد بن أبي وقاص، ثم رأينا أن العلاء مات فجأة في تلك السنة !

وأضافت روايتهم أن القائد الذي أرسله العلاء هو خليد بن المنذر العبدي، وأنه غزا إصطخر وهي عاصمة قديمة لإيران تقع قرب شيراز، ثم رجع فوجد أن الفرس أغرقوا سفنه وحاصروه، فظل مع جنده محاصرين حتى أمر عمر عامله على البصرة عتبة بن غزوان، فأرسل لهم جيشاً من اثني عشر ألفاً وأنقذهم من الحصار !

وهذا نصها من الطبري:3/176: «وكان العلاء بن الحضرمي على البحرين أزمان أبي بكر فعزله عمر، وجعل قدامة بن المظعون مكانه، ثم عزل قدامة ورد

العلاء. وكان العلاء يبارى سعداً لصدع صدعه القضاء (والقدر) بينهما، فطار العلاء على سعد في الردة بالفضل، فلما ظفر سعد بالقادسية وأزاح الأكاسرة عن الدار، وأخذ حدود ما يلي السواد واستعلى وجاء بأعظم مما كان العلاء جاء به، أسَرَّ العلاء أن يصنع شيئاً في الأعاجم رجاء أن يدال كما قد كان أديل، ولم يقدر العلاء ولم ينظر فيما بين فضل الطاعة والمعصية بجد، وكان أبو بكر قد استعمله وأذن له في قتال أهل الردة، واستعمله عمر ونهاه عن البحر، فلم يقدر في الطاعة والمعصية وعواقبهما، فندب أهل البحرين إلى فارس فتسرعوا إلى ذلك، وفرقهم أجناداً على أحدهما الجارود بن المعلى، وعلى الآخر السوار بن همام، وعلى الآخر خليد بن المنذر بن ساوى، وخليد على جماعة الناس، فحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر، وكان عمر لا يأذن لأحد في ركوبه غازياً، يكره التغرير بجنده، استناناً بالنبي (صلى الله عليه و آله) وبأبي بكر لم يُغْزِ فيه النبي ولا- أبو بكر، فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا في إصطخر وبإزائهم أهل فارس، وعلى أهل فارس الهربذا، اجتمعوا عليه فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم، فقام خليد في الناس فقال: أما بعد فإن الله إذا قضى أمراً جرت به المقادير حتى تصيبه، وإن هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوكم إلى حربهم، وإنما جئتم لمحاربتهم، والسفن والأرض لمن غلب، فاستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين .

فأجابوه إلى ذلك، فصلوا الظهر، ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً في موضع من الأرض يدعى طاوس، وجعل السوار يرتجز يومئذ ويذكر قومه ويقول:

يا آل عبد القيس للقراعِ *** قد حَفِلَ الأمداد بالجِراعِ

وكلهم في سَنَن المَصاع *** يحُسْنُ ضربَ القوم بالقِطاع

حتى قُتل . وجعل الجارود يرتجز ويقول:

لو كان شيئاً أمما أكلته *** أو كان ماء سادما جهرته

لكن بحراً جاءنا أنكرته

حتى قتل يومئذ . وولى عبد الله بن السوار، والمنذر بن الجارود حياتهما، إلى أن ماتا، وجعل خليد يومئذ يرتجز ويقول:

يال تميمٍ أجمعوا النزولْ *** وكاد جيش عُمَرٍ يزولْ

وكلكم يعلم ما أقولْ

إنزلوا فنزلوا، فاقتتل القوم فقُتِل أهل فارس مقتلة لم يقتلوا مثلها قبلها، ثم خرجوا يريدون البصرة، وقد غرقت سفنهم، ثم لم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً، ثم وجدوا شهرك قد أخذ على المسلمين بالطرق، فعسكروا وامتنعوا في نشوبهم . ولما بلغ عمر الذي صنع العلاء من بعثه ذلك الجيش في البحر ألقى في روعه نحو من الذي كان، فاشتد غضبه على العلاء وكتب إليه يعزله، وتوعده وأمره بأثقل الأشياء عليه وأبغض الوجوه إليه، بتأمير سعد عليه ! وقال: إلحق بسعد بن أبي وقاص فيمن قبلك . فخرج بمن معه نحو سعد .

وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان أن العلاء بن الحضرمي حمل جنداً من المسلمين فأقطعهم أهل فارس وعصاني، وأظنه لم يرد الله بذلك، فخشيت عليهم أن لا ينصروا وأن يغلبوا وينشبوا، فاندب إليهم الناس واضممهم إليك من قبل أن يُجتاحوا . فندب عتبة الناس وأخبرهم بكتاب عمر، فانتدب عاصم بن عمرو، وعرفجة بن هرثمة، وحذيفة بن محصن، ومجزأة بن ثور، ونهار بن الحارث،

والترجمان بن فلان، والحصين بن أبي الحر، والأحنف بن قيس، وسعد بن أبي العرجاء، وعبد الرحمن بن سهل، وصعصعة بن معاوية، فخرجوا في اثنى عشر ألفاً على البغال، يجنبون الخيل، وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم أحد بني مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، والمسالح على حالها بالأهواز والذمة، وهم ردء للغازي والمقيم، فسار أبو سبرة بالناس وساحَلَ لا يلقاه أحد ولا يعرض له، حتى التقى أبو سبرة وخليد بحيث أخذ عليهم بالطرق غبَّ وقعة القوم بطاوس وإنما كان ولى قتالهم أهل إصطخر وحدهم والشذاذ من غيرهم، وقد كان أهل إصطخر حيث أخذوا على المسلمين بالطرق وأنشبوهم، استصرخوا عليهم أهل فارس كلهم، فضربوا إليهم من كل وجه وكورة، فالتقوا هم وأبو سبرة بعد طاوس، وقد توافت إلى المسلمين أمدادهم وإلى المشركين أمدادهم، وعلى المشركين شهرك، فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركين، وأصاب المسلمون منهم ما شاؤوا . وهي الغزاة التي شرفت فيها نابتة البصرة (ناشئتهم وأولادهم)وكانوا أفضل نوابت الأمصار، فكانوا أفضل المصريْن نابتةً . ثم انكفؤوا بما أصابوا وقد عهد إليهم عتبة وكتب إليهم بالحث وقلة العرجة، فانضموا إليه بالبصرة فخرج أهلها إلى منازلهم منها، وتفرق الذين تنقذوا من أهل هجر إلى قبائلهم، والذين تنقذوا من عبد القيس الى موضع سوق البحرين.

ولما أحرز عتبة الأهواز وأوطأ فارس، استأذن عمر في الحج فأذن له، فلما قضى حجه استعفاه فأبى أن يعفيه وعزم عليه ليرجعن إلى عمله، فدعا الله ثم انصرف فمات في بطن نخلة فدفن ! وبلغ عمر فمر به زائرا لقبره وقال أنا قتلتك لولا أنه

أجل معلوم وكتاب مرقوم وأثنى عليه بفضله ولم يختط فيمن اختط من المهاجرين، وإنما ورث ولده منزلهم من فاختة ابنة غزوان، وكانت تحت عثمان بن عفان، وكان خباب مولاه قد لزم سمته فلم يختط .

ومات عتبة بن غزوان على رأس ثلاث سنين ونصف من مفارقة سعد بالمدائن، وقد استخلف على الناس أبا سبرة بن أبي رهم، وعماله على حالهم ومسالحه على نهر تيري ومناذر وسوق الأهواز وسرق والهرمزان برامهرمز، مصالح عليها. وعلى السوس والبنيان وجندي سابور ومهرجانذق، وذلك بعد تنقذ الذين كان حمل العلاء في البحر إلى فارس ونزولهم البصرة، وكان يقال لهم أهل طاوس نسبوا إلى الوقعة، وأقر عمر أبا سبرة بن أبي رهم على البصرة بقية السنة ثم استعمل المغيرة بن شعبة في السنة الثانية بعد وفاة عتبة، فعمل عليها بقية تلك السنة والسنة التي تليها لم ينتقض عليه أحد في عمله، وكان مرزوقاً السلامة ولم يحدث شيئاً إلا ما كان بينه وبين أبي بكرة .

ثم استعمل عمر أبا موسى على البصرة ثم صرفه إلى الكوفة، ثم استعمل عمر بن سراقة، ثم صرف عمر بن سراقة إلى الكوفة من البصرة، وصرف أبا موسى إلى البصرة من الكوفة، فعمل عليها ثانية ». انتهى. وقد روت نحوه أكثر المصادر .

نقد هذه الرواية في مسائل

المسألة الأولى

ذكرت رواية ابن سعد أن قائد الجيش كان عرفجة بن هرثمة وهو فارس شجاع، من قبيلة الأزد، سكن في بجيلة فرأَّسوه عليهم، حتى رأّس عليهم عمر جريراً، فتركهم عرفجة وعاد الى قومه الأزد ففرحوا به، وصارت له رئاسة نسبية فيهم، وكانت منازل الأزد في البصرة والبحرين، وجمهرتهم في عُمان .

لكن رواية الطبري والأكثرية، ذكرت أن قائد الحملة خليد بن المنذر بن ساوي: «فندب أهل البحرين إلى فارس فتسرعوا إلى ذلك، وفرقهم أجناداً، على أحدهما الجارود بن المعلى، وعلى الآخر السوار بن همام، وعلى الآخر خليد بن المنذر بن ساوى، وخليد على جماعة الناس».

وخليد هذا من عبد القيس، وهو صحابي، قال في الإصابة:2/342: «وقد تقدم أنهم كانوا لا يؤمرون إلا الصحابة، فدل على أن لخليد وفادة ».

كما أن وقت غزوة العلاء في رواية الطبري السنة السابعة عشرة، وفي رواية ابن سعد السنة الرابعة عشرة، أي قبل القادسية بسنة أو سنتين . وهذا ينفي القول بأن العلاء أراد أن ينافس سعداً بعد انتصاره في القادسية !

على أن سعداً لم يكن سعد في المعركة، وقد ذكرنا في ترجمته هروبه حتى اتهمته زوجته بالجبن، ونظم المسلمون فيه الشعر، فلا يقاس به العلاء الحضرمي!

ص: 207

المسألة الثانية

لاتصح رواية الطبري جغرافياً، فإن الأمر المعقول في فتح فارس من البحرين أو البصرة، أن يتخذ الجيش قاعدته في سيراف، التي تقع مقابل البحرين، وهي ميناء جم الإيراني الفعلي، ويتجه منها الى إصطخر وشيراز .

وقد ذكرت رواية أن جيش العلاء فتح جزيرة وبنى فيها مسجداً، ولعلها كاوان، ثم توغل صعوداً في الجبال الى اصطخر، التي تقع قرب شيراز على بعد نحو 180كيلومتراً من البحر، حسب خرائط إيران، فلقيهم القائد الفارسي شهراك ملك منطقة كرمان، فوقعت بينهم معركة في تخت طاووس قرب شيراز وتسمى اليوم تخت جمشيد، وانتصر المسلمون لكنهم قرروا أن يرجعوا الى الساحل ليصلهم المدد، فيهاجموا شيراز أو كرمان .

وعندما رجعوا وجدوا أن الفرس أغرقوا سفنهم فأرسلوا الى العلاء ليمدهم، لكن عمر غضب عليه، وأرسل لهم أن يعودوا !

أما مقولة إنهم علقوا وحاصرهم الفرس، وإن أبا سبرة جاء باثني عشر ألفاً فأنقذهم، فلاتصح، لأن الذي خاض معركة مع القائد شهراك أو شهرك أو سهرك، في طاووس هو خليد، وليس أبا سبرة .

ففي معجم البلدان (4/8) وفي الأربعين البلدانية لابن عساكر (4/8) أيضاً: «طاووس: موضع بنواحي بحر فارس، كان العلاء الحضرمي أرسل إليه جيشاً في البحر من غير إذن عمر، فسخط عليه وعزله، وراح إلى الكوفة إلى سعد بن أبي وقاص لأنه كان يعضده فمات في ذي قار، وقال خليد بن المنذر في ذلك:

بطاووس ناهبنا الملوك وخيلنا *** عشية شهراكٍ علون الرواسيا

أطاحت جموع الفرس من رأس حالق *** تراه لبوَّار السحاب مناغيا

فلا يبعدنَّ الله قوماً تتابعوا *** فقد خضبوا يوم اللقاء العواليا

فقد كانت المعركة مع شهراك في طاووس على بعد180كلم من سيراف، وجاء جيش أبي سبرة بزعمهم على الساحل الى سيراف، ولا وجود لقوات فارسية، ولا لعمران مهم في ذلك الساحل .

ومما يوجب الشك في أصل جيش أبي سبرة، أنه لاتوجد رواية أخرى عنه، مع أنه حدث كبير نسبياً، وأنهم لم يسموا قائد المعركة من العدو، ولا حددوا مكانها ولا من قتل فيها ! وهذه عادة الراوي عندما يخترع معركة لاوجود لها !

ولعلهم تعصبوا لأبي سبرة لأنه صهر سهيل بن عمرو، ونائب عتبة بن غزوان، ضد خليد بن المنذر العبدي الشيعي، كما فعل ابن كثير فأضاف من عنده عبارات مديح لأبي سبرة وجيشه، لاتوجد في أي مصدر ذكر الحادثة !

قال في النهاية (7/96): «فساروا على الساحل لا يلقون أحداً، حتى انتهوا إلى موضع الوقعة التي كانت بين المسلمين من أصحاب العلاء، وبين أهل فارس بالمكان المسمى بطاووس، وإذا خليد بن المنذر ومن معه من المسلمين محصورون قد أحاط بهم العدو من كل جانب وقد تداعت عليهم تلك الأمم من كل وجه، وقد تكاملت أمداد المشركين ولم يبق إلا القتال . فقدم المسلمون إليهم في أحوج ما هم فيه إليهم، فالتقوا مع المشركين رأساً، فكسر أبو سبرة المشركين كسرة عظيمة، وقتل منهم مقتلة عظيمة جداً، وأخذ منهم أموالاً جزيلة باهرة،

ص: 209

واستنقذ خليداً ومن معه من المسلمين من أيديهم، وأعز به الإسلام وأهله، ودفع الشرك وذله ولله الحمد والمنة، ثم عادوا إلى عتبة بن غزوان إلى البصرة ».

فكيف يصح هذا الكلام الذي يزعم أن جيش خليد علق في الساحل الفارسي طول هذه المدة، أي في سيراف التي تبعد عن البحرين200 كيلو متراً في البحر، بينما تبعد عن البصرة نحو800 كيلو متراً .

فهل كان خليد وجيشه عاجزين عن السيطرة على سفن من الساحل الفارسي والرجوع بها الى البحرين، أو عن إحضار سفن من البحرين؟

وهل كانوا عاجزين عن سلوك الطريق الساحلي الى البصرة، وقد سلكه أبو سبرة بجيشه (المنقذ) ولم يكن في طريقه أحد من العدو كما قالت الرواية ؟!

فالصحيح ما رواه البلاذري، وهو أن عمر سحب جيش العلاء الحضرمي، وأمدَّ به واليه على الموصل، فلم يعلق الجيش، ولا أنقذه أبو سبرة !

قال البلاذري (2/476)، وجعل قائد الجيش هرثمة بن بن عرفجة: «كان العلاء بن الحضرمي، وهو عامل عمر بن الخطاب على البحرين، وجه هرثمة بن عرفجة البارقي، من الأزد، ففتح جزيرة في البحر مما يلي فارس . ثم كتب عمر إلى العلاء أن يمد به عتبة بن فرقد السلمي ففعل ».

وفي الأربعين البلدانية لابن عساكر:4/227: «وأما فتح فارس فكان بدؤه أن العلاء الحضرمي عامل أبي بكر ثم عامل عمر على البحرين، وجه عرفجة بن هرثمة البارقي في البحر، فعبره إلى أرض فارس ففتح جزيرة مما يلي فارس. فأنكر عمر ذلك لأنه لم يستأذنه، وقال غررت المسلمين ! وأمره أن يلحق بسعد

بن أبي وقاص بالكوفة، لأنه كان واجداً على سعد فأراد قمعه بتوجيهه إليه على أكره الوجوه، فسار نحوه فلما بلغ ذا قار مات العلاء الحضرمي! وأمر عمر عرفجة أن يلحق بعتبة بن فرقد السلمي بناحية الجزيرة ففتح الموصل».

المسألة الثالثة

لاتصح روايتهم الرسمية زمنياً، لأنها جعلت وقت إرسال العلاء جيشه الى فارس في ولاية عتبة بن غزوان على البصرة، وقد نص كثير من المؤرخين على أن ولايته كانت سنة 14هجرية، وأن مدة ولايته بضعة شهور فقط .

ثم فرضت أن ذلك كان بعد معركة القادسية قالت: «فلما ظفر سعد بالقادسية وأزاح الأكاسرة عن الدار.. أسَرَّ العلاء أن يصنع شيئاً في الأعاجم» .

والقادسية وقعت بعد ذلك بنحو سنتين ! على أن رواية البلاذري ذكرت أن إرسال عتبة كان بعد معركة البويب التي قتل فيها القائد الفارسي مهران، وهي قبل القادسية بأكثر من سنة !

قال البلاذري(2/418): «فلما بلغ عمر بن الخطاب خبر سويد بن قطبة وما يصنع بالبصرة، رأى أن يوليها رجلاً من قبله فولاها عتبة بن غزوان..وقال له: إن الحيرة قد فتحت وقتل عظيم من العجم يعنى مهران، ووطأت خيل المسلمين أرض بابل . فصر إلى ناحية البصرة واشغل من هناك من أهل الأهواز وفارس وميسان عن إمداد إخوانهم على إخوانك .فأتاها عتبة وانضم إليه سويد بن قطبة ومن معه من بكر بن وائل وبنى تميم ».

وبهـذا يتضـح أن عمل العلاء كان فعلاً طبيعياً، وأنه بعد أن قضـى على الردة في البحرين، توجه الى فتح المنطقة المقابلة لها من إيران وهي شيراز وكرمان .

فلم يكن فعله منافسة لانتصار سـعد في القادسـية، لأنها لم تكن وقعت، ولا لانتصار المسلمين في معركة البويب التي قتل فيها قائد الفرس مهران، لأنها كانت بقيادة المثنى بن حارثة قبل مجيئ سعد الى العراق .

وينبغي أن نعلق هنا على مطلع روايـة البلاذري الـذي يقول: «فلما بلغ عمر بن الخطاب خبر سويـد بن قطبـة، وما يصـنع بالبصـرة، رأى أن يوليها رجلاً من قبله فولاها عتبـة بن غزوان» فهو يعني أن سويـداً العجلي الـذي هو من قادة المثنى، ومن بني عجل حلفاء بني شـيبان، كان حقق انتصارات مهمة في البصرة، فقرر عمر أن يكون مكانه رجل «من قبله» يقطف تلك الإنتصارات !

وبالفعل عزل قطبة الذي كان والياً من قبل أبي بكر بدل أن يكافئه ويرقيه، ونصب عتبة الذي لم يستطع الإدارة باعتراف عمر !

قال اليعقوبي (2/138): «وكان عمال أبي بكر لما توفي: عتاب بن أسـيد على مكـة... والمثنى بن حارثـة الشـيباني على الكوفة، وسويد بن قطبة على البصرة ».

وقد عزلهما عمر ونصب بدلهما جريراً ثم سعداً وعتبة فأخر حركة فتح العراق ! وقد بينا خشونة تعامل عمر مع المثنى بن حارثة في ترجمته .

المسألة الرابعة

بـدأت جبهـة فتـح إيران من جهـة سـيراف وكرمان الى مكران أي بلوشسـتان، والى شـيراز وطبس وخراسان، ببني عبد القيس على يد العلاء الحضـرمي، وبقيت في عهـدة البحرينيين، فهم الـذين بـدؤوا في فتحها، وخاضوا معاركها، لكن عمر غضب على أميرهم العلاء لحاجة في نفسه وأوقف عملهم !

قال اليعقوبي:2/134: «وبعث أبو بكر عثمان بن أبي العاص، ونـدب معه عبد القيس، فسار في جيش إلى توج فافتتحها وسبى أهلها،وافتتح مكران وما يليها»

وهذه شـهادة مهمة من ابن واضح اليعقوبي وهو مؤرخ دقيق، بأن أهل البحرين فتحوا في زمن أبي بكر «توج» وهي كرمان، و«مكران» وهي بلوشستان الإيرانية . ومعناه أن عمر غضب عليهم وأمرهم بالإنسحاب من مناطق واسعة كانوا فتحوها !

لكن بني عبد القيس فرضوا على الخلافة عملهم، ووصـلوا عملياتهم، وتعرف ذلك من أسماء قادة معارك فتح إيران، ومن ولاء المسلمين من أهل تلك المناطق الى عبـد القيس، كأبي الهذيل العلاف مولى عبد القيس شـيخ المعتزلة والمؤلف على مذهبهم (لسان الميزان:5 /413) وابن شقيق المروزي مولى عبد القيس (الأنساب للسمعاني: 4 /143) والعشرات بل المئات من موالي عبد القيس أو موالي العبديين، وهم من أهل المناطق التي فتحها بنو عبـد القيس أو عملوا فيها في مطلع الفتح الإسـلامي. ولا يتسع المجال لسـرد العديد منهم من كتب رجال الحديث .

قال البلاذري (2/476): «ثم ولى عمر عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعمان فدوخهما، واتسقت له طاعة أهلهما، وجه أخاه الحكم بن أبي العـاص في البحر إلى فارس، في جيش عظيم من عبـد القيس والأزد وتميم وبنى ناجيـة وغيرهم، ففتـح جزيرة أبركاوان، ثم صار إلى توج (كرمان) وهي من أرض أردشـير خرَّه، ومعنى أردشير خرة بهاء أردشير، وفى رواية أبى مخنف أن عثمان بن أبي العاص نفسه قطع البحر إلى فارس فنزل توج ففتحها وبنى بها المساجـد، وجعلها داراً للمسـلمين، وأسـكنها عبـد القيس وغيرهـم، فكان يغير منها على أرجان وهي متاخمة لها ».

ومن المعروف أن عبد القيس كانوا من شيعة علي (عليه السلام) المخلصين، وكانوا عصباً قوياً في حروبه ضد طلحة والزبير وعائشة ومعاوية، وقدموا شهداء وحققوا انتصارات، فمن الطبيعي أن ينتقص الرواة من دورهم في الفتوحات ويعطوه الى غيرهم .

يضاف الى ذلك أن السـلطة لها ثأرٌ على عبـد الله بن سوار بن همام العبـدي، لأنه قتل عبيـد الله بن عمر في صـفين، عندما طلب عبيد الله المبارزة .

قال ابن الأعثم في الفتوح:3/128:«وأقبل معاويـة على عبيـد الله بن عمر بن الخطاب فقال له:يا ابن أخي هذا يوم من أيامك، فلا عليك أن يكون منـك اليوم بمـا يسـر به أهل الشام، قال: فخرج عبيـد الله بن عمر وعليه درعان سابغان، وعلى رأسه بيض وعمامـة حمراء، وهو متقلد سيف أبيه عمر بن الخطاب حتى وقف بين الجمعين ودعا إلى البراز قال: فذهب محمد بن الحنفية ليخرج إليه فصاح به علي: مكانك يا بني! لاتخرج إليه، فقال له:ولِمَ ذلك يا أمير المؤمنين، فوالله إن لو دعاني

إلى البراز أبوه لخرجت إليه، فقال علي: مَه يا بني لا تقل في أبيه إلا خيراً. ونظر عبيـد الله بن عمر أنه ليس يخرج إليه أحد فحمل على ميسـرة علي، وفي الميسرة يومئذ ربيعة بن القيس وغيرهم من الناس فجعل يطعن في خيلهم وهو يقول:

أنا عبيد الله سماني عمر *** خير قريش من مضى ومن عبر

إلا رسول الله والشيخ الأغر *** قد أبطأت عن نصر عثمان مضر

وسارع الحيُّ اليمانون الغرر *** والخير في الناس قديما يبتدر

قال: فخرج إليه عبد الله بن سوار العبدي، وهو يقول:

قد سارعت في حربها ربيعهْ *** في الحق والحق لهم شريعهْ

ما نهتك الأستار كالقطيعهْ *** في العصبة السامعة المطيعهْ

حتى تذوقَ كأسها القطيعهْ

ثم طعنه العبدي طعنة في خاصرته جدَّله قتيلاً، فأنشأ الصلتان العبدي يقول:

ألا يا عبيد الله ما زلتَ مولعاً *** بنكرٍ لها تُهدي اللقا وتهددا

كأن حماة الحيِّ بكرَ بن وائل *** بذي الرمْثِ نيرانٌ تُحرقن غرقدا

وكنتَ سفيهاً قد تعودتَ عادةً *** وكل امرئ جارٍ على ما تعودا

فأصبحت مسلوباً على شرِّ حالة *** صريعاً يُرى وسط العجاجة مفردا

تشقُّ عليك الدرعَ عرسٌ فجيعةٌ *** مفجعةٌ تُبدي الشجا والتلددا..».

وعبد الله بن سوار صحابي جليل رضي الله عنه، قال عنه ابن حجر في الإصابة: 5/71: «عبد الله بن سوار من عمال النبي (صلى الله عليه و آله) على البحرين ذكره وثيمة في كتاب الردة عن بن إسحاق، وأنه كان ممن وفى لأبان بن سعيد بن العاص » .

وكان عبد الله هذا من قادة الفتح المميزين .قال عنه ابن الأثير في الكامل:3/437، وابن حبيب في المحبر/154: «وكان كريماً لم يوقد أحد في عسكره ناراً . وكان في ثغر السند ومعه أربعة آلاف رجل، فلم تكن توقد مع ناره نار، فنظر ليلة فإذا رجل يطبخ فسأل عن النار فقالوا: لرجل وَلدت امرأته في هذه الليلة، فعمل لها خبيصاً . فأمر صاحب طعامه أن يطعم الناس مع الطعام الخبيص ثلاثة أيام » !

فمن الطبيعي أن يغمطه الرواة حقه فيقولوا: «ثم سار بن عامر نحو مرو الروذ فوجه إليها عبد الله بن سوار بن همام العبدي ففتحها». (الطبقات:5 /46).

وفي تاريخ خليفة /156: «وفيها بعث ابن عامر عبد الله بن سوار العبدي ففتتح القيقان وأصاب غنائم وقاد منها خيلاً.فالبراذين القيقانية من نسل تلك الخيل».

وقيقان كما في معجم البلدان:4 /423: «بلاد قرب طبرستان، وفي كتاب الفتوح: في سنة38وأول سنة 39 في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، توجه إلى ثغر السند الحارث بن مرة العبدي متطوعاً بإذن علي رضي الله عنه فظفر وأصاب مغنماً وسبياً، وقسم في يوم واحد ألف رأس، ثم إنه قتل ومن معه بأرض القيقان إلا قليلاً وكان مقتله في سنة42..ثم ولّى عبد الله بن عامر في سنة 45 في زمن معاوية عبد الله بن سوار العبدي..ثغر الهند فغزا القيقان فأصاب مغنماً، ثم وفد إلى معاوية وأهدى إليه خيلاً قيقانية، وأقام عنده ثم رجع وغزا القيقان فاستجاش الترك فقتلوه » .

وفي تاريخ خليفة /155، و157: «وفيها (سنة45) وليَ معاوية عبد الله بن سوار العبدي بلاد مكران (منطقة بلوشستان الإيرانية) سنة سبع وأربعين، فيها غزا عبد الله بن سوار العبدي القيقان، فجمع له الترك فقتل عبد الله بن سوار ».

أقول: وقد ورث عبد الله بن سوار هذا المجد الجهادي عن أبيه سوار رضي الله عنه .

قال البلاذري:2/476: « إن شهرك مرزبان فارس وواليها أعظمَ ما كان من قدوم العرب فارس واشتد عليه، وبلغته نكايتهم وبأسهم وظهورهم على كل من لقوه من عدوهم . فجمع جمعاً عظيماً وسار بنفسه حتى أتى راشهر من أرض سابور، وهي بقرب توج، فخرج إليه الحكم بن أبي العاص وعلى مقدمته سوار بن همام العبدي، فاقتتلوا قتالاً شديداً . وهناك واد قد وكل به شهرك رجلاً من نقابه في جماعة، وأمره أن لا يجتازه هارب من أصحابه إلا قتله ! فأقبل رجل من شجعاء الأساورة مولياً من المعركة فأراد الرجل قتله فقال له: لاتقتلني فإنما نقاتل قوماً منصورين، الله معهم، ووضع حجراً فرماه ففلقه ثم قال: أترى هذا السهم الذي فلق الحجر؟والله ما كان ليخدش بعضهم لو رميَ به . قال: لا بد من قتلك، فبينا هو في ذلك إذ أتاه الخبر بقتل شهرك، وكان الذي قتله سوار بن همام العبدي، حمل عليه فطعنه فأذراه عن فرسه، وضربه بسيفه حتى فاضت نفسه، وحمل ابن شهرك على سوار فقتله . وهزم الله المشركين وفتحت راشهر عنوة، وكان يومها في صعوبته وعظيم النعمة على المسلمين فيه كيوم القادسية . وتوجه بالفتح إلى عمر بن الخطاب عمرو بن الأهتم التيمي، فقال:

جئت الإمام بإسراع لأخبره *** بالحق من خبر العبدي سوار

أخبار أروع ميمون نقيبته *** مستعمل في سبيل الله مغوار».

ص: 217

المسألة الخامسة

حرَّم عمر في خلافته ركوب جنود المسلمين البحر، ولو استطاع لحرم على غير الجنود أيضاً، والسبب أنه كان يخاف من البحر الى حد العقدة، كما كان يكره البكاء على الميت الى حد العقدة !

وتقدم أنه غضب على أن العلاء الحضرمي لأنه أرسل جيشاً من البحرين في سفن مسافة200 كيلو متر الى ميناء سيراف الفارسي... وقد وجه الرواة عمله بأنه اتبع سنة النبي (صلى الله عليه و آله) الذي لم يركب البحر، ولم يبعث المسلمين فيه !

قال الكتاني في التراتيب الإدارية:1/370 : «وفي الخطط للمقريزي لم يكن البحر يركب للغزو في حياة رسول الله (صلى الله عليه و آله) وخلافة أبي بكر وعمر وأول من ركب البحر للغزو العلاء بن الحضرمي وكان على البحرين من قبل أبي بكر وعمر فأحب أن يؤثر في الأعاجم أثراً يعز الله به الإسلام على يديه، فندب أهل البحرين إلى فارس فبادروا إلى ذلك، وفرقهم أجناداً... فحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر بن الخطاب، وكان عمر لا يأذن لأحد في ركوب البحر غازياً كراهية للتغرير بجنده... وكان أول من غزا فيه معاوية بن أبي سفيان ».

أقول: يريد رواة السلطة أن ينكروا غزو العلاء الحضرمي وأهل البحرين في البحر، ويثبتوا السبق الى هذه الفضيلة لمعاوية، لأنهم رتبوا حديثاً عن النبي (صلى الله عليه و آله) يقول: إن أول من يغزو في البحر مغفور له، وأول من يغزو القسطنطينية مغفور له .

فمعاوية هو أول من غزا في البحر، فمغفور له خروجه على إمامه الشرعي وسفكه دماء مئة ألف مسلم وفيهم عشرات الصحابة !

ويزيد أول من غزا القسطنطينية فهو مغفورٌ له ولا يضره بعدها قتله للحسين (عليه السلام) وأهل بيت النبي (صلى الله عليه و آله) واستباحته المدينة في وقعة الحرة، ثم ضربه الكعبة بالمنجنيق!

فقد روى بخاري في صحيحه:3 /233، عن: «أم حرام أنها سمعت النبي (صلى الله عليه و آله) يقول: أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا . قالت أم حرام: قلت يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم ! ثم قال النبي: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم ! فقلت: أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال: لا » .

قال ابن حجر وهو منظر محترف لبني أمية، قال في فتح الباري:6/74:«قال المهلب: في هذا الحديث منقبة لمعاوية، لأنه أول من غزا البحر، ومنقبة لولده يزيد لأنه أول من غزا مدينة قيصر » ! وزعموا أن معاوية أول من غزا في البحر لفتح قبرص، وكان معه عبادة بن الصامت، وزوجته أم حرام، أم أنس بن مالك!

وفرح ابن تيمية بهذه المنقبة ليزيد، وأسقط بها عنه جرائمه في سفك دماء أهل البيت (عليهم السلام) والصحابة، ومهاجمة الكعبة، فكرر الغفران ليزيد في كتبه !

قال في منهاج السنة:4/544: «فإنه غزا القسطنطينية في حياة أبيه معاوية، وكان معهم في الجيش أبو أيوب الأنصاري،وذلك الجيش أول جيش غزا القسطنطينية، وفي صحيح البخاري عن ابن عمر عن النبي (صلى الله عليه و آله) أنه قال: أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم » .

وقال في منهاج السنة:4/571: « وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد، والجيش عدد معين لا مطلق، وشمول المغفرة لآحاد هذا الجيش أقوى من شمول اللعنة

لكل واحد واحد من الظالمين، فإن هذا أخص والجيش معينون، ويقال إن يزيد إنما غزا القسطنطينية لأجل هذا الحديث » .

وقال في مجموع الفتاوى:3 /413: «ومع هذا فإن كان فاسقاً أو ظالماً فالله يغفر للفاسق والظالم لاسيما إذا أتى بحسنات عظيمة. وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر أن النبي (صلى الله عليه و آله) قال: أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد بن معاوية». (ونحوه في: 4/486، و: 18/352 وفي كتابه رأس الحسين (عليه السلام) /207، وكتابه الجواب الصحيح: 6/117) .

أقول: لقد كذبوا في وجود غزوة لمعاوية لقبرص، وغزوة ليزيد للقسطنطينية، ثم كذبوا على النبي (صلى الله عليه و آله) لإثبات منقبة لمعاوية وابنه !

وقد كشفنا في المجلد الثاني من جواهر التاريخ، تزويرهم غزوة معاوية وغزوة يزيد معاً، وذكرنا نصوصاً في أن معاوية لم يذهب الى قبرص، وأن يزيداً تخلف عن الجيش الذي كان ينتظره في «الغذقذونة» القريبة من أنطاكية، حتى وقع في الجيش مرض فتوفي منه كثيرون، ومنهم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وأوصاهم أن يحملوا جنازته ويدفنوه في أقرب نقطة من القسطنطينية، وأنهم ساروا بجنازته ودفعوا الى الروم مالاً، حتى سمحوا لهم بدفنه !

فقد روى عبد الرزاق:5/279، أن أبا أيوب أوصى في مرضه: « إذا أنا متُّ فسرْ بي في أرض العدو ما استطعت، ثم ادفني » !

المسألة السادسة

يظهر لك تحيُّز المصادر ورواة السلطة إذا قايست طمسهم لدور عبد القيس وأبطالهم مثل سوار بن همام وابنه عبد الله رضي الله عنهما، وتضخيمهم لعتبة بن غزوان ووصفه بأنه قائد كبير، مصَّر البصرة، وفتح ميسان، وغيرها !

قال ابن حجر في الإصابة:4/363: «عتبة بن غزوان..بن وهب المازني حليف بني عبد شمس أو بني نوفل، من السابقين الأولين وهاجر إلى الحبشة، ثم رجع مهاجراً إلى المدينة، رفيقاً للمقداد وشهد بدراً وما بعدها، وولاه عمر في الفتوح فاختط البصرة وفتح فتوحاً.وكان طويلاً جميلاً روى له مسلم وأصحاب السنن. وفي مسلم من حديثه: لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) ما لنا طعام إلا ورق الشجر .. قدم على عمر يستعفيه من الإمرة فأبى، فرجع فمات في الطريق بمعدن بني سليم..وعاش سبعاً وخمسين سنة ودعا الله فمات» !

وفي تاريخ خليفة/85: «فبعث عمر عتبة بن غزوان، أحد بني مازن بن منصور، في شهر ربيع سنة أربع عشرة، فمكث أشهراً لا يغزو ».

وفي الطبقات:7/7: «وكان سعد يكتب إلى عتبة وهو عامله، فوجد من ذلك عتبة (أي كان يأمره سعد فاستنكف، لأنه يرى نفسه أكبر منه) فاستأذن عمر أن يقدم عليه فأذن له، واستخلف على البصرة المغيرة بن شعبة، فقدم عتبة على عمر فشكا إليه تسلط سعد عليه، فسكت عنه عمر فأعاد ذلك عتبة مراراً، فلما أكثر على عمر قال: وما عليك يا عتبة أن تقر بالإمرة لرجل من قريش له صحبة مع رسول الله

(صـلى الله عليه و آله) وشـرف؟ فقال له عتبة: ألستُ من قريش، قال رسول الله (صـلى الله عليه و آله): حليف القوم منهم، ولي صـحبة مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) قديمة لا تنكر ولا تدفع !

فقال عمر: لا ينكر ذلك من فضـلك . قال عتبـة: أما إذ صار الأمر إلى هـذا، فوالله لا أرجع إليها أبـداً، فأبى عمر إلا أن يرده إليها، فرده فمات بالطريق ! وكان عمله على البصرة ستة أشهر، أصابه بَطَنٌ فمات بمعدن بني سليم، فقدم سويد غلامه بمتاعه وتركته على عمر بن الخطاب » !

وفي تاريخ بغداد:1/168 : «وكان قد اسـتعفى عمر فأبى أن يعفيه، وكان من دعائه: اللهم لا تردني إلى البصرة والياً لعمر، فمات قبل أن يصل إليها..وقَصَتْ به ناقته فسقط عنها فمات ».

أقول: مع أن عتبة بن غزوان لـم يكن له دور مهم في الفتوحات، لكنه اصـطدم بعمر ورفض أن يكون تحت إمرة صاحبه الحميم سـعد بن أبي وقاص !

والـذي يتأمـل في سـياسة عمر، ويقرأ أنه دعـا على شـخص فمـات، أو دعـا على بلال وأصـحابه المعترضـين عليه فماتوا جميعاً، أو يقرأ أن الشـخص المغضوب عليه من عمر دعا على نفسه فمات، أوأن شخصاً أغضب عمر فمات، كالمثنى بن حارثة، والعلاء بن الحضرمي، وعتبة بن غزوان..لابد أن يدخل في حسابه الشك في موت أولئك !

والعجيب أن عمر عندما غضب على العلاء وعاقبه بجعله تحت إمرة سـعد بن أبي وقاص تكلم عن عمره وموته! وعندما أصـرَّ عتبة بن غزوان على رفضه أن يكون تحت إمرة سعد، تكلم عنر عن عمره وموته !

قال ابن سعد في الطبقات:4/260: «كتب عمر بن الخطاب إلى العلاء بن الحضرمي وهو بالبحرين أن سر إلى عتبة بن غزوان فقد وليتك عمله.. وقد وليت قبلك رجلاً فمات قبل أن يصل، فإن يرد الله أن تلي وليت، وإن يرد الله أن يلي عتبة، فالخلق والأمر لله رب العالمين » !

ولعل أكبر ذنوب عتبة عند عمر أحاديث النبي (صلى الله عليه و آله) التي كان يرويها وفيها تعريضٌ به وبأبي بكر، وأنهما ملكان دنيويان لا خليفتان !

فقد روى عنه في فتن ابن حماد/58: «لم تكن نبوة قط إلا كانت بعدها ملكاً» !

وكان عمر يسأل دائماً: هل أنا ملك من ملوك الدنيا، أم خليفة لرسول الله (صلى الله عليه و آله) ؟ (الطبري:3/279، وتاريخ المدينة:2/702) فحديث عتبة جوابٌ له !

وقد حاول الرواة أن يُلطفوا حديثه فيبعدوه، ولو بالظن، عن أبي بكر وعمر ! فرواه مسلم:8/216، بلفظ: «لم تكن نبوة قط إلا تناسخت حتى يكون آخر عاقبتها ملكاً، فستخبرون وتجربون الأمراء بعدنا» .

وفي تاريخ بغداد:6/181: «وإنها لم تكن نبوة إلا تناسخت حتى تكون ملكاً، فأعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً، وعند الله صغيراً »».

وقد يقال: إن كان عمر غضب عليه، فكيف عظم الرواة دوره ومناقبه في ولايته على البصرة وفتوحاته المدعاة ؟!

والجواب: أن أبا هريرة عَوَّضَ عتبة عن غضب عمر، وأبو هريرة يومها بمثابة وكالة أنباء ! فقد كان أجيراً عند أخت عتبة، ثم تزوجها .

قال ابن حجر في الإصابة(8/51): «بسرة بنت غزوان التي كان أبو هريرة أجيرها ثم تزوجها.. وقصة أبي هريرة معها صحيحة وكانت استأجرته في العهد النبوي ثم تزوجها بعد ذلك، لما كان مروان يستخلفه في إمرة المدينة».

كما أن قرابة عتبة بزياد بن أبيه وأخويه نافع وأبي بكرة وأمهم سمية، نفعته، فزوجته أروى بنت الحارث بن كلدة سيدتهم، لأنهم أبناء سمية الفارسية جارية أبيها الحارث بن كلدة الطبيب . وقد جاءت أروى مع زوجها عتبة الى البصرة: «ومن أجلها قدم أبو بكرة وأخواه من أمه نافع وزياد». (الإصابة:8/6).

وكفى بأبي هريرة وآل زياد أداةً لنشر مناقب عتبة، واختراعها إذا لزم الأمر ! ولذلك صرت ترى ولاية عتبة للبصرة مملوءة أعمالاً ومناقب، لا تتسع لها مدة ولايته القصيرة ولا ظرف شخصيته ! فقالوا إنه صاحب كرامات ومعجزات، وإنه مَصَّرَ البصرة وأسسها، وفتح الأبِلَّة، وفتح ميسان، ومناطق من العراق وإيران، وأرسل جيشاً من اثني عشر ألفاً الى جيش خليد، العالق في إيران فأنقذه..الخ.

قال في تاريخ بغداد:1/168: «وهو الذي افتتح الأبُلَّة ». وتضحك عندما تقرأ أن معركته كانت مع فلاحيها المساكين بمساحيهم !

قال الطبري(3/92): «قدم عتبة بن غزوان البصرة في ثلاث مائة».

وقال في معجم البلدان:4/242: «لما فتح عتبة بن غزوان الأبلة عنوة عبر الفرات فخرج لهم أهل الفرات بمساحيهم فظفر بهم المسلمون وفتحوا الفرات، وقيل إن ما بين الفهرج والفرات فتح صلحاً وسائر الأبلة عنوة، ولما فرغ من الأبلة

أتى المذار . وقال عوانة بن الحكم: كانت مع عتبة بن غزوان لما قدم البصـرة امرأته أزدة بنت الحارث بن كلدة، ونافع وأبو بكر وزياد إخوتها، فلما قاتل عتبة أهل مدينة الفرات جعلت امرأته أزدة تحرض المؤمنين على القتال وهي تقول: إن يهزموكم يولجوا فينا الغُلَف ! ففتح الله على المسلمين تلك المدينة» .

وروى البلاذري:2/419،421، وقال: «وأصابوا غنائم كثيرة، ولم يكن فيهم أحـد يكتب ويحسب إلا زياد، فولى قسم ذلك المغنم وجعل له كل يوم درهمان، وهو غلام في رأسه ذوابة ».

فهذا هو دور ابن غزوان، وهو دورٌ صغير قصير لكنهم ضخموه ! وفي المقابل انتقصوا أو طمسوا أدوار كثير من أبطال الفتح وقادته الحقيقيين !

ص: 225

معركة تستر والهرمزان

أرسل يزدجرد الهرمزان الى تستر

بعد انتصار المسلمين في القادسية وانهزام جيش الفرس، لم يستطع يزدجرد أن يجمع قواته، كما تأخر وصول القوات اليه من داخل إيران، فهرب الى حلوان .

ثم وصلت القوات الآتية للدفاع عن المدائن، فتجمعت في جلولاء وخانقين .

لذلك فتح المسلمون المدائن بدون معركة مهمة، وتوجهوا الى جلولاء فكانت معركة كبيرة قادها البطل الشيعي هاشم المرقال، ورفقاؤه الأبطال أمثال حجر بن عدي، وعدي بن حاتم الطائي، وعمرو بن معدي كرب، وانتصروا، وتقدموا الى حلوان ففتحوها بدون قتال يذكر، فهرب يزدجرد الى أصفهان .

قال البلاذري:2/387: «هرب يزدجرد من المدائن إلى حلوان، ثم إلى إصبهان فلما فرغ المسلمون من أمر نهاوند، هرب من إصبهان إلى إصطخر».

أما تستر وهي معربة عن «شوشتر» أي البلد الأنزه والأطيب (معجم البلدان: 2/29) فقد كانت عاصمة الأهواز، وترتبط معركتها بالهرمزان أو الهرمزدان، وهو أخ زوجة كسرى، وخال ابنه شيرويه الذي قتل أباه وملك بعده شهوراً . وكان الهرمزان ملك الأهواز، ومن قادة الفرس في القادسية وغيرها.

قال الطبري:3/171: «كان الهرمزان من أحد البيوتات السبعة في أهل فارس، وكانت أَمَّتُهُ (قومه) في مهرجان قذق وكور الأهواز، فهؤلاء بيوتات دون سائر

أهـل فـارس، فلمـا انهزم يوم القادسـية كـان وجهه إلى أمته فملكهم، وقاتـل بهـم من أرادهم، فكان الهرمزان يغير على أهل ميسان ودسـت ميسان من وجهين، من مناذر ونهرتيري، فاسـتمد عتبة بن غزوان سـعداً، فأمده سعد بنعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود، وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان ودست ميسان حتى يكونا بينهم وبين نهرتيري، ووجه عتبـة بن غزوان سـلمى بن القين وحرملـة بن مريطـة، وكانا من المهاجرين مع رسول الله (صـلى الله عليه و آله) وهما من بني العدويـة من بني حنظلـة، فنزلا على حـدود أرض ميسان ودست ميسان، بينهم وبين مناذر، ودعوا بني العم فخرج إليهم غـالب الوائلي وكليب بن وائـل الكليبي، فتركـا نعيماً ونعيماً ونكبا عنهما، وأتيا سـلمى وحرملـة وقالا: أنتما من العشـيرة وليس لكما مترك، فإذا كان يوم كـذا وكذا فانهدا للهرمزان، فإن أحدنا يثور بمناذر والآخر بنهر تيري، فنقتل المقاتلة ثم يكون وجهنا إليكم، فليس دون الهرمزان شئ إن شاء الله.. فالتقوا هم والهرمزان بين دلث ونهر تيري، وسلمى بن القين على أهل البصرة، ونعيم بن مقرن على أهل الكوفة فاقتتلوا، فبينا هم في ذلك أقبل المدد من قبل غالب وكليب، وأتى الهرمزان الخبر بأن مناذر ونهر تيري قد أخذتا، فكسر الله في ذرعه وذرع جنده وهزمه وإياهم، فقتلوا منهم ما شاؤوا وأصابوا منهم ما شاؤوا، واتبعوهم حتى وقفوا على شاطئ دجيل ».

وقال الدينوري في الأخبار الطوال/129: «ولما انتهت هزيمـة العجم إلى حلوان، وخرج يزدجرد هارباً..قال له رجل من خاصـته وأهل بيته يسمى هرمزان، وكان خال شيرويه بن كسرى أبرويز: أيها الملك إن العرب قد اقتحمت عليك

من هـذه الناحيـة، يعني حلوان، ولهم جمع بناحيـة الأهواز ليس في وجوههم أحـد يردهم ولا يمنعهم من العيث والفساد، يعني خيل أبي موسـى الأشـعري ومن كان معه . قال يزدجرد: فما الرأي؟ قال الهرمزان: الرأي أن توجهني إلى تلك الناحيـة، فأجمع إليَّ العجم وأكون ردءً في ذلك الوجه، وأجمع لك الأموال من فارس والأهواز وأحملها إليك لتتقوى بها على حرب أعـدائك . فأعجبه ذلك من قوله وعقـد له على الأهواز وفارس، ووجه معه جيشاً كثيفاً» .

وقال في معجم البلدان:5/233، عن مهرجان قذق، وهي بلد الهرمزان: «هي كورة حسـنة واسعة ذات مدن وقرى، قرب الصيمرة من نواحي الجبال، عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همذان».

وفي معجم البلدان:5/41: «مهرجان قـذق، وهي عـدة مـدن منها: أريوجان وهي مدينة حسـنة في الصـحراء بين جبال كثيرة الشـجر كثيرة الحِمَّات والكباريت والزاجات والبوارق والأملاح (مياه حارة ومعدنيـة ومواد كيمائيـة) وماؤها يخرج إلى البندنيجين فيسـقي النخل بها، ولا أثر لها (أي في القرن السابع) إلا حِمَّات ثلاث وعين، إن احتقن انسان بمائها أسـهل إسـهالاً عظيماً، وإن شـربه قذف أخلاطاً عظيمة كثيرة، وهو يضـر أعصاب الرأس، ومن هذه المدينة إلى الرذ، بالراء، عدة فراسخ، وبها قبر المهدي (العباسي الذي كان يتصيد فيها) وليس له أثر إلا بناء قد تعفت رسومه، ولم يبق منه إلا الآثار . ثم نخرج منها إلى السيروان وبها آثار حسنة ومواطن عجيبة، ومنها إلى الصيمرة ».

«أما صيمرة والسيروان فمدينتان صغيرتان غير أن بنيانهما الغالب عليه الجص والحجارة وفيهما الليمون والجوز وما يكون في بلاد الصرود والجروم . وفيهما مياه كثيرة وأشجار، وهما نزهتان يجري الماء في دورهم». (معجم البلدان:3/439) .

الهرمزان يتحصن في تستر

قال الدينوري في الأخبار الطوال/130: « فأقبل الهرمزان حتى وافى مدينة تستر فنزلها، ورمَّ حصنها، وجمع الميرة فيها لحصار إن رهقه، وأرسل فيما يليه يستنجدهم فوافاه بشر عظيم . فكتب أبو موسى إلى عمر يخبره الخبر، فكتب عمر إلى عمار بن ياسر يأمره أن يوجه النعمان بن مقرن في ألف رجل من المسلمين إلى أبي موسى، فكتب عمار إلى جرير وكان مقيماً بجلولاء، يأمره باللحاق بأبي موسى فخلف جرير بجلولاء عروة بن قيس البجلي في ألفي رجل من العرب، وسار ببقية الناس حتى لحق بأبي موسى .

فكتب أبو موسى إلى عمر يستزيده من المدد، فكتب عمر إلى عمار يأمره أن يستخلف عبد الله بن مسعود على الكوفة في نصف الناس، ويسير بالنصف الآخر حتى يلحق بأبي موسى، فسار عمار حتى ورد على أبي موسى، وقد وافاه جرير من ناحية جلولاء ».

وقال ابن سعد في الطبقات:5/90: «فلما انقضى أمر جلولاء خرج يزدجرد من حلوان إلى أصبهان، ثم أتى إصطخر ووجه الهرمزان إلى تستر فضبطها وتحصن في القلعة، ومعه الأساورة وجمع كثير من أهل تستر، وهي في أقصى المدينة مما

يلي الجبل والماء محيط بها، والمادة تأتيهم من أصبهان، فمكثوا كذلك ما شاء الله. وحاصرهم أبو موسى سنتين، ويقال ثمانية عشر شهراً » !

أقول: هذا الحصار الطويل دليل على سوء إدارة أبي موسى الأشعري، وهو والي البصرة، وعنده قوة كافية للهجوم، أو للضغط عليهم لقبول الصلح . لكنه استعمل بدل ذلك البطش بمن تصل اليه يده من عامة أهل تستر وقراها !

قال في معجم البلدان:2/30: «وجعل الرجل من الأعاجم يقتل أهله وولده ويلقيهم في دجيل، خوفاً من أن تظفر بهم العرب »!

وفي تاريخ خليفة/98: «ثم سار أبو موسى إلى تستر فأقام عليها.. وفيها حاصر هرم بن حيان أهل ريسهر، فرأى ملكهم امرأة تأكل ولدها، فقال: الآن أصالح العرب، فصالح هرماً على أن خلى لهم المدينة » !

وروى ابن قتيبة في المعارف/206، أن محمد بن جعفر بن أبي طالب وأخاه عوناً، قد شاركا في معركة تستر واستشهدا فيها، رضي الله عنهم .

وفي فتوح البلاذري:2/467: «فقدَّم عمار جرير بن عبد الله البجلي، وسار حتى أتى تستر، وعلى ميمنته، يعنى ميمنة أبى موسى، البراء بن مالك أخو أنس بن مالك، وعلى ميسرته مجزأة بن ثور السدوسي، وعلى الخيل أنس بن مالك .

وعلى ميمنة عمار البراء بن عازب الأنصاري، وعلى ميسرته حذيفة بن اليمان العبسي، وعلى خيله قرظة بن كعب الأنصاري، وعلى رجالته النعمان بن مقرن المزني . فقاتلهم أهل تستر قتالاً شديداً، وحمل أهل الكوفة حتى بلغوا باب تستر فضاربهم البراء بن مالك على الباب حتى استشهد ودخل الهرمزان وأصحابه

المدينة بشر حال، وقد قتل منهم في المعركة تسع مئة، ضربت أعناقهم بعد (أي أخذوا أسرى فضربت أعناقهم!) . ثم إن رجلاً من الأعاجم استأمن إلى المسلمين، على أن يدلهم على عورة المشركين، فأسلم واشترط أن يفرض لولده ويفرض له (يجعل له راتب) فعاقده أبو موسى على ذلك، ووجه معه رجلاً من شيبان يقال له أشرس بن عوف، فخاض به دجيل على عرق من حجارة، ثم علا به المدينة وأراه الهرمزان، ثم رده إلى العسكر..فأدخلهم المدينة فقتلوا الحرس وكبروا على سور المدينة، فلما سمع الهرمزان هرب إلى قلعته، وكانت موضع خزانته وأمواله.. وقال الهرمزان: ما دل العرب على عورتنا إلا بعض من معنا ممن رأى إقبال أمرهم وإدبار أمرنا.. وطلب الهرمزان الأمان، وأبى أبو موسى أن يعطيه ذلك إلا على حكم عمر، فنزل على ذلك، وقتل أبو موسى من كان في القلعة ممن لا أمان له ! وحمل الهرمزان إلى عمر، فاستحياه وفرض له» .

وفي الروض المعطارللحميري/141: «واقتسموا ما أفاء الله عليهم، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف، والراجل ألفاً ».

وصف معركة تستر واستسلام الهرمزان

قال الطبري:3/181: «فنزلوا جميعاً على تستر، والنعمان على أهل الكوفة وأهل البصرة متساندون، وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس وأهل الجبال والأهواز في الخنادق، وكتبوا بذلك إلى عمر واستمده أبو سبرة فأمدهم بأبي موسى، فسار نحوهم وعلى أهل الكوفة النعمان، وعلى أهل البصرة أبو موسى، وعلى الفريقين جميعاً أبو سبرة، فحاصروهم أشهراً وأكثروا فيهم القتل، وقَتل

البراء بن مالـك فيما بين أول ذلك الحصار إلى أن فتـح الله على المسـلمين مائـة مبارز سوى من قتل في غير ذلك، وقَتل مجزأة بن ثور مثل ذلك، وقَتل كعب بن ثور مثل ذلك، وقتل أبو تميمة مثل ذلك، في عدة من أهل البصرة وفي الكوفيين مثل ذلك، منهم حبيب بن قرة، وربعي بن عـامر، وعامر بن عبـد الأسود، وكان من الرؤساء في ذلك ما ازدادوا به إلى ما كان منهم . وزاحفهم المشـركون في أيام تستر ثمانين زحفاً في حصارهم، يكون عليهم مرة ولهم أخرى، حتى إذا كان في آخر زحف منها واشتد القتال قال المسلمون: يا براء أقسم على ربك ليهزمنهم لنـا . فقـال: اللهم اهزمهم لنا واستشـهدني . قال: فهزموهم حتى أدخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم، وأرزوا إلى مـدينتهم وأحاطوا بها فبينا هم على ذلك وقد ضاقت بهم المدينة وطالت حربهم ».

ووصف ابن الأعثم المعركـة فقال:2/281: «ودنى المسـلمون من الفرس والفرس من المسـلمين، فتراموا بالنشـاب والنبل ساعـة، ثم إنهم تلاحموا فاختلطوا، واشـتبك الحرب بينهم من وقت بزوغ الشمس إلى قريب من الظهر.. وإذا رجلٌ من عظماء الفرس من أهل تستر يقال له هرمـك، قـد خرج فجعل يجول ويطلب البراز، فخرج إليه شـيخ من باهلـة من بني حلوة يقال له أوس، على فرس له عجفاء، فلما نظر إليه أبو موسـى عرفه، فناداه أن ارجع يا أخا باهلة، فلست من أهل هذا الفارسي، لأنك شيخ بال وأنت على فرس بال ! قال: فرجع الشيخ ولم يخرج، وجعل الفارسـي يطلب البراز، فأحجم عنه الناس وخرج إليه الشـيخ ثانية فرده أبو موسى، فغضب الباهلي من ذلك ولم يلتفت إلى كلام أبي موسى ومضى نحو الفارسي، فالتقيا بطعنتين، طعنة الباهلي قتلته، ثم أقبل راجعاً نحو

المسلمين ! قال فقال له أبو موسى: يا أخا باهلة ! إن الأشعري لم يرد بكلامه إياك بأساً، فقال الباهلي: ولا الباهلي أراد بأسا أيها الأمير!

قال: وتقدم جرير بن عبد الله البجلي حتى وقف بين الصفين ثم نادى بأعلى صوته: أيها المسلمون ! الجهاد ثوابه عظيم وخطره جسيم، وهذا يوم له ما بعده من الأيام، وقد دعاكم الله عز وجل إلى الجهاد ووعدكم عليه الثواب، ونهاكم عن التثاقل وحذركم العقاب، فاعملوا في يومكم هذا عملاً يرضى به ربكم عنكم، ألا وإني حامل يا معشر بجيلة فاحملوا .

قال: ثم جعل جرير يرتجز، قال: ثم حمل جرير من الميمنة وحمل النعمان بن مقرن من الميسرة واختلط الفريقان، ودارت بهما الحرب فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم صدقهم المسلمون القتال والحملة وكبروا، وإذا الهرمزدان قد ولى بين يدي أصحابه فاتبعته الأعاجم، ووضع المسلمون فيهم السيف فقتلوا منهم في المعركة مقتلة عظيمة، وأسروا منهم ست مائة رجل، ودخل الهرمزدان وأصحابه إلى تستر بأشر حالة تكون، وعامة أصحابه جرحاء، ورجع المسلمون إلى معسكرهم، وقدم أبو موسى هؤلاء الأسراء فضرب أعناقهم عن آخرهم .

فلما كان من غدٍ إذا برجل من الفرس من أهل تستر يقال له نسيبه بن دارنة، قد أقبل إلى أبي موسى الأشعري من بعد صلاة العشاء الآخرة فقال: أيها الأمير أتعطيني الأمان على نفسي ومالي وولدي وأهلي، وأدفع إليك هذه المدينة؟

فقال له أبو موسى: لك ذلك، فقال الفارسي: فابعث معي الساعة رجلاً حتى أوقفه على الطريق الذي يتهيأ لكم أن تدخلوا المدينة منه .

قال: فبعث معه أبو موسى برجل يقال له عوف بن مجزأة، فقال له: إنطلق مع هذا الرجل حتى يوقفك على الطريق الذي يتهيأ لنا أن ندخل منه إلى مدينة تستر قال: فخرج عوف بن مجزأة مع نسيبه هذا الفارسي في جوف الليل، حتى جاز به الفارسي نهر تستر فأراه المخاضة من موضع عرفه، ثم مر به على عرق الجبل حتى أصعده السور، وعلى السور قوم نيام قد أوقفهم الهرمزدان في ذلك الموضع حرساً للمدينة . قال: فجاز به نسيبه رويداً رويداً حتى أنزله إلى مدينة تستر، ثم جاء به إلى منزله فبات فيه، فلما أصبح نسيبه أخذ طيلساناً له فدفعه إلى عوف بن مجزأة فقال له: غط رأسك بهذا الطيلسان واتبعني !

قال: فخرج المسلم يتبع نسيبه حتى جاز به على باب الهرمزدان والهرمزدان في وقته قد وضع الموائد على بابه يغدي قواده وأساورته، فقال نسيبه للمسلم: هذه دار الهرمزدان فاعرفها لتخبر أصحابك بذلك ! قال: ثم جاء به حتى أوقفه على باب المدينة فعرفه إياه، وطاف به في مدينة تستر حتى أوقفه على الموضع الذي جاء به منه فقال: أعبر الآن هذا النهر، وسر إلى صاحبك فخبره بما رأيت، وقل له فليبعث معك بجماعة وليتبعوك حتى تدخل المدينة كما أدخلتك إياها، وليحتالوا في قتل هؤلاء الحرس، فإذا كان وقت الصبح فلينزلوا إلى باب المدينة فليعالجوه حتى يفتحوه، ويكون صاحبك قد عبأ أصحابه وأوقفهم على الباب فإني أرجو أن يفتح الله هذه المدينة لكم، فإني قد أوقفتك على مدخلها ومخرجها فخبر أنت أصحابك بذلك، وكن أنت الدليل لهم على فتحها .

قال: فخرج عوف بن مجزأة إلى أبي موسى فخبره بذلك، فلما كان في الليلة الثانية قال أبو موسى لأصحابه: أيها المسلمون من يهب نفسه لله تعالى في هذه الليلة فليخرج مع عوف بن مجزأة حتى يدخل بهم مدينة تستر، فيكونوا هم الذين يفتحون لنا بابها من داخلها، فقد تعلمون أنه ليس لنا في تستر حيلة إلا أن تفتح لنا من داخلها، لأجل هذا النهر الذي يدور حولها .

قال: فانتدب له سبعون رجلاً أو يزيدون من أهل البصرة وأهل الكوفة، فتقلدوا بسيوفهم ثم مضوا نحو تستر، وعوف بن مجزأة بين أيديهم، حتى جاز بهم النهر فخاضه من الموضع الذي قد عرفه، ثم أصعدهم على عرق الجبل حتى أوقفهم على السور، والحرس في وقتهم ذلك نيام لا يعقلون. قال:فنكى فيهم هؤلاء المسلمون فذبحوهم عن آخرهم، ثم قعدوا على السور ينتظرون الصبح .

فلما كان وقت الصبح وثب المسلمون فصلوا بغلس وركبوا دوابهم وتقلدوا سيوفهم وتناولوا رماحهم، وقصدوا نحو باب تستر والباب مغلق، قال: ونزل هؤلاء السبعون الذين مضوا في أول الليل، فساروا إلى باب تستر من داخل ليعالجوه فيفتحوه، وكان على الباب ثلاثة أقفال، ومفاتيح الأقفال عند الهرمزدان قال: وكبر المسلمون من خارج الباب، وكبر المسلمون السبعون من داخل الباب، وسمعت الفرس بذلك فبادروا وخرجوا من دورهم وقصورهم وركبوا، وركب الهرمزدان في أساورته ومرازبته نحو الباب .

ص: 235

قال: فجعل هؤلاء السبعون رجلاً يقاتلون أهل تستر بأجمعهم، وكان قوم يعالجون فتح الباب وقوم يحاربون، حتى كسروا قفلين، وقتل عامة هؤلاء السبعين، فما بقي منهم إلا نفر قليل .

قال: وجعل المسلمون يكبرون من خارج المدينة وليس لهم في أصحابهم حيلة فلم يزالوا كذلك حتى قتل السبعون بأجمعهم غير ثلاثة نفر، ففتحوا القفل الثالث، واقتحم المسلمون مدينة تستر، وهؤلاء الثلاثة أيضاً داستهم الخيل فقتلتهم ! قال: وسار المسلمون بأجمعهم حتى صاروا في مدينة تستر، فجعلوا يقتلون وينهبون، وخرج الهرمزدان عن مدينة تستر هارباً حتى صار إلى قلعة له، وقد كان قدم أهله وولده وعامة أمواله إلى تلك القلعة، في نفر من أهل بيته وخدمه وحشمه، فتحصن هنالك .

وغنم أبو موسى والمسلمون جميع ما كان بتستر من أموالها وغنائمها، ومرت الفرس على وجوهها يمنة ويسرة، وقد كانوا وجهوا بنسائهم وأولادهم وأموالهم، ففرقوهم في البلاد خوفاً من المسلمين .

قال: وجمع أبو موسى غنائم تستر فأخرج منها الخمس ليوجه به إلى عمر بن الخطاب، وقسم باقي ذلك في المسلمين فأعطى كل ذي حق حقه، ثم سار في جميع أصحابه حتى نزل إلى قلعة الهرمزدان فحاصره بها أشد الحصار، فلما رأى الهرمزدان ما هو فيه بعث إلى أبي موسى يسأله أن يعطيه الأمان، على أن يحمله إلى عمر بن الخطاب مع أهله وولده وحشمه وجميع أهل بيته، فأجابه أبو موسى

إلى ذلك، وكتب له أمانا منشوراً فبعث به إليه، فنزل الهرمزدان من قلعته، فأخذوا جميع ما كان فيها .

قال: ثم دعا أبو موسى بالهرمزدان فقيده بقيد ثقيل، ووجه به وأهله وولده وجميع ما كان معه إلى عمر بن الخطاب، ووجه إليه أيضاً بالخمس من غنائم المسلمين من تستر . قال: وبلغ ذلك أهل المدينة فجعلوا ينظرون إلى الهرمزدان ومن معه من أصحابه، قال: ودخل المسلمون المدينة وطلبوا عمر بن الخطاب في منزله فلم يصيبوه، فقال الهرمزدان: لمن تطلبون؟ قالوا: نطلب أمير المؤمنين، قال الهرمزدان: أو ليس له من يقضي حوائجه؟ قالوا: بلى ولكنه عون نفسه، قال: فعجب الهرمزدان من ذلك !

ثم جاء المسلمون فإذا هم بعمر بن الخطاب وهو نائم في مَشرفةٍ من وراء المسجد، فوقفوا عليه وسلموا، فاستيقظ عمر بن الخطاب، ثم استوى جالساً فنظر إلى الهرمزدان وإلى من معه، فخرَّ لله ساجداً، ثم قال: الحمد لله الذي جعله وأشباهه فيئاً للمسلمين . قال: ثم وثب عمر فدخل المسجد واجتمع إليه المهاجرون والأنصار، وأتي بالخمس حتى وضع بين يديه، فنظر إليه عمر وحمد الله عز وجل على ذلك .

ثم دعا بالهرمزدان فأوقفه بين يديه ثم قال: يا هرمزدان ! كيف رأيت صنع الله عز وجل بك؟فقال الهرمزدان: لست بأول من نزلت به هذه النازلة، المصائب قد تصيب الرجال . فقال عمر: صدقت فقل لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقال الهرمزدان: على هذه الحالة لا أقول .
قال: عمر: فإني قاتلك، قال

الهرمزدان: فـإني عطشـان فاسـقني قبـل أن تقتلني . قـال عمر: إئتوه بمـاء حتى يشـرب، قال: فأتي بماء في إناء من خشب أو غير ذلك، فقال الهرمزدان: إني لا أشـرب في مثل هذا الإناء ولا أشـرب إلا في جوهر، قال عمر: إنا لا نشرب في الجوهر ولا نرى ذلك. فقال له علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:فلا عليك إئته بماء في قوارير فإنه جوهر أيضاً .

قال: فأتي بقدح فيه ماء فتناوله، فقال له عمر: إشرب ! فقال الهرمزدان: أخاف أن تقتلني قبل أن أشربه، قال عمر: فلك الله عز وجل راع وكفيل لا أقتلك أو تشـربه، قال: فرفع الهرمزدان القدح فضـرب به الأرض فكسـره ! فقال عمر: أيها المسلمون ما ترون في هذا ؟ فسكت المسلمون فقال علي: إنك قد أعطيته الأمان وحلفت له أن لا تقتله أو يشرب الماء، فلم يشربه، فليس لك أن تقتله، ولكن ضع عليه الجزية، وذره ليكونن بالمدينة .

فقال الهرمزدان: إنه لاتوضع الجزية على مثلي، وأنا ملك وابن ملك، غير أني داخل في دين الإسـلام طائعاً غير مكره، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . قال: وأسـلم الهرمزدان وأسـلم كل من كان معه من أهل بيته وولده وخدمه وحشـمه، فأمر عمر بفك قيده وقربه وأدناه وفرح بإسلامه، وخلطه المسلمون بأنفسهم .

قال: ودخل رجل من المسـلمين ممن كان مع أبي موسـى إلى قلعـة الهرمزدان فجعل يدور فيها، فبينا هو كذلك إذ نظر إلى تمثال من حجر وقد مد يده كذا نحو الأرض، قال: وكان هذا المسلم داهياً فقال: ما وضع هذا التمثال في هذا

الموضع مـاداً يـده إلى الأرض إلا وتحت يـده كنز ! ثم جاء إلى أبي موسـى الأشـعري فخبره بـذلك، فأرسل أبو موسـى بثقات من أصـحابه وأمرهم، فحفروا تحت التمثال فإذا هم بسـفط عظيم مقفل، فحملوه إلى أبي موسـى، فأمر به ففتـح فإذا دنانير كثيرة كسـروية وحلى من قرطة وشنوف ومخانق (عقود) وخلاخيل وأسورة وخواتيم، وكل ذلك من الذهب مرصع بالدر والجوهر .

قال: فنظر أبو موسـى والمسـلمون إلى ذلك، قال: ونظر أبو موسى إلى فص ياقوت هناك فأخذه ولـم يعلم قيمته، ثـم قفل السفط وختمه وأرسل به إلى عمر بن الخطاب وكتب إليه بحاله وقصته . قال: فكتم عمر هذا السفط، ثم بعث إلى الهرمزدان فدعاه ثم قال: يا هرمزدان ! إني أسألك عن أموالك ما حالها ؟ فقال الهرمزدان: إن مالي وأموال غيري قد صارت إلى أبي موسى وقد قسمها في أصحابه ووجه إليك ما وجه .

قال عمر: فهل بقي لك في قلعتك شـئ من المال ؟ قال: لا يا أمير المؤمنين! ما بقي لي هنالك شـئ إلا سفط مدفون في القلعة لا يقدر عليه أحـد وقـد عزمت على أن أوجه من يأتيني به. قال: فضـحك عمر ثم دعا بالسـفط فوضـعه بين يديه، قال: هذا سـفطك؟ قال: هذا هو يا أمير المؤمنين ! فمن أتاك بهذا ؟ قال: وجه به إلينا أبو موسـى الأشـعري، ولكن افتحه وانظر هل تفقد منه شيئاً، قال: ففتحه الهرمزدان وجعل ينظر ويميزها ثم قال: ما أفقد منه إلا فصاً واحداً هو خير مما في هذا السفط ! فقال عمر: فإن صاحبي كتب إلي أن الفص صار إليه فاجعله له

إن شئت، قال الهرمزدان: فإني قد جعلته له يا أمير المؤمنين، وهو أعف رجل يكون إذ لم يكتمك أمر هذا الفص .

قال: واختصم أهل البصرة وأهل الكوفة، فقال أهل البصرة: الفتح لنا، وقال أهل الكوفة: بل الفتح لنا، فاختصموا في ذلك حتى كاد أن يقع بينهم شئ من المكروه، ثم إنهم رضوا بعمر بن الخطاب وكتبوا إليه بذلك . قال: فكتب عمر بن الخطاب: أما بعد فإن تستر من مغازي أهل البصرة، غير أنهم إنما نصروا بإخوانهم من أهل الكوفة.. ورجع أهل الكوفة مع أميرهم عمار بن ياسر إلى الكوفة، ورجع أهل البصرة مع أبي موسى إلى البصرة، ورجع أهل حلوان مع جرير بن عبد الله وأصحابه إلى حلوان ».

وفي البيان والتبيين للجاحظ/344: «إن السائب شهد فتح مهرجان قذق، ودخل منزل الهرمزان وفي داره ألف بيت (غرفة) فطاف فيه، فإذا ظبي من جص في بيت منها مادٌّ يده، فقال: أقسم بالله إنه يشير إلى شئ، أنظروا . فنظروا فاستخرجوا سفط كنز الهرمزان، فإذ فيه ياقوت وزبرجد، فكتب فيه السائب إلى عمر وأخذ منه فصاً أخضر، وكتب إلى عمر: إن رأى أمير المؤمنين أن يهبه لي فليفعل، فلما عرض عمر السفط على الهرمزان قال: فأين الفص الصغير؟ قال عمر: سألنيه صاحبنا فوهبته له . فقال: إن صاحبك بالجوهر لعالم » .

وفي الأخبار الطوال للدينوري/130: «وأقام المسلمون على باب مدينة تستر أياماً كثيرة، وحاصروا العجم بها، فخرج ذات ليلة رجل من أشراف أهل المدينة،

فأتى أبا موسى مستسراً فقال: تؤمنني على نفسي وأهلي وولدي ومالي وضياعي حتى أعمل في أخذك المدينة عنوة..قال الرجل، وكان اسمه سينه ».

وقال ابن سعد في الطبقات:5/90: «ثم نزل أهل القلعة على حكم عمر فبعث أبو موسى بالهرمزان إليه ومعه اثنا عشر أسيراً من العجم عليهم الديباج ومناطق الذهب وأسورة الذهب... فاستسقى الهرمزان ماء، فقال عمر: لا نجمع عليك القتل والعطش فدعا له بماء فأتوه بماء في قدح خشب فأمسكه بيده فقال عمر: إشرب لا بأس عليك إني غير قاتلك حتى تشربه، فرمى الإناء من يده وقال: يا معشر العرب، كنتم وأنتم على غير دين نتعبدكم ونقضيكم ونقتلكم، وكنتم أسوأ الأمم عندنا حالاً وأخسها منزلة، فلما كان الله معكم لم يكن لأحد بالله طاقة، فأمر عمر بقتله، فقال: أوَلم تؤمني؟ قال: وكيف؟ قال: قلت لي تكلم لا بأس عليك، وقلت: إشرب لا بأس عليك، لا أقتلك حتى تشربه !

فقال الزبير بن العوام وأنس بن مالك وأبو سعيد الخدري: صدق . فقال عمر قاتله الله أخذ أماناً ولا أشعر، وأمر فنزع ما كان على الهرمزان من حلية وديباجه وقال لسراقة بن مالك بن جعشم وكان نحيفاً أسود دقيق الذراعين كأنهما محترقان: إلبس سواري الهرمزان فلبسهما ولبس كسوته، فقال عمر: الحمد لله الذي سلب كسرى وقومه حليهم وكسوتهم، وألبسها سراقة بن مالك..

قال أنس بن مالك: ما رأيت رجلاً بطِناً، ولا أبعد أخمص (أصابع)، ولا أبعد ما بين المنكبين، من الهرمزان ».

ملاحظات على فتح تستر وأسرالهرمزان

الملاحظة الأولى، قسوة حصار المسلمين لتستر ومحيطها، والذي طال نحو سنتين، واضطر المحاصرون فيها الى إرسال عوائلهم الى منطقة ثانية، أو قتلهم لئلا يقعوا في قبضة المسلمين، وقد منعوا عن بعض مناطقهم المواد الغذائية حتى اضطرت امرأة الى أكل ولدها، كما تقدم !

والملاحظة الثانية، روي أن الهرمزان أسلم قبل أن يصل الى عمر، في الأهواز أو في الطريق. ففي مسند الشاميين للطبراني (3/60): «عن عاصم بن عمر أن عمر بن الخطاب حين أتاه الهرمزان من ديار الأهواز قال: إن هذا المرزبان عظيم الأهواز وقد نزل على حكمي، فأما أنا فلا أرى إلا قتله، فلم يرجع إليه أحد منهم شيئاً فردد ذلك عليهم مرات، فقام رجل من الصحابة فقال: إني قد رأيته صلى، قال عمر: فوالله لا نقتله إن كان قد صلى » .

لكن الرواية الأصح ما رواه في مناقب آل أبي طالب:2/119: «أن عمر أراد قتل الهرمزان فاستسقى، فأتيَ بقدح فجعل ترعد يده، فقال له في ذلك فقال: إني خائف أن تقتلني قبل أن أشربه . فقال: إشرب ولا بأس عليك، فرمى القدح من يده فكسره ! فقال: ما كنت لأشربه أبداً، وقد آمنتني ! فقال: قاتلك الله لقد أخذت أماناً ولم أشعر به ! وفي رواياتنا أنه شكى ذلك إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فدعا الله تعالى فصار القدح صحيحاً مملوءً من الماء! فلما رأى الهرمزان المعجز أسلم»!

ويؤيده أن الهرمزان جاء من الأهواز مع عمار، أو مع معقل، وهما من خواص علي (عليه السلام) . قال البلاذري في أنساب الأشراف:12/160 : «وكان معقل بن قيس يكنى أبا رميلة، وكان من رجال أهل الكوفة، وكان فيمن وفد مع عمار بن ياسر إلى عمر بن الخطاب مع الهرمزان بفتح تستر..وقد كان عليٌّ (عليه السلام) صيّره على شرطه».

وفي شرح النهج:15/92 : «معقل بن قيس، كان من رجال الكوفة وأبطالها، وله رياسة وقدم، أوفده عمار بن ياسر إلى عمر بن الخطاب مع الهرمزان » .

ويؤيده، أن الهرمزان كان من سهم علي (عليه السلام) من الفئ فأعتقه، فكان له ولاؤه، ولذلك كان ولي دمه، عندما قتله عبيد الله بن عمر .

فعندما قتل أبو لؤلؤة عمر، دفعت حفصة أخاها عبيد الله وهو الفارس الوحيد في أولاد عمر، وأمه وأم أخيه زيد: أم كلثوم بنت جرول، فقتل الهرمزان وجفينة المعلم النصراني، والطفلة بنت أبي لؤلؤة !

روى عبد الرزاق في المصنف:5/478، عن عبد الرحمن بن أبي بكر: «فخرج عبيد الله ابن عمر مشتملاً على السيف حتى أتى الهرمزان، فقال: إصحبني حتى ننظر إلى فرس لي، وكان الهرمزان بصيراً بالخيل، فخرج يمشي بين يديه فعلاه عبيد الله بالسيف، فلما وجد حرَّ السيف قال: لا إله إلا الله، فقتله، ثم أتى جفينة وكان نصرانياً فدعاه فلما أشرف له علاوة بالسيف، فَصَلَّبَ بين عينيه، ثم أتى ابنة أبي لؤلؤة جارية صغيرة تدعي الإسلام فقتلها، فأظلمت المدينة يومئذ على أهلها، ثم أقبل بالسيف صلتاً في يده وهو يقول: والله لا أترك في المدينة سبياً إلا قتلته

وغيرهم، وكـأنه يعرض بناس من المهاجرين، فجعلوا يقولون له: ألقِ السـيف ويأبى، ويهابون أن يقربوا منه، حتى أتاه عمرو بن العاص فقال: أعطني السيف يا ابن أخي ! فأعطاه إياه، ثم ثار إليه عثمان، فأخذ برأسه فتناصيا حتى حجز الناس بينهما .

فلما ولي عثمان قال: أشيروا عليَّ في هـذا الرجل الـذي فتق في الإسـلام ما فتق، يعني عبيـد الله بن عمر، فأشار عليه المهاجرون أن يقتله، وقـال جماعـة من الناس: أقُتل عمر أمس وتريـدون أن تتبعوه ابنه اليوم، أبعـد الله الهرمزان وجفينـة ! قال: فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله قـد أعفـاك أن يكون هـذا الأـمر ولـك على النـاس من سـلطان، إنما كان هـذا الأمر ولا سـلطان لك، فاصـفح عنه يا أمير المؤمنين! قال: فتفرق الناس على خطبـة عمرو، وودى عثمان الرجلين والجارية. قال الزهري: وأخبرني حمزة بن عبد الله بن عمر قال: يرحم الله حفصة إن كانت لممن شجع عبيد الله على قتل الهرمزان وجفينة» !

وفي كتاب الإستغاثة:1/58: «وكان أسـلم على يـد أمير المؤمنين علي (عليه السـلام) ثم أعتقه من قسـمة الفئ، فبادر إليه عبيد الله بن عمر فقتله من قبـل أن يموت عمر، فقيل لعمر: إن عبيـد الله قتل الهرمزان، فقال: أخطأ، فإن الـذي ضـربني أبو لؤلؤة، وما كان للهرمزان في أمري صنع، وإن عشت احتجت أن أقتله به، فإن علياً لا يقبل منا الدية وهو مولاه . فمات عمر واستولى على الناس عثمان فقال علي (عليه السلام) لعثمان:إن عبيد الله بن عمر قتل مولاي الهرمزان بغير حق وأنا وليه والطالب بدمه، فسلمه لي لأقتله به . فقال عثمان: بالأمس قتل عمر وأقتل اليوم ابنه،

أورد على آل عمر ما لا ـ قوام لهم به . فامتنع من تسليمه إلى أمير المؤمنين شفقة منه بزعمه على آل عمر ما لا ـ قوام به، فقال علي (عليه السلام):أما لئن مكنت منه يوماً لأقتلنه . فلما رجع الأمر إليه (عليه السلام) هرب عبيد الله بن عمر إلى الشام، فصار مع معاوية، وحضر صفين مع معاوية محارباً لعلي (عليه السلام)، فقتله في معركة الحرب فوجدوه يومئذ متقلداً بسيفين ». ونحوه الخرائج:1/212.

وقال العلامة في منهاج الكرامة/109 : «وضيع (عثمان) حدود الله، فلم يُقِدْ عبيد الله بن عمر حين قتل الهرمزان مولى أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يطلب عبيد الله لإقامة القصاص عليه، فلحق بمعاوية ».

وقال البيهقي في معرفة السنن:6/270: «وقد أشار المهاجرون على عثمان بقتل عبيد الله بن عمر، حين قتل الهرمزان وجفينة ».

أقول: قضية الهرمزان تفتح الباب على فعاليات مهمة لعلي (عليه السلام) وخاصة شيعته، لم تصل الينا، ومنها فعاليات سلمان الفارسي لإقناع الفرس بالإسلام .

والملاحظ الثالثة، أن الهرمزان عاش في المدينة نحو خمس سنوات، فإن فتح تستر في سنة 17، وقد قتل الهرمزان مع قتل عمر في آخر سنة22.

وفي هذه السنوات عاش في المدينة عيشة الملوك، لأن المسلمين لم يتعرضوا لماله الشخصي، وهذه واحدة من مميزاتهم .

وقد سأله عمر: « يا هرمزدان إني أسألك عن أموالك ما حالها؟ فقال الهرمزدان: إن مالي وأموال غيري قد صارت إلى أبي موسى، وقد قسمها في

أصـحابه ووجه إليك ما وجه . قال عمر: فهل بقي لك في قلعتك شـئ من المال؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، ما بقي لي هنالك شـئ إلا سـفط مدفون في القلعة لا يقدر عليه أحد، وقد عزمت على أن أوجه من يأتيني به. قال: فضحك عمر ثم دعا بالسفط فوضعه بين يديه..».

وصدق الهرمزان في إسـلامه، وساعد المسـلمين في فتح بقية إيران، وقد شـهد بذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال لعثمان لما قتل عبيد الله بن عمر الهرمزان، كما في أنساب الأشـراف:5/510: «أقـدِ الفاسق فإنّه أتى عظيماً، قتل مسـلماً بلا ذنب ! وقال لعبيـد الله: يا فاسق لئن ظفرت بك يوماً لأقتلنك بالهرمزان ».

ومع أن الهرمزان كان موالياً لعلي (عليه السـلام) فقـد كان صـديقاً لعمر، ويـذهب معه الى الحـج . ففي الطبقات:5/90: «قال المسور بن مخرمة: رأيت الهرمزان بالروحاء، مُهِلَّا بالحج مع عمر، عليه حلة حبرة » .

وكان أكثر الفرس في الأهواز يطيعون الهرمزان، فكان ذلك سـبباً في سـماح عمر للمسـلمين بفتح داخل إيران، بعد أن منعهم منه منعاً باتاً، وعاقب حاكم البحرين على حملته على إيران من جهة شيراز وكرمان .

قـال الطبري: 3/185: «وقـدم الكتـاب على عمر باجتمـاع أهـل نهاونـد، وانتهـاء أهـل مهرجان قـذق وأهل كور الأهواز إلى رأي الهرمزان ومشيئته، فذلك كان سبب إذن عمر لهم في الإنسياح ».

وكانت للهرمزان في المدينـة داركبيرة تتسع لأن يستضـيف الخليفـة والمصـلين معه! قال عمر بن شـبة في تاريخ المدينة:3/857: «عن أبي هريرة التيمي قال: قال الهرمزان لعمر: إيذن لي أصنع طعاماً للمسلمين. قال إني أخاف أن تعجز. قال: لا. قال: فدونك.قال: فصنع لهم ألواناً من حلو وحامض، ثم جاء إلى عمر فقال: قـد فرغت فأقبل. فقام عمر وسط المسـجد فقال: يا معشـر المسـلمين، أنا رسول الهرمزان إليكم، فـاتبعه المسـلمون، فلمـا انتهى إلى بابه قال للمسـلمين: مكانكم، ثم دخل فقال: أرني ما صـنعته، ثم دعا بأنطاع، فقال: ألق هـذا كله عليها، واخلطوا بعضه ببعض! فقال الهرمزان: إنك تفسده، هذا حلو وهذا حامض، فقال عمر: أردت أن تفسد عليَّ المسـلمين، ثم أذن للمسـلمين، فدخلوا فأكلوا » !

ص: 247

معركة نهاوند أمُّ المعارك في فتح إيران

تصاعد اهتمام الفرس وتحشيدهم لحرب المسلمين، من معركة النمارق التي كانت قواتهم فيها بضعة آلاف، الى معركة الجسر التي زاد فيها عدد قواتهم، وكان عددهم مع المسلمين متقارباً، لكن المسلمين أخطأوا فعبروا النهر اليهم، الى منطقة ضيقة فحصرهم الفرس، وقتلوا من المسلمين نحو أربعة آلاف !

ثم كانت معركة البويب التي اقتص فيها المسلمون ليوم الجسر، وهزموا الفرس هزيمة كبيرة، وأكثروا فيهم القتل، وقيل قتل منهم عشرات الآلاف !

ثم كان أكبر تحشيد للفرس في القادسية فقد روي أن عددهم كان ستين ألفاً . وقال الطبري:3/22: «فبعث (رستم) مقدمته أربعين ألفاً، وخرج في ستين ألفاً، وساقته في عشرين ألفاً » .

ثم حشدوا أكثر من ذلك نجدةً للمدائن، لكن المسلمين فتحوها قبل وصولهم فتجمعوا في جلولاء، وروي أن عددهم كان ثمانين ألفاً .

في فتوح ابن الأعثم:1/210: «واجتمعت الفرس بجلولاء في ثمانين ألف فارس.. وصار المسلمون بجلولاء في أربعة وعشرين ألفاً ويزيدون..وتحرشت الفرس بالمسلمين وطلبوا الحرب ».

وفي تاريخ الطبري:3/134، أن عدد المسلمين كان اثني عشر ألفاً .

أما في معركة تستر فلم تكن قوات الفرس كثيرة، لكن تحصنهم كان قوياً، حتى دلَّ المسلمين رجل فارسي على مدخل الى المدينة من النهر المحيط بها .

ثم كان أكبر تحشيد للفرس في نهاوند، وقد بلغ مئة وخمسين ألفاً، وكان هدفه استرجاع العراق، وغزو المدينة لاستئصال الإسلام المسلمين !

التحشيد الفارسي لمعركة نهاوند

تقع نهاوند في أواخر سلسلة جبال زاغروس الإيرانية من جهة العراق، وتبعد عن الكوفة نحو ألف كيلو متر، وعن مدينة همدان الإيرانية نحو مئة كيلو متر .

وفي الروض المعطار/579: «نَهَاوَنْد..آخر كور الجبل. من همذان إلى نهاوند مرحلتان.. مدينة جليلة على جبل ذات سور طين، ولها بساتين وجنات وفواكه ومتنزهات، ومياهها كثيرة وفواكهها تحمل إلى العراق لطيبها وكبرها..وفيها كان اجتماع الفرس لما لقيهم النعمان بن مقرن المزني » .

وفي نزهة المشتاق:2/655: «وأما بلاد البهلويين، فمنها الري، وإصبهان، وهمذان ونهاوند، ومهرجان قذق، وماسبذان».

وفي معجم البلدان:5/313: «مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام، وهي أعتق مدينة في الجبل، وكان فتحها سنة19، ويقال سنة20.. وبها آثار لبعض الفرس حسنة، وفي وسطها حصن عجيب البناء عالي السمك، وبها قبور قوم من العرب استشهدوا في صدر الإسلام، وماؤها بإجماع العلماء غذي مرئ، وبها شجر خلاف تعمل منه الصوالجة ليس في شئ من البلدان مثله في صلابته وجودته..وقال ابن الفقيه: يوجد على حافات نهر نهاوند طين أسود للختم، وهو أجود ما يكون من الطين، وأشده سواداً و تَعَلُّكاً ».

ص: 249

وقال البلاذري:2/371: «لما هرب يزدجرد من حلوان في سنة تسع عشرة، تكاتبت الفرس وأهل الري وقومس وإصبهان وهمذان والماهين، وتجمعوا إلى يزدجرد وذلك في سنة عشرين، فأمر عليهم مردان شاه ذا الحاجب، وأخرجوا رايتهم الدرفش كابيان».

وهي راية تاريخية مقدسة عندهم ترمز لتأسيس دولتهم، وقد انطلقت من أصفهان.

وفي تجارب الأمم لمسكويه:1/380: «لما خرج يزدجرد من الجبل وصار إلى مرو، كاتب الجيوش بالأطراف، فكتب إلى أهل الجبال، ممن بين الباب والسند وخراسان وحلوان، فتحرّكوا وتكاتبوا وركب بعضهم إلى بعض، فأجمعوا أن يوافوا نهاوند، ثم يبرموا فيها أمورهم، فتوافى إليها من بين حلوان وخراسان ومن بين الباب وحلوان، ومن بين سجستان إلى حلوان، فاجتمعت حلبة فارس والفهلوج وأهل الجبال، وهم مائة وخمسون ألفاً ».

وفي تاريخ الطبري:3/209: «قالوا وكان من حديثهم أنهم نفروا، لكتاب يزدجرد الملك، فتوافوا إلى نهاوند، فتوافى إليها من بين خراسان إلى حلوان ومن بين الباب إلى حلوان، ومن سجستان إلى حلوان، فاجتمعت حلبة فارس والفهلوج أهل الجبال من بين الباب إلى حلوان ثلاثون ألف مقاتل، ومن بين خراسان إلى حلوان ستون ألف مقاتل، ومن بين سجستان إلى فارس وحلوان ستون ألف مقاتل، واجتمعوا على الفيرزان ».

ص: 250

عمار بن ياسر يستنهض عمر بن الخطاب

قال ابن الأعثم في الفتوح:2/289: «وتحركت الأعاجم بأرض نهاوند واجتمعوا بها، وكتب بعضهم إلى بعض أن يكون اجتماعهم بها، قال: فاجتمع أهل الري وسمنان والدامغان وما والاها بنهاوند في عشرين ألفاً، وأهل ساوه وهمذان في عشرة آلاف، وأهل نهاوند خاصة في عشرة آلاف، وأهل قم وقاشان في عشرين ألفاً، وأهل أصفهان في عشرين ألفاً، وأهل فارس وكرمان في أربعين ألفاً، قال: ثم بعثوا إلى أذربيجان يستمدونهم إلى حرب العرب، فأقبل إليهم أهل أذربيجان في ثلاثين ألفاً، فذلك خمسون ألفاً ومائة ألف، ما بين فارس وراجل، من المرازبة والأساورة، والأبطال المعدودين المذكورين في كل بلد من أرض الفرس . ثم إنهم جمعوا نيفاً وسبعين فيلاً، يريدون التهويل على خيول المسلمين، ثم أقبل بعضهم على بعض فقالوا: إن ملك العرب الذي جاءهم بهذا الكتاب، وأقام لهم هذا الدين قد هلك، يعنون بذلك رسول الله (صلى الله عليه و آله)، وإنه قد ملكهم من بعده رجل يكنى أبا بكر، فملك ملكا يسيراً وهلك، وإنا نرى صاحبهم هذا عمر، قد طال عمره ودام ملكه وعلاـ أمره، قد اجتمعتم من كل بلد وليس فيكم إلارماة الحدق وأحلاس السيوف والدرق، فتعالوا بنا حتى ننفي مَن بقربنا من جيوش العرب، ثم نسير إليهم في ديارهم، فنستأصلهم عن جديد الأرض! فإنا إن لم نفعل ذلك ساروا إلينا فأخرجونا عن جميع بلادنا وأنزلوا بنا من الذل والصغار ما أنزلوه بأهل القادسية والمدائن وجلولاء

وخانقين، وما أنزلوه بأهل الأهواز، وتستر، ومناذر، ورامهرمز، وما أنزلوه بأهل الشام، قبل ذلك .

قال: فتعاقدوا على أمرهم وتعاهدوا وعزموا على جهاد المسلمين، وبلغ ذلك أهل الكوفة، فاجتمعوا إلى أميرهم عمار بن ياسر فقالوا: أيها الأمير، هل بلغك ما كان من جموع هؤلاء الأعاجم بأرض نهاوند؟قال عمار: قد بلغني ذلك فهاتوا ما عندكم من الرأي ! فقالوا: الرأي في ذلك أن نكتب إلى أمير المؤمنين ونعلمه بذلك، قبل أن يسير عدونا إلى ما قبلنا. قال عمار: أفعل ذلك إن شاء الله تعالى.

ذكر كتاب عمار بن ياسر إلى عمر بن الخطاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمار بن ياسر، سلام عليك ! أما بعد فإن ذا السطوات والنقمات المنتقم من أعدائه، المنعم على أوليائه هو الناصر لأهل طاعته على أهل الإنكار والجحود من أهل عداوته .

ومما حدث يا أمير المؤمنين أن أهل الري وسمنان وساوه وهمذان ونهاوند وأصفهان وقم وقاشان وراوند واسفندهان وفارس وكرمان وضواحي أذربيجان، قد اجتمعوا بأرض نهاوند في خمسين ومائة ألف من فارس وراجل من الكفار، وقد كانوا أمروا عليهم أربعة من ملوك الأعاجم، هم: ذو الحاجب خرزاد بن هرمز، وسنفاد بن حشروا، وخهانيل بن فيروز، وشروميان بن اسفنديار، وأنهم قد تعاهدوا وتعاقدوا، وتحالفوا وتكاتبوا، وتواصوا وتواثقوا على أنهم يخرجوننا من أرضنا، ويأتونكم من بعدنا .

وهم جمع عتيد، وبأس شديد، ودواب فره، وسلاح شاك، و يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، فإني أخبرك يا أمير المؤمنين أنهم قد قتلوا كل من كان منا في مدنهم، وقد تقاربوا مما كنا فتحناه من أرضهم، وقد عزموا أن يقصدوا المدائن، ويصيروا منها إلى الكوفة، وقد والله هالنا ذلك، وما أتانا من أمرهم وخبرهم، وكتبت هذا الكتاب إلى أمير المؤمنين ليكون هو الذي يرشدنا، وعلى الأمور يدلنا، والله الموفق الصانع بحول وقوته، وهو حسبنا ونعم الوكيل، فرأي أمير المؤمنين أسعده الله فيما كتبته . والسلام .

قال: فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب، وقرأه وفهم ما فيه وقعت عليه الرعدة والنفضة، حتى سمع المسلمون أطيط أضراسه !

ثم قام عن موضعه حتى دخل المسجد وجعل ينادي: أين المهاجرون والأنصار ألا فاجتمعوا رحمكم الله، وأعينوني أعانكم الله !

قال: فأقبل إليه الناس من كل جانب، حتى إذا علم أن الناس قد اجتمعوا وتكاملوا في المسجد، وثب إلى منبر رسول الله (صلى الله عليه و آله) فاستوى عليه قائماً، وإنه ليرعد من شدة غضبه على الفرس، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه، وصلى على نبيه محمد (صلى الله عليه و آله) ثم قال:

أيها الناس: هذا يوم غم وحزن ! فاستمعوا ما ورد عليَّ من العراق، فقالوا: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن الفرس أمم مختلفة أسماؤها وملوكها وأهواؤها وقد نفخهم الشيطان نفخة، فتحزبوا علينا، وقتلوا من في أرضهم من رجالنا، وهذا كتاب عمار بن ياسر من الكوفة، يخبرني بأنهم قد اجتمعوا بأرض نهاوند

في خمسين ومائة ألف، وقد سربوا عسكرهم إلى حلوان وخانقين وجلولاء، وليست لهم همة إلا المدائن والكوفة، ولئن وصلوا إلى ذلك، فإنها بلية على الإسلام وثلمة لا تسد أبداً، وهذا يوم له ما بعده من الأيام .

فالله الله يا معشر المسلمين، أشيروا عليَّ رحمكم الله، فإني قد رأيت رأياً غير أني أحب أن لا أقدم عليه إلا بمشورة منكم، لأنكم شركائي في المحبوب والمكروه!

قال:وكان أول من وثب على عمر بن الخطاب وتكلم طلحة بن عبيد الله فقال: يا أمير المؤمنين، إنك بحمد الله رجل قد حنكته الدهور وأحكمته الأمور وراضته التجارب في جميع المقانب، فلم ينكشف لك رأي إلا عن رضى، وأنت مبارك الأمر ميمون النقيبة، فنفذنا ننفذ، واحملنا نركب، وادعنا نجب .

قال: ثم وثب الزبير بن العوام فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله تبارك وتعالى قد جعلك عزاً للدين وكهفاً للمسلمين، فليس منا أحد له مثل فضائلك، ولا مثل مناقبك، إلا من كان من قبلك، فمد الله في عمرك لأمة نبيك محمد (صلى الله عليه و آله) !

وبعد، فأنت بالمشورة أبصر من كل من في المسجد، فاعمل برأيك، فرأيك أفضل، ومرنا بأمرك فها نحن بين يديك . فقال عمر: أريد غير هذين الرأيين .

قال: فوثب عبد الرحمن بن عوف الزهري، فقال: يا أمير المؤمنين، إن كل متكلم يتكلم برأيه، ورأيك أفضل من رأينا، لما قد فضلك الله عز وجل علينا، وأجرى على يديك من موعود ربنا، فاعمل برأيك واعتمد على خالقك وتوكل على رازقك، وسر إلى أعداء الله بنفسك ونحن معك، فإن الله عز وجل ناصرك بعزه وسلطانه، كما عودك من فضله وإحسانه .

فقال عمر: أريد غير هذا الرأي، فتكلم عثمان بن عفان فقال: يا أمير المؤمنين، إنك قد علمت وعلمنا أنا كنا بأجمعنا على شفا حفرة من النار، فأنقذنا الله منها بنبيه محمد (صلى الله عليه و آله)، وقد اختارك لنا خليفة نبينا محمد (صلى الله عليه و آله)، وقد رضيك الأخيار وخافك الكفار، ونفر عنك الأشرار، وأنا أشير عليك أن تسير أنت بنفسك إلى هؤلاء الفجار، بجميع من معك من المهاجرين والأنصار، فتحصد شوكتهم وتستأصل جرثومتهم .

فقال عمر: وكيف أسير أنا بنفسي إلى عدوي، وليس بالمدينة خيلٌ ولا رَجْلٌ فإنما هم متفرقون في جميع الأمصار ؟

فقال عثمان: صدقت يا أمير المؤمنين، ولكني أرى أن تكتب إلى أهل الشام فيقبلوا عليك من شامهم، وإلى أهل اليمن فيقبلوا إليك من يمنهم، ثم تسير بأهل الحرمين مكة والمدينة إلى أهل المصرين البصرة والكوفة، فتكون في جمع كثير وجيش كبير، فتلقى عدوك بالحد والحديد والخيل والجنود .

فقال عمر: هذا أيضاً رأي ليس يأخذ بالقلب، أريد غير هذا الرأي .

قال: فسكت الناس . والتفت عمر إلى علي (عليه السلام) فقال: يا أبا الحسن، لم لا تشير بشئ كما أشار غيرك ؟

قال فقال علي: يا أمير المؤمنين، إنك قد علمت أن الله تبارك وتعالى بعث نبيه محمداً (صلى الله عليه و آله) وليس معه ثان، ولا له في الأرض من ناصر، ولا له من عدوه مانع، ثم لطف تبارك وتعالى بحوله وقوته وطوله، فجعل له أعواناً أعز بهم دينه، وشد أزره وشيد بهم أمره، وقصم بهم كل جبار عنيد وشيطان مريد، وأرى

موازريه وناصريه من الفتوح والظهور على الأعداء، ما دام به سرورهم، وقرت به أعينهم .

وقد تكفل الله تبارك وتعالى لأهل هذا الدين بالنصر والظفر والإعزاز، والذي نصرهم مع نبيهم وهم قليلون، هو الذي ينصرهم اليوم إذ هم كثيرون .

وبعد فإنك أفضل أصحابك رأياً وأيمنهم نقيبة، وقد حملك الله عز وجل أمر رعيتك، فهو الذي يوفقك للصواب ودين الحق لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، فأبشر بنصر الله عز وجل الذي وعدك، وكن على ثقة من ربك فإنه لا يخلف الميعاد .

وبعد، فقد رأيت قوماً أشاروا عليك بمشورة بعد مشورة، فلم تقبل ذلك منهم، ولم يأخذ بقلبك شئ مما أشاروا به عليك، لأن كل مشير إنما يشير بما يدركه عقله، وأعلمك يا أمير المؤمنين إن كتبت إلى الشام أن يقبلوا إليك من شامهم، لم تأمن من أن يأتي هرقل في جمع النصرانية، فيغير على بلادهم ويهدم مساجدهم ويقتل رجالهم، ويأخذ أموالهم، ويسبي نساءهم وذريتهم .

وإن كتبت إلى أهل اليمن أن يقبلوا من يمنهم، أغارت الحبشة أيضاً على ديارهم ونسائهم وأموالهم وأولادهم .

وإن سرت بنفسك مع أهل مكة والمدينة إلى أهل البصرة والكوفة، ثم قصدت بهم قصد عدوك، انتقضت عليك الأرض من أقطارها وأطرافها، حتى يكون من خلفته وراءك أهم إليك مما تريد أن تقصده، ولا يكون للمسلمين كانفة تكنفهم ولا كهف يلجؤون إليه، وليس بعدك مرجع ولا موئل، إذ كنت أنت

الغايـة والمفزع والملجـأ . فـأقم بالمدينـة ولاـ تبرحهـا، فإنه أهيب لك في عـدوك وأرعب لقلوبهم، فإنك متى غزوت الأعاجم بنفسك يقول بعضـهم لبعض: إن ملك العرب قـد غزانا بنفسه لقلة أتباعه وأنصاره، فيكون ذلك أشد لكَلَبهم عليك وعلى المسـلمين . فأقم بمكانك الذي أنت فيه، وابعث من يكفيك هذا الأمر، والسلام .

ذكر مشورة علي بن أبي طـالب رضوان الله عليه ثانيـة: فقـال عمر: يا أبا الحسن، فما الحيلـة في ذلك، وقـد اجتمعت الأعاجم عن بكرة أبيها بنهاوند في خمسين ومائة ألف، يريدون استئصال المسلمين ؟!

فقال له علي بن أبي طالب: الحيلة أن تبعث إليهم رجلاً مجرباً، قد عرفته بالبأس والشدة، فإنك أبصـر بجندك وأعرف برجالك، واسـتعن بالله وتوكل عليه واستنصره للمسلمين، فإن استنصاره لهم خير من فئة عظيمة تمدهم بها، فإن أظفر الله المسلمين فذلك الذي تحب وتريد، وإن يكن الأخرى، وأعوذ بالله من ذلك، تكون ردءً للمسلمين، وكهفاً يلجؤون إليه،وفئةً ينحازون إليها .

ذكر مشورة علي بن أبي طالب ثالثة:

قال فقال له عمر: نعم ما قلت يا أبا الحسن ولكني أحببت أن يكون أهل البصرة وأهل الكوفة، هم الذين يتولون حرب هؤلاء الأعاجم، فإنهم قد ذاقوا حربهم وجربوهم ومارسوهم، في غير موطن.

فقـال له علي: إن أحببت ذلـك فـاكتب إلى أهـل البصـرة أن يفترقوا على ثلاـث فرق: فرقـة تقيم في ديارهـم فيكونوا حرساً لهم يـدفعون عن حريمهم، والفرقة

ص: 257

الثانية يقيمون في المساجد يعمرونها بالأذان والصلاة، لكيلا تعطل الصلاة – ويأخذون الجزية من أهل العهد لكيلا ينتقضوا عليك . والفرقة الثالثة يسيرون إلى إخوانهم من أهل الكوفة . ويصنع أهل الكوفة أيضاً كصنع أهل البصرة، ثم يجتمعون ويسيرون إلى عدوهم، فإن الله عز وجل ناصرهم عليهم ومظفرهم بهم، فثق بالله ولا تيأس من روح الله إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ .

قال: فلما سمع عمر مقالة علي كرم الله وجهه ومشورته أقبل على الناس وقال: ويحكم ! عجزتم كلكم عن آخركم أن تقولوا كما قال أبو الحسن ! والله، لقد كان رأيه رأيي الذي رأيته في نفسي !

ثم أقبل عليه عمر بن الخطاب فقال: يا أبا الحسن، فأشر علي الآن برجل ترتضيه ويرتضيه المسلمون أجعله أميراً وأستكفيه من هؤلاء الفرس، فقال عليٌّ: قد أصبته، قال عمر: ومن هو ؟ قال: النعمان بن مقرن المزني، فقال عمر وجميع المسلمين: أصبت يا أبا الحسن ! وما لها من سواه .

قال: ثم نزل عمرعن المنبر، ودعا بالسائب بن الأقرع بن عوف الثقفي فقال: يا سائب ! إني أريد أن أوجهك إلى العراق، فإن نشطت لذلك فتهيأ، فقال له السائب: ما أنشطني لذلك...». انتهى.

وفي تاريخ الطبري:3/209: «وكتب إليه أيضاً عبد الله (ابن مسعود) وغيره، بأنه قد تجمع منهم خمسون ومائة ألف مقاتل، فإن جاؤونا قبل أن نبادرهم الشدة، ازدادوا جرأة وقوة...ثم نقل الطبري مشورة عمر للصحابة، وكلام طلحة وعثمان.. فعاد عمر فقال: إن هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا . فقام علي

بن أبي طالب فقال: أما بعد يا أمير المؤمنين فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم . وإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات !

أقْرِرْ هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق: فلتقم فرقة لهم في حرمهم وذراريهم، ولتقم فرقة في أهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مدداً لهم .

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً قالوا هذا أمير العرب وأصل العرب، فكان ذلك أشد لكلبهم وألبتهم على نفسك .

وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره . وأما ما ذكرت من عددهم، فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، ولكنا كنا نقاتل بالنصر .

فقال عمر: أجل والله لئن شخصت من البلدة لتنتقضن عليَّ الأرض من أطرافها وأكنافها، ولئن نظرت إلى الأعاجم لا يفارقن العرصة، وليمدنهم من لم يمدهم وليقولن هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه اقتطعتم أصل العرب ».

وفي نهج البلاغة:2/29: « وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه: إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة، وهو دين

الله الذي أظهره، وجنده الذي أعده وأمده، حتى بلغ ما بلغ، وطلع حيث طلع . ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده وناصر جنده .

ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضـمه، فإن انقطع النظام تفرق وذهب، ثـم لـم يجتمع بحـذافيره أبداً . والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً، فهم كثيرون بالإسـلام وعزيزون بالإجتماع، فكن قطباً، واسـتدر الرحى بالعرب، وأصـلِهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك !

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا هذا أصل العرب، فإذا قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك .

فأما ما ذكرت من مسـير القوم إلى قتال المسـلمين، فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره . وأما ما ذكرت من عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة ».

قال المفيد الإرشاد:2/208: «فانظروا أيـدكم الله إلى هـذا الموقف الـذي ينبئ بفضل الرأي، إذ تنازعه أولو الألباب والعلم، وتأملوا التوفيق الذي قرن الله به أمير المؤمنين (عليه السـلام) في الأحوال كلها، وفزع القوم إليه في المعضل من الأمور، وأضيفوا ذلك إلى ما أثبتناه عنه من القضاء في الدين الذي أعجز متقدمي القوم، حتى اضطروا في علمه إليه، تجدوه من باب المعجز الذي قدمناه ».

1.النعمان بن مقرن من عائلة مؤمنة هو وإخوته الستة: «معقل، وعقيل، وسويد، وسنان، وعبد الرحمن، وسابع لم يسم لنا . بنو مقرن المزنيون، سبعة إخوة هاجروا وصحبوا رسول الله (صلى الله عليه و آله) ولم يشاركهم فيما ذكره ابن عبد البر وجماعة في هذه المكرمة غيرهم ». (مقدمة ابن الصلاح/184).

«عن هلال بن يساف قال: كنا نبيع البُرّ في دار سويد بن مقرن، فخرجت جارية وقالت لرجل منا كلمة فلطمها، فغضب سويد وقال: لطمت وجهها ! لقد رأيتني سابع سبعة من إخواني مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) ما لنا خادم إلا واحدة، فلطمها أحدنا، فأمرنا رسول الله (صلى الله عليه و آله) فأعتقناها» (الإستيعاب:2/680).

وروى البيضاوي في تفسيره (3/165) أنه نزل فيهم قوله تعالى: وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ .«فسألوا النبي (صلى الله عليه و آله) أن يحملهم على الخفاف المدبوغة والنعال المخصوفة فقال: لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون، وهم ثلاثة إخوة: معقل، وسويد، والنعمان بنو مقرن». (القواعد الفقهية للسيد البجنوردي:4/9).

وقال عبد الله بن مسعود: «إن للإيمان بيوتاً، وللنفاق بيوتاً، وإن بيت بني مقرن من بيوت الإيمان» . (الإستيعاب:4/1507).

2.وشارك النعمان وإخوته في حفر الخنـدق. قال عمرو بن عوف:كنت أنا وسـلمان، وحذيفة، والنعمان بن مقرن المزني، وسـتة من الأنصار في أربعين ذراعاً فحفرنا حتى إذا كنا..». (البحار:17/170).

وكان حارس النبي (صـلى الله عليه و آله) في غزوة الحديبيـة: «رأيت النعمان بن مقرن المزني قائماً على رأسه وقد رفع أغصان الشـجرة عن رأسه يبايعونه» وكان وإخوته مع وفد مزينة مع النبي (صلى الله عليه و آله) في فتح مكة . (مجمع الزوائد:6/146، و:8/304).

3. وكان النعمان وإخوته قادةً مع أمير المؤمنين (عليه السـلام) في رد هجوم طليحـة الأسدي على المدينة، وقد تقدم ذلك في بحث حروب الردة .

4. ثم شـاركوا في معارك فتـح العراق، وأرسل ابن أبي وقاص النعمان في وفـد الى يزجرد، ففي الطبري:3/17: «قال الملك: سـلهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا، أمن أجل أنا أجممناكم وتشاغلنا عنكم، اجترأتم علينا ؟

فقال لهم النعمان بن مقرن: إن شئتم أجبت عنكم، ومن شاء آثرته .

فقالوا: بل تكلم، وقالوا للملك: كلام هذا الرجل كلامنا .

فتكلم النعمـان فقال: إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يـدلنا على الخير ويأمرنا به ويعرفنا الشـر وينهانا عنه، ووعـدنا على إجابته خير الـدنيا والآخرة، فلم يـدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين فرقة تقاربه وفرقة تباعده، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب وبدأ بهم، وفعل فدخلوا معه جميعاً، على وجهين مكره عليه فاغتبط،

وطائع أتاه فازداد، فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه، من العداوة والضيق .

ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين حسَّن الحسن وقبَّح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه: الجزاء . فإن أبيتم فالمناجزة .

فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله، وأقمناكم عليه أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن أتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم !

قال فتكلم يزدجرد فقال: إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً، ولا أسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفوننا كم لا تغزوكم فارس، ولا تطمعون أن تقوموا لهم . فإن كان عدو لحق، فلا يغرنكم منا . وإن كان الجهد دعاكم، فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم، وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم .

فأسكت القوم، فقال المغيرة بن زرارة بن النباش الأسيدي: أيها الملك إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم، وهم أشراف يستحيون من الأشراف، وإنما يكرم الأشراف الأشراف، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف، ويفخم الأشراف الأشراف، وليس كل ما أرسلوا به جمعوه لك، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك . فجاوبني لأكون الذي

أبلغك ويشهدون على ذلك... فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر، وإن شئت فالسيف أو تسلم، فتنجي نفسك ! فقال: أتستقبلني بمثل هذا ؟!

فقال: ما استقبلت إلا من كلمني، ولو كلمني غيرك لم أستقبلك به .

فقال: لولا ـ أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ! لا شئ لكم عندي ! فقال: إئتوني بوقر من تراب، فقال: إحملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه، حتى يخرج من باب المدائن ! إرجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أني مرسل إليكم رستم، حتى يدفنكم ويدفنه في خندق القادسية، وينكل به وبكم من بعد، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم، بأشد مما نالكم من سابور !

ثم قال: من أشرفكم؟ فسكت القوم، فقال عاصم بن عمرو وَافْتَأَتَ (قريب من افترى) ليأخذ التراب: أنا أشرفهم أنا سيد هؤلاء فحمِّلنيه .

فقال: أكذاك؟ فقالوا: نعم فحمله على عنقه، فخرج به من الإيوان والدار، حتى أتى راحلته فحمله عليها، ثم انجذب في السير، فأتوا به سعداً، وسبقهم عاصم فمر بباب قديس فطواه فقالوا: بشروا الأمير بالظفر ظفرنا إن شاء الله».

وفي تاريخ اليعقوبي:2/143: «ثم وجه سعد إلى كسرى بالنعمان بن مقرن وجماعة معه يدعونه إلى الإسلام، فدخلوا عليه في أحسن زي، وعليهم البرود والنعل، فأخبروه بما وجههم له سعد، ودعوه إلى الإسلام وإلى شهادة الحق وإلى أداء الجزية، فأغضبه ذلك ودعا بتليس(كيس) تراب فقال: إحملوه على رأس سيدهم فلولا أن الرسل لا تقتل لقتلتهم . فقال عصام بن عمرو التميمي: أنا سيد القوم فحملوه التراب، فمضى مسرعاً وقال:قد ظفرنا والله بهم ووطأنا أرضهم! وبلغ

رستم الخبر فغلظ ذلك عليه وقال: ما لابن الحجامة ولتدبير الملك؟ويقال:إن أم يزد جرد كانت حجامة .ثم وجه رسلاً في آثارهم ففاتوا الرسل».

النعمان يتحرك بقواته الى نهاوند

كان النعمان قائداً في القادسية وفتح المدائن وجلولاء وتستر وغيرها، لكن أكبر مسؤولية تحملها كانت قيادة المسلمين في معركة نهاوند، التي سميت فتح الفتوح، لأنها أنهت قوة الفرس، فلم يجتمع لهم بعدها جيش، ومهدت لفتح بقية إيران، وصار يزدجرد مشرداً من مكان الى مكان، حتى قتل .

قال ابن الأعثم في الفتوح:2/296: «ثم كتب عمر إلى النعمان بن مقرن المزني، والنعمان يومئذ بموضع من العراق يقال له كسكر... ثم كتب عمر أيضاً إلى أبي موسى الأشعري أن يمده من أهل البصرة بالثلث، وكذلك أهل الكوفة، ففعل أبو موسى ذلك، والتأمت العساكر بالعراق .

وخرج النعمان بن مقرن حتى نزل القصر الأبيض مما يلي المدائن، كما أمرهم عمر بن الخطاب، حتى اجتمع إليه الكوفيون والبصريون .

قال فعرضهم النعمان بن المقرن وعدهم وأحصاهم، فإذا هم يزيدون على ثلاثين ألفاً، من أهل البصرة وأهل الكوفة، فدعا النعمان بطليحة بن خويلد الأسدي فعقد له عقداً، وضم إليه أربعة آلاف فارس من أهل البصرة وأهل الكوفة وجعله مقدمة، فسار طليحة بن خويلد على مقدمة النعمان بن مقرن،

وجعل يذكر ما كان منه بالقادسية وغيرها من الحروب المتقدمة، ثم سار طليحة حتى نزل المدائن .

ورحـل النعمان بن مقرن بالمسـلمين، حتى إذا تقارب من المـدائن.. ورحل طليحـة في أصـحابه على المقدمـة حتى نزل الدسـكرة، وجاء النعمان بن مقرن فنزل المـدائن وأقام بها ثلاثة أيام، ثم رحل منها يريد الدسـكرة، ورحل طليحة على مقدمته، فلم يزل كذلك حتى صار إلى حلوان، وبها يومئـذ قائد من قواد كسـرى يقال له شادوه بن آزاد مرد، في نيف وعشـرة آلاف من الفرس، فلما أحس بجنود المسـلمين أنها قد استشرفت على حلوان، خرج هارباً في جميع أصحابه حتى صار إلى قرماسين فنزلها .

ونزل طليحـة بن خويلـد حلوان في أربعـة آلاف فـارس، وأقبـل النعمـان في جيشه الأعظم حتى نزل بحلوان، وأقـام بها أياماً حتى استراح المسـلمون وأراحوا خيولهم . قـال: ثم دعا النعمان برجل من فرسان العرب ممن كان مع أبي عبيـدة بن الجراح بالشام يقال له قيس بن هبيرة المرادي، فقـال له: يا قيس، أنت تعلم أن طليحـة بن خويلـد قـد كان على مقدمـة المسـلمين من الكوفـة إلى حلوان، وقـد أحببت أن تكون مقدمتي من هاهنا إلى هذا البلد الذي يقال له قرماسـين . فقال قيس بن هبيرة: أفعل ذلك أيها الأمير . قال: فضـم إليه النعمان بن مقرن أربعة آلاف فارس من أشد عسـكره، فسار قيس بن هبيرة من حلوان على مقدمة المسـلمين، وجعل يذكر ما كان منه بأرض الروم والقادسـية وغير ذلك .

ص: 266

قال: وسار قيس بن هبيرة على مقدمة المسلمين حتى وافى قرماسين، وبها يومئذ قائدان عظيمان من قواد الأعاجم، أحدهما شادوه بن آزاد مرد، الذي هرب من حلوان، والآخر مهرويه بن خسروان، فهما جميعاً في عشرين ألفاً من الفرس، فلما أن علما أن خيل المسلمين قد شارفت أرض قرماسين خرجا هاربين عنها حتى نزلا بموضع يقال له ماذران، ودخل قيس بن هبيرة إلى قرماسين فنزلها.

قال: وكانت قرماسين مصلحة للفرس ومنتزهاً لكسرى . قال: وسار النعمان بن مقرن من حلوان حتى نزل قرماسين، وبلغ ذلك الفرس ممن كان خارجاً عن أرض نهاوند، فامتلأت قلوبهم خوفاً ورعباً .

ثم إنهم تفلتوا من جميع المواضع حتى صاروا إلى نهاوند، فاحتشدوا بها، ثم إنهم اجتمعوا وتحالفوا وتعاقدوا على أنهم لا يفرون أبداً دون أن يبيدوا العرب عن آخرهم !

قال: وسار النعمان بن مقرن في جميع المسلمين حتى نزل بأرض ماذران، ثم دعا بهذين الرجلين بكير بن شداخ الليثي وطليحة بن خويلد الأسدي، فأرسلهما جميعاً نحو أرض نهاوند، وأمرهما أن يتجسسا الأخبار عن الفرس، فمضيا جميعاً، فأما بكير بن شداخ فإنه رجع إلى المسلمين .

وأما طليحة بن خويلد فإنه مضى نحوه حتى تقارب من أرض نهاوند، وتعرف أخبار الفرس ثم رجع، فلما دخل العسكر كبر المسلمون من كل ناحية، فقال طليحة: ما هذا التكبير؟ فقالوا: إنك قد أبطأت علينا فظننا والله أنك قد رغبت

عن دين الإسـلام وصـرت إلى دين هؤلاء الأعاجم ! قال: فغضب طليحـة بن خويلـد من ذلك ثم قال: سـبحان الله العظيم، أوَيحسن هـذا بمثلي ؟ والله، أن لو لـم يكن لي دين أعتمـد عليه إلا أني عربي فقط لما كنت بالـذي اختار هؤلاء الأعاجم على العرب، فكيف وقـد هـداني الله عز وجل إلى دين الإسـلام وعرفني فضـله ! قال: وسار المسـلمون يريدون نهاوند، قال: وبلغ ذلك أهل نهاوند فأرسلوا الماء في أرضهـم لكي يمنعوا بتلك المياه المسلمين، قال: فلم يغن ذلك من قضاء الله عز وجل فيهم شيئاً .

قال: وسار المسـلمون حتى نزلوا في الموضع الذي يقال له قبور الشـهداء، فنزلوا هنالك وضـربوا عسـكرهم، وبلغ ذلك الفرس فألقوا حسك الحديد حول نهاوند فحصنوها بتلك الحسك .

قال: ودعا النعمان برجل من أشـد أصـحابه يقال له محمـد بن زكار الخثعمي، فقال له: ويحك يا محمود، أحب منك أن تنطلق نحو حصـن هؤلاء القوم فتنظر إليه وتأتيني بخبره، فقد بلغني أنه حصن حصين وأنه مشرف على قلعة لهم في الهواء، فقال محمود بن زكار: أيها الأمير، قد بلغني ذلك وهذا نهار، فإذا كان الليل انطلقت فأتيتك بخبر القلعة، إن شاء الله ولا قوة إلا بالله .

قال: فلما كان الليل واختلط الظلام عمـد محمود بن زكار هـذا إلى فرسه فأسـرجه وألجمه، ثم صب عليه درعه وتقلد بسـيفه واعتم بعمامته، واستوى على فرسه وتناول رمحه ومضى، فلم يزل يسير حتى إذا أشرف على قلعة نهاوند، وقد جعل يسمع أصوات الحرس على سورها، من كل ناحية ونيرانهم تأجج، قال:

وإذا بفرسه قد قام وليس يتقدم ولا يتأخر، فحركه فلم يتحرك، فإذا قد علق يده واتقى منها . قال: فنزل محمود بن زكار عن فرسه ثم ضرب بيده إلى الفرس فقلب حافره، فإذا بحسكة حديد قد دخلت في حافره، فنزعها وركب فرسه، ثم رجع إلى النعمان بن مقرن فخبره بذلك، ثم قال: أيها الأمير، إن أرضهم كلها مفروشة بهذا الحسك يطرحونه في الليل ويرفعونه بالنهار . قال: وأصبح المسلمون فعبوا تعبيتهم ».

وصف معركة نهاوند بروايةالطبري

قال في تاريخه:3/213: «وخرج حذيفة بن اليمان بالناس ومعه نعيم، حتى قدموا على النعمان بالطزر، وجعلوا بمرج القلعة خيلاً عليها النسير .

وقد كتب عمر إلى سلمى بن القين وحرملة بن مريطة وزرّ بن كليب والمقترب الأسود بن ربيعة وقواد فارس الذين كانوا بين فارس والأهواز، أن اشغلوا فارس عن إخوانكم وحوطوا بذلك أمتكم وأرضكم، وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتيكم أمري .

وبعث مجاشع بن مسعود السلمي إلى الأهواز وقال له: أنصل(أخرج كالنصل) منها على ماه، فخرج حتى إذا كان بغضي شجر، أمره النعمان أن يقيم مكانه، فأقام بين غضى شجر ومرج القلعة . ونَصَل سلمى وحرملة وزرّ والمقترب، فكانوا في تخوم أصبهان وفارس، فقطعوا بذلك عن أهل نهاوند أمداد فارس .

ولما قـدم أهل الكوفـة على النعمان بالطزر جاءه كتاب عمر مع قريب، إن معك حـد العرب ورجالهم في الجاهليـة، فأدخلهم دون من هو دونهم في العلم بالحرب، واسـتعن بهم واشـرب برأيهم، وسل طليحـة وعمراً وعمراً، ولا تولهم شـيئاً . فبعث من الطزر طليحة وعمراً وعمراً طليعة، ليأتوه بالخبر، وتقدم إليهم أن لا يغلوا (لايبعدوا كثيراً).

فخرج طليحـة بن خويلـد، وعمرو بن أبي سـلمى العنزي، وعمرو بن معـدي كرب الزبيـدي، فلمـا ساروا يوماً إلى الليل رجع عمرو بن أبي سلمى، فقـالوا: مـا رجعك؟ قال: كنت في أرض العجم، وقَتَلَتْ أرضٌ جاهلَها وقتلَ أرضاً عالمُها. ومضـى طليحـة وعمرو حتى إذا كان من آخر الليل رجع عمرو، فقالوا: ما رجعك؟قال: سرنا يوماً وليلة لم نر شيئاً، وخفت أن يؤخذ علينا الطريق .

ونفذ طليحة ولم يحفل بهما فقال الناس: ارتد الثانية ! ومضـى طليحة حتى انتهى إلى نهاوند، وبين الطزر ونهاوند بضـعة وعشـرون فرسخاً، فعلم علم القوم واطلع على الأخبار، ثم رجع حتى إذا انتهى إلى الجمهور كبَّر الناس فقال: ما شأن الناس؟ فأخبروه بالذي خافوا عليه، فقال: والله لو لم يكن دين إلاـ العربيـة مـا كنت لأـجزر العجم الطمـاطم هـذه العرب العاربـة (مـا كنت لأقـدم للعجم قومي العرب. والطمطمة كالرطانة) فأتى النعمان فدخل عليه فأخبروه الخبر، وأعلمه أنه ليس بينه وبين نهاوند شـئ يكرهه ولا أحد، فنادى عند ذلك النعمان بالرحيل، فـأمرهم بالتعبيـة، وبعث إلى مجـاشع بن مسـعود أن يسوق الناس، وسار النعمان على تعبيته، وعلى مقـدمته نعيم بن مقرن، وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان وسويد

بـن مقرن، وعلى المجردة القعقـاع بـن عمرو، وعلى الساقـة مجـاشع، وقـد تـوافي إليه أمـداد المدينـة فيهم المغيرة وعبـد الله، فـانتهوا إلى الأسبيـذهان والقوم وقوف دون واي خرد، على تعـبيتهم وأميرهم الفيرزان، وعلى مجنبتيه الزردق، وبهمن جـاذويه الـذي جُعـل مكـان ذي الحاجب، وقـد توافي إليهم بنهاونـد كل من غاب عن القادسـية والأيام من أهل الثغور وأمرائها، وأعلام من أعلامهم، ليسوا بـدون من شـهد الأيام والقوادس . وعلى خيولهم أنوشق .

فلما رآهم النعمان كبر وكبر الناس معه، فتزلزت الأعاجم، فأمر النعمان وهو واقف بحطِّ الأثقال، وبضـرب الفسـطاط، فضـرب وهو واقف، فابتدره أشـراف أهل الكوفة فبنوا له فسطاطاً سابقوا أكفاءهم فسبقوهم، وهـم أربع عشرة، منهم حذيفة بن اليمان، وعقبة بن عمرو، والمغيرة بن شعبة، وبشير بن الخصاصية، وحنظلة الكاتب بن الربيع، وابن الهوبر، وربعي بن عامر، وعامر بن مطر، وجرير بن عبد الله الحميري، والأقرع بـن عبـد الله الحميري، وجرير بن عبـد الله البجلي، والأشـعث بن قيس الكنـدي، وسـعيد بن قيس الهمـداني ووائـل ابن حجر، فلم ير بَنَّاء فسطاط بالعراق كهؤلاء .

وأنشب النعمان بعد ما حط الأثقال القتال، فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم في ذاك سـجال في سـبع سنين من أمارة عمر، في سنة تسعة عشر، وإنهم انجحروا في خنادقهم يوم الجمعة، وحصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ما شاء الله، والأعاجم بالخيار لا يخرجون إلا إذا أرادوا الخروج !

فاشـتد ذلك على المسـلمين وخافوا أن يطول أمرهـم، حتى إذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع، تجمع أهل الرأي من المسـلمين فتكلموا وقالوا: نراهم علينا بالخيار، وأتوا النعمان في ذلك فأخبروه فوافقوه وهو يُرَوِّي(يتروى ويفكر) في الذي روَّوا فيه، فقال: على رسلكم لا تبرحوا، وبعث إلى من بقي من أهـل النجـدات والرأي في الحروب فتوافوا إليه، فتكلم النعمان فقال: قـد ترون المشـركين واعتصامهم بالحصون من الخنـادق والمـدائن، وإنهم لا ـ يخرجون إلا ـ إذا شاءوا، ولا يقـدر المسـلمون على إنقاضـهم وانبعاثهم قبل مشـيئتهم، وقـد ترون الـذي فيه المسـلمون من التضايق بالـذي هم فيه، وعليه من الخيار عليهم في الخروج، فما الرأي الذي به نحمشـهم ونسـتخرجهم إلى المنابذة وترك التطويل؟

فتكلم عمرو بن ثُبَى، وكان أكبر الناس يومئذ سناً، وكانوا إنما يتكلمون على الأسنان فقال: التحصن عليهم أشد من المطاولة عليكم، فدعهم ولا تحرجهم وطاولهم، وقاتل من أتاك منهم .

فردوا عليه جميعاً رأيه وقالوا: إنا على يقين من إنجاز ربنا موعده لنا .

وتكلم عمرو بن معـدي كرب فقال: ناهدهم وكاثرهم ولا تخفهم، فردوا عليه جميعاً رأيه وقالوا: إنما تناطح بنا الجدران، والجدران لهم أعوان علينا !

وتكلم طليحة فقال: قد قالا ولـم يصـيبا ما أرادا . وأما أنا فأرى أن نبعث خيلاً مؤدية فيحدقوا بهم ثم يرموهـم لينشبوا القتال ويحمشوهـم، فإذا استحمشوا (أثيرت حميتهم وغضبهم)واختلطوا بهم وأرادوا الخروج، أرزوا (هربوا) إلينا استطراداً، فإنا لم نستطرد لهم (لـم نهرب أمامهم) في طول ما قاتلناهم، وإنا إذا فعلنا

ذلك ورأوا ذلك منا طمعوا في هزيمتنا، ولم يشكوا فيها، فخرجوا فجادونا وجاددناهم (صرنا وإياهم على جديد الأرض) حتى يقضي الله فيهم وفينا ما أحب .

فأمر النعمان القعقاع بن عمرو وكان على المجردة، ففعل وأنشب القتال بعد احتجاز من العجم فأنقضهم، فلما خرجوا نكص ثم نكص ثم نكص، واغتنمها الأعاجم، ففعلوا كما ظن طليحة (اتبعوا الفارين)وقالوا: هي هي! فخرجوا فلم يبق أحد إلا من يقوم لهم على الأبواب، وجعلوا يركبونهم حتى أرز القعقاع إلى الناس، وانقطع القوم عن حصنهم بعض الإنقطاع، والنعمان بن مقرن والمسلمون على تعبيتهم في يوم جمعة، في صدر النهار وقد عهد النعمان إلى الناس عهده، وأمرهم أن يلزموا الأرض ولا يقاتلوهم حتى يأذن لهم، ففعلوا واستتروا بالجحف من الرمي، وأقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى أفشوا فيهم الجراحات، وشكا بعض الناس ذلك إلى بعض، ثم قالوا للنعمان: ألا ترى ما نحن فيه ألا- ترى إلى ما لقى الناس، فما تنتظر بهم إئذن للناس في قتالهم . فقال لهم النعمان: رويداً رويداً . قالوا له ذلك مراراً فأجابهم بمثل ذلك مراراً: رويداً رويداً . فقال المغيرة: لو أن هذا الأمر إليَّ علمت ما أصنع. فقال: رويداً ترى أمرك، وقد كنت تلي الأمر فتحسن فلا- يخذلنا الله ولا إياك، ونحن نرجو في المكث مثل الذي ترجو في الحث . وجعل النعمان ينتظر بالقتال إكمال ساعات، كانت أحب إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) في القتال أن يلقى فيها العدو، وذلك عند الزوال وتفيؤ الأفياء ومهب الرياح، فلما كان قريباً من تلك الساعة تحشحش النعمان وسار في الناس على برذون أحوى قريب من الأرض، فجعل يقف على كل راية

ويحمد الله ويثنى عليه ويقول: قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين وما وعدكم من الظهور، وقد أنجز لكم هوادى(أوائل) ما وعدكم وصدوره، وإنما بقيت أعجازه وأكارعه، والله منجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله، واذكروا ما مضى إذ كنتم أذلة وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة، فأنتم اليوم عباد الله حقاً وأولياؤه، وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة، والذي لهم في ظفركم وعزكم، والذي عليهم في هزيمتكم، وذلكم وقد ترون من أنتم بإزائه من عدوكم وما أخطرتم وما أخطروا لكم، فأما ما أخطروا لكم فهذه الرثة وما ترون من هذا السواد، وأما ما أخطرتم لهم فدينكم وبيضتكم، ولا سواء ما أخطرتم وما أخطروا، فلا يكونن على دنياهم أحمى منكم على دينكم، واتقى الله عبد صدق الله وأبلى نفسه فأحسن البلاء، فإنكم بين خيرين منتظرين إحدى الحسنيين من بين شهيد حي مرزوق أو فتح قريب، وظفر يسير، فكفى كل رجل ما يليه، ولم يكل قرنه إلى أخيه، فيجتمع عليه قرنه وقرن نفسه، وذلك من الملامة، وقد يقاتل الكلب عن صاحبه، فكل رجل منكم مسلط على ما يليه . فإذا قضيت أمري فاستعدوا فإني مكبرٌ ثلاثاً، فإذا كبرت التكبيرة الأولى فليتهيأ من لم يكن تهيأ، فإذا كبرت الثانية فليشد عليه سلاحه وليتأهب للنهوض، فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله فاحملوا معاً . اللهم أعز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم، على إعزاز دينك، ونصر عبادك . فلما فرغ النعمان من التقدم إلى أهل المواقف وقضى إليهم أمره رجع إلى موقفه، فكبر الأولى والثانية والثالثة، والناس سامعون مطيعون

مستعدون للمناهضة ينحى بعضهم بعضاً عن سننهم، وحمل النعمان وحمل الناس، وراية النعمان تنقضُّ نحوهم انقضاض العقاب، والنعمان مُعَلَّمٌ ببياض القباء والقلنسوة، فاقتتلوا بالسيوف قتالاً شديداً، لم يسمع السامعون بوقعةِ يومٍ قط كانت أشد منها، فقتلوا فيها من أهل فارس فيما بين الزوال والإعتام، ما طبق أرض المعركة دماً يزلق الناس والدواب فيه، وأصيب فرسان من فرسان المسلمين في الزلق في الدماء، فزلق فرس النعمان في الدماء فصرعه، وأصيب النعمان حين زلق به فرسه وصرع، وتناول الراية نعيم بن مقرن قبل أن تقع، وسجى النعمان بثوب وأتى حذيفة بالراية فدفعها إليه، وكان اللواء مع حذيفة فجعل حذيفة نعيم بن مقرن مكانه، وأتى المكان الذي كان فيه النعمان، فأقام اللواء وقال له المغيرة: أكتموا مصاب أميركم حتى ننظر ما يصنع الله فينا وفيهم، لكيلا- يهن الناس، واقتتلوا حتى إذا أظلهم الليل فانكشف المشركون وذهبوا، والمسلمون ملظون (متابعون لهم) بهم ملتبسون، فعمي عليهم قصدهم فتركوه، وأخذوا نحو اللهب (الوادي) الذي كانوا نزلوا دونه بإسبيذهان، فوقعوا فيه، وجعلوا لا يهوي منهم أحد إلا قال: وايه خرد، فسمى بذلك وايه خرد إلى اليوم . فمات فيه منهم مائة ألف أو يزيدون سوى من قتل في المعركة من أعدادهم، ولم يفلت إلا الشريد . ونجا الفيرزان بين الصرعى في المعركة، فهرب نحو همذان في ذلك الشريد فاتبعه نعيم بن مقرن، وقدم القعقاع قدامه، فأدركه حين انتهى إلى ثنية همذان، والثنية مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلاً، فحبسه الدواب على أجله فقتله على الثنية بعدما امتنع، وقال المسلمون: إن لله

جنوداً من عسل، واستاقوا العسل وما خالطه من سائر الأحمال، فأقبل بها وسميت الثنية بذلك ثنية العسل . وإن الفيرزان لما غشيه القعقاع نزل فتوقل في الجبل، إذ لم يجد مساغاً، وتوقل القعقاع في أثره حتى أخذه .

ومضى الفُلال حتى انتهوا إلى مدينة همذان والخيل في آثارهم، فدخلوها فنزل المسلمون عليهم وحووا ما حولها، فلما رأى ذلك خسروشنوم استأمنهم وقبل منهم، على أن يضمن لهم همذان ودستبى، وأن لا يؤتى المسلمون منهم، فأجابوهم إلى ذلك وآمنوهم، وأمن الناس . وأقبل كل من كان هرب .

ودخل المسلمون بعد هزيمة المشركين يوم نهاوند مدينة نهاوند، واحتووا ما فيها وما حولها، وجمعوا الأسلاب والرثاث إلى صاحب الأقباض السائب بن الأقرع . فبينا هم كذلك على حالهم، وفي عسكرهم يتوقعون ما يأتيهم من إخوانهم بهمذان، أقبل الهربذ صاحب بيت النار على أمان، فأبلغ حذيفة فقال: أتؤمنني على أن أخبرك بما أعلم؟ قال: نعم . قال: إن النخيرجان وضع عندي ذخيرة لكسرى، فأنا أخرجها لك على أماني وأمان من شئت، فأعطاه ذلك فأخرج له ذخيرة كسرى جوهراً كان أعده لنوائب الزمان، فنظروا في ذلك فأجمع رأى المسلمين على رفعه إلى عمر، فجعلوه له فأخرجوه حتى فرغوا فبعثوا به مع ما يرفع من الأخماس، وقسم حذيفة بن اليمان بين الناس غنائمهم، فكان سهم الفارس يوم نهاوند ستة آلاف وسهم الراجل ألفين .

وقـد نفـل حذيفـة من الأخمـاس من شـاء من أهـل البلاء يوم نهاونـد، ورفع مـا بقى من الأخمـاس إلى السائب بن الأقرع فقبض السائب الأخماس، فخرج بها إلى عمر وبذخيرة كسرى .

وأقام حذيفة بعد الكتاب بفتح نهاوند بنهاوند، ينتظر جواب عمر وأمره، وكان رسوله بالفتح طريف بن سهم أخو بني ربيعة بن مالك، فلما بلغ الخبر أهل الماهين بأن همذان قد أخذت ونزلها نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو، اقتدوا بخسرشـنوم فراسـلوا حذيفة فأجابهم إلى ما طلبوا، فـأجمعوا على القبول وعزموا على إتيـان حذيفـة، فخـدعهم دينـار وهو دون أولئك الملوك وكان ملكاً، إلا أن غيره منهم كان أرفع منه، وكان أشـرفهم قارن، وقال: لا تلقوهم في جمالكم، ولكن تقهلوا (تقشـفوا) لهم ففعلوا، وخالفهم فأتاهم في الـديباج والحلى وأعطاهم حاجتهم، واحتمل للمسلمين ما أرادوا، فعاقدوه عليهم ولم يجد الآخرون بداً من متابعته والدخول في أمره، فقيل ماه دينار لذلك .

فذهب حذيفة بماه دينار وقد كان النعمان عاقد بهراذان على مثل ذلك، فنسـبت إلى بهراذان، ووكل النسير بن ثور بقلعة قد كان لجأ إليها قوم فجاهدهم فافتتحها فنسـبت إلى النسير. وقسم حذيفة لمن خلفوا بمرج القلعة ولمن أقام بغضي شجر ولأهل المسالح جميعاً في فئ نهاوند، مثل الـذي قسم لأهل المعركـة، لأنهم كانوا ردءً للمسـلمين لئلا يؤتوا من وجه من الوجوه . وتململ عمر تلك الليلـة التي كان قدر للقائهم وجعل يخرج ويلتمس الخبر، فبينا رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه، فرجع إلى المدينة ليلاً فمر به راكب في

الليلـة الثالثـة من يوم نهاونـد يريـد المدينـة، فقال: يا عبد الله من أين أقبلت؟ قال من نهاوند . قال: ما الخبر؟ قال: الخبر خير، فتح الله على النعمان واستشهد، واقتسم المسلمون فئ نهاوند، فأصاب الفارس ستة آلاف» .

وقال الطبري:3/204: «ثم دفع الراية إلى حذيفة بن اليمان، وقتل الله ذا الحاجب وافتتحت نهاوند، فلم يكن للأعاجم بعد ذلك جماعة ».

وفي الفائق:1/331: « ذكر أن النعمان طعن برايته رجلاً، ثم رفع رايته مختضبة دماً، كأنها جناح عقاب كاسر ».

وصف المعركة برواية غيرالطبري

قال خليفة بن خياط/104: «التقوا بنهاوند يوم الأربعاء، فكان في المجنَّبة اليمنى انكشاف (هزيمة) وثبتت المجنبة اليسـرى وثبت النصف . ثم التقوا يوم الخميس فكان في المجنبة اليسرى انكشاف، وثبتت المجنبة اليمنى والنصف».

وفي الثقات لابن حبان:2/227: «فالتقى المسـلمون والمشـركون بنهاوند فأقبل المشـركون يحمون أنفسهم وخيولهم ثلاثاً، ثم نهض إليهم المسلمون يوم الأربعاء فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى كثرت القتلى وفشت الجرحى والصرعى في الفريقين جميعاً، ثم حجز بينهما الليل ورجع الفريقـان إلى عسـكريهما، وبـات المسـلمون ولهم أنين من الجراحـات يعصـبون بالخرق ويبكون حول مصاحفهم . وبات المشـركون في معازفهم وخمورهم . ثم غدوا يوم الخميس فاقتتل المشركون وقاتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت القتلى، وفشت الجرحى في الفريقين جميعاً .

ثم حجز بينهما الليل ورجع الفريقان إلى عسكريهما، وبات المسلمون لهم أنين من الجراحات يعصبون بالخرق ويبكون حول مصاحفهم، وبات المشركون في معازفهم وخمورهم . ثم غدا النعمان بن مقرن يوم الجمعة، وكان رجلاً قصيراً أبيض على برذون أبيض، قد أعلم بالبياض، فجعل يأتي راية راية يحرضهم على القتال، ويقول: الله الله في الإسلام أن تخذلوه، فإنكم باب بين المسلمين وبين المشركين، فإن كسر هذا الباب دخلوا على المسلمين .

يا أيها الناس إني هازٌّ لكم الراية مرة، فليتعاهد الرجل الخيل في حزمها وأعنتها، ألا وإني هازٌّ لكم الثانية فلينظر كل رجل منكم إلى موقف فرسه ومضرب رمحه ووجه مقاتله، ألا وإني هازٌّ لكم الثالثة ومكبرٌ، فكبروا الله واذكروه، ومستنصرٌ فاستنصروه، ألا فحامل فاحملوا...

فمكث المسلمون ينظرون إلى الراية ويراعونها حتى إذا زالت الشمس عن كبد السماء، هز النعمان الراية هزةً فانتزعوا المخالي عن الخيول وقرطوها الأعنة، وأخذوا أسيافهم بأيمانهم والأترسة بشمائلهم، وصلى كل رجل منهم ركعتين، يبادر بهما، ثم هز النعمان الراية ثانياً فوضع كل رجل منهم رمحه بين أذني فرسه، ولزمت الرجال منهم نحور الخيل، وجعل كل رجل يقول لصاحبه: أي فلان تنحَّ عنى لاأطؤك بفرسي، إني أرى وجه مقاتلي، إني غير راجع إن شاء الله حتى أقتل أو يفتح الله عليَّ !

ثم هز الثالثة فكبر فجعل الناس يكبرون الأول فالأول، الأدنى فالأدنى، وقذف الله الرعب في قلوب المشركين حتى أن أرجلهم كانت تخفق في الركب،

فلم يستطع منهم أحد أن يوتر قوسه، ثم ولوا مدبرين، وحمل النعمان وحمل الناس، فكان النعمان أول قتيل قتل من المسلمين، جاءه سهم فقتله، فجاء أخوه معقل بن مقرن فغطى عليه برداً له، ثم أخذ الراية وإنها لتنضح دماً من دماء من قتله بها النعمان قبل أن يقتل، فهزم الله المشركين وفتح على المسلمين، وبايع الناس لحذيفة بن اليمان ».

وفي صحيح ابن حبان:11/68: «فلما حضرت الصلاة وهبت الأرواح كبر وكبرنا وقال: ريح الفتح والله إن شاء الله، وإني لأرجو أن يستجيب الله لي وأن يفتح علينا، فهز اللواء فتيسروا ثم هزه الثانية ثم هزه الثالثة، فحملنا جميعاً كل قوم على من يليهم..فوالله ما علمت من المسلمين أحداً يحب أن يرجع إلى أهله حتى يقتل أو يظفر، وثبتوا لنا فلم نسمع إلا وقع الحديد على الحديد، حتى أصيب في المسلمين مصابة عظيمة، فلما رأوا صبرنا ورأونا لا نريد أن نرجع انهزموا، فجعل يقع الرجل فيقع عليه سبعة في قران(مقترنون بالسلاسل) فيقتلون جميعاً، وجعل يعقرهم حسك الحديد خلفهم، فقال النعمان: قدموا اللواء فجعلنا نقدم اللواء فنقتلهم ونضربهم، فلما رأى النعمان أن الله قد استجاب له ورأي الفتح، جاءته نشابة فأصابت خاصرته فقتلته، فجاء أخوه معقل بن مقرن فسجى عليه ثوباً وأخذ اللواء فتقدم به، ثم قال: تقدموا رحمكم الله فجعلنا نتقدم فنهزمهم ونقتلهم، فلما فرغنا واجتمع الناس قالوا: أين الأمير فقال معقل: هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح، وختم له بالشهادة، فبايع الناس حذيفة ».

ص: 280

وفي الأخبار الطوال للـدينوري/134: «وحملوا، فـانتقضت صـفوف الأعـاجم، وكـان النعمـان أول قتيل، فحمله أخوه سويـد بن مقرن إلى فسـطاطه، فخلع ثيابه فلبسها وتقلد سيفه وركب فرسه، فلم يشك أكثر الناس أنه النعمان، وثبتوا يقاتلون عدوهم ثم أنزل الله نصره، وانهزمت الأعاجم فذهبت على وجوهها، حتى صاروا إلى قرية من نهاوند على فرسـخين تسـمى دزيزيد فنزلوها لأن حصن نهاوند لم يسعهم، وأقبل حذيفة بن اليمان، وقد كان تولى الأمر بعد النعمان، حتى أناخ عليهم، فحاصرهم بها .

قـال: وإنهم خرجوا ذات يوم مسـتعدين للحرب، فقـاتلهم المسـلمون فـانهزمت الأعاجم، وانقطع عظيم من عظمائهم يسـمى دينار، فحال المسـلمون بينه وبين الدخول إلى الحصن، واتبعه رجل من عبس يسمى سماك بن عبيد، فقتل قوماً كانوا معه واستسلم له الفارس، فاستأسره سماك فقال لسماك: إنطلق بي إلى أميركم فإني صاحب هذه الكورة، لأصالحه على هذه الأرض وأفتح له باب الحصن، فانطلق به إلى حذيفة فصالحه حذيفـة عليها وكتب له بـذلك كتاباً . فأقبل دينار حتى وقف على باب حصن نهاونـد، ونادى من فيه: افتحوا باب الحصن وانزلوا فقد آمنكم الأمير وصالحني على أرضكم، فنزلوا إليه . فبذلك سميت ماه دينار .

وأقبل رجل من أشـراف تلك البلاد إلى السائب بن الأقرع، وكان على المغانم، فقال له: أتصالحني على ضـياعي وتؤمنني على أموالي، حتى أدلك على كنز لايدرى ما قدره، فيكون خالصاً لأميركم الأعظم لأنه شئ لم يؤخذ في الغنيمة..

فقال له السائب: إن كنت صادقا فأنت آمن على أولادك وضياعك وأهلك وولدك، فانطلق به حتى استخرجه في سفطين: أحدهما التاج والآخر الحلي .

فلما قسم السائب الغنائم بين من حضر القتال، وفرغ حمل السفطين في خرجين على ناقته، وقدم بهما على عمر بن الخطاب فكان من أمرهما الخبر المشهور، اشتراهما عمرو بن الحارث بعطاء المقاتلة والذرية جميعاً، ثم حملهما إلى الحيرة فباع بفضل كثير، واعتقد بذلك أموالاً بالعراق ». أي اشترى عقارات .

وفي الثقات لابن حبان:2/212: «فجمع السائب بن الأقرع الغنائم كأنها الآكام فجاءه دهقان من دهاقينهم فقال: هل لك أن تؤمنني على دمى ودم أهل بيتي ودم كل ذي رحم لي، وأدلك على كنز عظيم. قال: نعم. قال: خذوا المكاتل والمعاول فامشوا، فمشوا معه حتى انتهى إلى مكان قال:إحفروا فحفروا فإذا هم بصخرة. قال: إقلعوها فقلعوا فإذا هم بسفطين من فصوص يضئ ضوءها كأنها شهب تتلألأ، فأعطى السائب كل ذي حق حقه من الغنائم، وحمل السفطين حتى قدم بهما على عمر » .

قال ابن الأعثم:2/303: «ثم حمل النعمان وحمل الناس معه فاختلطوا واقتتلوا، وذهب النعمان ليحمل على رجل من الأعاجم، فحمل عليه رجل منهم فطعنه طعنة في خاصرته، فسقط النعمان قتيلاً رحمة الله عليه . قال: وجالت الخيل ونظر رجل من المسلمين إلى النعمان قتيلاً إلى عمامة كانت على رأسه، فأخذها فضرب بها على وجه النعمان لكيلا ينظر المسلمون إلى وجه النعمان فيفشلوا عن القتال . قال: وتقدم معقل أخو النعمان فرفع الراية للمسلمين ثم حمل، فلم يزل يقاتل

حتى قتل رحمة الله عليه . قال: وتقدم أخوهما الأصغر واسمه سويد بن مقرن، قال: وجعل سويد بن مقرن يقاتل حتى أثخن بالجراحات ولم يقتل، فرجع بالراية فدفعها إلى حذيفة بن اليمان، قال: فأخذها حذيفة فرفعها للمسلمين ثم قال: إني حامل، وحمل حذيفة وحمل الناس معه، فاقتتلوا قتالاً شديداً يومهم ذلك إلى أن جاء الليل، فحجز بينهم..

فلما أصبح القوم زحف بعضهم إلى بعض، وتقدم رجل من الأساورة على فرس له لاينال من طوله حتى وقف بين الجمعين ثم نادى: يا معشر العرب، أنا بوذان بن أرديه، فهلموا إلى البراز ! قال: فلما سمعه الناس وهو يتكلم بالعربية كأنهم هابوه فلم يخرج إليه أحد، قال:ونظر الفارسي أنه ليس يخرج إليه أحد فحمل على المسلمين حملة فشق الصفوف وخرج من الجانب الآخر، ثم كر راجعا على المسلمين فخالطهم واستلب منهم رجلاً عن فرسه فجعل يركض به والرجل معلق بيده حتى صار به إلى أصحابه فرمى به إليهم فقتل الرجل، ثم أقبل بوذان حتى صار إلى الموضع الذي كان فيه بدياً، قال: فاغتم المسلمون لذلك، وجعل عمرو بن معد يكرب يرتجز . ثم حمل بوذان على المسلمين ليفعل كفعلته الأولية، وحمل عليه عمرو بن معد يكرب من ورائه فضربه بالصمصامة ضربة على بيضته، فقدَّ البيضة والهامة، ومرت الصمصامة تهوي حتى صارت إلى جوف بوذان فسقط قتيلاً، فنزل إليه عمرو فسلبه ما كان عليه، فيقال إنه كان في وسط بوذان منطقة قومت بسبعة آلاف دينار .

قال:ودنت الفُرس حتى تقاربت من صفوف المسلمين في خلق عظيم، فجعلوا يرمون بالنشاب حتى جرحوا جماعة..وحملوا على الفرس فكشفوهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم رجعوا إلى مراكزهم ».

وقال ابن الأعثم:2/305: «وتقدم قائد من قواد نهاوند يقال له هرمزد بن داران في نيف على خمسة آلاف فارس من نخبة الأعاجم حتى وقف بين الجمعين، فأقبل حذيفة بن اليمان على الناس فقال: أيها المسلمون، إن هؤلاء الأعاجم ليست معهم نصفة أن يخرج منهم رجل إلى رجل، وذلك أنه إذا خرج منهم قائد لم يجد بداً من أن يخرج معه كل أصحابه، وهذا عسكر لجب قد برز إليكم في مثل هذه التعبية من الخيل والجنود والفيلة، فثقوا بربكم وقاتلوا عن دينكم وصلوا على نبيكم . قال: فكان أول من خرج إلى هرمزد وأصحابه رجلان من قيس عيلان من بني مضر يقال لأحدهما بكير والآخر مالك، فخرجا على فرسين لهما ثم أقبل أحدهما على الآخر فقال له: يا أخي إعلم أني حامل على هذا الجيش ولست أطلب منهم إلا عميدهم وكبيرهم هرمزد بن داران، فما الذي ترى ؟ فقال أخوه: أرى أني معك أحمل إذا حملت ومعك أقتل إن قتلت، ومعك أرجع إن رجعت، قال: فخرجا جميعاً نحو هرمزد وأصحابه فطعنا في الخيل ساعة حتى فروا هائمين يمنة ويسرة، ثم إنهما حملا على هرمزد بن داران، هذا عن يمينه وهذا عن يساره، فطعناه فسقط إلى الأرض قتيلا، قال: وتكاثرت الفرس من كل ناحية على هذين الفتيين بكير ومالك فقتلا جميعاً رحمة الله عليهما ».

وفي الأخبار الطوال للدينوري/138: «فقال عروة بن زيد الخيل يذكر أيامهم:

ألا طرقت رحلي وقد نام صحبتي *** بإيوان سيرين المزخرف خَلّتي

ولو شهدت يومي جلولاء حربنا *** ويوم نهاوند المهول استهلت

إذا لرأت ضرب أمري غير خامل *** مجيد بطعن الرمح أروع مُصلت

ولما دعوا يا عروة بن مهلهل *** ضربت جموع الفرس حتى تولت

دفعت عليهم رحلتي وفوارسي *** وجردت سيفي فيهم ثمت التي

وكم من عدو أشوس متمرد *** عليه بخيلي في الهياج أظلت

وكم كربة فرجتها وكريهة *** شددت لها أزري إلى أن تجلت

وقد أضحت الدنيا لديَّ ذميمة *** وسَلَّيْتُ عنها النفس حتى تسلت

وأصبح همي في الجهاد ونيتي *** فلله نفس أدبرت وتولت

فلا ثروةُ الدنيا نريد اكتسابها *** إلا إنها عن وفرها قد تحلت

وما ذا أرجِّي من كنوزٍ جمعتها *** وهذى المنايا شرعاً قد أظلت».

رواية نداء عمر: ياسارية الجبل

قال محمد بن جرير الطبري (الشيعي) في المسترشد/551: «ويروون أن عمر نادى سارية بن زنيم، قال: يا سارية الجبل وعمر بالمدينة وسارية بفارس، فسمع سارية صوت عمر فانحاز إلى الجبل. وإنما وضعوا هذا الحديث بإزاء حديث رسول الله (صلى الله عليه و آله) في جعفر بن أبي طالب حين رفع له بمؤتة حتى نظر إلى معترك جعفر بن أبي طالب، ثم نعى جعفر إلى الناس وأخبرهم أنه أصيب، وأصيب بعده زيد بن حارثة، وأصيب بعد زيد عبد الله بن رواحة رضي الله عنهم .

فأرادوا مضاهاة رسول الله (صلى الله عليه و آله) ! بل أرادوا تفضيله على رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فإن كان عمر قويَ على إسماع سارية، لقد قويَ سارية على إجابة عمر، وما أعلم أحداً من أهل العقل والمعرفة يفكر في مثل هذا القول» !

وفي الرياض النضرة للمحب الطبري:2/326: «عن عمر بن الحرث قال: بينا عمر يخطب يوم الجمعة، إذ ترك الخطبة ونادى: يا سارية الجبل، مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل على خطبته ! فقال ناس من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله): إنه لمجنون، ترك خطبته ونادى يا سارية الجبل ! فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان يبسط عليه فقال: يا أمير المؤمنين تجعل للناس عليك مقالاً، بينما أنت في خطبتك إذ ناديت يا سارية الجبل، أي شئ هذا؟ فقال: والله ما ملكت ذلك حين رأيت سارية وأصحابه يقاتلون عند جبل، يؤتون منه ممن بين أيديهم ومن خلفهم، فلم أملك أن قلت: يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل، فلم تمض أيام حتى جاء رسول بكتابه إن القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم من حين صلينا الصبح إلى أن حضرت الجمعة، وذر حاجب الشمس فسمعنا صوت مناد ينادي الجبل مرتين فلحقنا بالجبل، فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله تعالى» .

وقال ابن تيمية في تفسيره:2/140، إن صوت عمر بنفسه لايصل في هذه المسافة البعيدة، بل يوصله جنود الله من الجن والملائكة !

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء/139: «أخرج البيهقي وأبو نعيم، كلاهما في دلائل النبوة، واللالكائي في شرح السنة، والدير عاقولي في فوائده، وابن

الأعرابي في كرامات الأولياء، والخطيب في رواة مالك، عن نافع عن ابن عمر قال: وجه عمر جيشاً ورأّس عليهم رجلاً يدعى سارية».

أقول: ذكر أكثرهم أن ذلك كان في معركة نهاوند يوم الجمعة، ولم يكن سارية بن زنيم رئيس الجيش وقائده، ولا قائداً فيها ! فأين مصداقية الخبر؟!

ولا كان بين المسلمين والفرس حرب في نهاوند ولا خلفهم جبل، فقد نص رواة السلطة والمؤرخون أن المسلمين قاتلوهم يوم الأربعاء والخميس، وأن الفرس انجحروا في خنادقهم يوم الجمعة !

قال الطبري:3/215: «وأنشب النعمان بعد ما حط الأثقال القتال فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم في ذاك سجال، في سبع سنين من إمارة عمر في سنة تسعة عشر، وإنهم انجحروا في خنادقهم يوم الجمعة، وحصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ما شاء الله، والأعاجم بالخيار لا يخرجون إلا إذا أرادوا الخروج فاشتد ذلك على المسلمين وخافوا أن يطول أمرهم، حتى إذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع تجمع أهل الرأي من المسلمين».

وقال ابن خلدون:2ق2/116: «ثم أحجروهم في خنادقهم يوم الجمعة وحاصروهم أياما وسئم المسلمون اعتصامهم بالخنادق».

وفي تجارب الأمم:1/389: «ولما كان يوم الجمعة انجحروا في خنادقهم وذلك لما رأوا صبرنا أنا لا نبرح العرصة فصبروا معنا » .

فلا يعلم أنه كان بينهم معركة يوم الجمعة، وحى لو كانت فلم يكن سارية بن زنيم قائداً فيها، وحتى لو كان فلم يكن وراء المسلمين جبل ولم ينحازوا الى

مكان، بل كان عدوهم في الخنادق وكانوا يفكرون كيف يستخرجونهم ويجرونهم الى المواجهة . فأين مصداقية الخبر ؟!

ويظهر أن علماء السلطة غيروا مكان المعركة وزمانها حتى تصح لعمر وسارية، قال ابن حجر في الإصابة:3/5: «وسارية، ولاه عمر ناحية فارس، وله يقول يا سارية الجبل . وقال المرزباني: كان سارية مخضرماً . وقال العسكري: روى عن النبي (صلى الله عليه و آله) ولم يلقه، وذكره ابن حبان في التابعين . وذكر الواقدي وسيف بن عمر أنه كان خليعاً في الجاهلية، أي لصاً كثير الغازة، وأنه كان يسبق الفرس عدواً على رجليه، ثم أسلم وحسن إسلامه، وأمَّره عمر على جيش وسيره إلى فارس سنة ثلاث وعشرين ».

وقال الذهبي في تاريخه:3/249: (وكان عمر قد بعث سارية بن زنيم الدئلي إلى فسا، ودارا بجرد، فحاصرهم).

فصارت المعركة بعد أربع سنين من نهاوند، وفي فارس في مكان غير محدد أة في فسا !

وهذا التفاوت يوجب الشك في الخبر، وقد فنده علماؤنا، وكتب في ذلك السيد جعفر مرتضى بحثاً وافياً في: الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام):14/43.

عمرو بن معدي كرب الزبيدي وآخرون

قال ابن الأعثم في الفتوح:2/303: «ورجعت إليهم الفرس كأنهم السباع الضارية في جموع لم يروا مثلها قبل ذلك، فصاح عمرو بن معد يكرب: يا معاشر العرب والموالي، ويا أهل الإسلام والدين والقرآن ! إنه لا ينبغي لكم أن يكون هؤلاء الأعاجم أصبر منكم على الحرب، ولا أحرص منكم على الموت، فتناسوا الأولاد والأزواج، ولا تجزعوا من القتل فإنه موت الكرام ومنايا الشهداء .

قال: ثم نزل عمرو عن فرسه ونزل معه أبطال بني عمه، قال: والأعاجم في الآلة والأسلحة وبين أيديهم ثلاثون فيلاً، على كل فيل منهم جماعة من أساورة الفرس، قال: ونظر عامة المسلمين إلى عمرو بن معد يكرب وأصحابه، وقد ترجلوا فنزل الناس وترجلوا، ثم تقدموا نحو الخيل والفيلة، فلم يكن إلا ساعة من أول النهار حتى احمرت الأرض من دماء الفرس، وقتلت الفيلة بأجمعها، فما أفلت منها واحد .

قال: فتراجعت الفرس إلى ورائها، وإذا بفيلة أخرى من الفرس قد أقبلت في قريب من عشرة آلاف، بمطاردها وأعلامها، وبين أيديهم رجل من قواد كسرى يقال له لرداود بن ادركرد، وكان من أهل قاشان، قال فتقدم على فيل له مزين وعلى رأسه تاج له يلمع بالجوهر، وعن يمينه خمسة فيلة، وعن يساره كذلك، على كل فيل منها جماعة من أساورة الفرس .

قال: ونظر إليهم قيس بن هبيرة المرادي، فلم يكذب أن حمل على ذلك الفيل المزين، فضرب خرطومه ضربة وقطعه، ثم تأخر عنه وطعنه في عينه طعنة، فإذا الفيل تقهقر إلى ورائه حتى أنه مر بساقية فيها ماء فعثر بها وسقط عنه لرداد بن ادركرد . قال: ثم تقدم رجل من شجعان الفرس يقال له مهر بنداد بن راذان بود في قريب من ألف فارس ومهر بنداد يومئذ على فيل مزين، وعلى رأسه تاج من الذهب مرصع بالجوهر، وفي يده طبرزين محزق بالذهب، والفيلة عن يمنه وشماله، فلما وقف مهر بنداد بين الجمعين في هذا الجيش ضج المسلمون من كل ناحية، وجعل كل قوم يحبون المبارزة والخروج إلى الحرب، قال: فتقدم عروة بن زيد الخيل الطائي فقال: يا معشر المسلمين، إنه ليست منكم قبيلة بحمد الله إلا ولها في هذه الوقعة أثر محمود، وقد أحببت أن تجعلوا قتال هؤلاء القوم في هذا الوقت إلينا، فقال عمرو بن معد يكرب والمسلمون: فإنا قد أحببنا ذلك فأخرج عافاك الله وكلأك من ناره . قال: فتقدم عروة بن زيد الخيل الطائي وتقدم معه نيف على ثلاث مائة رجل من بني عمه، حتى إذا دنا من الفرس حسر عن رأسه ثم كبر وحمل وحملت معه قبائل طئ على مهر بنداد وأصحابه، فكان مهر بنداد أول من قتل، ووضع المسلمون السيف في أصحابه وكانوا ألف فارس، فأفلت منهم خمسون رجلاً أو أقل من ذلك .

قال: ووقع المسلمون في السلب فأخذوا متاعاً كثيراً من دروع وجواشن وبيض ورماح وحجف وأطواق وشنوف وقرطة وأسورة ومناطق، وحازوا ذلك كله، قال: وجاء الليل فحجز بين الفريقين .

فلما كـان من غـد وذلـك في اليـوم الرابع من حروبهم، ثـار القوم بعضـهم إلى بعض، وزحف أهـل نهاونـد في جميع عظيم حـتى صـافوا المسـلمين، قال: وصف المسلمون صفوفهم كما كانوا يصفونها من قبل، ودنت الخيل من الخيل والرجال من الرجال فتناوشوا ساعة، وتقدم مرزبان من مرازبتهم يقال له النوشـجان بن بادان على فيل له وقد شهره بالتجافيف المذهبة وصفرة الذهب تلمع على سواد الفيل حتى وقف بين الجمعين، قال: ونظر إليه عمرو بن معـدي كرب فتهيأ للحملـة عليه، ثم أقبل على بني عمه من زبيد فقال: ألا تسـمعون ؟ فقالوا: قل يا أبا ثور ! نسـمع قولـك وننتهي إلى أمرك، فقال: إني حامل على هـذا الفيل وقاصـد إليه، فإن قطعت خرطومه فقـد هلك وذاك الـذي أريـد، وإن أخطـأته ورأيتم الفرس قـد حملوا علي وتكاثروا فأعينوني، فقالوا: نفعل أبا ثور ! فاسـتخر الله عز وجل وتقـدم . قال: فتقـدم عمرو نحو الفيل الذي على ظهره النوشجان، قال: وجعل النوشجان يرميه بالنشاب من فوق الفيل حتى جرحه جراحات كثيرة، ونظر إليه من كان من بني عمه فخرجوا إليه ليعينوه، وصاح النوشـجان بالفرس فحملوا على عمرو وأصحابه، فاقتتل القوم وحمل عمرو من بين أيديهم فضرب خرطوم الفيل فقطعه، وولى الفيل منهزماً ثم سقط ميتاً، ووضع المسلمون السيف في النوشجان وأصحابه، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وقتل النوشجان فيمن قتل وانهزم الباقون بشر حالة تكون...

ص: 291

ونادى عمرو بن معدي كرب قال: يا معاشـر المسلمين ما أشبه هذا اليوم إلا بيوم القادسية، فيا معشر بني مذحج ويا فتيان بني زبيد ويا معشر النخع، إعلموا أن الذكر غداً بالمدينة لمن صبر اليوم، ألا فاحملوا ولا تفشلوا رحمكم الله.

قال: فما بقي أحـد من بني مذحج ولا من النخع ولا من بني زبيد إلا وحمل، ونظر إليهم عمرو وقد حملوا فحمل معهم، فاقتتلوا ساعة حتى أزالوا الفرس عن أماكنهم، وقتلوا منهم بشراً كثيراً .

قال: ثم أقبل جرير بن عبد الله البجلي على الناس فقال: يا معشر المسلمين إنكم قد علمتم بأن أميرنا النعمان بن مقرن قد قتل منذ ثلاثة أيام وهـذا الرابع، وهؤلاء الأعاجم كلما كسـرنا لهم جيشاً زحفوا إلينا بجيش هو أعظم منه، وقد تعلمون أن يزدجرد ملك الأعاجم قاطبة قد صار إلى أصـفهان، ولست آمن أن يبعث إليكم بجيش عظيم فيكون فيه البوار، وهـذه الشـمس قد زالت كما ترون فاعلموا أنها لا تغيب إلا ونحن في جوف قلعـة نهاونـد إن شاء الله.. قال: فقال طليحـة بن خويلـد الأسـدي: والله ما الرأي إلا ما رأيت يا أبا عمرو ولقد قلت قولاًويجب أن نجعلهـا واحـدة لنـا أم علينـا، فإنا لا نطيق كثرة هؤلاء القوم . قال: فقال عمرو بن معـد يكرب: ويحك يا طليحـة، لا تقل علينا فإني أرجو أن تكون لنا وقلبي يشهد بذلك، كما أنه يشهد أني مقتول في هذا اليوم، ألا وإني حامل فاحملوا معي رحمكم الله، فوالله لأجهدن أني لا أرجع دون أن أفتح أو أقتل .

قال: ثم نزل عمرو عن فرسه وجعل يسـتوثق من حزامه وثفره ولببه، ثم اسـتوى عليه وضـرب بيده إلى الصـمصامة فجعل يهزها، قال: ثم كبر عمر وحمل

وحمل معه فرسان بني مذحج على جموع الأعاجم، فلما خالطهم عمرو عثر به فرسه فسقط إلى الأرض، وغار فرسه وأحاطت به الفرس من كل جانب، فلم يزل يقاتل حتى انكسرت الصمصامة في يده، ثم ضرب بيده إلى السيف ذي النون فلم يزل يضرب به حتى انكسر في يده، فعند ذلك علم أنه مقتول، قال: وجعل المسلمون يحملون على الفرس فيقاتلون وليست لهم بهم طاقة لكثرة جمعهم، وحمل رجل من الفرس يقال له بهرزاد على عمرو بن معد يكرب فضربه على يافوخه، فخر عمرو صريعاً، وتكاثرت عليه الفرس بالسيوف فقطعوه إرباً إرباً، رحمة الله ورضوانه عليه ».

وفي الإستيعاب:3 /1202: «وقاتل يومئذ حتى كان الفتح وأثبتته الجراحات يومئذ فحُمِل فمات بقرية من قرى نهاوند يقال لها روذة، فقال بعض شعرائهم:

لقد غادر الركبان يوم تحمّلوا *** بروذة شخصاً لا جباناً ولا غمرا

فقل لزبيد بل لمذحج كلَّها *** رزئتم أبا ثور قريع الوغى عمرا».

ونسب ابن حجر هذين البيتين الى دعبل الخزاعي .(الإصابة:4/572).

وفي مروج الذهب:2/324: «وقتل هنالك خلق كثير: منهم النعمان بن مقرن، وعمرو بن معديكرب، وغيرهما . وقبورهم إلى هذا الوقت بينة معروفة، على نحو فرسخ من نهاوند، فيما بينها وبين الدِّينَورِ ».

«بندسيان: من قرى نهاوند، بها قبر النعمان بن مقرن، استشهد هناك يوم نهاوند وهو أمير الجيوش. وقبر عمرو بن معدي كرب الزبيدي فيما يزعم أهلها . والمشهور أن عمرو بن معديكرب مات بروذه قرب الري». (معجم البلدان:1/499).

ص: 293

وفي أنساب السمعاني:3/136: «أبو ثور عمرو بن معديكرب الزبيدي شجاع العرب، استشهد بنهاوند زمن عمر . ومحمية بن جزء الزبيدي، صاحب رسول الله (صلى الله عليه و آله)، استعمله على الأخماس » .

قيس بن المكشوح

وهو ابن أخت عمرو بن معدي كرب، لكنه بجلي حليف بني مراد، وعمرو زبيدي، وكانت علاقتهما سيئة بسبب صراع القبيلتين، وكان قيس مسلماً قبل خاله وأحسن تديناً . وكان النبي (صلى الله عليه و آله) يعتمد عليه، فقد كتب له ليساعد في قتل مدعي النبوة الأسود العنسي ففعل، وكانت له أدوار بطولية وقيادية في الفتوحات، وشارك في معركة اليرموك، وسارع مع هاشم المرقال الى العراق فحضر القادسية وكان قائد ميسرتها، وكان قائداً فيما بعدها من معارك .

وهو من كبار أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد استشهد معه في صفين .

قال الطبري:3/203: «فسار النعمان (الى نهاوند)ومعه وجوه أصحاب النبي (صلى الله عليه و آله) منهم حذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وجرير بن عبد الله البجلي، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي، وطليحة بن خويلد الأسدي، وقيس بن مكشوح المرادي... ثم عبأ كتائبه وخطب الناس فقال: إن أصبت فعليكم حذيفة بن اليمان، وإن أصيب فعليكم جرير بن عبد الله، وإن أصيب جرير بن عبد الله فعليكم قيس بن مكشوح، فوجد المغيرة بن شعبة في نفسه إذ لم يستخلفه ».

وفي الإستيعاب:3/1299: «قيس بن المكشوح، أبو شـداد... حليف مراد، وعـداده فيهـم..وهو أحد الصـحابة الذين شـهدوا مع النعمان بن مقرن فتـح نهاونـد . له ذكر صالح في الفتوحات بالقادسـية وغيرها زمن عمر وعثمان، وهو أحد الذين قتلوا الأسود العنسـي، وهـم: قيس بن مكشوح، وذادويه، وفيروز الديلمي..

ثم قتل قيس بن مكشوح بصـفين مع علي (عليه السـلام)، وكان يومئذ صاحب راية بجيلة وكانت فيه نجدة وبسالة، وكان قيس شـجاعاً فارساً بطلاً شاعراً، وهو ابن أخت عمرو بن معـدي كرب، وكان يناقضه في الجاهليـة، وكانا في الإسـلام متباغضـين، وهو القائل لعمرو بن معـدي كرب:

فلو لاقيتني لاقيت قرناً *** وودعت الحبائب بالسلام

لعلك موعدي ببني زبيد *** وما قامعت من تلك اللئام

ومثلك قد قرنت له يديه *** إلى اللحيين يمشى في الخطام

ومن خبره في صفين أن بجيلة قالت له: يا أبا شداد، خذ رايتنا اليوم فقال: غيري خير لكم . قالوا: ما نريد غيرك . قال: فوالله لئن أعطيتمونيها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب ! قال: وعلى رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستر به معاوية من الشـمس، فقالوا له: إصنع ما شئت .

فأخـذ الرايـة ثم زحف فجعل يطاعنهم حتى انتهى إلى صاحب الترس، وكان في خيل عظيمـة، فاقتتل الناس هنالك قتالاً شديداً، وكان على خيل معاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فشد أبو شداد بسيفه نحو صاحب الترس فعارضه

دونه رومي لمعاوية، فضرب قدم أبى شداد فقطعها، وضربه قيس فقتله، وأشرعت إليه الرماح، فقتل رحمة الله تعالى عليه » .

زيد الخير بن صوحان

في مناقب آل أبي طالب:1/95 : «وذكر (صلى الله عليه و آله) زيد بن صوحان فقال: زيد وما زيد ! يسبقه عضو منه إلى الجنة ! فقطعت يده في يوم نهاوند في سبيل الله» .

وفي الطبقات (6/123) أنه رضي الله عنه كان يحدث قبل نهاوند أن النبي (صلى الله عليه و آله) أخبره بأن يده تقطع في سبيل الله، فشكك الأعرابي فقال له زيد: صدق الله: الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ».

ثم شارك زيد رضي الله عنه في معركي الجمل الصغرى والكبرى، فكان مع أمير المؤمنين (عليه السلام) وأبلى بلاء حسناً واستشهد فيها، قتله عميرة بن يثربي فارس بني ضبة، وكان عميرة قاضي عثمان على البصرة (الطبقات:7/149) وقَتَل ثلاثة من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) هم: زيد بن صوحان العبدي، وعلباء بن الهيثم السدوسي، وهند بن عمرو بن جدراة الجملي. وأخذ يرتجز ويقول:

إني لمن أنكرني ابن يثربي *** قاتل علباء وهند الجملي

ثم ابن صوحان على دين علي . (أنساب الأشراف/244).

«وأخذ ابن يثربي برأس الجمل وهو يرتجز..فناداه عمار: لقد لعمري لُذْتَ بحريز، وما إليك سبيل ! (أي احتميت بعائشة وجملها) فإن كنت صادقاً فاخرج من هذه الكتيبة إليَّ، فترك الزمام في يد رجل من بني عدي حتى كان بين أصحاب عائشة وأصحاب علي، فزحم الناس عماراً حتى أقبل إليه فضربه فاتقاه عمار

بدرقته فأنتشب سيفه فيها، فعالجه فلم يخرج، فخرج عمار إليه لايملك من نفسه شيئاً، فأسفَّ عمار لرجليه فقطعهما فوقع على إسته» . (وقعة الجمل للضبي/162). «ثم أخذ برجله يسحبه حتى انتهى به إلى علي (عليه السلام)).(شرح النهج:1/259).

وفي تاريخ دمشق:43/464: «فبرز له عمار وهو ابن ثلاث وتسعين، عليه فروة مشدودة الوسط بشريط، حمائل سيفه نسعة، فانتقضت ركبتاه فجثى على ركبتيه فأخذه أسيراً، فأتى به علياً (عليه السلام) ».

أبو عثمان النهدي (عبد الرحمن بن مَلّ)

في سير أعلام النبلاء:4/177: «عن أبي عثمان النهدي، قال: أتيت عمر بالبشارة يوم نهاوند.. كان أبو عثمان النهدي يصلي حتى يغشى عليه ».

وقال ابن حبان في الثقات:5/75: «عبد الرحمن بن مَلّ، أبو عثمان النهدي من قضاعة أدرك الجاهلية.. غزا في عهد عمر القادسية وجلولاء وتستر ونهاوند وأذربيجان، وقد قيل مات أبو عثمان النهدي سنة مائة وكان مقيماً بالكوفة، فلما قتل الحسين بن علي (عليه السلام) انتقل منها إلى البصرة وقال: لا أسكن بلد قتل فيها بن بنت النبي (صلى الله عليه و آله) ! وكان أبو عثمان يقول بلغت ثلاثين ومائة سنة، كل شئ منى عرفت فيه النقص، إلا أملى فإني أراه كما هو». ومعارف ابن قتيبة/426.

«قال لي سلمان الفارسي: أتعرف رامهرمز ؟ قلت: نعم . قال: إني من أهلها. قلت: ما أشد حبك لعلي! قال: كيف لا أحبه وقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: الناس من أشجار شتى، وأنا وعلي من شجرة واحدة».(أربعون منتجب الدين/35).

وروى أن النبي (صلى الله عليه و آله) اعتنق علياً (عليه السلام) وأجهش بالبكاء: «قال قلت يا رسول الله ما يبكيك؟قال: ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلا من بعدي! قال قلت يا رسول الله في سلامة من ديني.قال: في سلامة من دينك»(أبو يعلى:1/427، وغيره).

طليحة بن خويلد الأسدي

في تاريخ الطبري:3/220: «أن رجلاً يقال له جعفر بن راشد، قال لطليحة وهم مقيمون على نهاوند: لقد أخذتنا خلة، فهل بقى من أعاجيبك شئ تنفعنا به؟ فقال:كما أنتم حتى أنظر، فأخذ كساء فتقنع به غير كثير، ثم قال: البيان البيان، غنم الدهقان في بستان،مكان أرونان.فدخلوا البستان فوجدوا الغنم مُسَمَّنة»!

وقد ترجمنا لطليحة في حروب الردة .

وكان اليهود في نهاوند

في مصنف بن أبي شيبة:8/22، ودلائل النبوة:3/838: «عن عبد الله بن سلام قال: شهدت فتح نهاوند..أصاب المسلمون سبايا من سبايا اليهود، وأقبل رأس الجالوت يفادي سبايا اليهود، وأصاب رجل من المسلمين جارية يسرة صبيحة فأتاني فقال: لك أن تمشي معي إلى هذا الإنسان عسى أن يثمن لي بهذه الجارية، قال: فانطلقت معه فدخل على شيخ مستكبر له ترجمان فقال لترجمانه: سل هذه الجارية هل وقع عليها هذا العربي؟قال: ورأيته غار حين رأى حسنها، فراطنها بلسانه ففهمت الذي قال: فقلت له:أبحت بما في كتابك بسؤالك هذه الجارية على ما وراء ثيابها !فقال لي: كذبت ما يدريك ما في كتابي. قلت:أنا أعلم بكتابك منك ! قال: من هذا ؟ قالوا: عبد الله بن سلام، قال: فانصرفت ذلك اليوم،

قال فبعث إلي رسولاً يعزمه ليأتيني، قال: وبعث إلي بدابة فانطلقت إليه لعمر الله احتساباً رجاء أن يسلم فحبسني عنده ثلاثة أيام أقرأ عليه التوراة ويبكي، وقلت له إنه والله لهو النبي الذي تجدونه في كتابكم! فقال: إني لأعرف ما تقول، قلت: فما يمنعك من الإسلام؟فإذا رجل مستكبر راغب في منزلته، فلم يسلم».

أقول: كان في ميسان والأهواز يهود، ويظهر أن حاخامهم رأس الجالوت جاء ليشتري سبايا اليهود . ويدعي ابن سلام أنه التقى به صدفة، وأنه دعاه الى الإسلام فلم يقبل منه . وعبد الله بن سلام لايوثق به .

معارضة عمر بن الخطاب لفتح العراق وإيران

من الثابت عند المحدثين والمؤرخين أن عمر بن الخطاب كان معارضاً لقتال المرتدين، كما كان عمر مخالفاً لفتح العراق، ويرى أن المثنى بن حارثة الشيباني قد ورط المسلمين بعملياته لفتح العراق، وليته لم يفعل !

وقد صرح بذلك مبعوث عمر الى العراق جرير بن عبد الله البجلي، عندما اختلف مع المثنى فكتب له، كما في فتوح ابن الأعثم:1/136: «أما بعد فقد ورد كتابك عليَّ فقرأته وفهمته، فأما ما ذكرت أنك الذي أقدمت المهاجرين والأنصار إلى حرب العدو، فصدقت، وليتك لم تفعل !

وأما قولك: إن المهاجرين والأنصار لحقوا ببلدهم، فإنه لما قتل أميرهم لحقوا بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وأما ما ذكرت أنك أقمت في نحر العدو فإنك أقمت في بلدك، وبلدك أحب إليك من غيره ».

لكن رأي عمر تغير أمام الأمر الواقع الـذي فرضـته موجـة الرغبـة في الفتوحات في نفوس المسـلمين التي أحـدثتها البشارات النبويـة لهم . فأرسل ابن أبي وقاص والياً على العراق، وأخذ يمده بالمقاتلين لمعركة القادسية .

وكذلك كان عمر معارضاً لفتح إيران، فقد غضب على والي البحرين العلاء بن الحضـرمي، لأنه أرسل قوات من البحرين بالسـفن وبدأ بفتح إيران، وقد أمره بالإنسحاب رغم أن قواته وصلت الى إصطخر وشيراز .

بل حكم عليه عمر بأنه لم يرد الله بعمله، وأنه عرَّض المسـلمين للخطر وأمره بالإنسحاب، وعاقبه فجعله تحت إمرة سعد بن أبي وقاص الذي يكرهه !

وقد علل عمر معارضته لفتح إيران، بأن ما في أيدي المسلمين يكفيهم .

قال الطبري:3/176: «قـال عمر: حسـبنا لأهل البصـرة سوادهم والأهواز . وددت أن بيننا وبين فارس جبلاً من نار، لا يصـلون إلينا منه ولا نصـل إليهم . كمـا قـال لأهـل الكوفـة: وددت أن بينهم وبين الجبـل جبلاً من نـار، لا يصـلون إلينا منه ولا نصل إليهم . وكان العلاء بن الحضرمي على البحرين أزمان أبي بكر، فعزله عمر، وجعل قدامة بن المظعون مكانه » !

وهذا الموقف لعمر تلاحظه طوال خلافته، وفي كل مراحل فتح إيران، قبل معركة جلولاء وتستر ونهاوند وبعدها، بل حتى بعد فتح خراسان !

لكن الواقع الميـداني على الأرض فرض نفسه عليه، وجرت المعارك بخير في العراق فرضـي بها عمر، ومع ذلك كان يؤكد أمره أن لا يتوغلوا داخل إيران!

وقد أجاز لنفسه هاشم المرقال الشيعي قائد معركة جلولاء، التوغل لمطاردة الجيش الفارسي، فقاد هو وحجر بن عدي وجرير، فتح حلوان وغيرها .

وفي هذه المدة كان علي (عليه السلام) وبعض الصحابة، خاصة الأحنف بن قيس يعملون لإقناع عمر بخطأ رأيه، ويُقَوُّون قلبه، حتى سمح بالإنسياح في إيران على مضض، وأرسل الأحنف لفتح خراسان، ومطاردة يزدجرد .

قال الطبري:3/246:« لما قدم على عمر فتح خراسان قال: لوددت أن بيننا وبينها بحراً من نار ! فقال علي: وما يشتد عليك من فتحها، فإن ذلك لموضع سرور ».

وفي فتوح ابن الأعثم:2/320: «كتب إلى أبي موسى: أما بعد فقد ورود عليَّ كتابك يخبرني بما فتح الله على يديك من أرض فارس وكرمان، وأنك تريد التقدم إلى بلاد خراسان، فمهلاً أبا موسى في ذلك، فانظر إذا ورد عليك كتابي هذا، فول على كل بلد مما فتح الله عز وجل على يديك رجلاً يرتضيه المسلمون، وارجع إلى البصرة فأقم بها، وذر عنك خراسان فلا حاجة لنا بها .

يا ابن قيس مالنا ولخراسان ومالخراسان ولنا؟!ولوددت أن بيننا وبين خراسان جبالاً من حديد، وبحاراً، وألف سد، كل سد مثل سد يأجوج ومأجوج .

قال فقال له علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: ولم ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: لأنها أرض بعدت عنا جداً، ولا حاجة لنا بها .

فقال علي: فإن كانت قد بعدت عنك خراسان، فإن لله عز وجل مدينة بخراسان يقال لها مرو، أسسها ذو القرنين وصلى بها عزير، أرضها فياحة..

ثم حدثه عن مدن خراسان وما يجري عليها فقال عمر: يا أبا الحسن ! لقد رغبتني في فتح خراسان » !

وقال الطبري:3/135: «وكتبوا إلى عمر بفتح جلولاء وبنزول القعقاع حلوان، واستأذنوه في اتباعهم فأبى وقال: لوددت أن بين السواد وبين الجبل سداً لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم ! حسبنا من الريف السواد . إني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال» .

وقال ابن مسكويه في تجارب الأمم:1/364: «وكوتب عمر بفتح جلولاء ونزول القعقاع حلوان واستأذنوه في اتباعهم، فقال: وددت أن بين السواد وبين الجبل سداً من نار، لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم، حسبنا من الريف السواد» !

وفي تاريخ الطبري:3/182و184، أن الأحنف شارك في معركة فتح تستر، وجاء بالهرمزان مع وفد الى عمر، وقال له: «يا أمير المؤمنين إنك نهيتنا عن الإنسياح في البلاد، وأمرتنا بالإقتصار على ما في أيدينا، وإن مَلِك فارس حيٌّ بين أظهرهم، وإنهم لا يزالون يساجلوننا ما دام مَلكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه، وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شئ إلا بانبعاثهم، وأن ملكهم هو الذي يبعثهم، ولا يزال هذا دأبهم حتى يأذن لنا في السيح في بلادهم، حتى نزيله عن فارس ونخرجه من مملكته وعز أمته، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس ويربطوا جأشاً . فقال صدقتني والله وشرحت لي الأمر عن حقه، ونظر في حوائجهم وسرحهم وقدم الكتاب على عمر باجتماع أهل نهاوند، وانتهاء أهل

مهرجانقذق وأهل كور الأهواز إلى رأي الهرمزان ومشيئته، فذلك كان سبب إذن عمر لهم في الإنسياح».

فلاحظ هذه النصوص التي تروي تشدد عمر في منع المسلمين من فتح إيران، من سنة خمسة عشر حتى سنة إحدى وعشرين، حيث بعث الأحنف !

لذلك لا يصح القول إن عمر قد فتح العراق وإيران، بل يجب القول إن المسلمين فتحوها بفعل الموجة النبوية والبشارة النبوية لهم، وقد رضخ عمر للأمر الواقع .

كما يجب القول إن علياً (عليه السلام) والأحنف بن قيس كانا أول المحرضين على فتح إيران.

الأحنف بن قيس رائد فتح خراسان

روى الطبري:3/188، أن البعض: «قالوا أذن عمر في الإنسياح سنة سبعة عشر في بلاد فارس وانتهى في ذلك إلى رأي الأحنف بن قيس وعرف فضله وصدقه، وفرق الأمراء والجنود، وأمَّر على أهل البصرة أمراء، وأمر على أهل الكوفة أمراء، وأمر هؤلاء وهؤلاء بأمره، وأذن لهم في الإنسياح سنة سبع عشرة فساحوا في سنة ثمان عشرة... فخرجوا في سنة سبع عشرة فعسكروا ليخرجوا إلى هذه الكور، فلم يستتب مسيرهم حتى دخلت سنة ثمان عشرة ».

والصحيح ما قاله الطبري:3/244: «وفي هذه السنة(إحدى وعشرين) غزا الأحنف بن قيس في قول بعضهم خراسان، وحارب يزدجرد...

فلما دنا الأحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد نحو مرو الروذ، حتى نزلها، ونزل الأحنف مرو الشاهجان، وكتب يزدجرد وهو بمرو الروذ إلى

خاقان يستمده، وكتب إلى ملك الصغد يستمده، فخرج رسولاه نحو خاقان وملك الصغد، وكتب إلى ملك الصين يستعينه .

وخرج الأحنف من مرو الشاهجان، واستخلف عليها حارثة بن النعمان الباهلي، بعد ما لحقت به أمداد أهل الكوفة، على أربعة أمراء: علقمة بن النضر النضري، وربعي بن عامر التميمي، وعبد الله بن أبي عقيل الثقفي، وابن أم غزال الهمداني. وخرج سائراً نحو مرو الروذ، حتى إذا بلغ ذلك يزدجرد خرج إلى بلخ (في أفغانستان) ونزل الأحنف مرو الروذ، وقدم أهل الكوفة فساروا إلى بلخ، وأتبعهم الأحنف فالتقى أهل الكوفة ويزدجرد ببلخ، فهزم الله يزدجرد، وتوجه في أهل فارس إلى النهر، فعبر ولحق الأحنف بأهل الكوفة، وقد فتح الله عليهم . فبلخ من فتوح أهل الكوفة .

وتتابع أهل خراسان ممن شذ أو تحصن على الصلح فيما بين نيسابور إلى طخارستان، ممن كان في مملكة كسرى.. وعاد الأحنف إلى مرو الروذ فنزلها، واستخلف على طخارستان ربعي بن عامر..

وكتب الأحنف إلى عمر بفتح خراسان فقال: لوددت أني لم أكن بعثت إليها جنداً، ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار ! فقال علي: ولمَ يا أمير المؤمنين؟ قال لأن أهلها سينقضون منها ثلاث مرات فيحتاجون في الثالثة، فقال: أن يكون ذلك بأهلها، أحب إلي من أن يكون بالمسلمين...

ص: 304

وكتب عمر إلى الأحنف: أما بعد فلا تجوزن النهر واقتصر على ما دونه، وقد عرفتم بأي شئ دخلتم على خراسان، فداوموا على الذي دخلتم به خراسان يدم لكم النصر، و إياكم أن تعبروا فتنفضوا .

ولما بلغ رسولا يزدجرد خاقان وغوزك، لم يستتب لهما إنجاده حتى عبر إليهما النهر مهزوماً، وقد استتب فأنجده خاقان والملوك ترى على أنفسها إنجاد الملوك، فأقبل في الترك وحشر أهل فرغانة والصغد، ثم خرج بهم وخرج يزدجرد راجعاً إلى خراسان حتى عبر إلى بلخ، وعبر معه خاقان، فأرز أهل الكوفة إلى مرو الروذ إلى الأحنف، وخرج المشركون من بلخ حتى نزلوا على الأحنف بمروالروذ، وكان الأحنف حين بلغه عبور خاقان والصغد نهر بلخ غازياً له، خرج في عسكره ليلاً يتسمع هل يسمع برأي ينتفع به، فمر برجلين ينقيان علفاً، إما تبناً و إما شعيراً، وأحدهما يقول لصاحبه لو أن الأمير أسندنا إلى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقاً، وكان الجبل في ظهورنا من أن نؤتى من خلفنا، وكان قتالنا من وجه واحد رجوت أن ينصرنا الله .

فرجع واجتزأ بها وكان في ليلة مظلمة، فلما أصبح جمع الناس ثم قال: إنكم قليل و إن عدوكم كثير، فلا يهولنكم، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين . إرتحلوا من مكانكم هذا فأسندوا إلى هذا الجيل، فاجعلوه في ظهوركم واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم، وقاتلوهم من وجه واحد، ففعلوا، وقد أعدوا ما يصلحهم، وهو في عشرة آلاف من أهل البصرة

وأهل الكوفة نحو منهم . وأقبلت الترك ومن أجلبت حتى نزلوا بهم فكانوا يغادرونهم ويراوحونهم، ويتنحون عنهم بالليل ما شاء الله.

وطلب الأحنف علم مكانهم بالليل فخرج ليلة بعد ما علم علمهم طليعة لأصحابه، حتى كان قريباً من عسكر خاقان فوقف، فلما كان في وجه الصبح خرج فارس من الترك بطوقه وضرب بطبله، ثم وقف من العسكر موقفاً يقفه مثله، فحمل عليه الأحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله.. ثم انصرف الأحنف إلى عسكره، ولم يعلم بذلك أحد منهم، حتى دخله واستعد . وكان من شيمة الترك أنهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم كهؤلاء كلهم يضرب بطبله، ثم يخرجون بعد خروج الثالث فخرجت الترك ليلتئذ بعد الثالث فأتوا على فرسانهم مقتلين، فتشاءم خاقان وتطير، فقال قد طال مقامنا وقد أصيب هؤلاء القوم بمكان لم يصب بمثله قط ! مالنا في قتال هؤلاء القوم من خير، فانصرفوا بنا . فكان وجوههم راجعين وارتفع النهار للمسلمين ولا يرون شيئاً، وأتاهم الخبر بانصراف خاقان إلى بلخ، وقد كان يزدجرد بن شهريار بن كسرى ترك خاقان بمرو الروذ وخرج إلى مرو الشاهجان، فتحصن منه حارثة بن النعمان ومن معه فحصرهم واستخرج خزائنه من موضعها، وخاقان ببلخ مقيم .

فقال المسلمون للأحنف: ما ترى في اتباعهم؟فقال: أقيموا بمكانكم ودعوهم. ولما جمع يزدجرد ما كان في يديه مما وضع بمرو فأعجل عنه، وأراد أن يستقل به منها، إذ هو أمر عظيم من خزائن أهل فارس، وأراد اللحاق بخاقان فقال له

أهل فارس: أي شـئ تريد أن تصنع؟ فقال: أريد اللحاق بخاقان فأكون معه أو بالصين . فقالوا له: مهلاً فإن هذا رأى سوء، إنك إنما تأتي قوماً في مملكتهم وتـدع أرضك وقومك، ولكن ارجع بنا إلى هؤلاء القوم فنصالحهم فإنهم أوفياء وأهل دين وهم يلون بلادنا، وإن عـدواً يلينا في بلادنا أحب إلينا مملكة عدو يلينا في بلاده، ولا دين لهم ولا ندري ما وفاؤهم !

فأبى عليهم وأبو عليه فقالوا: فدع خزائننا نردها إلى بلادنا ومن يليها ولا نخرجها من بلادنا إلى غيرها، فأبى فقالوا: فإنا لا ندعك !

فـاعتزلوا وتركوه في حاشـيته، فـاقتتلوا فهزموه وأخـذوا الخزائن واسـتولوا عليهـا ونكبوه، وكتبوا إلى الأ ـحنف بالخبر فاعترضـهم المسـلمون، والمشـركون بمرو يثفنونه فقاتلوه وأصابوه في آخر القوم، وأعجلوه عن الأثقال ومضى موائلاً حتى قطع النهر إلى فرغانة والترك، فلم يزل مقيماً زمان عمر كله يكاتبهم ويكاتبونه..

وأقبل أهل فارس على الأحنف فصالحوه وعاقدوه، ودفعوا إليه تلك الخزائن والأموال، وتراجعوا إلى بلدانهم وأموالهم على أفضل ما كانوا في زمان الأكاسـرة، فكانوا كأنما هم في ملكهم إلا أن المسلمين أوفى لهم وأعدل عليهم، فاغتبطوا وغبطوا. وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهم الفـارس يوم القادسـية...وأقبل الأ ـحنف حتى نزل بلـخ، ونزل أهـل الكوفـة في كورهـا الأربع، ثم رجع إلى مرو الروذ فنزل بها، وكتب بفتح خاقان ويزدجرد إلى عمر، وبعث إليه بالأخماس، ووفَّد إليه الوفود ...

ص: 307

ولما وقع الرسول بالفتح والوفد بالخبر ومعهم الغنائم، بعمر بن الخطاب من قبل الأحنف، جمع الناس وخطبهم وأمر بكتاب الفتح فقرئ عليهم، فقال في خطبته: فالحمد لله الذي أنجز وعده ونصر جنده، ألا إن الله قد أهلك ملك المجوسية وفرق شملهم، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضر بمسلم. ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون».

قال البلاذري:2/503: «جمع أهل طخارستان للمسلمين فاجتمع أهل الجوزجان والطالقان والفارياب ومن حولهم، فبلغوا ثلاثين ألفاً.. وخرج ليلاً ـ فسمع أهل خباء يتحدثون ورجلاً يقول: الرأي للأمير أن يسير إليهم فيناجزهم حيث لقبهم. فقال رجل يوقد تحت خزيره أو يعجن: ليس هذا برأي ! ولكن الرأي أن ينزل بين المرغاب والجبل، فيكون المرغاب عن يمينه والجبل عن يساره، فلا يلقى من عدوه وإن كثروا إلا ـ مثل عدة أصحابه . فرأى ذلك صواباً ففعله . وهو في خمسة آلاف من المسلمين: أربعة آلاف من العرب وألف من مسلمي العجم، فالتقوا، وهز رايته وحمل وحملوا، فقصد ملك الصغانيان للأحنف فأهوى له بالرمح، فانتزع الأحنف الرمح من يده، وقاتل قتالاً شديداً فقتل ثلاثة ممن معهم الطبول منهم، كان يقصد قصد صاحب الطبل فيقتله، ثم إن الله ضرب وجوه الكفار، فقتلهم المسلمون قتالاً ذريعاً..

وقال: يا بني تميم، تحابوا وتباذلوا تعتدل أموركم، وابدؤوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم، ولا تَغُلُّوا يسلم لكم جهادكم.. ثم كروا فهزموا الكفرة، وفتحوا الجوزجان عنوة ».

ص: 308

وفي فتوح البلاذري:3/502: «ووجه عبد الله بن عامر الأحنف بن قيس نحو طخارستان، فأتى الموضع الذي يقال له قصر الأحنف، وهو حصن من مرو الروذ، وله رستاق عظيم يعرف برستاق الأحنف.. فحصر أهله فصالحوه على ثلاث مئة ألف، فقال الأحنف: أصالحكم على أن يدخل رجل منا القصر فيؤذن فيه ويقيم فيكم حتى انصرف فرضوا . ومضى الأحنف إلى مرو الروذ فحصر أهلها، وقاتلوه قتالاً شديداً فهزمهم المسلمون فاضطروهم إلى حصنهم . وكان المرزبان من ولد باذام صاحب اليمن أو ذا قرابة له، فكتب إلى الأحنف: إنه دعاني إلى الصلح إسلام باذام . فصالحه على ستين ألفاً » .

وفي فتوح البلاذري:3/503: «وفتح الأحنف الطالقان صلحاً، وفتح الفارياب».

وفي فتوح ابن الأعثم:2/340: «ذكر فتح مرو الروذ وبلخ على يد الأحنف بن قيس...فاستدعى عبد الله بن عامر الأحنف بن قيس وقال له: يا أبا بحر، لقد اقترب موسم الحج، وإني عازم على أداء هذه الفريضة، وإني أعرف أحوال رجال العرب الذين هم معي، ولكنني اخترتك للنيابة عني في إمارة خراسان فيجب عليك أن ترعى شؤون الإمارة وأحوال الناس بأحسن وجه ممكن، كما هو معهود فيك من الكفاءة وحسن السيرة . ثم جمع عبد الله الأموال وانطلق نحو الحج . وإذ علم أهل مرو والطالقان بعودة عبد الله بن عامر، اجتمعوا وأعدوا ثلاثين ألف مقاتل، فاتصل الخبر بالأحنف فجمع قواته واستعد للحرب وتوجه نحو الذين نقضوا العهد، ونزل في مكان يبعد فرسخين اثنين عن مرو الروذ حيث يعرف بقصر الأحنف، وأما جيش مرو الروذ والطالقان

فقد اتجهوا إلى الميدان للحرب، ولما التقى الجيشان حمل عليهم الأحنف بن قيس مع جماعته وهم يكبرون، وقد تمكن الأحنف من إصابة ثلاثة من القواد، أصحاب الاعلام برمحه، ولما رأى الكفرة ذلك انهزموا لا يلوون على شئ فتعقبهم المسلمون يقتلونهم ويأسرون منهم وقد غنموا غنائم، فما كان من الأحنف إلا أن حمد الله تعالى على هذا الفتح المبين .

ثم انطلق إلى بلخ ونزل على إحدى بواباتها وأقام معسكرا هناك، ولما رأى ملك بلخ جيش المسلمين على تلك الحال، امتلأ قلبه رعباً فأرسل إلى الأحنف شخصاً يطلب الصلح فأجابه الأحنف إلى ذلك وصالحه على أربع مائة ألف درهم نقداً وكل عام يدفع مئة ألف درهم، وخمس مائة حمل من القمح، وأخرى من الشعير . قال: وجعل الأحنف يفتح بلداً بلداً، ورستاقاً رستاقاً، ويدور ما قدر عليه من بلاد خراسان، ويجبي أموالها ويحمل خمس ذلك إلى عثمان بن عفان . قال: فكان الأحنف على طوائف خراسان مما كان دون نهر بلخ وعبد الرحمن بن سمرة ببلاد سجستان».

وفي فتوح البلاذري:2/383: «ووجه عمر بن الخطاب عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي إلى إصبهان سنة ثلاث وعشرين.. ففتح عبد الله بن بديل جي صلحاً بعد قتال على أن يؤدى أهلها الخراج والجزية، وعلى أن يؤمنوا على أنفسهم وأموالهم، خلا ما في أيديهم من السلاح . ووجه عبد الله بن بديل الأحنف بن قيس وكان في جيشه، إلى اليهودية (قرب أصفهان) فصالحه أهلها على مثل ذلك

الصلح... وأصح الأخبار أن أبا موسى فتح قم وقاشان، وأن عبد الله بن بديل فتح جي واليهودية».

وفي معجم البلدان: 4/397: «قُم: بالضم وتشديد الميم، وهي كلمة فارسية.. وهي مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها، وأول من مصرها طلحة بن الأحوص الأشعري.. قال البلاذري: لما انصرف أبو موسى من نهاوند إلى الأهواز فاستقراها ثم أتى قم فأقام عليها أياماً وافتتحها، وقيل: وجه الأحنف بن قيس فافتتحها عنوة وذلك في سنة 23 للهجرة .

وذكر بعضهم أن قم بين أصبهان وساوة، وهي كبيرة حسنة طيبة وأهلها كلهم شيعة إمامية، وكان بدء تمصيرها في أيام الحجاج بن يوسف سنة83، وذلك أن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس، كان أمير سجستان من جهة الحجاج ثم خرج عليه وكان في عسكره سبعة عشر نفساً من علماء التابعين من العراقيين، فلما انهزم ابن الأشعث ورجع إلى كابل منهزماً، كان في جملته إخوة يقال لهم: عبد الله والأحوص وعبد الرحمن وإسحاق ونعيم، وهم بنو سعد بن مالك بن عامر الأشعري، وقعوا إلى ناحية قم، وكان هناك سبع قرى اسم إحداها كمندان.. واستوطنوها واجتمع إليهم بنو عمهم، وصارت السبع قرى سبع محال بها، وسميت باسم إحداها وهي كمندان، فأسقطوا بعض حروفها فسميت بتعريبهم قماً، وكان متقدم هؤلاء الإخوة عبد الله بن سعد، وكان له ولد قد ربي بالكوفة فانتقل منها إلى قم، وكان إمامياً فهو الذي نقل التشيع إلى أهلها فلا يوجد بها سني قط .

ومن ظريف ما يحكى: أنه وليَ عليهم والٍ وكان سنياً متشدداً فبلغه عنهم أنهم لبغضهم الصحابة الكرام، لا يوجد فيهم من إسمه أبو بكر قط ولا عمر، فجمعهم يوماً وقال لرؤسائهم: بلغني أنكم تبغضون صحابة رسول الله (صلى الله عليه و آله)، وأنكم لبغضكم إياهم لا تسمون أولادكم بأسمائهم، وأنا أقسم بالله العظيم لئن لم تجيئوني برجل منكم إسمه أبو بكر أو عمر، ويثبت عندي أنه اسمه، لأفعلن بكم ولأصنعن ! فاستمهلوه ثلاثة أيام وفتشوا مدينتهم واجتهدوا، فلم يروا إلا رجلاً صعلوكاً حافياً عارياً أحول، أقبح خلق الله منظراً إسمه أبو بكر، لأن أباه كان غريباً استوطنها فسماه بذلك، فجاؤوا به، فشتمهم وقال: جئتموني بأقبح خلق الله تتنادرون علي، وأمر بصفعهم ! فقال له بعض ظرفائهم: أيها الأمير إصنع ما شئت، فإن هواء قم لا يجئ منه من اسمه أبو بكر أحسن صورة من هذا ! فغلبه الضحك وعفا عنهم » .

ملاحظات على دورالأحنف في فتح إيران

1.لاحظت أن عمر بن الخطاب كان كارهاً لفتح إيران وخاصة خراسان ومطاردة يزدجرد، وأنه رضي بذلك على مضض بسبب ضغط المسلمين عليه . وأن علياً (عليه السلام) والأحنف بن قيس كان له دور في إقناع عمر، ثم كان الأحنف وزملاؤه من شيعة علي (عليه السلام) أهم القادة الميدانيين في فتح إيران !

ومن الملفت أن أول قادة فتح خراسان المؤثرين كان الأحنف بن قيس، وآخرهم كان عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومي، وهو ابن أم هاني أخت

أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد أرسله (عليه السلام) بعد معركة الجمل، لاستكمال فتح خراسان وتثبيت ما فتح منها .

2.نلاحظ أن الأحنف عمل في فتح إيران وأفغانستان أكثر من خمسة عشر عاماً من سنة 21، وعلى قول سنة 17من خلافة عمر وعثمان . فهو الذي بدأ فتحها وطارد الشاه وهزمه، وهو الذي أعاد إخضاع مدن عديدة، نقضت الصلح مع المسلمين. ثم كان نائباً لوالي خراسان الأموي ابن عامر الذي نصبه عثمان والياً.

3. تحدثت المصادر عن قادة كان لهم أدوار مهمة في حركة الفتوحات الإسلامية في إيران وغيرها، وهم من شخصيات شيعة علي (عليه السلام) وقد استشهد عدد منهم فيما بعد معه (عليه السلام) في حرب الجمل أو صفين،كآل ورقاء الخزاعيين، وآل مقرن، والأحنف واحد من هؤلاء القادة الأبطال .

4. كان الأحنف الرئيس العام لبني تميم، وكان معه كثرة منهم في جنود الفتح . وقد استوطن بعضهم خراسان ولم يرجع الى بلاده . وقد رأيت طالب علم في قم المشرفة يتكلم بلغة عربية ضعيفة، فسألته: من أين أنت ؟ قال: من خراسان، تميمي، فسألته: وهل يوجد في خراسان تميميون ؟ قال: نعم يوجد خمس قرى عربية غالبها من بني تميم، وهم يتكلمون الفارسية، وبعضهم يتكلم بلغة عربية ضعيفة . ونحن هناك من عصر الفتح الإسلامي .

وأمامي كتاب: قبيلة بني تميم ودورها في تاريخ الإسلام وإيران . باللغة الفارسية، وهو رسالة ماجستير من جامعة أصفهان، للكاتبة مريم سعيديان جزي، نشرته المكتبة التخصصية في تاريخ إيران والإسلام .

ص: 313

وهو دراسة شاملة موثقة، لدور الأحنف بن قيس وبني تميم في حركة فتح إيران، في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي (عليه السلام)، ثم في العهد الأموي .

5. ورد في نصوص الفتوحات إسم قم، وأن أهلها شاركوا في تحشيد الفرس لجيوشهم في نهاوند، وأن يزدجرد هرب اليها، وأن الأحنف بن قيس فتحها، ويشكل ذلك لأن تلك الأحداث كانت قبل سنة أربعين، وقم تأسست بعدها، فكيف يرد إسمها قبل تأسيسها ؟

والجواب: أن المؤرخين ذكروا أن إسم قم عرَّبه الأشعريون من إسم «كمندان» وهو إسم قرية من سبع قرى كانت مكان قم وحولها . وذكرت بعض المصادر أن أصل كمندان من «كوم» وهو بيت الراعي، وأنها تأسست في عهد الفيشداديين من ملوك إيران القدماء، فعربها الأشعريون الى قم .

وذكر المؤرخون والمحدثون أن تمصير قم كان عام83 عندما ثار عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج وعبد الملك بن مروان، وكان معه عشرات الألوف من قراء الكوفة وجنودهاوشخصياتها، فهزمه الحجاج في دير الجماجم وتشرد أنصاره ومنهم أبناء سعد بن مالك بن عامر الأشعري الخمسة: عبد الله والأحوص وعبد الرحمن و إسحاق ونعيم، فسكنوا كمندان وسموها قماً .

وعلى هذا يكون إسم قم الذي ورد في الفتوحات يعني كمندان، وعبَّر عنه الرواة بقم، وهم يقصدون المنطقة التي سميت فيما بعد بقم .

ص: 314

على أن رواية تأسيس قم سنة 83، مرسلة، تفرد بها الإخسيكثي المتوفى 520 في كتابه، كما نص السمعاني(4/543). كما أني لم أجد أن أبناء سعد بن مالك كانوا مع ابن الأشعث . وبحث ذلك خارج عن غرضنا .

6. يضحك الإنسان عندما يرى أن الشاب الغرير، عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، صار والياً لعثمان على خراسان، وأن الأحنف بن قيس يعمل تحت إمرته، وهو الشيخ الكبير صاحب الشخصية المميزة والقائد الميداني، وكذا كبار قادة الفتوحات !

فكل رأس مال ابن كريز أنه أموي ! «فلما استخلف عثمان بن عفان ولى عبد الله بن عامر بن كريز البصرة في سنة ثمان وعشرين، ويقال في سنة تسع وعشرين، وهو ابن خمس وعشرين سنة » . (البلاذري:3/499).

وقال ابن الأعثم:2/335: «في يوم الجمعة حين صعد عبد الله بن عامر بن كريز المنبر لإلقاء الخطبة ورأى حشود المصلين، اندهش وأُرْتِجَ عليه، وبدأ كلامه فقال: الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض في ست سنين ! فقام رجل من بني مازن وقال: أصلح الله الأمير: إن كان لابد لك من أن تذكر في خطبتك مدة خلق السماوات والأرض فإن الله قد خلقها في ستة أيام . فخجل عبد الله ولم ينطق بعد ذلك بكلمة، ثم نزل وأمر شخصاً آخر أن يلقي الخطبة، ثم تقدم فصلى بالناس، وبعد فراغه من الصلاة تقدم منه رجل من قريش وقال له: لو أنك لم تصعد المنبر ولم تتكلم بشئ وكلفت من يخطب بدلاً عنك لكان ذلك أولى

من صعودك المنبر ثم عجزك عن الكلام بعدما رأيت كثرة الناس . فقال عبد الله: صدقت، بعد اليوم لن تراني على المنبر أبداً » !

7. ويضحك الإنسان أكثر عندما يقرأ عن سعيد بن عثمان بن عفان، الذي طمع بالخلافة بعد معاوية، فدبَّر له معاوية مَقْلباً وأرسله بجيش ليفتح سمرقند فوصل الى بخارا وكانت مفتوحة، لكنه هدد ملكها بالحرب، وصالحهم على ثلاث مئة ألف وقبضها، وطلب منهم رهائن حتى لايهاجموه من خلفه، فأعطوه عشرين شاباً من أبناء الأمراء رهينة، فأخذهم وذهب بجيشه الى سمرقند، وحلف أن لايرجع حتى يفتحها ويهدم برجها .

فحاصرها فلم يستطع فتحها وجاءه سهم ففقأ عينه، فطلب من حاكمها أن يمر من وسط المدينة ليبر بيمينه ويقال إنه فتحها، فرضي بذلك ومرَّ سعيد من وسطها ورمى حجراً نحو برجها، وبذلك فتحها ! ورجع بجيشه عنها .

وجمع هذا القائد الفاتح في سفرته ثروة كبيرة وعاد الى المدينة، ومعه العشرون شاباً من الصغد رهينة، فأنشأ بستاناً في ضاحية المدينة وشغَّلهم فلاحين فيه، فاتفقوا عليه يوماً ليقتلوه، فجاء مروان بن الحكم والي المدينة لنجدته منهم، لكنه لم يجد مفتاح البستان، فانتظر على الباب حتى قتلوا سعيداً !

قال ابن عساكر في تاريخ دمشق:21/223: «كان أهل المدينة عبيدهم ونساؤهم يقولون: والله لا ينالها يزيدُ حتى ينالَ هامَه الحديدُ إن الأمير بعدَهُ سعيدُ

يعنون لا ـ ينال يزيد الخلافة، والأـمير بعد معاوية هو سعيد بن عثمان..فقدم سعيد على معاوية فقال:يا ابن أخي ما شئ يقوله أهل المدينة؟قال: ومايقولون؟

قال: قولهم: والله لاينالها يزيد..الـخ.! قال: ما تنكر من ذلك يا معاويـة؟! والله إن أبي لخير من أبي يزيـد، ولأمي خير من أم يزيد، ولأنا خير منه، وقـد اسـتعملناك فمـا عزلناك بعـد، ووصـلناك فما قطعناك، ثـم صار في يـديك ما قـد ترى فحلأتنا عنه أجمع» ! وروى قصـته الطويلـة. والطبري:4/220، والتذكرة الحمدونية/1497.

وقال البلاذري:3/508: «فنزل على بـاب سـمرقند وحلـف أن لا يبرح أو يفتحهـا ويرمى قهنـدزها» أي قلعتهـا . وقـال اليعقوبي:2/237: «فحلف ألا يبرح حتى يدخل المدينة، ففتح له باب المدينة فدخلها، ورمى القهندز بحجر »!

وقال ابن الأعثم:4/312:وقَفَلَ(رجع) سـعيد بن عثمان من بلاد خراسان وقـد ملأ يـديه من الأموال، حتى إذا صار إلى المدينة مدينة رسول الله (صلى الله عليه و آله) كتب إلى معاوية يستعفيه من ولاية خراسان، فعلم معاوية أنه استظهر بالأموال فأعفاه».

وفي أنساب الأشراف/1508: «فبينا سـعيد في حائط له وقـد جعل أولئك السـغد فيه يعملون بالمساحي، إذا أغلقوا باب الحائط ووثبوا عليه فقتلوه، فجاء مروان بن الحكم يطلب المدخل عليهم فلم يجده، وقتل السغد أنفسهم ! وتسورت الرجال ففتحوا الباب، وأخرجوا سعيداً » !

ومع كل هذه الفضيحة فقد أصر علماء السلطة على أن سعيد بن عثمان من القادة الفاتحين الذين فتح الله على يديهم فتوحات عظيمة !

قـال ابن عساكر في تاريخه:21/222: «سـعيد بن عثمان بن عفان القرشـي المدني، اسـتعمله معاوية على خراسان، فغزا سمرقند، وفتح الله على يديه فتحاً عظيماً، وأصيبت عينه بها، وأخذ الرهون » .

وقد ترجمنا لسعيد بن عثمان، في الذين قتلهم معاوية في جواهر التاريخ:3/334.

ص: 317

عبد الله بن بديل الخزاعي رائد فتح وسط إيران

قال البلاذري في فتوح البلدان:2/383: «وجه عمر بن الخطاب عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي إلى إصبهان سنة ثلاث وعشرين، ويقال بل كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري يأمره بتوجيهه في جيش إلى إصبهان فوجهه، ففتح عبد الله بن بديل جِيْ صلحاً بعد قتال، على أن يؤدى أهلها الخراج والجزية، وعلى أن يؤمنوا على أنفسهم وأموالهم، خلا ما في أيديهم من السلاح .

ووجه عبد الله بن بديل الأحنف بن قيس وكان في جيشه إلى اليهودية، فصالحه أهلها على مثل ذلك الصلح. وغلب ابن بديل على أرض إصبهان وطساسيجها وكان العامل عليها إلى أن مضت من خلافة عثمان سنة، ثم ولاها عثمان السائب بن الأقرع ».

ومعنى ذلك أن عبد الله عمل أكثر من عشر سنين في فتوح وسط إيران . وعبد الله بن بديل وأبوه وإخوته وأولاده، من الشيعة المخلصين لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وكانت خزاعة متحالفة مع عبد المطلب رضي الله عنه، واستمرت على حلفها مع النبي (صلى الله عليه و آله)، ووفى لها النبي (صلى الله عليه و آله) عندما اعتدت عليها كنانة وساعدتها قريش، فجاء الخزاعيون الى المدينة يشكون اليه وقال شاعرهم:

يا رب إني ناشدٌ محمدا *** حِلْفَ أبينا وأبيه الأتلدا

قد كنتمُ ولداً وكنا والدا *** ثَمَّتَ أسلمنا فلم ننزعْ يدا

إن قريشاً أخلفوك الموعدا *** ونقضوا ميثاقَك المؤكدا

وزعموا أن لست أدعو أحدا *** وهم أذلُّ وأقلُّ عددا

ص: 318

هم بيَّتونا بالوتير هُجَّدا *** وقتلونا رُكَّعاً وسُجَّدا

وجعلوا لي في كداء رصدا *** فانصر رسول الله نصراً أيدا

وادعُ عباد الله يأتوا مددا *** فيهم رسول الله قد تجردا

إن سِيمَ خسفاً وجهُهُ تربَّدا *** في فيلق كالبحر يجري مُزبدا

قرمٌ لقرم من قروم أصيدا

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): حسبك يا عمرو، ودمعت عيناه . أو قال: نُصرت يا عمرو بن سالم . وتهيأ لفتح مكة . (جواهر التاريخ:2/601).

وكان بديل وأولاده فرساناً شجعاناً، وعرف ابنه عبد الله بأنه من قادة العرب ودهاتهم، فقد روى في الإصابة(4/19) عن الزهري: « دهاة الناس خمسة: فمن قريش معاوية وعمرو . ومن ثقيف المغيرة. ومن الأنصار قيس بن سعد . ومن المهاجرين عبد الله بن بديل بن ورقاء ».

وذكر في الإصابة (1/408) صحبته وصحبة أبيه للنبي (صلى الله عليه و آله) وأن أباه توفي قبل النبي (صلى الله عليه و آله) وأما عبد الله فاستشهد مع أمير المؤمنين (عليه السلام) بصفين .

قال ابن حجر في الإصابة:6/5: «وعبد الله بن بديل بن ورقاء، ومحمد بن بديل بن ورقاء الخزاعيان، قتلا بصفين، وهما رسولا رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى أهل اليمن». وبخل رواة السلطة في تفصيل أدوارهم في الفتوح، لأنهم من شيعة علي (عليه السلام) !

قال في معجم البلدان:4/20: «قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني: أول فتوح خراسان الطبسان، وهما بابا خراسان وقد فتحهما عبد الله بن بديل بن ورقاء».

وقال اليعقوبي:2/157: «وافتتح عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي همذان وأصبهان ».

وقال البلاذري (3 /499): «وجه أبو موسى الأشعري عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي غازياً، فأتى كرمان ومضى حتى بلغ الطبسين.. ويقال بل توجه عبد الله بن بديل من إصبهان من تلقاء نفسه ».

وختم عبد الله جهاده بنصرة أمير المؤمنين (عليه السلام) على البغاة، وذكر له الرواة مواقف مشرفة، منها خطبته في صفين التي رواها نصر بن مزاحم .

قال في وقعة صفين /102: «ثم قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقال: يا أمير المؤمنين إن القوم لو كانوا الله يريدون أو لله يعملون ما خالفونا. ولكن القوم إنما يقاتلون فراراً من الأسوة، وحباً للأثرة، وضناً بسلطانهم، وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم، وعلى إحن في أنفسهم، وعداوة يجدونها في صدورهم، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة، قتلت فيها آباءهم وإخوانهم . ثم التفت إلى الناس فقال: فكيف يبايع معاوية علياً وقد قتل أخاه حنظلة، وخاله الوليد، وجده عتبة في موقف واحد . والله ما أظن أن يفعلوا، ولن يستقيموا لكم دون أن تقصد فيهم المران، وتقطع على هامهم السيوف، وتنثر حواجبهم بعمد الحديد، وتكون أمور جمة بين الفريقين .«

وقال ابن الأعثم في الفتوح:3 /120: «وتقدم عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي كالليث المغضب، فجعل يحمل على ميمنة معاوية مرة، وعلى ميسرته مرة أخرى، وليس يظهر له أحد إلا قتله وهو يقول:

أضربكم ولا أرى معاوية *** الأبرج العين العظيم الحاوية

هوت به في النار أم هاوية *** جاوره فيها كلابٌ عاوية

قال: فصاح معاويـة: ويلكم يا أهل الشام ! هـذا أسـد من أسود خزاعـة، فاقصدوه بحربكم . قال فأحاط به أهل الشام من كل ناحية، فلم يزل يقاتلهم حتى قتل منهم جماعـة وقتل (رحمـة الله) فقال معاويـة: لله دره ودر أبيه ! أما والله لو اسـتطاعت نساء خزاعـة أن تقاتلنا فضـلاً عن رجالها، لفعلت . قال: وتقدم عمرو بن الحمق الخزاعي حتى وقف في ميدان الحرب وهو يقول:

جزى الله خيراً عصبة أي عصبة *** حسان وجوه صرعت نحو هاشم

شقيق وعبد الله فيهم ومعبد *** ونبهان وابنا هاشم والمكارم

وعروة لا تبعد فقد كان فارساً *** إذا الحرب هاجت بالقنا والصوارم

إذا اختلف الابطال واشتبك القنا *** وكان حديث القوم ضرب الجماجم

ثم حمل فقاتل أشد القتال ورجع إلى موقفه » .

ويظهر أن العديد من ذرية عبد الله وغيرهم من الخزاعيين سـكنوا منذ الفتح في إيران وبعضـهم حافظ على لغته ونسـبه، وبعضـهم ذاب في مجتمعهـا الفارسـي، ومنهم من ذريـة عبـدالله الشـاعر دعبـل الخزاعي وهو مـدفون في مدينـة شوش في الأهواز، ومنهم أبو الفتوح الرازي الخزاعي صاحب التفسير المعروف، وقد كتبه بالفارسية، وأخذ منه الكثير منه الفخر الرازي، ولم يشر الى المصدر! (معالم العلماء/15).

علي (عليه السلام) يستكمل في خلافته فتح خراسان

من ظلامات أمير المؤمنين (عليه السلام) أنهم أشاعوا عنه أنه أوقف الفتوحات، وأن معاوية بن أبي سفيان واصلها، مع أن الواقع بالعكس تماماً !

قال ابن الأعثم(2/539): «فنادى علي في الناس فجمعهم، ثم خطبهم خطبة بليغة وقال: أيها الناس: إن معاوية بن أبي سفيان قد وادع ملك الروم، وسار إلى صفين في أهل الشام عازماً على حربكم،فإن غلبتموهم استعانوا عليكم بالروم» وقد صححوا روايته في مسند أحمد:4/111، وتفسير ابن كثير: 2/333.

وقال المسعودي في مروج الذهب:2/377: «وامتنع المسلمون عن الغزو في البحر والبر لشغلهم بالحروب، وقد كان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله اليه لشغله بعلي (عليه السلام)) .

بل مدحوا معاوية لتقواه في وفائه بعهده للروم، أما الوفاء لعلي والحسن (عليهما السلام) فهو غير واجب ! قال البلاذري:1/188: «إن الروم صالحت معاوية على أن يؤدى إليهم مالاً، وارتهن معاوية منهم رهناء فوضعهم ببعلبك . ثم إن الروم غدرت فلم يستحل معاوية والمسلمون قتل من في أيديهم من رهنهم وخلوا سبيلهم وقالوا: وفاء بغدر خير من غدر بغدر» !

بل أفرط بعض علماء السلطة فأفتى بوجوب إطلاق الرهائن! قال النويري في نهاية الإرب: 6/164، بعد مدح معاوية:«فإن حاربونا وجب إطلاق رهائنهم وإبلاغ الرجل منهم مأمنهم، وإيصال النساء والأطفال والذراري إلى أهليهم»!

أما أمير المؤمنين (عليه السلام) فلم يوقف الفتوحات رغم أن أعداءه شغلوه بثلاثة حروب داخلية، فقد فتح ولاته (عليه السلام) مناطق من خراسان وآسيا والهند وإفريقيا، فأرسل ابن أخته بن جعدة بن هبيرة لإكمال فتح خراسان، وأرسل من لم يرغب في حرب معاوية الى ثغور الري والقفقاز، وأرسل جيشاً من البحرين لفتح مناطق في الهند . قال اليعقوبي في تاريخه: 2/183: « ولما فرغ من حرب أصحاب الجمل، وجه جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي إلى خراسان » .

وفي شرح النهج: 18/308: «هبيرة بن أبي وهب، كان من الفرسان المذكورين، وابنه جعدة بن هبيرة، وهو ابن أخت علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أمه أم هاني بنت أبي طالب، وابنه عبد الله بن جعدة بن هبيرة، هو الذي فتح القندهار، وكثيراً من خراسان، فقال فيه الشاعر:

لولا ابن جعدةَ لم تُفتح قهندزكم *** ولا خراسانُ حتى ينفخ الصور

وفي معجم البلدان: 4/419، وصحاح الجوهري: 1/433: قهندز بالزاي وهو الحصن .

والظاهر أن عبد الله بن جعدة رضي الله عنه فتح بقية خراسان وأفغانستان .

قال الطبري في تاريخه: 4 /46: «قال بعث عليٌّ بعد ما رجع من صفين جعدة بن هبيرة المخزومي إلى خراسان فانتهى إلى أبر شهر وقد كفروا، وامتنعوا فقدم على علي (عليه السلام) فبعث خليد بن قرة اليربوعي، فحاصر أهل نيسابور حتى صالحوه وصالحه أهل مرو، وأصاب جاريتين من أبناء الملوك نزلتا بأمان، فبعث بهما إلى علي، فعرض عليهما الإسلام وأن يزوجهما، قالتا زوجنا ابنيك فأبى، فقال له

بعض الـدهاقين ادفعهما إليَّ فإنه كرامة تكرمني بها، فدفعهما إليه، فكانتا عنده يفرش لهما الديباج ويطعمهما في آنية الذهب، ثم رجعتا إلى خراسان ».

وقال خليفـة بن خياط في تاريخه/143، في حوادث سـنة 36: « وفيها نـدب الحارث بن مرة العبـدي من البحرين، الناس إلى غزو الهنـد، فجاوز مكران إلى بلاد قندابيل ووغل في جبال الفيقان..».

وفي فتوح البلدان للبلاذري:3 /531: « فلما كان آخر سـنة ثمان وثلاثين وأول سـنة تسع وثلاثين في خلافة علي بن أبي طالب رضـي الله عنه، توجه إلى ذلـك الثغر الحـارث بن مرة العبـدي متطوعاً بإذن علي (عليه السـلام)، فظفر وأصاب مغنماً وسبياً، وقسم في يوم واحـد ألف رأس» .

وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم/115: «فأجاب علياً (عليه السلام) إلى السير والجهاد جل الناس إلا أن أصحاب عبد الله بن مسعود أتوه، وفيهم عبيدة السلماني وأصحابه، فقالوا له: إنا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم، ونعسكر على حدةٍ حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد ما لا يحل له، أو بدا منه بغي كنا عليه. فقال على: مرحباً وأهلاً، هذا هو الفقه في الدين والعلم بالسـنة . من لم يرض بهذا فهو جائر خائن .

وأتاه آخرون من أصـحاب عبـد الله بن مسـعود، فيهم ربيع بن خيثم وهم يومئـذ أربع مائة رجل، فقالوا: يا أمير المؤمنين إنا شـككنا في هذا القتال على معرفتنا بفضلك، ولاغناء بنا ولا بك ولا المسلمين عمن يقاتل العدو، فولنا بعض

الثغور نكون به ثم نقاتل عن أهله . فوجهه على على ثغر الري، فكان أول لواء عقده بالكوفة لواء ربيع بن خيثم .

عن ليث بن سليم قال: دعا عليٌّ باهلة فقال: يا معشر باهلة، أشهد الله أنكم تبغضوني وأبغضكم، فخذوا عطاءكم واخرجوا إلى الديلم . وكانوا قد كرهوا أن يخرجوا معه إلى صفين » !

ومما نلاحظه أن خراسان والري وطبرستان، وغيرها من المدن داخل إيران، كانت تنقض الصلح باستمرار، حتى تم إخضاعها في عهد علي (عليه السلام) .

والنتيجة: أن القول بأن علياً (عليه السلام) أوقف الفتوحات، وأن معاوية لم يوقفها، هو بالعكس تماماً، والغرض منه مدح معاوية وتنقيص علي (عليه السلام) .

كما أن القول بأن عمر رائد فتح إيران، غير صحيح، لأنه كان أمراً واقعاً فرض نفسه على عمر فرضاً، وقد عمل علي (عليه السلام) لإقناع عمر به !

نهاية يزدجرد بن شهريار بن كسرى

عاش الملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى بعد معركة نهاوند، نحو اثنتي عشرة سنة، كان فيها ملكاً مقاتلاً مشرداً، يستنهض الفرس لقتال المسلمين فيتحرك بعضهم ويقاتلون معه، ويكرهه أكثرهم، ثم غدر به بعضهم وقتلوه !

وكانت مشكلته التكبر على قومه الفرس، فهو يراهم عبيداً له ويصرح بذلك، ويعاملهم بغطرسة، مع أنه مشرد محتاج اليهم !

قال البلاذري في فتوح البلدان:2/387: «هرب يزدجرد من المدائن إلى حلوان ثم إلى إصبهان . فلما فرغ المسلمون من أمر نهاوند هرب من إصبهان إلى إصطخر . فتوجه عبد الله بن بديل بن ورقاء بعد فتح إصبهان لاتباعه فلم يقدر عليه . ووافى أبو موسى الأشعري إصطخر فرام فتحها فلم يمكنه ذلك، وعاناها عثمان بن أبي العاص الثقفي، فلم يقدر عليها .

وقدم عبد الله بن عامر بن كريز البصرة سنة تسع وعشرين، وقد افتتحت فارس كلها إلا إصطخر وجور، فهم يزدجرد بأن يأتي طبرستان، وذلك أن مرزبانها عرض عليه وهو بإصبهان أن يأتيها وأخبره بحصانتها، ثم بدا له فهرب إلى كرمان، واتبعه ابن عامر مجاشع بن مسعود السلمي، وهرم بن حيان العبدي، فمضى مجاشع فنزل بيمنذ من كرمان، فأصاب الناس الدَّمَق(ريح وثلج) وهلك جيشه فلم ينج إلا القليل، فسمى القصر قصر مجاشع .

وكـان يزدجرد جلس ذات يوم بكرمـان، فـدخل عليه مرزبانهـا فلم يكلمه تيهـاً ! فأمر بجر رجله، وقال: ما أنت بأهل لولايـة قريـة فضـلاً عن الملك، ولو علم الله فيك خيراً، ما صيرك إلى هذه الحال !

فمضـى إلى سجستان فأكرمه ملكها وأعظمه، فلما مضت عليه أيام سأله عن الخراج فتنكر له . فلما رأى يزدجرد ذلك سار إلى خراسان، فلما صار إلى حد مرو تلقاه ماهويه مرزبانها معظماً مبجلاً، وقدم عليه نيزك طرخان فحمله وخلع عليه وأكرمه، فأقام نيزك عنده شـهراً، ثم شخص وكتب إليه يخطب ابنته فأحفـظ ذلـك يزدجرد (أغضبه)وقـال: أكتبوا إليه إنمـا أنت عبـد من عبيـدي، فما جرأك على أن تخطب إليَّ ؟ وأمر بمحاسـبة ماهويه مرزبان مرو، وسأله عن الأموال . فكتب ماهويه إلى نيزك يحرضه عليه ويقول: هـذا الـذي قدم مفلولاً طريداً، فمننت عليه ليرد عليه ملكه فكتب إليك بما كتب، ثم تضافرا على قتله !

وأقبل نيزك في الأتراك حتى نزل الجنابذ فحاربوه، فتكافأ الترك ثم عادت الدائرة عليه فقتل أصحابه ونهب عسكره . فأتى مدينة مرو فلم يفتح له فنزل عن دابته ومشى حتى دخل بيت طحان على المرغاب، ويقال إن ماهويه بعث إليه رسله حين بلغه خبره، فقتلوه في بيت الطحان .

ويقال إنه دس إلى الطحان فأمره بقتله فقتله، ثم قال: ما ينبغي لقاتل ملك أن يعيش، فأمر بالطحان فقتل .

ص: 327

ويقال إن الطحان قدم له طعاماً فأكل، وأتاه بشراب يشرب فسكر، فلما كان المساء أخرج تاجه فوضعه على رأسه، فبصر به الطحان فطمع فيه، فعمد إلى رحاً فألقاها عليه، فلما قتله أخذ تاجه وثيابه وألقاه في الماء .

ثم عرف ماهويه خبره فقتل الطحان وأهل بيته وأخذ التاج والثياب .

ويقال إن يزدجرد نذر برسل ماهويه فهرب ونزل الماء، فطلب من الطحان فقال: قد خرج من بيتي، فوجدوه في الماء . فقال: خلوا عنى أعطكم منطقتي وخاتمي وتاجي، فتغيبوا عنه، وسألهم شيئاً يأكل به خبزاً فأعطاهم بعضهم أربعة دراهم فضحك وقال: لقد قيل لي إنك ستحتاج إلى أربعة دراهم .

ثم إنه هجم عليه بعد ذلك قوم وجههم ماهويه لطلبه فقال: لا تقتلوني واحملوني إلى ملك العرب، لأصالحه عني وعنكم . فأبوا ذلك وخنقوه بوتَر، ثم أخذوا ثيابه فجعلت في جراب وألقوا جثته في الماء . ووقع فيروز بن يزدجرد فيما يزعمون إلى الترك فزوجوه وأقام عندهم ».

وعقد الطبري(3/244) فصلاً بعنوان: «ذكر مصير يزدجرد إلى خراسان وما كان السبب في ذلك: اختلف أهل السير في سبب ذلك، وكيف كان الأمر فيه..».

وأورد روايات عن هرب يزدجرد، وحملة الأحنف بن قيس (رحمة الله) على خراسان واشتباكه معه، ومطاردته له، وفتحه مناطق مهمة منها . وجاء فيه:

«فلما دنا الأحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد نحو مرو الروذ، حتى نزلها ونزل الأحنف مرو الشاهجان، وكتب يزدجرد وهو بمرو الروذ إلى خاقان يستمده، وكتب إلى ملك الصغد يستمده..بلغ ذلك يزدجرد خرج إلى

بلـخ ونزل الأحنف مرو الروذ، وقـدم أهل الكوفـة فساروا إلى بلـخ، وأتبعهـم الأحنف فالتقى أهل الكوفـة ويزدجرد ببلـخ فهزم الله يزدجرد، وتوجه في أهل فارس إلى النهر فعبر، ولحق الأحنف بأهل الكوفة وقد فتح الله عليهم، فبلخ من فتوح أهل الكوفة...وكتب الأحنف إلى عمر بفتـح خراسـان فقـال: لوددت أني لم أكن بعثت إليها جنـداً، ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار ! فقال علي (عليه السـلام): وما يشـتد عليك من فتحها، فإن ذلك لموضع سرور ..

ثم ذكر الطبري نزاع أهل مرو مع يزدجرد ورفضهم أن يحمل خزائنهم وأموالهم: «فاعتزلوا وتركوه في حاشيته، فاقتتلوا فهزموه وأخذوا الخزائن واستولوا عليها ونكبوه، وكتبوا إلى الأحنف بالخبر فاعترضهم المسلمون.. وأعجلوه عن الأثقال ومضى حتى قطع النهر إلى فرغانة والترك فلم يزل مقيماً زمان عمر كله يكاتبهم ويكاتبونه، أو من شاء الله منهم، فكفر أهل خراسان زمان عثمان .

وأقبل أهل فارس على الأحنف فصالحوه وعاقـدوه ودفعوا إليه تلك الخزائن والأموال وتراجعوا إلى بلـدانهم وأموالهم على أفضل ما كانوا في زمان الأكاسـرة فكانوا كأنما هم في ملكهم إلا أن المسـلمين أوفى لهم وأعدل عليهم، فاغتبطوا وغبطوا . وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهم الفارس يوم القادسية .

ولما خلع أهل خراسان زمان عثمان أقبل يزدجرد حتى نزل بمرو، فلما اختلف هو ومن معه وأهل خراسان آوى إلى طاحونـة فأتوا عليه يأكل فقتلوه ثم رموا به في النهر.. وبلغ ذلك الأحنف فسار من فوره ذلك في الناس إلى بلخ يريد خاقان ويتبع حاشـية يزدجرد وأهله.. فلما سـمع بما لقي يزدجرد وبخروج المسلمين مع

الأحنف من مروالروذ نحوه ترك بلـخ وعبر النهر، وأقبل الأحنف حتى نزل بلـخ ونزل أهل الكوفـة في كورها الأربع، ثـم رجع إلى مرو الروذ فنزل بها وكتب بفتح خاقان ويزدجرد إلى عمر وبعث إليه بالأخماس.. ووفَّد إليه الوفود .

قـالوا: ولما عبر خاقان النهر وعبرت معه حاشـية آل كسـرى نحو بلـخ.. مع يزد جرد، لقوا رسول يزدجرد الـذي كان بعث إلى ملك الصـين وأهدى إليه معه، ومعه جواب كتابه من ملك الصين فسألوه عما وراءه، فقال:

لما قـدمت عليه بالكتاب والهـدايا كافأنا بما ترون، وأراهم هـديته، وأجاب يزدجرد فكتب بهذا الكتاب بعد ما كان قال لي: قد عرفت أن حقاً على الملوك إنجاد الملوك على من غلبهم، فصف لي صـفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم، فإني أراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف منكم، فيما أسمع من كثرتكم إلا بخبر عندهم وشر فيكم ! فقلت: سلني عما أحببت . فقال أيوفون بالعهـد؟ قلت: نعم . قال: وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم؟ قلت: يدعوننا إلى واحدة من ثلاث، إما دينهم فإن أجبناهم أجرونا مجراهم، أو الجزيـة والمنعـة، أو المنابـذة . قـال: فكيف طـاعتهم أمراءهم . قلت: أطوع قوم لمرشـدهم . قـال: فما يحلون وما يحرمون، فأخبرته، فقال: أيحرمون مـا حلل لهم أو يحلون ما حرم عليهم؟ قلت: لا . قال فإن هؤلاء القوم لا يهلكون أبـداً، حتى يحلوا حرامهم ويحرموا حلالهم . ثم قال: أخبرني عن لباسـهم فأخبرته، وعن مطاياهم فقلت: الخيل العراب ووصـفتها . فقال: نعمت الحصون هذه، ووصـفت له الإبل وبروكها وانبعاثها بحملها، فقال: هـذه صـفة دواب طوال الأعناق . وكتب إلى يزدجرد: أنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصـين الجهالة بما يحق علي، ولكن هؤلاء القوم الذين

وصف لي رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلى لهم سربهم أزالوني، ما داموا على ما وصف، فسالمهم وارض منهم بالمساكنة، ولا تهجهم ما لم يهيجوك ».

وكان قتل يزدجرد في خلافة عثمان سنة 31 للهجرة، بعد 12سنة من وقعة نهاوند ..

وفي تاريخ الطبري:3/348: «وبلغ قتل يزدجرد رجلاً من أهل الأهواز كان مطراناً على مرو يقال له ايلياء، فجمع من كان قبله من النصارى وقال لهم: إن ملك الفرس قد قتل وهو ابن شهريار بن كسرى، وإنما شهريار ولد شيرين المؤمنة التي قد عرفتم حقها وإحسانها إلى أهل ملتها من غير وجه، ولهذا الملك عنصر في النصرانية، مع ما نال النصارى في ملك جده كسرى من الشرف، وقبل ذلك في مملكة ملوك من أسلافه من الخير حتى بنى لهم بعض البيع وسدد لهم بعض ملتهم، فينبغي لنا أن نحزن لقتل هذا الملك من كرامته، بقدر إحسان أسلافه وجدته شيرين إلى النصارى. وقد رأيت أن أبني له ناووساً وأحمل جثته في كرامة حتى أواريها فيه . فقال النصارى: أمرنا لأمرك أيها المطران تبع، ونحن لك على رأيك هذا مواطئون . فأمر المطران فبنى في جوف بستان المطارنة بمرو ناووساً، ومضى بنفسه ومعه نصارى مرو، حتى استخرج جثة يزدجرد من النهر وكفنها وجعلها في تابوت، وحمله من كان معه من النصارى على عواتقهم حتى أتوا به الناووس الذي أمر ببنائه له، وواروه فيه وردموا بابه. فكان ملك يزدجرد عشرين سنة، منها أربع سنين في دعة وستة عشر سنة في تعب من محاربة العرب إياه وغلظتهم عليه،وكان آخر ملك من آل أردشير بن بابك . وصفا الملك بعده للعرب».وروى الطبري(3/343) أن أسقف مرو دفنه في ناووس في إصطخر .

أقول: سبب انهيار الأمبراطورية الفارسية إرادة الله تعالى، ودعوة النبي (صلى الله عليه و آله)، ففي السنة السادسة للهجرة بعث رسول الله (صلى الله عليه و آله) رسالة إلى كسرى، نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس: سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله . أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين . أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس » . (مكاتيب الرسول للأحمدي:2/316(.

«فلما وصل إليه الكتاب مزقه واستخف به وقال: من هذا الذي يدعوني إلى دينه ويبدأ باسمه قبل إسمي! وأرسل الى باذان عامله على اليمن أن يبعث له بصاحب الكتاب الذي يدعي النبوة، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى النبي (صلى الله عليه و آله) مع قهرمانه (رئيس خدمه) وبعث معه رجلاً آخر من الفرس، وكتب معهما إلى رسول الله يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى .

فلما قدما عليه المدينة قالا ـ له: شاهنشاه (ملك الملوك) كسرى بعث إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتي بك، وقد بعثنا إليك لتنطلق معنا، فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به ! وإن أبيت فهو من قد علمت، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك !

وكانا دخلا على رسول الله على زي الفرس وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما وقال: ويلكما من أمركما بهذا ؟ قالا: أمرنا ربنا يعنيان كسرى ! فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): لكن أمرني ربي بإعفاء لحيتي وقص شاربي، ثم قال لهما:

إرجعا حتى تأتياني غداً .وأتى رسول الله (صلى الله عليه و آله) الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه فقتله في شهر كذا وكذا، لكذا وكذا، في ليلة كذا، فلما أتاه الرسولان قال: إن ربي قد قتل ربكما ليلة كذا وكذا من شهر كذا وكذا بعد ما مضى من الليل سبع ساعات! سلط عليه شيرويه فقتله ! وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليالٍ مضين من جمادى الأولى سنة سبع. فخرج الرسولان وقدما على باذان وأخبراه الخبر فقال: والله ما هذا كلام ملك وإني لأراه نبياً، ولننظرن فإن كان ما قال حقاً فإنه لنبي مرسل، وإن لم يكن فنرى فيه رأينا، فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه يخبر بقتل كسرى: أما بعد فقد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضباً لفارس، فإنه قتل أشرافهم فتفرق الناس، فإذا جاءك كتابي فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب إليك فيه، فلا تزعجه حتى يأتيك أمري فيه! فلما أتاه كتاب شيرويه أسلم وأسلم معه أبناء فارس الذين كانوا باليمن، فبعث باذان بإسلامه وإسلامهم إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) .

ولما سمعت قريش بأمر كسرى واستخفافه بكتاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) وكتابه إلى باذان ليبعثه إلى كسرى أو يقتله، فرحوا واستبشروا وقالوا قد نصب له كسرى ملك الملوك، كفيتم الرجل .

ولكن لما سمعوا برجوع الرسولين وقتل كسرى، وإسلام باذان وأبناء فارس معه، صار رجاؤهم خيبة وقنوطاً » ! (مكاتيب الرسول للأحمدي:2/329).

وقال النبي (صلى الله عليه و آله) للمسلمين: مزق الله ملكه كما مزق كتابي، أما إنه ستمزقون ملكه ! وبعث إليَّ بتراب، أما إنكم ستملكون أرضه» (مناقب آل أبي طالب:1/70) .

وقوله (صلى الله عليه و آله): مزق الله ملكه، إخبار وليس إنشاءً ودعاءً، فقد دعا عليه، وأخبره الله باستجابة دعائه، وبما سيجري على كسرى ونظامه، فأخبر به المسلمين .

ودعاؤه (صلى الله عليه و آله) على كسرى ونظامه يدل على أنه لا يريد الدعاء على شعبه، بل ورد أن الله تعالى أراد إدخال الفرس في الإسلام، فروى البخاري وأحمد وأبو داود أن الفرس سيدخلون في الإسلام كرهاً، ثم يحسن إسلامهم، فهم كمن يقادون الى الجنة بالسلاسل ! (كشف الخفاء:2/55). وفي مسند الشاميين:1/421 : «قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) إني لأرى أمماً تقاد بالسلاسل من النار إلى الجنة». وروينا بمعناه .

فالغضب الإلهي على كسرى ونظامه كان لمصلحة الفرس والمسلمين معاً، والإرادة الإلهية والدعوة النبوية وراء كل ما حدث لكسرى ونظامه في سنين قليلة، حيث سقط من أوج عظمته وانتصاراته على الروم، الى حضيض لا يحسد أحد عليه، وكان آخره حفيده المشرد يزدجرد، ونهايته البائسة !

صورة كلية لفتح فلسطين وبلاد الشام

اشارة

1. كان أول جيش أرسله أبو بكر لفتح الشام جيش خالد بن سعيد بن العاص من ستة آلاف أو نحوها، وفي نصف الطريق عزله أبو بكر وعيَّن مكانه يزيد بن أبي سفيان . فرجع خالد الى المدينة، ثم خرج مع جيش شرحبيل بن حسنة، وكان عدد جيشه بضعة آلاف أيضاً .

ثم أرسل أبو بكر عمرو العاص بثلاثة آلاف الى وادي العربة بفلسطين . ثم أمر خالد بن الوليد فذهب من العراق الى الشام بجيش صغير يبلغ بضع مئات .

قال البلاذري في الفتوح:1/128: «لما فرغ أبو بكر من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش إلى الشام، فكتب إلى أهل مكة والطائف واليمن، وجميع العرب بنجد والحجاز، يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفى غنائم الروم، فسارع الناس إليه من بين محتسب وطامع، وأتوا المدينة من كل أوب .

فعقد ثلاثة ألوية لثلاثة رجال: خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، وشرحبيل بن حسنة حليف بنى جمح.. وعمرو بن العاص بن وائل السهمي .

وكان عقد هذه الألوية يوم الخميس لمستهل صفر سنة ثلاث عشرة، وذلك بعد مقام الجيوش معسكرين بالجرف المحرم كله، وأبو عبيدة بن الجراح يصلي بهم، وكان أبو بكر أراد أبا عبيدة أن يعقد له فاستعفاه من ذلك. وقد روى قوم أنه عقد له وليس ذلك بثبت، ولكن عمر ولاه الشام كله حين استخلف .

ص: 335

وذكر أبو مخنف أن أبا بكر قال للأمراء: إن اجتمعتم على قتال فأميركم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري، وإلا فيزيد بن أبي سفيان .

وذكر أن عمرو بن العاص إنما كان مدداً للمسلمين وأميراً على من ضم إليه. قال:ولما عقد أبو بكر لخالد بن سعيد كره عمر ذلك فكلم أبا بكر في عزله وقال إنه رجل فخور يحمل أمره على المغالبة والتعصب... فدفعه أبو بكر إلى يزيد بن أبي سفيان... وسار خالد بن سعيد محتسباً في جيش شرحبيل .

وأمر أبو بكر عمرو بن العاص أن يسلك طريق أيلة عامداً لفلسطين، وأمر يزيد أن يسلك طريق تبوك، وكتب إلى شرحبيل أن يسلك أيضاً طريق تبوك . وكان العقد لكل أمير في بدء الأمر على ثلاثة آلاف رجل، فلم يزل أبو بكر يتبعهم الأمداد حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمس مئة، ثم تتام جمعهم بعد ذلك أربعة وعشرين ألفاً » .

كانت أول معارك المسلمين في غزة

2. كانت أول معركة للمسلمين مع الروم في غزة قادها أبو أمامة الباهلي (رحمة الله) قال البلاذري:1/130 : «فأول وقعة كانت بين المسلمين وعدوهم بقرية من قرى غزة يقال لها دائن، كانت بينهم وبين بطريق غزة، فاقتتلوا فيها قتالاً شديداً، ثم إن الله تعالى أظهر أولياءه وهزم أعداءه وفض جمعهم، وذلك قبل قدوم خالد بن الوليد الشام . وتوجه يزيد بن أبي سفيان في طلب ذلك البطريق فبلغه أن بالعربة من أرض فلسطين جمعاً للروم، فوجه إليهم أبا أمامة الصديّ بن عجلان الباهلي، فأوقع بهم وقتل عظيمهم، ثم انصرف .

ص: 336

روى أبو مخنف في يوم العربـة أن سـتة قواد من قواد الروم نزلوا العربة، في ثلاثة آلاف، فسار إليهم أبو أمامة في كثف من المسـلمين فهزمهم وقتل أحد القواد، ثم اتبعهم فصاروا إلى الدبية وهي الدابية، فهزمهم وغنم المسلمون غنماً حسناً..

كانت أول وقائع المسـلمين وقعة العربة ولم يقاتلوا قبل ذلك مذ فصـلوا من الحجاز . ولـم يمروا بشـئ من الأرض فيما بين الحجاز وموضـع هذه الوقعة إلا غلبوا عليه بغير حرب، وصار في أيديهم ».

وفي تاريخ الطبري:2/601: «واجتمع الروم جمعاً بالعَرْبَّة من أرض فلسـطين فوجه إليهم يزيـد بن أبي سـفيان أبا أمامة الباهلي ففض ذلك الجمع . قالوا: فأول حرب كانت بالشام بعد سرية أسامة (يقصد جيش أسامة) بالعربة، ثم أتوا الداثنة ويقال الداثن فهزمهم أبو أمامة الباهلي، وقتل بطريقاً منهم».

وفي تاريخ دمشق:2/82: «أن أبا بكر كان جهز بعد النبي (صلى الله عليه و آله) جيوشاً على بعضها شرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص..وساروا معهم النساء والذريـة بالخيل والسـلاح ليس معهم حمار ولا شاة، فأخـذوا على طريق فلسـطين حتى نزلوا بقرية يقال لها ثادن من قرى غزة، مما يلي الحجاز فلقيهم بها بطريق من بطارقة الروم، فأرسل إليهم أن يخرجوا إليه أحد القواد ليكلمه .

قال: فتواكلوا ذلك وقالوا لعمرو بن العاص أنت لـذلك فخرج إليه عمرو فرحب به البطريق ومتَّ إليه بقرابة العيص بن إسـحاق بن إبراهيم من إسماعيل بن إبراهيم، وقال: ما الذي جاء بكم، فقد كانت الآباء اقتسمت الأرض فصار

لكم ما يليكم وصار لنا ما يلينا، وقد عرفنا أنكم إنما أخرجكم من بلادكم الجهد وسنأمر لكم بمعروف وتنصرفون .

فقال عمرو: أما القرابة فهي على ما ذكرت . وأما القسمة فإنها كانت قسمة شططاً علينا، فنحن نريد أن نترادَّ، فتكون قسمة معتدلة لنأخذ نصف ما في أيديكم من الأنهار والعمارة ونعطيكم نصف ما في أيدينا من الشوك والحجارة.

وأما ما ذكرت من الجهد الذي أخرجنا فإنا قدمنا فوجدنا في هذه البلاد شجرة يقال لها الحنطة، فذقنا منها طعاماً لا نفارقكم حتى نصيركم عبيداً أو تقتلونا تحت أصول هذه الشجرة . قال فالتفت إلى أصحابه فقال صدقوا، وافترقا .

فاقتتلوا فكانت بينهم معركة انصرف القوم على حامية ومضى المسلمون في آثارهم حتى طووهم عن فلسطين والأردن، إلا ما كان من إيليا وقيسارية تحصن فيها أناس فتركوهم ومضوا إلى ناحية البثنية ودمشق ».

وإن صحت هذه الرواية فإن منطق عمرو العاص ليس فيه ذكر للدافع الإسلامي في الغزو، بل الدافع الذي ذكره الطمع المادي لاغير !

3. طمسوا دور أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وهو من قادة الفتح الأبطال، وهو صحابي جليل وثقه عند الجميع، وكان قائداً في فتح الشام، وفي العراق، ففي تاريخ دمشق:21/463، قال عن القائد سلمان بن ربيعة الباهلي: «غزا الشام مع أبي أمامة الصدي بن عجلان الباهلي، فشهد مشاهد المسلمين هناك، ثم خرج إلى العراق فيمن خرج من المدد إلى القادسية متعجلاً فشهد الوقعة».

فهذا يدل على أن سلمان بن ربيعة تربى على يد أبي أمامة، وأنه رجع مع هاشم المرقال بعد اليرموك مسرعاً ليدرك القادسية، وقد يكون أبو أمامة رجع معهم لكن الظاهر أنه لم يشارك في فتوح العراق وإيران، بل في فتوح الشام ومصر.

قال ابن عبد البر في الإستيعاب:4/1602: « إسمه صُدَيُّ بنُ عجلان.. سكن أبو أمامة الباهلي مصر، ثم انتقل منها إلى حمص فسكنها ومات بها، وكان من المكثرين في الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه و آله)، وأكثر حديثه عند الشاميين. توفى سنة إحدى وثمانين، وقيل سنة ست وثمانين، وهو آخر من مات بالشام من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) في قول بعضهم ».

وفي تاريخ دمشق:24/56:«توفي النبي (صلى الله عليه و آله) وهو(أبو أمامة) ابن ثلاثين سنة». وفي(24/74) مات سنة إحدى وثمانين. فينبغي أن يكون عمره أكثر من مئة سنة .

وفي فتوح ابن الأعثم:2/351، أنه شارك في فتح قبرص، فكان عبادة بن الصامت أمين الغنائم: «وأعانه عليها أبو الدرداء وأبو أمامة الباهلي، وغيرهم ».

وفي فتوح الواقدي:2/235:«عن أبي أمامة وكان من أصحاب الرايات قال: فبينما نحن كذلك إذ بأعلام المشركين قد انتشرت، وراياتهم قد ظهرت، وزينتهم وصلبانهم قد ارتفعت، ولغتهم بالكفر قد طمطمت، وأفيالهم قد أقبلت، ورجالهم للقتال قد تبادرت، فلما رأى المسلمون ذلك أخلصوا نياتهم ولم يَهُلْهُم ما رأوا من عدوهم، وتضرعوا بالدعاء لخالقهم، وقد استغاثوا بمالكهم، وأكثروا من الصلاة على نبيهم، ولم يزالوا سائرين حتى قربوا من القوم ورأوهم رأي العين، فعند ذلك أمسك المشركون أعنة خيولهم وسلاسل أفيالهم وألقى

الله الرعب في قلوبهم، ثم خرج منهم بطريق من عظماء بطارقتهم كأنه برج مشيد من ذهب وهو لا يبين منه غير حماليق الحدق وتدوير المآق وبين يديه فارس من متنصرة العرب وهو يصيح بملء فيه: يا معاشر العرب أرسلوا إلى الملك أحداً يكلمه، فأعلم المسلمون عمراً وخالد بن الوليد بذلك، فأراد خالد أن يخرج اليه فمنعه الأمراء من ذلك، فعندها وثب المقداد بن الأسود وحلف لا يخرج اليه إلا هو بنفسه..قال الواقدي: فعندها ركب المقداد جواده، وسار حتى وقف بين يدي البطريق وكان ذلك بولص صاحب الكفور الطاغي اللعين بطريق البطليوس، وقد أتى بإذن الملك والبطارقة، فلما رآه كلمه بلسان عربي مبين ثم قال:يا بدوي أأنت أمير قومك؟ قال: لا، قال: فاني لا أريد إلا الأمير حتى أسأله عما بدا لي لعل أن تكون فيه مصلحة بينكم وبيننا . فقال المقداد: سل عما بدا لك وما تريد، فإنا قوم إذا فعل أحدنا أمراً وفيه نصح للدين ومصلحة للمسلمين، لا ينكر عليه ذلك ويجيز له الأمير ما فعل، فأخبرني عن أمرك وشأنك..».

وقال ابن قتيبة في المعارف/309: «أبو أمامة الباهلي هو: صُدَيٌّ بن عجلان . وكان ممن شهد مع علي صفين، ونزل بالشام، وهو ممن يعد فيمن تأخر موته من الصحابة، وتوفى سنة ست وثمانين، وهو ابن إحدى وتسعين سنة ».

4. وسبب إهمالهم له ولكثير من أحاديثه أنها صريحة في التشيع لأهل البيت (عليهم السلام) كالذي رواه عنه محمد بن سليمان في مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام):1/545، بسنده أنه: «دخل على معاوية بن أبي سفيان فألطفه وأدناه، ثم دعا بغداء فجعل يطعم

أبا أمامـة بيده، ثـم أوسع رأسه ولحيته طيباً بيده، ثم أمر له ببدرة دنانير فأتي بها فدفعها إليه، ثـم قال: يا أبا أمامة سألتك بالله، أنا خير أم علي بن أبي طالب؟! فقال أبو أمامـة: والله لا كـذبت، ولو بغير الله سألتني لصـدقت، فكيف وسألتني بالله ! عليٌّ والله خير منك وأكرم وأقـدم هجرة، وأقرب من رسول الله (صـلى الله عليه و آله) قرابـة وأشـد في المشـركين نكايـة، وأعظم على المسـلمين منة، وأعظم غَنَاءً عن الأمة منك ! يا معاوية أتدري ويلك مَن علي ابن عم رسول الله (صـلى الله عليه و آله) وزوج ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين، وأبو الحسن والحسين سيدي شبـاب أهـل الجنـة، وابن أخي حمزة سـيد الشـهداء، وأخو جعفر ذي الجناحين الطيار مع الملائكـة في الجنـة، فأين تقع أنت من هـذا ! يا معاوية، أوَظننت أني سأخيِّرُك على علي بن أبي طالب بإلطافك وإطعامك ومالك، فأدخل إليك مؤمناً وأخرج عنك كافراً !؟

بئس ماسوَّلت لك نفسك يا معاوية ! ثم نفض ثوبه وخرج من عنده . قال: فأتبعه معاوية بالمال فقال: والله لا أرزأ منه ديناراً أبداً ».

وما رواه المفيـد في أماليه/90: «عن شـهر بن حوشب قال: سـمعت أبا أمامـة الباهلي يقول: والله لايمنعني مكان معاويـة أن أقول الحق في علي:سـمعت رسول الله (صـلى الله عليه و آله) يقول: عليٌّ أفضلكم، وفي الدين أفقهكم، وبسنتي أبصركم، ولكتاب الله أقرؤكم. اللهم إني أحب علياً فأحبَّه، اللهم إني أحب علياً فأحبه».

ويشهد له رواية الفردوس:1/370 491:«أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب».

وما رواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل:2/203: «عن فضال بن جبير: عن أبي أمامـة الباهلي قال: قال رسول الله (صـلى الله عليه و آله): إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى

وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة، فأنا أصلها وعلي فرعها، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ هوى ولو أن عبدا عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام حتى يصير كالشن البالي ثم لم يدرك محبتنا أكبه الله على منخريه في النار ».

ورواه في تاريخ دمشق:41/335، ولم يعلق عليه، ورواه في:42/66، وقال: «هذا حديث منكروقد وقع إلينا جزء طالوت بن عباد وبعلو وليس هذا الحديث فيه».

ومعنى المنكر عندهم ما يلزمهم باتباع أهل البيت (عليهم السلام)، لأنهم يريدون اتباع غيرهم !

وأحاديث أبي أمامة في فضائل أهل بيت النبي (صلى الله عليه و آله) ووجوب اتباعهم وطاعتهم كثيرة، أهملها رواة السلطة كما أهملوا جهاده في فتوح بلاد الشام وفلسطين ومصر. وقد أفلت بعضها لأنه عميق لم يفهمه الرواة والحمد لله، كحديث لعن النبي (صلى الله عليه و آله) من استبدل بأهل بيته غيرهم وتولى غير مواليه ! وهذه اللعنة عقوبة تتناسب مع مسؤولية النبي (صلى الله عليه و آله) في التبليغ، وشهادته على الأمة، وقد جاءت بصيغة قرار من الله تعالى بلعن أولئك وطردهم من الرحمة الإلهية .

ففي سنن الترمذي:3 /293:«عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول في خطبته عام حجة الوداع...ومن ادعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله التابعة إلى يوم القيامة » .

وفي سيرة ابن هشام: 4/1024: «ومن ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً». والبخاري في صحيحه: 2 /221، و 4 /67و أحمد:4 /187و 239، والدارمي: 2 /244 و344 .

ومقصوده (صلى الله عليه و آله): أبوته المعنوية للأمة، وولايته وأهل بيته (عليهم السلام) . وقد فسرته بذلك أحاديث. (بحار الأنوار: 37 /123، وبشارة الإسلام، والعمدة /344).

وليس مقصوده (صلى الله عليه و آله) أُبوَّة النسب ولا ولاء المالك لعبده، لأن من ادعى أنه ابنٌ لرجل غير أبيه أو عبدٌ لمالك غير سيده، لا يكفر، بل هو عاص وتقبل توبته، بينما هذا كافرٌ لاتقبل توبته بحال!

5. أول ما فتح المسلمون في سوريا بصرى الشام، وفيها دير الراهب بَحِيرا، ففي تاريخ دمشق:2/105: «فنهضوا بأهل بصرى، فما أمسوا ذلك اليوم حتى دعوا إلى الصلح فصالحوهم، وكتبوا بينهم كتاباً فكانت أول مدينة فتحت من الشام صلحاً.. افتتحت لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ».

وفي فتوح البلاذري:1/134: «قالوا: لما قدم خالد بن الوليد على المسلمين بصرى اجتمعوا عليهاوأمروا خالداً في حربها، ثم ألصقوا بها وحاربوا بطريقها حتى ألجأوه وكماة أصحابه إليها . ويقال بل كان يزيد بن أبي سفيان المتقلد لأمر الحرب لأن ولايتها وإمرتها كانت إليه لأنها من دمشق.. ذكر بعض الرواة أن أهل بصرى صالحوا على أن يؤدواعن كل حالم ديناراً وجريب حنطة . وافتتح المسلمون جميع أرض كورة حوران وغلبوا عليها ».

أقول: بصرى إسكي الشام مدينة صغيرة، بل بلدة . وقيل اجتمعت عليها جيوش الفاتحين كلها، ثم انضم اليهم خالد ببضع مئة مقاتل جاؤوا من العراق فأي حاجة الى هذه القوات في بلدة ليس فيها أي قوة من رومية، ولا يريد أهلها القتال ! لذلك: «فما أمسوا ذلك اليوم حتى دعوا إلى الصلح فصالحوهم».

وننبه هنا: الى أن عامة المعارك المزعومة في الفتوحات، في الشام وفلسطين ومصر والعراق، وفي مناطق عديدة من فارس، إذا لم يكن مقابل المسلمين قوات رومية أو فارسية، فهي معارك مكذوبة أو مضخمة، وقد اخترعها رواة السلطة ليثبوا بطولات لمن يحبونهم !

6. عنـدما توجهت جيوش الفتـح الى الشام، هرب هرقل من دمشق الى حمص، قال ابن العديم في تاريخ حلب:1/581: «وقد ذكر سعيد بن البطريق النصـراني في تاريخه.. وكان هرقل قد تنحى من دمشق إلى حمص، فلما سـمع هرقل أن المسـلمين قد أخذوا فلسطين والأردن وصاروا إلى البثنيـة، خرج من حمص إلى مدينة أنطاكية، ففرض الفروض واسـتنفر المسـتعربة من غسان وجذام ولخم وكل من قدر عليه من الأـرمن، وأقـام عليهم قائـداً من قواده يقـال له ماهـان، ووجه بهم إلى دمشق، وذكر أمر دمشق وفتحهـا، وقـال: وكل من أفلت من الروم من المقاتلة لحق بهرقل بأنطاكية، فلما سمع هرقل أن دمشق قد فتحت قال: عليك السلام يا سورية، ثم سار حتى دخل قسطنطينية».

أقول: الصحيح أن وداع هرقل لسوريا وهربه الى القسطنطينية، كان بعد انتصار المسلمين على جيشه في اليرموك .

7. حاصـر المسـلمون دمشق وبعض المدن والقصبات، فقبلت بالصلح والجزية ولم يكن فيها قتال يذكر، وتأخرت دمشق في قبول الصلح، على أمل أن يرسل

ص: 344

لها هرقل جيشاً . وترك المسلمون حصارها وذهبوا الى معركة أجنادين في فلسطين قرب مدينة الخليل، وقيل هي طولكرم، وانتصروا فيها .

ثم عادوا الى معركة مرج الصفر بين دمشق والجولان، ثم رجعوا الى محاصرة دمشق . ثم توجهوا من حصار دمشق الى معركة فِحْل حيث تجمعت قوات الروم، وانتصروا عليهم .

ثم عادوا وفتحوا دمشق صلحاً، ثم فتحوا حمص، وبعض المدن والقصبات، وأخذ الطرفان يستعدان لمعركة اليرموك النهائية .

معركة أجنادين ثأرت لجعفر وحررت فلسطين

8. كانت معركة تبوك، وجيش أسامة، وأجنادين، ثأراً لجعفر بن أبي طالب ! قال اليعقوبي في تاريخه:2 /67: «سار رسول الله (صلى الله عليه و آله) في جمع كثير إلى تبوك من أرض الشأم يطلب بدم جعفر بن أبي طالب (رحمة الله)، ووجه إلى رؤساء القبائل والعشائر يستنفرهم ويرغبهم في الجهاد، وحض رسول الله (صلى الله عليه و آله) أهل الغنى على النفقة، فأنفقوا نفقات كثيرة، وقووا الضعفاء » .

وقال ابن خلدون: 2ق1/224 : «وَجَدَ النبي (حَزِنَ) على من قتل من المسلمين، ولا كوجده على جعفر بن أبي طالب، لأنه كان تلاده، ثم أمر بالناس في السنة التاسعة بعد الفتح وحنين والطائف أن يتهيؤا لغزو الروم، فكانت غزوة تبوك».

والمعنى أن حزنه (صلى الله عليه و آله) على جعفر كان عميقاً، لأنه من ذخائره العزيزة .

وكان شرحبيل بن حسنة وخالد بن سعيد رضي الله عنهما، يعيشان هذا الهدف لأنهما كانا مهاجرين مع جعفر في الحبشة، ورأيا مكانته عند النبي (صلى الله عليه و آله) وشاركا في جيش تبوك . وعندما سمعا بتجميع هرقل لقواته في أجنادين وهي قرب مؤتة، استبشرا، وأرسلا الى أبي عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو العاص، وخالد الذي كان وصل بست مئة من العراق، وأخبروهم بجمع الروم، فتوجه الجميع الى أجنادين .

قال خليفة في تاريخه/79: «قال ابن إسحاق: ثم ساروا جميعاً قِبَل فلسطين، فالتقوا بأجنادين بين الرملة وبين بيت جبريل، والأمراء كلٌّ على جنده . ويزعم بعض الناس أن عمرو بن العاص كان عليهم جميعاً . وعلى الروم القنقلار، فقتل القنقلار . وهزم الله المشركين ».

وقال الواقدي:1/48: «ورد علينا عباد بن سعد الحضرمي، وكان قد بعثه شرحبيل بن حسنة... من بصرى يُعلم خالداً بمسير الروم اليه من أجنادين في تسعين ألف فارس.. وكان القادة أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) متفرقين في سوريا والأردن وفلسطين، فكتب لهم أبو عبيدة أن يسيروا بقواتهم الى أجنادين، وأمر الناس بالرحيل فرفعت القباب والهوادج على ظهور الجمال وساقوا الغنائم والأموال».

وتقع أجنادين قرب مدينة الخليل، وقيل في وادي عَجُّور على بُعد 37 كيلو متراً عن الخليل، وثلاثين كيلو متراً عن الرملة. فهذه المنطقة بما فيها مؤتة، كانت مركز قوات الروم المدافعة عن القدس .

ص: 346

وقـد ذكرنا في السـيرة النبويـة عند أهل البيت (عليهم السـلام)، أن هرقل بعد انتصاره على كسـرى حج ماشـياً الى القدس، وكان ينوي غزو المدينـة المنورة ويجمع قوات العرب في الشام ودومـة الجندل مقدمةً لقوات الروم، فأراد النبي (صـلى الله عليه و آله) أن ينقل المعركة الى بلاد الشام، فأرسل جعفر بن أبي طالب رضـي الله عنه في السـنة الثامنـة للهجرة بجيش من ثلاثة آلاف مقاتل، فاشـتبك مع قوات هرقل في مؤتة .

وكانت معركة مؤتة غير متكافئة، وقد اسـتبسل جعفر بن أبي طالب ورفاقه قادة الجيش حتى استشـهدوا وانسـحب المسلمون، لكنهم أوصلوا رسالـة بليغة الى هرقل، وتبعتها في السـنة التالية غزوة تبوك بقيادة النبي نفسه (صـلى الله عليه و آله) فكانت رسالة أبلغ، فانسـحب هرقل من تبوك الى حمص، وراسله النبي (صلى الله عليه و آله) فأجابه هرقل بجواب ليِّن، ليتفادى المواجهة في تلك المرحلة .

ولم تقع مواجهة بين المسلمين والروم بعد تبوك إلا في أجنادين، وقد انتصر فيها المسلمون وانهزم الروم، وترتب عليها تحرير فلسطين .

وكان بطل أجنادين خالد بن سـعيد، فقد ثأر فيها لصديقه الحميم جعفر بن أبي طالب شهيد مؤتة، فقد عاش معه في الحبشة، وعمل معه في دعوة الروم الى الإسلام، وحمل رسالة النبي (صلى الله عليه و آله) الى هرقل .

وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق:16/66: «عن سـهل بن سـعد الأنصاري قال: كانت وقعة أجنادين وقعة عظيمة . كانت بالشام وكانت في سنـة ثلاـث عشـرة في جمادى الأولى، فـذكر بعض أمرها، ثم ذكر إغاثـة الروم لأهل دمشق حين حصارها، قال: فتركوا مرج الصُّفَّر فصـمد المسلمون صَمْدهم...فلما نظر إليهم

ص: 347

خالـد عبأ لهم كتعبئـة يوم أجنادين، فجعل على ميمنته معاذ بن جبل، وعلى ميسـرته هاشم بن عتبـة، وعلى الخيل سـعيد بن زيد بن نفيل، وترك أبا عبيدة في الرجال ». وقد صحح ابن عساكر سعيد بن زيد بخالد بن سعيد .

وقال البلاذري:1/135:«ثم كانت وقعة أجنادين وشـهدها من الروم زهاء مئة ألف سرَّب هرقل أكثرهم وتجمع باقوهم من النواحي.وهرقل يومئذ مقيم بحمص».

«واجتمعت الروم بأجنادين، وعليهم تذارق أخو هرقل لأبويه، وقيل كان على الروم القبقلار » . (الكامل:2/417) .

9.ادعى رواة السـلطة أن خالـد بن الوليد قاد المعركة، ثم ادعوها لعمرو العاص والصـحيح أن كل واحد من القادة الأربعة كان قائداً لجيشه، والجيش الـذي اشـتبك هو جيش شـرحبيل، وكان القائـد الميداني للمعركة خالد بن سـعيد وهاشم المرقال، ولذلك أعطى القادة بالإجماع قيادة المعركة التالية لخالد بن سعيد . وقد أثبنا ذلك في ترجمته رضي الله عنه .

وفي تاريخ دمشق:16/84: «وعبأ خالـد الناس فسـيروا الأثقال والنساء ثم جعل يزيد بن أبي سـفيان أمامهم بينهم وبين العدو، وصار خالد وأبو عبيدة من وراء الناس، ثم رجعوا نحو الجيش وذلك الجيش خمسون ألفاً .

فلما نظر إليهم خالـد بن الوليـد نزل فعبأ أصـحابه تعبئة القتال على تعبئة أجنادين . ثم زحف إليهم فوقف خالد بن سـعيد في مقدمة الناس، يحرض الناس على القتال، ويرغبهم في الشهادة ».

ص: 348

فقد تبين أهل الخط الأمامي الذين حققوا النصر، وأهل الخط الخلفي الذين يقفون وراء الناس ! وقد قال اليعقوبي:2/134: «وكانت بينهم وبين الروم وقعات بأجنادين صعبة، في كل ذلك يهزم الله الروم، وتكون العاقبة للمسلمين ».

10. كان جيش الروم في أجنادين نحو سبعين ألفاً، والمسلمين نحو ثلاثين ألفاً، قال الطبري:2/600: « ونزلت الروم بثَنِيَّة جُلَّق بأعلى فلسطين، في سبعين ألفاً، عليهم تذارق أخو هرقل لأبيه وأمه » .

وفي تاريخ دمشق:16/84: «وعبأ خالد الناس فسيَّروا الأثقال والنساء، ثم جعل يزيد بن أبي سفيان أمامهم بينهم وبين العدو، وصار خالد وأبو عبيدة من وراء الناس ثم رجعوا نحو الجيش، وذلك الجيش خمسون ألفاً » .

وفي معجم البلدان:1/103: «وقالت العلماء بأخبار الفتوح: شهد يوم أجنادين مائة ألف من الروم ».

وتبالغ كتب المغازي والفتوحات في أعداد المقاتلين والقتلى والأسرى من العدو وتقلله من المسلمين، فيحتاج الباحث الى تخمين ذلك من مجموع الروايات .

وكان قادة فتح الشام أربعة: شرحبيل بن حسنة، وأبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، ومع كل واحد منهم نحو سبعة آلاف، ومع عمرو العاص ثلاثة آلاف. أما خالد بن الوليد فجاء من العراق ببضع مئات .

ولو فرضنا التحاق عدة ألوف بهم، لكان المجموع نحو ثلاثين ألفاً .

أما جيش الروم، فقد يكون خمسين أو سبعين ألفاً، وقد استعمل هرقل نحو هذا العدد في معاركه مع الفرس والمسلمين .

ص: 349

وأما خسائر المسلمين ففي الإستيعاب:3/1083:«استشـهد من المسلمين بأجنادين ثلاثة عشر رجلاً، منهم عكرمة بن أبي جهل، وهو ابن اثنتين وستين سنة ».

لكن الـذين ذكروا في ترجمتهم أنهم قتلوا في أجنادين أكثر من هذا العدد . ويمكن معرفة عدد الجرحى في أجنادين من معركة مرج الصُّفَّر الشبيهة بها، حيث قال البلاذري(1/141): «وجرح من المسلمين زهاء أربعة آلاف» .

فينبغي أن لايقل عدد الشهداء عن مئة ليتناسب مع الأربعة آلاف جريح .

على أن الذي قلل عدد القتلى هو سـرعة هزيمة الروم في أجنادين بسبب قتل القائد الملكي وبقية القادة . لذلك لم يقبل الروم بهذه الهزيمة المفاجئة وأعادوا تنظيم قواتهم بسرعة، وفتحوا معركة مرج الصُّفَّر بين دمشق والجولان، فكانت بعد أجنادين بعشرين يوماً .

11. افتتـح معركة أجنادين حفيدان لعبد المطلب، ثأراً لجعفر بن أبي طالب، فقد كان الزبير أكبر أبناء عبد المطلب، وكان وصـي أبيه رضـي الله عنهما، وهو صاحب حلف الفضول لنصـرة المظلوم وحفظ حرمـة الكعبة، وقد حضـره النبي (صـلى الله عليه و آله) قبل بعثته، ومدحه وأقره بعد بعثته، وتوفي الزبير قبل بعثة النبي (صلى الله عليه و آله) .

وكان ابنه عبدالله مسلماً، وكان من الذين ثبتوا مع النبي (صلى الله عليه و آله) في حنين .

وذكرت مصادر المغازي أن عبد الله كان أول من برز يوم أجنادين عندما برز بطريق مُعَلَّم ودعا إلى المبارزة، وكانوا يعطون للفارس الشـجاع درجـة بطريق، والمُعَلَّم: الـذي عنده درجة في الفروسـية، فبرز إليه عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، فاختلفا ضـربات ثم قتله عبد الله بن الزبير، ولم يتعرّض لسلبه مع أنهم

كـانوا يحرصون على سـلب هـذا النوع من الفرسان، وقـد يختلفون على سـلبه إذا اشترك في قتله أكثر من فارس، لأنه يلبس قلنسوة مُذَهَّـبة، وحزاماً عريضاً مُذهباً، يسـمى مَنطقة . لكن حفيد عبد المطلب رضي الله عنه أعرض عنه، لأنه رأى بطلاً رومياً آخر جاء يطلب المبارزة فبرز إليه، فتشاولا بالرمحين، ثم صارا إلى السـيفين، وكان الرومي مُـدَرَّعاً، فحمل عليه عبد الله فضـربه على عاتقه، وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب ! فشـقت ضـربته الدرع، وأسـرع السـيف في منكب الرومي، فولى منهزماً، ثم سـقط. وقيل لعبد الله كفاك هذا فلا تقاتل! فقال: لا أجدني أصبر، وحمل على الروم وقتل عدداً من فرسانهم .

وبحث عنه المسـلمون بعد المعركة فوجدوه مثخناً بالجراح، في وجهه ثلاثون ضـربة سيف، وحوله عشرة من الروم مجندلين، ووجدوا سيفه بيده لاصقاً، فعالجوه حتى نزعوه بعد عناء .

وذكروا أن أمـه مخزوميــة، ولـه عــدة أخـوات ولاـعقب لـه رضـــي اللـه عنـه وأرضـاه . (الإستيعـاب:3/904، والإصابـة:4/78، وتـاريخ دمشق:8/138).

أما الحفيـد الثاني لعبـد المطلب، الذي برز في أجنادين فهو: طُلَيب بن عمير بن وهب من بنى عبد بن قصـي: «أمّه أروى بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . يكنى أبا عديّ . وعبد بن قصيّ هو أخو عبد الدار بن قصيّ، وعبد مناف بن قصيّ، وعبد العزى بن قصيّ بن كلاب . هاجر طُليب بن عمير إلى أرض الحبشة ثم شهد بدراً.. وكان من خيار الصحابة. قال الزبير بن بكار: كان طليب

بـن عمير بـن وهب من المهـاجرين الأولين، وشـهد بـدراً، قتـل بأجنـادين شـهيداً، ليس له عقب . وقـال مصـعب: قتـل يـوم اليرمـوك ». (الإستيعاب:2/772).

وقال البلاذري (1/135): «واستشـهد يومئذ عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم، وعمرو بن سـعيد بن العاص بن أمية، وأخوه أبان بن سـعيد، وذلك الثبت، ويقال بل توفي أبان في سـنة تسع وعشـرين . وطُليب بن عمير بن وهب بن عبد بن قصـي، بارزه علج فضـربه ضربة أبانت يده اليمنى، فسقط سيفه مع كفه، ثم غشيه الروم فقتلوه ». وذكروا أن عمره كان خمساً وثلاثين، ولم يعقب .

أقول: قلنا إن هـذين الصـحابيين كانا يطلبان بـدم جعفر بن أبي طالب رضـي الله عنه، لأن النبي (صـلى الله عليه و آله) جعل الثأر له هدف غزوة تبوك !

12. يحتمل أن يكون حفيد ثالث لعبد المطلب في أجنادين هو عبدالله بن جعفر وكان عمره في معركة أجنادين نحو عشـرين سـنة أو أكثر، فقد رووا أنه توفي سنة ثمانين وكان عمره تسعين سنة . (تاريخ دمشق:27/295).

وروى الواقـدي في فتوحه:1/98، أن عبـد الله بن جعفر الطيار خرج من المدينـة للجهاد في خلافـة عمر، وقد نبت شـعر عارضـيه واخضـر شاربه، وأنه زار قبر والده جعفر الطيار في مؤتة، ثم التحق بجيش أبي عبيدة، وكان يتحدث عن الثأر لوالده من الروم . ومعناه أنه شارك في فتح الشام بعد معركة أجنادين .

وقـد أطال الواقـدي في وصف سـرية قادها عبـد الله من خمس مئـة مقاتل، قصـدوا دير القـدس من جهة طرابلس الشام، وقاتلوا الروم عنده وانتصروا . ولم أجد ذكراً لدير بهذا الإسم إلا دير قدس في طريق الحجاز من الشام .

وقال الواقدي إن أبا عبيدة كان في المدينة فدعا الناس الى الشام للجهاد، فتقدم عبد الله بن جعفر الطيار:«ففرح أبو عبيدة وجعل يندب له رجالاً من المسلمين وفرسان الموحدين وقال له: أنت الأمير يا ابن عم رسول الله (صلى الله عليه و آله) وعقد له راية سوداء وسلمها إليه، وكان على الخيل خمس مائة فارس، منهم رجال من أهل بدر، وكان من جملة من سيره مع عبد الله أبو ذر الغفاري، وعبد الله بن أبي أوفى وعامر بن ربيعة، وعبد الله بن أنيس، وعبد الله بن ثعلبة، وعقبة بن عبد الله السلمي، وواثلة بن الأسقع، وسهل بن سعد، وعبد الله بن بشر، والسائب بن يزيد، ومثل هؤلاء السادات » .

ثم وصف الواقدي سرية عبد الله بأسلوب مطول يصف كرامات عبدالله وشجاعته، جاء فيه عن راهب: «فجعل يتأملنا وينظر في وجوهنا فتفقدنا واحداً بعد واحد، ثم جعل يطيل النظر في وجه عبدالله ثم قال: أهذا الفتى ابن نبيكم؟ فقلنا:لا. قال: إن نور النبوة يلوح بين عينيه، فهل يلحق به؟ فقلنا:هو ابن عمه. فقال الراهب: هو من الورقة والورقة من الشجرة ».

ثم ذكر ذهاب الصحابي واثلة بن الأسقع لاستطلاع منطقة الروم: «وإذا بصاحب طرابلس قد زوج ابنته ملكاً من ملوك الروم، وقد أتوا بالجارية الى الدير ليأخذوا لها من راهبهم قرباناً، وقد دار بها فرسان الروم المنتصرة في عددهم وعديدهم..أكثر من عشرين ألفاً من عوام الروم والأرمن والنصارى والقبط واليهود من مصر والشام وأهل السواد والبطارقة والمنتصرة، وأما المستعدون للحرب فخمسة آلاف فارس ... فصعب ذلك على عبدالله بن جعفر وعلى

ص: 353

المسـلمين وسـقط في ايـديهم وهموا بالرجوع، فقال عبدالله بن جعفر: معاشـر المسـلمين ما الذي تقولون في هذا الأمر؟ فقالوا: نرى أن لا نلقي بأيدينا الى التهلكة كما أمر ربنا في كتابه العزيز، ونرجع الى الأمير أبي عبيدة والله لا يضـيع أجرنا .قال: فلما سمع عبدالله قولهم، قال: أما أنا فأخاف إن فعلت ذلك أن يكتبني الله من الفارين، وما أرجع أو أبـدي عـذراً عند الله تعالى، فمن ساعدني فقد وقع أجره على الله ومن رجع فلاعتب عليه . فلما سـمعوا ذلك من عبـدالله بن جعفر أميرهم اسـتحيوا منه وأجابوه بأجمعهم وقالوا: إفعل ما تريـد فما ينفع حذر من قدر، ففرح بإجابتهم ثم عمد الى درعه فأفرغه عليه، ووضع على رأسه بيضة وشد وسـطه بمنطقة وتقلد بسـيف أبيه، واسـتوى على متن جواده وأخذ الراية بيده، وأمر الناس بأخذ الاهبة فلبسوا دروعهم واشـتملوا بسـلاحهم، وركبوا خيولهم وقالوا للدليل: سر بنا نحو القوم فستعاين من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) عجباً .

قال وائلة بن الأسقع: رأيت الدليل قد اصفر وجهه وتغير لونه وقال: سيروا أنتم برأيكم وما عليَّ من أمركم، وخرج ! قال أبو ذر الغفاري: فرأيت عبـدالله بن جعفر يتلطف به حتى سار بين يـديه يـدله على القوم ساعـة، ثـم وقف وقال: أمسـكوا عليكم فإنكم قد قربتم من القوم، فكونوا في مواضعكم كامنين الى وقت السحر، ثم أغيروا على القوم .

قال وائلة بن الأسـقع: فبتنا ليلتنا حيث أمرنا ونحن نطلب النصـر من الله تعالى على الأعداء، فلما أصـبح النهار صلى بهم عبدالله بن جعفر صلاة الصبح، فلما

فرغوا من صلاتهم قال: ما ترون في الغارة؟ فقال عامر بن عميرة بن ربيعة: أدلكم على أمر تصنعونه ؟ قالوا: قل، قال: أتركوا القوم في بيعهم وشرائهم وإظهار امتعتهم، ثم اكبسوا عليهم على حين غفلة وغرة من أمرهم فصوب الناس رأيه وصبروا الى وقت قيام السوق، ثم أظهروا السيوف من أغمادها وأوتروا القسى وشرعوا لاماتهم وعبدالله بن جعفر امامهم الراية بيده فلما طلعت الشمس عمد عبدالله الى المسلمين. فجعلهم خمسة كراديس كل كردوس مائة فارس، وجعل على كل مائة نقيباً، وقال: تأخذ كل مائة منكم قطراً من أقطار سوقهم، ولا تشتغلوا بنهب ولا ـ غارة، ولكن ضعوا السيوف في المفارق والعواتق، وتقدم عبدالله بن جعفر بالراية وطلع على القوم، فنظر الى الروم متفرقين في الأرض كالنمل لكثرتهم...

وقال أبو سبرة إبراهيم بن عبد العزيز بن أبي قيس، وكان من السابقين والمتقدمين بإيمانهم في الإسلام وصاحب الهجرتين جميعاً قال: شهدت قتال الحبشة مع جعفر بن أبي طالب، وشهدت المشاهد مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) في بدر وفي أحد وفي حنين، وقلت إني لا أشهد مثلها، فلما قبض رسول الله (صلى الله عليه و آله) حزنت عليه، ولم أستطع أن أقيم بالمدينة بعد فقده فقدمت مكة فأقمت بها فعوتبت في منامي من التخلف عن الجهاد، فخرجت إلى الشام وشهدت أجنادين والشام وسرية خالد خلف توما وهربيس، وشهدت سرية عبد الله بن جعفر وكنت معه على دير أبي القدس، فأنستني وقعتها ما شهدت قبلها من الوقائع بين يدي رسول الله (صلى الله عليه و آله)، وذلك أني نظرت إلى الروم حين حملنا عليهم في كثرتهم

وعمـدهم وقلنا ما ثم غيرهم، وليس لهم كمين عظيم . قال: فرأينا أجسادهم هائلـة وعليهم الدروع، وما يبين منهم إلا حماليق الحدق، لهم طقطقة وزمجرة عندما يحملون، حتى نظرت إلى المسلمين قد غابوا في أوساطهم ولا أسمع منهم إلا الأصوات، تارة يجهرون بها وتارة أقول هلكوا !ثم أنظر إلى الرايـة بيد عبد الله بن جعفر... ولم نزل في الحرب والقتال حتى كلت منا السواعد وخدرت المناكب . قال: وعظم الأمر علينا وهالنا الصبر وتثلم سيف عبد الله في يده، وكادت تقع فرسه من تحته، فالتجأ بأصحابه في موضع، فاجتمع أصحابه إليه فنظر المسلمون إلى رايته فقصدوها، وما منهم إلا مكلوم من المشـركين، فضاق لذلك ذرعه وما نزل به في نفسه مثل ما نزل بالمسلمين، فألجأ إلى الله تعالى أمره، وفوض إلى صاحب السـماء شأنه، ورفع يده إلى السماء وقال في دعائه: يا من خلق خلقه وأبلى بعضهم ببعض، وجعل ذلك محنة لهم أسألك بجاه محمد النبي (صلى الله عليه و آله) إلا ما جعلت لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً، ثم عاد إلى القتال وأصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقاتلون معه تحت رايته، فلله در أبي ذر الغفاري فإنه نصـر ابن عم رسول الله (صـلى الله عليه و آله) وجاهـد بين يديه، قال عمرو بن ساعـدة: فلقـد رأيته مع كبر سـنه يضـرب بسـيفه ضـرباً شديـداً في الروم وينتمي إلى قومه ويـذكر عنـد حملاته إسـمه ويقول: أنا أبو ذر، والمسلمون يفعلون كفعله..

ثم ذكر مجئ خالد بن الوليد وضرار بن الأزور في سرية لمساعدة سرية عبد الله بن جعفر، قال: «فلله در أبي ذر الغفاري، وضرار بن الأزور، والمسيب بن نجية الفزاري، لقد قرنوا المواكب وهزوا المضارب وقتلوا الروم من كل جانب

والتقى ضرار بعبدالله بن جعفر فنظر اليه والدم على أكمام درعه كأكباد الابل فقال شكر الله تعالى لك يا ابن عم رسول الله (صلى الله عليه و آله) والله انك لقد اخذت بثأر ابيك وشفيت غليلك..».

ثم ذكر الواقدي أنهم انتصروا وأخذوا الغنائم، وأعطوا الجارية لعبد الله بن جعفر!

أقول: نقاط الضعف في هذه الرواية وأمثالها كثيرة، تشير الى أنها موضوعة من مخيلة الواقدي، أو الراوي الذي نسبها الى الواقدي، فهذه الروايات التي تقوم على المبالغة والأسطورة توجب الشك في نسبة هذه النسخة من المغازي اليه .

كما ورد عند الواقدي إسم حفيد رابع لعبد المطلب هو مسلم بن عقيل (2/295) في فتح دمشق، فقد يكون شهد معركة أجنادين .

معركة مرج الصُّفَّر ومعركة فِحل

قاد خالد بن سعيد والمرقال، معركة أجنادين، ومَرْجَ الصُّفَّر، وفِحل ونهضا بثقل معاركها، وحققا النصر للمسلمين، وكذا في محاصرة دمشق !

قال ابن عساكر في تاريخ دمشق:16/66: «فلما نظر إليهم خالد (في مرج الصُّفَّر) عبَّأ لهم كتعبئة يوم أجنادين، فجعل على ميمنته معاذ بن جبل، وعلى ميسرته هاشم بن عتبة، وعلى الخيل سعيد بن زيد بن نفيل(خالد بن سعيد) وترك أبا عبيدة في الرجال، وزحف إليهم فذهب خالد فوقف في أول الصف يريد أن يحرض الناس ثم نظر إلى الصف من أوله إلى آخره، فحملت لهم خيل على خالد بن سعيد بن زيد، وكان واقفاً في جماعة من المسلمين في ميمنة الناس يحرض الناس

ويدعو الله عز وجل، ثم ينقض عليهم، فحملت طائفة منهم عليه فنازلهم فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل» ثم قال ابن عساكر: كذا في الكتاب ابن سعيد بن زيد وإنما هو خالد بن سعيد بن العاص».انتهى.

وسعيد بن زيد بن نفيل هو ابن عم عمر، ولم يشارك في شئ من المعارك !

وقال ابن سعد في الطبقات:4/98: «حدثني عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال: شهد خالد بن سعيد فتح أجنادين وفحل ومرج الصُّفَّر » .

وفي فتوح البلاذري:1/135: «ثم كانت وقعة أجنادين.. ثم إن الله هزم أعداءه ومزقهم كل ممزق وقتل منهم خلق كثير. واستشهد يومئذ عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية، وأخوه أبان بن سعيد وذلك الثبت، ويقال بل توفى أبان في سنة تسع وعشرين . وطُلَيْب بن عمير بن وهب بن عبد بن قصي، بارزه علج فضربه ضربة أبانت يده اليمنى فسقط سيفه مع كفه، ثم غشيه الروم فقتلوه . وأمه أروى بنت عبد المطلب عمة رسول الله (صلى الله عليه و آله) وكان يكنى أبا عدى . وسلمة بن هشام بن المغيرة، ويقال إنه قتل بمرج الصُّفَّر . وعكرمة بن أبي جهل بن هشام المخزومي . وهبَّار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي، ويقال بل قتل يوم مؤتة . ونعيم بن عبد الله النحام العدوى، ويقال قتل يوم اليرموك . وهشام بن العاص بن وائل السهمي، ويقال قتل يوم اليرموك . وعمر بن الطفيل بن عمرو الدوسي، ويقال قتل يوم اليرموك . وجندب بن عمرو الدوسي . وسعيد بن الحارث . والحارث بن الحارث . والحجاج بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي..وقتل سعيد بن

الحارث بن قيس يوم اليرموك، وقتل تميم بن الحارث يوم أجنادين، وقتل عبيـد الله بن عبـد الأسد أخوه يوم اليرموك . قال: وقتل الحارث بن هشام بن المغيرة يوم أجنادين . قالوا: ولما انتهى خبر هـذه الوقعـة إلى هرقل، نَخَبَ (صار خالياً) قلبه، وسـقط في يده وملئ رعباً، فهرب من حمص إلى أنطاكية ».

خالد بن سعيد القائد العام للمعركة

وارتضـى الجميع خالـد بن سـعيد بن العاص قائداً عاماً لمعركة مرج الصُّفَّر، ففي تاريخ خليفة/120: «قال ابن إسـحاق: في هذه السنة وقعة مرج الصُّفَّر يوم الخميس لاثنتي عشـرة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، والأمير خالد بن سعيد . وحدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال: استشهد يوم مرج الصُّفَّر خالد بن سعيد بن العاص».

وقال الـذهبي في تاريخه عن معركة مرج الصُّفَّر:3/84: «والأمير خالد بن سـعيد..وعلى المشـركين يومئذ قلقط، وقتل من المشركين مقتلة عظيمة، وانهزموا ».

وقال الذهبي في العبر: 1/17: «وكانت وقعة هائلة استشهد فيها جماعة».

وقال البلاذري:1/141: «ثم اجتمعت الروم جمعاً عظيمـاً، وأمـدهم هرقـل بمـدد . فلقيهـم المسـلمون بمرج الصُّفَّر وهـم متوجهـون إلى دمشق، وذلك لهلال المحرم سـنة أربع عشـرة، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى جرت الدماء في الماء وطحنت بها الطاحونة، وجرح من المسلمين زهاء أربعة آلاف . ثم ولى الكفرة منهزمين مفلولين لا يلوون على شئ ».

أقول: كانت مرج الصُّفَّر امتداداً لمعركة أجنادين وهي موضع بين دمشق والجولان، وكان عدد الروم فيها شبيهاً بعددهم في أجنادين . وقد تنازل القادة الأربعة ابن الجراح وابن أبي سفيان وابن العاص وشرحبيل، عن قيادتهم للمعركة وسلموا القيادة لخالد بن سعيد، وهذا يدل على أنهم رأوا منه في أجنادين من صحة الرأي والبطولة، ما جعلهم يسلمون له القيادة في المعركة التالية، التي كانت بعدها بنحو عشرين يوماً .

وروى ابن عساكر: 16/66 : «عن سهل بن سعد الأنصاري قال: كانت وقعة أجنادين وقعة عظيمة . كانت بالشام وكانت في سنة ثلاث عشرة في جمادى الأولى، فذكر بعض أمرها، ثم ذكر إغاثة الروم لأهل دمشق حين حصارها، قال: فتركوا مرج الصُّفَّر فصمد المسلمون صَمْدهم، وخرج إليهم أهل القوة من أهل دمشق، وصحبهم ناس كثير من أهل حمص فالقوم نحو من خمسة عشر ألفاً فلما نظر إليهم خالد عبأ لهم كتعبئة يوم أجنادين، فجعل على ميمنته معاذ بن جبل وعلى ميسرته هاشم بن عتبة، وعلى الخيل سعيد بن زيد بن نفيل، وترك أبا عبيدة في الرجال، وزحف إليهم فذهب خالد فوقف في أول الصف يريد أن يحرض الناس، ثم نظر إلى الصف من أوله إلى آخره، فحملت لهم خيل على خالد بن سعيد بن زيد وكان واقفاً في جماعة من المسلمين في ميمنة الناس يحرض الناس ويدعو الله عز وجل ثم ينقض عليهم، فحملت طائفة منهم عليه فنازلهم فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل . كذا في الكتاب: ابن سعيد بن زيد، وإنما هو خالد بن سعيد بن العاص ».

ص: 360

أقول: صحح ابن عساكر إسم قائد الخيل في المعركة الى خالد بن سعيد بن العاص . وقد جعله الراوي ابن سعيد بن زيد بن نفيل، وهو ابن عم عمر بن الخطاب، وهو صاحب حديث العشرة المبشرة في الجنة، الذي كذبه علي (عليه السلام)، وروي أنه «شهد اليرموك وحصار دمشق ».(تاريخ دمشق:21/62) ولم يُروَ أنه شهد أجنادين .ولا أنه كان عسكرياً من قادة الفتح أو فرسانه . وسبب وضع إسمه بدل إسم خالد، ما يأتي من أمر خالد مع عمر .

وروى في الوافي:13/153، أن خالد بن سعيد (رحمة الله): «قال وهو يقاتل أعلاج الروم:

هل فارسٌ كرهَ النِّزالَ يُعيرُني *** رمحاً إذا نزلوا بمرج الصُّفَّر ».

كما وصفوا بطولة أخيه عمرو في هذه المعركة، فقال في فتوح بن الأعثم: 1/152: «تقدم عمرو بن سعيد وكان من أفاضل الناس وفرسان المسلمين، حتى وقف بين الجمعين ثم رفع صوته وقرأ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ . وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ .

يا أيها الناس اطلبوا الجنة فإنها نعم المأوى ونعم القرار ولنعم دار الأبرار، ولمن هي يا قوم ؟هي والله لمن شرى نفسه وقاتل في سبيل الله!

ثم نادى بأعلى صوته: إليَّ إليَّ يا أهيل الإسلام، فأنا عمرو بن سعيد ! ثم حمل هذا عمرو على الروم فقاتل قتالاً حسناً، ثم رجع إلى المسلمين وقد أصابته ضربة على حاجبه الأيمن والدم يسيل من الضربة حتى ملأت عينه، فلم يستطع أن يفتح جفن عينه من الدم، فقال عبد الله بن قرط الثمالي: أبشر يا ابن أبي أحيحة ! فإن الله معافيك من هذه الضربة وموجب لك بها الجنة، ومنزل نصره عليك

وعلى المسلمين إن شاء الله . قال: فقال عمرو بن سعيد: أما النصر على الإسلام وأهله فقد أنزله الله تبارك وتعالى إن شاء الله . وأما أنا فجعل الله هذه الضربة شهادة وأهدى إليَّ مثلها أخرى، فو الله إن هذه الضربة أحب إلي من مثل جبل أبي قبيس ذهباً أحمر ! قال: ثم حمل عمرو بن سعيد هذا، فلم يزل يقاتل حتى قتل رحمة الله عليه».

تم فتح دمشق ومدن بلاد الشام بدون قتال

ثم كان فتح الشام بعد محاصرة المسلمين لها ويأس أهلها من نصرة هرقل وقد اخترع الرواة معارك في فتح المدينة، وادعوا بطولات لخالد بن الوليد وعمرو العاص وغيرهم، مع أنه كان مجرد حصار، ولم تقع أي معركة . وكان حراس السور قلة، وأكثرهم من غير الروم، ولم يرو أن مسلماً أصيب بسهم !

قال البلاذري في فتوح البلدان:1/144: «لما فرغ المسلمون من قتال من اجتمع لهم بالمرج أقاموا خمس عشرة ليلة، ثم رجعوا إلى مدينة دمشق لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة أربع عشرة، فأخذوا الغوطة وكنائسها عنوة، وتحصن أهل المدينة وأغلقوا بابها، فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي في زهاء خمسة آلاف ضمهم إليه أبو عبيدة .

وقوم يقولون إن خالداً كان أميراً، وإنما أتاه عزله وهم محاصرون دمشق، وسمى الدير الذي نزل عنده خالد دير خالد، ونزل عمرو بن العاص على باب توما، ونزل شرحبيل على باب الفراديس، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية،

ونزل يزيد بن أبي سفيان على الباب الصغير إلى الباب الذي يعرف بكيسان، وجعل أبو الدرداء عويمر بن عامر الخزرجي على مسلحة ببرزة .

وكان الأسقف الذي أقام لخالد النزل في بدأته، ربما وقف على السور فدعى له خالد فإذا أتى سلم عليه وحادثه، فقال له ذات يوم: يا أبا سليمان ! إن أمركم مُقْبِلٌ ولي عليك عِدَة، فصالحني عن هذه المدينة، فدعا خالد بدواة وقرطاس فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها: أعطاهم أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لايهدم ولا يسكن شئ من دورهم . لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله (صلى الله عليه و آله) والخلفاء والمؤمنين لا يعرض لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية .

ثم إن بعض أصحاب الأسقف أتى خالداً في ليلة من الليالي فأعلمه أنها ليلة عيد لأهل المدينة وأنهم في شغل، وأن الباب الشرقي قد ردم بالحجارة وترك وأشار عليه أن يلتمس سلماً، فأتاه قوم من أهل الدير الذي عند عسكره بسلمين فرقى جماعة من المسلمين عليهما إلى أعلى السور، ونزلوا إلى الباب وليس عليه إلا رجل أو رجلان، فتعاونوا عليه وفتحوه، وذلك عند طلوع الشمس . وقد كان أبو عبيدة بن الجراح عانى فتح باب الجابية وأصعد جماعة من المسلمين على حائطه، فأنصب مقاتلة الروم إلى ناحيته فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً، ثم إنهم ولوا مدبرين .

وفتح أبو عبيدة والمسلمون معه باب الجابية عنوةً ودخلوا منه، فالتقى أبو عبيدة وخالد بن الوليد بالمقسلاط، وهو موضع النحاسين بدمشق، وهو

البريص..وقـد روى أن الروم أخرجوا ميتاً لهم من باب الجابيـة ليلاً وقـد أحاط بجنازته خلق من شـجعانهم وكماتهم، وانصبَّ سائرهم إلى البـاب فوقفـوا عليه ليمنعـوا المسـلمين من فتحه ودخـوله إلى رجـوع أصـحابهم من دفن الميت، وطمعوا في غفلـة المسـلمين عنهم . وإن المسلمين بدروا بهم فقاتلوهم على الباب أشد قتال وأبرحه حتى فتحوه في وقت طلوع الشمس .

فلما رأى الأسقف أن أبا عبيدة قد قارب دخول المدينة، بدر إلى خالد فصالحه وفتح له الباب الشرقي، فدخل والأسقف معه ناشراً كتابه الذي كتبه له. قال بعض المسلمين: والله ما خالد بأمير فكيف يجوز صلحه؟ فقال أبو عبيدة: إنه يجيز على المسلمين أدناهم وأجاز صلحه وأمضاه ولم يلتفت إلى مـا فتـح عنوة، فصـارت دمشق صـلحاً كلهـا. وكتب أبو عبيـدة بـذلك إلى عمر وأنفـذه، وفتحت أبواب المدينـة فالتقى القوم جميعاً...

وزعم الهيثم بن عدي أن أهل دمشق صولحوا على أنصاف منازلهم وكنائسـهم . وقال محمد بن سعد: قال أبو عبد الله الواقدي: قرأت كتاب خالـد بن الوليـد لأهـل دمشق، فلم أر فيه أنصـاف المنـازل والكنائس . وقـد روى ذلك ولا أدرى من أين جاء به من رواه ! ولكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من أهلها بهرقل وهو بأنطاكية، فكثرت فضول منازلها فنزلها المسلمون...

قال الواقدي: وكان فتح مدينة دمشق في رجب سـنة أربع عشـرة، وتاريخ كتاب خالد بصلحها في شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة . وذلك أن خالداً كتب الكتاب بغير تاريخ، فلما اجتمع المسلمون للنهوض إلى من تجمع لهم

باليرموك أتى الأسقف خالداً فسأله أن يجدد له كتاباً ويُشهد عليه أبا عبيدة والمسلمين ففعل، وأثبت في الكتاب شهادة أبي عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وغيرهم، فأرخه بالوقت الذي جدده».

أقول: بعد معركة مرج الصفر توجهت جيوش المسلمين لحصار دمشق، وذكر الرواة أن قائد الخيل كان خالد بن سعيد، لكن لم تقع معركة فلم يكن في الشام وحولها أي جيش للروم ! فحاصروها حتى استجاب أهلها للصلح .

وينبغي التنبيه هنا: الى أن حكم المدن والأراضي المفتوحة صلحاً أنه يجب التقيد فيها بما نص عليه عهد الصلح، وهو ضريبة سنوية لحماية السكان بمبلغ دينار ذهبي أو دينارين لكل بالغ، عدا الصغار والنساء والشيوخ، ولا يجوز للوالي أن يخالف أحكام عهد الصلح .

لكن الولاة ورواتهم كانوا حاولوا إثبات أن فتح هذه المنطقة أو تلك، كان عُنْوَةً أي بالقوة والحرب، لأن ذلك يجوِّز لهم فرض الجزية كما يهوون !

فصار ادعاؤهم مع حب الإفتخار سبباً لاختراع المعارك ونسبة البطولة الى زيد أو عمرو، من أجل ظلم الشعوب التي كانت ترزح تحت ظلم الفرس والروم، وبادرت لاستقبال المسلمين وعقدت معهم عهود الصلح .

واليك نموذجاً من روايات المبالغة التي يريد صاحبها إثبات فضيلة لخالد، وأنه فتح دمشق عنوة، بذكائه وجرأته !

قال في تاريخ دمشق:2/129، ونحوه الطبري:2/625: «فحاصروا أهل دمشق نحواً من سبعين ليلة حصاراً شديداً وقاتلوهم قتالاً شديداً، بالزحوف والترامي

والمجانيق، وهم معتصمون بالمدينة يرجون الغياث وهرقل منهم قريب وقد استمدوه، وذو الكلاع بين المسلمين وبين حمص في جبل على رأس ليلة من دمشق، كأنه يريد حمص وجاءت خيول هرقل مغيثة لأهل دمشق، فاشجتها (اعترضتها) الخيول التي مع ذي الكلاع وشغلتها عن الناس فأرزوا ونزلوا بإزائه وأهل دمشق على حالهم . فلما أيقن أهل دمشق أن الأمداد لا تصل إليهم فشلوا ووهنوا وأبلسوا، وازداد المسلمون طمعاً فيهم .

وقد كانوا يرون أنها كالغارات قبل ذلك إذا هجم البرد قفل الناس، فسقط النجم والقوم مقيمون، فعند ذلك انقطع رجاؤهم وندموا على دخول دمشق .

وولد للبطريق الذي على أهل دمشق مولود، فصنع عليه طعاماً فأكل القوم وشربوا وغفلوا عن مواقفهم، ولا يشعر بذلك أحد من المسلمين، إلا ـ ما كان من خالد فإنه كان لا ينام ولا ينيم ولا يخفى عليه من أمورهم شئ، عيونه ذاكية وهو معني بما يليه قد اتخذ كهيئة السلاليم وأوهاقاً(خطاطيف) فلما أمسى من ذلك اليوم نهد ومن معه من جنده الذين قدم بهم عليهم، وتقدمهم وهو والقعقاع بن عمرو ومذعور بن عدي وأمثاله من أصحابه، في أول يومه وقال: إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا إلينا وانهدوا إلى الباب، فلما انتهى إلى الباب الذي يليه هو وأصحابه المتقدمون رموا بالحبال الشرف، وعلى ظهورهم القرب التي قطعوا بها خندقهم، فلما ثبت لهم وهقان تسلق فيهما القعقاع ومذعور، ثم لم يدعا أحبولة إلا أثبتاها والأوهاق بالشرف، وكان المكان الذي اقتحموا منه أحصن مكان يحيط بدمشق أكثره ماء وأشده مدخلاً، وتوافوا لذلك فلم يبق

ممن قـدم معه أحد إلا رقا أو دنا من الباب، حتى إذا اسـتووا على السور حدر عامة أصـحابه وانحدر معهم، وخلف من يحمي ذلك المكان لمن يرتقي وأمرهم بالتكبير، فكبر الذين على رأس السور فنهد المسلمون إلى الباب، ومال إلى الحبال بشر كثير فوثبوا فيها، وانتهى خالد إلى أول من يليه فأتاهم، وانحـدر إلى الباب فقتل البوابين وثار أهل المدينة، وفزع سائر الناس فأخذوا مواقفهم ولا يدرون ما الشأن، وتشاغل أهل كل ناحية بما بينهم، فقطع خالد بن الوليد ومن معه أغلاق (أقفال) الباب بالسـيوف، وفتحوا للمسـلمين فأقبلوا عليهم من داخل حتى ما بقي مما يلي باب خالـد مقاتل إلا أنيم، وما شـد خالـد على من يليه وبلغ منهم الذي أراد عنوة أرز (هرب) من أفلت إلى أهل الأبواب التي تلي غيره، وقـد كان المسـلمون دعوهم إلى المناظرة (الهدنـة) فأبوا وأبعـدوا، فلم يفجأهم إلا وهو يتوقعون لهم بالصـلح فأجابوهم وقبلوا منهم، وفتحوا لهم الأبواب وقال: ادخلوا وتمنعونا من أهل ذلك الباب، فـدخل أهل كل باب بصـلح مما يليهم ودخل خالـد مما يليه عنوةً، فالتقى خالد والقواد في وسـطها، هذا استعراضاً وانتهاباً وهؤلاء صلحاً وتسكيناً، فأجروا ناحية خالد مجراهم، وقالوا قد قروا إلينا ودخلوا معنا، فأجاز لهم عمر ذلك، فأجرى النصف الذي أخذ عنوة مجرى الصـلح فصار صـلحاً وكان صـلح دمشق على المقاسمة الدينار والعقار والدينار على كل رأس واقتسموا الأسلاب ».

أقول: هـذه الروايـة تريـد إثبات أن خالـد بن الوليد دخل دمشق عنوةً ببطولته وجرأته، ودخل غيره من القادة صـلحاً ! وتريد تبرير نهب خالد وجماعته عندما دخلوا المدينة:

ص: 367

«فالتقى خالد والقواد في وسطها، هذا استعراضاً وانتهاباً وهؤلاء صلحاً وتسكيناً » بأنه حلال له ولجنوده وكانوا ست مئة ! ثم زعمت أن عمر بن الخطاب أقر ذلك فصار حلالاً بدون شبهة !

ثم كذبت الرواية فقالت:«وكان صلح دمشق على المقاسمة الدينار والعقار والدينار على كل رأس» لتبرر نهب الفاتحين للعقارات مع الأموال !

مع أن الصلح كان فقط على ضريبة سنوية على كل بالغ كما صرح الواقدي فقال: «قرأت كتاب خالد بن الوليد لأهل دمشق، فلم أر فيه أنصاف المنازل والكنائس، وقد رويَ ذلك ولا أدرى من أين جاء به من رواه ! ولكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من أهلها بهرقل وهو بأنطاكية، فكثرت فضول منازلها، فنزلها المسلمون» . (البلاذري:1/146).

ومما ينقض قولهم إن خالداً فتح دمشق عنوةً، ما رواه الواقدي (2/295) قال: «ثم وصل إلى باب توما ومعه خمس مائة من السادات وأصحاب النجدة، مثل الفضل بن العباس، والفضل بن أبي لهب، وزياد بن أبي سفيان بن الحرث وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والمقداد بن الأسود، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن زيد، ومسلم بن عقيل، وأبي ذر الغفاري، وعبادة بن الصامت، وبحر بن مسلم، وعقبة بن نافع، والمغيرة بن شعبة، والمسيب بن نجيبة الفزاري رضي الله عنهم . وعلت أصوات المسلمين بالتهليل والتكبير، والقوم من أعلى الأسوار قد رطنوا بلغتهم وتصارخوا ». والرطن والتصارخ ليس مقاومة ؟!

وقاد خالد بن سعيد معركة فحل أيضاً

ثم كانت معركة فِحل في فلسطين، وقائدها خالد بن سعيد رضي الله عنه وتقع قيسارية على ساحل فلسطين بين حيفا ويافا، ويقع بمحاذاتها الى داخل فلسطين سهل بيسان، وبمحاذاته الى الداخل تقع فِحل، وهي قريبة نسبياً من اليرموك، الذي هو داخل سوريا، وبعده باتجاه دمشق مرج الصفر ثم تأتي دمشق . فهذه المواقع متقاربة، وهي وأجنادين ومؤتة حول القدس، وكلها مواقع تجمع للجيش الذي يقصد فتح القدس أو الدفاع عنها .

ولذلك اتخذ الروم «فِحْل» نقطة تجمع جديدة، بعد هزيمتهم في معركة مرج الصفر، وفتح المسلمين لدمشق .

قال ابن الأعثم:1/153:«ومرت الروم على وجوهها عباديد (متفرقين)مشردين في البلاد، فمنهم من صار إلى فِحل وهي مدينة مطلة على موضع من بلد الأردن يقال له الأهوية (أي الأودية وهي الواقوصة التي يأتي ذكرها في اليرموك) والماء يجري من تحتها، فتحصنت الروم بفحل، ومر الباقون على وجوههم مشردين فمنهم من صار إلى هرقل ملك الروم، ومنهم من صار إلى حصون الشام فتحصنوا فيها).

وذكر بعض المؤرخين أن معركة فحل كانت قبل فتح دمشق، وقال بعضهم إنها كانت بعد اليرموك .

والصحيح أن اليرموك كانت آخر معارك المسلمين مع الروم، وأن كل المعارك بعد اليرموك كانت مع حاميات محلية أو رومية، لمدن أو حصون .

وقد تقدمت شـهادة المؤرخين أن قادة الجيوش الأربعة أعطوا قيادة معركة مرج الصُّفَّر الى خالد بن سـعيد رضـي الله عنه، والسبب أنهم رأوا منه قيادته الناجحة في أجنادين، فهو خطيب بليغ عميق الإيمان والتأثير في الجيش، كما يظهر من وصـيته لأبي بكر عندما ودعه في المدينة، وهو يتقدم الفرسان في المبارزة والحملة ولا يقف وراء الناس كأبي عبيدة وخالد وعمرو العاص !

والمرجـح أن تعبئة المسـلمين في معركة فحل كانت نفسـها في معركة مرج الصُّفَّر الآنفة، التي كان قائدها خالد بن سـعيد، وكان الإشـتباك وثقل المعركة على جيش شرحبيل، أما يزيد بن أبي سفيان وجيشه فتركوه في الشام ليحفظ ظهرهم، ولأنه والي الشام من قبل عمر .

قال الطبري في تاريـخ:2/630، ونحوه تاريـخ دمشق:2/105: «وسـاروا نحو فِحـل، وعلى الناس شـرحبيل بن حسـنة، فبعث خالـداً على المقدمة وأبا عبيدة وعمراً على مجنبتيه، وعلى الخيل ضرار بن الأزور، وعلى الرَّجْل عياض، وكرهوا أن يصمدوا لهرقل وخلفهم ثمانون ألفاً، وعلموا أن من بإزاء فحل جُنَّة الروم وإليهم ينظرون، وأن الشام بعدهم سـلم، فلما انتهوا إلى أبى الأعور قدموه إلى طبرية فحاصـرهـم . ونزلوا على فحل من الأردن وقد كان أهل فحل حين نزل بهم أبو الأعور تركوه وأرزوا إلى بيسان، فنزل شـرحبيل بالناس فِحل والروم بيسان، وبينهم وبين المسـلمين تلك المياه والأوحال، وكتبوا إلى عمر بالخبر وهم يحدثون أنفسـهم بالمقام ولا يريدون أن يريموا فحل، حتى يرجع جواب كتابهم من عند عمر، ولا يستطيعون الإقدام على عدوهم في مكانهم، لما دونهم من

الأوحـال . وكانت العرب تسـمى تلك الغزوة فحل وذات الردغـة وبيسان، وأصاب المسـلمون من ريف الأردن أفضل مما فيه المشـركون، مادتهم متواصـلة، وخصـبهم رغـد، فاغترهم القوم وعلى القوم سـقلار بن مخراق، ورجوا أن يكونوا على غرة، فأتوهم والمسـلمون لا يأمنون مجيئهم فهم على حذر .

وكان شـرحبيل لا يبيت ولا يصـبح إلا على تعبية، فلما هجموا على المسـلمين غافصوهم(فاجؤوهم) فلم يناظروهم، واقتتلوا بفحل كأشـد قتال اقتتلوه قط، ليلتهم ويومهم إلى الليل، فأظلم الليل عليهم وقـد حاروا، فانهزموا وهم حيارى، وقـد أصـيب رئيسـهم سـقلار بن مخراق، والـذي يليه فيهم نسـطورس، وظفر المسـلمون أحسن ظفر وأهنـأه، وركبوهم وهم يرون أنهم على قَصْدٍ وجَدَد (أرض يابسـة) فوجـدوهم حيارى لايعرفون مأخذهم، فأسلمتهم هزيمتهم وحيرتهم إلى الوحل فركبوه، ولحق أوائل المسلمين بهم وقد وَحَّلُوا فركبوهم وما يمنعون يَدَ لامس، فوخزوهم بالرمـاح فكـانت الهزيمـة في فحل، وكان مقتلهم في الرداغ فأصـيب الثمانون ألفاً لم يفلت منهم إلا الشـريد، وكان الله يصـنع للمسلمين وهم كارهون كرهوا البثوق فكانت عوناً لهم على عدوهم، وأناة من الله ليزدادوا بصيرة وجداً . واقتسموا ما أفاء الله عليهم . وانصـرف أبو عبيدة بخالد من فحل إلى حمص، وصـرفوا سـمير بن كعب معهم ومضوا بذى الكلاع ومن معه وخلفوا شرحبيل ومن معه ».
والردغة والرزغة: الأرض الموحلة .

قال الطبري:2/626: «فلما رأت الروم أن الجنود تريدهم، بثقوا المياه حول فحل فاردغت الأرض ثم وحلت، واغتم المسلمون من ذلك فحبسوا عن المسلمين بها ثمانين ألف فارس، وكان أول محصور بالشام أهل فحل » .

وقال الطبري:2/623: «فلما نزلت الروم بيسان بثقوا أنهارها، وهى أرض سبخة فكانت وحلاً، ونزلوا فحل وبيسان بين فلسطين وبين الأردن، فلما غشيها المسلمون ولم يعلموا بما صنعت الروم وحلت خيولهم ولقوا فيها عناء، ثم سلمهم الله وسميت بيسان ذات الردغة(الوحلة)لما لقى المسلمون فيها، ثم نهضوا إلى الروم وهم بفحل فاقتتلوا فهزمت الروم ».

أقول: الأرض الردغة: هي التي أشبعت ماء، ثم تصير موحلة . وقد فتح الروم المياه على بيسان قرب فِحل، ليمنعوا المسلمين من الوصول اليهم، فكانت عوناً للمسلمين على الروم حيث انهزموا باتجاهها وتوحلوا فيها !

كما أن قول الرواة «وساروا نحو فِحل وعلى الناس شرحبيل بن حسنة) يؤكد ما ذكرنا من أن عمدة اشتباك المسلمين مع الروم كانت مع جيش شرحبيل، وأن قيادة المعركة كانت لخالد بن سعيد وهاشم المرقال، لأنهما القائدان البارزان مع شرحبيل، وعمدة جيشه، فهما اللذان حققا النصر .

ص: 372

انسحب هرقل من حمص الى أنطاكية

بعـد هزيمته في مرج الصُّفَّر، انسـحب هرقل من حمص فاحتلها المسـلمون، وذهب هرقل الى أنطاكيـة، واتخذها قاعدة لقيادة معركة فِحل واليرموك، ثم يئس من النصرفودع سوريا !

أما المسـلمون فبعد انتصارهم في معركة فِحل، قصدوا حمص ففتحوها صـلحاً وفتحوا بقية مدن سوريا وبعلبك، ومدن ساحل لبنان، بدون مقاومة تذكر .

قال البلاذري في فتوح البلدان:1/137 : «وكان سـبب هذه الوقعة (فِحل) أن هرقل لما صار إلى أنطاكية اسـتنفر الروم وأهل الجزيرة، وبعث رجلاً من خاصـته وثقاته في نفسه، فلقوا المسـلمين بفحل من الأردن، فقاتلوهم أشـد قتال وأبرحه، حتى أظهرهم الله عليهم، وقتل بطريقهم وزهاء عشـرة آلاف معه، وتفرق الباقون في مدن الشام، ولحق بعضـهم بهرقل . وتحصن أهل فحل فحصـرهم المسلمون حتى سألوا الأمان على أداء الجزية عن رؤوسـهم والخراج عن أرضـهم، فأمنوهم على أنفسهم وأموالهم، وأن لا تهدم حيطانهم . وتولى عقد ذلك أبو عبيدة بن الجراح، ويقال: تولاه شرحبيل بن حسنة ».

وفي نهاية الإرب:19/160 : «لما قصد أبو عبيدة حمص من فحل، أرسل شرحبيل ومن معه إلى بيسان، فقاتلوا أهلها وقتلوا منها خلقاً كثيراً، ثم صـالحهم من بقي على صـلح دمشق، وكان أبو عبيـدة قـد بعث بالأعور إلى طبريّة فصالحه أهلها على صـلح دمشق أيضاً، وأن يشاطروا المسلمين المنازل، فنزلها الناس . وكتبوا بالفتح إلى عمر بن الخطاب » .

وقال البلاذري:1/156: «وحدثني أبو حفص الدمشقي،عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما افتتح أبو عبيدة بن الجراح دمشق، استخلف يزيد بن أبي سفيان على دمشق، وعمرو بن العاص على فلسطين، وشرحبيل على الأردن .

وأتى حمص فصالح أهلها على نحو صلح بعلبك . ثم خلف بحمص عبادة بن الصامت الأنصاري، ومضى نحو حماة، فتلقاه أهلها مذعنين، فصالحهم على الجزية في رؤوسهم والخراج في أرضهم . فمضى شيزر فخرجوا يكفرون، ومعهم المقلسون، ورضوا بمثل ما رضى به أهل حماة . وبلغت خيله الزراعة والقسطل، ومر أبو عبيدة بمعرة حمص، وهي التي تنسب إلى النعمان بن بشير، فخرجوا يقلسون بين يديه . ثم أتى فامية ففعل أهلها مثل ذلك، وأذعنوا بالجزية والخراج واستتم أمر حمص، فكانت حمص وقنسرين شيئا واحداً».

أقول: لاحظ أن أهل المدن السورية استقبلوا أبا عبيدة والفاتحين المسلمين بالتكفير أي بوضع اليدين على الصدر أو البطن، كما يفعل بعض المسلمين في الصلاة . وبالتقليس وهو نوع من العراضة الدينية تقوم بها مجموعة قساوسة وطلبة علم مسيحيين . فصالحهم أبو عبيدة على صلح أهل الشام، أي على ضريبة سنوية على كل بالغ، عدا النساء والأطفال والشيوخ، وعلى احترام ملكياتهم وعدم التعدي عليها .

وزعم بعض الرواة أنهم صالحوهم على نصف ملكيتهم، ولا أساس له .

وقال اليعقوبي:2/141: «فحصروا أهل حمص حصاراً شديداً، ثم طلبوا الصلح فصالحهم عن جميع بلادهم على أن عليهم خراجاً مائة وسبعين ألف دينار، ثم دخل المسلمون المدينة، وبث أبو عبيدة عماله في نواحي حمص. ثم أتاه خبر ما

جمع طاغية الروم من الجموع في جميع البلدان، وبعثه إليهم من لا قبل لهم به، فرجع إلى دمشق ».

هذا، وقد روى الواقدي(1/160) أنه وقعت معركة في فتح حمص، قال: «حدثني سنان بن راشد اليربوعي قال: حدثنا سملة بن جريج قال: حدثنا النجار وكان ممن يعرف فتوح الشام قال: لما صالحنا أهل حمص بعد قتل هربيس خرج أهل حمص ودفنوا قتلاهم، فافتقدنا القتلى الذين استشهدوا من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) فوجدنا من استشهد من المسلمين مائتين وخمسة وثلاثين فارساً كلهم من حمير وهمدان، إلا ثلاثين رجلاً من أهل مكة، وهم عكرمة بن أبي جهل، وصابر بن جرئ، والريس بن عقيل، ومروان بن عامر، والمنهال بن عامر السلمي ابن عم العباس، وجمح بن قادم، وجابر بن خويلد الربعي، فهؤلاء من المسلمين الذين استشهدوا يوم حمص، والباقون من اليمن وهمدان ومن أخلاط الناس ».

لكن هذا من مبالغات الرواة، وكذلك ما ادعوه من وقوع معارك في فتح الشام مع البطرقين توما وهربيس، والألوف المؤلفة من جنودهما !

ولا يمكن قبول أيٍّ من هذه الروايات لوجود النصوص على أن أهل دمشق وحمص وغيرهما طلبوا الصلح ولم يقاتلوا . أما الشهداء الذين ذكروهم في فتح حمص والشام فقد استشهدوا في أجنادين، ومرج الصفر، وفحل، واليرموك !

أخذ هرقل يحشد قواته لمعركة اليرموك، فانسحب المسلمون من حمص، فقد خاف أبو عبيدة من المفاجأة، فأمر باالإنسحاب من حمص الى دمشق، وبعد انسحابهم بفترة دخلت قوات الروم الى حمص، وأعادت احتلالها .

وقد أخبر المسلمون عمر بهذا التراجع، فكتب الى أبي عبيدة يلومه عليه: «بلغني خروجك من أرض حمص، وترككم بلاداً فتحها الله عز وجل عليكم، فكرهت هذا من رأيكم وفعلكم». (فتوح ابن الأعثم: 1/178).

لكن العمل الرائع للمسلمين عند انسحابهم من حمص أنهم أرجعوا لأهلها ما كانوا أخذوه منهم من الجزية، لأنهم لايستطيعون أن يحموهم من العدو !

قال البلاذري في الفتوح/103: «حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: بلغني أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك، ردوا على أهل حمص ما كانو أخذوا منهم من الخراج وقالوا: شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم، فأنتم على أمركم . فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم. ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم .

ونهض اليهود فقالوا: والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نُغلب ونجهد ! فأغلقوا الأبواب وحرسوها .

وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا: إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه، وإلا فأنا على أمرنا ما بقي

للمسـلمين عـدد . فلما هزم الله الكفرة وأظهر المسـلمين، فتحوا مدنهم وأخرجوا المقلسـين، فلعبوا (رقصوا في اسـتقبالهـم) وأدوا الخراج . وسار أبو عبيده إلى جند قنسرين و إنطاكية ففتحها » .

وروى الحموي في معجم البلدان (3/280) سبب تجميع هرقل جيشه في اليرموك، فقال: «لما نصر الله المسلمين بفحل، وقدم المنهزمون من الروم على هرقل بأنطاكيـة، دعا رجالاً منهم فأدخلهم عليه فقال: حدثوني ويحكم عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشـراً مثلكم؟ قـالوا: بلى، قـال: فـأنتم أكثر أو هم ؟ قـالوا: بـل نحن، قال: فما بالكم؟ فسـكتوا، فقام شـيخ منهم وقال: أنا أخبرك أنهم إذا حملوا صبروا ولم يكـذبوا، و إذا حملنـا لـم نصبر ونكـذب، وهـم يـأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويرون أن قتلاهم في الجنـة وأحياءهـم فائزون بالغنيمة والأجر .فقال: يا شيخ لقد صدقتني ولأخرجن من هذه القرية وما لي في صحبتكم من حاجة ولا في قتال القوم من إرب !

فقال ذلك الشـيخ: أنشـدك الله أن تـدع سوريـة جنة الدنيا للعرب، وتخرج منها ولم تعذر، فقال: قد قاتلتم بأجنادين ودمشق وفحل وحمص كل ذلك تفرون ولا تصـلحون، فقال الشـيخ: أتفر وحولك من الروم عدد النجوم، وأي عذر لك عند النصرانية؟ فثناه ذلك إلى المقام، وأرسل إلى روميـة وقسـطنطينية وأرمينية وجميع الجيوش فقال لهم: يا معشـر الروم إن العرب إذا ظهروا على سورية لم يرضوا حتى يتملكوا أقصـى بلادكم، ويسبوا أولادكم ونساءكم ويتخذوا أبناء الملوك عبيداً، فامنعوا حريمكم وسلطانكم، وأرسلهم نحو

المسلمين، فكانت وقعة اليرموك، وأقام قيصر بأنطاكية، فلما هزم الروم وجاءه الخبر وبلغه أن المسلمين قد بلغوا قنسرين خرج يريد القسطنطينية، وصعد على نشز وأشرف على أرض الروم وقال: سلام عليك يا سورية، سلام مودع لا يرجو أن يرجع إليك أبداً ! ثم قال: ويحك أرضاً ! ما أنفعك أرضاً ! ما أنفعك لعدوك لكثرة ما فيك من العشب والخصب ! ثم إنه مضى إلى القسطنطينية» .

وقال ابن الأعثم في الفتوح:1/172 : «قال: فعندها كتب هرقل إلى القسطنطينية وإلى رومية، وعمورية، ولهوانة، واليعقوبية، والسماوية، والمسيحية وجماعة مدائن الروم، فأمرهم بالمصير إليه . ثم كتب إلى أهل بيت المقدس، وإلى قيسارية، وإلى أهل أرمينية والجزيرة، أن لا يبقى أحد منهم ممن أدرك الحلم وحمل السلاح وكان على دين هرقل إلا صار إليه، فأجابته أهل دين النصرانية من جميع البلاد من أرض الشام وبلاد الشام، وكور أرمينية، وأرض الجزيرة، فصار في خلق عظيم لا يحصيهم إلا الذي خلقهم .

ثم دعا بوزيره الأعظم واسمه ماهان فتوَّجه بتاج، ووصله بمائة ألف درهم وضم إليه مائة ألف من خواص جيشه، ومن الذين يعتمد عليهم، ثم قال له:

إعلم يا ماهان أني اخترتك مقدماً على جميع أهل دين النصرانية، فاعمل بما أوصيك به في حق أجنادك، وعليك بالعدل فيهم، والإشفاق عليهم، والإحتراز من عدوهم، والمسارعة لما يقر بهم من مقصدهم، وعدم التشاغل عند الفرصة، والتثبيت عند الحملة، والجهد في صائب الرأي، والحزم فيما يشكل من الأمور، والعمل بما يقتضيه حكم كتابكم، والوفاء بما يمكن فيه

الصـدق، والعزم على مـا يكون فيه الصواب، واعلم بـأن النصـر مع الثبـات والنجاة مع الميل إلى الحق، وعليك بالعمل بما أوصـيك به في الرجـال أن توقر كبيرهم، ولا تحقر صـغيرهـم وتكون لهم كالأب الشـفيق، واعلم أنه أحق بالـذل من سـمع وصايا الخير ولـم يعمل بها، وأنه لجـدير أن يكون حقيرا في ملكوت السـماوات. وقد تبين لكم أن هؤلاء العرب لم ينصـروا على سائر الناس إلا بقبول وصايا الخير والرجوع إلى مشورة الأكـابر والعقلاء منهم، فهي الوصـلة إلى العاجل في تحصـيل المطلوب، وفي الآجل إلى الفوز من عالـم القديسـين، وإنكم لن تجتمعوا إن هزموكم هؤلاء والعيـاذ بـالله من ذلك، وكل مقتضـى كائن، وقـد أوصـيتك بما لـم يوصه ملك من قبل، فإياك ومخالفتي وإياك وهوى النفس، فإنه أعظم المصائب وبه يدخل على سائر الخلق الآفات والنوائب، وألن جانبك لهم فإنك بهم تصول على أعدائك .

قال: فلما سـمع ماهان وصـية هرقل خرج من بين يديه، واسـتعرض الجيش الذي قدمه هرقل عليه، وعسكر بهم ظاهر مدينة أنطاكية لتكامل عدتهم، فكان عدة القوم مائة ألف من النصرانية .

ودعا (هرقل) بوزير له آخر يقال له الديرجان، فتوَّجه بتاج ووصله بمائة ألف درهم، وضم إليه مائة ألف من النصرانية .

ثم دعا بوزير آخر يقال له قناطر، فتوجه ووصـله بمائـة ألف درهـم، وضـم إليه مائة ألف رجل . ثـم جعل ماهان أميراً على جميع أجناده، وأمر الوزراء والبطارقة والأساقفة أن لا يقطعوا أمراً دونه .

قال:وترك هرقل باقي الجنود عنده بأنطاكية، ثم أقبل على بطارقة الروم فقال: ألا تسمعون ؟ فقالوا: أيها الملك قل نسمع، وننتهى إلى أمرك .

فقال: قد علمتم أن هؤلاء العرب قد ظهروا عليكم وغلبوا على أرضكم، وأنهم ليسوا يرضون بالأرض والمدائن والقرى، ولا الحنطة والشعير، ولا ـ الـذهب ولا الـديباج والحرير، ولكنهم يريـدون سبي الأمهات والأخوات والأزواج، والبنين والبنات، وأن يتخـذوا الأحرار وأبناء الملوك عبيداً، والآن فانصروا دينكم، وقاتلوا عن حريمكم وأولادكم وأموالكم، وامنعوا عن سلطانكم ودار ملككم» .

وفي تاريخ دمشق:2/145: «أخبرني صفوان بن عبد الرحمن بن جبير أن المسـلمين صالحوا أهل مدينة دمشق وأهل حمص وقيصر يومئذ وجنوده بأنطاكيـة، يريـد أن يـدخل بهم بلاـده . وتـأتي بطـارقته من الروم وأهـل قنسـرين وأهـل الجزيرة عليه يسألونه أن يسـير بهـم فيقاتلوا المسـلمين، ويأبى عليهم، فقالوا: فاعقد لرجل وسـيرنا معه ففعل، فعقد لباهان الرومي الأرمني، وسـير معه من روم الروم مائتي ألف، وسار من روم قنسـرين وأهل الجزيرة وغيرهم بشـر كثير، فبلغ ذلك المسـلمين الذين على حمص، فأجمع أمرهم على المسير إلى إخوانهم الذين بـدمشق فيكون أمرهم واحـداً، فقـال لهم أهل مدينـة حمص نحن على صـلحنا إن ظفرتم لا نكثر عليكم ولا نمـد؟ قالوا: نعم . وساروا إلى دمشق.

وسارت الروم على حمص على بعلبك، ثم على البقاع، ثم على حولة دمشق، فأشفق المسلمون أن يحولوا بينهم وبين إخوانهم الذين بسواد الأردن وما قبلها، فساروا حتى نزلوا الجابية، وانضم إليهم إخوانهم فكانوا جميعاً ».

وفي تاريخ دمشق:2/162: «فكتب إلى بطارقته أن اجتمعوا لهم وانزلوا بالروم منزلاً واسع العطن، واسع المطرد، ضيق المهرب...فنزلوا الواقوصة على ضفة اليرموك، وصار الوادي خندقاً لهم وهو لهب لايدرك، وإنما أراد باهان وأصحابه أن تستفيق الروم... ومخرجهم صفر سنة ثلاث عشرة وشهري ربيع لايقدرون من الروم على شئ، ولا يخلصون إليهم واللهب وهو الواقوصة من ورائهم، والخندق من ورائهم ».

وقال الواقدي في:1/163: «ثم إن الملك هرقل لما قلد أمر جيوشه ماهان ملك الأرمن، وأمره بالنهوض الى قتال المسلمين وركب الملك هرقل وركب الروم وضربوا بوق الرحيل، وخرج الملك هرقل ليتبع عساكره... وسار ماهان في أثر القوم بجيوشه والرجال أمامه ينحتون له الأرض ويزيلون من طريقهم الحجارة، وكانوا لا يمرون على بلد ولا مدينة الا أضروا بأهلها، ويطالبونهم بالعلوفة والإقامات ولا قدرة لهم بذلك فيدعون عليهم ويقولون: لاردكم الله سالمين . قال وجَبْلَة بن الأيْهم(رئيس غسان ومن معها) في مقدمة ماهان ومعه العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام.... وجعل الجواسيس يسيرون حتى وصلوا الى الجابية وحضروا بين يدي الأمير أبي عبيدة وأخبروه بما رأوه من عظم الجيوش والعساكر، فلما سمع أبو عبيدة ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال: لا

حول ولا ـ قوة إلا ـ بالله العلي العظيم، وبات قلقاً لم تغمض له عين خوفاً على المسلمين... قال عطية بن عامر: فوالله ما شبهت عساكر اليرموك إلا كالجراد المنتشر إذْ سدَّ بكثرته الوادي ! قال: ونظرت الى المسلمين قد ظهر منهم القلق وهم لا يفترون عن قول: لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم، وأبو عبيدة يقول: رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ».

أبو بكر وعمر يستنجدان بعلي (عليه السلام)

خاف أبو عبيدة من تحشيد الروم، فكتب الى أبي بكر، ثم كتب الى عمر .

قال الكلاعي الأندلسي:3/279: «وقد استمدوا أبا بكر، وأعلموه الشأن، في صفر من سنة ثلاث عشرة ». فقد حشد الروم مئة وعشرين ألف مقاتل، وكان عدد المسلمين أربعةً وعشرين ألفاً. (تاريخ دمشق:2/143).

وقال ابن الأعثم في:1/179: «وبلغ أبا عبيدة بأن ماهان وزير هرقل أقبل في عساكره، حتى نزل مدينة حمص في مائة ألف، فاغتم لذلك...

قال:ثم تكلم قيس بن هبيرة المرادي فقال: أيها الأمير هذا وقت رأيٌ نشير به عليك، أترانا نرجع إلى بلادنا ومساقط رؤوسنا، وتترك لهؤلاء الروم حصوناً وديـاراً وأموالاً قد أفاءها الله علينا، ونزعها من أيديهم فجعلها في أيدينا، إذن لاردنا الله إلى أهلنا أبداً إن تركنا هذه العيون المتفجرة والأنهار المطردة والزرع والنبات والكروم والأعناب والذهب والفضة والديباج والحرير والحنطة والشعير ! ونرجع إلى أكل الضب ولبوس العباءة، ونحن نزعم أن قتيلنا في

الجنـة يصـيب نعيمـاً مقيماً، وقتيلهم في النار يلقى عـذاباً أليما ! أثبت أيها الأمير وشـجع أصـحابك، وتوكل على الله، وثق به ولا تيأس من النصر والظفر .

قال فقال أبو عبيدة: أحسنت يا قيس، ما الرأي إلا ما رأيت، وأنا زعيم لك، ولا أبرح هذه الأرض حتى يأذن الله لي » .

أقول: يدل هذا النص على أن خوف بعض المسـلمين من الروم قد بلغ مداه ! وأن المعادلة الدنيوية كانت غالبة عليهم، لكن بعضـهم غلبت عليه الطمأنينة والمعادلة الدينية، كما رأيت في اطمئنان علي (عليه السلام) بالوعد النبوي بهزيمة الروم .

وكان أبو عبيدة كتب الى أبي بكر أيضاً، فاسـتشار علياً (عليه السـلام) فأرسل الأشتر وعمرو بن معدي كرب، وفرسان النخعيين، وكانوا شيعته وأنصاره عندما كان في اليمن .

قال الواقدي:1/68: «فمـا لبثوا حتى أقبـل مالك بن الأشتر النخعي... وقـد عزم على الخروج مع الناس الى الشام .. واجتمع بالمدينـة نحو تسـعة آلاف، فلما تم أمرهم كتب أبو بكر كتاباً الى خالـد بن الوليـد... وقـد تقـدم اليك أبطال اليمن وأبطال مكـة، ويكفيك ابن معد يكرب الزبيدي، ومالك بن الحارث » .

ثم توفي أبو بكر واستمر تحشيد الروم لقواتهم فكتب أبو عبيدة الى عمر:

في فتوح الشام:1/177: «قال الواقـدي: حـدثني من أثق به أن الأمير أبا عبيـدة لما نظر إلى عساكر الروم معولة على قتاله، كتب إلى عمر بن الخطاب كتاباً يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم . إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من أبي عبيدة عامر بن الجراح عامله . سـلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأصـلي على نبيه محمد (صـلى الله عليه و آله) . واعلم يا أمير المؤمنين أن كلب الروم هرقل قد اسـتفزَّ علينا

كل من يحمل الصـليب، وقـد سار القوم الينا كالجراد المنتشـر، وقـد نزلنا باليرموك بالقرب من أرض الرماة والخولا ن، والعدو في ثمان مائة ألف مقاتل غير التبع وفي مقدمتهم ستون ألف من العرب المنتصرة من غسان ولخم وجذام...

فلا تغفل عن المسـلمين وأمدنا برجال من الموحدين، ونحن نسأل الله تعالى أن ينصـرنا وينصر الإسلام وأهله، والسلام عليك وعلى جميع المسـلمين ورحمة الله وبركاته . وطوى الكتاب وسـلمه إلى عبد الله بن قرط الأزدي، وأمره أن يتوجه إلى مدينة يثرب . قال عبد الله بن قرط: فركبت من اليرموك يوم الجمعة في الساعة العاشـرة بعد العصـر، وقد مضى من شهر ذي الحجة اثنا عشر يوماً والقمر زائد النور، فوصلت يوم الجمعة في الساعة الخامسة، والمسجد مملوء بالناس، فأنخت ناقتي على باب جبريل (عليه السلام) وأتيت الروضة وسلمت على رسول الله (صـلى الله عليه و آله) وعلى أبي بكر الصديق وصـليت فيها ركعتين، ونشـرت الكتاب إلى عمر بن الخطاب، قال فضـجت المسـلمون عند رؤيته، وتطـاولت إلى عمر بن الخطـاب، وقبلت يـديه وسـلمت عليه، فلمـا فتـح عمر الكتـاب انتقع لونه وتزعزع كونه، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون .

فقال عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب والعباس وعبـد الرحمن بن عوف وطلحة وغيرهم من الصـحابة: يا أمير المؤمنين أطلعنا على ما في هـذا الكتـاب من أمر إخواننا المسـلمين . فقام عمر ورقى المنبر خطيباً وقرأ الكتاب على الناس، فلما سـمعوا ما فيه ضـجوا بالبكاء شوقاً إلى إخوانهم وشفقة عليهم، وكان أكثر الناس بكاء عبد الرحمن بن عوف، وقال: يا أمير المؤمنين إبعث بنا إليهم، ولو

قدمت أنت إلى الشام لشدت بك ظهور المسلمين، فوالله ما أملك إلا نفسي ومالي، وما أبخل بهما على المسلمين.

قال: فلما سمع عمر بن الخطاب كلام عبد الرحمن بن عوف ونظر إلى إشفاق المسلمين وجزعهم على إخوانهم، أقبل على عبد الله وقال: يا ابن قرط من المقـدم على عساكر الروم؟ فقلت: خمسة بطارقة أحدهم ابن أخت الملك هرقل، وهو قورين، والديرجان، وقناطير، وجيرجير، وصـلبانهم تحت صـليب ماهـان الأ-رمني، وهو الملـك على الجميع، وجبلـة بن الأيهم الغساني مقـدم على ستين ألف فارس من العرب المتنصرة .

فـاسترجع عمر وقال: لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قرأ عمر: يُرِيـدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . ثم قال: ما تشيرون به عليَّ رحمكم الله تعالى؟

فقال له علي بن أبي طالب: أبشـروا رحمكم الله تعالى، فإن هـذه الوقعـة يكون فيها آيـة من آيات الله تعالى، يختبر بها عباده المؤمنين لينظر أفعالهم وصبرهم، فمن صبر واحتسب كان عنـد الله من الصابرين . واعلموا أن هـذه الوقعة هي التي ذكرها لي رسول الله (صـلى الله عليه و آله) التي يبقى ذكرها إلى الأبد ! هذه الدائرة المهلكة .

فقال العباس: على مَن هي يا ابن أخي؟ فقال: يا عماه على من كفر بالله واتخذ معه ولداً، فثقوا بنصر الله عز وجل .

ثم قال لعمر: يا أمير المؤمنين، أكتب إلى عاملك أبي عبيدة كتاباً، وأعلمه فيه أن نصر الله خير له من غوثنا، ونجدتنا فيوشك أنه في أمر عظيم .

فقام عمر ورقى المنبر وخطب خطبة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، وذكر فضل الجهاد ثم نزل وصلى بالمسلمين، فلما فرغ من صلاته كتب إلى أبي عبيدة كتاباً، يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أمين الأمة أبي عبيدة بن الجراح، ومن معه من المهاجرين والأنصار . سلام عليكم، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي على نبيه محمد (صلى الله عليه و آله) . أما بعد، فإن نصر الله خير لكم من معونتنا، واعلموا أنه ليس بالجمع الكثير يهزم الجمع القليل، وإنما يهزم الجمع القليل، وإنما يهزم بما أنزل الله من النصر، وإن الله عز وجل يقول: وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ. وربما ينصر الله العصابة القليل عددها على العصابة الكثيرة، وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ، وقد قال تعالى: فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً . يا طوبى للشهداء ويا طوبى لمن يتكل على الله . فالقَ العدو بمن معك من المسلمين، ولا تيأس بمن صرع من المسلمين، فقد رأيت من صرع بين يدي رسول الله (صلى الله عليه و آله) وما عجزوا عن عدوهم في مواطن كثيرة، حتى قتلوا في سبيل الله، ولم يهابوا لقاء الموت في جنب الله تعالى، بل جاهدوا في سبيل الله حق جهاده: وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقرأه على المسلمين، وأمرهم أن يقاتلوا العدو في سبيل الله عز وجل، واقرأ عليهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ».

أقول: قول الرواة الساعة العاشرة أو الخامسة: أي من طلوع الشمس، وكانت العرب تقسم النهار اثنتي عشرة ساعة، من طلوع الشمس الى غروبها، والليل اثني عشر ساعة من غروبها الى طلوعها .

وقول علي (عليه السلام) في الرواية: «أبشروا رحمكم الله تعالى، فإن هذه الوقعة يكون فيها آية من آيات الله تعالى»: يقصد آية تحقق النصر للمسلمين، والآية مالك الأشتر رضي الله عنه، حيث قتل ماهان القائد العام لجيوش هرقل، وعشرة أو أكثر من قادتهم في مطلع المعركة فضعضع أركانهم، وألقى الرعب في قلوبهم !

قال الكلاعي في الاكتفاء:3 /273: «كان من جلداء الرجال وأشدائهم، وأهل القوة والنجدة منهم، وإنه قتل يوم اليرموك قبل أن ينهزموا أحد عشر رجلاً من بطارقتهم، وقتل منهم ثلاثة مبارزة » !

هذا، وقد أهمل أكثر رواة السلطة مشاورة أبي بكر لعلي (عليه السلام)، وإرساله فرسان النخع، وتقدم قول الواقدي(1/68): «فما تمت أيام قلائل حتى جاء جمع من اليمن وعليهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي يريد الشام، فما لبثوا حتى أقبل مالك بن الأشتر النخعي فنزل عند الإمام علي (عليه السلام) بأهله، وكان مالك يحب سيدنا علياً وقد شهد معه الوقائع وخاض المعامع في عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) وقد عزم على الخروج مع الناس إلى الشام ».

كما غيب أكثرهم مشاورة عمر لعلي (عليه السلام) وتبشيره بالنصر على يد الذين أرسلهم!

قال الطبري:2/590: «وخرج هرقل حتى نزل بحمص فأعد لهم الجنود، وعبأ لهم العساكر، وأراد اشتغال بعضهم عن بعض لكثرة جنده وفضول رجاله، وأرسل إلى عمرو أخاه تذارق لأبيه وأمه، فخرج نحوهم في تسعين ألفاً،

وبعث من يسوقهم حتى نزل صاحب الساقة ثنية جلق بأعلى فلسطين، وبعث جرجة بن توذرا نحو يزيد بن أبي سفيان فعسكر بإزائه، وبعث الدراقص فاستقبل شرحبيل بن حسنة، وبعث الفيقار بن نسطوس في ستين ألفاً نحو أبى عبيدة . فهابهم المسلمون، وجميع فرق المسلمين واحد وعشرون ألفاً، سوى عكرمة في ستة آلاف، ففزعوا جميعاً بالكتب وبالرسل إلى عمر أن ما الرأي ؟ فكاتبهم وراسلهم إن الرأي الإجتماع، وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلة، وإذا نحن تفرقنا لم يبق الرجل منا في عدد يقرن فيه لأحد ممن استقبلنا وأعد لنا لكل طائفة منا . فاتعدوا اليرموك ليجتمعوا به .

وقد كتب إلى أبى بكر بمثل ما كاتب به عمراً فطلع عليهم كتابه بمثل رأى عمرو، بأن اجتمعوا فتكونوا عسكراً واحداً، والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين، فإنكم أعوان الله، والله ناصر من نصره وخاذل من كفره، ولن يؤتى مثلكم من قلة، وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب، فاحترسوا من الذنوب، واجتمعوا باليرموك متساندين، وليصل كل رجل منكم بأصحابه .

وبلغ ذلك هرقل فكتب إلى بطارقته أن اجتمعوا لهم، وانزلوا بالروم منزلاً واسع العطن، واسع المطرد، ضيق المهرب، وعلى الناس التذارق وعلى المقدمة جرجة، وعلى مجنبتيه باهان والدراقص، وعلى الحرب الفيقار، وأبشروا فإن باهان في الأثر مدداً لكم، ففعلوا فنزلوا الواقوصة، وهى على ضفة اليرموك

وصار الوادي خندقاً لهم وهو لهب لا يدرك . وإنما أراد باهان وأصحابه أن تستفيق الروم ويأنسوا بالمسلمين، وترجع إليهم أفئدتهم عن طريتها .

وانتقل المسلمون عن عسكرهم الذي اجتمعوا به، فنزلوا عليهم بحذائهم على طريقهم، وليس للروم طريق إلا عليهم، فقال عمرو: أيها الناس أبشروا حصرت والله الروم، وقلما جاء محصور بخير .

فأقاموا بإزائهم وعلى طريقهم ومخرجهم صفر من سنة ثلاث عشرة، وشهرى ربيع، لايقدرون من الروم على شئ، ولا يخلصون إليهم، واللهب وهو الواقوصة من ورائهم، والخندق من أمامهم، ولا يخرجون خرجة إلا أديل المسلمون منهم، حتى إذا سلخوا شهر ربيع الأول وقد استمدوا أبا بكر وأعلموه الشأن في صفر ».

أقول: الصحيح أنهم في تلك المدة استمدوا عمر لأن أبا بكر توفي قبل مرج الصفَّر، واليرموك وفِحل، وتولى الخلافة عمر، فبادر الى عزل خالد بن الوليد ومصادرة نصف أمواله، وأمَّر أبا عبيدة مكانه، فبعث اليه يستمده أيضاً !

لم يكن خالد بن الوليد قائد معركة اليرموك

كانت قيادة المعركة مشتركة، والروم نحو مئتي ألف، والمسلمون أربعين ألفاً،

قال ابن عساكر في تاريخ دمشق:2/142: «قال خليفة بن خياط: قال ابن الكلبي: كانت الوقعة يعني باليرموك يوم الإثنين لخمس مضين من رجب، سنة خمس عشرة . وهذه الأقوال هي المحفوظة في تاريخ اليرموك) .

ص: 389

وروى الطبري:2/591، أن المسلمين كانوا ستاً وثلاثين ألفاً، والروم: « أربعون ومائتا ألف، منهم ثمانون ألف مقيد، وأربعون ألفاً منهم مسلسل للموت، وأربعون ألفاً مربطون بالعمائم، وثمانون ألف فارس، وثمانون ألف راجل » .

وفي تاريخ دمشق:2 /143: « أن المسلمين كانوا أربعة وعشرين ألفاً وعليهم أبو عبيدة بن الجراح، والروم عشرون ومائة ألف عليهم ماهان وسقلان يوم اليرموك » .وفي تاريخ دمشق:2/158: «وكانوا جميعاً (المسلمين) ستة وأربعين ألفاً ».

وفي نهاية ابن كثير:7 /18: «وقتل في هذا اليوم من المسلمين ثلاثة آلاف، منهم عكرمة وابنه عمرو، وسلمة بن هشام، وعمرو بن سعيد، وأبان بن سعيد، وأثبت خالد بن سعيد، فلا يدرى أين ذهب، وضرار بن الأزور، وهشام بن العاص، وعمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسي وحقق الله رؤيا أبيه يوم اليمامة . وقد أتلف في هذا اليوم جماعة من الناس ».

وكان أمراء اليرموك أربعة، أبو عبيدة، وشرحبيل، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو العاص. وكانت لأبي عبيدة ولاية عامة، لكنها نظرية أكثر منها عملية.

قال الطبري:2/592: «وكان عسكر أبي عبيدة باليرموك مجاوراً لعسكر عمرو بن العاص، وعسكر شرحبيل مجاوراً لعسكر يزيد بن أبي سفيان، فكان أبو عبيدة ربما صلى مع عمرو، وشرحبيل مع يزيد . فأما عمرو ويزيد فإنهما كانا لا يصليان مع أبي عبيدة وشرحبيل ».

أما خالد بن الوليد فكان أميراً على الذين جاء بهم من العراق، وهم بضع مئات .

قال البلاذري:1/130: «وسار في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمان مئة، ويقال في ست مئة، ويقال في خمس مئة ».

ص: 390

وكانت معركة مرج الصُّفَّر قبل اليرموك، واتفق فيها القادة: ابن الجراح، وابن أبي سفيان، وشرحبيل، وابن العاص، ومعهم ابن الوليد الذي جاء من العراق على إعطاء قيادتها الى خالد بن سعيد، كما ذكرناه في ترجمته، لما رأوه من كفاءته في أجنادين فحقق فيها النصر وأبلى فيها بلاء مميزاً، حتى حفظوا عنه قوله:

مَنْ فارسٌ كَرِهَ الطعان يعيرني *** رمحاً إذا نزلوا بمرج الصُّفَّر

وهو يدل على أنه اعتمد في قتاله على الرمح أكثر من السيف، وكان عندما كان ينكسر رمحه يستعير رمحاً غيره، ويواصل قتاله .

ثم كانت بعدها معركة فِحل، ويبدو أنهم أعطوه القيادة أيضاً لكفاءته، ولا ننسَ أنه بميزان قبائل قريش محترم عند أولئك القادة، وكان مهاباً عند خالد بن الوليد، فقد سبق أن ألزمه بطاعة علي (عليه السلام) في اليمن .

لكن حدث بعد معركة أجنادين مباشرة أن أبا بكر توفي، وتسلم عمر الخلافة، وكان يصرعلى أبي بكر أن يقتل خالد بن الوليد قصاصاً بمالك بن نويرة، فلم يطعه، فكان أول مرسوم كتبه عمر في خلافته عزل خالد بن الوليد، بل أمر بنزع عمامته وإهانته، وبمصادرة نصف أمواله، حتى أنه صادر فردة نعليه !

وكان غضب عمر على خالد بن سعيد أشد من غضبه على ابن الوليد، وقد أطاعه فيه أبو بكر فعزله، لكن خالد بن سعيد فرض احترامه على قادة الجيوش فقدموه عليهم، وهو أمرٌ يغيض عمر، فلا بد أنه كتب لهم أن لا يعطوه القيادة . وهذا هو السبب في أنه لم تظهر أخباره في اليرموك، بل قالت رواية إنه شارك واستشهد، وقالت رواية إنه شارك وجُرح، وقالت رواية في الطبري:2/597: «وكان ممن أصيب في الثلاثة الآلاف الذين أصيبوا يوم اليرموك، عكرمة،

وعمرو بن عكرمة، وسلمة بن هشام، وعمرو بن سعيد، وأبان بن سعيد، وأثبت خالد بن سعيد فلا يدرى أين مات » ! وهكذا ضاع أكبر قائد للفتوحات !

وبعد أن عزل عمر خالد بن الوليد لم تكن له صفة في معركة اليرموك، فكان دوره ثانوياً . على أن دوره في المعارك كان دائماً شكلياً لاحقيقياً، كما أثبتنا !

لكنك مع كل هذا، تجد في التأريخ الرسمي لليرموك أن الرواة جعلوا خالد بن الوليد القائد العام المطاع، والعبقري المخطط، والوالي المفاوض للروم، والبطل الذي يسوق بسيفه ألوفاً مؤلفة من الروم !

وسبب ذلك أنه بعد وفاة عمر، ردَّ عثمان الى ابن الوليد اعتباره، فدخل في نادي المؤيدين للسلطة، وأخذ الرواة يروون مناقبه العظيمة، وتناسوا غضب عمر عليه ! وواصل ذلك معاوية بعد أن التحق به عبد الرحمن بن خالد، وكان القائد العام لجيشه في صفين !

قال الواقدي في فتوح الشام:2/253: «فتأهب الأمراء للحرب، فلما أصبح خالد صلى بأصحابه صلاة الصبح وبادروا للحرب والقتال، وصاحوا النصر النصر يا خيل الله اركبي وللجنة اطلبي . فركب المسلمون خيولهم وركزوا راياتهم واصطفوا ميمنة وميسرة وقلباً وجناحين، وخالد في وسط الجيش، وعلى الساقة ميسرة بن مسروق العبسي، ومالك الأشتر النخعي، في خمس مائة فارس من المهاجرين والأنصار ».

فهو في هذه الرواية قائد المعركة، بل دوره أكبر من ذلك حسب الرواية التالية: قال الطبري:2/592: «وكان عسكر أبى عبيدة باليرموك مجاوراً لعسكر عمرو بن العاص، وعسكر شرحبيل مجاوراً لعسكر يزيد بن أبي سفيان، فكان أبو عبيدة

ربما صلى مع عمرو وشرحبيل مع يزيد، فأما عمرو ويزيد فإنهما كانا لا يصليان مع أبي عبيدة وشرحبيل .

وقدم خالد بن الوليد وهم على حالهم تلك، فعسكر على حدة، فصلى بأهل العراق، ووافق خالد بن الوليد المسلمين وهم متضايقون بمدد الروم، عليهم باهان، ووافق الروم وهم نشاط بمددهم، فالتقوا فهزمهم الله حتى ألجأهم وأمدادهم إلى الخنادق، والواقوصة أحد حدوده، فلزموا خندقهم عامة شهرهم يحضهم القسيسون والشمامسة والرهبان، وينعون لهم النصرانية، حتى استبصروا فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعده قتال مثله في جمادى الآخرة .

فلما أحس المسلمون خروجهم وأرادوا الخروج متساندين، سار فيهم خالد بن الوليد فحمد الله وأثنى عليه، وقال إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغى، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم، فإن هذا يوم له ما بعده، ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية، على تساند وانتشار، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي . وإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا، فاعملوا فيما لم تؤمروا به الذي ترون أنه الرأي من واليكم ومحبته .

قالوا: فهات فما الرأي؟ قال: إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أنا سنتياسر، ولو علم بالذي كان ويكون لقد جمعكم . إن الذي أنتم فيه (من الإختلاف) أشد على المسلمين مما قد غشيهم، وأنفع للمشركين من أمدادهم، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم، فالله الله فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان، لا ينتقصه منه إن دان لأحد من أمراء الجنود، ولا يزيده عليه إن دانوا له .

ص: 393

إن تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله، ولا عند خليفة رسول الله (صلى الله عليه و آله) . هلموا فإن هؤلاء قد تهيؤوا وهذا يوم له ما بعده، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم، لم نزل نردهم، وإن هزمونا لم نفلح بعدها فهلموا فلنتعاور(نتناوب) الإمارة، فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد غد، حتى يتأمر كلكم. ودعوني إليكم اليوم، فأمَّروه وهم يرون أنها كخرجاتهم وأن الأمر أطول مما صاروا إليه، فخرجت الروم في تعبية لم ير الراؤون مثلها قط، وخرج خالد في تعبية لم تعبها العرب قبل ذلك، فخرج في ستة وثلاثين كردوساً إلى الأربعين وقال:إن عدوكم قد كثر وطغى وليس من التعبية تعبية أكثر من رأى العين من الكراديس ((أي أكثر من مد البصر والكردوس مجموعة قد يصل الى ألف)، فجعل القلب كراديس وأقام فيه أبا عبيدة، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وفيها شرحبيل بن حسنة، وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان،

وكان على كردوس من كراديس أهل العراق القعقاع بن عمرو،

وعلى كردوس مذعور بن عدي،

وعياض بن غنم على كردوس،

وهاشم بن عتبة على كردوس،

وزياد بن حنظلة على كردوس،

وخالد في كردوس،

وعلى فالَّة خالد بن سعيد دحية بن خليفة على كردوس،

وامرؤ القيس على كردوس،

ويزيد بن يحنس على كردوس،

وأبو عبيدة على كردوس،

وعكرمة على كردوس،

وسهيل على كردوس،

وعبد الرحمن بن خالد على كردوس،

وهو يومئذ ابن ثماني عشرة سنة،

وحبيب بن مسلمة على كردوس،

وصفوان بن أمية على كردوس،

وسعيد بن خالد على كردوس،

وأبو الأعور بن سفيان على كردوس،

وابن ذي الخمار على كردوس،

وفى الميمنة عمارة بن مخشى بن خويلد على كردوس،

وشرحبيل على كردوس، ومعه خالد بن سعيد،

وعبد الله بن قيس على كردوس،

وعمرو بن عبسة على كردوس،

والسمط بن الأسود على كردوس،

وذو الكلاع على كردوس،

ومعاوية بن حديج على آخر،

وجندب بن عمرو بن حممة على كردوس،

وعمرو بن فلان على كردوس،

ولقيط بن عبد القيس بن بجرة حليف لبنى ظفر من بنى فزارة على كردوس، وفى الميسرة يزيد بن أبي سفيان على كردوس،

والزبير على كردوس،

وحوشب ذو ظليم على كردوس،

وقيس بن عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن مازن بن صعصعة من هوازن حليف لبنى النجار على كردوس،

وعصمة بن عبد الله حليف لبنى النجار من بنى أسد على كردوس،

وضرار بن الأزور على كردوس،

ومسروق بن فلان على كردوس،

وعتبة بن ربيعة بن بهز حليف لبنى عصمة على كردوس،

وجارية بن عبد الله الأشجعي حليف لبنى سلمة على كردوس،

وقباث على كردوس،

وكان القاضي أبو الدرداء، وكان القاص أبو سفيان بن حرب، وكان على الطلائع قباث بن أشيم، وكان على الأقباض عبد الله بن مسعود...

وكان القارئ المقداد ومن السنة التي سن رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعد بدر، أن يقرأ سورة الجهاد عند اللقاء وهى الأنفال، ولم يزل الناس بعد ذلك على ذلك ».

ثم وصفت الرواية المعركة، فقالت: « فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجة(قائدمقدمة الروم زعموا أنه أسلم على يد خالد) من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب، ثم أصيب جرجة، ولم يصلِّ صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما، وصلى الناس الأولى والعصر إيماء، وتضعضع الروم ونهد خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم، وكان مقاتلهم واسع المطرد ضيق المهرب، فلما وجدت خيلهم مذهباً ذهبت، وتركوا رَجِلَهم في مصافهم، وخرجت خيلهم تشتد بهم في الصحراء، وأخر الناس الصلاة حتى صلوا بعد الفتح .

ولما رأى المسلمون خيل الروم توجهت للهرب، أفرجوا لها ولم يحرجوها فذهبت فتفرقت في البلاد، وأقبل خالد والمسلمون على الرَّجل ففضوهم، فكأنما هدم بهم حائط، فاقتحموا في خندقهم فاقتحمه عليهم، فعمدوا إلى الواقوصة، حتى هوى فيها المقرنون وغيرهم، فمن صبر من المقترنين للقتال هوى به من جشعت نفسه، فيهوى الواحد بالعشرة لا يطيقونه، كلما هوى اثنان كانت البقية أضعف، فتهافت في الواقوصة عشرون ومائة ألف، ثمانون ألف مقترن وأربعون ألف مطلق ! سوى من قتل في المعركة من الخيل والرجل فكان سهم الفارس يومئذ ألفاً وخمس مائة» .

ملاحظات على هذه الرواية

1- أنها تزعم أن خالداً هو القائد العام، وهو التقي الواعظ للقادة، وهو الذي يعطي المناصب حتى لأبي عبيدة، مع أنه معزول بشدة من الخليفة !

قال البلاذري:1/138 : «ثم وليَ أبو عبيدة بن الجراح أمر الشام كله وإمرة الأمراء في الحرب والسلم من قبل عمر بن الخطاب، وذلك أنه لما استخلف كتب إلى خالد بعزله، وولى أبا عبيدة» .

2- تزعم الرواية أن خالداً وزع المسؤوليات وأنه القائد العام، وورد فها ذكر كردوس فيه إسم خالد فقد يكون هو . كما زادت الكراديس عن أربعين .

3- نلاحظ أن خالد بن سعيد وابنه سعيداً كانا من قادة الكراديس في اليرموك وأن شرحبيل كان شريكاً في القيادة مع خالد، كما كان شريكاً مع عمرو العاص

في قيادة الميمنة، وهو اضـطراب في الرواية، يقصد منه تغييب دوره، وقد رووا مبارزة شرحبيل لقائد رومي وقتله، ولـم يرووا مبارزات خالد بن سعيد وحملاته!

أما ابنه سعيد، فقتلوه كما قتلوا أباه عدة مرات، قبل اليرموك وفيها !

4- ذكروا أن جرجة الأرمني كان قائد مقدمة جيوش هرقل (الواقدي:1/185) وأنه جرجيس وقتله ضرار (الطبري:2/590) وأنه جرجير وقتله أبو عبيدة ! ثم صار مسلماً على يد خالد يوم المعركة، وقاتل معه حتى قتل شهيداً !

5- أعطوا منقبة لأبي سـفيان بأنه قصَّاص جيش المسـلمين، أي شـيخ الخلافة القرشية، يحكي لجيشها القصص الحكيمة ! فماذا يحكي غير قصص عداوته لله تعالى، ومكائده وحربه لرسوله (صلى الله عليه و آله) !

قال ابن عبـد البر في الإستيعاب:4/1679: «وفي خـبر ابن الزبير أنه رآه يوم اليرموك قـال: فكـانت الروم إذا ظهرت قـال أبو سـفيان: إيهٍ بنى الأصفر، فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان:

وبنو الأصفر الملوكُ ملوكُ *** الرومِ لم يبقَ منهمُ مذكورُ

فحـدث به ابن الزبير أباه لما فتح الله على المسـلمين، فقال الزبير: قاتله الله يأبى إلا نفاقاً، أو لسـنا خيراً له من بني الأصـفر » ! والأغاني لأبي الفرج:6/529.

وفي فتوح ابن الأعثم:1/203، أن زوجته هنـداً آكلة الأكباد كانت في اليرموك: «ونظرت إلى أبي سـفيان وهو منهزم، فضـربت وجه حصانه بعمودها، وقالت: إلى أين يا بن صـخر؟ إرجع إلى القتال وابذل مهجتك، حتى يمحص الله عنك ما سـلف من تحريضك على رسول الله»! وهدف الراوي أن يمدح هنداً ولو بذم زوجها !

6- وصـفت الروايـة المعركة وصـفاً مبتوراً بأن خالداً قاد ثلاثين ألف مقاتل وحمل على مئات الآلاف من الروم فهزمهم، وجعلت المعركة يوماً واحداً، ولم تصف المبارزات فيها، ولا ما حدث للميمنة والميسرة والقلب، وماذا عمل فلان أو فلان، من قادة المسلمين وأبطالهم !

7- معنى وَقَص فلان وَوَقَصَتْ به دابَّتُه: سـقط عنها فاندقت عنقه ومات . وقـد سـموا الوادي التي كانت خلف جيش الروم:الواقوصـة، لأن الروم وقصوا فيها وماتوا. كما سموا الأودية: الأهوية، لأن الإنسان يهوي فيها.

قال الحموي في معجم البلدان:5/354: «الواقوصة:واد بالشام في أرض حوران نزلها المسلمون أيام أبي بكر على اليرموك لغزو الروم، وقال القعقاع بن عمرو:

ألم ترنا على اليرموك فزنا *** كما فزنا بأيام العراق

قتلنا الروم حتى ما تساوي *** على اليرموك مفروق الوراق

فضضنا جمعهم لما استحالوا *** على الواقوصة البتر الرقاق

غداة تهافتوا فيها فصاروا *** إلى أمر تعضل بالذواق

وفي كتاب أبي حذيفة:أن المسـلمين أوقعوا بالمشـركين يوماً باليرموك، قال: فشد خالد في سرعان الناس، وشد المسلمون معه يقتلونهم كل قتلة، فركب بعضـهم بعضاً حتى انتهوا إلى أعلى مكان مشـرف على أهوية، فأخذوا يتساقطون فيها وهم لا يبصرون وهو يوم ذو ضباب. وقيل كان ذلك بالليل وكان آخرهم لا يعلم بما صار إليه الـذي قبله حتى سـقط فيها ثمانون ألفاًفما أحصوا إلا بالقضـيب وسـميت هـذه الأهوية بالواقوصة من يومئذ حتى اليوم لأنهم وقصوا فيها، فلما

أصبح المسلمون ولم يروا الكفار ظنوا أنهم قد كمنوا لهم، حتى أخبروا بأمرهم. ورحل الروم وتبعهم المسلمون يقتلون فيهم، وكانت الكسرة للروم ».

أقول: لايمكن تصديق أن مئة ألف أو نحوهم يسقطون في وادٍ سحيق وهم في حالة هرب على خيولهم، ولا ينتبه حصان واحد منهم الى أنها وادٍ فيقف !

فلو زعم الرواة أنهم كانوا خمسين فارساً مثلاً، أصابهم الذعر وكان الجو ضباباً، لصدقه بعض الناس . لكن الرواة أفرطوا، فوجب التوقف في كلامهم.

كما لايمكن قبول زعمهم أن القادة قبلوا أن يخلط خالد خمس مئة نفر جاء بهم من العراق، بجيوشهم ثم يجعل القيادة دورية، ويأخذها في اليوم الأول ! وبالأمس جاء كتاب عزله المشدد من الخليفة وتخوينه ومقاسمته ماله، و إهانته !

قال البلاذري:1/138 : «وكان أميرهم عند الإجتماع في حربهم أول أيام أبى بكر عمرو بن العاص، حتى قدم خالد بن الوليد الشام فكان أمير المسلمين في كل حرب. ثم ولى أبو عبيدة بن الجراح أمر الشام كله وإمرة الأمراء في الحرب والسلم، من قبل عمر ابن الخطاب، وذلك أنه لما استخلف كتب إلى خالد بعزله، وولى أبا عبيدة ».

وهذا نص في أن خالد بن الوليد لم يكن قائد معركة اليرموك،فقد توفي أبو بكر بعد أجنادين بأيام، وقد أثبتنا أن الذي خاض معركة أجنادين جيش شرحبيل وقاده خالد بن سعيد، وكان كل أمير أميراً على جيشه، وكان أبو عبيدة وخالد في آخر الناس . وجاءت بعدها معركة مرج الصُّفَّر وقد أعطوا قيادتها لخالد بن سعيد، وكانت بعدها فحل بنفس التعبئة، وكان خالد في هذه المعارك معزولاً حتى عن قيادة الذين جاء بهم من العراق، فكيف يتنازل القادة عن قيادتهم ويعطوا القيادة لخالد المعزول ؟!

طالت معركة اليرموك أربعة أيام

جعل أكثر الرواة المعركة يوماً واحداً، وقد استمرت أياماً، وكان فيها هزائم حتى في القيادات! وغرضهم اختصار المعركة بقيادة خالد وبطولته في حملة واحدة، وتغطية هزيمة المنهزمين وبطولة الأبطال الحقيقيين ! وهذا من تزويرهم المفضوح للتاريخ !

بينما تجد بالتتبع أن المعركة استمرت أربعة أيام، وكثر فيها الكر والفر، وهرب فيها القادة «الكبار» ! وقد نص ابن كثير المتعصب على هروب عمرو بن العاص و«أربعة» معه لم يسمهم، الى خلف الجبهة، حتى وبختهم نساء المسلمين !

قال الواقدي:1/212: «وكان اليوم الثالث من اليرموك يوماً شديداً انهزمت فيه فرسان المسلمين ثلاث مرات ! كل مرة تردهم النساء بالحجارة والعمد ويلوحون بالأطفال إليهم، فيرجعون إلى القتال !

ولم يزل القتال قائماً إلى أن أقبل الليل بسواده ورجعت الروم إلى مواضعها، والقتل فيهم كثير، وفي المسلمين قليل، إلا أن الجراح فيهم فاشية من النشاب، فلما دخل الليل بسواده، رجعت كل فرقة إلى أماكنها، وباتوا تحت السلاح ».

وفي نهاية ابن كثير:7 /18: «وانهزم عمرو بن العاص في أربعة «؟» حتى وصلوا إلى النساء، ثم رجعوا حين زجرهم النساء، وانكشف شرحبيل بن حسنة وأصحابه، ثم تراجعوا حين وعظهم الأمير، بقوله تعالى: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ..».

ص: 401

وفي تاريخ دمشق:2/156:«وشد طرف من الروم على عمرو بن العاص فانكشف هو وأصحابه، حتى دخلوا أول العسكر، وهم في ذلك يقاتلون ويشدون، ولم ينهزموا هزيمة ولوا فيها الظهر! (يعني هربوا جَنَّابياً) !

قال فنزلن النساء بعمدهن من التل فضربن وجوه الرجال ونادت الناس أم حبيبة ابنة العاص فقالت: قبح الله رجلاً يفر عن حليلته، وقبح الله رجلاً يفر عن كريمته . قالوا: وسمع نسوة من النساء المسلمين يقلن: فلستم بعولتنا إن لم تمنعونا ! قال:فترادَّ المسلمون، وزحف عمرو وأصحابه حتى عادوا إلى قريب من موقفهم . قالوا وقاتل أيضا شرحبيل بن حسنة في ربعه الذي كان فيه، فكان وسطاً من الناس.. قالوا: وكان أبو عبيدة من وراء ظهره ردءا له وللمسلمين .

قالوا: فلما رأى قيس بن هبيرة خيل المسلمين، وراء صفهم مما يلي ميسرة المسلمين، وأن المسلمين قد دخلت ميسرتهم العسكر، وأن الروم قد صمدت لهم، اعترض الروم بخيله تلك ينتظر خيل خالد بن الوليد، فعطف بهم إلى بعض ورجع المسلمون في آثارهم فقاتلوهم، وحمل على من يليه من الروم وهو في ميمنة المسلمين حتى اضطروهم إلى صفوفهم .

قالوا: فلما رأى خالد بن الوليد أن قيس بن هبيرة قد كشف من يليه، وأن المسلمين قد رجعت راجعتهم، حمل على من يليه من الروم، يعطف بعضهم بعضاً إلى بعض، وزحف المسلمون إليهم رويداً ».

فإذا كان هؤلاء القادة انهزموا، وأبو عبيـدة وراء الناس ردءٌ لهم كما زعموا، وخالـد بن الوليـد يتربص بخيله وراء الناس، فمن الذي صـمد في وجه الروم وكان يقاتلهم، إلا الأبطال من تلاميذ علي (عليه السلام) ؟

غيب رواة السلطة دور الأشتر في اليرموك !

وغَيَّبَ رواةُ السلطة بطولات الأشتر في اليرموك، أو نسبوها الى غيره! وكذلك أدوار غيره من أبطال الشيعة، مثل هاشم بن عتبة المرقال، وخالد بن سـعيد بن العـاص، وأخويه عمرو وأبان وابنه سـعيد، والمقـداد بن الأسود فارس حروب النبي (صـلى الله عليه و آله)، وأبي ذر الغفاري، وكان قائداً لخمس مئة فارس .

فقد شـهد هؤلاء معركة اليرموك، كما شـهدها القائد حذيفة بن اليمان، وكان رسول أبي عبيدة بالفتح، وعمرو بن معدي كرب، وهو فارس له وزنه .

وشـهدها عبادة بن الصامت بن أخ أبي ذر، وقيس بن سعد بن عبادة وهو من الأبطال، وأبو أيوب الأنصاري وهو من الفرسان القادة، وجابر بن عبد الله الأنصاري.. وأمثالهم .

قال ابن حبان في الثقات:2/206: «وكان ممن قتل باليرموك من المسلمين عمرو بن سعيد بن العاص، وأبان بن سعيد بن العاص ».

وقال في تاريخ دمشق:2/143: «شهد اليرموك ألف رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) فيهم نحو من مائة من أهل بدر » .

وقد دامت المعركة أربعة أيام، كما روى الواقدي . (فتوح الشام:1/211).

فلماذا لم يرووا بطولات هؤلاء، وجعلوا المعركة كأنها لخالد بن الوليد، وآخرين من أتباع السلطة، مع أن غيرهم أهل البطولات الحقيقية، وأولاء أهل البطولات الإستعراضية، وبعضهم مات من سنين كضرار بن الأزور!

لقد اتخذت السلطة قراراً مشدداً بتغييب أخبار شيعة علي (عليه السلام) وبطولاتهم التي حققت النصر، فأهملها الرواة أوغيرها الراوي أوحرفها، حتى لايتهموه بالتشيع، وهي تهمة تكفي لتدمير حياته !

لذلك صرت تقرأ اليرموك حتى عند الراوي الحكومي المعتدل، كالطبري والبلاذري، فتجده يختار رواياته بحذر، حتى لايمدح المخالفين للسلطة !

وأقلهم حذراً الواقدي، لأنه كتب مغازيه في عصر ضعفت فيه رقابة الخلافة ضد أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، فروى روايات تعتبر كفراً عند من تأخر عنه ! لكنه خلطها للأسف، أو رواة كتبه، بالمبالغة والأسطورة لمصلحة أتباع السلطة.

وشبيهٌ به ابن الأعثم في كتابه الفتوح، والى حد الكلاعي الأندلسي، سليمان بن موسى، في كتابه: الإكتفا بسيرة المصطفى، وهو أندلسي توفي سنة 634.

لذلك تجد في هذه الكتب تفصيلات هي في غيرها إشارات، أو لاوجود لها !

وقد وصف الواقدي وقعة اليرموك، فأطال في أخبار استعداد هرقل، وأنه أرسل أحد قادته جرجير الى المسلمين ليفاوضهم، ففشلت المفاوضات .

ثم أرسل ملك غسان جبلة بن الأيهم ملك سوريا والعرب، الذين هم مع الروم، وكان عددهم كما قال الواقدي ستين ألفاً، ففشلت المحادثات، وتحداه خالد بن الوليد بأنه سيواجههم بستين فارساً فقط ويهزمهم!

وزعمت رواية الواقدي أن خالداً حارب الستين ألفاً بستين فارساً، فقتلوا منهم كثيراً وهرب الباقون، كلهم أجمعون أكتعون أبصعون !

ثم روى الواقدي اللقاءات المزعومة لخالد بماهان القائد العام لقوات الروم، وأنه تحداه بخشونة وقسوة بدوية، وكأنها قيمة إسلامية يفتخر بنقلها الرواة !

مع أن عمر بن الخطاب قد عزل خالد بن الوليد وأهانه، قبل معركة اليرموك !

قال الواقدي:2/146: «نزلوا خلف اليرموك وجعلوا أذرعات خلف ظهورهم، ونزلت الروم فيما بين دير أيوب إلى ما يليها من نهر اليرموك بينهم النهر، فعسكروا هنالك أياماً، فبعث ماهان صاحبهم إلى خالد بن الوليد: إن رأيت أن تخرج إلي في فوارس وأخرج إليك في مثلهم أذكرك أمراً لنا ولكم فيه صلاح وخير، ففعل خالد بن الوليد فواقفه ملياً، فكان فيما عرض عليه إذ قال:قد علمت أن الذي أخرجكم من بلادكم غلاء السعر وضيق الأمر بكم، وإني قد رأيت أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وراحلة تحمل حملها من الطعام والكسوة والأدم، فترجعون بها إلى بلادكم وتعيشون بها أهاليكم سنتكم هذه، فإذا كان قابل بعثتم إلينا فبعثنا إليكم بمثله، فإنا قد جئناكم من الجيوش والعدد بما لا قبل لكم به !

فقال خالد: ما أخرجنا من بلادنا الجوع ولا ضيق الأمر، ولكنا معشر العرب نشرب الدماء، فحدثنا أن لا دماء أحلى من دماء الروم، فأقبلنا نهريق دماءكم ونشربها ! قال: فنظر أصحابه بعضهم إلى بعض وقالوا: هذا ما كنا نحدث به عن العرب من شربها الدماء » ! وتاريخ دمشق:2/146.

ولك أن تقايس كلام خالد بكلام الأشتر عندما برز لماهان ودعاه الى الإسلام!

كما روى الواقدي ذهاب خالد في وفد الى مقر قيادة ماهان فقال:1/186: «فلما أشرف خالد بن الوليد ومن معه على عساكر الروم، نظر المسلمون إلى عساكر الروم وهم خمسة فراسخ في العرض! وعن نوفل بن دحية أن خالد بن الوليد لما ترجل عن جواده وترجل المائة، جعلوا يتبخترون في مسيرهم ويجرون حمائل سيوفهم، ويخترقون صفوف الحجاب والبطارقة، ولا يهابون أحداً، إلى أن وصلوا إلى النمارق والفراش والديباج، ولاح لهم ماهان وهو جالس على سريره، فلما نظر أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) الى ما ظهر من زينته وملكه، عظموا الله تعالى وكبروه، وطرحت لهم الكراسي فلم يجلسوا عليها، بل رفع كل واحد منهم ما تحته وجلسوا على الأرض ! فلما نظر ماهان إلى فعلهم تبسم وقال: يا معاشر العرب، لمَ تأبون كرامتنا، ولمَ أزلتم ما تحتكم من الكراسي وجلستم على الأرض، ولم تستعملوا الأدب معنا، ودستم على فراشنا؟ قال فقال خالد بن الوليد: إن الأدب مع الله تعالى أفضل من الأدب معكم، وبساط الله أطهر من فرشكم لأن نبينا محمداً (صلى الله عليه و آله) قال: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ثم قرأ قوله تعالى: مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى.. ».

فكأن العامية والخشونة والمبالغة، جزءٌ من الدين والتقوى، عند هؤلاء الرواة !

ومن هـذه المبالغات العنترية مـدح الواقـدي لعبـد الرحمن بن أبي بكر، بأنه برز لاثنين معاً ولم يقبل أن يعاونه أحـد، مع أن هذا لايقع في الحرب !

قال في فتوح الشام/1/195: «ونظر العلجان إلى صاحبهما مجندلاً فحملا على عبد الرحمن وقصداه، فأراد قيس بن هبيرة أن يعاونه عليهما، فقال له عبد الرحمن: سألتك برسول الله (صلى الله عليه و آله) وبحق أبي بكر إلا تركت عبد الرحمن يصطلي بهما، فإن قتلت فأنت شريكي في الثواب، وأقرئ عائشة مني السـلام، وقل لها أخوك قد لحق ببعلك وأبيك . فتأخر قيس عنه وقد عجب من فعاله، فحمل عبد الرحمن على أحد العلجين وهو الأول فطعنه برمحه فاشـتبك السـنان في درعه، فرمى عبد الرحمن الرمح من يده وانتضـى سيفه، وقام في الركاب وضرب العلـج بسـيفه ضـربة طرحه بها نصـفين، ونظر العلـج الثالث إلى عبـد الرحمن وجرأته، فبقى حائراً متعجباً من حاله ونظر إلى البطريق وهو متحير باهت، فبانت له فيه غفلة فقال مايوقفك يا قيس، وحمل على البطريق وضربه ضربة هشم بها هامته، فسقط إلى الأرض صريعاً ».

أما ضـرار بن الأزور، الـذي قُتل في اليمامـة، فقـد أحياه الرواة بعـد سـنين في معركة اليرموك، فكان الى جانب خالد دائماً، وملأت أساطيره الصفحات !

وحتى أبو هريرة الذي لم يُقاتل كل عمره ولم يضـرب بسـيف، صار عند الرواة أسداً في اليرموك، ببركة طاعته للسـلطة ! قال الواقدي في فتوح الشام:1/206: «وحملت دوس مع أبي هريرة، وهزَّ رايته، وهو يحرض قومه على القتال،

ويقول: أيها الناس سارعوا إلى معانقة الحور العين في جوار رب العالمين، وما من موطن أحب إلى الله من هذا الموطن . ألاوإن الصابرين قد فضلهم الله على غيرهم الذين لم يشهدوا مشهدهم . فلما سمعت دوس كلامه طافوا به، وحملوا على الروم حملة منكرة، ودارت بينهم الحرب كما تدور الرحى، وتكاثرت جموع الروم على ميمنة المسلمين فعادت الخيل تنكص بأذنابها، راجعة على أعقابها منكشفة، كانكشاف الغنم بين أيدي الأسد».

لكن بطولات الأشتر ظهرت من بين السطور

وتفضل الواقدي وغيره فاعترفوا بحقائق مذهلة عن بطولة مالك الأشتر! فقال في كتابه فتوح الشام:1/223: «ثم قال البطريق: قد تعين عليَّ الجهاد وأن أؤدي فرض المسيح ولا بد لي من المبارزة.قال: فتركه ماهان فخرج، وكان إسمه جرجيس، وكان عليه درع وعلى الدرع ثوب حديد متقلد بسيفه ومعه قنطارية (علم صغير عليه صليب) وعوَّذته القسوس وبَخَّروه ببخور الكنائس وأقبل اليه راهب عمورية وأعطاه صليباً كان في عنقه، وقال هذا الصليب من أيام المسيح يتوارثه الرهبان ويتمسحون به، فهو ينصرك فأخذه جرجيس ونادى البراز بكلام عربي فصيح حتى ظن الناس أنه عربي من المتنصرة، فخرج اليه ضرار بن الأزور كأنه شعلة نار فلما قاربه ونظر اليه والى عظم جثته ندم على خروجه بالعدة التي أثقلته، فقال في نفسه وما عسى يغني هذا اللباس إذا حضر الأجل، ثم رجع مولياً فظن الناس أنه ولى فزعاً، فقال قائل منهم إن ضرار قد انهزم من العلج، وما ضبط عنه قط أنه انهزم وهو لا يكلم أحداً، حتى صار إلى خيمته

ونزع ثيابه وبقي بالسراويل، وأخذ قوسه وتقلد بسيفه وجحفته وعاد إلى الميدان، كأنه الظبية الخمصاء فوجد مالكاً النخعي قد سبقه إلى البطريق، وكان مالك من الخطاط إذا ركب الجواد تسحب رجلاه على الأرض، فنظر ضرار فإذا بمالك ينادي العلج: تقدم يا عدو الله يا عابد الصليب إلى الرجل النجيب ناصر محمد الحبيب ! فلم يجبه العلج لما داخله من الخوف منه .

قال: فجال عليه وهمَّ أن يطعنه فلم يجد للطعنة مكاناً لما عليه من الحديد فقصد جواده وطعنه في خاصرته، فأطلع السنان يلمع من الجانب الآخر، فنفر الجواد من حرارة الطعنة، وهمَّ مالك أن يخرج الرمح فلم يقدر، لأنه قد اشتبك في ضلوع الجواد وهو على ظهره، لم يقدر أن يتحرك لأنه مزرر في ظهر الجواد بزنانير إلى سرجه . فنظر المسلمون إلى ضرار وقد أسرع اليه مثل الظبية حتى وصل اليه وضربه بسيفه على هامته فشطرها نصفين، وأخذ سلبه .

فأتاه مالك وقال: ما هذا يا ضرار، تشاركني في صيدي ! فقال: ما أنا بشريكك وإنما أنا صاحب السلب وهو لي، فقال مالك: أنا قتلت جواده . فقال ضرار: رب ساع لقاعد، آكل غير حامل . فتبسم مالك وقال: خذ صيدك هنأك الله به . قال ضرار: إنما أنا مازح في كلامي خذه إليك، فوالله ما آخذ منه شيئاً وهو لك وأنت أحق به مني . ثم انتزع سلب العلج وحمله على عاتقه، وما كاد أن يمشي به وهو يتصبب عرقاً . قال زهير بن عابد: ولقد رأيته وهو يسير به وهو راجل ومالك فارس، حتى طرحه في رحل مالك .

فقال أبو عبيدة: بأبي وأمي والله قوم وهبوا أنفسهم لله، وما يريدون الدنيا .

قال: فلما قتل البطريق قُص جناح ماهان، فصاح بقومه وجمعهم اليه وقال لهم: إسمعوا يا أصحاب الملك وبلغوه عني، أني ما تركت جهدي في نصرة هذا الدين وحاميت عن الملك وقاتلت عن نعمته، وما أقدر أن أغالب رب السماء، لأنه قد نصر العرب علينا وملكهم بلدنا. والآن مالي وجه أرجع به إلى الملك، حتى أخرج إلى الحرب وأبرز إلى مقام الطعن والضرب، وعزمت أن أسلم الصليب إلى أحدكم وأبرز إلى قتال المسلمين، فإن قتلت فقد استرحت من العار ومن توبيخ الملك لي، وإن رزقت النصر وأثرت في المسلمين أثراً، ورجعت سالماً، علم الملك أني لم أقصر عن نصرته . فقالوا: أيها الملك، لا تخرج إلى الحرب حتى نخرج نحن إلى القتال قبلك، فإذا قتلنا فافعل بعدنا ما شئت .

قال: فحلف ماهان بالكنائس الأربع، لا يبرز أحد قبله ! قال: فلما حلف أمسكوا عنه وعن مراجعته، ثم إنه دعا بابن له فدفع اليه الصليب وقال: قف مكاني . وقُدم لماهان عِدة فأفرغت عليه . قال الواقدي: وبلغنا أن عدته التي خرج بها إلى الحرب تقومت بستين ألف دينار، لأن جميعها كان مرصعاً بالجوهر.

فلما عزم على الخروج تقدم له راهب من الرهبان فقال: أيها الملك ما أرى لك إلى البراز سبيلاً، ولا أحبه لك . قال: ولمَ ذلك؟ قال: لأني رأيت لك رؤيا فارجع ودع غيرك يبرز . فقال ماهان: لست أفعل والقتل أحب إلي من العار ! قال: فبخروه وودعوه، وخرج ماهان إلى القتال، وهو كأنه جبل ذهب يبرق، وأقبل حتى وقف بين الصفين ودعا إلى البراز، وخوف باسمه، فكان أول من

عرفه خالد بن الوليد فقال: هذا ماهان، هذا صاحب القوم قد خرج . ووالله ما عندهم شئ من الخير! (ولم يبرز اليه خالد ولا أبو عبيدة) !

قـال:وماهـان يُرَعِّبُ باسـمه، فخرج اليه غلام من الأوس وقال: والله أنا مشـتاق إلى الجنـة، وحمل ماهان وبيـده عمود من ذهب كان تحت فخذه، فضـرب به الغلام فقتله، وعجل الله بروحه إلى الجنة . قال أبو هريرة: فنظرت إلى الغلام عندما سـقط وهو يشـير بإصبعه نحو السماء، ولم يهله ما لحقه، فعلمت أن ذلك لفرحه بما عاين من الحور العين .

قال:فجال ماهان على مصـرعه وقوي قلبه، ودعا إلى البراز فسارع المسـلمون اليه، فكلٌّ يقول: اللهم اجعل قتله على يـدي . (لم يسم الراوي من استعد لمبارزته!).

وكان أول من برز مالك النخعي الأشتر وساواه في الميدان، فابتدر مالك ماهان بالكلام وقال له: أيها العلج الأغلف لا تغتر بمن قتلته، وإنما اشـتاق صاحبنا إلى لقاء ربه، وما منا إلا من هو مشتاق إلى الجنة، فإن أردت مجاورتنا في جنات النعيم فانطق بكلمة الشهادة أو أداء الجزية، وإلا فأنت هالك لا محالة! فقال له ماهان: أنت صاحب خالد بن الوليد؟ قال: لا أنا مالك النخعي صاحب رسول الله (صلى الله عليه و آله) . فقال ماهان: لا بد لي من الحرب، ثم حمل على مالك وكان من أهل الشـجاعة فاجتهدا في القتال، فأخرج ماهان عموده وضـرب به مالكاً على البيضة التي على رأسه، فغاصت في جبهة مالك فشترت عينيه، فمن ذلك اليوم سمي بالأشتر .

ص: 411

قال: فلما رأى مالك ما نزل به من ضربة ماهان عزم على الرجوع، ثم فكر فيما عزم عليه، فدبر نفسه وعلم أن الله ناصره، والدم فائر من جبهته، وعـدو الله يظن أنه قتـل مالكـاً، وهو ينظره متى يقع عن ظهر فرسه، وإذا بمالك قـد حمل وأخـذته أصوات المسـلمين يا مالك إسـتعن بالله يعينك على قرينك . قال مالك: فاسـتعنت بالله عليه وصـليت على رسول الله (صـلى الله عليه و آله) وضـربته ضربة عظيمة فقطع سيفي فيه قطعاً غير موهن، فعلمت أن الأجل حصين . فلما أحسن ماهان بالضربة ولى ودخل في عسكره !

قال الواقـدي: ولما ولى ماهان بين يـدي مالك الأشتر منهزماً، صاح خالد بالمسـلمين: يا أهل النصـر والبأس إحملوا على القوم ما داموا في دهشـتهم، ثم حمل خالد ومن معه من جيشه (الخمس مئة) وحمل كل الأمراء بمن معهم، وتبعهم المسـلمون بالتهليل والتكبير، فصبرت لهم الروم بعض الصبر حتى إذا غابت الشـمس وأظلم الأفق، انكشف الروم منهزمين بين أيديهم، وتبعهم المسلمون يأسرون ويقتلون كيف شاءوا، فقتلوا منهم زهاء من مائة ألف وأسروا مثلها، وغرق في الناقوصة منهم مثلها وأمم لا تحصى، وتفرق منهم في الجبال والأودية وخيول المسلمين من ورائهم يقتلون ويأسرون، ويأتون من الجبال بالأسارى .

ولم يزل المسـلمون يقتلون ويأسـرون إلى أن راق الليل فقال أبو عبيدة: أتركوهم إلى الصـباح فتراجعت المسـلمون، وقد امتلأت أيديهم من الغنائم والسرادقات وآنية الذهب والفضة، والزلازل(السجاد) والنمارق والطنافس .

قال الواقدي: ووكل أبو عبيدة رجالاً من المسلمين بجمع الغنائم، وبات المسلمون فرحين بنصر الله حتى أصبحوا، فإذا ليس للروم خبر، ووقع أكثرهم في الناقوصة في الليل ». انتهى.

أقول: يفهم من الرواية أن الأشتر ضرب ماهان، ففرَّ جريحاً، فذهل الروم وتغيرت كفة المعركة لصالح المسلمين ! ولم تقل الرواية إن ماهان مات كما لم تنف موته ! لكنه مات من ضربة الأشتر، كما نص الكلاعي، ثم برز بطل آخر الى الأشتر فقتله، فكانوا ثلاثة مبارزة، ثم حمل عليهم يقصد قادتهم فقتل ثمانية، فصاروا أحد عشر !

قال الكلاعي في الإكتفاء:3/273، يصف الأشتر: «كان من جلداء الرجال وأشدائهم، وأهل القوة والنجدة منهم، وأنه قتل يوم اليرموك قبل أن ينهزموا أحد عشر رجلاً من بطارقتهم، وقتل منهم ثلاثة مبارزة » !

وقوله قبل أن ينهزموا يعني أن ذلك كان في أول المعركة، وأنه أثَّر في هزيمتهم .

واليه تشير رواية الطبري:3/74: «فهزمت الروم وجموع هرقل التي جمع، فأصيب من الروم أهل أرمينية والمستعربة سبعون ألفاً، وقتل الله الصقلار وباهان، وقد كان هرقل قدمه مع الصقلار » .

فالأول الذي زعموا أن ضراراً قتله هو جرجيس، هو جرجة الذي زعموا أنه أسلم على يد خالد ! والثاني باهان وهو ماهان، فلا بد أن يكون الثالث صقلار.

ومما يؤيد ذلك أنهم نسبوا قتل ماهان الى مجهول، أو قالوا: اختلف فيمن قتله ! وكذلك طمسوا مبارزات الأشتر، وأسماء القادة الأحد عشر الذين قتلهم !

وفي تاريخ دمشق:56/379: «وكان الأشتر الأحسن في اليرموك ! قالوا لقد قتل ثلاثة عشر ».

نسبوا بطولات الأشتر الى ضرار وهو ميت !

يحرص رواة السلطة على عدم ذكر بطولات من لاتحبهم السلطة، ويعرفون كما كان الحكام يبغضون الأشتر، لأنه يمثل التحدي في خط علي (عليه السلام) كما مَثَّلَ علي (عليه السلام) التحدي في خط رسول الله (صلى الله عليه و آله) .

وقد اضطهد معاوية وبنو أمية النخعيين وطاردوهم، حتى تركوا النسبة الى النخع، وانتسبوا الى جذمهم الأكبر مذحج، فقالوا المذحجي بدل النخعي !

ويكفي إثباتاً لهوى رواة السلطة أنهم نسبوا بطولات الأشتر وخالد بن سعيد وغيرهما الى أشخاص منهم ضرار بن الأزور الذي قتل قبل سنوات في اليمامة، فأحيوه ونسبوا اليه بطولات في اليرموك ومرج الصفر وأجنادين !

بل لو جمعنا أساطيرهم في بطولات ضرار بن الأزور لصارت جزءاً، لأنه مطيعٌ للسلطة، فينبغي أن يصل اليه راتبه ومخصصاته حتى بعد موته !

بينما قال في الطبقات:6/39: «وقاتل ضرار بن الأزور يوم اليمامة أشد القتال حتى قطعت ساقاه جميعاً، فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل وتطوءه الخيل، حتى غلبه الموت . قال محمد بن عمر(الواقدي): قال عبد الله بن جعفر: مكث ضرار بن الأزور باليمامة مجروحاً قبل أن يرحل خالد بن الوليد بيوم، فمات . وقد كان قال قصيدته التي على الميم . قال محمد بن عمر: وهذا أثبت عندنا من غيره».

وتأكيد الواقدي على وفاة ضرار في اليمامة، ينفي ما رواه الواقدي نفسه من بطولات ضرار في فتوح الشام، بل يوجب الشك في وقوع تغيير في كتابه !

قال ابن عساكر في تاريخ دمشق:24/383: «وقال محمد بن عمر (الواقدي): مكث ضـرار باليمامة مجروحاً، فقبل أن يرحل خالد بيوم مات ضرار، وقد قال قصيدته التي على الميم . قال محمد بن عمر: وهذا أثبت عندنا من غيره ».

وقال الحاكم:3/237، عن ضـرار: «شـهد يوم اليمامـة فقاتل أشـد القتال حتى قطعت ساقاه جميعاً، فجعل يجثو على ركبتيه ويقاتل، وتطأه الخيل حتى غلبه الموت ».

وقال ابن حجر في الإصابة:3/483، ونحوه تعجيل المنفعة/195: «واختلف في وفاته فقال الواقدي: استشهد باليمامة، وقال موسى بن عقبة: بأجنادين، وصـححه أبو نعيم . وقال أبو عروبـة الحراني: نزل حران ومات بها، ويقال شـهد اليرموك وفتح دمشق، ويقال مات بدمشق . فروى البخـاري في تـاريخه من طريق بن المبـارك عن كهمس عن هارون بن الأصم قال: جاء كتاب عمر وقـد توفي ضـرار فقال خالـد ما كان الله ليخزي ضـراراً .وأخرجه يعقوب بن سفيان مطولاً من هذا الوجه فقال: كان خالد بعث ضراراً في سرية، فأغاروا على حي من بني أسد فأخذوا امرأة جميلـة، فسأل ضـرار أصـحابه أن يهبوها له ففعلوا فوطأها ثم ندم فذكر ذلك لخالد فقال: قد طيبتها لك . فقال: لاحتى تكتب إلى عمر، فكتب: إرضـخه بالحجارة ! فجاء الكتاب وقد مات، فقال خالد: ما كان الله ليخزي ضـراراً . ويقال إنه الذي قتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليـد . ويقـال إنه ممن شـرب الخمر مع أبي جنـدب، فكتب فيهم أبو عبيـدة بن الجراح إلى عمر فكتب إليه ادعهـم فسـائلهم، فإن قالوا إنها حلال فاقتلهم، وإن زعموا أنها حرام فاجلدهم . ففعل فقالوا إنها حرام ».

ص: 415

وقال ابن عبد البر في الإستيعاب:2/747: «عن ابن شـهاب: قتل ضرار بن الأزور يوم أجنادين في خلافة أبي بكر . وقال غيره: توفي ضرار بن الأزور في خلافة عمر بالكوفة . وذكر الواقدي قال: قاتل ضـرار بن الأزور يوم اليمامة قتالاً شديداً حتى قطعت ساقاه جميعاً فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل وتطؤه الخيل، حتى غلبه الموت . وقـد قيل مكث ضـرار باليمامة مجروحاً ثم مات قبل أن يرتحل خالد بيوم . قال: وهذا أثبت عندي من غيره. وقد قيل مكث ضرار باليمامة مجروحاً ثم مات قبل أن يرتحل خالد بيوم . وهذا أثبت عندي من غيره».

فهؤلاء كبار علمائهم يقولون إن ضـراراً قتل في اليمامة قبل سـنين من فتح الشام، ومع ذلك نسـبوا اليه بطولات، بعضـها مكذوبٌ من أصله، وبعضها لغير الأشتر، وبعضها للأشتر، كقتل باهان أو ماهان، قائد جيوش هرقل !

وحتى لو صح قول ابن شهاب الزهري أن ضراراً لم يقتل في اليمامة، فقد قتل في أجنادين، وهي قبل اليرموك بسنة ! فكيف نسبوا له البطولات في اليرموك ؟!

وينبغي أن نختم هنا بسؤال: أين كان خالد بن الوليد وقادة الجيوش الأبطال عن مبارزة جرجيس والصقلار وماهان، وعندما انهزم المنهزمون ؟!

مالك الأشتر آية ربانية بشر بها النبي (صلى الله عليه و آله)

فقـد وعد أمير المؤمنين علي (عليه السـلام) بآية ربانية في معركة اليرموك هي مالك الأشتر رضـي الله عنه ! فعندما أرسل أبو عبيدة الى عمر يطلب المدد، فخاف عمر والصحابة وبكوا، قال لهم علي (عليه السلام) كما في رواية الواقدي(1/177): «أبشروا رحمكم

الله تعالى، فإن هـذه الوقعـة يكون فيها آية من آيات الله تعالى.. واعلموا أن هذه الوقعة هي التي ذكرها لي رسول الله (صـلى الله عليه و آله) التي يبقى ذكرها إلى الأبد».

وعندما برز ماهان وهو القائد العام لجيوش الروم، كان ينبغي أن يبرز اليه أحد قادة الجيوش: خالد، وأبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو العـاص، وشـرحبيل، لكنهم كـاعوا عنه وسـكتوا، وبرز اليه مالـك الأـشترفقتله، ثم برز اثنـان من قـادتهم فقتلهما، ثم حمل عليهم حملاته الحيدريـة فقتل ثمانية أو عشـرة من قادة الروم ! وكفى بذلك تأثيراً على جيش غربي يتصف بمركزية غليظة، تجعل الجندي يعتمد على قائده أكثر من اعتماده على نفسه .

فعندما رأوا نخبة قادتهم مجندلين وقع فيهم الرعب، فاغتنم تلك الفرصة المسلمون وحملوا عليهم، فانهزمت الروم أول هزيمة لهم يومها !

ويضاف الى الآية الربانية وهي بطولة الأشتر، عوامل أخرى كملت النعمة، وهي رعب الروم من المسـلمين الذين آمنوا بعمق بنبيهم (صـلى الله عليه و آله) ودينهم الجديد، فهم يحبون الموت بقدر ما يحب الروم الحياة !

ثم عادة الروم والفرس في الحرب، بربط جنود ببعضـهم بالسـلاسل حتى لايفروا، وقد أقنعوا جنودهم بأن ذلك علامة الشـجاعة والتضحية، فكان الخوف يسري من الجندي الى مجموعته !

إن المؤكـد أنه وقعت هزيمة ساحقة بالروم، لكن لايمكنك أن تقبل ما قاله رواة السـلطة في كيفيتها، فقد غيبوا فعل الأشتر، وجعلوا الهزيمة أسطورة لا

تقبل التصديق، فزعموا أن أكثر من مئة ألف جندي رومي رموا أنفسهم من الفزع في واد سحيق سموه الواقوصة، لأنهم وقصوا فيها وماتوا !

وكأن ما حدث عرس موت هستيري جماعي ليوم كامل، وهذا لا مثيل له في التاريخ، لأنه رميهم أنفسهم بخيولهم أو راجلين يحتاج الى يوم كامل !

أما سبب هذه المبالغة والأسطورة، فهو أولاً: ميل الناس الى العنتريات والإفتخار ! وثانياً: حرص الرواة والحكومات على إخفاء بطولة ثلاثين أو خمسين بطلاً، كانوا في مقدمة المسلمين، وتميزوا بحملاتهم الحيدرية، فقتلوا أبطال الروم وفرسانهم، واكتسحوا جنودهم، ونسفوا قواتهم!

فهل تريد من الرواة أن يقولوا إن فلاناً وفلاناً من شيعة علي بن أبي طالب وتلاميذه، غاصوا في أوساط الروم وقتلوا أصحاب الرايات، وجندلوا القادة والفرسان، فارتبكت صفوف الروم وأصيبوا بالرعب فحمل عليهم المسلمون بينما كان خالد وأبو عبيدة وعمرو العاص وابن أبي سفيان، في مؤخرة الناس !

فالأسهل لهم أن يقولوا إن خالداً وضرار بن الأزور والقعقاع بن عمرو حملوا على جيش الروم وكان مئات الألوف، فارتعب الروم ودفع بعضهم بعضاً، ورموا أنفسهم بخيولهم في وادٍ سحيق، فجزى الله خالداً وضراراً والقعقاع على بطولتهم، وجزى الله خيل الروم التي رمت بنفسها على خلاف طبيعتها ! وجزى الله الواقوصة فقد وقصت مئة ألف مقاتل، وجذبتهم اليها وابتلعتهم !

واليك بعض نصوصهم عن الهزيمة، ومبالغاتهم في بطولة خالد وأمثاله:

في تاريخ دمشق:2/161:«فتهافت في الواقوصة عشرون ألفاً ومائة ألف، ثلاثون ألفاً مقترن، وأربعون ألفاً مطلق، سوى من قتل في المعركة من الخيل والرجل».

قال الواقدي في فتوح الشام:1/166: «فلقيهم خالد بن الوليد فصاح في رجاله وقال: دونكم القوم فهذه علامة النصر. قال: فانتضى المسلمون السيوف ومدوا الرماح وحمل خالد بن الوليد، وحمل ضرار بن الأزور، والمرقال، وطلحة بن نوفل العامري، وزاهد بن الأسد، وعامر بن الطفيل، وابن أكال الدم، وغير هؤلاء من الفرسان المعدودين للبراز، فلم يكن للروم طاقة بهم فولوا منهزمين والمسلمون يقتلون ويأسرون حتى وصلوا إلى الأردن، فغرق منهم خلق كثير ».

أقول: أما خالد فكان لايحمل في الحرب في المقدمة أبداً، وأثبتنا في ترجمته وفي حرب اليمامة بأنه كان يقف آخر الناس . وأما ضرار بن الأزور فقتل في اليمامة قبل سنوات!

وأما عامر بن الطفيل فقتله جبلة بن الأيهم ملك غسان مبارزة، ثم قتل ابنه جندب مبارزة أيضاً. (الواقدي:1/210) .

وأما هاشم بن عتبة المرقال فهو ثاني مالك الأشتر رضي الله عنهما، ومن أبطال الشيعة، وقد أفلت من الراوي، فذكره .

وأما زاهد بن أسد، وطلحة بن نوفل العامري، وابن أكال الدم، فلم أجد لهم ذكراً عند أحد من المؤرخين، إلا الواقدي، وفي هذا المكان فقط !

فلا ندري من أين أتى بهم الواقدي، أو رواته، أو محرفوا كتابه !

ونلاحظ أن الرواية جعلت هؤلاء محور المعركة، وأشارت إشارة الى غيرهم من أبطال المسلمين، الذين هم أشجع منهم وأشد نكاية في العدو .

ص: 419

وقال الطبري:2/599: «عن رجال من أهل الشام ومن أشياخهم قالوا: لما كان اليوم الذي تأمَّر فيه خالد هزم الله الروم مع الليل، وصمد المسلمون العقبة وأصابوا ما في العسكر، وقتل الله صناديدهم ورؤوسهم وفرسانهم، وقتل الله أخا هرقل وأخذ التذارق .

وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دون مدينة حمص فارتحل، فجعل حمص بينه وبينهم وأمر عليها أميراً وخلفه فيها، كما كان أمر على دمشق، وأتبع المسلمون الروم حين هزموهم.. ولما صار إلى أبى عبيدة الأمر بعد الهزيمة نادى بالرحيل، وارتحل المسلمون بزحفهم، حتى وضعوا عساكرهم بمرج الصفر».

أقول: لاحظ أن الرواية قول أهل الشام أتباع معاوية، الذي تبنى خالداً، ثم تبنى ابنه عبد الرحمن وكان قائد جيشه، وكان أهل الشام يحبون عبد الرحمن، فطلبوا من معاوية أن يجعله ولي عهده بدل يزيد، فلما رأى معاوية تعلقهم به، دس الى طبيبه الرومي أثال أن يسمه فسمه، وكان أخوه المهاجر بن خالد وكان شيعياً صلباً، فجاء من مكة وقتل الطبيب، فحبسه معاوية، فقال له: قتلت المأمور وبقي الآمر !

ومهما يكن، فالرواية تريد إثبات منقبة كاذبة لخالد، فهي تقول: إنه لم يكن من القادة الأربعة، لكنه خلط جنوده الخمس مئة بجنودهم، ووعظهم وأقنعهم أن يكون كل منهم قائداً يوماً، وطلب أن يعطوه القيادة في اليوم الأول ! فأعطوه القيادة فحقق النصر، وانهزم الروم . وفي اليوم الثاني جاء دور أبي عبيدة في القيادة، فلم يكن له عمل إلا جمع الغنائم، والإنسحاب بالمسلمين المنتصرين !

ص: 420

مالك الأشتر وجماعته هم العباد الموعودون

مالك الأشتر وشيعة علي (عليه السلام)، هم العباد الموعودون، أولو البأس الشديد، فهم الذين فتحوا سوريا وفلسطين والقدس، لا زيد ولا عمرو!

قال الله تعالى: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأرض مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولا . ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا . إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا . عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا » .

وخلاصة معناها: حكمنا في القضاء المبرم لليهود أنكم ستفسدون في المجتمع البشري مرتين، وتستكبرون على الناس وتعلون علواً كبيراً مرة واحدة .

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا: وقت عقوبتكم على إفسادكم الأول على يد رسولنا (صلى الله عليه و آله) وأمته، أرسلنا عليكم عباداً لنا منهم، أصحاب قوة وبطش ينزلونه بكم .

فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولا: أي دخلوا فلسطين بسهولة، وجاس جنودهم بين البيوت يتعقبون المقاتلين من الروم وعملائهم اليهود .

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ: أي أعدنا لليهود الغلبة على هؤلاء المسلمين، وأعطيناكم أيها اليهود أموالاً وأولاداً، وجعلناكم أكثر منهم أنصاراً في العالم .

إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ: أي يستمر وضعكم على هذه الحال زمناً، فإن تبتم وعملتم خيراً فهو لكم، وإن أسأتم وطغيتم وعلوتم فهو لكم أيضاً .

ص: 421

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ: معناه أنكم ستُسيؤون، فنمهلكم إلى وقت العقوبة الثانية ونسلط عليكم نفس العباد فيسوؤوا وجوهكم، ثم يدخلوا المسجد الأقصى فاتحين، كما دخلوه أول مرة، ويسحقوا علوكم سحقاً .

عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا: أي لعل الله يرحمكم بعد العقوبة الثانية وإن عدتم إلى إفسادكم عاقبناكم ومنعناكم في الدنيا، ثم حصرناكم في الآخرة .

فتاريخ اليهود من بعد موسى (عليه السلام) إلى آخر حياتهم، يتلخص بإفسادهم في المرة الأولى، ثم عقوبتهم على يد المسلمين، ثم غلبتهم على المسلمين وكثرة أنصارهم في العالم، ثم علوهم، حتى يجئ وعد العقوبة الثانية على يد المسلمين أيضاً .

فالقوم المبعوثون عليهم في العقوبة الثانية، نفسهم المبعوثون في العقوبة الأولى وقد أخطأ كثير من المفسرين فجعلهم قومين !

وقد فسرتهم الأحاديث بأنهم هم أصحاب علي، وأصحاب المهدي (عليهما السلام) . (راجع المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي (عليه السلام) /640).

فالصحابي الجليل مالك الأشتر رضي الله عنه، هو الآية الربانية الموعودة على لسان النبي (صلى الله عليه و آله)، وهو ورفقاؤه الأبطال: العباد الموعودون الذين بعثهم الله على اليهود في المرة الأولى، فهزموهم في اليرموك بهزيمة سادتهم الروم، فانسحبوا من فلسطين وسوريا، ودخل المسلمون مدنها بما فيها القدس منتصرين، يجوسون خلال «الديار» ديار الروم واليهود بدون مقاومة .

ويعلم الله كم من بطولاتٍ في اليرموك أخفاها رواة السلطة، لخالد بن سعيد بن العاص وابنه، وإخوته، ولهاشم المرقال، ولسلمان، وأبي ذر، والمقداد،

وحذيفة، وأبي أمامة، وعبادة بن الصامت، وعشرات الأبطال الشيعة الذين رأينا منهم عجائب في المعارك الأخرى .

وقد كان مئات النخعيين الفرسان من هؤلاء العباد الموعودين، ولذلك حرص الأشتر رضي الله عنه على قيادتهم، وهو الزاهد في الدنيا ومناصبها !

قال سليمان بن موسى الكلاعي في كتابه الإكتفاء:3/272: «قال: وجاء الأشتر مالك بن الحارث النخعي فقال لأبي عبيدة: إعقد لي على قومي فعقد له، وكانت قصته مثل قصة الخثعمي، وذلك أنه أتى قومه وعليهم رجل منهم فخاصمهم الأشتر في الرياسة إلى أبي عبيدة، فدعا أبو عبيدة النخع فقال: أي هذين أرضى فيكم وأعجب إليكم أن يرأس عليكم؟ فقالوا: كلاهما شريف، وفينا رضاً، وعندنا ثقة. فقال أبو عبيدة: كيف أصنع بكما ؟ثم قال للأشتر: أين كنت حين عقدت لهذا الراية ؟ قال: كنت عند أمير المدينة، ثم أقبلت إليكم .

قال: فقدمت على هذا وهو رأس أصحابك؟ قال: نعم .

قال: فإنه لا ينبغي لك أن تخاصم ابن عمك وقد رضيت به جماعة قومك قبل قدومك عليهم . قال الأشتر: فإنه رضيٌّ شريف وأهلُ ذلك هو، وأنا أهل الرياسة فلتعقبني من رياسة قومي، فأليهم كما وليهم هذا .

فقال أبو عبيدة: أخروا ذلك حتى تكون هذه الوقعة، فإن استشهدتما جميعاً فما عند الله خير لكما، وإن هلك أحدكما وبقي الآخر كان الباقي منكما الرأس على قومه، وإن تبقيا جميعاً أعقبناك منه إن شاء الله .

قال الأشتر: فقد رضيت . فلما كانت الواقعة استشهد فيها رأس النخع الأول، فعقد أبو عبيدة للأشتر عند ذلك ».

أقول: يظهر أن قول الأشتر«كنت عند أمير المدينة» أن أميرة دمشق يزيد بن أبي سفيان. وتدل الرواية على أن السلطة كانت تعين رئيس القبيلة كما تدل الرواية على مكانة الأشتر في قبيلته، وأن النخع كانوا كثرة في معركة اليرموك وفتوح الشام، وقد ورد أن الأشتر طارد الروم الى حلب بثلاث مئة فارس من النخع . (الكلاعي:3/273).

وذكر ابن أبي شيبة (8/14) أنهم كانوا في القادسية ألفين وأربع مئة مقاتل، وقال: «كنت لا تشاء أن تسمع يوم القادسية: أنا الغلام النخعي، إلا سمعته».

هذا، وقد اعترف الجميع بأن شخصية مالك الأشتر كانت مميزة، ولذلك حسدوه ! فقد كان رضي الله عنه من شجعان العالم، قويَّ الروح والبنية، طويل القامة، وكان هو وعَديُّ بن حاتم: « يركب الفرس الجسام فتخط إبهاماه في الأرض» . (المحبر/113) .

وقد ترجمه الذهبي في سير أعلام النبلاء:4/34، ولم يستطع رغم أمويته ونصبه إلا ـ أن يمدحه فقال: «الأشتر: ملك العرب، مالك بن الحارث النخعي، أحد الأشراف والابطال المذكورين.. فقئت عينه يوم اليرموك . وكان شهماً مطاعاً.. ألب على عثمان وقاتله، وكان ذا فصاحة وبلاغة . شهد صفين مع علي، وتميز يومئذ وكاد أن يهزم معاوية، فحمل عليه أصحاب علي لما رأوا مصاحف جند الشام على الأسنة يدعون إلى كتاب الله، وما أمكنه مخالفة علي، فكف ».

وقال العلامة في الخلاصة/276: « قدس الله روحه ورضـي الله عنه، جليل القدر عظيم المنزلة، كان اختصاصه بعلي (عليه السـلام) أظهر من أن يخفى، وتأسف أمير المؤمنين (عليه السلام) لموته وقال: لقد كان لي كما كنت لرسول الله (صلى الله عليه و آله)) .

وقال السيد الخوئي:15/168: «لما نُعي الأشتر مالك بن الحارث النخعي إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) تأوه حزناً وقال: رحم الله مالكاً وما مالك، عزَّ عليَّ به هالكاً. لو كان صخراً لكان صلداً، ولو كان جبلاً لكان فنداً، وكأنه قُدَّ مني قَدّاً» !

وهو تعبير عجيب، لم يستعمله الإمام (عليه السلام) إلا في مالك الأشتر رضي الله عنه .

وروى الطبري:2/338 و597، أنه برز رجل من الروم في اليرموك، فقال: من يبارز؟فخرج إليه الأشتر فاختلفا ضـربتين فقال للرومي: خـذها وأنـا الغلامـ الأيـادي، فقـال الرومي: أكثر الله في قومي مثلـك ! أمـا والله لو لا أنك من قومي لآزرت الروم، فأما الآن فلا أعينهم ». وتاريخ دمشق:56/379 .

وفي الإكتفاء:3/287: «فقال الرومي: أكثر الله في قومي مثلك، أما والله لولا أنك من قومي لذدت عن الروم، فأما الآن فلا أعينهم» .

معنـاه أن هـذا البطـل الرومي غسـاني، وهم يرجعون مع النخع إلى أياد (معجم البكري:1/63) وقـد أعجب ذلك الفارس ببطولـة ابن عمه مالك النخعي الأيادي وعاهده أن لا يقاتل مع الروم ضد المسلمين، لأن ابن عمه مسلم !

هذا، وتستحق مناقب مالك وبطولاته أن تدون في كتاب مستقل، رضي الله عنه .

أبرزت السلطة غير الأشتر لطمس بطولاته !

إن مـا تقرؤه عن بطولاـت خالـد وضـرار وأمثالهمـا، تعويضٌ عن تغييب الأـشتر فلو جمعنـا الكلمـات التي أفلتت في مصادرهم عن بطولة الأشتر، لعرفنا أنه بطل اليرموك بلا منازع، وأنه هو الـذي حقق النصـر للمسـلمين وهزم الروم . وأن الأمـة مدينـة الى يومنا لهذا البطل والآية الربانية، الذي حرر سوريا والقدس !

قال الكلاعي في الإكتفاء:3/273: « وتوجه مع خالد في طلب الروم حين انهزموا فلما بلغوا ثنية العقاب من أرض دمشق وعليها جماعة من الروم عظيمـة، أقبلوا يرمون المسـلمين من فوقهم بالصـخر، فتقـدم إليهـم الأـشتر في رجال من المسـلمين وإذا أمام الروم رجل جسـيم من عظمائهم وأشدائهم، فوثب إليه الأشتر لما دنا منه فاسـتويا على صـخرة مسـتوية فاضـطربا بسـيفيهما فضرب الأشتر كتف الرومي فأطارها، وضربه الرومي بسيفه فلم يضره شيئاً، واعتنق كل واحد منهما صاحبه، ثم دفعه الأشتر من فوق الصخرة فوقعا منها، ثم تدحرجا والأشتر يقول وهما يتدحرجان: إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ . فلم يزل يقول هذا وهو في ذلـك ملاـزم العلـج لا يتركه حتى انتهيا إلى موضع مسـتو من الجبل، فلما اسـتقرا فيه وثب الأشتر على الرومي فقتله، ثم صاح في الناس أن جوزوا ! فلما رأت الروم أن صاحبهم قد قتله الأشتر خلوا سبيل العقبة للناس، ثم انهزموا » ! وتاريخ دمشق:56/379.

وروى الكلاعي:3/ 273:«عن الحسن بن عبـد الله أن الأشتر قال لأبي عبيـدة: إبعث معي خيلاً أتبع آثار القوم فإن عندي جزاء وغناء . فقال له أبو عبيدة: والله إنك

لخليق بكل خير، فبعثه في ثلاث مائـة فارس وقال له: لا تتباعـد في الطلب، وكن مني قريباً. فكان يغير على مسـيرة اليوم منه واليومين ونحو ذلك .

ثم إن أبا عبيدة دعا ميسرة بن مسروق فسرحه في ألفي فارس، فمضى في آثار الروم حتى قطع الدروب، وبلغ ذلك الأشتر فمضى حتى لحقه، فإذا ميسرة مواقف جمعاً من الروم أكثر من ثلاثين ألفاً، وكان ميسرة قد أشفق على من معه وخاف على نفسه وعلى أصحابه، فإنهم لكذلك إذ طلع عليه الأـشتر في ثلاث مائـة فارس من النخع، فلما رآهم أصـحاب ميسـرة كبروا وكبر الأشتر وأصـحابه وحمل عليهم من مكانه ذلك، وحمل ميسرة فهزموهم وركبوا رؤوسهم وأتبعتهم خيل المسلمين يقتلونهم، حتى انتهوا إلى موضع مرتفع من الأرض فعلوا فوقه وأقبل عظيم من عظمـائهم معه رجالـة كثيرة من رجالتهم، فجعلوا يرمون خيل المسـلمين من مكانهم المشـرف فإن خيل المسـلمين لمواقفتهم، إذ نزل رجل من الروم أحمر عظيم جسيم، فتعرض للمسلمين ليخرج إليه أحدهم ! قال: فوالله ما خرج إليه رجل منهم، فقال لهم الأشتر: أما منكم من أحـد يخرج لهـذا العلـج؟ فلم يتكلم أحـد ! قـال: فنزل الأشتر ثم خرج إليه، فمشـى كل واحـد منهما إلى صاحبه وعلى الأشتر الـدرع والمغفر، وعلى الرومي مثل ذلك، فلما دنا كل واحـد منهما من صاحبه شد الأشتر عليه فاضـطربا بسـيفيهما فوقع سـيف الرومي على هامة الأشتر فقطع المغفر وأسرع السيف في رأسه، حتى كاد ينشب في العظم، ووقعت ضربة الأشتر على عاتق الرومي فلم تقطع شيئاً من الرومي إلا أنه ضربه ضربة شديدة أوهنت الرومي، وأثقلت عاتقه، ثم تحاجزا فلما

رأى الأشتر أن سيفه لم يصنع شيئاً انصرف فمشى على هيئته، حتى أتى الصف وقد سال الدم على لحيته ووجهه فقال: أخزى الله هذا سيفاً، وجاءه أصحابه فقال علي بشئ من حناء، فأتوه به من ساعته، فوضعه على جرحه ثم عصبه بالخرق، ثم حرك لحيته وضرب أضراسه بعضها ببعض، ثم قال: ما أشد لحيتي ورأسي وأضراسي.وقال لابن عم له: أمسك سيفي هذا وأعطني سيفك، فقال: دع لي سيفي رحمك الله، فإني لا ـ أدري لعلي أحتاج إليه، فقال: أعطنيه ولك أم النعمان يعني ابنته . فأعطاه إياه، فذهب ليعود إلى الرومي فقال له قومه: ننشدك الله ألا تتعرض لهذا العلج فقال: والله لأخرجن إليه فليقتلني أو لأقتلنه فتركوه فخرج إليه، فلما دنا منه شد عليه وهو شديد الحنق، فاضطربا بسيفيهما فضربه الأشتر على عاتقه فقطع ما عليه حتى خالط السيف رئته، ووقعت ضربة الرومي على عاتق الأشتر فقطعت الدرع ثم انتهت ولم تضره شيئاً، ووقع الرومي ميتاً وكبر المسلمون، ثم حملوا على صف رجالة الروم، فجعلوا يتنقضون ويرمون المسلمين وهم من فوق، فما زالوا كذلك حتى أمسوا وحال بينهم الليل وباتوا ليلتهم يتحارسون . فلما أصبحوا أصبحت الأرض من الروم بلاقع، فارتحل الأشتر منصرفاً بأصحابه ».

وقد وصف ابن العديم في تاريخ حلب:1/569، توغل الأشتر في بلاد الروم، يطارد جيشهم وأمبراطورهم..ثم ذكر فرار هرقل من أنطاكية مودعاً لها، قال: «فقال: السلام عليك ياسورية، سلام مودع لا يرى أنه يرجع إليك أبداً ».

ص: 428

وفي تاريخ حلب:1/156: «وأول من قطع جبل اللكام وصار إلى المصيصة: مالك بن الحارث الأشتر النخعي، من قبل أبي عبيدة بن الجراح » .

وتقع المصيصة بعد الإسكندرونة بأكثر من مئة كيلو متر . وتبعد عن دمشق نحو500 كم.

وذكر البلاذري في فتوحه:1/194، أن مالك الأشتر كان قائداً في فتح أنطاكية .

وذكر البلاذري:1/630 أن أبا ذر والأشتر قادا محاصرة مدينة ساحلية..الخ.

وذكر في:1/302، وما بعدها كيف خطط مالك لفتح حلب، ثم كيف فتح حصن عزار، واستخلف عليه سعيد بن عمرو الغنوي، ورجع الى أبي عبيدة، فكتب أبو عبيدة الى عمر بالنصر».

وفي تاريخ اليعقوبي:2/141، أن أبا عبيدة أرسل الأشتر الى: «جمع إلى الروم، وقد قطعوا الدرب، فقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم انصرف وقد عافاه الله وأصحابه».

وقال الواقدي:1/462، في فتح الموصل: « والتقى مالك الأشتر بيورنيك الأرمني فلما عاين زيه علم أنه من ملوكهم، فطعنه في صدره فأخرج السنان من ظهره».

وقال ابن الأعثم:1/258، في فتح آمد وميافارقين في تركية: « ثم أرسل عياض مالك الأشتر النخعي وأعطاه ألف فارس، وأرسله إلى ناحية آمد وميافارقين، وحين وصل مالك مع الجيش إلى آمد تبين له أن القلعة حصينة جداً فأخذ يفكر بالأمر وأن مقامه سيطول هناك، ولما اقترب من آمد وعاين بنفسه قوة الحصن، أمر الجيش بأن يكبروا معاً تكبيرة واحدة بأعلى صوت ! فخاف أهل آمد وتزلزلت أقدامهم وظنوا أن المسلمين يبلغون عشرة آلاف، وأنهم لا قِبَلَ لهم بحربهم، فأرسلوا شخصاً إلى الأشتر فأجابهم الأشتر إلى الصلح، وتقرر أن

يـدفعوا خمسـة آلاف دينار نقـداً، وعلى كل رجل أربعة دنانير جزية، ورضـي حاكم البلد بهذا الصـلح وفتحوا الأبواب ودخلها المسـلمون صباح يوم الجمعة، فطافوا فيها ساعة ثم خرجوا، وأقاموا على بوابة البلدة » .

بانتصار المسلمين في اليرموك تحررت سوريا والقدس

فقد انهزم هرقل في اليرموك ببطولة الأشتر ورفاقه رضي الله عنهم، وتحررت مدن سوريا وفلسطين حتى القدس .

روى الكلاعي: 3/271، عن عبد الله بن قرط: «أن أول من جاء ملكهم بالهزيمة رجل منهم فقال له: ما وراءك ؟ قال خير أيها الملك هزمهم الله وأهلكهم، يعني المسلمين قال: ففرح بـذلك من حوله وسـروا ورفعوا أصواتهم فقال لهم ملكهم: ويحكم هذا كاذب، وهل ترون هيئة هـذا إلا ـ هيئـة منهزم، سـلوه ما جاء به، فلعمري ما هو ببريـد ولو لـم يكن هـذا منهزماً ما كان ينبغي له أن يكون إلا مع أميره مقيماً ! فما كان بأسـرع من أن جـاء آخر فقـال له: ويحـك ما وراءك؟ فقال: هزم الله العـدو وأهلكهم. قال له هرقل:فإن كان الله أهلكهم فما جاء بك! وفرح أصـحابه وقالوا: صـدقك أيها الملك. فقال لهم: ويحكم أتخادعون أنفسـكم! إن هؤلاء والله لو كانوا ظهروا أو ظفروا، ما جاؤوكم على متون خيولهم يركضون، ولسبقهم البريد والبشرى .

قال: فإنهم لكـذلك إذ طلع عليهم رجل من العرب من تنوخ على فرس له عربية يقال له حذيفة بن عمرو، وكان نصـرانياً فقال قيصـر: ما أظن خبر السؤال إلا عند هذا، فلما دنا منه قال له: ما عندك؟ قال: الشر .

قال: وجهك الذي بشرنا بالشر، ثم نظر إلى أصحابه فقال خبر سوء، جاء به رجل سوء، من قوم سوء !

فإنهم لكذلك إذ جاءه رجل من عظماء الروم، فقال له الملك: ما وراءك؟ قال: الشر، هزمنا ! قال فما فعل أميركم باهان ؟ قال: قتل . قال: فما فعل فلان وفلان يسمي له عدداً من أمرائه وبطارقته وفرسانه؟فقال: قتلوا .

فقال له: لكنك والله أنت وفلان يسمي له عدداً من أمرائه وبطارقته وفرسانه فقال: قتلوا ! فقال له: لكنك والله أنت أخبث وألأم وأكفر من أن تذب عن دين أو تقاتل على دنيا، ثم قال لشرطه أنزلوه فأنزلوه فجاؤوا به فقال له: ألست كنت أشد الناس عليَّ في أمر محمد نبي العرب، حين جاءني كتابه ورسوله، وكنت قد أردت أن أجيبه إلى ما دعاني إليه وأدخل في دينه، فكنت أنت من أشد الناس عليَّ حتى تركت ما أردت من ذلك ! فهلا قاتلت الآن قوم محمد وأصحابه دون سلطاني، وعلى قدر ما كنت لقيت منك إذ منعتني من الدخول في دينه: إضربوا عنقه . فقدموه فضربوا عنقه .

ثم نادى في أصحابه بالرحيل راجعاً إلى القسطنطينية، فلما خرج من الشام وأشرف على أرض الروم استقبل الشام فقال: السلام عليك يا سورية، سلام مودع لا يرى أنه يرجع إليك أبداً ! ثم قال: ويحك أرضا ما أنفعك لعدوك لكثرة ما فيك من العشب والخصب والخير» !

وقال البلاذري:1/162: «قالوا: ولما بلغ هرقل خبر أهل اليرموك وإيقاع المسلمين بجنده هرب من أنطاكية إلى قسطنطينية . فلما جاوز الدرب قال: عليك يا

سورية السلام ! ونعم البلد هذا للعدو . يعنى أرض الشام لكثرة مراعيها . وكانت وقعة اليرموك في رجب سنة خمس عشرة» .

أقول: بمجرد هزيمة الروم في اليرموك قرر هرقل الإنسحاب الكامل من سوريا وفلسطين ومصر وقبرص، وفتحت كل مدنها أمام المسلمين، فلم تحتج الى قتال، بل كان يكفي أن يذهب الى أي مدينة رسول بكتاب من القائد العام أبي عبيدة، أو يطلب حضورهم فيأتونه ليكتب معهم عهد صلح ويقبلوا بالجزية التي هي ضريبة سنوية .

وكل ما رواه الرواة من معارك بعد اليرموك، فإما أن يكون معركة صغيرة أو مناوشات مع حاميات غير رومية، وقد ضخمها الرواة ليثبتوا بطولات لخالد بن الوليد وعمرو العاص وأمثالهم، وغالباً ما تكون المعركة من أصلها مكذوبة .

وكذلك ما رووه من معارك في فتح القدس، وفتح قبرص، ومصر ! وما أسهل أن تكشف كذب الرواة إذا بحثت عن الجيش الذي قاتلوه، فلا تجد جندياً رومياً واحداً !

أما مجئ عمر بن الخطاب الى القدس فكان رغبة منه لزيارتها، وكان تشريفياً لم تكن فيه معركة، وحتى عهد الصلح الذي كتبه لأهلها، كان إضافة لعهد أبي عبيدة .

صورة كلية لفتح مصر

أثبتنا في ترجمة عمرو العاص أن مصر فتحت صلحاً بدون أي قتال، وأن عمروالعاص اخترع واخترعوا له معارك في فتح مصر، مع أنه لم يكن فيها جيش رومي، والروم الذين بقوا في مصركانوا سكاناً لا مقاتلين .

وأهل مصر الأقباط قرروا أن يصالحوا المسلمين ولا يحاربوهم، وتحملوا بسبب ذلك غضب هرقل .

إن حقيقة فتح مصرأن هرقل بعد هزيمته في معارك فلسطين والشام، وفيأثنائها سحب منها جيشه، فدخلها عمرو العاص في ثلاثة آلاف وخمس مئة رجل، واستقبله ملكها المقوقس ووقَّع معه عهد الصلح على أن يدفع مبلغاً فعلاً، ويدفع عن كل مصري دينارين سنوياً .

وقد تم ذلك بدون ضربة سيف ولاسوط، وحكم المسلمون مصر بدل الروم، وأخذوا يديرونها ويأتون اليها للسكنى .

يدل على ذلك:

أولاً: أن أهل مصر الأقباط رأوا أنه لاقدرة لهم بمقاومة المسلمين فقرروا أن يصالحوهم ولا يقاتلوهم، وكان موقفهم هذا معروفاً للمسلمين، وقد ذكره عمرو بن العاص نفسه لعمر بن الخطاب ليقنعه بغزو مصر.

ص: 433

قال ابن الحكم المصري في كتابه: فتوح مصر/131: «قال يا أمير المؤمنين إيذن لي أن أسـير إلى مصر، وحرضه عليها وقال: إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم، وهي أكثر الأرض أموالاً وأعجزها عن القتال والحرب .

فتخوف عمر بن الخطـاب على المسـلمين وكره ذلـك، فلم يزل عمرو يعظم أمرها عنـد عمر بن الخطاب ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها، حـتى ركـن عمر لـذلك، فعقـد لـه على أربعـة آلاف رجـل كلهـم مـن عـكّ، ويقـال بـل ثلاثـة آلاف وخمس مائـة». ونحـوه في تـاريخ اليعقوبي:2/147، وغيره من المصادر .

ثانياً: كان هذا الموقف متفقاً عليه بين المصريين، ففي تاريخ الطبري:3/199: «لما نزل عمرو على القوم بعين شمس وكان الملك بين القبط والنوب، ونزل معه الزبير عليها، قال أهل مصر لملكهم: ما تريد إلى قوم فلُّوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم، صالِحِ القومَ واعتقد منهم (أبرم عقداً معهم) ولا تَعْرُض لهم، ولا تُعرضنا لهم، وذلك في اليوم الرابع، فأبى وناهدوهم فقاتلوهم، وارتقى الزبير سورها فلما أحسوه فتحوا الباب لعمرو وخرجوا إليه مصالحين، فقبل منهم ونزل الزبير عليهم عنوة، حتى خرج على عمرو من الباب معهم، فاعتقـدوا بعـد ما أشـرفوا على الهلكة، فأجروا ما أخذوا عنوة مجرى ما صالح عليه، فصاروا ذمة ». والإكتفاء للكلاعي:4/34، والطبري طبعة أخرى:2/514 .

وفي فتوح مصر وأخبارها/136: «وكان بالإسـكندرية أسـقف للقبط يقال له أبو ميامين، فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر كتب إلى القبط، يعلمهم أنه لا تكون للروم دولة، وأن ملكهم قد انقطع، ويأمرهم بتلقي عمرو، فيقال أن

القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعواناً.. ثم توجه عمرو لا يدافع إلا بالأمر الخفيف، حتى نزل القواصر ..

سمع رجلاً من لخم يحدث..كنت أرعى غنماً لأهلي بالقواصر، فنزل عمرو ومن معه، فدنوت إلى أقرب منازلهم، فإذا بنفر من القبط فكنت قريباً منهم، فقال بعضهم لبعض: ألا تعجبون من هؤلاء القوم يُقْدِمون على جموع الروم، وإنما هم قلة من الناس ! فأجابه رجل آخر منهم فقال: إن هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه».

ثالثاً: روى المؤرخون نص عقد الصلح، وغضب الروم منه وإصرار الأقباط عليه، ففي كتاب فتوح مصر وأخبارها، للمؤرخ المصري المتوفى257هجرية، قال في/152: «وشرط المقوقس للروم أن يخُيَّروا، فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك، لازماً له مفترضاً عليه، ممن أقام بالإسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها، ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج، وعلى أن للمقوقس الخيار في الروم خاصة، حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل، فإن قبل ذلك ورضيه جاز عليهم، وإلا كانوا جميعاً على ما كانوا عليه، وكتبوا به كتاباً.

وكتب المقوقس إلى ملك الروم كتاباً يعلمه على وجه الأمر كله، فكتب إليه ملك الروم يُقَبِّحُ رأيه ويُعَجِّزُه ويَرُدُّ عليه ما فعل، ويقول في كتابه إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفاً وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى، فإن كان القبط كرهوا القتال، وأحبوا أداء الجزية إلى العرب، واختاروهم علينا، فإن عندك من بمصر من الروم، وبالإسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف،

ص: 435

معهم السلاح والعدة والقوة، والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت، فعجزت عن قتالهم ورضيت أن تكون أنت ومن معك من الروم في حال القبط أذلاء، إلا تقاتلهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت، أو تظهر عليهم، فإنهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم، كأكْلة ! فناهضهم القتال ولا يكون لك رأي غير ذلك . وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتاباً إلى جماعة الروم !

فقال المقوقس لما أتاه كتاب ملك الروم: والله إنهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا، وإن الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا، وذلك أنهم قوم الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، يقاتل الرجل منهم وهو مستقتل يتمنى أن لا يرجع إلى أهله ولا بلده ولا ولده، ويرون أن لهم أجراً عظيماً فيمن قتلوه منا، ويقولون إنهم إن قتلوا دخلوا الجنة وليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذة إلا على قدر بلغة العيش من الطعام واللباس، ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها، فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم !

واعلموا معشر الروم والله إني لا ـ أخرج مما دخلت فيه، ولا ـ مما صالحت العرب عليه، وإني لأعلم أنكم سترجعون غداً إلى رأيي وقولي، وتتمنون أن لو كنتم أطعتموني ! وذلك أني قد عاينت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه ! ويْحكم ! أما يرضى أحدكم أن يكون آمناً في دهره على نفسه وماله وولده بدينارين في السنة !

ثم أقبل المقوقس إلى عمرو بن العاص فقال له: إن الملك قد كره ما فعلتُ وعجَّزني، وكتب إليَّ وإلى جماعة الروم أن لا نرضى بمصالحتكم، وأمرهم بقتالكم حتى يظفروا بك أو تظفر بهم. ولم أكن لأخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه، وإنما سلطاني على نفسي ومن أطاعني، وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم، ولم يأت من قبلهم نقض، وأنا متم لك على نفسي، والقبط متمون لك على الصلح الذي صالحتهم عليه وعاقدتهم . وأما الروم فإني منهم برئ، وأنا أطلب إليك أن تعطيني ثلاث خصال . فقال له عمرو: ما هن؟ قال: لا تنقض بالقبط، وأدخلني معهم وألزمني ما ألزمتهم، وقد اجتمعت كلمتي وكلمتهم على ما عاهدتك عليه، فهم متمون لك على ما تحب .

وأما الثانية، فإن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلاتصالحهم حتى تجعلهم فيئاً وعبيداً، فإنهم أهل ذلك، فإني نصحتهم فاستغشوني، ونظرت لهم فاتهموني. وأما الثالثة، أطلب إليك إن أنا متُّ أن تأمرهم أن يدفنوني في كنيسة أبي يحنس بالإسكندرية .

فأنعم له عمرو بن العاص بذلك وأجابه إلى ما طلب، على أن يضمنوا له الجسرين جميعاً، ويقيموا له الأنزال والضيافة والأسواق والجسور، ما بين الفسطاط إلى الإسكندرية، ففعلوا، وصارت القبط أعواناً للمسلمين على الروم » . ونهاية الإرب:19/301.

إن أي عاقل يقرأ هذه الحقائق، لايمكنه أن يقبل ما ادعاه عمرو بن العاص ورواة السلطة، من معارك مخترعة، وبطولات مكذوبة، في فتح مصر !

وإني لأعجب لبعض الباحثين، كيف يمتهن عقله، فيسرد تلك المعارك والبطولات على أنها أحداث وقعت في فتح مصر، مع القبط أو الروم !

من هذه المعارك المزعومة مع الروم قولهم:

«وكان بالإسكندرية فيما أحصي من الحمامات اثنا عشر ألف ديماس (حمَّام) أصغر ديماس منها يسع ألف مجلس، كل مجلس منها يسع جماعة نفر، وكان عدة من بالإسكندرية من الروم مائتي ألف من الرجال، فلحق بأرض الروم أهل القوة وركبوا السفن، وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار، فحمل فيها ثلاثون ألفاً مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والأهل، وبقي من بقي الأسارى ممن بلغ الخراج، فأحصي يومئذ ست مائة ألف سوى النساء والصبيان، فاختلف الناس على عمرو في قسمها، وكان أكثر الناس يريدون قسمها، فقال عمرو: لا أقدر على قسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب إليه كتاباً يعلمه بفتحها وشأنها، ويعلمه أن المسلمين طلبوا قَسْمها. فكتب إليه عمر: لاتقسمها وذرهم يكون خراجهم فيئاً للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم . فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج، فكانت مصر صلحاً كلها بفريضة دينارين دينارين على كل رجل، لا يزاد على أحد منهم في جزية رأسه أكثر من دينارين، إلا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الأرض والزرع، إلا أهل الإسكندرية فإنهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليَهم، لأن الإسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد، ولم يكن صلح ولا ذمة وقد كانت قرى من قرى مصر». (فتوح مصر وأخبارها/167).

ص: 438

بينما قالت رواية ثانية في/163: «ويقال إن عمرو بن العاص استشار مسلمة بن مخلد كما حدثنا عثمان بن صالح عن من حدثه فقال أشر علي في قتال هؤلاء؟ فقال له مسلمة: أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) فتعقد له على الناس، فيكون هو الذي يباشر القتال ويكفيكه . قال عمرو: ومن ذلك؟ قال: عبادة بن الصامت، فدعا عمروعبادة فأتاه وهو راكب على فرسه فلما دنا منه أراد النزول، فقال له عمرو: عزمت عليك إن نزلت، ناولني سنان رمحك فناوله إياه، فنزع عمرو عمامته عن رأسه وعقد له، وولاه قتال الروم فتقدم عبادة مكانه فصافَّ الروم وقاتلهم، ففتح الله على يديه الإسكندرية من يومهم ذلك . حدثنا أبو عبد الله بن عبد الحكم قال: لما أبطأ على عمرو بن العاص فتح الإسكندرية، استلقى على ظهره ثم جلس ثم قال: إني فكرت في هذا الأمر، فإذا هو لا يصلح آخره إلا من أصلح أوله يريد الأنصار، فدعا عبادة بن الصامت فعقد له، ففتح الله على يديه الإسكندرية ».

وخالفتها رواية ثالثة في/161، فاخترعت بطولة لعمرو تعتمد على الحيلة: «ثم اشتد القتال حتى اقتحموا حصن الإسكندرية، فقاتلتهم العرب في الحصن، ثم جاشت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعاً من الحصن، إلا أربعة نفر بقوا في الحصن وأغلقوا عليهم باب الحصن، أحدهم عمرو بن العاص، والآخر مسلمة بن مخلد، ولم نحفظ الآخرين، وحالوا بينهم وبين أصحابهم، ولايدري الروم من هم، فما رأى ذلك عمرو بن العاص وأصحابه التجأوا إلى ديماس من حماماتهم، فدخلوا فيه فاحترزوا به، فأمروا رومياً أن يكلمهم بالعربية فقال لهم: إنكم قد صرتم بأيدينا أسارى فاستأسروا ولا تقتلوا أنفسكم، فامتنعوا

عليهم ثم قال لهم: إن في أيدي أصحابكم منا رجالاً أسروهم ونحن نعطيكم العهود نفادي بكم أصحابنا ولا نقتلكم، فأبوا عليهم، فلما رأى الرومي ذلك منهم قال لهم: هل لكم إلى خصلة وهي نصف فيما بيننا وبينكم، أن تعطونا العهد ونعطيكم مثله على أن يبرز منكم رجل ومنا رجل، فإن غلب صاحبنا صاحبكم استأسرتم لنا وأمكنتم من أنفسكم، وإن غلب صاحبكم صاحبنا خلينا سبيلكم إلى أصحابكم، فرضوا بذلك وتعاهدوا عليه، وعمرو ومسلمة وصاحباهما في الحصن في الديماس، فتداعوا إلى البراز فبرز رجل من الروم، قد وثقت الروم بنجدته وشدته، وقالوا يبرز رجل منكم لصاحبنا، فأراد عمرو أن يبرز فمنعه مسلمة وقال: ما هذا تخطئ مرتين، تشذ من أصحابك وأنت أمير، وإنما قوامهم بك وقلوبهم معلقة نحوك، لايدرون ما أمرك، ثم لا ترضى حتى تبارز وتتعرض للقتل، فإن قتلت كان ذلك بلاء على أصحابك مكانك وأنا أكفيك إن شاء الله تعالى. فقال عمرو: دونك فربما فرجها الله بك فبرز مسلمة والرومي فتجاولا ساعة، ثم أعانه الله عليه فقتله فكبر مسلمة وأصحابه، ووفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه، ففتحوا لهم باب الحصن، فخرجوا ولا يدري الروم أن أمير القوم فيهم حتى بلغهم، بعد ذلك فأسفوا على ذلك، وأكلوا أيديهم تغيضاً على ما فاتهم، فلما خرجوا استحيا عمرو مما كان قال لمسلمة حين غضب، فقال عمرو عند ذلك:أستغفر لي ما كنت قلت لك فاستغفر له، وقال عمرو والله ما أفحشت قط إلا ثلاث مرار مرتين في الجاهلية وهذه الثالثة وما منهن مرة إلا وقد ندمت وما استحييت من واحدة منهن أشد مما استحييت مما قلت لك» !

والصحيح أن الإسكندرية فتحت صلحاً بلا قتال، وأن عَمْراً ادعى بعد خمس سنين أن أهلها نقضوا الصلح، فغزاهم وسبى منهم، فكذبه الخليفة عثمان، وأمره برد السبي والأموال التي أخذها، وقالوا إنه عزله بسبب ذلك، كما بينا في ترجمة عمرو !

إن أي عاقل يقرأ هذه الحقائق، لايمكنه أن يقبل ما ادعاه عمرو بن العاص ورواة السلطة، من معارك مخترعة، وبطولات مكذوبة، في فتح مصر !

وإني لأعجب لبعض الباحثين، كيف يمتهن عقله، فيسرد تلك المعارك والبطولات على أنها أحداث وقعت في فتح مصر، مع القبط أو الروم !

ومن هذه المعارك المزعومة مع الروم قولهم:

«وكان بالإسكندرية فيما أحصي من الحمامات اثنا عشر ألف ديماس (حمَّام) أصغر ديماس منها يسع ألف مجلس، كل مجلس منها يسع جماعة نفر، وكان عدة من بالإسكندرية من الروم مائتي ألف من الرجال، فلحق بأرض الروم أهل القوة وركبوا السفن، وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار، فحمل فيها ثلاثون ألفاً مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والأهل، وبقي من بقي الأسارى ممن بلغ الخراج، فأحصي يومئذ ست مائة ألف سوى النساء والصبيان، فاختلف الناس على عمرو في قسمها، وكان أكثر الناس يريدون قسمها، فقال عمرو: لا أقدر على قسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب إليه كتاباً يعلمه بفتحها وشأنها، ويعلمه أن المسلمين طلبوا قَسْمها. فكتب إليه عمر: لاتقسمها وذرهم يكون خراجهم فيئاً للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم . فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج، فكانت مصر صلحاً كلها بفريضة دينارين دينارين على كل رجل، لا يزاد على أحد منهم في جزية رأسه أكثر من

دينـارين، إلا ـ أنه يلزم بقـدر ما يتوسع فيه من الأرض والزرع، إلا أهل الإسـكندرية فإنهم كانوا يؤدون الخراج والجزيـة على قـدر ما يرى من وليَهـم، لأ ـن الإسـكندرية فتحت عنـوة بغير عهـد ولا ـ عقـد، ولـم يكن صـلح ولا ـ ذمـة وقـد كـانت قرى من قرى مصـر». (فتـوح مصـر وأخبارها/167).

بينما قالت رواية ثانية في/163: «ويقال إن عمرو بن العاص اسـتشار مسـلمة بن مخلد كما حدثنا عثمان بن صالح عن من حدثه فقال أشـر علي في قتال هؤلاء؟ فقال له مسـلمة: أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) فتعقد له على الناس، فيكون هو الذي يباشـر القتال ويكفيكه . قال عمرو: ومن ذلك؟ قال: عبادة بن الصامت، فدعا عمروعبادة فأتاه وهو راكب على فرسـه فلما دنا منه أراد النزول، فقال له عمرو: عزمت عليك إن نزلت، ناولني سـنان رمحك فناوله إياه، فنزع عمرو عمامته عن رأسه وعقد له، وولاه قتال الروم فتقدم عبادة مكانه فصافَّ الروم وقاتلهم، ففتح الله على يديه الإسكندرية من يومهم ذلك . حدثنا أبو عبد الله بن عبد الحكم قال: لما أبطأ على عمرو بن العاص فتح الإسـكندرية، اسـتلقى على ظهره ثم جلس ثم قال: إني فكرت في هذا الأمر، فإذا هو لا يصـلح آخره إلا من أصلح أوله يريد الأنصار، فدعا عبادة بن الصامت فعقد له، ففتح الله على يديه الإسكندرية ».

وخالفتها روايـة ثالثة في/161، فاخترعت بطولـة لعمرو تعتمـد على الحيلـة: «ثم اشـتد القتال حتى اقتحموا حصن الإسـكندرية، فقاتلتهم العرب في الحصن، ثم جاشت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعاً من الحصن، إلا أربعة نفر بقوا في

الحصـن وأغلقـوا عليهم بـاب الحصن، أحـدهم عمرو بن العـاص، والآـخر مسـلمة بن مخلـد، ولم نحفـظ الآـخرين، وحـالوا بينهم وبين أصـحابهم، ولا يـدري الروم من هم، فمـا رأى ذلك عمرو بن العاص وأصـحابه التجأوا إلى ديماس من حماماتهم، فـدخلوا فيه فاحترزوا به، فأمروا رومياً أن يكلمهم بالعربية فقال لهم: إنكم قد صـرتم بأيدينا أسارى فاستأسـروا ولا تقتلوا أنفسـكم، فامتنعوا عليهم ثم قال لهم: إن في أيـدي أصـحابكم منـا رجالاً أسـروهم ونحن نعطيكم العهود نفادي بكم أصـحابنا ولا نقتلكم، فأبوا عليهم، فلما رأى الرومي ذلك منهم قال لهم: هـل لكم إلى خصـلة وهي نصف فيمـا بيننـا وبينكم، أن تعطونـا العهـد ونعطيكم مثله على أن يبرز منكم رجل ومنا رجل، فإن غلب صاحبنا صاحبكم استأسـرتم لنا وأمكنتم من أنفسـكم، وإن غلب صاحبكم صاحبنا خلينا سبيلكم إلى أصـحابكم، فرضوا بـذلك وتعاهدوا عليه، وعمرو ومسـلمة وصاحباهما في الحصن في الـديماس، فتـداعوا إلى البراز فبرز رجل من الروم، قد وثقت الروم بنجدته وشدته، وقالوا يبرز رجل منكم لصاحبنا، فأراد عمرو أن يبرز فمنعه مسـلمة وقال: ما هـذا تخطئ مرتين، تشـذ من أصـحابك وأنت أمير، وإنما قوامهم بك وقلوبهم معلقـة نحوك، لا يـدرون مـا أمرك، ثم لا ـ ترضـى حتى تبـارز وتتعرض للقتل، فإن قتلت كان ذلك بلاء على أصـحابك مكانك وأنا أكفيك إن شاء الله تعالى. فقال عمرو: دونك فربما فرجها الله بك فبرز مسـلمة والرومي فتجاولا ساعة، ثم أعانه الله عليه فقتله فكبر مسـلمة وأصـحابه، ووفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه، ففتحوا لهم باب الحصن، فخرجوا ولا يدري الروم أن أمير القوم فيهم حتى بلغهم، بعد ذلك فأسفوا على ذلك، وأكلوا أيديهم تغيضاً على ما فاتهم، فلما خرجوا استحيا عمرو مما كان قال لمسلمة حين

غضب، فقال عمرو عند ذلك: أستغفر لي ما كنت قلت لك فاستغفر له، وقال عمرو والله ما أفحشت قط إلا ثلاث مرار مرتين في الجاهلية وهذه الثالثة وما منهن مرة إلا وقد ندمت وما استحييت من واحدة منهن أشد مما استحييت مما قلت لك» !

والصحيح أن الإسكندرية فتحت صلحاً بلا قتال، وقد ادعى عمرو بعد خمس سنين أن أهلها نقضوا الصلح، فغزاهم وسبى منهم، فكذبه الخليفة عثمان، وأمره برد السبي والأموال التي أخذها، وقالوا إنه عزله بسبب ذلك، كما بينا في ترجمة عمرو !

(تم المجلد الأول من كتاب: قراءة جديدة في الفتوحات الإسلامية . ويليه المجلد الثاني في ترجمة نماذج من الذين ادعت لهم السلطة بطولة الفتوحات، ونماذج من الأبطال الحقيقيين).

فهرس موضوعات المجلد الأول

مقدمة3

الفصل الأول: التأصيل القانوني والشرعي للفتوحات

(1) هل يأذن الله تعالى باحتلال بلادالغير؟21

(2) الفتوحات حق للمأذونين بدعوة الناس الى الله تعالى22

(3) أعطى الله تعالى ملكيةالأرض لآدم والأنبياء (عليهم السلام) ؟25

(4)الفتوحات حق لأصحاب الولاية العامة على العباد 27

(5) نصو مؤيدة لهذا الرأي36

(6) إذن المعصوم في الفتوحات لا يعطي شرعية للحاكم 47

(7) موقف أمير المؤمنين (عليه السلام) من نظام الحكم بعد النبي (صلى الله عليه و آله) 48

(8) عناصر موقف علي (عليه السلام) من نظام الخلافة القرشية54

(9) مشاركةعلي (عليه السلام) بالفتوح لاتُحَمِّلُهُ مظالم الفاتحين 61

الفصل الثاني: تمهيدات ربانية للفتوحات الإسلامية

الدولتان الكبريان:الروم وفارس71

رسالة النبي (صلى الله عليه و آله) الى هرقل82

رسالة النبي (صلى الله عليه و آله) الى كسرى88

بشر النبي (صلى الله عليه و آله) بانهيار أمبراطورية الفرس؟ 91

كسرى مديونٌ للإمبراطورالروماني موريس !93

كان كسرى عبقرياً، لكنه جبارٌعنيدٌ !97

لعنة كسرى وطاعون شيرويه !101

القبائل العربية في العراق في مطلع الإسلام 104

العلاقة بين القبائل العربية وكسرى 106

طلب النبي (صلى الله عليه و آله) من القبائل العراقية أن يأخذوه اليهم 108

وبعد سنوات قليلة كانت معركة ذي قار !113

ص: 445

وقتل شِيرَوَيْه أباه كسرى واضطربت الأمبراطورية ! 119

الفصل الثالث: صورة شاملة للفتوحات

التاريخ الرسمي والواقع ! 121

صُنَّاع النصر وأهل البلاء والنكاية بالعدو 125

صورة كلية لفتح العراق

حقيقة دور خالد بن الوليد في فتح العراق134

ثم كانت معركة الجسر فاجعة على المسلمين137

ثم ثأر المثنى في معركةالبويب لمعركة الجسر142

أمر عمر المسلمين بالإنسحاب من العراق !146

ثم كانت معركة القادسية حاسمة في فتح العراق147

من وصف معركةالقادسية150

سعد بن أبي وقاص قائد القادسية الهارب !170

ثم كان فتح المدائن بدون معركة مهمة 174

ملاحظات على هذه الرواية175

غنائم قصور كسرى179

ثم كانت معركة جلولاء آخر معارك فتح العراق 183

ملاحظات على معركة جلولاء191

أبرز القادة الذين شاركوا في فتح العراق194

صورة كلية لفتح إيران

بدأ فتح إيران من البحرين 200

نقد هذه الرواية في مسائل207

معركة تستر والهرمزان226

أرسل يزدجرد الهرمزان الى تستر226

الهرمزان يتحصن في تستر229

ص: 446

وصف معركة تستر واستسلام الهرمزان231

ملاحظات على فتح تستر وأسرالهرمزان242

معركة نهاوند أمُّ المعارك في فتح إيران 248

التحشيد الفارسي لمعركة نهاوند249

عمار بن ياسر يستنهض عمر بن الخطاب251

شخصية النعمان بن مقرن قائد معركة نهاوند 261

النعمان يتحرك بقواته الى نهاوند265

وصف معركة نهاوند بروايةالطبري269

وصف المعركة برواية غيرالطبري278

رواية نداء عمر: ياسارية الجبل285

من أبطال معركة نهاوند وشهدائها

عمرو بن معدي كرب الزبيدي وآخرون 289

قيس بن المكشوح294

زيد الخير بن صوحان296

أبو عثمان النهدي (عبد الرحمن بن مَلّ)297

طليحة بن خويلد الأسدي 298

وكان اليهود في نهاوند298

معارضة عمر بن الخطاب لفتح العراق وإيران 299

الأحنف بن قيس رائد فتح خراسان303

ملاحظات على دورالأحنف بن قيس في فتح إيران312

عبد الله بن بديل الخزاعي رائد فتح وسط إيران 318

علي (عليه السلام) يستكمل في خلافته فتح خراسان 322

نهاية يزدجرد بن شهريار بن كسرى 326

صورة كلية لفتح فلسطين وبلاد الشام

كانت أول معارك المسلمين في غزة336

ص: 447

معركة أجنادين ثأرت لجعفر وحررت فلسطين345

معركة مرج الصُّفَّر ومعركة فِحل357

خالد بن سعيد القائد العام للمعركة359

تم فتح دمشق ومدن بلاد الشام بدون قتال 362

وقاد خالد بن سعيد معركة فحل أيضاً369

انسحب هرقل من حمص الى أنطاكية373

معركة اليرموك أم المعارك في فتح الشام 376

أبو بكر وعمر يستنجدان بعلي (عليه السلام) 382

لم يكن خالد بن الوليد قائد معركة اليرموك389

طالت معركة اليرموك أربعة أيام401

غيب رواة السلطة دور الأشتر في اليرموك !403

لكن بطولات الأشتر ظهرت من بين السطور408

نسبوا بطولات الأشتر الى ضرار وهو ميت !414

مالك الأشتر آية ربانية بشر بها النبي (صلى الله عليه و آله) 416

مالك الأشتر وجماعته هم العباد الموعودون421

أبرزت السلطة غير الأشتر لطمس بطولاته !426

بانتصار المسلمين في اليرموك تحررت سوريا والقدس430

صورة كلية لفتح مصر....433

ص: 448

المجلد 2

هوية الكتاب

ص: 1

اشارة

قراءة جديدة للفتوحات الإسلامية

بقلم

علي الكوراني العاملي

المجلد الثاني

الطبعة الأولى:1432-2011

الفصل الرابع: أصحاب الأدوار المدعاة في الفتوحات

كثرة القادة الحقيقيين والمدعى لهم

قد يبلغ عدد القادة والأبطال الذين شاركوا في معارك الفتوحات بشكل مؤثر وأولئك الذين ادعت لهم السلطة المشاركة المؤثرة.. ثلاث مئة شخصية .

وقد كتبنا ترجمات لنماذج منهم ، لنقدم بها صورة صحيحة للفتوحات ، لكن بعض الشيعة الذين لم نترجم لهم لا يقلون أهمية عنهم . ومن أمثلتهم:

المقداد بن الأسود الكندي ، وعمرو بن سعيد بن العاص ، وأبان بن سعيد بن العاص ، وسعيد بن خالد بن سعيد بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، وأبو ذر الغفاري ، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، وطليب بن عمير بن وهب ، وأبو الدرداء عويمر بن زيد الخزرجي ، وعبادة بن الصامت بن أخ أبي ذر ، وأبو أمامة الباهلي ، وحذيفة بن اليمان ، وأبو أيوب الأنصاري ، ومذعور بن عدي ، ومجموعة الفرسان النخعيين في فتوح الشام ، ومثلهم في فتوح العراق وفارس .

ومن أمثلة غير الشيعة :

أبو عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبي سفيان ، وضرار بن الأزور ، وضرار بن الخطاب ، وأبو موسى الأشعري ، والزبير بن العوام ، وأبو سفيان بن حرب ،

ص: 3

والقعقاع بن عمرو ، وعاصم بن عمرو ، وعياض بن غنم ، وعكرمة بن أبي جهل ، وعبد الرحمن بن خالد ، وحبيب بن مسلمة ، وصفوان بن أمية ، وعمرو بن عنبسة ، والسمط بن الأسود ، وذو الكلاع الحيري ، ومعاوية بن حديج ، ولقيط بن عبد القيس ، وحوشب ذو ظليم ، وعصمة بن عبد الله .

هل اخترع رواة السلطة أبطالاً من خيالهم؟

وقد أثبتنا في ترجمة مالك الأشتر أن رواة السلطة أعطوا بعض بطولاته الى ضرار بن الأزور ، مع أنه قتل قبل اليرموك بسنوات في حرب اليمامة ! وكذلك فعلوا لضرار بن الخطاب ، فجعلوه من أبطال اليرموك مع أنه قتل في أجنادين .

والسؤال: هل صحيح أن رواة السلطة لم يكتفوا بالمبالغة والتضخيم ، وتحريف النصوص والأحداث ، ومدح من لايستحق والتنقيص من أصحاب البطولة.. حتى اخترعوا صحابة وأبطالاً لاوجود لهم ، ونسبوا لهم البطولات والأفعال والأقوال ، بل الأحاديث النبوية ؟

أجاب العالم الباحث السيد مرتضى العسكري (رحمة الله) بالإيجاب فألف كتاباً بإسم: خمسون ومئة صحابي مختلق! حاول فيه إثبات أن رواة السلطة اخترعوا عدداً من الصحابة من خيالهم ، ولم يكن لهم وجود في الواقع ، ومنهم قادة في الفتوح ، وسياسيون ، ومنهم رواة ، وأولياء أصحاب كرامات .. الخ.

ومن هؤلاء المختَرَعين: القعقاع بن عمرو ، وأخوه عاصم بن عمرو، والأسود بن قطبة ، وابنه نافع بن الأسود ، وعمرو بن العاص التميمي، وعمرو بن مالك

ص: 4

وعفيف بن المنذر ، وزياد بن حنظلة ، وحرملة بن مريطة التميمي، وحرملة بن سـلمى ، والربيع بن مطر بن ثلج ، وربعي بن الأفكل، وأَط بن أبي أُط التميمي.

كما ألف السيد العسكري كتاباً بإسم: عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى ، حاول فيه إثبات أن ابن سبأ أسطورة اخترعها الراوي سيف بن عمرو ، ولاوجود له .

ولا يتسع المجال لبسط القول في ذلك ، وقـد تتبعت النصوص المتعلقـة بعبد الله بن سـبأ فوجدت أنه لايمكن موافقة الكاتب المصـري طه حسـين ، والسـيد العسـكري على أنه مختلق من أصله ، بل المختلق أدواره المدعاة في إيقاع الفتنة بين المسلمين وعثمان ، وبين علي (عليه السلام) وطلحة والزبير وعائشة .

وأميل الى ذلك في عـدد من قادة الفتوحات ومنهم ضـرار بن الأزور والقعقاع ، فقد ضـخمهم رواة السـلطة وكذبوا لهم ، ليغطوا بذلك على بطولة الأبطال الحقيقيين رضوان الله عليهم .

قال ابن حجر في ترجمـة القعقاع في الإصابـة:5/342: « قـال سـيف: قالوا: كتب عمر إلى سـعد: أي فارس كان أفرس في القادسـية؟ قال: فكتب إليه إني لم أر مثل القعقاع بن عمرو ، حمل في يوم ثلاثين حملة ، يقتل في كل حملة بطلاً».

وقال السـيد العسكري في خمسون ومائة صحابي مختلق:1/134: «خلاصـة البحث: القعقاع هو الذي أنشب القتال في اليرموك ، وفاز فيها كما فاز بأيام العراق ، واشترك في فتح اليرموك ، ودمشق ، وفحل ، ونظم فيها الأراجيز ، وأضيف إلى عدد القتلى في الفتوح عشرة آلاف ومائة ألف قتيل » !

خالد بن الوليد.والغدر ونبل الفروسية !

1. أبـوه الوليـد بن المغيرة رئيس بني مخزوم ، وأشـد المشـركين على النـبي (صـلى الله عليه و آله) وفيه نزل قوله تعـالى: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً . وَبَنِينَ شُهُوداً . وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً . سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ . سَأُصْلِيهِ سَقَرَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ . لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ . لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ . عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ . (المدثر:11-30).

والوليد هو (العُتُلُّ الزَّنِيم) الذي لم يتسع له حلم الله العظيم ، فأنزل فيه قوله: وَلاتُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَهِينٍ. هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ. مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ . أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ. وقـد اتفـق المؤرخـون والمفسـرون على نزول هـذه الآيـات في الوليـد، ففي تفسـير الجلالين/758: «دعيٌّ في قريش، وهو الوليـد بن المغيرة . ادعـاه أبوه بعـد ثمـاني عشـرة سـنة». وابن إسـحاق:2/140، والقرطبي:19/71. وعشرات المصادر .

وهو أول المسـتهزئين الذين قتلهم الله تعالى في السنة الثالثة من بعثة النبي (صلى الله عليه و آله) . فقد اتفق المفسرون والمحدثون على أن آيات: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ، نزلت عندهلاكه ورفقائه ، بعد ثلاث سنين من البعثة .

فقد روينا في السـيرة ، ورواه الذهبي في تاريخه(1/224) وصـححه قال: «المستهزئون: الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث الزهري ، وأبو زمعـة الأسود بن المطلب من بني أسـد بن عبـد العزى ، والحارث بن عيطل السـهمي ، والعاص بن وائل . فأتاه جبريل فشـكاهم النبي (صلى الله عليه و آله) إليه فأراه الوليد وأومأ جبريل إلى أبجله(شريانه)فقال:ما صنعت؟ قال: كُفيته . ثم أراه الأسود ، فأومأ جبريل إلى

عينيه فقال: ما صنعت؟ قال: كفيته . ثم أراه أبا زمعة فأومأ إلى رأسه فقال: ما صنعت؟قال كفيته. ثم أراه الحارث فأومأ إلى رأسه أو بطنه وقال: كفيته.فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبالاً فأصاب أبجله فقطعها. وأما الأسود فعمي. وأما ابن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها. وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها. وأما العاص فدخل في رأسه شبرقة حتى امتلأت فمات . حديث صحيح».انتهى.

وفي رواية أن الوليد لما حضرته الوفاة: «دعا ولده هشاماً وخالداً والوليد والفاكه وأبا قيس وقيساً وعبد شمس وعمارة ، فقال لهم: يا بَنِيَّ إني أوصيكم بثلاث فلا تضيعوهن: دمي في خزاعة فلا تُطِلُّنَّهُ ، والله إني لأعلم أنهم منه براء ولكن أخشى أن تُسَبُّوا به بعد اليوم ! ورباي في ثقيف فلا تدَعوه حتى تأخذوه ، وعُقري عند أبي أزيهر الدوسي فلا يفوتنكم به ، وكان أبو أزيهر قد زوجه ابنة له ثم أمسكها عنه ، فلم يدخلها عليه حتى مات ».

وسبب طلبه ديته من خزاعة أنه « مرَّ بنبل لرجل من بني خزاعة قد راشه في الطريق فأصابته شظية منه فانقطع أكحله حتى أدماه ، فمات وهو يقول: قتلني رب محمدا! (الخصال/279) ، فاعترف بأن رب محمد (صلى الله عليه و آله) قتله ، ومع ذلك أوصى بأخذ الدية من صاحب السهام ! قال أبو طالب (رحمة الله) :

«رجال تمالوا حاسدين وبغضة *** لأهل العلى فبينهم أبداً وتر

وليدٌ أبوه كان عبداً لجدنا *** إلى علجة زرقاء جاش بها البحر

وتيمٌ ومخزومٌ وزهرةُ منهم *** وكانوا لنا مولىً إذا ابتغيَ النصر

فقد سفهت أحلامهم وعقولهم *** وكانوا كجفر بئس ماصنعت جفر»

(ابن هشام:1/173وابن إسحاق: 2/133)

2. ونشأ خالد على يد أبيه الوليد في العداء للنبي (صلى الله عليه و آله) ، وكان بارزاً بين إخوته ، فنفذوا وصية أبيهم واغتالوا أبا أزيهر الدوسي! (المنمق/191، و ابن هشام:2/278).

وكان خالد أحد الذين انتدبتهم قريش لقتل النبي (صلى الله عليه و آله) ليلة الهجرة فبات عليٌّ (عليه السلام) في فراشه: «فلما بصر بهم عليٌّ (عليه السلام) قد انتضوا السيوف وأقبلوا عليه بها يقدمهم خالد بن الوليد بن المغيرة، وثب به عليٌّ فختله وهمز يده ، فجعل خالد يقمص قماص البكر». (أمالي الطوسي/467 . والمعنى: يصرخ كالجمل البَكر ، الصغير السن).

وشارك خالد وإخوته مع المشركين في بدر ، فنجا خالد ، وقُتل أخوه أبو قيس ، وأُسر أخوه الوليد بن الوليد . (شرح النهج: 14/203).

وكان خالد من قادة المشركين في أحد، وسبباً في هزيمة المسلمين بعد انتصارهم وانشغالهم بالغنائم ، فقد اغتنم هو وعكرمة الفرصة وهاجموهم من خلفهم .

وبعد انهزام الأحزاب في حربهم على النبي (صلى الله عليه و آله) رأى خالد أن ميزان القوة قد تحول الى جانب النبي (صلى الله عليه و آله) ، فجاء الى المدينة هو وعمرو بن العاص ، وأسلما .

وبعد فتح مكة شارك مع قريش الى جانب النبي (صلى الله عليه و آله) في حرب حنين ، لكنه كان في أول المنهزمين بخيله من بني سليم .

وبعد فتح الطائف أخذ خالد يستوفي ربا أبيه الوليد من ثقيف فمنعه النبي (صلى الله عليه و آله) (المنمق/203) ثم عاد وطالبهم به فشكوه الى النبي (صلى الله عليه و آله) ، فنزلت الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.(عمدة القاري: 11/201).

ثم ادعى خالد أنه أسلم قبل خيبر، وأنه شارك فيها ، فصدقه رواة السلطة ، لكن علماءها استحوا من الكذب الصريح فردوا قوله !

فقد روى أحمد (4/89)عن خالـد قـال: « غزوت مع رسول الله غزوة خيبر، فأسـرع الناس في حظائر يهود فقال: يا خالـد ناد في الناس أن الصلاة جامعة » !

وقال في نصب الراية (6/58):«أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجة عن بقية».

وقال ابن حزم إنه موضوع(عمدة القاري:17/248. وراجع (الإستيعاب:2/427).

وقال في مجمع الزوائد(9/351): «كان إسـلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة عند النجاشـي، فقدموا المدينة في صفر سنـة ثمـان مـن الهجرة ». وبـه قـال ابـن أبي العز في شـرح الطحاويـة/259،وابـن حجر في تهـذيب التهـذيب: 3/107، وابـن تيميـة في فتاويه:4/397.

3.كان عمر بن الخطاب يبغض خالداً ولا يطيقه ، لأنه كسـر ساقه في شـبابه! فكان عمر يخوي ويفحج في مشـيه كل عمره.(النهاية:7/131، وتفسير الطبري:2/79).

والسـبب الآخر أن خالداً يرى أنه ابن أكبر شخصية في قريش، ويرى عمر شخصاً مغموراً من قبيلة مغمورة ، يعمل مُبَرْطِشاً ، أي دلال كراية حمير وإبل. (نهاية ابن الأثير:1/119، وتاج العروس:9/58) .

كما كان عمر خادماً لأخيه عمارة بن الوليـد في سـفره ، فاتهمه عمارة أنه أراد أن يغـدر به ويقتله . (المنمق/130). وكان خالد يسخر من أم عمر ولا يقبل أنها من مخزوم ، ويسمي عمر: «الأعيسر ابن أم شملة» !

قال الطبري في خبر قتل خالـد مالك بن نويرة:2/503: «فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب تكلم فيه عنـد أبي بكر فأكثر ، وقال: عدو الله عدا على امرئ مسـلم فقتله ثم نزا على امرأته ! وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد ، معتجراً بعمامة له ، قد غرز في عمامته أسهماً ، فلما أن

دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها ثم قال:أرئاءً ! قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على إمرأته ، والله لأرجمنك بأحجارك ! ولا يكلمه خالد بن الوليد ، ولايظن إلا أن رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه، حتى دخل على أبي بكر ، فلما أن دخل عليه أخبره الخبر واعتذر إليه فعذره أبو بكر ، وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك ! قال فخرج خالد حين رضي عنه أبوبكر وعمر جالس في المسجد فقال:هلم إليَّ يا ابن أم شملة ! قال: فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه ، فلم يكلمه ودخل بيته » !

ومعنى أم شملة: أم وزرة ، يعيِّره بأن أمه كانت معدمة فرباها رجل من بني مخزوم !

وقد عارض عمر تأمير خالد فلم يطعه أبو بكر ، ثم طالبه عمر أن يقتله بمالك بن نويرة ، فلم يسمع كلامه ، وقال إن خالداً اجتهد فأخطأ .

ولما مات أبو بكر وتولى عمر ، كان أول عمل قام به عزلُ خالد ، وكتب لأبي عبيدة أن يهينه وينزعه عمامته ، ويطلب منه أن يكذب نفسه ويسحب طعنه في أم عمر ، وإن لم يفعل فليقاسمه ما يملك ، ويصادر نصف أمواله !

قال الطبري:2/622: «عن صالح بن كيسان قال: كان أول كتاب كتبه عمر حين ولي إلى أبي عبيدة يوليه على جند خالد..وعزل خالد بن الوليد !

حدثنا سلمة عنه قال: إنما نزع عمر خالداً في كلام كان خالد تكلم به فيما يزعمون..فكتب عمر إلى أبي عبيدة إنْ خالدٌ أكذب نفسه فهو أمير على ماهو عليه ، وإن هو لم يُكَذِّب نفسه فأنت الأمير على ماهو عليه ، ثم انزع عمامته عن رأسه ، وقاسمه ماله نصفين ! فلما ذكر أبوعبيدة ذلك لخالد قال: أنظرني أستشر أختي في أمري ، ففعل أبوعبيدة ، فدخل خالد على أخته فاطمة بنت الوليد ،

وكانت عند الحارث بن هشام ، فذكر لها ذلك فقالت: والله لا يحبك عمر أبداً ، وما يريد إلا أن تكذب نفسك ثم ينزعك ! فقبل رأسها وقال: صدقت والله . فتم على أمره وأبى أن يكذب نفسه..قال (أبو عبيدة) أُمِرت أن أنزع عمامته وأقاسمه ماله ، فقاسمه ماله حتى بقيت نعلاه..فأخذ نعلاً وأعطاه نعلاً.. فحسب ذلك فبلغت قيمته ثمانين ألف درهم ، فناصفه عمر ذلك ، فأعطاه أربعين ألف درهم وأخذ المال..فكان عمر يرى أنه قد اشتفى من خالد حين صنع به ذلك ».

4. وكتب عمر الى خالد: «بلغني أنك تَدَلَّكْتَ بخمر..فكتب إليه: إنا قتلناها فعادت غسولاً غير خمر. فكتب إليه عمر: إني لأظن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء فلا أماتكم الله عليه ». (تاريخ دمشق:16/264، والطبري:3/166، والنهاية:7/92).

5. وعاش خالد معزولاً ومات في حمص ، فمنع عمر أقاربه من البكاء عليه! «لما مات خالد بن الوليد اجتمع في بيت ميمونة نساء يبكين ، فجاء عمر ومعه ابن عباس ومعه الدرة ، فقال: يا عبدالله أدخل على أم المؤمنين فأمرها فتحتجب وأخرجهن عليَّ ، فجعل يخرجهن عليه وهو يضربهن بالدرة ! فسقط خمار امرأة منهن فقالوا: يا أمير المؤمنين خمارها! فقال: دعوها فلا حرمة لها ! وكان يُتعجب من قوله: لا حرمة لها ». (عبد الرزاق:3/557).

6. تقرأ الكثير عن فروسية خالد وبطولاته ، في مصادر الخلافة ، لكنك تفتش في المعارك فلا تجد له أي مبارزة ، أو مشاركة حقيقية في معركة منها !

ثم تقرأ حديثه عن نفسه لتعرف نوع شخصيته وتفكيره وتصرفه، فتجد أنه يمدح نفسه مدحاً مفرطاً ، وأن بطولاته المدعاة من أقواله .

كما تجده يفتخر بأبيه الوليد بن المغيرة وبأجداده ، غير مكترث بذم القرآن له !

وتجده يعمل بمعادلات الربح والخسارة ، ويميل مع ميزان القوى ، ولا يدخل في حسابه القيم الإسلامية ، ولا القيم القرشية والعربية .

وقد وصف المعادلة التي دفعته الى الدخول في الإسـلام فقال: «وقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ، فليس موطن أشهده إلا وأنصرف وإني أرى في نفسي أني مُوضعٌ في غير شئ ، وأن محمداً سيظهر » !

وقال: «فلما جاء (النبي (صـلى الله عليه و آله)) لعمرة القضاء تغيبت ولم أشهد دخوله ، فكان أخي الوليد بن الوليد دخل معه ، فطلبني فلم يجـدني ، فكتب إليّ كتاباً فـإذا فيه: فـإني لم أر أعجب من ذهـاب رأيـك عن الإسـلام وقلـة عقلك ، قـد سألني عنك رسول الله، فقال: أين خالد..». (النهاية:4/272، وتاريخ دمشق:16/226 ، وكثير من المصادر) .

ومعنى: موضعٌ في غير شـئ: رأيت نفسـي أني أقاومه بـدون نتيجـة ! وكان زميله عمرو بن العاص مثله ، فقال كما رواه مجمع الزوائـد ووثقه (9/350): «لما انصرفنا من الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون مكاني ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله إني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإني قد رأيت أمراً فما ترون فيه؟ قالوا:وما رأيت؟ قلت: رأيت أن نلحق بالنجاشـي فنكون عنده، فإن ظهر محمـد على قومنا كنا عنـد النجاشـي، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ! وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير . قالوا: إن هذا الرأي ..

ثم وصف عمرو كيف وافقه خالـد على رأيه . فقررا بعـد عمرة القضاء في السـنة السابعـة ، أن يسـلما ، وجاءا الى المدينـة وأسـلما . وتاريخ الطبري: 2/313.

7. ويلفتك في شجاعة خالد ، ما كتبه له أبو بكر لما بعثه لحرب مسيلمة ، قال: «فإذا عزمت على الحرب فباشرها بنفسك ، ولا تتكل على غيرك ، وصف صفوفك وأحكم تعبئتك ». (فتوح ابن الأعثم:1/23).

ومعناه أن أبا بكر يعرف أن طريقة خالد أن يقاتل بغيره ، ولا يقاتل بنفسه ! لكن رغم تأكيد أبي بكر عليه ، جلس خالد في معركة اليمامة على سريره في خيمته ولم يقاتل، لا في اليوم الأول ولا الثاني ! وعندما وصلت هزيمة المسلمين الى فسطاطه هرب تاركاً زوجته ، ودخل أعداؤه خيمته ورَعْبَلُوهَا بسيوفهم !

ثم رأينا شجاعته عندما ذهب الى الحديقة فجاءه فارس فاشتبك معه فوقعا عن فرسيهما وخالد فوقه ، فبذل جهده ليتخلص منه ويهرب فوجد فرسه قد هرب ، ثم نجا خالد وهو مرهق ووصل الى خيمته ، لكن لاسالماً ولا غانماً !

وظل جالساً في الخيمة حتى انتصرالمسلمون ، وجاءه خبر قتل مسيلمة ، فجاءته الشجاعة وذهب الى الحديقة ، ومعه حراس ! وقد وثقنا ذلك كله في حرب اليمامة!

8. إذا تتبعت تاريخ خالد العسكري ، من مشاركته مع المتآمرين البضعة عشر لقتل النبي (صلى الله عليه و آله) ليلة الهجرة ، الى أن توفي في حمص بعد ثلاثين سنة ، لا تجد فيها حالة مبارزة واحدة ، ولا حملة حقيقية في حرب ، إلا ما كذَبوه له ولم يثبت ، أو كذَبه هو لنفسه وثبت عكسه !

ففي حروب المشركين كان على الخيل. قال ابن حجر في الإصابة (2/215): «كان أحد أشراف قريش في الجاهلية ، وكان إليه أعنة الخيل في الجاهلية ، وشهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية ، كما ثبت في الصحيح ».

ولم يبرز خالد الى أحد من المسـلمين ، ولا المشركين بعد إسلامه أبداً. وأشهر ما عرف به أنه في أُحُد بعد هزيمة قريش، اغتنم فرصة انشغال المسـلمين بجمع الغنائم ، فالتفَّ عليهم من ورائهم هو وعكرمة بخيلهم ، وقتلوا الرماة حرَّاس المضـيق ، وهاجموا المسلمين من خلفهم ، ورجع المشـركون المنهزمون من أمامهم فأطبقوا على المسـلمين فقتلوا حمزة وسـبعين من المسلمين، وكانت هزيمة أُحُد ، التي قصها الله تعالى في القرآن . ولم يبارز فيها خالدٌ أحداً ولا قتل أحداً .

وفي معركة الخندق ، لم يكن خالد مع فرسان المشـركين الذين عبروا الخندق ، بل كمن خلف الخندق، واختار فرصة عبور شـيخ هرم كبير السن في جانب المسلمين ، هو أنس بن أوس بن عتيك ، فرماه بسهم فقتله. (الإصابة:1/270).

وفي غزوة الحديبية كان خالد على خيل المشركين، ووقعت بينهم وبين المسلمين مناوشات ، ووقع فيها قتلى وأسرى أكثر من خمسين،لكن لم يرد فيها ذكر خالد .

وفي عمرة القضاء في السنة الثانية تقدم أن خالداً قال إنه غيب نفسه عن مكة .

9. واشـتهر غدر خالد ببني جذيمة رغم إعلانهم الإسـلام ! ففي فتح مكة أرسـله النبي (صلى الله عليه و آله) في خيل الى بني جذيمة وهم على مسافة يوم من مكة ، ليدعوهم الى الإسـلام ، فاحتال عليهم خالد حتى وضـعوا أسلحتهم ، فكتفهم وغدر بهم وقتَّلهم ليثأر لعمه الذي قتله رجل جذيمي في الجاهلية !

وقال مقاتل كما في تفسيره (3/158) إن عدد الذين قتلهم خالد سبعون رجلاً !

وتسمى منطقتهم الغميصاء و الرميصاء ، ويسمى مكان قتلهم: الخندمة .

ص: 14

وفي معجم البلدان (4/214): «الغميصاء: موضع في بادية العرب قرب مكة ، كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، الذين أوقع بهم خالد بن الوليد عام الفتح ، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ، ووداهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) على يدي علي بن أبي طالب، وقالت امرأة منهم:

ولولا مقالُ القوم للقوم أسلموا *** للاقت سليمٌ يوم ذلك ناطحا

لماصعهم بشرٌ وأصحاب جحدمٍ *** ومُرَّةُ حتى يتركوا الأمر صابحا

فكائن ترى يوم الغميصاء من فتى *** أصيب ولم يُجرح وقد كان جارحا

ألظت بخطَّاب الأيامى وطلقت *** غداة ئذ منهن من كان ناكحا ».

وفي إعلام الورى: 1/228 : « بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر ، وقد كانوا أصابوا في الجاهلية من بني المغيرة نسوة ، وقتلوا عم خالد ، فاستقبلوه وعليهم السلاح وقالوا: ياخالد إنا لم نأخذ السلاح على الله وعلى رسوله ، ونحن مسلمون، فانظر فإن كان بعثك رسول الله (صلى الله عليه و آله) ساعياً فهذه إبلنا وغنمنا فاغد عليها ، فقال: ضعوا السلاح ، قالوا: إنا نخاف منك أن تأخذنا بإحنة الجاهلية وقد أماتها الله ورسوله (صلى الله عليه و آله) ..الخ.

وجاء رسولهم إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فأخبره بما فعل خالد بهم ، فرفع يده إلى السماء وقال:اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد وبكى! ثم دعا علياً (عليه السلام) فقال: أخرج إليهم وانظر في أمرهم ، وأعطاه سفطاً من ذهب ، ففعل ما أمره وأرضاهم».

وفي أمالي الطوسي/498: «فأدى إليهم ديات رجالهم ، وما ذهب لهم من أموالهم وبقي معه من المال زعبة فقال لهم: هل تفقدون شيئاً من أموالكم وأمتعتكم؟

فقالوا: ما نفقد شيئاً إلا ميلغة كلابنا فدفع إليهم مابقي من المال فقال: هذا لميلغة كلابكم وما أنسيتم من متاعكم .

وأقبل إلى النبي (صلى الله عليه و آله) فقال: ماصنعت؟ فأخبره حتى أتى على حديثهم، فقال النبي (صلى الله عليه و آله) : أرضيتني رضي الله عنك . يا عليُّ أنت هادي أمتي ، ألا إن السعيد كل السعيد من أحبك وأخذ بطريقتك ، ألا إن الشقي كل الشقي من خالفك ورغب عن طريقك إلى يوم القيامة ».

وفي المنمق/216: «وقد كان القوم تأهبوا لحرب خالد بن الوليد ، فصاح بهم خالد أن ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا . فقال رجل منهم يقال له جحدم: يا بني جذيمة ! إنه خالد بن الوليد ، فوالله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، ولا بعد الإسار إلا حزُّ الأعناق ، والله لا أضع سلاحي أبداً !

فأخذه رجال من قومه وقالوا: يا جحدم ! أتريد أن تسفك دماءنا ، إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس ، فلم يزالوا به حتى وضع سلاحه ووضع قومه السلاح ، ثم وضع خالد فيهم السيف فأكثر القتل !

فكان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف في ذلك كلام فقال له عبد الرحمن: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام !

فقال خالد: إنما ثأرت بأبيك ! فقال عبد الرحمن: كذبت ، قد قتلتُ قاتل أبي ، ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة» !

وفي فتح الباري(8/45): «عن أبي جعفر يعني الباقر قال: بعث رسول الله (صلى الله عليه و آله) خالد بن الوليد حين افتتح مكة إلى بني جذيمة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً ».

أقول: روت مصادرهم فَعْلة خالد في بني جذيمة ، لكن أكثرهم حذف تبرؤ النبي (صلى الله عليه و آله) من فعل خالد ، كما حذفوا مدحه لعلي (عليه السلام) ! وحاولوا تبرير فعل خالد بأنه لم يفهم كلام بني جذيمة ، فأخطأ وقتلهم ! واعترف بعض النواصب كالذهبي بأن النبي (صلى الله عليه و آله) تبرأ من فعل خالد ، لكنه خففه !

قال في ميزان الإعتدال (2/379): «كما تبرأ النبي مما صنع خالد لما أسرع في قتل بنى جذيمة ، ومع ذلك فقال فيه: خالد سيف سله الله على المشركين . فالتبري من ذنب سيغفر لا يلزم منه البراءة من الشخص» .

فقد هوَّن قتل خالد لسبعين مسلماً بالحيلة بأن ذنبه مغفور، وصحح الحديث المكذوب على النبي (صلى الله عليه و آله) بأنه مدح خالداً بأنه سيف سله الله تعالى ، فكأنه يقول حتى لو قتلهم ، فإن الله تعالى هو الذي سل سيف خالد عليهم !

10. وارتكب خالد جريمةً تصلح أن تُعْمَل فيلماً ! فقد روتها عامة مصادر السيرة والحديث والتاريخ، مع شاب غريب عاشق ، ممن غدر بهم وقتلهم .

ففي سيرة ابن هشام:4/886: « قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهري ، عن ابن أبي حدرد الأسلمي، قال: كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد ، فقال لي فتى من بنى جذيمة وهو في سنى ، وقد جمعت يداه إلى عنقه برُمَّة (بضم الراء: الحبل) ونسوة مجتمعات غير بعيد منه: يا فتى، فقلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرمة فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أقضي إليهن حاجة ، ثم تردني بعدُ ، فتصنعوا بي ما بدا لكم ؟

قال: قلت: والله ليسيرٌ ما طلبت، فأخذت برمته فقدته بها، حتى وقف عليهن فقال: إسلمي حبيش ، على نفدٍ من العيش!

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم *** بحليةَ أو ألفيتكم بالخوانقِ

ألم يك أهلاً أن يُنَوَّلَ عاشقٌ *** تكلفَ إدلاجَ السُّرى والودائق

فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلنا معاً *** أثيبي بود قبل إحدى الصفائق

أثيبي بود قبل أن تشحط النوى *** وينأى الأمير بالحبيب المفارق

قالت: وأنت فحييت سبعاً وعشراً وترا ، وثمانياً تترى . قال: ثم انصرفت به فضربت عنقه)!

وفي المنمق لابن حبيب/216، عن الأسلمي قال: «كنت مع خالد يوم الغميصاء ، فأسرت غلاماً منهم وجمعت يديه إلى عنقه.. وذكر القصة وفيها:

فأجابته وقالت: وأنت فحييت عشراً وتسعاً وتراً ، وثمانياً تترى .ثم انصرف فضربتُ عنقه. فلما رأته حبيش أقبلت فأكبت عليه ولم تزل تشهق حتى ماتت» !

وفي فتح الباري (8/46): «روى النسائي والبيهقي في الدلائل بإسناد صحيح ، من حديث ابن عباس نحو هذه القصة وقال فيها: فقال: إني لست منهم ، إني عشقت امرأة منهم ، فدعوني أنظر إليها نظرة ! وقال فيه: فضربوا عنقه ، فجاءت المرأة فوقعت عليه ، فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت! فذكروا ذلك للنبي (صلى الله عليه و آله) فقال:أما كان فيكم رجل رحيم »! والطبري:2/342 ، وعشرات المصادر .

11. جعلوا جبن خالد بن الوليد في معركة مؤتة بطولة ! لأنه موالٍ للسلطة ، وقصة مؤتة أن النبي (صلى الله عليه و آله) أرسل في السنة السادسة رسائل الى ملوك العالم ، ومنها الى هرقل الروم ، فأجابه هرقل جواباً ليناً ، لكنه أخذ يستعد لغزو المدينة ،

ويجمع قواته في دومـة الجندل في الجزيرة وفي الشام . فكانت غزوة مؤتة عملية استشـهادية لإثبات القوة النوعية للمسـلمين، ليتراجع هرقل عن خطته .

واختار لها النبي (صلى الله عليه و آله) ثلاثة قادة أبطال: جعفر بن أبي طالب، فإن قتل فزيد بن حارثة، فإن قتل فعبد الله بن رواحة . واختار لها مكاناً قريباً من القدس، حيث كان هرقل نذر أن يحج ماشياً شكراً للمسيح (عليه السلام) لأنه بزعمه نصره على كسرى !

وكان جيش المسـلمين ثلاثة آلاف ، فاشـتبكوا مع الروم في مؤتة ، وتقدم القادة الثلاثة وأظهروا بطولة نادرة ، وقاتلوا حتى استشهدوا رضوان الله عليهم ، وكان النبي (صلى الله عليه و آله) على منبره في المدينة يصف معركتهم .

وبعد شـهادتهم وقعت الهزيمة في المسـلمين. قال ابن سعد:(2/129): «ثم أخـذ اللواء عبـد الله بن رواحـة ، فطاعن حتى قتل .ثم انهزم المسلمون أسوأ هزيمة ».

وقال أبو هريرة: «شـهدت مؤتة فلما رأينا المشركين رأينا ما لا قبل لنا به من العدد والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب ، فبرق بصري! فقال لي ثابت بن أرقم: مالك يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة! قلت: نعم» (تاريخ دمشق (2/13).

وفي فتح الباري (7/ 393): «عن عروة قال:ثم أخـذ الرايـة عبـد الله بن رواحة فالتوى بها بعض الإلتواء ، ثم تقدم على فرسه ثم نزل فقاتل حتى قتل . ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم الأنصاري فقال: إصطلحوا على رجل ، فقالوا: أنت لها . قال: لا . فاصطلحوا على خالد بن الوليد .

وروى الطبراني من حـديث أبي اليسـر الأنصاري قال: أنا دفعت الراية إلى ثابت بن أقرم لما أصـيب عبد الله بن رواحة ، فدفعها إلى خالد بن الوليد » !

وفي تاريخ دمشق: 68/87 ، عن رجل من بني مرة ، قال: « لما قتل ابن رواحة نظرت إلى اللواء قد سقط ، واختلط المسلمون والمشركون ، فنظرت إلى اللواء في يد خالد منهزماً ، واتبعناه فكانت الهزيمة » !

وفي سيرة ابن هشام (3/836): «جعل الناس يَحْثُون على الجيش التراب ويقولون: يافُرَّار، فررتم في سبيل الله ! قال: فيقول رسول الله (صلى الله عليه و آله) : ليسوا بالفرار ولكنهم الكُرار إن شاء الله تعالى...قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص:مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) ومع المسلمين؟ قالت:والله مايستطيع أن يخرج ، وكلما خرج صاح به الناس يافُرار فررتم في سبيل الله ! حتى قعد في بيته فما يخرج ».

«قال الواقدي: وقد روي أن خالداً ثبت بالناس فلم ينهزموا ، والصحيح أن خالداً انهزم بالناس». (شرح النهج:15/68).

وفي إمتاع الأسماع للمقريزي(1/341): «إن خالداً انهزم بالناس، فعُيِّروا بالفرار وتشاءم الناس به » .

فقد روت مصادرهم المعتبرة حقيقة فرار خالد وتشاؤم المسلمين به ، لكن أتباع بني أمية وبني مخزوم ، أنكروا انهزامه بالمسلمين بعين يابسة، بل حولوها الى منقبة وبطولة!

ثم كذبوا على رسول الله (صلى الله عليه و آله) بأن الله فتح على يده في مؤتة، وسماه سيف الله المسلول !

ثم كذبوا فزعموا أن معركة مؤتة استمرت سبعة أيام ، وكان بطلها خالد !

ثم كـذَب هو وقال إنه كسَّر سـيوفاً على رؤوس الروم ، ورووا كـذبته في أصـح كتاب كما زعموا ! قال خالد :«لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية ».(صحيح البخاري:5/87).

وقال علماء بني أمية: «اقتتل المسـلمون مع المشـركين سـبعة أيام . وروى الحاكم في المسـتدرك عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، وهذا الـذي ذكره أبو عامر والزهري ، وعروة ، وابن عقبـة ، وعطاف بن خالد ، وابن عائذ وغيرهم ، هو ظاهر قوله (صـلى الله عليه و آله) في حديث أنس: ثم أخـذ الراية سـيف من سـيوف الله ففتح الله على يديه «!» . وفي حديث أبي قتادة مرفوعاً كما سـيأتي: ثم أخذ خالد بن الوليد اللواء ولم يكن من الأمراء ، هو أمَّرَ نفسه ، ثم رفع رسول الله (صلى الله عليه و آله) إصبعه ثم قال: اللهم إنه سيف من سيوفك فانصره . فمن يومئذ سمي خالد بن الوليد سـيف الله ! رواه الإمام أحمد برجال ثقات. ويزيده قوة ويشـهد له بالصحة ما رواه الإمام أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والبرقاني ».(سبل الهدى: 6/150).

وتتعجب من جرأة الكـذابين على رسـول الله (صـلى الله عليه و آله) ، قـالوا كمـا في تاريـخ دمشق: 16/238 وبغية الطلب:7/3122وكنز العمال:10/386 ، أنه (صـلى الله عليه و آله) وصف شـهادة القادة الثلاثـة فقال: « ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم قتل ، ثم أخـذ الراية خالد بن الوليد ، ثم قال: الآن حمي الوطيس.. نعم عبد الله وأخو العشـيرة وسـيف من سـيوف الله سـله الله على الكفار والمنافقين».

ومعنى حمي الوطيس أنه جاء خالد البطل فحمي الوطيس ، لأنه أشجع من القادة الذين كانوا قبله! ثم مدحه بأنه نعم العبد لله ، وأخ العشيرة ، وأنه سيف الله ..الخ.

وقد كتب السيد جعفر مرتضى في الصحيح من السيرة (20/53) بحثاً وافياً في أكثر من خمسين صفحة في رد كذبهم على النبي (صلى الله عليه و آله) بأنه سمى خالداً سيف الله المسلول ، وقال: «الحقيقة هي أن هذا اللقب من مختصات علي (عليه السلام) ، ولكنه سُرق في جملة كثيرة من فضائله ومناقبه (عليه السلام) ، في غارات شعواء من الشانئين والحاقدين والمبطلين والمزورين للحقائق ». انتهى.

وأعجب ما في هرب خالد من مؤتة جرأته على الكذب بأنه دق تسعة سيوف في قتاله مع الروم ! لكن الذي يعرف مشابهته لأبيه الوليد لايتعجب من فجوره هنا ، ولا من فجوره عندما انتقده عبد الرحمن بن عوف الزهري لغدره بسبعين مسلماً من بني جذيمة وقتلهم ، فقال له خالد: قتلتُهم ثأراً بأبيك الذي قتله بنو جذيمة ! فقال له ابن عوف: «كذبتَ، قد قتلتُ قاتل أبي ، ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة ». (المنمق/216) .

ولو دامت معركة مؤتة سبعة أيام لما حثا أهل المدينة التراب على وجه خالد وجيشه ، وسموهم الفرارين ! ولوجدنا وصفاً للمعركة وقتلاها ! لكنا لا نجد إلا رواية واحدة عن قتل مسلم يمني من بني مدد لجندي رومي غيلةً ، عندما كان المسلمون هاربين، فأخذ منه خالد نصف سلبه، فشكى اليمني المددي الى النبي (صلى الله عليه و آله) فسأل خالداً:لماذا أخذه ؟ قال إنه استكثره عليه !

ففي السيرة الحلبية:2/793: «وقتل رجل من المسلمين رجلاً من الروم فأراد أخذ سلبه فمنعه خالد ، فلما أخبر النبي (صلى الله عليه و آله) بذلك قال لخالد: ما منعك أن تعطيه سلبه؟ قال: استكثرته عليه . فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : إدفعه له ».

12. واعترفوا بجبن خالد في اليمن ستة أشهر ! لكنهم أصروا على مدحه رغم قتله عشرات المسلمين الأبرياء ، وافتخاره بعد إسلامه بأبيه الفرعون الذي وصفه الله تعالى بأنه: عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ . كذبوا له أن النبي (صلى الله عليه و آله) سماه سيف الله المسلول ، لكنهم اعترفوا بأنه بعثه النبي (صلى الله عليه و آله) الى اليمن يدعوهم الى الإسلام أو يقاتلهم ، فلم يستجيبوا له ، فخاف أن يقاتلهم وكان سيفه مشلولاً ، وبقي ستة أشهر يراوح مكانه في اليمن ! فبعث النبي (صلى الله عليه و آله) سيف الله المسلول علياً (عليه السلام) ، وأمر خالداً أن يرجع ، لكنه بقي يراقب علياً (عليه السلام) لعله يجد خطأ يأخذه عليه !

وقد شهد الذهبي في تاريخه (2/690) بصحة حديث جبن خالد وشجاعة علي (عليه السلام) : «عن البراء ، أن النبي (صلى الله عليه و آله) بعث خالد بن الوليد إلى اليمن، يدعوهم إلى الإِ سلام . قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه . ثم إن النبي (صلى الله عليه و آله) بعث علياً فأمره أن يُقفل خالداً إلارجلٌ كان يمَّم مع خالد ، أحب أن يعقب مع علي (عليه السلام) فليعقب معه، فكنت فيمن عقب مع علي... هذا حديث صحيح أخرج البخاري بعضه بهذا الإسناد».انتهى.

ومعناه أن النبي (صلى الله عليه و آله) حلَّ جيش خالد ، لكن خالداً عصى وبقي مع بعض أصحابه للبحث عن خطأ لعلي (عليه السلام) ! وتوغل علي (عليه السلام) في اليمن فأسلمت على يده همدان وغيرها ، وقاتل في بعض المناطق وغنم غنائم ووزعها ، وعزل منها الخمس لرسول الله (صلى الله عليه و آله) ، واختار جارية فقوَّم قيمتها وحسبها من سهمه من الخمس ، ولعله تزوجها . فرأى خالد في ذلك انتصاراً يُعوض به فشله لنصف سنة ! فكتب إلى النبي (صلى الله عليه و آله) مع بريدة وثلاثة أشخاص ، ووصل بريدة إلى المدينة ففرح مبغضوا علي (عليه السلام) وقالوا له عجل وأخبر النبي (صلى الله عليه و آله) لتسقط مكانته عنده !

لكن النتيجة كانت معكوسة عليهم ! فقد غضب النبي (صلى الله عليه و آله) غضباً شديداً ، وأخرج من يكره علياً (عليه السلام) من الإسلام ، وقال لهم: إن حب علي إيمان وبغضه نفاق ، وإنه وليهم من بعده..الخ.

ويُعرف هذا الحديث بحديث بريدة ، وهو صحيح عندهم روته مصادرهم بصيغ عديدة، ومنها ما في مجمع الزوائد:9/127: «عن بريدة قال: أبغضت علياً بغضاً لم أبغضه أحداً قط ! قال: وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً ! قال: فبعث ذلك الرجل على جيش فصحبته ، ما صحبته إلا ببغضه علياً..وفي حديث: وأخذ عليٌّ جارية من الخمس ، فدعا خالد بن الوليد بريدة فقال: إغتنمها فأخبر النبي ماصنع! فقدمت المدينة ، ودخلت المسجد ورسول الله (صلى الله عليه و آله) في منزله وناس من أصحابه على بابه فقالوا: ما الخبر يا بريدة؟فقلت: خيراً فتح الله على المسلمين. فقالوا: ما أقدمك؟ قلت: جارية أخذها عليٌّ من الخمس فجئت لأخبر النبي (صلى الله عليه و آله) .فقالوا: فأخبر النبي فإنه يسقط من عينه، ورسول الله يسمع الكلام فخرج مغضباً فقال: ما بال أقوام ينتقصون علياً ! من تنقص علياً فقد تنقصني، ومن فارق علياً فقد فارقني، إن علياً مني وأنا منه ، خلق من طينتي وخلقت من طينة إبراهيم ، وأنا أفضل من إبراهيم ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . يابريدة: أما علمت أن لعليٍّ أكثر من الجارية التي أخذ، وأنه وليكم بعدي؟ فقلت: يا رسول الله ، بالصحبة إلا بسطت يدك فبايعتني على الإسلام جديداً ! قال: فما فارقته حتى بايعته على الإسلام » !

ومنها ما رواه الحاكم(3 /110) وفيه: «فتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله إذا لقينا النبي (صلى الله عليه و آله) أخبرناه بما صنع علي! قال عمران: وكان المسلمون إذا قدموا من سفر

بدؤوا برسول الله (صلى الله عليه و آله) ، فنظروا إليه وسلموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم ، فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال أحد الأربعة:يا رسول الله ، ألم تر أن علياً صنع كذا وكذا ! فأعرض عنه ! ثم قام الثاني فقال مثل ذلك فأعرض عنه! ثم قام الثالث فقال مثل ذلك فأعرض عنه ! ثم قام الرابع فقال: يا رسول الله ألم تر أن علياً صنع كذا وكذا! فأقبل عليه رسول الله (صلى الله عليه و آله) والغضب في وجهه فقال: ما تريدون من علي ! إن علياً مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن . هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ».

وفي رواية الطوسي في أماليه:1/249 : «فدعاني خالد فقال: يا بريدة قد عرفت الذي صنع، فانطلق بكتابي هذا إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فأخبره وكتب إليه . فانطلقت بكتابه حتى دخلت على رسول الله (صلى الله عليه و آله) وأخذ الكتاب فأمسكه بشماله ، وكان كما قال الله لا يكتب ولا يقرأ ، وكنت رجلاً إذا تكلمت طأطأت رأسي حتى أفرغ من حاجتي، فطأطأت وتكلمت ، فوقعت في عليٍّ حتى فرغت ، ثم رفعت رأسي فرأيت رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد غضب غضباً شديداً لم أره غضب مثله قط إلا يوم قريظة والنضير! فنظر إليَّ فقال: يا بريدة إن علياً وليكم بعدي ، فأحب علياً فإنما يفعل ما يؤمر ! قال: فقمت وما أحد من الناس أحب إلي منه . وقال عبد الله بن عطاء: حدثت بذلك أبا حرب بن سويد بن غفلة ، فقال: كتمك عبد الله بن بريدة بعض الحديث ، أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال له: أنافقتَ بعدي يا بريدة ؟!».

أما البخاري فعادته في مثل هذا الحديث أن يحذفه كلياً ، أو يبتره ، أو يحرفه ويحوله الى ذم لعلي (عليه السلام) ! قال في صحيحه (5/110): «عن بريدة قال: بعث النبي علياً إلى خالد ليقبض الخمس، وكنت أبغض علياً وقد اغتسل، فقلت لخالد:

ألا ترى إلى هذا؟ فلما قدمنا على النبي ذكرت ذلك له ، فقال: يا بريدة أتبغض علياً ؟ قلت: نعم. قال: لا تبغضه ، فإن له في الخمس أكثر من ذلك ».

فقد تعمد البخاري التزوير ليوهم أن خالداً هو الذي قاتل وغنم ، وأن علياً (عليه السلام) ذهب جابياً للخمس ! فانظر كيف مدح خالداً ، وطعن في علي (عليه السلام) !

وقصة بريدة حجة بالغة على إمامة علي (عليه السلام) وخلافته ، بحثناها في العقائد الإسلامية (4/91) ، لكن غرضنا هنا إثبات جبن خالد وحسده لعلي (عليه السلام) ! ورد ما زعموه من بطولته ، فلا هو فارس ولا بطل ، لكنه يتفارس ويتباطل ! نعم هو مناورٌ حاسد !

13. بلغ كذبهم في بطولات خالد في فتح العراق ، أنهم اخترعوا له أبطالاً لاوجود لهم ، ومعارك لاوجود لها ! من ذلك أنه قتل قائداً فارسياً إسمه هرمز في كاظمة قرب الكويت ، مع أنه لم يمر من هناك بل دخل العراق من جهة حائل وهي جهة مخالفة لكاظمة. كما أنه لم يكن في كاظمة جيش فارسي في أي وقت ، وحتى البصرة كانت فيها مسالح فارسية صغيرة ، ولم يكن فيها جيش .

والطريف أنهم جعلوا كذبتهم هذه حديثاً نبوياً طويلاً، وصححوه وأشبعوه صحة ! كما صحح البخاري تقطيع خالد تسعة أسياف على رؤوس الروم في مؤتة ، مع أنها مخالفة للواقع بنصهم الصحيح !

قال في مجمع الزوائد(6/223): «عن خريم بن أوس قال: سار خالد إلى مسيلمة فسرنا معه، فلما فرغنا من مسيلمة وأصحابه أقبلنا إلى ناحية البصرة فرأينا هرمز بكاظمة في جمع عظيم ، ولم يكن أحد أعدى للعرب من هرمز . قال أبو السكن: وبه يضرب المثل تقول العرب: أكفر من هرمز ، فبرز له خالد بن الوليد ودعا

إلى البراز فبرز له هرمز ، فقتله خالد بن الوليد ، وكتب بذلك إلى أبي بكر فنفله سلبه، فبلغت قلنسوته مائة ألف . ثم سرنا على طريق الطرف حتى دخلنا الحيرة فكان أول من تلقانا فيها الشيماء بنت بقيلة على بغلة شهباء بخمار أسود ،كما قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) فتعلقت بها وقلت: هذه وهبها لي رسول الله (صلى الله عليه و آله) ، فدعاني خالد عليها البينة فأتيته بها ، فسلمها إليَّ !

وبلغني في غير هذا الحديث أن الشاهدين كانا محمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر . رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم وقد تقدم معنى هذا الحديث من حديث عدى بن حاتم في باب قتال فارس والروم ورجاله رجال الصحيح».

ورواه الطبري وردَّه (2/309) ، قال: «لما قدم كتاب خالد على هرمز ، كتب بالخبر إلى شيرى بن كسرى ، وإلى أردشير بن شيرى ، وجمع جموعه ثم تعجل إلى الكواظم في سرعان أصحابه ليتلقى خالداً.. فلما أتى الخبر خالداً بأن هرمز في الحفير أمال الناس إلى كاظمة ، وبلغ هرمز ذلك فبادره إلى كاظمة فنزلها وهو حسير، وكان من أسوأ أمراء ذلك الفرج جواراً للعرب ، فكل العرب عليه مغيظ ، وقد كانوا ضربوه مثلاً في الخبث حتى قالوا: أخبث من هرمز وأكفر من هرمز . وتعبأ هرمز وأصحابه واقترنوا في السلاسل والماء في أيديهم ، وقدم خالد عليهم فنزل على غير ماء، فقالوا له في ذلك فأمر مناديه فنادى: ألا انزلوا وحطوا أثقالكم ، ثم جالدوهم على الماء فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين، فحطت الأثقال والخيل وقوف ، وتقدم الرجل ثم زحف إليهم حتى لاقاهم، فاقتتلوا وأرسل الله سحابة فأغزرت ما وراء صف المسلمين فقواهم بها..ثم خرج هرمز فنادى:رجل ورجل أين خالد؟ وقد عهد إلى

فرسانه عهده ، فلما نزل خالد نزل هرمز ودعاه إلى النزال، فنزل خالد فمشى إليه فالتقيا فاختلفا ضربتين واحتضنه خالد ، وحملت حامية هرمز وغدرت ، فاستلحموا خالداً فما شغله ذلك عن قتله ، وحمل القعقاع بن عمرو واستلحم حماة هرمز فأناموهم، وإذا خالد يماصعهم وانهزم أهل فارس ، وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل. وجمع خالد الرثاث (جرحاهم) وفيها السلاسل فكانت وقر بعير ألف رطل، فسميت ذا السلاسل وأفلت قباذ وأنو شجان.. كان أهل فارس يجعلون قلانسهم على قدر أحسابهم.. فكان هرمز ممن تم شرفه فكانت قيمتها مائة ألف ، فنفلها أبو بكر خالداً وكانت مفصصة بالجوهر...

نادى منادي خالد بالرحيل وسار بالناس واتبعته الأثقال حتى نزل بموضع الجسر الأعظم من البصرة ، وقد أفلت قباذ وأنو شجان . وبعث خالد بالفتح وما بقي من الأخماس وبالفيل ، وقرأ الفتح على الناس » .

وقد بلغ من افتضاح قصة البطل هرمز أن المؤرخين غير الطبري ردوها أيضاً ، كالواقدي والبلاذري ، قال: (2/295): «والذي عليه أصحابنا من أهل الحجاز أن خالداً قدم المدينة من اليمامة ، ثم خرج منها إلى العراق ، على فيد والثعلبية ، ثم أتى الحيرة». وقال الطبري:2/556: «وهذه القصة في أمر الأبلة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السير، وخلاف ماجاءت به الآثار الصحاح »!

14. اخترعوا لخالد بطولات في معارك لا وجود لها ، فصرت تقرأ في تاريخ الطبري (2/557) مثلاً:وقعة المذار..وقعة الولجة..وقعة أُلِّيس.. وقعة أمغيشيا..وقعة يوم المقر.. وقعة الأنبار وهي ذات العيون.. وقعة كلواذى..

وقعة عين التمر.. وقعة دومة الجندل..وقعة حصيد..وقعة الخنافس.. وقعة بني البرشاء.. وقعة الثنى والزميل.. وقعة الفرائض..

وتقرأ خوف الفرس من خالـد وإرسالهم الرسل اليه ، وإرسالهم الجيوش بقيادة قادة كبار، كالقائـد قارن ، الذي برز اليه خالد لكن سـبقه اليه شخص آخر وقتله قبله مع الأسف ، ولولا ذلك لقتله خالد وقطعه إرباً إرباً !

قالوا: «وخرج خالـد سائراً حتى ينزل المـذار على قارن في جموعه ، فالتقوا وخالد على تعبيته فاقتتلوا على حنق وحفيظة ، وخرج قارن يدعو للبراز فبرز له خالد وأبيض الركبان معقل بن الأعشى بن النباش ، فابتدراه فسبقه إليه معقل فقتله.. وقُتلت فارس مقتلة عظيمة فضموا السفن ، ومنعت المياه المسـلمين من طلبهم وأقام خالد بالمذار ، وسـلم الأسلاب لمن سلبها بالغة ما بلغت ، وقسم الفئ ونفل من الأخماس أهل البلاء ، وبعث ببقيـة الأخماس . عن أبي عثمان قال: قتل ليلـة المـذار ثلاثون ألفاً سوى من غرق ! ولولا المياه لأتيَ على آخرهم ولم يفلت منهم من أفلت إلا عراة وأشباه العراة ». (الطبري:2/558).

وزاد ابن كثير على الطبري فقال في نهايته:6/379: « وسار خالـد بمن معه من الجيوش حتى نزل على المذار وهو على تعبئته ، فاقتتلوا قتال حنق وحفيظة ، وخرج قارن يدعو إلى البراز فبرز إليه خالد وابتدره الشـجعان من الأمراء فقتل معقل بن الأعشى بن النباش قارناً ، وقتل عدي بن حاتم قباذ ، وقتل عاصم أنوشـجان ، وفرَّت الفرس وركبهم المسلمون في ظهورهم ، فقتلوا منهم يومئذ ثلاثين ألفاً ، وغرق كثير منهم في الأنهار والمياه ، وأقام خالد بالمذار وسلم

الأسلاب إلى من قتل ، وكان قارن قد انتهى شرفه في أبناء فارس . وجمع بقية الغنيمة وخمَّسها وبعث بالخمس والفتح والبشارة إلى الصديق ، مع سعيد بن النعمان أخي بني عدي بن كعب ، وأقام خالد هناك حتى قسم أربعة الأخماس وسبى ذراري من حصره من المقاتلة ».

وفي رواية للطبري:2/562: «عن المغيرة قال: كانت على النهر أرحاء فطحنت بالماء وهو أحمر ، قوت العسكر ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون ، ثلاثة أيام. وبعث خالد بالخبر مع رجل يدعى جندلاً من بنى عجل » .

«قدم خالد على المقدمة فأطاف بالخندق وأنشب القتال ، وكان قليل الصبر عنه إذا رآه أو سمع به . وتقدم إلى رماته فأوصاهم وقال: إني أرى أقواماً لا علم لهم بالحرب ، فارموا عيونهم ولا تَوَخَّوْا غيرها ، فرموا رشقاً واحداً ثم تابعوا ففُقئ ألف عين يومئذ ، فسميت تلك الوقعة ذات العيون ! وتصايح القوم: ذهبت عيون أهل الأنبار ، فقال شيرزاذ: ما يقولون؟ ففسر له فقال: آباذ ، آباذ ، فراسل خالداً في الصلح على أمر لم يرضه خالد ، فرد رسله ، وأتى خالد أضيق مكان في الخندق في برذايا الجيش (أي إبل النقل) فنحرها ، ثم رمى بها فيه فأفعمه (ملأه) ، ثم اقتحم الخندق والرذايا جسورهم.. فقال خالد: اللهم إن هزمتهم فعليّ أن لا أستبقي منهم من أقدر عليه ، حتى أُجري من دمائهم نهرهم ! فانهزمت فارس فنادى منادي خالد: الأسراء الأسراء ! ألا من امتنع فاقتلوه ، فأقبل بهم المسلمون أسراء ، ووكل بهم من يضرب أعناقهم يوماً وليلة . فقال له القعقاع وغيره: لو قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم ، فأرسل عليها الماء تَبُرَّ يمينك ، ففعل . وسميَ نهر الدم ! ووقف خالد على الطعام وقال للمسلمين: قد

نفلتكموه ، فتعشى به المسلمون وجعل من لم يرَ الرقاق (الخبز المرقوق) يقول: ما هذه الرقاق البيض ! وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً ، وكانت الوقعة (وقعة أليس) في صفر » ! (الكامل:2/389).

وتتعجب من جرأة هؤلاء الرواة ووقاحتهم! فلا خالد ذهب الى المذار وميسان والبصرة ، ولا كان يوجد جيش فارسي هناك ، وحتى أسماء القادة الفرس اخترعها الرواة من جيوبهم !

15. ورووا أن خالداً خاض حرباً ، وأفطر رمضان ولم يصمه بسبب الجهاد ! قال الطبري:2/327: «ثم قصد خالد بعد الرضاب وتغلب إلى الفراض والفراض تخوم الشام والعراق والجزيرة ، فأفطر بها رمضان في تلك السفرة التي اتصلت له فيها الغزوات والأيام ، ونظمن نظماً أكثر فيهن الرجاز ، إلى ما كان قبل ذلك منهن . قالوا فلما اجتمع المسلمون بالفراض حميت الروم واغتاظت واستعانوا بمن يليهم من مسالح أهل فارس ، وقد حموا واغتاظوا واستمدوا تغلب وإياد والنمر فأمدوهم ، ثم ناهدوا خالداً حتى إذا صار الفرات بينهم قالوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم؟ قال خالد: بل أعبروا إلينا قالوا فتنحوا حتى نعبر ، فقال خالد: لا نفعل ولكن اعبروا أسفل منا. وذلك للنصف من ذي القعدة سنة اثنتي عشرة . فقالت الروم وفارس بعضهم لبعض: إحتسبوا ملككم ، هذا رجل يقاتل على دين وله عقل وعلم ، ووالله لينصرن ولنخذلن . ثم لم ينتفعوا بذلك فعبروا أسفل من خالد ، فلما تتاموا قالت الروم: امتازوا حتى نعرف اليوم ما كان من حسن أو قبيح من أينا يجيئ ففعلوا، فاقتتلوا قتالاً

شديداً طويلاً. ثم إن الله عز وجل هزمهم ، وقال خالد للمسلمين: أَلِحُّوا عليهم ولا ترفهوا عنهم ، فجعل صاحب الخيل يحشر منهم الزمرة برماح أصحابه ، فإذا جمعوهم قتلوهم ، فقتل يوم الفراض في المعركة وفي الطلب مائة ألف ! وأقام خالد على الفراض بعد الوقعة عشراً ، ثم أذن في القفل إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة ، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم ، وأمر شجرة بن الأعز أن يسوقهم ، وأظهر خالد أنه في الساقة» !

فانظر الى هذه المعركة الضخمة المزعومة ، واجه فيها خالد قوات دولتين هما الفرس والروم ، واستمدوا بثلاث قبائل عربية هي تغلب وإياد والنمر بن قاسط ، ولم يقتل فيها أحد من جيش خالد ، وقتل هو من أعدائه وفي الطلب أي الغارات التي كان يرسل فيها خيله ، مئة ألف !

لكن لا يوجد إسم قتيل واحد منهم ، ولا يوجد وصف للمعركة ، لا من بدأها ولا من بارز فيها ، ومن قاد الميمنة والميسرة والقلب والجناحين ، ولا وصف شئ من قتالها ولا وصف بطولة واحدة لخالد بارز فيها أحداً ، أوحمل فيها !

مع أنك تجد في حملته الآتية على بني تغلب أسماء بعض الذين قتلهم وهم نائمون ! وإسمي الشخصيْن المسلمين اللذين قتلهما وهما يتشهدان ودفع ديتهما أبو بكر ، وهما: « عبد العزى بن أبي رهم أخو أوس مناة ، ولبيد بن جرير » .

إنه لاسبب لإبهام الرواة الشديد ، إلا أن أصل المعركة مكذوبة من أجل خالد !

16. خالد متخصص في شن الغارات على العرب وليس على الروم والفرس وكل عمله في العراق كان من هذا النوع ، فلم يواجه قوات الفرس أبداً ، وأغار

على قبيلة تغلب وغدر بهم ، زاعماً أنهم ارتدوا ، فباغتهم ليلاً وقتل منهم وسبى نساءً ، كما فعل بمالك بن نويرة وحيِّه ، حيث أمَّنهم ثم غدر بهم !

قال ابن سعد في الطبقات:1 /316: «قدم على رسول الله (صلى الله عليه و آله) وفد بني تغلب ستة عشر رجلاً، مسلمين ونصارى عليهم صُلُبُ الذهب ، فنزلوا دار رملة بنت الحارث ، فصالح رسول الله (صلى الله عليه و آله) النصارى على أن يقرهم على دينهم ، على أن لا يصبغوا (يُعَمِّدُوا) أولادهم في النصرانية ، وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم.

ووصف الطبري:2 /398، كيف احتال عليهم خالد عندما أراد أن يغدر بهم: «وعدهم ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المصيخ ، وخرج خالد من العين قاصداً إليهم ، فلما كانت تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعاً بالمصيخ ، فأغاروا على الهذيل ومن معه وهم نائمون ، من ثلاثة أوجه فقتلوهم ، وأفلت الهذيل في ناس قليل ، وكثر فيهم القتل ، وكان مع الهذيل عبد العزى بن أبي رهم أخو أوس مناة ، ولبيد بن جرير ، وكانا قد أسلما ومعهما كتاب أبي بكر بإسلامهما ، فقتلا في المعركة ! فبلغ أبا بكر قول عبد العزى:

أقول إذ طرق الصباح بغارة *** سبحانك اللهم رب محمد

سبحان ربي لا إله غيره *** رب البلاد ورب من يتورد

فوَدَاهما(أعطى ديتهما لأولياء الدم) وأوصى بأولادهما . فكان عمر يعتد بقتلهما وقتل مالك بن نويرة على خالد! أي كان عمر يدين خالداً بذلك ، ويرى وجوب قتله قصاصاً لغدره بهؤلاء المسلمين .

هذا، وقد يكون التغلبيون اعترضوا على خلافة أبي بكر كما فعلت قبائل كندة في حضرموت ، وكما فعل بنو يربوع ، فاتهمهم خالد بالإرتداد ليسبيهم !

وهكذا كانت معارك خالد في العراق غارات غدر على مواطنين ومزارعين عرب وغير عرب ، ولم يكن فيها معركة مع الفرس ! وكذلك في طريقه الى الشام شن غارات مباغتة على غير الروم !

لاحظ نص البلاذري: 1/130و132: «لما أتى خالد بن الوليد كتاب أبي بكر وهو بالحيرة خلف المثنى بن حارثة الشيباني على ناحية الكوفة ، وسار في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمان مئة ، ويقال في ست مئة ويقال في خمس مئة . فأتى عين التمر ففتحها عنوة، ويقال إن كتاب أبى بكر وافاه وهو بعين التمر وقد فتحها ، فسار خالد من عين التمر فأتى صندوداء وبها قوم من كندة وإياد والعجم فقاتله أهلها فظفر ، وخلف بها سعد بن حرام الأنصاري فولده اليوم بها . وبلغ خالداً أن جمعاً لبني تغلب بن وائل بالمضبح والحصيد مرتدين عليهم ربيعة بن بجير، فأتاهم ، فقاتلوه فهزمهم وسبى وغنم ، وبعث بالسبي إلى أبى بكر...ثم أغار خالد على قراقر وهو ماء لكلب ، ثم فوَّز منه إلى سُوى وهو ماء لكلب أيضاً ومعهم فيه قوم من بهراء ، فقتل حرقوص بن النعمان البهراني من قضاعة واكتسح أموالهم ...

قال الواقدي: خرج خالد من سوى إلى الكواثل ، ثم أتى قرقيسيا فخرج إليه صاحبها في خلق ، فتركه وانحاز إلى البر ومضى لوجهه ! (أي خاف وهرب منه).

وأتى خالد أركة وهي أرك فأغار على أهلها وحاصرهم ، ففتحها صلحاً على شئ أخذه منهم للمسلمين . وأتى دومة الجندل ففتحها . ثم أتى قصم فصالحه بنو مشجعة بن التيم بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكتب لهم أماناً . ثم أتى تدمر فامتنع أهلها وتحصنوا ثم طلبوا الأمان فأمنهم على أن يكونوا ذمة ، وعلى أن قروا المسلمين ورضخوا لهم .

ثم أتى القريتين فقاتله أهلها فظفر وغنم . ثم أتى حوارين من سنير فأغار على مواشي أهلها فقاتلوه ، وقد جاءهم مدد أهل بعلبك وأهل بصرى ، وهي مدينة حوران ، فظفر بهم فسبى وقتل .

ثم أتى مرج راهط فأغار على غسان في يوم فصحهم وهم نصارى فسبى وقتل. ووجه خالد بسر بن أبي أرطاة العامري من قريش وحبيب بن مسلمة الفهري إلى غوطة دمشق ، فأغارا على قرى من قراها . وصار خالد إلى الثنية التي تعرف بثنية العقاب بدمشق، فوقف عليها ساعة ناشراً رايته ، وهي راية كانت لرسول الله (صلى الله عليه و آله) سوداء ، فسميت ثنية العقاب يومئذ».

وفي تاريخ دمشق:2/68: «فمر بدومة ، فأغار عليها فقتل بها رجالاً وهزمهم ، وسبا ابنه الجودي».

وفي تاريخ الطبري:2/610: «ثم سار خالد على وجهه ذلك حتى أغار على غسان بمرح راهط ، ثم سار حتى نزل على قناة بصرى ، وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان فاجتمعوا عليها فرابطوها حتى صالحت بصرى على الجزية وفتحها الله على المسلمين، فكانت أول مدينة من

مـدائن الشام فتحت في خلافـة أبى بكر ، ثم ساروا جميعاً إلى فلسـطين مـدداً لعمرو بن العاص، وعمرو مقيم بالعربات من غور فلسـطين ، وسمعت الروم بهم فانكشفوا عن جلق إلى أجنادين وعليهم تذارق أخو هرقل لأبيه وأمه .

وأجنادين بلـد بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسـطين . وسار عمرو بن العاص حين سـمع بأبي عبيدة بن الجراح وشـرحبيل بن حسـنة ويزيد بن أبي سفيان حتى لقيهم ، فاجتمعوا بأجنادين ، حتى عسكروا عليهم».

أقول: إن أبسط قارئ يرى أن خالـداً يغير على الضـعفاء من العرب سـكان هذه القرى والدساكر الآمنه المسالمة للمسـلمين ، فيقتل وينهب ويسبي ! وهذه هي كل بكولاته ، أما إذا رأى أن الطرف قوي فيهرب منه ، ويقولون إنه انحاز عنه وانكشف ولا يقول هرب ولا انهزم !

17.الصورة الحقيقية لعمل خالد في العراق: أنه دخل في أوائل السـنة الثانية عشـرة للهجرة ، وكانت سـنة هادئة عسـكرياً ، لأن الفرس كانوا مشـغولين بوضـعهم الداخلي، فاقتصـر عمل خالد على إبرام عقود صلح مع الدساكر والمدن في المناطق التي حررها المثنى ، أو انهار فيها الحكم الفارسي .

وكـان العمل الثاني لخالـد أن يرسل المثنى بن حارثـة الى بعض المـدن أو الـدساكر التي فيها حاميات من بقايا النظام ، أو من أهلها ، فإذا انتصر عليهم جاء خالد فأبرم معهم صلحاً ، وأخذ المبلغ المرقوم !

قال الطبري:2/573: «أقام خالد في عمله سـنة ومنزله الحيرة، يُصَـعِّد ويُصَوِّب قبل خروجه إلى الشام وأهل فارس يخلعون ويملكون، ليس إلا الدفع عن بهرسير.

ص: 36

وذلك أن شيرى بن كسرى قتل كل من كان يناسبه إلى كسرى بن قباذ ، ووثب أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه ، فقتلوا كل من بين كسرى بن قباذ وبين بهرام جوار ، فبقوا لا يقدرون على من يملكونه ممن يجتمعون عليه».

أقول: هذا نصٌّ على أن الفرس كانوا مشغولين بصراعهم على منصب الملك ، فلم يخوضوا حرباً ، إلا الدفاع عن بهرسير وهي عاصمتهم ، وهي من مجموعة المدائن .

وهذا يرد كل ما رووه عن جيوش الفرس وتحشيدهم للألوف المؤلفة التي زعموا أن خالداً واجهها وخاض معها معارك ، فلم يكن في العراق إلاحاميات صغيرة ومتوسطة ، الى أن أرسلوا جيشاً بعد ذهاب خالد بنحو سنة فكانت معركة الجسر ، ثم كانت معركة القادسية بعد معركة الجسر بأكثر من سنة ، ثم كان فتح المدائن بعد معركة القادسية بسنتين !

أما إبرام خالد الصلح مع الدساكر المفتوحة وشبه المفتوحة على مبالغ ، فقد بدأ في أول دخوله الى العراق حيث أبرم صلحاً مع القُرَيَّات، وهي سكاكة الفعلية وما حولها وهي اليوم في السعودية وكانت قديماً من العراق . ثم دخل الى الحيرة ووقع مع حاكمها صلحاً وقبض المال ، وهكذا..

قال الطبري:2/551: «ثم كانت سنة اثنتي عشرة من الهجرة..كتب إليه أبو بكر وخالد مقيم باليمامة.. يأمره أن يسير إلى العراق ، فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقريات من السواد يقال لها بانقيا وباروسما وأليس ، فصالحه أهلها. وكان الذي صالحه عليها ابن صلوبا، وذلك في سنة اثنتي عشرة فقبل منهم خالد الجزية ، وكتب لهم كتاباً فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد لابن صلوبا السوادي ومنزله بشاطئ الفرات إنك آمن بأمان الله إذ حقن دمه بإعطاء

الجزيـة وقد أعطيت عن نفسك وعن أهل خرجك وجزيرتك ومن كان في قريتيك بانقيا وباروسـما ألف درهـم فقبلها منك ورضـى من معي من المسلمين بها منك ولك ذمة الله وذمة محمد (صلى الله عليه و آله) وذمة المسلمين على ذلك..

ثم أقبل خالـد بن الوليـد بمن معه حتى نزل الحيرة ، فخرج إليه أشـرافهم مع قبيصـة بن إياس بن حيـة الطائي ، وكان أمره عليها كسـرى بعد النعمان بن المنذر فقال له خالد ولأصـحابه: أدعوكم إلى الله والى الإسلام فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين لكـم مالهـم وعليكم ما عليهم ، فإن أبيتم فالجزيـة فإن أبيتم الجزيـة فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة ، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم . فقـال له قبيصـة بن إياس: ما لنا بحربك من حاجـة ، بل نقيم على ديننا ونعطيك الجزيـة . فصالحهم على تسـعين ألف درهـم ، فكانت أول جزية وقعت بالعراق هي والقريات ، التي صالح عليها ابن صلوبا».

وفي معجم البلدان(4/335): «القُريات ، جمع تصـغير القريـة: من منازل طئ ، قال أبو عبيد الله السـكوني: من وادي القرى إلى تيماء أربع ليال ، ومن تيماء إلى القريات ثلاث أو أربع ، قال: والقريات دومة وسكاكة والقارة ».

أقول: ذكر المؤرخون مصالحات خالد الكثيرة مع عدد من المدن والقرى بمبالغ كبيرة أو صـغيرة ، وكان ينفق قسـماً منه ، ويرسل قسـماً الى أبي بكر ، وعندما وصل الى الشام وصادر عمر نصف ثروته ، أقر بثمانين ألف درهـم ، فصادر منه أربعين .

وينبغي الإلفـات هنـا الى أن اهتمـام الخليفـة وقادته بالمال أمرٌ بارز في الفتوحات ، ومنه أموال الجزيـة التي تؤخـذ على كل رأس ، وأموال الخراج التي تؤخذ على الأراضي ،

وأموال الصلح التي تؤخذ للكف عنهم وحمايتهم . وزاد عليها خالد أموال الغارات على القرى والدساكر وتشمل النهب والسبي !

تقرأ مثلاً في الطبري:2/582: «أن خالد بن الوليد أتى الأنبار فصالحوه على الجلاء ثم أعطوه شيئاً رضي به... ثم سار إلى عين التمر ففتحها عنوة فقتل وسبى، وبعث بالسبي إلى أبي بكر فكان أول سبي قدم المدينة من العجم . وسار إلى دومة الجندل فقتل أكيدر وسبى ابنة الجودي ورجع فأقام بالحيرة . هذا كله سنة اثنتي عشرة شهراً ».

وفي الطبري:2/327: «واستبى الشرخ (الأطفال دون البلوغ) وبعث بخمس الله إلى أبي بكر مع النعمان بن عوف بن النعمان الشيباني.. وكانت على خالد يمين ليبغتن تغلب في دارها.. وقسم خالد فيأهم في الناس ، وبعث الأخماس إلى أبي بكر مع الصباح بن فلان المزني ، وكانت في الأخماس ابنة مؤذن النمري ، وليلى بنت خالد ، وريحانة بنت الهذيل بن هبيرة ».

وفي الطبري(2/308):«فصالحهم على تسعين ومائة ألف درهم . فكانت أول جزية حملت إلى المدينة من العراق ».

وفي الطبري(2/319): «ولما صالح أهل الحيرة خالداً خرج صلوبا بن نسطونا صاحب قس الناطف ، حتى دخل على خالد عسكره فصالحه على بانقيا وبسما وضمن له ما عليهما وعلى أرضيهما من شاطئ الفرات جميعاً ، واعتقد لنفسه وأهله وقومه على عشرة آلاف دينار ، سوى الخرزة خرزة كسرى(ضريبة) وكانت على كل رأس أربعة دراهم ».

وفي تاريخ دمشق:2/87: «وسبى من عين التمر بشـراً كثيراً فبعث بهم إلى أبي بكر وذلك أول سبي قدم المدينة. من ذلك السبي أبو عمرة أبو عبـد الله بن أبي عمرة، وعبيـد مولى المعلى ، وأبو عبيد الله مولى بني زهرة ، وخير مولى أبي داود ، ويسار مولى قيس بن مخرمة..وكان فيهم عمير بن زيتون الذي ببيت المقدس ، ويسار مولى أبي بن كعب ، وهو أبو الحسن بن أبي الحسن البصري ».

وفي فتوح البلاذري:1/131 : «ثم أغار خالد على قراقر وهو ماء لكلب ، ثم فوَّزَ منه إلى سُوى وهو ماء لكلب أيضاً ومعهم فيه قوم من بهراء ، فقتل حرقوص بن النعمان البهراني من قضاعة ، واكتسح أموالهم » .

وفي الكامل:2/379: «فلمـا فرغ من أليس سـار إلى أمغيشـيا، وقيـل اسـمها منيشـيا فأصـابوا فيهـا ما لـم يصـيبوا مثله ، لأن أهلها أعجلهم المسـلمون أن ينقلوا أموالهم وأثاثهم وكراعهم وغير ذلك ، وأرسل إلى أبي بكر بالفتح ومبلغ الغنائم والسبي وأخرب أمغيشـيا ! فلما بلغ ذلك أبا بكر قال:عجزت النساء أنْ يلدن مثل خالد ».

لاحظ أن خالد بن الوليد ، القائد المسـلم الفاتح ، لـم يدع أحداً الى الإسـلام ولم يخير أهل القرى بين الإسلام والجزية ، وأنه أجاد المباغتة فلم يمهل أهل أمغيشـيا النصارى أن يحملوا شيئاً من أموالهم فنهبها كلها ، ولما أرسلها الى الخليفة المحترم فرح بها وقال: «عجزت النساء أنْ يلدن مثل خالد » !

يعني مثله في الغارة ونهب أموالهم وأثاثهم وكراعهم وغير ذلك ! أي نساءهم واطفالهم ! وكل ذلك باسم الله تعالى ورسوله (صـلى الله عليه و آله) ، وتقرباً الى الله تعالى لهداية الناس !

ص: 40

لكن الرواة لم يكتفوا بأخبار جباية خالد ونهبه ، فقدموه بطلاً قائداً مقاتلاً ، واخترعوا له بطولات ومعارك وهمية ، مع نفس هذه القرى والدساكر التي أغار عليها ونهبها وسبى منها ، وكتب معها عهود صلح !

قال الطبري:2/562 و563 :«عن المغيرة قال: كانت على النهر أرحاء فطحنت بالماء وهو أحمر قوت العسكر ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون ثلاثة أيام ، وبعث خالد بالخبر مع رجل يدعى جندلاً...فقدم على أبى بكر بالخبر وبفتح أليس وبقدر الفئ..قال وبلغت قتلاهم من أليس سبعين ألفاً جلهم من أمغيشيا.. بلغ سهم الفارس ألفا وخمس مائة سوى النفل الذي نفله أهل البلاء . وقالوا جميعاً قال أبو بكر حين بلغه ذلك: يا معشر قريش ، يخبرهم بالذي أتاه: عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله . أُعجزت النساء أن يُنشئن مثل خالد».

وفي أكثر المصادر: عجزت النساء أن يلدن مثل خالد . والخراذيل القطع الصغار ، ولعلها معربة من الخردة الفارسية , والمعنى أن أسد العرب غلب أسد الفرس على قطع اللحم .

18. لكن عمر كان يَتَّهم خالداً بقتل الأنفس المحترمة ، وبخيانة بيت المال! وقد طلب من أبي بكر القصاص منه لأنه قاتل ، واتهمه بخيانة المسلمين وسوء الأمانة ! وعندما صار خليفة بادر الى مصادرة نصف أمواله !

قال في الإصابة:2/218:«وكان سبب عزل عمر خالداً ما ذكره الزبير بن بكار قال:كان خالد إذا صار إليه المال قسمه في أهل الغنائم، ولم يرفع إلى أبي بكر حساباً ».

وينبغي الإلفات الى أن النظرة المادية كانت حالة طاغية على تفكير قريش والجزيرة ، حتى قال أمير المؤمنين (عليه السلام) إن أكثرهم لم يؤمنوا بالإسلام حتى رأوا صدق وعد النبي (صلى الله عليه و آله) بالفتوحات وأموالها ورفاهيتها ، فلانت قلوبهم !

قال (عليه السلام) كما في شرح النهج (20/298): «ولولا أن قريشاً جعلت إسمه ذريعة إلى الرياسة ، وسلّماً إلى العز والأمرة ، لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً ، ولارتدت في حافرتها، وعاد قارحها جذعاً، وبازلها بكراً .

ثم فتح الله عليها الفتوح فأثْرت بعد الفاقة ، وتمولت بعد الجَهد والمخمصة ، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً ، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً ، وقالت: لولا أنه حق لما كان كذا ! ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها وحسن تدبير الأمراء القائمين بها » !

والقارح والبازل من الإبل كبير السن ، والجذع والبكر صغيرها . وهو مثلٌ للتراجع.

19. وتعمدت روايات السلطة أن تصور خالداً على أنه بطل فتوحات العراق، ولم تنس أن تعد من قادة جيشه الأبطال: ضرار بن الأزور وزيد بن الخطاب اللذين دفنهما خالد في اليمامة !

قال الطبري (2/571): «كانت الثغور في زمن خالد بالسِّيب (منطقة في الكوفة) بعث ضرار بن الأزور ، وضرار بن الخطاب ، والمثنى بن حارثة ، وضرار بن مقرن ، والقعقاع عمرو ، وبسر بن أبي رهم ، وعتيبة بن النهاس ، فنزلوا على السيب في عرض سلطانه ، فهؤلاء أمراء ثغور خالد ، وأمرهم خالد بالغارة والإلحاح ، فمخروا ما وراء ذلك إلى شاطئ دجلة » .

أقول: نعم كان أكثر هؤلاء مع خالد في العراق ، وقد مخروا بعض مناطقه ، لكن بغارات على الضعفاء المسالمين ولم يخوضوا أي معركة كبيرة ، ما عدا المثنى الذي ركز عملياته على مسالح الفرس ثم جيشهم .

بل زعموا أن خالداً فتح المدائن ، مع أنها فتحت بعد ذهابه من العراق بأربع سنوات ، لأنها معركة الجسر بعد ذهابه بسنة، وفتح المدائن بعدها بثلاث سنين!

20. واخترع خالد صلاةً فتحير فيها فقهاء السلطة ، ولم يفهموها الى يومنا هذا! فقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق:16/247: «عن الشعبي قال:لما فتح خالد الحيرة صلى صلاة الفتح ثمان ركعات لا يسلم فيهن ! ثم انصرف وقال: لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة أسياف ! وما لقيت قوماً كقوم لقيتهم من أهل فارس ، وما لقيت من أهل فارس قوماً كأهل أُلّيس ».

وقال الشيخ حسن بن فرحان المالكي في كتابه: نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي/64: «لكن صلاة خالد هذه رواها سيف ويريد بها صلاة الفتح..وصلاة الفتح هذه لفظة منكرة ، فليس في الإسلام ما يسمى بصلاة الفتح ! فهذه صلاة مبتدعة وهذه الرواية صحيحة » .

21. وزعم خالد لنفسه الإنتصارات ، وأن سببها أنه يحمل من شعر النبي (صلى الله عليه و آله) في قلنسوته! ففي مستدرك الحاكم:3/299: «أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال: أطلبوها فلم يجدوها، ثم طلبوها فوجدوها ، وإذا هي قلنسوة خَلِقة (قديمة) فقال خالد: اعتمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) فحلق رأسه ، وابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة ، فلم أشهد قتالاً وهي معي ، إلا رزقت النصر».

وفي مغازي الواقدي:2/883:«خرج مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) في حجة الوداع فلما حلق رسول الله (صلى الله عليه و آله) رأسه أعطاه ناصيته فكانت في مقدم قلنسوته ، فكان لا يلقى

أحـداً إلا هزمه الله تعالى . ولقد قاتل يوم اليرموك فوقعت قلنسوته فجعل يقول: القلنسوة ، القلنسوة ! فقيل له بعد ذلك: يا أب سـليمان عجباً لطلبك القلنسوة وأنت في حومة القتال! فقال: إن فيها ناصية النبي (صلى الله عليه و آله) ولـم ألق بها أحداً إلا ولَّى».

22. وقـد بينا عدم صـحة بطولته المزعومة في معركة طليحة ، في حرب اليمامة وأن الفعل المؤثر كان لعدي بن حاتم رضـي الله عنه وقبيلته طيئ والأنصار، فنسبت الحكومة ذلك الى خالد ! مع أنهم اعترفوا بأنه سيطر عليه الخوف وسرى منه الى جيشه ، عندما قتل طليحة الفارسين اللذين ذهبا للإستطلاع ، فرجع خالد بجيشه من قرب بزاخة ، وذهب الى طيئ يطلب معونتهم.

قال الطبري(2/484):«وأقبـل خالـد بالنـاس حتى مروا بثـابت بن أقرم قتيلاً فلم يفطنوا له حتى وطـأته المطي بأخفافهـا، فكبر ذلـك على المسـلمين، ثم نظروا فإذا هم بعكاشة بن محصن صريعاً، فجزع لذلك المسلمون.. لما رأى ما بأصحابه من الجزع عند مقتل ثابت وعكاشة قـال لهم: هل لكم إلى أن أميل بكم إلى حيٍّ من أحياء العرب ، كثير عـددهم شديـدة شوكتهم، لـم يرتـد منهم عن الإسـلام أحـد؟ فقال له الناس:ومن هذا الحي الذي تعنى فنعم والله الحي هو؟قال:لهم طئ . فقالوا: وفقك الله ، نعم الرأي رأيت ، فانصـرف بهـم حتى نزل بالجيش في طئ».

وبزاخة معسكر طليحة ، في أول نجد ، وجبال طيئ في جهة العراق والأردن !

وقد تقدم بالتفصيل فضح ما ادعاه خالد ، وما ادعوه له في معركة اليمامة .

23. وروينـا بطولـة خالـد ، لكـن في هجـومه على بيـت الزهراء (عليهـا السـلام) ! فقـد روى العياشـي في تفسـيره:2 /66 ، والمفيـد في الإختصاص/185، عن أبي المقدام ، قال: «ما أتى

على علي (عليه السلام) يوم قط أعظم من يومين أتياه ، فأما أول يوم فاليوم الذي قبض فيه رسول الله (صلى الله عليه و آله) ، وأما اليوم الثاني ، فوالله إني لجالس في سقيفة بني ساعدة عن يمين أبي بكر والناس يبايعونه ، إذ قال له عمر: يا هذا ليس في يديك شئ ما لم يبايعك علي! فابعث إليه حتى يأتيك يبايعك فإنما هؤلاء رعاع ، فبعث إليه قنفذ فقال له: إذهب فقل لعلي: أجب خليفة رسول الله .

فذهب قنفذ فما لبث أن رجع فقال لأبي بكر: قال لك: ما خلف رسول الله أحداً غيري ! قال: إرجع إليه فقل: أجب، فإن الناس قد أجمعوا على بيعتهم إياه وهؤلاء المهاجرون والأنصار يبايعونه وقريش، وإنما أنت رجل من المسلمين لك ما لهم وعليك ما عليهم ، فذهب إليه قنفذ ، فما لبث أن رجع فقال قال لك: إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال لي وأوصاني إذا واريته في حفرته ، لا أخرج من بيتي حتى أؤلف كتاب الله ، فإنه في جرايد النخل وفي أكتاف الإبل .

قال عمر: قوموا بنا إليه ، فقام أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وخالد بن الوليد ، والمغيرة بن شعبة ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى أبي حذيفة، وقنفذ ، وقمت معهم فلما انتهينا إلى الباب فرأتهم فاطمة (عليها السلام) فأغلقت الباب في وجوههم، وهي لاتشك أن لايدخل عليها إلا بإذنها، فضرب عمر الباب برجله فكسره وكان من سعف ، ثم دخلوا فأخرجوا علياً ملبباً !

فخرجت فاطمة فقالت: يا أبا بكر أتريد أن ترمِّلني من زوجي، والله لئن لم تكفَّ عنه لأنشرن شعري ولأشقنَّ جيبي ولآتين قبر أبي ولأصيحنَّ إلى ربي ، فأخذت بيد الحسن والحسين وخرجت تريد قبر النبي (صلى الله عليه و آله) فقال عليٌّ لسلمان: أدرك ابنة محمد (صلى الله عليه و آله) فإني أرى جنبتي المدينة تكفيان ، والله إن نشرت شعرها

وشـقت جيبها وأتت قبر أبيها وصاحت إلى ربها ، لا يناظر بالمدينـة أن يخسف بها وبمن فيها ! فأدركها سـلمان فقال: يا بنت محمـد إن الله إنما بعث أباك رحمة فارجعي. فقالت: يا سـلمان يريدون قتل علي! ما على عليٍّ صبر ، فدعني حتى آتى قبر أبي ، فأنشـر شعري وأشق جيبي وأصيح إلى ربي! فقال سلمان: إني أخاف أن يخسف بالمدينة ، وعليٌّ بعثني إليك ويأمرك أن ترجعي إلى بيتك وتنصرفي . فقالت: إذاً أرجع وأصبر وأسمع له وأطيع .

قـال: فـأخرجوه من منزله ملبباً ومروا به على قـبر النبي (صـلى الله عليه و آله) قـال فسـمعته يقول: يـا ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي.. إلى آخر الآية .

وجلس أبو بكر في سقيفة بني ساعدة وقَدِم عليٌّ فقال له عمر: بايع ! فقال له علي: فإن أنا لم أفعل فمَهْ؟

فقال له عمر: إذا أضرب والله عنقك !

فقال له علي: إذاً والله أكون عبد الله المقتول وأخا رسول الله.

فقـال عمر: أمـا عبـد الله المقتول فنعم وأما أخو رسول الله فلا، حتى قالها ثلاثاً ! فبلغ ذلك العباس بن عبـد المطلب ، فأقبل مسـرعاً يهرول فسمعته يقول: إرفقوا بابن أخي ولكم عليَّ أن يبايعكم ، فأقبل العباس وأخذ بيد علي فمسحها على يد أبي بكر ، ثم خلوه مغضباً ».

وقال السـيد مرتضى في مأساة الزهراء (عليها السلام) (1/226): «ذكر لنا التاريـخ أسـماء عدد من المهاجمين مثل: أبي بكر ، عمر ، قنفذ ، أبي عبيدة بن الجراح ، سالم مولى أبي حذيفة ، المغيرة بن شعبة ، خالد بن الوليد ، عثمان ، أسيد بن حضير ، معاذ بن

جبل ، وعبد الرحمان بن عوف ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، ومحمد بن مسـلمة ، وهو الذي كسـر سيف الزبير ، وزيد بن أسلم ، وعياش بن ربيعة ، وغيرهم».

فقد كان خالد معهم ، كما كان قبل عشر سنوات مع المتآمرين البضعة عشر من قبائل قريش ، لقتل النبي (صلى الله عليه و آله) .

24. وروينا بطولـة خالـد في محاولـة اغتيال أميرالمؤمنين (عليه السـلام) وذلك بأمر أبي بكر ! قال السـيد مرتضـى في مأساة الزهراء (عليها السلام) : (1/228): «وقد تآمروا أيضاً على قتل علي (عليه السـلام) على يد خالد بن الوليد ، وهو يصـلي في مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله) ، حينما نطق أبو بكر قبل التسليم قائلاً: لا يفعلن خالدٌ ما أمرته !

وقد أفتى أبو حنيفة بجواز التكلم قبل التسـليم اسـتنادا إلى هذه القضـية كما يقال وأفتى سفيان الثوري استناداً إلى هذه القضية أيضاً ، بأن من أحدث قبل التسليم وبعد التشهد ، فصلاته تامة».

ويقصد ما رواه عدد من مصادرنا، ومنها الإحتجاج للطبرسـي:1/118، قال: «ورويَ أن أبا بكر وعمر بعثا إلى خالـد بن الوليد، فواعداه على قتل علي (عليه السـلام) وضـمن ذلك لهما فسـمعت ذلك الخبر أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر في خدرها، فأرسلت خادمة لها ، وقالت ترددي في دار علي وقولي له: إِنَّ الْمَلا يَأْتَمِرُونَ بِكَ.. ففعلت الجارية وسـمعها علي (عليه السـلام) فقال:رحمها الله ، قولي لمولاتك: فمن يقتل الناكثين والمارقين والقاسطين؟!

ووقعت المواعدة لصـلاة الفجر إذ كان أخفى ،واختيرت للسدفة والشبهة فإنهم كانوا يُغَلِّسُون بالصلاة حتى لاتعرف المرأة من الرجل، ولكن الله بالغ أمره .وكان أبو بكر قال لخالد بن الوليد: إذا انصرفت من صلاة الفجر فاضرب

عنق علي. فصلى إلى جنبه لأجل ذلك وأبو بكر في الصلاة يفكر في العواقب فندم ، فجلس في صلاته حتى كادت الشمس تطلع ، يتعقب الآراء ويخاف الفتنة ولا يأمن على نفسه ، فقال قبل أن يسلم في صلاته: ياخالد لاتفعل ما أمرتك به، ثلاثاً . وفي رواية: لايفعلن خالد ما أمر به !

فالتفت علي (عليه السلام) فإذا خالد مشتمل على السيف إلى جانبه ، فقال: يا خالد ما الذي أمرك به؟ قال: بقتلك ! قال: أو كنت فاعلاً؟ فقال: إي والله لولا أنه نهاني لوضعته في أكثرك شعراً ! فقال له علي (عليه السلام) : أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لولا ما سبق به القضاء ، لعلمت أي الفريقين شر مكاناً وأضعف جنداً .

وفي رواية لأبي ذر: أن أمير المؤمنين أخذ خالداً بأصبعيه السبابة والوسطى في ذلك الوقت ، فعصره عصراً فصاح خالد صيحة منكرة ، ففزع الناس وهمتهم أنفسهم وأحدث خالد في ثيابه ، وجعل يضرب برجليه الأرض ولا يتكلم» !

أقول:يظهر أن هذا الخبر كان معروفاً من قديم ، فقد روى السمعاني في الأنساب (3/95) عن ابن حبان قال: «عباد بن يعقوب الرواجني من أهل الكوفة ، يروي عن شريك حدثنا عنه شيوخنا ، مات سنة خمسين ومائتين في شوال ، وكان رافضياً داعية إلى الرفض، ومع ذلك يروي المناكير عن أقوام مشاهير فاستحق الترك ، وهو الذي روى عن شريك عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه . قلت: روى عنه جماعة من مشاهير الأئمة مثل أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، لأنه لم يكن داعية إلى هواه ، وروى عنه حديث أبي بكر أنه قال: لا يفعل خالد ما أمر به . سألت

الشريف عمر بن إبراهيم الحسيني بالكوفة عن معنى هذا الأثر، فقال: كان أمر خالد بن الوليد أن يقتل علياً ، ثم ندم بعد ذلك فنهى عن ذلك ».

هذا ، وقد رويت روايات متفاوتة فيما فعله علي (عليه السلام) بخالد على أثرها، ومنها أنه طوق عنقه بعمود حديد غليظ، فلم يستطيعوا فكه حتى توسط العباس عند علي (عليه السلام) ، وفي بعضها طلب منه أبو بكر ففكه . ونحن نقبله إذا صح سنده ، فليس هو بأعجب من دحي علي (عليه السلام) باب خيبر ثم حمله وجعله جسراً للجيش . وقد رويت أعاجيب عن قوته البدنية (عليه السلام) .

ففي المناقب (2/121): «فلما ترعرع (عليه السلام) كان يصارع الرجل الشديد فيصرعه.. وربما يلحق الحصان الجاري فيصدمه فيرده على عقبيه.. لم يمسك بذراع رجل قط إلا أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس.. ويقال أنه كان يتأبط باثنين ويدير واحداً برجله..ثم روى عن أبي سعيد الخدري وجابر الأنصاري وعبد الله بن عباس من خبر طويل قصة تطويقه لعنق خالد بعمود حديد ، وأنه بقي في عنقه أياماً حتى شفع له أبو بكر فأقسم عليه فقبض على رأس الحديد من القطب فجعل يفتل منه يمينه شبراً شبراً فيرمي به !

25. برز من أولاد خالد ابنه عبد الرحمن ، وكان قائد جيش معاوية في صفين ، وأحبه أهل الشام فطلبوا من معاوية أن يجعله ولي عهده ، فقتله بالسم على يد طبيب مسيحي، فجاء أخوه المهاجر من مكة وقتل الطبيب . وكان المهاجر شيعياً صلباً شهد مع علي (عليه السلام) حرب الجمل وصفين ، وأولاده شيعة. (الإستيعاب:4/1453). وأم المهاجر أسماء الخثعمية ، وليست أم تميم زوجة مالك بن نويرة ، ولا زوجته الأخرى ميَّة بنت مجَّاعة الحنفي . (تاريخ دمشق:61/264).

سعد بن أبي وقاص قائد عيَّرته زوجته بالجُبن

1. سـعد بن أبي وقاص ويكنى أبا إسحاق ، وإسم أبي وقاص مالك بن أهيب ، بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب . وعبد مناف الذي في نسب بني زهرة غير عبد مناف الجد المشترك لبني هاشم وأمية .

قال رواة السلطة إن سعداً أسلم وهو شاب ابن17سنة (المنتظم:5/281) وقال ابنه محمد: « قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم إسلاماً ؟ فقال: لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين، ولكن كان أفضلنا إسلاماً ». (الطبري:2/60) .

وقال ابن حجر في الإصابة:3/61: «وأمه حمنة بنت سـفيان بن أمية ، بنت عم أبي سـفيان بن حرب بن أمية». وقد عاشت طويلاً ولم تسـلم (فتح الباري:7/66) .

وقالوا غضـبت عليه وقالت له: « يا سـعد بلغني أنك قد صـبأت ، فوالله لا يظلني سـقف بيت من الضح والريح ، وإن الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد » . فشـكى سـعد الى النبي (صـلى الله عليه و آله) فعل أمه، فنزلت آية تأمر ببر الوالدين وعدم طاعتهما في الكفر . (الكشاف:3/198) .

ثم تحيروا في أي آية نزلت ، لأن المطلوب آية نزلت في الوقت المبكر الذي فرضه سعد لإسلامه ! وآية الأمر بالإحسان الى الوالدين وتحريم قول أف لهما ، في سورة الإسـراء:23، وآيـة: وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا في سورة العنكبوت:8 ، ولقمان:15، وآية: اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ..في لقمان:14. وآية: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا..في الأحقاف:15.

وكل هذه السور متأخرة عن توقيتهم لإسلام سعد ، ولذلك داخ مشايخهم!

ص: 50

وقد أطال بحث ذلك ابن حجر ولم يصل الى نتيجة مقنعة (فتح الباري:10/335).

هـذا ، وقـد طعن عبد الله بن مسـعود في أم سـعد ، عندما كان والي بيت المال في الكوفة فاسـتقرض منه سـعد مبلغاً ، وطالبه بعد مدة فلم يسدده ، وأهانه فقال له: يا ابن حمنة ! وهو تشـكيك بنسبته الى أبيه ! وكان التشكيك بأبيه من زمن النبي (صلى الله عليه و آله) ، فقد قال سعد إنه شكى ذلك النبي (صلى الله عليه و آله) فقال له إن أمك بريئة !

قال سـعد كما في الرياض النضرة للمحب الطبري(4/319) قلت للنبي (صـلى الله عليه و آله) : «من أنـا يا رسول الله ؟ قال أنت سـعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة ؛ من قال غير ذلك فعليه لعنة الله . أخرجه الضحاك . أمه حمنة بنت سفيان بن أبي أمية بن عبد شمس . قاله ابن قتيبة والدار قطني وغيرهما» .

ولكن رواية سعد هذه تزيدنا الشك في الأمر ، ولا ترفعه !

وقال مفلح بن راشد في إلزام النواصب/171 : « وقد نسـبوا سعداً إلى غير أبيه وأنه من رجل من بني عذرة كان خدناً لأمه ، ويشهد بذلك قول معاويـة له حين قال سـعد لمعاويـة: أنا أحق بذلك الأمر منك ، فقال له معاوية: يأبى عليك ذلك بنو عذرة ، وضـرط له ! روى ذلك النوفل بن سلمان » . يقصد أنك لست قرشياً !

2. كان سعد قصيراً ، غليظاً ، أسمر ، أفطس ، أشعر الجسد ، يخضب السواد ،

هكذا وصفته ابنته ، والرواة ، ومنهم ابن الجوزي في كتاب المنتظم (5/281).

وكـان صاحب قوس وصـيد ، وقـد أمَّره النبي (صـلى الله عليه و آله) على بعض سـراياه ، وزعموا أنه أول من رمى بسـهم في سبيل الله ، في السرية التي أرسلها النبي (صلى الله عليه و آله) بإمرة

عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، فاعترضت قافلة لقريش ، ولم يكن بينهم قتال ، وتراموا ببعض السهام ، فقيل إن سعداً جرح أحدهم بسهمه !

3. وهناك مشكلة أخرى في نسب سعد، فقد قيل إن بني وقاص ليسوا من زهرة بل من بني عذرة ، كما ذكر بعض النسابين ، وقد حكم به عبد الله بن مسعود .

وقد روى في شرح نهج البلاغة:6/55 ، قول حسان في عتبة بن أبي وقاص:

«فمن عاذري من عبد عذره بعدما *** هوى في دجوجي شديد المضايق

وأورث عاراً في الحياة لأهله *** وفى النار يوم البعث أم البوائق

ثم قال: و إنما قال عبد عذرة ،لأن عتبة بن أبي وقاص و إخوته وأقاربه في نسبهم كلام ، ذكر قوم من أهل النسب أنهم من عذرة ، وأنهم أدعياء في قريش ، ولهم خبر معروف ، وقصة مذكورة في كتب النسب..وتنازع عبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص في أيام عثمان في أمر فاختصما ، فقال سعد لعبد الله: أسكت يا عبد هذيل ، فقال له عبد الله: أسكت يا عبد عذرة ».

ورووا أن عمر قال إن سعد لا يصلح للخلافة ، لأنه يقال إنه من بني عذرة ، كما أن معاوية حكم بنفي بني وقاص عن بني زهرة وقريش !

روى المسعودي في مروج الذهب:1/353 ، عن ابن إسحاق: «لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد ، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوَة ، فأجلسه معه على سريره ، ووَقَعَ معاوية في علي وشَرَعَ في سَبِّه ، فزحف سعد ثم قال: أجلستني معك على سريرك ثم شرعت في سب علي، واللهّ لأن يكون فيَّ خصلة واحدة من خصال كانت لعلي أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس واللّه لأن

أكون صهراً لرسول الله (صلى الله عليه و آله) وأن لي من الولد ما لعلي أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، والله لأن يكون رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال لي ما قاله يوم خيبر:لأعطيَنَّ الراية غداً رجلاً يحبه اللّه ورسوله ويحب اللهّ ورسوله ليس بِفَرَّار ، يفتح اللهّ على يديه ، أحب إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، واللهّ لأن يكون رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال لي ما قال له في غزوة تبوك:ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، أحبُّ إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس . وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت ، ثم نهض...عنِ ابن عائشة وغيره ، أن سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرَطَ له معاوية وقال له: أقعد حتى تسمع جواب ما قلت: ما كُنْتَ عندي قَطُّ ألأم منك الآن ، فهلا نصرته ، ولِمَ قعدت عن بيعته ، فإني لو سمعت من النبي مثل الذي سمعت فيه لكنت خادماً لعلي ما عشت! فقال سعد: واللّه إني لأحق بموضعك منك ، فقال معاوية: يأبى عليك ذلك بنو عذرة ! وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة..وفي ذلك يقول السيد بن محمد الحميري :

سائل قريشاً بها إن كنت ذا عَمَهٍ *** مَنْ كان أَثْبَتَهَا في الدين أَوْتَادَا

من كان أقدمها سلما ، وأكثرها *** علماً ، وأطهرها أهلاً وأولادا

من وحَّدَ اللّه إذ كانت مكذبة *** تدعو مع اللّه أوثاناً وأندادا

من كان يُقْدِمِ في الهيجاء إن نكلوا *** عنها وإن بَخِلوا في أزمة جادا

من كان أعدلها حكماً ، وأقسطها *** حلماً ، وأصدقها وعداً وإيعادا

إن يَصْدَقوك فلم يَعدوا أبا حسن *** إن أنت لم تلق للأبرار حسادا

إن أنت لم تلق من تَيْمٍ أخا صَلَف *** ومن عدي لحق اللّه جُحَّادا

أو من بني عامر أو من بني أسد *** رَهْط العبيد ذوي جهل وأوغادا

أورهط سعد وسعد كان قد علموا *** عن مستقيم صراط اللّه صَدَّادا

قوم تَدَاعَوْا زنيماً ثم سادهُمُ *** لولا خمول بني زهر لما سادا

وكان سعد ، وأسامة بن زيد ، وعبد اللّه بن عمر ، ومحمد بن سلمة ، ممن قعد عن علي بن أبي طالب وأبوا أن يبايعوه هم وغيرهم ممن ذكرنا من القُعَّاد وذلك أنهم قالوا: إنها فتنة ، ومنهم من قال لعلي: أَعْطِنا سيوفاً نقاتل بها معك ، فإذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم ونَبَتْ عن أجسامهم ، وإذا ضربنا بها الكافرين سَرَتْ في أبدانهم ، فأعرض عنهم عليّ وقال: وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لاسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ».

4. مع معرفة سعد بفضل علي (عليه السلام) فقد كان يكرهه ، لأنه قتل من أخواله في بدر! فقد جعله عمر أحد أعضاء الشورى ، الذين عيَّنهم ليختاروا خليفته منهم، وأعطى حق النقض لعبد الرحمن بن عوف. (الإستيعاب:2/606).

فوصفهم علي (عليه السلام) بقوله كما في نهج البلاغة(1/35): «حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أني أحدهم ! فيا لله وللشورى ، متى اعترض الريب في مع الأول منهم ، حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر ! لكني أسْفَفْتُ إذ أسفوا ، وطِرْتُ إذ طاروا ، فصغى رجل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره ، مع هن وهن » !

قال الشريف المرتضى في رسائله (2/111): «أراد المائل إلى صهره عبد الرحمن بن عوف الزهري، فإنه كان بينه وبين عثمان مصاهرة معروفة ، فعقد له الأمر ومال

إليه بالمصاهرة.والذي مال إليه لضغنه إنما هو سعد بن أبي وقاص الزهري ، فإنه كان منحرفاً عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو أحد من قعد عن بيعته في وقت ولايته».

5. امتنع سعد عن بيعة علي (عليه السلام) ونصرته ، فتركه علي (عليه السلام) ولم يجبره على البيعة . وكان سعد يتقرب اليه ليوليه فلم يوله وأخبره أن ابنه عمر سيقتل الحسين (عليه السلام) ! «كان (عليه السلام) يخطب الناس وقال: سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله ماتسألوني عن شئ مضى ولا ـ شئ يكون إلا ـ نبأتكم به . قال فقام إليه سعد بن أبي وقاص وقال: يا أمير المؤمنين: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟فقال له: والله لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنك ستسألني عنها ! وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس ! وإن في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني ! وعمر يومئذ يدرج بين يدي أبيه». (أمالي الصدوق/ 196).

6. أدان سعد سب معاوية لعلي (عليه السلام) ، وشهد ببعض أحاديث النبي (صلى الله عليه و آله) فيه وحديثه مشهور في صحيح مسلم (7/120) وغيره:« أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان! فقال له رسول الله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي. وسمعته يقول يوم خيبر:لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال فتطاولنالها فقال:أدعوا لي علياً فأتى به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه . ولما نزلت هذه الآية: فقل

تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، فقال: اللهم هؤلاء أهلي».

وروى في مروج الذهب (1/354) عن ابن عائشة وغيره ، أن سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم، ضرَطَ له معاوية (أي سخر به بصوت من فمه) وقال له: «أقعد حتى تسمع جواب ما قلت: ما كُنْتَ عندي قَطُّ ألأم منك الآن فهلا نصرته، ولِمَ قعدت عن بيعته؟فإني لو سمعت من النبي مثل الذي سمعت فيه ، لكنت خادماً لعلي ما عشت! فقال سعد: واللّه إني لأحق بموضعك منك ! فقال معاوية: يأبى عليك ذلك بنو عذرة! وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة».

وفي تاريخ دمشق:20/360: عن المديني قال:«حج معاوية بن أبي سفيان فمر بالمدينة فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ، فالتفت إلى عبد الله بن عباس فقال: يا أبا عباس إنك لم تعرف حقنا من باطل غيرنا، فكنت علينا ولم تكن معنا ، وأنا ابن عم المقتول ظلماً يعني عثمان بن عفان وكنت أحق بهذا الأمر من غيري ! فقال ابن عباس: اللهم إن كان هكذا فهذا وأومأ إلى ابن عمر أحق بها منك ، لأن أباه قتل قبل ابن عمك ! فقال معاوية: ولا سواء ، إن أبا هذا قتله المشركون وابن عمي قتله المسلمون . فقال ابن عباس: هذا والله أبعد لك ، وأدحض لحجتك !

فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق أنت الذي لم تعرف حقنا وجلس فلم تكن معنا ولا علينا ! قال فقال سعد: إني رأيت الدنيا قد أظلمت فقلت لبعيري إخ فأنختها حتى انكشفت ، قال فقال معاوية: لقد قرأت ما بين اللوحين ما قرأت في كتاب الله عز وجل إخ ! قال فقال سعد: أما إذا أبيت فإني

سمعت رسول الله يقول لعلي:أنت مع الحق والحق معك حيث ما دار! قال فقال معاويـة: لتأتيني على هـذا ببينـة ! قال فقال سـعد: هـذه أم سلمة تشـهد على رسول الله. فقاموا جميعاً فدخلوا على أم سـلمة فقالوا: يا أم المؤمنين إن الأكاذيب قد كثرت على رسول الله ، وهذا سـعد يـذكر عن النبي مـا لم نسـمعه أنه قـال يعني لعلي: أنت مع الحق والحق معك حيث ما دار . فقالت أم سـلمة: في بيتي هـذا قال رسول الله لعلي! قال فقال معاوية لسـعد: يا أبا إسـحاق ما كنت ألومك الآن إذ سـمعت هذا مع من رسول الله وجلست عن علي ! لو سـمعت هذا من رسول الله لكنت خادماً لعلي حتى أموت» !

وأورده ابن كثير في النهاية:8/84 ، وضعفه على تردد بدون ذكر السبب ! إلا ما تربى عليه من بغض علي (عليه السلام) قال: «وفي إسناد هذا ضعف والله أعلم » !

أقول: هذا الحوار بين سـعد ومعاوية يكفي لكشف شخصـيتيهما ، فمعاوية يقول له: لماذا أنت لئيم متناقض، تشـهد لعلي بما شهدت به ثم لاتبايعه ولا تنصـره ، فلو أني سمعت من النبي (صلى الله عليه و آله) ما سمعته أنت فيه لكنت خادماً له كل حياتي ! أي أن الحجة تامة على سعد بما رواه ، فيجب عليه طاعة علي (عليه السلام) !

وكـان ينبغي لسـعد أن يعترف بتنـاقضه ويقول لمعاويـة: والحجـة عليك أيضاً تامـة بما رويت لك عن النبي (صـلى الله عليه و آله) ، فلماذا خرجت على عليٍّ وحاربته ؟

لكنه اختار الجواب من زاويـة أخرى فقال له: أنا وأنت ظلمنا علياً من أجل الخلافـة وخالفنا منطق النبوة واخترنا منطق قريش القبلي ، وأنا بها المنطق أحق بها منك لأني أحد أعضاء الشورى الذين رشحهم عمر زعيم قريش للخلافة !

فأجابه معاوية إجابة قاصعة فطعن في نسبه وقال له: يأبى عليك أنك من بني عذرة ولست قرشياً من بني زهرة كما تدعي !

7. زعموا أن النبي (صلى الله عليه و آله) بشَّر عشرة قرشيين بالجنة ، وجعلوا سعداً أحدهم . روى ذلك سعيد بن نفيل ابن عم عمر ، وعدَّ نفسه وسعداً منهم . وقد رد حديثه علي (عليه السلام) وقال إن سعيداً كذبه في خلافة عثمان .

فقد روى في الإحتجاج:1/237 : «لما التقى أمير المؤمنين (عليه السلام) أهل البصرة يوم الجمل ، نادى الزبيرَ يا أبا عبد الله أخرج إليَّ ، فخرج الزبير ومعه طلحة . فقال لهما: والله إنكما لتعلمان وأولوا العلم من آل محمد وعائشة بنت أبي بكر ، أن كل أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمد (صلى الله عليه و آله) ، وقد خاب من افترى. قالا: كيف نكون ملعونين ونحن أصحاب بدر وأهل الجنة ؟! فقال: لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحللت قتالكم . فقال له الزبير: أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفيل وهو يروي أنه سمع من رسول الله يقول: عشرة من قريش في الجنة؟ قال علي (عليه السلام) : سمعته يحدث بذلك عثمان في خلافته .

فقال الزبير: أفتراه كذب على رسول الله (صلى الله عليه و آله) ؟ فقال له علي (عليه السلام) : لست أخبرك بشئ حتى تسميهم. قال الزبير: أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعيد بن عمرو بن نفيل . فقال له علي (عليه السلام) : عددت تسعة فمن العاشر ؟قال له: أنت . قال علي (عليه السلام) : قد أقررت أني من أهل الجنة ، وأما ما ادعيت لنفسك وأصحابك فأنا به من الجاحدين الكافرين ! قال له: أفتراه كذب على رسول الله؟ قال: ما أراه كذب ولكنه والله اليقين ! فقال علي (عليه السلام) : والله إن بعض من سميته لفي

تابوت في شعب في جب في أسفل درك من جهنم ، على ذلك الجب صخرة إذا أراد الله أن يسعر جهنم رفع تلك الصخرة ! سمعت ذلك من رسول الله (صلى الله عليه و آله) وإلا أظفرك الله بي وسفك دمي على يديك ، وإلا أظفرني الله عليك وعلى أصحابك وسفك دمائكم على يدي ، وعجل أرواحكم إلى النار ! فرجع الزبير إلى أصحابه وهو يبكي » !

8. أسرة سعد بن أبي وقاص أسرةٌ عجيبة ، فمنها سعد كبيرهم الذي ستعرفه ، ومنها ابن أخيه هاشم بن عتبة ، البطل الشيعي الفاتح ، الذي ستعرفه .

ومنها عتبة والد هاشم وأخ سعد ، وكان شديد العداوة للنبي (صلى الله عليه و آله) وقد تعاقد مع نفر من عتاة قريش منهم والد الزهري ، على قتل النبي (صلى الله عليه و آله) في معركة أحد .

قال المقريزي في إمتاع الأسماع(14/339): «ومن أعداء رسول الله (صلى الله عليه و آله) عبد الله بن شهاب..الزهري..وعتبة بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف ، وعبد الله بن شهاب الزهري ، وعمرو بن قمئة الأدمي من بني تميم..وعبد الله بن حميد بن زهير.. بن أسد بن عبد العزى بن قصي.. وذلك أنه لما كان يوم أحد تعاقد هؤلاء مع أبيٍّ بن خلف على قتل رسول الله (صلى الله عليه و آله) !

أما عتبة بن أبي وقاص فرماه بأربعة أحجار ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وشق شفته السفلى . وأما ابن قمئة فكَلَمَ وجنتيه (صلى الله عليه و آله) وغيب حَلَق المغفر فيهما ، وعلاه بالسيف فلم يقطع ، وسقط رسول الله (صلى الله عليه و آله) فجحشت ركبته (رُضَّت).

وأما أبي بن خلف فشد بحربة ، فأعان الله عز وجل رسوله (صلى الله عليه و آله) فقتله .

وأما عبد الله بن حميد فأقبل يريد النبي (صلى الله عليه و آله) فشد عليه أبو دجانة فضربه وقال: خذها وأنا ابن خرشة ، فقال النبي (صلى الله عليه و آله) : اللهم ارض عن ابن خرشة ، فإني عنه

راض . قال الواقدي: دعا رسول الله (صلى الله عليه و آله) على الذين تعاقدوا على قتله فقال: اللهم لا تُحِلْ أحداً منهم الحول ، فمات عتبة من وجع أليم أصابه فتعذب به، وأصيب ابن قمئة في المعركة ، ويقال إنه لما رمى مصعب بن عمير فقتله قال: خذها وأنا ابن قمئة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : أقمأه الله، فعهد إلى شاة ليحلبها بعد الوقعة فنطحته وهو معتقلها فقتلته ، ووجد ميتاً بين الجبال ».

أقول: نفى الإمام الباقر (عليه السلام) أن تكون رباعية النبي (صلى الله عليه و آله) كُسرت وقال « قبضه الله سليماً » (معاني الأخبار/406). ويظهر أن سنه تخلخلت . وقد بينا في السيرة النبوية هروب جميع الصحابة بمن فيهم سعد ، ما عدا علي (عليه السلام) وأبي دجانة ونسيبة ، وقد جُرحا . وجاء علي (عليه السلام) وأصعد النبي (صلى الله عليه و آله) من الحفرة ، وأمره جبرئيل أن يستطل بالصخرة ، وأن يقاتل علي (عليه السلام) وحده ويرد الحملات التي تستهدف قتله .

وقال في شرح نهج البلاغة:6/55: «عتبة بن أبي وقاص ، الذي كسر رباعية رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم أحد ، وكلم شفتيه وشج وجهه ، فجعل يمسح الدم عن وجهه ، ويقول:كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم ، وهو يدعوهم إلى ربهم.. وقال حسان بن ثابت في ذلك اليوم :

إذا الله حيا معشراً بفعالهم *** ونصرهم الرحمن رب المشارق

فهدك ربي يا عتيب بن مالك *** ولقاك قبل الموت إحدى الصواعق

بسطت يميناً للنبي محمد *** فدميت فاه قطعت بالبوارق

فهلا ذكرت الله والمنزل الذي *** تصير إليه عند إحدى الصواعق

فمن عاذري من عبد عذره بعدما *** هوى في دجوجي شديد المضايق

وأورث عاراً في الحياة لأهله *** وفى النار يوم البعث أم البوائق

وإنما قال عبد عذرة ،لأن عتبة بن أبي وقاص وإخوته وأقاربه في نسبهم كلام ، ذكر قوم من أهل النسب أنهم من عذرة ، وأنهم أدعياء في قريش».

وفي سيرة ابن هشام:3/598: «وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبي وقاص ، وذكر أربعة أبيات وقال: «تركنا منها بيتين أقذع فيهما ».

وقد تركهما من أجل سعد ، ولكن عمر ومعاوية وابن مسعود، صرحوا بمضمونهما !

9. وكان يفتخر برميه يوم أحد ويقول: « نَثَلَ رسول الله (صلى الله عليه و آله) كنانته يوم أحُد وقال إرم فداك أبي وأمي». (سنن النسائي:6/57) ! مع أنه هرب وترك النبي (صلى الله عليه و آله) ! (راجع معركة أحُد في السيرة النبوية عند أهل البيت (عليهم السلام)).

وقد زعم سعد أنه رجع الى النبي (صلى الله عليه و آله) ورمى عنه بألف سهم ، ففدَّاه النبي (صلى الله عليه و آله) بأبيه وأمه ، ودعا له أن يسدد الله سهمه ويستجيب دعوته ، فصارسهمه مسدداً ودعوته مستجابة !

وقد بالغ رواة السلطة بحديثه وصححه الحاكم على شرط مسلم(3/26) وجاء فيه: «قال: لما جال الناس(فروا) عن رسول الله تلك الجولة يوم أحد تنحيت (من بين الفارين) فقلت: أذود عن نفسي فإما أن أستشهد وإما أن أنجو حتى ألقى رسول الله ، فبينا أنا كذلك إذا برجل مخمر وجهه ، ما أدرى من هو فأقبل المشركون حتى قلت قد ركبوه ، ملأ يده من الحصى ثم رمى به في وجوههم فنكبوا على أعقابهم القهقري حتى يأتوا الجبل ! ففعل ذلك مراراً ، ولا أدرى من هو وبيني وبينه المقداد بن الأسود ، فبينا أنا أريد أن أسأل المقداد عنه إذ قال المقداد: يا سعد هذا رسول الله يدعوك . فقلت: وأين هو؟ فأشار لي المقداد إليه فقمت

ولكأنه لم يصبني شئ من الأذى ، فقال رسول الله: أين كنت اليوم يا سعد؟فقلت: حيث رأيت يا رسول الله (هارباً). فأجلسني أمامه فجعلت أرمي وأقول: اللهم سهمك فارم به عدوك ، ورسول الله يقول: اللهم استجب لسعد اللهم سدد لسعد رميته ، إيهاً سعد ، فداك أبي وأمي . فما من سهم أرمى به إلا قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : اللهم سدد رميته وأجب دعوته . إيهاً سعد . حتى إذا فرغت من كنانتي نثر رسول الله (صلى الله عليه و آله) ما في كنانته فنبَّلني سهماً نضياً ، قال:وهو الذي قد ريَّش وكان أشد من غيره . قال الزهري: إن السهام التي رمى بها سعد يومئذ كانت ألف سهم . هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

أقول: معنى قول النبي (صلى الله عليه و آله) لسعد حسب قوله: أين كنت اليوم يا سعد ؟ أن سعداً كان مع الفارين من الضحى الى ما بعد الظهر، وقد عاد بعضهم بعد انسحاب قريش عصراً ! ولا يصح قول سعد إنه جلس أمام النبي (صلى الله عليه و آله) ورمى العدو لأن النبي (صلى الله عليه و آله) كان في ظل الصخرة وكان المشركون بعيدين عنه لا تصل اليهم السهام ، فكانت الكتيبة منهم تحمل على النبي (صلى الله عليه و آله) فيردها عليٌّ وجبرئيل (عليهما السلام) ، فكيف تصل اليهم سهام سعد وهو جالس كما زعم في حضن النبي (صلى الله عليه و آله) !

فلا الوقت الذي رجع فيه من هروبه وقت رمي سهام ، ولا مكانه ، ولا سمعنا أن قرشياً جرح بسهم من سهام سعد !

ونلاحظ أنه لم يرو أحد غير سعد أنه رجع من فراره في أحُد ، ولا رووا أنه شارك في الصلاة على شهداء أحُد بعد الظهر .

كما لا يصح ما قاله سعد وصححه مجمع الزوائد (9/155) من أن مشركاً جاء يسب المسلمين ، فقال النبي (صلى الله عليه و آله) لسعد: « إرم فداك أبي ، قال: فنزعت بسهم ليس فيه نصل ، فأصبت جنبه فوقع وانكشفت عورته ، فضحك النبي (صلى الله عليه و آله) حتى نظرت إلى نواجذه» ! ولم يقل سعد ولا الراوي في أي معركة كان ذلك ، ولا يصح أن يكون في معركة أُحُد ، ولا أظنه يصح في غيرها !

كما لم يصح أنه قتل أحداً بسهم قبل فراره ، فقد قال ابن سعد (2/41) عن غلام بني عبد الدار الذي حمل اللواء في أحد ، واسمه صواب: «وقال قائل: قتله سعد بن أبي وقاص ، وقال قائل: قتله علي بن أبي طالب ، وقال قائل: قتله قزمان ، وهو أثبت القول».

وقد روى ابن هشام في السيرة:2/532 ، أنه قَتَل يوم بدر حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة ، لكن ابن عبد البر ذكره في الأسرى (الدرر:1/111) وذكره بعضهم فيمن قتله علي (عليه السلام) (المستجاد:1/71) فإن صحت روايتهم أن سعداً قتله ، فلا بد أن يكون رماه بسهم ولم يبرز اليه ، لأنه لم يثبت عنه أنه بارز أحداً أو شارك في قتال!

10. ويكفي لإثبات جُبن سعد أنه أحد الذين عيَّرهم الله تعالى بالخوف في بدر ! قال تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ..

قال الطبري في تفسيره:5/233: «نزلت في قوم من أصحاب رسول الله كانوا قد آمنوا به وصدقوه قبل أن يفرض عليهم الجهاد... فلما فرض عليهم القتال شقَّ عليهم»!

وفي أسباب النزول لابن حجر:2/918: «وقال مقاتل بن سليمان : نزلت في عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص وهما من بني زهرة ، وقدامة بن مظعون والمقداد بن الأسود ، وذلك أنهم استأذنوا في قتال كفار مكة لما يلقون منهم من الأذى فقال: لم أؤمر بالقتال ، فلما هاجر إلى المدينة وأذن بالقتال ، كره بعضهم ذلك ». وقال الزركشي:1/422: «هذه الإشارة للفريق الذين نافقوا من القوم الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ».

وفي تفسير الرازي:10/184: «والأولى حمل الآية على المنافقين ، لأنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله:وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ.. ولاشك أن من هذا كلام المنافقين..فالمعطوف في المنافقين وجب أن يكون المعطوف عليهم فيهم أيضاً». وروى الحاكم:2 /66 ، تفسيرها بابن عوف وأصحابه، وصححه على شرط بخاري وكذا النسائي: 6/3 ، والبيهقي: 9/11.

وهو يدل على وجود منافقين في مكة ، وقد ادعى رواة قريش أن المنافقين فقط في المدينة ! كما يدل على جبن هؤلاء الصحابة الكبار، ومن المؤكد أن سعداً منهم ، وأن المقداد ليس منهم ، وقد نص البخاري على موقفه الشجاع في بدر .

11. وادعى سعد لنفسه فضيلة أنه مستجاب الدعوة، وكان يخوِّف بها خصومه فقد زعم أن النبي (صلى الله عليه و آله) دعا له أن تُجاب دعوته ، وأنه قال ذات يوم للنبي (صلى الله عليه و آله) : «يا رسول الله ، أدع الله أن يجيب دعوتي، فقال: إنه لا يستجيب الله دعوة عبد حتى يطيب مطعمه . فقال: يا رسول الله أدع الله أن يطيب مطعمي ، فدعا له . قالوا: فكان سعد يتورع من السنبلة يجدها في زرعه فيردها من حيث أخذت . وقد

كان كذلك مجاب الدعوة لايكاد يدعو بدعاء إلا استجيب له.. روى ذلك عنه ابن كثير في النهاية (8/82) وذكر أن عمر خاف أن يدعو عليه سعد ، عندما خرجت جارية لسعد يقال لها زبراء وعليها قميص جديد فكشفتها الريح ، فشد عليها عمر بالدرة ، وجاء سعد ليمنعه فتناوله عمر بالدرة ، فذهب سعد يدعو على عمر فناوله الدرة وقال: إقتص مني ، فعفا عن عمر .

ثم روى له ابن كثير موارد من استجابة دعائه على أشخاص ونساء ، ثم قال: « قال محمد بن سيرين:طاف سعد على تسع جوار في ليلة! فلما انتهى إلى العاشرة أخذه النوم فاستحيت أن توقظه. وذكر أنه دفن بالبقيع وقد جاوز الثمانين ، وكان ميراثه مائتي ألف وخمسين ألفاً ».

أقول: كان مصروف العائلة في ذلك الوقت ثلاث مئة درهم ، فما تركه سعد يعتبر ثروة . وقد تكون ثروته من حلال لكن ليته أوفى دينه الذي اقترضه من بيت المال وكان واليه عبد الله بن مسعود !

12. واقترض سعد من ابن مسعود الوالي على بيت المال مبلغاً كبيراً ولم يُوفه! وكان سعد يعمل بالزراعة في الكوفة والمدينة ، ويملك أراضي بالإقطاع ودوراً عديدة ، وقطعاناً من المواشي والأباعر ، وقد ذكر عدداً منها عمر بن شبة في تاريخ المدينة . وفي مروج الذهب:2/333 ، وابن خلدون:1/205: «ابتنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق، فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل أعلاها شُرُفاتٍ».

ومع ثروته ، لم يوف ما اقترضه من بيت المال ، وشتم ابن مسعود !

فقد روت ذلك مصارد السلطة ووثقته وصححته ، كما في مجمع الزوائد (9/154) ، أن ابن مسعود قال لسعد: «أدِّ المال الذي قِبَلَك . فقال له: والله لأراك لاقٍ مني شراً ! هل أنت إلا ابن مسعود ، وعبد من هذيل ! فقال: أجل والله إني لابن مسعود، وإنك لابن حمنة ! فقال لهما هاشم بن عتبة: إنكما صاحبا رسول الله (صلى الله عليه و آله) ينظر الناس إليكما .فطرح سعد عوداً كان في يده ، ثم رفع يده فقال: اللهم رب السماوات. فقال له ابن مسعود: قل قولاً ولا تلعن . فسكت ثم قال سعد: لولا اتقاء الله لدعوت عليك دعوةً ما تخطؤك ...».

فاعجب من إهانة سعد لابن مسعود لأنه طالبه بأداء دينه لبيت المال ! فأين عدالة الصحابة ، وأين طيب المطعم الذي هو شرط لاستجابة الدعوة ، وأين المناقب والفضائل التي ادعوها لسعد وهو غني ويأكل الحرام ، عن عمد وإصرار ، ويهين أمين المسلمين على مالهم عندما يطالبه به ؟!

وكبر خلافهما حتى عرَّض ابن مسعود بحمنة أم سعد ونسبه الى بني عذرة ، وصار قضية في المجتمع الكوفي ، وطال أكثر من عشرين سنة ، ففي تاريخ الطبري: 3/311: «عن الشعبي قال: كان أول ما نزغ به بين أهل الكوفة وهو أول مصر ، نزغ الشيطان بينهم في الإسلام أن سعد بن أبي وقاص استقرض من عبد الله بن مسعود من بيت المال مالاً فأقرضه، فلما تقاضاه لم يتيسر عليه ، فارتفع بينهما الكلام حتى استعان عبد الله بأناس من الناس على استخراج المال واستعان سعد بأناس من الناس على استنظاره ، فافترقوا وبعضهم يلوم بعضاً يلوم هؤلاء سعداً ويلوم هؤلاء عبد الله».

وواصل ابن مسعود مطالبته لأنه مسؤول عن المال ، وواصل سعد هرويه من الدفع وشتمه لابن مسعود ! ففي تاريخ الطبري:3/311: «لما وقع بين ابن مسعود وسعد الكلام في قرض أقرضه عبد الله إياه فلم يتيسر على سعد قضاؤه ، غضب عليهما عثمان وانتزعها (الكوفة) من سعد وعزله ، وغضب على عبد الله وأقره ».

ففي تاريخ الذهبي:3/315: «وقيل عزل عثمان سعداً عن الكوفة ، لأنه كان تحت ديْن لابن مسعود فتقاضاه واختصما ، فغضب عثمان من سعد وعزله» !

13.ويظهر أن سعداً لايستطيع أن يعطي شيئاً أخذه،وهو طبع في بعض الناس ففي فتوح البلدان (1/8): «وجد غلاماً يقطع الحمى فضربه وسلبه فأسه ! فدخلت مولاته أو امرأة من أهله على عمرفشكت إليه سعداً فقال عمر:رد الفأس والثياب أبا إسحاق رحمك الله. فأبى وقال: لاأعطي غنيمة غنمنيها رسول الله ! سمعته يقول: من وجدتموه يقطع الحمى فاضربوه واسلبوه ! فاتخذ من الفأس مسحاة ، فلم يزل يعمل بها في أرضه حتى توفى» !

والحمى: الواحة أو الأرض المحمية لرعي الخيل أو مواشي الدولة ، ولا يمكن أن يعطي النبي (صلى الله عليه و آله) حق الفوضى لكل من رأى شخصاً يقطع من شجر الحمى أن يضربه ويسلبه !

ونحن لا نثق بمدائح سعد لنفسه ! فالذين لاترد لهم دعوة هم أصحاب المعجزات ، النبي (صلى الله عليه و آله) والأئمة (عليهم السلام) ، وبعض الأولياء الذين لا يأكلون الحرام . وقد بحثنا ذلك في سيرة الإمام زين العابدين (عليه السلام) في المجلد الرابع من جواهر التاريخ .

14.عينه عمر والياً على العراق ، أميراً على المثنى ، وجرير بن عبد الله البجلي: «وتنازع جرير والمثنى بن حارثة الإمارة ، فبعث عمر سعد بن مالك وكتب إليهما أن اسمعا له وأطيعا ». (تاريخ خليفة/87).

وأمده بمجموعات مقاتلة عديدة . قال ابن الأعثم:1/137 : «ثم دعا سعد بن أبي وقاص فقال: يا سعد بني وهب، إن الله تبارك وتعالى إذا أحب خلقاً حببه إلى خلقه ، وأنا موجهك إلى أرض العراق لتكون أميراً على جميع من قدم عليه ، فسر وقل لاحول ولا قوة إلا بالله ، واعلم أني لست أترك أحداً يطيق حمل السلاح إلا وجهت به إليك ، وأنا أرجو أن يفتح الله على يديك.

ثم جمع له عمر من كل أوب حتى صار سعد في سبعة آلاف ،ثم سار حتى نزل بموضع يقال له شراف ، وجعل عمر لا يقدم عليه أحد إلا وجه به إليه ، فكان أول من قدم عليه عمرو بن معد يكرب الزبيدي في زهاء خمس مائة رجل ، وطليحة بن خويلد الأسدي في ثمان مائة فارس، وشرحبيل بن السمط الكندي في سبع مائة راكب ، وفرات بن حيان العجلي في سبع مائة راكب ، والمغيرة بن شعبة في ثلاث مائة راكب ، وعاصم بن عمرو التميمي في أربع مائة راكب ، وعاصم بن زرارة التميمي في ست مائة راكب ، وخثيم بن عبد الله السلمي في الف راكب ، والمكشوح المرادي في أربع مائة راكب . قال: وصار إليه جرير بن عبد الله البجلي في ست مائة راكب من بجيلة ».

15. ورأى المسلمون في الكوفة أن سعداً لا يقاتل في المعارك! ولا يهتم بمشاكل المسلمين ، فهو مشغولٌ بالصيد والقنص ، وقد بنى قصراً في الكوفة ! فشكوه الى

عمر ، فأرسل محمد بن مسلمة الى الكوفة فسألهم عنه فقام: «رجل يقال له أبو سعدة أسامة بن قتادة فقال: أما إذ ناشدتنا ، فإن سعداً لا يقسم بالسوية ، ولايعدل في الرعية ، ولا يغزو في السرية ». (النهاية:7/121).

وفي تاريخ اليعقوبي(2/155): «ثم إن أهل الكوفة شكوا سعداً وقالوا: لا يحسن يصلي ، فعزله عمر عنهم ».

وفي الأخبار الطوال/129: «وأقام سعد أميراً على الكوفة وجميع السواد ثلاث سنين ونصفاً ، ثم عزله عمر ، وولى مكانه عمار بن ياسر على الحرب ، وعبد الله بن مسعود على القضاء ، وعمرو بن حنيف على الخراج ».

وفي الطبري:3/209): «قال سعد: إني لأول رجل أهرق دماً من المشركين.. وبنو أسد تزعم أني لا أحسن أصلي ، وأن الصيد يلهيني» ! يقصد أنه أول من رمى سهماً ، فجرح مشركاً . وكان ذلك كما زعم سعد:«في السرية التي خرج فيها مع عبيدة بن الحارث في ستين راكباً ، وهي أول السرايا بعد الهجرة ». (فتح الباري:11/247) .

وقال خليفة في تاريخه/33: «ولم يك بينهم قتال، غير أن سعد بن مالك رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمي به في الإسلام».

لكن ابن عبد البر قال في الإستيعاب(2/772): «ويقال طليب بن عمير أول من أهرق دماً في سبيل الله ، وقيل بل سعد بن أبي وقاص » .

وحتى لو كان سعدٌ أول من رمى بسهم ، فهذا لايمنع أنه كان في الكوفة مغرماً بالصيد ، مشغولاً به عن المسلمين كما اتهموه .

ويـدل على سوء إدارة سـعد أنه بنى قصـراً في الكوفـة ، وكـان يحتجب به عن المسـلمين ، فأرسـل عمر من أحرقه ! قـال سـيد سـابق في فقه السنة(2/590): «وحرَّق (عمر) قصر سعد بن أبي وقاص بالكوفة ، لما احتجب فيه عن الرعية». وعمدة القاري:14/142، والإصابة:6 /29، والوافي:5/21.

وقد نص اليعقوبي (2/155) على أن شـكاية أهل الكوفة لسـعد كانت في أول تحشـيد الفرس لمعركة نهاوند ، فسكن سعد المدينة وانشغل ببناء قصـره ، ولم يشارك في شئ من أمر نهاوند . وولى عمر بدله عمار بن ياسر نحو سنتين ، فقام عمار رضي الله عنه بالإعداد لمعركة نهاوند ، وشارك فيها . (البلاذري:2/343).

16. وتتعجب من عمر فقد كان رأيه سلبياً في سعد،ومع ذلك ولاه ودافع عنه! فقد رووا عن عمر بسند معتبر عندهم أنه طعن في سعد عندما سأله ابن عباس عمن يرشـحه للخلافة بعده ، ففي شـرح النهج:12/259، والشافي للمرتضى:4/202: « عن ابن عبـاس قـال: قال عمر: لا أدري ما أصـنع بأمة محمد (صـلى الله عليه و آله) ، وذلك قبل أن يطعن، فقلت: ولم تهتم وأنت تجد من تسـتخلفه عليهم ؟قال: أصاحبكم يعني علياً ؟قلت: نعم والله هو لهـا أهـل ، في قرابته من رسول الله (صـلى الله عليه و آله) وصـهره وسـابقته وبلائه . فقال عمر: إن فيه بطالة وفكاهـة. قلت: فأين أنت عن طلحة؟ قال: فأين الزهو والنخوة! قلت: عبد الرحمن؟ قال: هو رجل صالح على ضـعف فيه (أمره في يد امرأته) قلت: فسعد ! قال: ذاك صاحب مقنب(البَرِّ) وقِتال، لايقوم بقرية لو حمل أمرها . قلت: فالزبير؟ قال: وَعْقَةٌ لقس(متضجر سئ الخلق) مؤمن الرضى كافر الغضب».

وفي تذكرة ابن حمدون:3/110، و نثر الدر:1/116، وشرح النهج:1/186، أن عمر خاطب الذين رشحهم للخلافة وشهد أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) توفي وهو عنهم راض فأعطى حق النقض لعبد الرحمن بن عوف ، وأمر أن يقتل من خالف منهم ، ثم وبخهم: «ثم أقبل على سعد فقال: إنما أنت صاحب قنص وقوس وأسهم ، ومقنب من المقانب ، وما زهرة والخلافة وأمور الناس! ثم أقبل على علي بن أبي طالب ، فقال: لله أنت لولا دعابة فيك، أما والله لو وليتهم لحملتهم على المحجة البيضاء والحق الواضح ، ولن يفعلوا ».

ومع ذلك رشح سعداً للخلافة، وأوصى كما في فتح الباري(13/157، و:7/45): « لم أعزله لضعف ولالخيانة.. وأوصى عمر من يلي الخلافة بعده ، أن يولي سعداً».

أقول:السبب الحقيقي لتمسك عمر بسعد هو السبب لتمسكه بسالم مولى حذيفة وبأبي عبيدة ، وإعلانه قبل موته بأنه لو كان أحدهما حياً لعهد اليه بالخلافة ، مع أن سالماً عبد فارسي ! فقد كان سعد عضواً قديماً في قادة الحزب القرشي الذين اتفقوا من بعد فتح مكة ، وعملوا لأخذ خلافة النبي (صلى الله عليه و آله) وإبعاد أهل بيته عنها .

وقد ورد إسم سعد في البضعة عشر أصحاب ليلة العقبة ، الذين هموا بما لم ينالوا في رجوع النبي (صلى الله عليه و آله) من تبوك . ورواه ابن حزم بسند موثق ولا يتسع له مجالنا .

17. كما صادر عمر من ولاته نصف ثرواتهم ، وبعث اليهم برسالة موحدة: «أما بعد فإنكم معشر العمال تقدمتم على عيون الأموال ، فجبيتم الحرام ، وأكلتم الحرام ، وأورثتم الحرام ! وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة الأنصاري فيقاسمك مالك ، فأحضره مالك والسلام ».
(كنز العمال: 5/853).

وفي تاريخ اليعقوبي:2/157: «قيل إن منهم سعد بن أبي وقاص عامله على الكوفة وعمرو بن العاص عامله على مصر ، وأبا هريرة عامله على البحرين ».

18.كانت مشكلة سعد أنه رأى نفسه كبيراً ، لأن عمر جعله أحد أعضاء الشورى الستة الذين يصلحون للخلافة ! مع أنه كان يرى أن علياً (عليه السلام) أحقهم بها ، لكنه قرر أن لايبايعه وينتظر لعل الفرصة تأتيه ، وكذلك لم يبايع معاوية ولم يعترف به خليفة ، ودخل عليه وقال: السلام عليك أيها الملك..الخ.

وقد كتب له معاوية في زمن علي ليكون الى صفه ، فأجابه: «أما بعد فإن عمر لم يدخل في الشورى إلا من تحل له الخلافة من قريش ، فلم يكن أحد منا أحق بها من صاحبه إلا بإجماعنا عليه ، ألا إن عليا كان فيه ما فينا ، ولم يكن فينا ما فيه، وهذا أمر قد كرهت أوله ، وكرهت آخره ، فأما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما لكان خيرا لهما ، والله يغفر لام المؤمنين ما أتت والسلام». (شرح النهج:3/114، وتاريخ اليعقوبي:2/187، وصفين لابن مزاحم/74 ، وأورد شعراً في رسالة معاوية وجواب سعد له. والإمامة والسياسة:1/90 ، وفيه: غير أن علياً كان من السابقة ولم يكن فينا ما فيه، فشاركنا في محاسننا ولم نشاركه في محاسنه ، وكان أحقنا كلنا بالخلافة ولكن مقادير الله تعالى التي صرفتها عنه . وجواهر المطالب لابن الدمشقي:2/36، وفيه: غير أن علياً كان فيه ما فينا ولم يكن فينا ما فيه ، ولو لم يطلبها ولزم بيته لطلبته العرب ولو بأقصى اليمن).

ولا يغرك ما يرويه سعد في فضل أمير المؤمنين (عليه السلام) وما يشهد على نفسه في حقه كقوله: «قال أما بعد فإن علياً لم يسبقه أحد من هذه الأمة من أولها بعد نبيها ولن يلحق به أحد من الآخرين منهم ». (تاريخ دمشق:13/275) .

فقد كان مع ذلك يبغض علياً (عليه السلام) حسداً ويريد الخلافة لنفسه! فاعتزله ولم

يبايعه ولم ينصره ، ولم ينتفع بتحذير أمير المؤمنين (عليه السلام) له ولابنه عمر بن سعد قاتل الحسين (عليه السلام) ! فقد «كان (عليه السلام) يخطب الناس وقال: سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله ما تسألوني عن شئ مضى ولا شئ يكون إلا نبأتكم به ، قال فقام إليه سعد بن أبي وقاص وقال: يا أمير المؤمنين: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة ؟ فقال له: والله لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنك ستسألني عنها،وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس ، وإن في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني! وعمر يومئذ يدرج بين يدي أبيه» ! (كامل الزيارات/155، وأمالي الصدوق/196 ، وخصائص الأئمة/62، والإحتجاج:1/389).

ولم ينتفع سعد بن وقاص لدنياه أيضاً باعتزاله عن علي (عليه السلام) ومعاوية ، فقد قتله معاوية بالسُّم ، في سنة قتله للإمام الحسن (عليه السلام) ! ولله في خلقه شؤون .

19. ورووا أن سعداً كان جريئاً على معاوية ، يواجهه بأنه ملك وليس خليفة ، ففي مصنف عبد الرزاق (10 /391): «دخل سعد بن أبي وقاص على معاوية فقال: السلام عليك أيها الملك ! فقال معاوية: فهلا غير ذلك ، أنتم المؤمنون وأنا أميركم ، فقال سعد: نعم ، إن كنا أمرناك ، قال: فقال معاوية: لايبلغني أن أحداً يقول: إن سعداً ليس من قريش إلا فعلت به وفعلت» !

وهو يقصد الطعن في نسب سعد ، وأنه ليس من قريش !

وروى اليعقوبي:2/217، قول سعد: «ذاك إن كنا أمَّرناك ، إنما أنت مُنْتَزٍ» أي قافزٌ مغتصبٌ للخلافة . ورواه ابن عساكر في تاريخه(17/324، والأزدي في الجامع:10/390 ، وابن حنبل في فضائل الصحابة:2/988، والبلاذري في أنساب الأشراف /1111، والفصول المهمة:2/733 ، والنصائح الكافية/195.

وفي الكامل لابن الأثير:3/409: «لما استقر الأمر لمعاوية دخل عليه سعد بن أبي وقاص فقال: السلام عليك أيها الملك . فضحك معاوية وقال: ما كان عليك يا أبا إسحاق لو قلت يا أمير المؤمنين . فقال: أتقولها جذلان ضاحكاً والله ما أحب أني وليتها بما وليتها به». أي أخذتها بالقهر بغير حق، أما هو فيريدها بحق !

وقد حاول معاوية استمالته في زمن علي (عليه السلام) وبعده فرفض سعد ، وكتب ذات مرة الى معاوية: « أما بعد فإن عمر لم يدخل في الشورى إلا من تحل له الخلافة من قريش ، فلم يكن أحد منا أحق بها من صاحبه إلا بإجماعنا عليه ، إلا إن علياً كان فيه ما فينا ولم يكن فينا ما فيه، وهذا أمر قد كرهت أوله وكرهت آخره ، فأما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما لكان خيراً لهما ، والله يغفر لأم المؤمنين ما أتت: والسلام».(شرح النهج: 3 /114، واليعقوبي: 2/187، والإمامة والسياسة:1 /90).

20. زعم سعد أنه أحق بالخلافة ، ولذلك قرر عدم بيعة علي (عليه السلام) ولا معاوية ، وأن ينتظر في قصره بالعقيق.قال البلاذري في أنساب الأشراف/344: «قال سعد بن أبي وقاص: أنا أحق الناس بهذا الأمر لم أشرك في دم عثمان ، ولم أحضر شيئاً من هذه الأمور الفتنة ». لكن لم ينفعه انتظاره حتى تجاوز الثمانين ولا اعتزاله . فقد قتله معاوية بالسم ليزيحه من طريق يزيد .(عمدة القاري:6/5).

قال علي بن الحسين البيهقي الشافعي المتوفى483في كتابه لباب الأنساب/40: «وأمر والي المدينة سعيد بن العاص حتى سقاه السم ، مع سعد بن أبي وقاص وجماعة من المهاجرين، فمات الحسن مسموماً بعد يومين وسعد بن أبي وقاص في يومه».

وفي الإستيعاب:2/609: «وكان سعد ممن قعد ولزم بيته في الفتنة وأمر أهله ألا يخبروه من أخبار الناس بشئ حتى تجتمع الأمة على إمام، فطمع فيه معاوية وفي عبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة، وكتب إليهم يدعوهم إلى عونه على الطلب بدم عثمان ويقول لهم إنهم لا يُكَفِّرُون ما أتوه من قتله وخذلانه إلا بذلك، ويقول إن قاتله وخاذله سواء، في نثر ونظم كتب به إليهم تركت ذكره.

فأجابه كل واحد منهم يرد عليه ما جاء به من ذلك، وينكر مقالته ويعرفه بأنه ليس بأهل لما يطلب. وكان في جواب سعد بن أبي وقاص له:

معاوي داؤك الداءُ العياءُ *** وليس لما تجئ به دواءُ

أيدعوني أبو حسن عليٌّ *** فلم أردد عليه ما يشاء

وقلت له اعطني سيفاً بصيراً *** تميز به العداوة والولاء

فإن الشر أصغره كبيرٌ *** وإن الظهر تثقله الدماء

أتطمع في الذي أعيا علياً *** على ما قد طمعت به العفاء

ليوم منه خير منك حياً *** وميتاً أنت للمرء الفداء

فأما أمر عثمان فدعه *** فإن الرأي أذهبه البلاء

قال أبو عمر:سئل علي رضي الله عنه عن الذين قعدوا عن بيعته ونصرته والقيام معه؟ فقال: أولئك قوم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل).

21. وكان معاوية يرى أن الذنب ليس ذنب سعد، في طموحه غير المشروع للخلافة، بل ذنب عمر بن الخطاب الذي جرأ قبائل قريش على بني عبد مناف!

قال في تاريخ دمشق:19/197: «أرسل معاوية إلى حضين بن المنذر الذهلي، فدعاه وأدناه حتى كان قريباً منه، ثم أجلسه وألقيت تحته وسادة، ثم قال له

معاوية: بلغني أن لك عقلاً ورأياً وعلماً بالأمور ، فأخبرني ما فرَّقَ بين هذه الأمة ومن سفك دمائها وشق عصاها وفرق ملأها؟ قال: قتل أمير المؤمنين عثمان . قال: ما صنعت شيئاً . قال: مسير علي إلى عائشة وطلحة والزبير ، ومسير علي إليك وقتالكم بصفين ، والذي كان بينكم من سفك الدماء والاختلاف ! قال: ما صنعت شيئاً ! قال: فأخبرني يا أمير المؤمنين ! فحمد الله معاوية ثم قال: إن الله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، فدعا الناس إلى الإسلام فعمل رسول الله بكتاب الله عز وجل حتى قبضه الله وعصمه بالوحي، ثم استخلف المسلمون أبا بكر فكان أفضل من تَعْلَمُ وتعلمون ، فعمل أبو بكر بكتاب الله وسنة رسوله حتى قبضه الله إليه ، ثم استخلف أبو بكر على المسلمين عمر ، فعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة أبي بكر حتى أصاب عمر من قضاء الله ما أصابه ، فخيَّر بين ستة فجعلها شورى ولم يَجب إلا بجعلها بينهم ، وكانوا خير من تعلم على الأرض ، فلما جلسوا لها وتنازعوها دعا كل رجل منهم إلى نفسه ، فقال عبد الرحمن: أيكم يخرج منها ويَسْتَخْلِف؟ فأبى القوم وكان أزهدهم فيها فقلدوها إياه فاستخلف عثمان ! فما زال كل رجل من أهل الشورى يطمع فيها ويطمع له فيها أحباؤهم ، حتى وثبوا على عثمان فقتلوه ، واختلفوا بينهم حتى قتل بعضهم بعضاً ! فهذا الذي سفك دماء هذه الأمة وشق عصاها وفرق ملأها» ! انتهى.

فاعجب لمعاوية كيف لايقول لعمر شكراً لك لترتيبك الأمر لبني أمية ، بإعطائي حكم الشام ، ثم بترتيب الشورى وحق النقض لمصلحة عثمان!

فبدل أن يشكره يرى أن عمر أسس الخراب لأنه أشرك غيرهم معهم ولو في شورى شكلية ، فسبَّب ذلك طمع أعضاء الشورى من غير بني أمية !

واعجب لضعف عمر العدوي أمام أبي سفيان ومعاوية ، فقد نصب معاوية نفسه بعد موت أخيه فوافق عمر عليه ! ولم يسمع لاعتراض الصحابة على حداثة سنه ! (تاريخ دمشق:59/86 ، وسير الذهبي:3/126).

22. ومن ضعف شخصية سعد أنه كان يتقرب الى معاوية ، ويدعي أنه حاول نصرة عثمان! فقد روى عمر بن شبة في تاريخ المدينة(4/1223): «قال سعد: أرسل إليَّ عثمان وهو محصور يشكو إليَّ ما هو فيه ، فأخرج فأجد علياً قاعداً في المسجد في حجره سيف في غمد أحمر، فجلست إليه ووضعت ركبتي على ركبته وجعلت أذكره الله وأقول: إن ابن عمك مقتول! فقال: ما أنا من هذا في شئ . فلما كثرت عليه وضع يده على أرنبتي فعركها ، وقال...». انتهى.

أقول: في نسخة الكتاب بياض قدر ثلث سطر ، فقد حذفوا جواب علي (عليه السلام) لأنه شديدٌ بزعمهم ضد عثمان ! وبذلك يقول سعد حاولت أن ينصره علي لكنه أبى ! لكن أين كان سعد نفسه وقوسه وسيفه ، ولماذا لم ينصره ؟!

فقد روى الطبري(3/406) عن محمد بن مسلمة قال: «قالوا إنطلق معنا إليه ، فقد كلمنا علياً ووعدنا أن يكلمه إذا صلى الظهر ، وجئنا سعد بن أبي وقاص فقال: لا أدخل في أمركم . وجئنا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقال مثل هذا ».

23. وأراد معاوية أن يبايع بعده لابنه يزيد فاعترض عليه سعد وكثيرون ، فقتلَ مجموعة بالسُّم منهم سعد ، ليزيحهم من طريق يزيد .

قال في البدء والتاريخ:5/85: «روى شعبة أن سعداً والحسن بن علي ماتا في يوم واحد قال: ويرون أن معاوية سمهم». ونحوه أنساب الأشراف للبلاذري: 1/404.

وفي مقاتل الطالبيين/48: «وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد ، فلم يكن شئ أثقل من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص، فدسَّ إليهما سماً فماتا منه».

وفي لباب الأنساب والألقاب للبيهقي/40: « وأمر والي المدينة سعيد بن العاص حتى سقاه السم مع سعد بن أبي وقاص وجماعة من المهاجرين ، فمات الحسن رضي الله عنه مسموماً بعد يومين ، وسعد بن أبي وقاص في يومه ». انتهى .

والبيهقي هذا: علي بن زيد البيهقي الشافعي توفي 565 وهو عالم مشهور له مصنفات أدبية وتاريخية وهندسية. (راجع: إيضاح المكنون:1/154، والذريعة: 18/277) وهو غير البيهقي المشهور صاحب السنن ، واسمه علي بن الحسين البيهقي ، توفي 483 .

وفي الآحاد والمثاني للضحاك:1/169 : «ومات سعد بن أبي وقاص بالعقيق (في قصره) وحمل فدفن بالمدينة ، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة » .

24. بلغ من اهتمام سعد بأولاده أنه أحضر لهم من العراق معلماً نصرانياً خاصاً قال البلاذري في أنساب الأشراف/294، والفتوح:3/583: «وكان عبيد الله بن عمر الخطاب لما قتل أبوه اتهم الهرمزان ورجلاً من أهل الحيرة نصرانياً ، كان سعد بن أبي وقاص أقدمه المدينة معه فكان يعلم ولده والناس الكتاب والحساب ، يقال له جفينة...وكان جفينة ظئراً لسعد بن أبي وقاص». أي أرضعت سعداً أم جفينة . (والطبري:3/303، وفتوح البلاذري:3/583، والطبقات:3/356، وفيه: من نصارى الحيرة وكان ظئراً لسعد بن أبي وقاص أقدمه المدينة للملح الذي كان بينه وبينه .

25. وقد ورَّث سعد طموحه للخلافة الى أولاده ! فثار ابنه محمد مع ابن الأشعث على عبد الملك ، وهزمهم الحجاج وأسرهم . قال ابن الأعثم (7/102): «فقدم بالأسارى على الحجاج ، والحجاج يومئذ بواسط العراق، فأول من قدم

إليه محمـد بن سـعد بن أبي وقاص، وقد كان يلقب بظل الشـيطان من طوله، فلما رآه الحجاج قال: يا ظل الشـيطان! كيف رأيت صـنيع الله بـك؟ ثم التفت الحجـاج إلى جلسـائه فقال: إن هـذا رغب عن يزيـد بن معاويـة وزعم أنه أحق بالأمر منه ، يتشـبه بالحسـين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبـد الله بن عمر وعبـد الله بن الزبير ، ثم ما زال يركض في الفتن إلى أن تبع حوالي كندة وصار مؤدباً للظالمين . فقال محمد بن سعد: أيها الأمير إنك قد ظفرت، فإن تعف فقد أمر الله عز وجل بالعفو وإن تقتل فقد قدرت». فقتله الحجاج.

نسبوا النصر الى سعد الهارب من قيادة جيشه !

إذا تتبعت البطولات التي ذكروها لسـعد بن أبي وقاص، تجدها من نوع بطولات خالد بن الوليد ، من اختراعه ونشر رواة الحكومات ، الذين هم كوكالة الأنباء في عصرنا ، لأنه كان موالياً لأبي بكر وعمر وعثمان !

لكن سـعداً أقل ادعاء من خالـد ، فخالد يقول إنه دقَّ تسـعة أسـياف في مؤتة ، وسـعد لم يدعِ أنه دقَّ تسـعة أسـياف في بدر ، ولا خمسة في القادسية !

ففي ولايته على الكوفـة كانت معركـة القادسـية ولـم يشارك فيها ! وكان بعـدها فتح المدائن وجلولاء وغيرها ، ثم معركة نهاوند الكبرى ، ولم يقاتل سعد في أيٍّ منها ! لكن الدعاية الحكومية قالت إنه قائدُ فتح العراق ، وقسمٍ من إيران !

وقـال ابن حبان في ثقاته:2/210: «وكان الناس قـد أجبنوا سـعداً وقالوا: أجبنت عن محاربـة الأعـداء ، فاعتذر إلى الناس ، وأراهم ما به من القروح في فخذيه ، حتى سكت الناس » !

أقول: لكن الناس لم يسكتوا ، وهجوه بقصائد ، بل لم يستطع سعد أن يقنع زوجته سلمى بتبرير هروبه ! فعندما رأت المسلمين منهزمين والخيل هاربة ، وسعدٌ جالس في قصره بحجة أن في فخذه دُمَّلاً ويصعب عليه ركوب الفرس ، صاحت سلمى: وامثنياهْ ، مَنْ للخيل يقودها ويردها الى المعركة ! فقد تذكرت بطولات زوجها البطل المثنى بن حارثة رضي الله عنه .

وقال المتعصبون لسعد: « طلع بجسده طلوعٌ منعه من الركوب ، فاشتد القتال يوماً فأشرفت سلمى من القصر فقالت: وا مثناه ولا مثنى اليوم للخيل! فلطمها سعد وقال: أين المثنى؟! فقالت: أغيرةً وجُبْناً ! فقال سعد: ما يعذرني أحد إذا لم تعذريني ، وأنت ترين ما بي » ! (الإصابة لابن حجر:8/183).

وفي فتوح البلاذري(2/316): «وكان مقيماً في قصر العذيب ، فجعلت امرأته وهي سلمى بنت حفصة من بنى تيم الله بن ثعلبة ، امرأة المثنى بن حارثة ، تقول: وامثنياه ولا مثنى للخيل ، فلطمها. فقالت: يا سعد ، أغيرة وجبناً» !

وقال الطبري(3 /51): «فلما رأت ما يصنع أهل فارس قالت: وامثنياه ولا مثنى للخيل اليوم ! هي عند رجل قد أضجره ما يرى من أصحابه وفي نفسه ، فلطم وجهها وقال: أين المثنى من هذه الكتيبة التي تدور عليها الرحى ، يعني أسداً وعاصماً وخيله، فقالت: أغيرةً وجبناً (فذهبت مثلاً)! قال: والله لايعذرني اليوم أحد إذا أنت لم تعذريني وأنت ترين ما بي ، فتعلقها الناس.فلما ظهر الناس لم يبق شاعر إلا اعتد بها عليه.وكان غير جبان ولا ملوم ». ونحوه الكامل:2/473.

وفي معارف ابن قتيبة/48: «فقالت: القوم أقرانٌ ولا مثنى لهم! فلطم سعد عينها».وفي التذكرة الحمدونية(1/271): «فقالت: أف لك ، أجبناً وغيرةً ! وكانت مغاضبة لسعد عشية أرماث ، وليلة الهدأة ، وليلة السواد ، حتى إذا أصبحت أتته وصالحته ».

أقول: أخذتها الغيرة لهزيمة المسلمين ، وتذكرت شجاعة المثنى ، وهي ترى جُبن سعد ! وهي أدرى به من غيرها ، فلو كان عذره مقبولاً لما رمته بالجبن !

ويؤيد ذلك رواية الطبري: «فتعلقها الناس ، فلما ظهر الناس لم يبق شاعر إلا اعتد بها عليه» أي تعلق الناس بكلمة زوجته ، واحتجوا عليه بشهادتها بأنه جبان !

كما يؤيده أنها غضبت عليه وهجرته يومين ، وكانا حديثي عهد بزواجها ، فقد تزوج بها تلك الأيام بشراف ، ثم نزل بها القادسية . (الطبري:3/51).

وقد أخفت الحكومة أكثر الشعر في جبن سعد ، مع أنه من وثائق القادسية !

ومن بقاياه في الطبري: (3/81) ومعجم البلدان (4/291):«وقاتل المسلمون يومئذ وسعد في القصر ينظر إليهم فنُسب إلى الجبن ، فقال رجل من المسلمين:

«ألم ترَ أن الله أنزل نصره *** وسعدٌ بباب القادسية مُعصمُ

فأبنا وقد آمت نساء كثيرة *** ونسوة سعد ليس فيهن أَيِّمُ »

وقال بشر بن ربيعة في ذلك اليوم:

ألمَّ خيال من أميمة موهناً *** وقد جعلت أولى النجوم تغور

ونحن بصحراء العذيب ودوننا *** حجازية ، إن المحل شطير

فزارت غريباً نازحاً جل ماله *** جواد ومفتوق الغرار طرير

وحلت بباب القادسية ناقتي *** وسعد بن وقاص علي أمير

تذكر هداك الله وقع سيوفنا *** بباب قديس والمكر ضرير

عشية ود القوم لو أن بعضهم *** يُعار جناحي طائر فيطير

إذا برزت منهم إلينا كتيبة *** أتونا بأخرى كالجبال تمور

فضاربتهم حتى تفرق جمعهم *** وطاعنت إني بالطعان مهير

وعمرو أبو ثور شهيد وهاشم *** وقيس ونعمان الفتى وجرير».

وقال جرير بن عبد الله البجلي كما في النهاية:7/53:

«أنا جرير وكنيتي أبو عمرو *** قد فتح الله وسعد في القصر».

وقد حاول المتعصبون لسعد الى يومنا أن يدافعوا عنه بأنه مريض معذور ، وقد ذموا زوجته لأنها وصفته بالجبن !

قال ابن كثير في النهاية (7/44و52): «فقالت: أغيرةً وجبناً ! يعني أنها تُعَيِّرُهُ بجلوسه في القصر يوم الحرب ! وهذا عناد منها ، فإنها أعلم الناس بعذره ، وما هو فيه من المرض المانع من ذلك.. إن سعداً كان به قروح وعرق النسا فمنعه من شهود القتال، لكنه جالس في رأس القصر ينظر في مصالح الجيش، وكان مع ذلك لا يغلق عليه باب القصر لشجاعته !ولو فرَّ الناس لأخذته الفرس قبضاً باليد لايمتنع منهم».

فقد صار ابن كثير من تعصبه طبيباً وفحص سعداً وأعطاه شهادة طبية ، ثم صار جغرافياً فجعل قصر العذيب في القادسية ، مع أن الحموي قال في معجم البلدان (4/92): «بينه وبين القادسية أربعة أميال».

وقال الطبري في تاريخه(3/76): «قادس قرية إلى جانب العذيب، فنزل الناس بها، ونزل سعد في قصر العذيب».

«ومن القادسية إلى العذيب وهي أول خط البادية ستة أميال». (الإدريسي:1/383)

«وكان بين موضع الوقعة مما يلي القادسية وبين حصن العذيب نخلة ، فإذا حمل الجريح وفيه تمييز وعقل ونظر الى تلك النخلة.. قال لحامله: قد قربت من السواد ، فأريحوني تحت ظل هذه النخلة». (مروج الذهب للمسعودي :2/317)

ثم جعل ابن كثير سعداً شجاعاً لأنه ترك باب قصره مفتوحاً ! مع أن القصر خلف جيش المسلمين بمسافة ، ولذا أرسل رستم قوة ليقتلوا سعداً ، فاستغاث بالمسلمين ، فأرسلوا قوة لحمايته وعطلوها عن المعركة !

قال اليعقوبي(2/144): «وكان سعد يومئذ عليلاً فصار إلى قصر العذيب فنزله وتحصن فيه ، فبلغ رستم فوجه خيلاً فأحدقت بالقصر ، فلما بلغ المسلمين ذلك صاروا إلى القصر».

ولا أدري ما هو الموجب لتصديق سعد دون زوجته إلا التعصب ، فكيف يتهمونها بعداوته وقد اختارته بعد وفاة زوجها المثنى ، وفضلته على إخوة المثنى وفرسانه ، وهم أفضل من سعد وأجمل.

ويؤيد رأي سلمى غياب سعد عن كل المعارك في فتح العراق وإيران ! فهل كانت تخرج بفخذه دمُّلة عند كل معركة ، ولسنوات طويلة ؟!

وأين كان سعد عندما دهم الخطر المسلمين ، وتجمع الفرس في نهاوند بمئة وخمسين ألف جندي، ثم كانت معركة نهاوند العظيمة التي سماها المسلمون فتح الفتوح ، ولم يكن لسعد فيها دور سوى أنه نفذ ما أمره به عمر من إرسال ثلث قوات الكوفة الى المعركة ، فأرسلها ، ثم ذهب الى المدينة وبدأ ببناء قصره !

ص: 83

وكيف نشط وشفي من الدمامل وذهب الى المدائن بعد أن فتحها المسلمون وأخذ يجمع الأموال ، وأرسل المرقال في قيادة الجيش الى خانقين أو جلولاء !

ولما انتصروا في جلولاء أرسلوا اليه ليحضر فلم يحضر حتى غضب المسلمون ، فشفي من الدمامل ووكل سلمان الفارسي بالأموال وذهب كالمجبر ، ثم رجع !

قال ابن الأعثم في الفتوح(1/216): «ورحل المسلمون من جلولاء إلى خانقين فنزلوها يومهم ذلك ، ثم رحلوا منها إلى قصر شيرين فنزلوها ، وكتبوا إلى سعد بن أبي وقاص يستأذنونه في التقدم إلى حلوان ، ويحثونه على المصير إليهم ليكون لهم ملجأ وسنداً يلجؤون إليه ويشاورونه في أمورهم ، وقد كان سعد عليلاً فتباطأ عنهم ولم يصر إليهم ، وكتب إليهم يأمرهم بالتقدم إلى حلوان ! قال: فغضب المسلمون لقعود سعد عنهم وإبطائه عن نصرتهم ، ثم أنشأ إبراهيم بن حارثة الشيباني يقول في ذلك:

أما بال سعد خامَ عن نصر جيشه *** لقد جئت يا سعد ابن زهرة منكرا

وأقسم بالله العلي مكانه *** لو ان المثنى كان حياً لأصحرا

وقاتل فيها جاهداً غير عاجز *** وطاعن حتى يحسب الجون أحمرا

كشداته يوم البجيلة معلماً *** يريد بما يبلي الثواب الموفرا

وضارب بالسيف الحسام مقدماً *** جموع الأعادي خشية أن يعيرا

ولكن سعدا لم يرد أجر يومه *** ولم يأتنا في يوم بأس فيعذرا

قال: فبلغت سعداً هذه الأبيات فكأنه تحرك للمسير على علته ، ثم دعا سلمان الفارسي فاستخلفه على المدائن وأوصاه بحفظ الغنائم ، وصار فيمن معه من أصحابه حتى لحق بالمسلمين ، وهم يومئذ نزول بقصر شيرين فنزل معهم

يومهم ذلك . فلما كان من غد نادى في الناس بالرحيل إلى حلوان ، فرحل ورحل الناس معه ، وبلغ ذلك منوشهر بن هرمزدان المقيم بحلوان ، فخرج عن حلوان هارباً حتى لحق بيزدجرد وهو في جمع أصحابه .

وأقبل سعد بن أبي وقاص وعلى مقدمته جرير بن عبد الله البجلي ، حتى دخل (جرير لا سعد) حلوان ، فأنشأ عبد الله بن قيس الأزدي يقول:

فأبلغ أبا حفص بأن خيولنا *** بحلوان أضحت بالكماة تجمجم

ونحن دهمناها صباحاً بفيلق *** جريرٌ علينا في الكتيبة مُعْلم

ونحن أبدنا الفرس في كل موطن *** بجمع كمثل الليل والليل مظلم

نقاتل حتى أنزل الله نصره *** وسعد بباب القادسية مُعصم

فأبنا وقد أيمت نساء كثيرة *** ونسوة سعد ليس فيهن أيِّم

أولئك قومي إن سمعت بمعشري *** وموضع أيسارى إذا نيل مغنم».

وفي فتوح ابن الأعثم:1/217: «فتقدم إلى سعد رجل من خثعم يقال له بشر بن ربيعة ، وكان من الفرسان المعدودين ، فطلب من سعد زيادة فلم يزده شيئاً فغضب الخثعمي لذلك، ويقال إنه هجا سعد بن أبي وقاص ، فأنشأ يقول:

ينوب عن القوم الكرام بجمعهم *** وفَضَّل سعد بالعطية خالدا

فإن تكرم العذرى بالقسم واصلاً *** فأجدر برأي السوء للجور زائدا

أتنهب جهلاً لا أبا لك حقنا *** لقد ضقت ذرعاً عن مدى الحق حائدا

متى كان ميراث ابن خثعم قل لنا *** لخالد يا للناس لا كنت جاهدا

لعمري لئن كانت قريش تعطفت *** عليك أبا وهب فألفيت رافدا

لقد غمرت آباؤك اللؤم دهرها *** وألفيت في فهر تحل الوصائدا».

وفي فتوح البلدان للبلاذري:2/320: (وقال بشر بن ربيعة بن عمرو الخثعمي:

ألَمَّ خيالٌ من أميمة موهناً *** وقد جعلتْ أولى النجوم تغورُ

ونحن بصحراء العذيب ودارُها *** حجازيةٌ إن المحل شطير

ولا غروَ إلا جَوْبُها البيد في الدجى *** ومن دوننا رعنٌ أشمُّ وقور

تحنُّ بباب القادسية ناقتي *** وسعد بن وقاص عليَّ أمير

وسعد أميرٌ شرُّه دون خيره *** طويل الشذى كابي الزناد قصير

تذكر هداك الله وقع سيوفنا *** بباب قديس والمكرُّ عسير

عشية ود القوم لو أن بعضهم *** يُعَارُ جناحي طائر فيطير».

فقارن بالله هذه الحقائق الدامغة ، بما قاله علماء السلطة عن سعد !

أقول: بعد كل ما عرفت عن سعد ، فاقرأ الصورة الكاذبة التي قدمها رواة الحكومات وعلماؤها ، كالتي دونها ابن عبد البر . قال في الإستيعاب:2/608: «وكان أحد الفرسان الشجعان من قريش ، الذين كانوا يحرسون رسول الله (صلى الله عليه و آله) في مغازيه ، وهو الذي كوَّف الكوفة ، ولقيَ الأعاجم وتولى قتال فارس ، أمَّره عمر بن الخطاب على ذلك ، ففتح الله على يده أكثر فارس ، وله كان فتح القادسية وغيرها . وكان أميراً على الكوفة فشكاه أهلها ورموه بالباطل فدعا الذي واجهه بالكذب عليه دعوة ظهرت فيه إجابتها والخبر بذلك مشهور».

فادعوا له الشجاعة ، وأنه لقي جيوش الفرس وحاربهم ، مع أنه جبن عن المعارك ، حتى هجاه المسلمون بالشعر ! ونسبوا له تمصير الكوفة ، مع أنهم رووا أن الذي اختار مكانها سلمان الفارسي (رحمة الله) بما علمه النبي (صلى الله عليه و آله) وعلي (عليه السلام) .

وأخيراً فقد ناقضوا أنفسهم ، وشهدوا أن أهل الكوفة شكوا سعداً وأرسل عمر من يتحقق فثبت له صدق شكايتهم ، فاضطر الى عزله ! (النهاية:7/121).

جرير بن عبد الله البجلي مقاول حرب في سبيل الله

1. هو جرير، بن عبد الله ، بن جابر، بن مالك، بن نضر، بن ثعلب، بن جشم من بني زيد بن كهلان بن سبأ. وتلتقي بجيلة وخثعم في أنمار بن إراش، وبجيلة جدتهم زوجة أنمار . وفي جرير وبجيلة قال الشاعر (سيرة ابن هشام:1/49):

لولا جريرٌ هلكتْ بجيلة *** نِعْمَ الفتى وبئست القبيلة

وكان جرير طويلاً، وقد بالغوا في وصف طوله بأحاديث أسانيدها صحيحة على شرط الشيخين البخاري ومسلم ! فقالوا كان طوله ستة أذرع ، وقالوا كان رأسه يصل الى سنام البعير، وكان طول نعله ذراعاً .

وقالوا: كان جميلاً وسيماً ، وكان يتباهى بذلك فقال: رآني عمر متجرداً ، أي عرياناً، فقال: ما أرى أحداً من الناس صُوِّر صورةَ هذا إلا ما ذكر من يوسف ! وقد أمَّره عمر على قبيلته بجيلة، فشاركوا في القادسية وبعدها.(الإصابة:1/583).

2. أسلم قبل وفاة النبي (صلى الله عليه و آله) بأربعين يوماً ، وزعم أن النبي (صلى الله عليه و آله) بشر المسلمين به قبل أن يصل ، وقال إنه خير أهل اليمن ، وإن عليه مسحة مَلِك ، وإنه دعا له بالبركة ولذريته ، ومسح بيده على رأسه ووجهه وصدره وبطنه، حتى انحنى جرير حياء أن تدخل يد النبي (صلى الله عليه و آله) تحت إزاره ! ثم بسط له عرض ردائه وقال له: على هذا يا جرير فاقعد ! (أوسط الطبراني:6/179، ومسند أحمد:4/360).

وفي الإستيعاب:1/237: «قال جرير: أسلمت قبل موت النبي (صلى الله عليه و آله) بأربعين يوماً».

وفي صحيح بخاري:4/25: «ما حجبني النبي منذ أسلمت ، ولا رآني إلا تبسم في وجهي. ولقد شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل فضرب بيده في صدري وقال:

اللهم ثبته ، واجعله هادياً مهـدياً ». وحذف البخاري منه قول جرير إن النبي (صـلى الله عليه و آله) كان يتبسم له حتى لو كان في الصـلاة ! (مبسوط السرخسي:1/77).

وزعم جرير أن النبي (صـلى الله عليه و آله) قـال:«جرير منـا أهـل البيت ظهراً لبطن، قالهـا ثلاثاً». وإذا جاءته الوفود يقول له إلبس حلتك، فيباهي به الناس!(مجمع الزوائد:9/373).

وهو بذلك يضاهي سلمان الفارسي رضي الله عنه ، عندما رأى احترام المسلمين له ، ودوره المؤثر في فتح العراق وإيران .

كمـا قـالوا إن النبي (صـلى الله عليه و آله) بعث جريراً الى المتنبئ العنسـي في اليمن ، والى ذي الكلاـع اليهودي، قال البلاذري:1/125: «قـالوا: فبعث رسول الله جرير بن عبـد الله البجلي في السـنة التي توفى رسول الله فيهـا، وفيهـا كـان إسـلام جرير، إلى الأسود يـدعوه إلى الإسلام فلم يجبه.وبعض الرواة ينكر بعثة النبي (صلى الله عليه و آله) جريراً إلى اليمن ».

وفي صحيح بخاري: 4/23: «قـال لي رسول الله (صـلى الله عليه و آله) : ألاـ تريحني من ذي الخلصـة؟ وكان بيتاً في خثعم يسـمى كعبة اليمانية . قال: فانطلقت في خمسـين ومائة فارس من أحمس ، وكانوا أصـحاب خيل، قال: وكنت لا أثبت على الخيل ، فضـرب في صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري ، وقال: اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً . فانطلق إليها فكسـرها وحرقها ثم بعث إلى رسول الله (صـلى الله عليه و آله) يخبره ، فقـال رسول جرير: والـذي بعثك بالحق ما جئتك حتى تركتها كأنها جمل أجوف أو أجرب . قال: فبارك في خيل أحمس ورجالها ، خمس مرات» .

أقول: هذه نماذج من تعظيم جرير لنفسه ، وقد قبل رواة الخلافة كلامه ، لأنه مرضـي عند الحكومة . وقد يكون النبي (صلى الله عليه و آله) بعثه الى اليمن لهدم صنم أو لإبلاغ رسالة الى

الأسود العنسي ، أو ذي الكلاع اليهودي ، لكنَّ تباهي جرير وإفراطه في مدح نفسه مردود ، لأن المبالغة والتبجح فيه ظاهران !

3. وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) جريراً وصديقه وأستاذه الأشعث بن قيس بقوله: «أما هذا الأعور ، يعنى الأشعث ، فإن الله لم يرفع شرفاً إلا حسده ، ولا أظهر فضلاً إلا عابه ، وهو يُمنى نفسه ويخدعها ، يخاف ويرجو ، فهو بينهما لا يثق بواحد منهما . وقد من الله عليه بأن جعله جباناً ، ولو كان شجاعاً لقتله الحق !

وأما هذا الأكثف عند الجاهلية ، يعنى جرير بن عبد الله البجلي ، فهو يرى كل أحد دونه ، ويستصغر كل أحد ويحتقره ، قد ملئ ناراً ، وهو مع ذلك يطلب رئاسة ويروم إمارة ، وهذا الأعور يغويه ويطغيه ، إن حدثه كذبه ، وإن قام دونه نكص عنه ، فهما كالشيطان إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ». (شرح النهج:20/286)

ومعنى الأكثف عند الجاهلية: الثقيل التصرف عندما تثور جاهليته . والرجل الكثيف: الثقيل الغليط المعاشرة ، لشدة أنانيته .

4. دخل جرير الى العراق مع خالد بعد اليمامة ، وساعده في عقود الصلح وجباية الأموال . وذلك في أوائل السنة الثانية عشرة للهجرة ، أما قبلها فلم يقم جرير بشئ إلا ما روي أنه جاء الى أبي بكر(الكامل:2/375): «وأمره أن يستنفر من قومه من ثبت على الإسلام ويقاتل بهم من ارتد عن الإسلام ، وأن يأتي خثعم فيقاتل من خرج غضباً لذي الخلصة . فخرج جرير وفعل ما أمره ، فلم يقم له أحد إلا نفر يسير فقتلهم وتتبعهم».

ونحن نشك في ذلك أو في أهميته ، لأن بجيلة كانت متفرقة في القبائل ، كما ستعرف . فالمؤكد أن جريراً بدأ نشاطه بعد سنة ونصف من وفاة النبي (صلى الله عليه و آله) بذهابه مع خالد .

قال البلاذري: 2 /296: «وقد روى أن خالداً لما كان بناحية اليمامة كتب إلى أبى بكر يستمده ، فأمده بجرير بن عبد الله ، فلقيه جرير منصرفاً من اليمامة ، فكان معه ، وواقع صاحب المذار بأمره . والله أعلم» .

وقال البلاذري:2/299: «ثم بعث خالد جرير بن عبد الله البجلي إلى أهل بانقيا ، فخرج إليه بصبهرى بن صلوبا فاعتذر إليه من القتال وعرض الصلح ، فصالحه جرير على ألف درهم وطيلسان . ويقال إن ابن صلوبا أتى خالداً فاعتذر إليه وصالحه هذا الصلح . فلما قتل مهران ومضى يوم النخيلة (أي بعد سنتين) أتاهم جرير فقبض منهم ومن أهل الحيرة صلحهم ، وكتب لهم كتاباً بقبض ذلك..

وقوم ينكرون أن يكون جرير بن عبد الله قدم العراق إلا في خلافة عمر بن الخطاب ، وكان أبو مخنف والواقدي يقولان: قدمها مرتين . قالوا: وفتح جرير بوازيج الأنبار ، وبها قوم من مواليه ».

5.كما ساعد خالد بن الوليد في قتال بني تغلب ، وغدر بهم كصاحبه خالد ! ومن المعروف أن النبي (صلى الله عليه و آله) ركز في حروبه على الروم والفرس ، وعمل لجذب العرب الى جانبه ، لكن خالداً لما جاء الى العراق وعقد عقود الصلح مع المزارعين من أهل البلاد ، كسر هذه السياسة ، وغدر ببني تغلب كما ذكرنا في ترجمته ، وكان معه جرير في هذه الغارة .

قال الطبري:2/326: «فأغاروا على الهذيل ومن معه ومن أوى إليه وهم نائمون من ثلاثة أوجه ، فقتلوهم ، وأفلت الهذيل في أناس قليل ، وامتلأ الفضاء قتلى فما شبهوا بهم إلا غنماً مُصَرَّعة !وكان حرقوص معرساً بامرأة من بني هلال تدعى أم تغلب فقتلت تلك الليلة ، وعبادة بن البشر، وامرؤ القيس بن بشر، وقيس بن بشر، وهؤلاء بنو الثورية من بني هلال ، وأصاب جرير بن عبدالله يوم المصيخ من النمر عبد العزى بن أبي رهم بن قرواش أخا أوس مناة من النمر ، وكان معه ومع لبيد بن جرير كتاب من أبي بكر بإسلامهما ! وبلغ أبا بكر قول عبد العزى وقد سماه عبدالله ليلة الغارة قال: سبحانك اللهم رب محمد. فوداه وودى لبيداً وكانا أصيبا في المعركة.. وكان عمر يعتد على خالد بقتلهما إلى قتل مالك يعني ابن نويرة ، فيقول أبو بكر:كذلك يلقى من ساكن أهل الحرب في ديارهم. وقال عبدالعزى:

أقول إذ طرق الصباح بغارة *** سبحانك اللهم ربَّ محمدِ

سبحان ربي لا إله غيره *** رب البلاد ورب من يتورد».

6. وزعموا أن جريراً لما كان مع خالد قتل مرزبان المذار ، ولا يصح ذلك ، قال البلاذري:2/296: «وقد رويَ أن خالداً لما كان بناحية اليمامة كتب إلى أبى بكر يستمده ، فأمده بجرير بن عبد الله ، فلقيه جرير منصرفاً من اليمامة فكان معه . وواقع صاحب المذار بأمره والله أعلم . وقال الواقدي: والذي عليه أصحابنا من أهل الحجاز أن خالداً قدم المدينة من اليمامة ، ثم خرج منها إلى العراق على فيد والثعلبية ، ثم أتى الحيرة ». أي لم يمر من جهة البصرة وميسان والمذار .

ص: 91

وفي تاريخ اليعقوبي:2/143: «فوجه عمر جرير بن عبد الله ، فقدم الكوفة ، ثم خرج منها فواقع مرزبان المذار فقتله ، وانهزم جيشه وغرق أكثرهم في دجلة ».

وقال الطبري:2/557: «وكانت وقعة المذار في صفر سنة اثنتي عشرة».

أقول: المذار مكان قرب مدينة العمارة العراقية ، ولم يكن فيها جيش فارسي ، وقد تكون فيها حامية صغيرة ، وقد ذكرت روايات أن عتبة بن غزوان قتل مزبان المذار ، قال في الأخبار الطوال/117 : «ثم إن عتبة سار إلى المذار وأظهره الله عليهم ، ووقع مرزبانها في يده فضرب عنقه وأخذ بزته، وفي منطقته الزمرد والياقوت ، وأرسل بذلك إلى عمر وكتب إليه بالفتح ، فتباشر الناس بذلك وأكبوا على الرسول يسألونه عن أمر البصرة ، فقال إن المسلمين يهيلون بها الذهب والفضة هيلاً ، فرغب الناس في الخروج ، حتى كثروا بها ، وقوي أمرهم ». والطبقات:7/7.

7.كان جرير جندياً في جيش خالد بن سعيد فجاءته فكرة لجمع بجيلة فرجع ففي تاريخ الطبري:2/568: «كان جرير بن عبد الله ممن خرج مع خالد بن سعيد بن العاص إلى الشام ، فاستأذن خالداً إلى أبي بكر ليكلمه في قومه ليجمعهم له وكانوا أوزاعاً في العرب وليتخلصهم ، فأذن له فقدم على أبى بكر فذكر له عِدَةً من النبي (صلى الله عليه و آله) وأتاه على العِدَة بشهود وسأله إنجاز ذلك ، فغضب أبو بكر وقال له: ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممن بإزائهم من الأسدين فارس والروم ، ثم أنت تكلفني التشاغل بما لا يغنى عما هو أرضى لله ولرسوله ، دعني وسر نحو خالد بن الوليد حتى أنظر ما يحكم الله في هذين الوجهين ، فسار حتى

قدم على خالد وهو بالحيرة ، ولم يشهد شيئاً مما كان بالعراق ، إلا ما كان بعد الحيرة ، ولا شيئاً مما كان خالد فيه من أهل الردة ».

ومعنى ذلك أن جريراً ترك معركة أجنادين التي كانت في تلك الفترة وبطلها خالد بن سعيد بن العاص ، فقد استأذنه جرير وجاء الى المدينة ليطالب أبا بكر بوعد زعم أن النبي (صلى الله عليه و آله) وعده فيه أن يجمع له قبيلته بجيلة تحت إمرته !

فأخر أبو بكر حاجته لأنه مشغول بحرب الروم والفرس ، فلم يعد جرير الى الشام ، بل ذهب الى خالد بن الوليد في العراق ، ثم لم يذهب مع خالد الى الشام بل استأذنه ورجع الى أبي بكر يطالبه بإصدار مرسوم ليجمع قبيلته !

قال الطبري:2/643: «وكان جرير بن عبد الله وحنظلة بن الربيع ونفر ، استأذنوا خالداً من سُوَى(قرب السماوة) فأذن لهم فقدموا على أبى بكر ، فذكر له جرير حاجته فقال: أعلى حالنا ! وأخره بها .

فلما وليَ عمر دعاه بالبينة فأقامها ، فكتب له عمر إلى عماله السعاة في العرب كلهم: من كان فيه أحد ينسب إلى بجيلة في الجاهلية وثبت عليه في الإسلام يعرف ذلك ، فأخرجوه إلى جرير ، ووعدهم جرير مكاناً بين العراق والمدينة، فتتاموا ، قال لجرير: أخرج حتى تلحق بالمثنى ، فقال: بل الشام ، قال: بل العراق فإن أهل الشام قد قووا على عدوهم ، فأبى ، حتى أكرهوا . فلما خرجوا له وأمرهم بالموعد عوَّضه لإكراهه واستصلاحاً له، فجعل له ربع خمس ما أفاء الله عليهم في غزاتهم هذه ، له ولمن اجتمع إليه ولمن أخرج له إليه من القبائل ، وقال: إتخذونا طريقاً فقدموا المدينة ثم فصلوا منها إلى العراق ، مُمِدِّينَ للمثنى».

8. وبعـد هزيمـة المسـلمين في معركة الجسـر ، قاول جرير عمر على«الجهاد» بقومه قال البلاذري:2/311 ، وابن سـلام في الأموال/79: «أخبرني الشـعبي أن عمر وجه جرير بن عبـد الله إلى الكوفـة ، بعـد قتل أبي عبيد أول من وجه ، قال: هل لك في العراق وأنفلك الثلث بعد الخمس؟ قال: نعم» !

وقال البلاذري:2/310: «مكث عمر بن الخطاب سنة لايذكر العراق ، لمصاب أبى عبيد وسليط . وكان المثنى بن حارثة مقيماً بناحية ألِّيس يـدعو العرب إلى الجهاد . ثم إن عمر ندب الناس إلى العراق فجعلوا يتحامونه ويتثاقلون عنه.. وقدم جرير بن عبد الله من السـراة في بجيلة ، فسأل أن يأتي العراق على أن يعطيه وقومه ربع ما غلبوا عليه . فأجابه عمر إلى ذلك ، فسار نحو العراق ».

أقول: تلاحظ التفاوت في مقاولـة جرير مع الخليفـة ، فرواية تقول أكرهه عمر ثم أعطاه ، ورواية تقول إن عمر عرض عليه فقبل ، ورواية تقول إن جريراً طلب من عمر فقبل . كما أن القيمة المروية متفاوتة !

ويتضـح منه أن جريراً لم يشارك في فتوح الشام ولا العراق قبل معركـة البويـب . وكان جنوده ست مائة ، فقضـى وقتاً في العراق وهو يراسـل المثنى ليستقبله ويعترف به أميراً عليه ، والمثنى يجيبه أنت مدد لي ، فتفضل الى الجهاد .

قال ابن الأعثم:1/136: «ثم دعا عمر بجرير بن عبد الله البجلي فقال له:ويحك يا جرير! إنا قد أصـبنا بالمسلمين مصيبة عظيمة والمثنى بن حارثـة في وجه العـدو غير أنه جريح لما به ، فسـر نحو العراق فعسـى الله عز وجل أن يدفع شـر هؤلاء الأعاجم وتخمد بك جمرتهم. قال: فسار جرير بن عبد الله من المدينة في سبع مائة

رجل حتى صار إلى العراق فنزلها، وبلغ ذلك المثنى بن حارثة الشيباني ، فكتب إليه: أما بعد يا جرير فإنا نحن الذين أقدمنا المهاجرين والأنصار من بلدهم ، وأقمنا نحن في نحر العدو نكابدهم ليلاً ونهاراً ، و إنما أنت مدد لنا، فما انتظارك رحمك الله لا تصير إلينا؟ فصر إلينا وكثِّرنا بأصحابك... قال فكتب إليه جرير: أما بعد فقد ورد كتابك عليَّ فقرأته وفهمته ، فأما ما ذكرت أنك الذي أقدمت المهاجرين والأنصار إلى حرب العدو ، فصدقت . وليتك لم تفعل !

وأما قولك: إن المهاجرين والأنصار لحقوا ببلدهم ، فإنه لما قتل أميرهم لحقوا بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وأما ما ذكرت أنك أقمت في نحر العدو فإنك أقمت في بلدك ، وبلدك أحب إليك من غيره .

وأما ما سألتني من المصير إليك ، فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لم يأمرني بذلك ، فكن أنت أميراً على قومك ، وأنا أمير على قومي. والسلام ».

«وتنازع جرير والمثنى بن حارثة الإمارة ، فبعث عمر سعد بن مالك وكتب إليهما أن اسمعا له وأطيعا». (تاريخ خليفة/87).

ثم شارك جريراً في المعركة ، ولا بد أنه قاول المثنى وأخذ منه امتيازاً !

ومن العجيب اعتذار عمر بن الخطاب عن تأمير المثنى على جرير بأن جريراً من أصحاب النبي (صلى الله عليه و آله) بينما المثنى ليس من أصحابه! مع أن المثنى صحابي أسلم على أثر وقعة ذي قار أي في السنة الثانية أو الثالثة للهجرة ، ووفد الى النبي (صلى الله عليه و آله) . بينما أسلم جرير قبل وفاة النبي (صلى الله عليه و آله) بأربعين يوماً !

قال الطبري:2/654: «وكتب المثنى إلى عمر يَمْحُلُ بجرير(ينتقده) فكتب عمر إلى المثنى إني لم أكن لأستعملك على رجل من أصحاب محمد ، يعني جريراً ، وقد وجه عمر سعد بن أبي وقاص إلى العراق في ستة آلاف أمَّره عليهم ، وكتب إلى المثنى وجرير بن عبد الله أن يجتمعا إلى سعد بن أبي وقاص وأمَّر سعداً عليهما» .

وهذا يدل على أن الحكام كانوا يعطون لقب الصحابي وامتيازاته الى المرضي عندهم وينزعوه عن غيره ، حتى لو كان صحابياً وأفضل منه !

وقد رووا (مجمع الزوائد:8/40)أن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، حاول أن يصحح معنى الصحابي ، ووثقوا حديثه: «عن أبي البختري قال: جاء الأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلي إلى سلمان الفارسي ، فدخلا عليه في حصن في ناحية المدائن فأتياه فسلما عليه وحيياه ، ثم قالا: أنت سلمان الفارسي؟ قال: نعم . قالا: أنت صاحب رسول الله (صلى الله عليه و آله) ؟ قال: لا أدري . فارتابا وقالا: لعله ليس الذي نريد ، قال لهما: أنا صاحبكما الذي تريدان ، إني قد رأيت رسول الله (صلى الله عليه و آله) وجالسته ، فإنما صاحبه من دخل معه الجنة ، فما حاجتكما؟ قالا: جئناك من عند أخ لك بالشام ، فقال: من هو؟ قالا: أبو الدرداء ..».

9. ثم شارك جرير مع بني بجيلة في معركة البويب ، بقيادة المثنى رضي الله عنه ولعل البجليين ضغطوا عليه عندما طلب منه المثنى المشاركة ، لأن جيش الفرس داهم المسلمين ، وكان جرير بعد ذلك يزعم أن المعركة كانت بقيادته !

قال البلاذري (2/311): «وكان على الناس فيما تزعم بجيلة جرير بن عبد الله ، وفيما تقول ربيعة المثنى بن حارثة . وقد قيل إنهم كانوا متسايدين ، على كل قوم

رئيسـهم . فالتقى المسلمون وعدوهم ، فأبلى شرحبيل بن السمط الكندي يومئذ بلاء حسناً ، وقُتل مسعود بن حارثة أخو المثنى بن حارثة ، فقال المثنى: يا معشر المسـلمين ، لا يَرُعْكُم مصـرع أخي، فإن مصارع خياركم هكذا ! فحملوا حملة رجل واحد محققين صابرين ، حتى قتل الله مهران وهزم الكفرة ».

وقـد ذكرنـا بطولاـت المثنى في ترجمته، ورويت بطولات لجرير وقومه ، منها ما رواه الطبري:2/652: «قال المثنى يومئـذ: من يتبع الناس حتى ينتهي إلى السـيب؟ فقام جرير بن عبد الله في قومه فقال: يا معشـر بجيلة إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحد منهم في هذا الخمس غداً من النفل مثل الذي لكم منه، ولكم ربع خمسه نفلاً من أمير المؤمنين ، فلا يكونن أحد أسـرع إلى هـذا العدو ولا أشد عليه منكم ، للذي لكم منه ، ونيةً إلى ماترجون ، فإنما تنتظرون إحدى الحسـنيين الشـهادة والجنة والغنيمة والجنة . ومال المثنى على الذين أرادوا أن يستقتلوا من منهزمة يوم الجسر ، ثم قال: أين المستبسل بالأمس وأصحابه؟ إنتدبوا في آثار هؤلاء القوم إلى السـيب ، وأبلغوا من عـدوكم ماتغيظونهم به هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا .. فأمر المثنى أن يعقـد لهم الجسـر ثم أخرجهم في آثار القوم ، واتبعتهم بجيلة ، وخيول من المسـلمين تغذُّ من كل فارس، فانطلقوا في طلبهم حتى بلغوا السـيب ولم يبق في العسـكر جسـريٌّ إلا خرج في الخيل، فأصـابوا من البقر والسبي وسـائر الغنـائم شـيئاً كثيراً فقسـمه المثنى عليهم ، وفضـل أهل البلاد من جميع القبائل ، ونفل بجيلـة يومئـذ ربع الخمس بينهم بالسوية،وبعث بثلاثة أرباعه مع عكرمة » . أي الى عمر .

ص: 97

10. ورأى جرير القائد مهران مقتولاً فقطع رأسه وأخذ سلبه ، وادعى أنه قتله! قال الدينوري في الأخبار الطوال/114: «واجتمع عظماء فارس إلى بوران ، فـأمرت أن يتخير اثنـا عشـر ألف رجل من أبطال الأساورة ، وولت عليهم مهران بن مهرويه الهمـداني، فسار بالجيش حتى وافى الحيرة ، وزحف الفريقان ، بعضـهم لبعض ، ولهم زجل كزجل الرعـد ، وحمل المثنى في أول الناس ، وكان في ميمنة جرير وحملوا معه ، وثار العجاج ، وحمل جرير بسائر الناس من الميسـرة والقلب وصدقتهم العجم القتال ، فجال المسلمون جولة (انهزموا) فقبض المثنى على لحيته وجعـل ينتف مـا تبعه منهـا من الأسـف ، ونادى: أيها الناس، إليَّ إليَّ ، أنا المثنى ! فثاب المسـلمون فحمل بالناس ثانيـة وإلى جانبه مسعود بن حارثة أخوه ، وكان من فرسان العرب فقتل مسعود ، فنادى المثنى: يا معشر المسلمين ، هكذا مصرع خياركم ، إرفعوا راياتكم ».

وقال ابن كثير في النهاية:7/36: «فلما طالت مدة الحرب جمع المثنى جماعة من أصحابه الأبطال يحمون ظهره ، وحمل على مهران فأزاله عن موضعه حتى دخل الميمنة ، وحمل غلام من بني تغلب نصراني ، فقتل مهران وركب فرسه .

كـذا ذكره سـيف بن عمر، وقال محمـد بن إسـحاق: بل حمل عليه المنذر بن حسان بن ضـرار الضبي فطعنه ، واحتز رأسه جرير بن عبد الله البجلي ، واختصما في سلبه فأخذ جرير السلاح وأخذ المنذر منطقته ، وهربت المجوس ، وركب المسلمون أكتافهم ».

أقول: كـان القائـد الفارسـي وهو حـاكم آذربيجـان ، يقف في قلب جيشه ويقاتـل ويظهر أن جريراً قابله ، فتقـدم اليه مهران والتقيا ، وارتجز مهران:

إن تسألوا عنى فإني مهران *** أنا لمن أنكرني ابن باذان

وذكر الطبري (2/654) أن مهران: «نشأ مع أبيه باليمن إذ كان عاملاً لكسرى».

وقصـد مهران جريراً فاقتتلا، وساعد آخرون جريراً عليه ، فتخلص منهم مهران ورجع الى صـفه ، فحمل عليه المثنى رضـي الله عنه ، فانحاز مهران أمامه عن القلب الى الميمنة ، فاضـطرب جيشه ، فرآه الشاب التغلبي النصـراني فقصده وطعنه فوقع عن فرسه ، وانشـغل الشاب بأخذ الفرَس، فجاء جرير وقطع رأس مهران وأخذ سـلبه . وفي رواية أن الذي طعنه المنذر بن حسان الضبي وانشـغل بفرسه هو ، فجاء جرير وحز رأسه وأخذ سلبه .

قال ابن الأعثم:1/158 : «ولحق المنـذر بن حسان فرسه فأخذه ، ثم رجع إلى مهران ليسـلبه ، فإذا جرير بن عبد الله قد سـبقه وأخذ سـلبه ، فقال له المنذر: أبا عمرو! أنا قتلت مهران وسـلبه لي ولا حق لك فيه ، وإنما شغلني عنه فرسي ، ولقد كنت سيداً في الجاهلية وأنت اليوم سيدٌ في الإسـلام ، ولا يجمل بك أن تأخـذ ما ليس لك فاردد علي السـلب ! قال جرير: فادفع إليَّ المنطقـة وخـذ باقي السـلب ، فقال المنذر بن حسان: إذاً لا أفعل ، لأني أنا طعنت مهران وأنا صرعته عن فرسه ، وأنا قطعت رجله».

هـذا ، وذكر ابن الأعثم أن قتـل مهران كان في القادسـية وهو خطأ . وذكر أنه كان عليه: «قباء حرير وقرطق ديباج ، وفي وسـطه منطقـة من الذهب مرصعة بالجوهر، وفي أذنه قرطان من الذهب في كل قرط حبتان من بنات الدر، وتحته

فرس له أشقر..فقُوِّمَ السلب فكانت قيمته بضعة عشر ألف درهم ، وقومت المنطقة فكانت قيمتها ثلاثين ألف دينار ».

وقال ابن الأثير في الكامل:2/243: «وقتل غلام نصراني من تغلب مهران واستوى على فرسه ، فجعل المثنى سلبه لصاحب خيله، وكان التغلبي قد جلب خيلاً هو وجماعة من تغلب ، فلما رأوا القتال قاتلوا مع العرب .

قال: وأفنى المثنى قلب المشركين والمجنبات بعضها يقاتل بعضاً ، فلما رأوه قد أزال القلب وأفنى أهله ، وثب مجنبات المسلمين على مجنبات المشركين ، وجعلوا يردون الأعاجم على أدبارهم ، وجعل المثنى والمسلمون في القلب يدعون لهم بالنصر ويرسل إليهم من يذمرهم ويقول لهم: عاداتكم في أمثالهم ، أنصروا الله ينصركم حتى هزموا الفرس، وسبقهم المثنى إلى الجسر وأخذ طريق الأعاجم، فافترقوا مصعدين ومنحدرين، وأخذتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جثثاً ».

أقول: ويؤيد رأي ابن الأثير رواية الطبري ، عن محفز بن ثعلبة قال: «جلب فتية من بني تغلب أفراساً ، فلما التقى الزحفان يوم البويب قالوا: نقاتل العجم مع العرب ، فأصاب أحدهم مهران يومئذ ومهران على فرس له وَرْدٍ مجفف بتجفاف أصفر ، بين عينيه هلال ، وعلى ذنَبه أهلة من شَبَّه ، فاستوى على فرسه ثم انتمى: أنا الغلام التغلبي أنا قتلت المرزبان ، فأتاه جرير وابن الهوبر في قومهما ، فأخذا برجله فأنزلاه .

وروى الطبري أيضاً: وقتل غلام من التغلبيين نصراني مهران واستوى على فرسه فجعل المثنى سلبه لصاحب خيله ، وكذلك إذا كان المشرك في خيل رجل فقتل

وسلب ، فهو للذي هو أمير على من قَتل ، وكان له قائدان أحدهما جرير ، فاقتسما سلاحه والآخر ابن الهوبر . وروى أيضاً: أن جريرا والمنذر اشتركا فيه فاختصما في سلاحه فتقاضيا إلى المثنى ، فجعل سلاحه بينهما ، والمنطقة والسوارين بينهما ». انتهى.

على أيٍّ ، لم يكن دور جرير في المعركة بطولياً ، فلا هو غلب مهران وقتله عندما التقيا بل استعان عليه بالبجليين وهو في المبارزة خطأ وضعف !

ولا هو حمل عليه كما حمل المثنى فهرب مهران أمامه الى الميمنة ، ولا هو لحقه وقتله كالفتى التغلبي . ولا عندما رآه قتيلاً حمد الله تعالى وترك سلبه لقاتله !

لكن أتباع السلطة ظلوا يكتبون أن جريراً قتل مهران ! «عن الشعبي أن جرير بن عبد الله البجلي بارز مهران فقتله ، فقومت منطقته بثلاثين ألفاً ». (نصب الراية:4/302).

11. سكن جرير وقومه الكوفة وشارك في معركة القادسية وكان قائد الميمنة ، قال ابن الأعثم:1/137: «ثم سار(سعد) حتى نزل بموضع يقال له شُراف ، وجعل عمر لايقدم عليه أحد إلا وجه به إليه، فكان أول من قدم عليه عمرو بن معدي كرب الزبيدي في زهاء خمس مائة رجل... قال: وصار إليه جرير بن عبد الله البجلي في ست مائة راكب من بجيلة».صار اليه: جاء اليه جرير من داخل العراق.

قال الطبري:3/79: «فبعث خالد بن عرفطة حليف بني أمية ، ووجه معه عياض بن غنم في أصحابه ، وجعل على مقدمة الناس هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى ميمنتهم جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى ميسرتهم زهرة بن حوية التميمي وتخلف سعد لما به من الوجع».

وكان دور جرير والبجليين مؤثراً في معركـة القادسـية لكنهم بالغوا فيه كثيراً ، فجعلوا بجيلـة ربع الجيش مع أنهم ست مئـة رجل من مجموع نحو ثلاثين ألفاً !

قـال جرير: «لقـد أتى على نهر القادسـية ثلاث ساعـات مـن النهـار مـا تجري إلا بالـدم ، ممـا قتلنـا من المشـركين ». (مصـنف ابن أبي شيبة:8/14).

وقال ابن حجر في الإصابة:1/583: «وقدمه عمر في حروب العراق على جميع بجيلة وكان لهم أثر عظيم في فتح القادسية».

وقـال حازم البجلي كما في الطبري (3/78): «كنـا ربع النـاس ، فوجهوا إلينا سـتة عشـر فيلاً وإلى سائر الناس فيلين ، وجعلوا يلقون تحت أرجـل خيولنـا حسـك الحديـد ويرشـقوننا بالنشـاب فكـأنه المطر علينـا ، وقرنوا خيلهم بعضـها إلى بعض لئلا يفروا . قال: وكان عمرو بن معـديكرب يمر بنا فيقول يا معشـر المهاجرين كونوا أسوداً فإنما الأسد من أغنى شأنه ، فإنما الفارسـي تيس إذا ألقى نيزكه . قال: وكان إسوار منهم لا يكاد تسقط له نشابة ، فقلنا له: يا أبا ثور إتق ذلك الفارسي فإنه لا تقع له نشابة ! فتوجه إليه ورماه الفارسي بنشابة فأصاب قوسه وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبحه ، واستلبه سوارين من ذهب ، ومنطقة من ذهب ، ويلمقاً من ديباج . وقتل الله رستم ، وأفاء على المسلمين عسكره وما فيه . وإنما المسلمون ستة آلاف ، أو سبعة آلاف ».

12. وارتكب عمر خطـأ كبيراً ، فقسم أرض العراق على المقاتلين في القادسـية ! وكان يحب جريراً فجعل لبجيلـة سـهمهم وربع الخمس ، وربع ما فتحوه من أرض العراق !

ص: 102

فقد صححوا رواية قيس البجلي، قال: «كنا ربع الناس في القادسية فأعطانا عمر ربع السواد ، وأخذناها ثلاث سنين ، ثم وفد جرير بن عبد الله البجلي إلى عمر بعد ذلك فقال: أما والله لولا أني قاسم مسؤول ، لكنتم على ما قسم لكم ، وأرى أن تردوا على المسلمين . ففعلوا ». (المجموع:19/454 ، والبيهقي:9/135).

وقال السرخسي في شرح السير:2/645: «واستدل عليه بفعل عمر ، فإنه حين بعث الناس إلى العراق قال لجرير بن عبد الله البجلي: لك ولقومك ربع ما غلبتم عليه ففتحوا السواد . ثم جعل عمر الأرض بعد ذلك أرض خراج ، ولم يمنعه ما نفل جريراً وقومه من ذلك ».

وفي تاريخ دمشق:2/202: «قال محمد بن إدريس الشافعي: ليس للإمام إنفاقها (الأرض المفتوحة) وإنما يلزمه قسمتها ، فإن اتفق المسلمون على إيقافها ورضوا أن لاتقسم ، جاز ذلك . واحتج من ذهب إلى هذا القول بما روي أن عمر بن الخطاب قسم أرض السواد بين غانميها وحائزيها ، ثم استنزلهم بعد ذلك عنها واسترضاهم منها فوقفها. فأما الأحاديث التي تقدمت فإن عمر لم يقسمها فإنها محمولة على أنه امتنع من إمضاء القسم واستدامته ، بأن انتزع الأرض من أيديهم أو أنه لم يقسم بعض السواد وقسم بعضه ، ثم رجع فيه». راجع الأم:4/297.

فهذه الروايات الصحيحة صريحة في أن عمر قسَّمَ أرض العراق بالفعل بين جيش القادسية قبل أن يستشير ، واستمر ذلك ثلاث سنين ، ثم أقنعه علي (عليه السلام) فرجع عن خطئه ، وإلا لتكونت في تاريخ العراق طبقة إقطاعية «شرعية» وحولها جماهير فقيرة لاتملك شيئاً !

ص: 103

لكن محبي عمر أنكروا خطأه الذي استمر مصراً عليه ثلاث سنين ، وقالوا إنه أراد ذلك واستشار علياً وأخذ برأيه !

قال ابن حجر في فتح الباري:6/157: «روى أبو عبيد في كتاب الأموال من طريق ابن إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن عمر أنه أراد أن يقسم السواد فشاور في ذلك فقال له علي: دعهم يكونوا مادة للمسلمين فتركهم».

وقال اليعقوبي:2/151: «وشاور عمر أصحاب رسول الله في سواد الكوفة ، فقال له بعضهم: تقسمها بيننا ، فشاور علياً فقال: إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجئ بعدنا شئ ، ولكن تقرها في أيديهم يعملونها ، فتكون لنا ولمن بعدنا . فقال: وفقك الله ! هذا الرأي ».

وقال البلاذري:2/326: «عن حارثة بن مضرب أن عمر بن الخطاب أراد قسمة السواد بين المسلمين ، فأمر أن يحصوا فوجد الرجل منهم نصيبه ثلاثة من الفلاحين. فشاور أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) في ذلك فقال على: دعهم يكونوا مادة للمسلمين . فبعث عثمان بن حنيف الأنصاري فوضع عليه ثمانية وأربعين وأربعة وعشرين واثني عشر ».

على أن التوزيع الذي اعتمده عمر للأراضي ركز ملكية المشاركين في القادسية على حساب سكان العراق ، وعلى حساب الذين جاؤوا بعدهم ، وشاركوا في الفتوحات .

ففي تاريخ الطبري:3/137: «وجمع سعد من وراء المدائن وأمر بالإحصاء فوجدهم بضعة وثلاثين ومائة ألف ، ووجدهم بضعة وثلاثين ألف أهل بيت ووجد قسمتهم ثلاثة لكل رجل منهم بأهلهم ، فكتب في ذلك إلى عمر فكتب إليه عمر أن أقر الفلاحين على حالهم ، إلا من حارب أو هرب منك إلى عدوك

فأدركته . وأجْرِ لهم ما أجريت للفلاحين قبلهم ، وإذا كتبت إليك في قوم فأجروا أمثالهم مجراهم . فكتب إليه سعد فيمن لم يكن فلاحاً؟

فأجابه: أما من سوى الفلاحين فذاك إليكم ما لم تغنموه، يعني تقتسموه ، ومن ترك أرضه من أهل الحرب فخلاها فهي لكم ، فإن دعوتموهم وقبلتم منهم الجزاء ورددتموهم قبل قسمتها فذمة ، وإن لم تدعوهم ففئ لكم لمن أفاء الله ذلك عليه . وكان أحظى بفئ الأرض أهل جلولاء: استأثروا بفئ ما وراء النهروان ، وشاركوا الناس فيما كان قبل ذلك .

فأقروا الفلاحين ودعوا من لج ، ووضعوا الخراج على الفلاحين ، وعلى من رجع وقبل الذمة ، واستصفوا ما كان لآل كسرى ومن لج معهم ، فيئاً لمن أفاء الله عليه ، لا يجاز بيع شئ من ذلك فيما بين الجبل إلى الجبل من أرض العرب ، إلا من أهله الذين أفاء الله عليهم. ولم يجيزوا بيع ذلك فيما بين الناس يعني فيمن لم يفئه الله تعالى عليه ممن يعاملهم ممن لم يفئه الله عز وجل عليه ، فأقره المسلمون لم يقتسموه لأن قسمته لم تتأت لهم . فمن ذلك الآجام ، ومغيض المياه ، وما كان لبيوت النار ، ولسكك البُرْد ، وما كان لكسرى ومن جامعه ، وما كان لمن قتل والأرحام .

فكان بعد من يرق يسأل الولاة قسم ذلك فيمنعهم من ذلك الجمهور ، فأبوا ذلك ، فانتهوا إلى رأيهم ولم يجيبوا وقالوا: لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض لفعلنا . ولو كان طلب ذلك منهم على ملأ لقسمها بينهم ».

ونلفت هنا أن قول جرير وبجيلة إنهم كانوا في القادسية ربع المسلمين ، جاء مقابل قول النخعيين ، ففي مصنف ابن أبي شيبة:7 /718: « كنت لا تشاء أن تسمع يوم القادسية: أنا الغلام النخعي، إلا سمعته».

«فقال عمر: ما شأن النخع أصيبوا من بين سائر الناس ، أفر الناس عنهم؟! قالوا:لا، بل ولوا أعظم الأمر وحدهم » . (ابن أبي شيبة: 8/14، والإصابة:1/196).

وذكر ابن أبي شيبة أن النخع كانوا في القادسية ألفين وأربع مئة ، أي ربع جيش المسلمين على رواية أنه عشرة آلاف ، وأن ثقل المعركة كان عليهم !

وفي تاريخ الطبري: 3/82 ، أنهم هاجروا من اليمن مع عوائلهم ، وزوجوا سبع مائة من بناتهم إلى المسلمين ، خاصة الأنصار . (ونحوه تاريخ دمشق: 65 /100).

فقد كان جرير وبنو بجيلة ، خاصة في الثلاث سنوات التي ملكهم فيها عمر ربع أراضي العراق المفتوحة ، بحاجة الى تبرير ذلك ، فكانوا يبررونه تارة بكثرة عددهم وأنهم كانوا ربع جيش القادسية مع أنهم كانوا ست مئة . وتارة بأن دورهم في الحرب كان أكثر من غيرهم . مع أن ثقل القادسية كان على النخعيين وليس عليهم .

كما ينبغي أن نلفت الى أن السياسة المالية التي طبقها الخلفاء والقادة والجنود ، في الأراضي المفتوحة والغنائم وأموال الدولة، فيها تجاوزات كثيرة عن أحكام الإسلام كما بينها أهل البيت (عليهم السلام) . ولا يتسع المجال للتفصيل ، فنحيلك الى مصادر الحديث والفقه في أحكام الأراضي المفتوحة ، وأحكام الأنفال ، والغنائم ، والأخماس .

13. وكان جرير قائداً في معركة جلولاء تحت إمرة هاشم المرقال رضي الله عنه قال ابن الأعثم في الفتوح:1/210: «وحمل جرير بن عبد الله من الميمنة ، وحجر بن

عدي من الميسرة ، والمكشوح المرادي من الجناح ، وعمرو بن معد يكرب من القلب، وصدقوهم الحملة لولوا مدبرين ، ووضع المسلمون فيهم السيف ، فقتل منهم من قتل ، وانهزم الباقون حتى صاروا إلى خانقين ».

قال البلاذري:2/324: «مكث المسلمون بالمدائن أياماً ثم بلغهم أن يزدجرد قد جمع جمعاً عظيماً ووجهه إليهم، وأن الجمع بجلولاء، فسرح سعد بن أبي وقاص هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إليهم في اثني عشر ألفاً ، فوجدوا الأعاجم قد تحصنوا وخندقوا ، وجعلوا عيالهم وثقلهم بخانقين ، وتعاهدوا أن لا يفروا ، وجعلت الأمداد تقدم عليهم من حلوان والجبال . فقال المسلمون: ينبغي أن نعاجلهم قبل أن تكثر أمدادهم ، فلقوهم وحجر بن عدي الكندي على الميمنة ، وعمرو بن معدى كرب على الخيل ، وطليحة بن خويلد على الرجال ، وعلى الأعاجم يومئذ خرزاد أخو رستم . فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله ، رمياً بالنبل ، وطعناً بالرماح حتى تقصفت ، وتجالدوا بالسيوف حتى انثنت .

ثم إن المسلمين حملوا حملة واحدة قلعوا بها الأعاجم عن موقفهم ، وهزموهم فولوا هاربين ، وركب المسلمون أكتافهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً ، حتى حال الظلام بينهم . ثم انصرفوا إلى معسكرهم ».

وقال ابن الأعثم إن جريراً البجلي كان على الميمنة ، ثم قال في:1/166: «فكان أول من تقدم إلى الحرب من المسلمين جرير بن عبد الله الجبلي ، ثم حمل فقاتل فأحسن القتال ، وحمل على أثره علي بن جحش العجلي ، ثم حمل في أثره إبراهيم بن الحارثة الشيباني ، ثم تقدم عمرو بن معد يكرب الزبيدي . قال: فجعل القوم

يقتتلون . قال: ثم حمل جرير بن عبـد الله على جمع أهل جلولاء ، فلم يزل يطاعن حتى انكسـر رمحه وجرح جراحات كثيرة ، فأنشأ بعض بني عمه يقول في ذلك:

تواكلت الأمور فلم تواكل *** أخو النجدات فارسها جرير

جرير ذو الغني وبما تولى *** أحق إذا تقسمت الأمور

أغاث المسلمين وقد تواصوا *** وقدر الحرب حامية تفور

أبا حفص سلام الله منا *** عليك ودوننا بلد شطير

حمدنا فعل صاحبنا جرير *** ولم نحمد لك الوالي العطير

فلا تغفل بجيلة إن فيها *** دواء الداء والحبر الكبير

قال: ثم أقبل جرير بن عبـد الله البجلي على بني عمه فقال: يا معشـر بجيلـة إعلموا أن لكم في هذه البلاد إن فتحها الله عليكم حظاً سـنياً ، فاصبروا لقتال هؤلاء الفرس التماساً لإحدى الحسـنيين: إما الشهادة فثوابها الجنة ، وإما النصر والظفر ففيهما الغني من العيلة . وانظروا ، لا تقاتلوا رياءً ولا سمعةً فحسب الرجل خزياً أن يكون يريد بجهاده حمد المخلوقين دون الخالق .

وبعد ، فإنكم جربتم هؤلاء القوم ومارسـتموهم ، وإنما لهم هذه القسـي المنحنية وهذه السـهام الطوال ، فهي أغنى سـلاحهم عندهم ، فإذا رموكم بهـا فتترسوا والزموا الصبر وصـابروهم ، فو الله إنكم الانجـاد الأمجـاد الحسـان الوجوه في اقتحام الشدائـد ! فاصبروا صبراً يا معشـر البجيلة ! فوالله إني لأرجو أن يرى المسلمون منكم اليوم ما تقر به عيونهم ، وما ذاك على الله بعزيز ، ثم أنشأ جرير في ذلك يقول:

تلكم بَجِيلَةُ قومي إن سألتَ بها *** قادوا الجيادَ وفضوا جمع مهرانِ

وأدركوا الوتر من كسرى ومعشره *** يوم العروبة وتر الحي شيبانِ

فسائلِ الجمعَ جمعَ الفارسيِّ وقد *** حاولتْ عند ركب الحيِّ قحطان

عز الأولى كان عزاً من يصول بهم *** ورميةٌ كان فيها هُلْك شيطان

كان الكفور وبئس الفرسُ إن له *** آباء صدق نموه غير ثبيان

قال: ثم حمل جرير بن عبد الله على جمع أهل جلولاء ، فلم يزل يطاعن حتى انكسر رمحه وجرح جراحات كثيرة ، فأنشأ بعض بني عمه يقول في ذلك:

تواكلتِ الأمور فلم يواكل *** أخو النجدات فارسُها جريرُ

جريرٌ ذو الغني وبما تولى *** أحقُّ إذا تقسمت الأمور

أغاث المسلمين وقد تواصوا *** وقدر الحرب حاميةٌ تفور

أبا حفص سلام الله منا *** عليك ودوننا بلد شطير

حمدنا فعل صاحبنا جرير *** ولم نحمد لك الوالي العطير

فلا تغفل بجيلة إن فيها *** دواء الداء والحبر الكبير ».

14.ثم تقدم جرير داخل إيران وفتح بعض المدن الصغيرة بدون مقاومة تذكر قال البلاذري:2/370: «قالوا: لما فرغ المسلمون من أمر جلولاء الوقيعة ضم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى جرير بن عبد الله البجلي خيلاً كثيفة ، ورتبه بجلولاء ليكون بين المسلمين وبين عدوهم... وقدم حلوان فأقام بها والياً عليها إلى أن قدم عمار بن ياسر الكوفة ، فكتب إليه يعلمه أن عمر بن الخطاب أمره أن يمد به أبا موسى الأشعري ، فخلف جرير عزرة بن قيس على حلوان ، وسار حتى أتى أبا موسى الأشعري في سنة تسع عشرة».

15. ثم أمره عمار أن يُمد أبا موسى الأشعري في محاصرة عاصمة الأهواز «فكتب عمار إلى جرير وكان مقيماً بجلولاء ، يأمره باللحاق بأبي موسى، فخلف جرير بجلولاء عروة بن قيس البجلي في ألفي رجل من العرب ، وسار ببقية الناس حتى لحق بأبي موسى ، فكتب أبو موسى إلى عمر يستزيده من المدد ، فكتب عمر إلى عمار يأمره أن يستخلف عبد الله بن مسعود على الكوفة في نصف الناس ، ويسير بالنصف الآخر حتى يلحق بأبي موسى ، فسار عمار حتى ورد على أبي موسى ، وقد وافاه جرير من ناحية جلولاء ». (الأخبار الطوال/130).

أقول: وقعت معركة في فتح تستر على أبواب المدينة ، واستشهد فيها بعض المسلمين فتحصن أهل تستر داخل المدينة ، وتحصن الهرمزان في قلعتها . ثم جاءهم فارسي ليلاً ودلهم على طريق الى المدينة فدخلوا في الصباح وفاجؤوا أهلها واحتلوها ، واستسلم الهرمزان على أن يبعثوا به الى عمر ، فأخذه عمار الى المدينة مع الغنائم .

أما دور جرير وبجيلة في فتح تستر فكان عادياً ضمن دور الكوفيين بقيادة والي الكوفة عمار بن ياسر رضي الله عنه .

16. ثم أرسله أبو موسى الأشعري الى رامهرمز ليدعوهم الى الإسلام فسباهم!

قال ابن الأعثم في الفتوح:2/276: «دعا(أبو موسى) بالنعمان بن مقرن المزني وجرير بن عبد الله البجلي ، فأمرهما بالمسير إلى رام هرمز على أنهما يدعوان أهلها إلى الإسلام . قال: فسار جرير حتى نزل على رام هرمز ، ثم إنه بعث بالنعمان بن مقرن ففتح قلعتين من قلاع رام هرمز وأصاب منها سبياً وخيراً كثيراً .

قال: وفتح جرير بن عبد الله مدينة رام هرمز بالسيف قسراً ، فاحتوى على أموالها ونسائها وذريتها . قال: وبلغ ذلك أبا موسى الأشعري فقال لأهل البصرة: ويحكم ! إني كنت أعطيت أهل رام هرمز الأمان وأجلتهم ستة أشهر إلى أن يروا رأيهم ، فعجل جرير بن عبد الله وأهل الكوفة ففتحوا مدينتهم قسراً وقسموا السبايا ، فهاتوا ما عندكم من الرأي !

فقال أهل البصرة : الرأي في ذلك عندنا أن تكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عنه وتخبره بذلك..فكتب عمر إلى صلحاء عسكر أبي موسى مثل حذيفة بن اليمان والبراء بن عازب وأنس بن مالك وسعيد بن عمرو الأنصاري وغيرهم أن ينظروا في ذلك ، فإن كان أبو موسى قد أعطى رام هرمز من الأمان قبل ذلك كما زعم وأعطاهم عهداً وكتاباً مكتوباً ، أن يرد الناس ما في أيديهم من السبي ، وإن كانت امرأة حامل أن تحبس في موضع ويوكل عليها ويجرى لها النفقة حتى تضع ما في بطنها ، ثم تخير بعد ذلك بين الإسلام والمقام مع صاحبها فإن اختارت الإسلام فذلك ، وإن أبت ردت إلى بلادها ، وأن تستحلفوا أبا موسى الأشعري أنه قد كان أعطى أهل رام هرمز عهداً وأماناً وضرب لهم أجلاً ستة أشهر كما زعم ، فإذا حلف بذلك فيرد السبي ولا سبيل عليهم إلى انقضاء المدة والأجل. فاستحلف المسلمون أبا موسى فحلف أنه قد أعطى أهل رام هرمز أماناً وعهداً مؤكداً وضرب لهم أجلاً ، وكانوا في موادعته ستة أشهر .

فلما حلف أبو موسى بذلك رد المسلمون السبي إلى بلادهم ووضعت الحوامل ما في بطونهن فخيرن بعد ذلك ، فمنهن من اختارت الإسلام ، فأقامت مع صاحبها ، ومنهن من أبت فردت إلى بلادها .

قال: وكتب بعض أصحاب جرير بن عبد الله إلى عمر بن الخطاب أبياتاً يذكر فعل جرير بأهل رام هرمز، وأنه لم يفعل ما فعل إلا بأمر أبي موسى ، وأن أبا موسى هو الذي أمرهم بالنزول عليهم وبمحاربتهم ..».

أقول: يتعجب الباحث من تغييب سلمان الفارسي عن فتح رامهرمز ، وهي بلده ومنشؤه ، فقدكانت أمه منها ، وأبوه من أصفهان لكنه دهقان رامهرمز ، وقد غيَّب رواة السلطة دوره في دعوة أهلها ، وقد يكون هو الذي طلب لهم المهلة ستة أشهر ليقرروا بين الإسلام والجزية .

ولعل أبا موسى بعث جريراً والنعمان بن مقرن الى حصون رامهرمز ، فبعثه جرير الى الحصون وقصد هو المدينة ، ولم يكن فيها قتال يذكر ، ولا نظنه خيَّرهم بين الإسلام والجزية ، ولا بد أنهم أخبروه أن أبا موسى أعطاهم مهلة ليختاروا ولم تنته المهلة ، ولعلهم طلبوا حضور ابن بلدهم سلمان الفارسي ، لكن جريراً لم يسمع كلامهم واستباح المدينة ونهبها وسبى نسائها المعروفات بالجمال !

مهما يكن فقد حكم صلحاء معسكر أبي موسى الذين كلفهم عمر بالتحقيق في الأمر ، بأن جريراً أخطأ أو تعمد فنهب وسبى بغير وجه شرعي !

ص: 112

وحكموا عليه فأرجع جنده شيئاً مما أخذوه وبعض الرجال والنساء اللائي لم يحملن ، وبقيت الحوامل حتى تضعن حملهن ، فإن لم تسلم تعطي حملها لأبيه وتعود الى بلدها ! وهي صورة سيئة عما ارتكبه المسلمون !

لكن جريراً وجماعته ظلوا يؤكدون ويحلفون أن أبا موسى هو المقصر فقد أمرهم بقتال أهل رامهرمز وسبيهم ! ولعله أمرهم بقتالهم ، ثم تراجع ، ولا نطيل بذكر مجادلاتهم وشكاياتهم !

17. ثم التحق جرير بجيش المسلمين لمواجهة تجمع جيش الفرس في نهاوند ، فقد كانت معارك المسلمين المهمة مع الفرس خمسة: معركة الجسر والبُويب والقادسية وجلولاء ، وآخرها نهاوند ، وهي أهمها وسميت فتح الفتوح .

فقد جمع فيها الفرس من أنحاء بلادهم مئة وخمسين ألفاً ، ونووا أن يقصدوا المدينة المنورة لاستئصال أصل دين العرب ! فكتب عمار بن ياسر رضي الله عنه وكان والي الكوفة الى عمر بخبرهم ، فخاف عمر وجمع الصحابة .

قال ابن الأعثم (2/291): «فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقرأه وفهم ما فيه ، وقعت عليه الرعدة والنفضة حتى سمع المسلمون أطيط أضراسه ! ثم قام عن موضعه حتى دخل المسجد ، وجعل ينادي: أين المهاجرون والأنصار! ألافاجتمعوا رحمكم الله وأعينوني أعانكم الله». فأشاروا عليه بآراء مختلفة ، فقال له علي (عليه السلام) : «فأقم بالمدينة ولاتبرحها فإنه أهيب لك في عدوك وأرعب لقلوبهم ، فإنك متى غزوت الأعاجم بنفسك يقول بعضهم لبعض: إن ملك العرب قد غزانا بنفسه لقلة أتباعه وأنصاره ، فيكون ذلك أشد

لكلبهم عليك وعلى المسلمين ، فأقم بمكانك الذي أنت فيه وابعث من يكفيك هذا الأمر والسلام . قال: فقال عمر رضي الله عنه: يا أبا الحسن ! فما الحيلة في ذلك ، وقد اجتمعت الأعاجم عن بكرة أبيها بنهاوند ، في خمسين ومائة ألف يريدون استئصال المسلمين ؟ فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الحيلة أن تبعث إليهم رجلاً مجرباً قد عرفته بالبأس والشدة ، فإنك أبصر بجندك وأعرف برجالك، واستعن بالله وتوكل عليه واستنصره للمسلمين فإن استنصاره لهم خير من فئة عظيمة تمدهم بها ، فإن أظفر الله المسلمين فذلك الذي تحب وتريد ، وإن يكن الأخرى وأعوذ بالله من ذلك ، تكون ردءا للمسلمين وكهفاً يلجؤون إليه ، وفئة ينحازون إليها . قال فقال له عمر: نعمَ ما قلت يا أبا الحسن... فلما سمع عمر مقالة علي كرم الله وجهه ومشورته ، أقبل على الناس وقال: ويحكم عجزتم كلكم عن آخركم أن تقولوا كما قال أبو الحسن ! والله لقد كان رأيه رأيي الذي رأيته في نفسي.ثم أقبل عليه عمر بن الخطاب فقال: يا أبا الحسن ! فأشر علي الآن برجل ترتضيه ويرتضيه المسلمون أجعله أميراً ، أستكفيه من هؤلاء الفرس فقال: قد أصبته. قال عمر: ومن هو ؟ قال: النعمان بن مُقرن المزني ، فقال عمر وجميع المسلمين: أصبت يا أبا الحسن! وما لها من سواه . قال: ثم نزل عمر عن المنبر ودعا بالسائب بن الأقرع بن عوف ..».

وقال ابن حبان في الثقات:2/224: «فلما بلغ الخبر أهل الكوفة من المسلمين كتبوا إلى عمر فلما أخذ عمر الصحيفة مشى بها إلى منبر رسول الله (صلى الله عليه و آله) وهو باكٍ وجعل ينادى: أين المسلمون ! أين المهاجرون والأنصار ! من هاهنا من

المسلمين ! فلم يزل ينادي حتى امتلأ عليه المسجد رجالاً..قام علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه... فطبق عمر ثم أهل مكبراً يقول: الله أكبر الله أكبر ، هذا رأي هذا رأي كنت أحب أن أتابع عليه . صدق بن أبي طالب ، لو خرجت بنفسي لنقضت عليَّ الأرض من أقطارها، ولو أن العجم نظروا إلى عياناً ما زالوا عن العرص حتى يقتلوني أو أقتلهم . أشر على يا علي بن أبي طالب برجل أوليه هذا الأمر. الخ.).

أقول: لم يـذكر ابن الأعثم أن عمر عين قائداً بعد النعمان ، لكن قال الطبري (4/122): «وكتب (عمر) إلى النعمان وكان بالبصـرة ، أن يسير بمن هناك من الجنود إلى نهاونـد ، وإذا اجتمع الناس فكل أمير على جيشه ، والأمير على الناس كلهم النعمان بن مقرن ، فإذا قتل فحـذيفة بن اليمان ، فإن قتل فجرير بن عبد الله فإن قتل فقيس بن مكشوح ، فإن قتل قيس ففلان ثم فلان ، حتى عد سـبعة أحدهم المغيرة بن شعبة . وقيل لم يُسم منهم ، والله أعلم ».

كما روى الطبري(3/203) أن النعمان بن مقرن: «عبَّأ كتائبه وخطب الناس فقال: إن أصبت فعليكم حذيفة بن اليمان ، وإن أصيب فعليكم جرير بن عبد الله ، وإن أصيب جرير بن عبد الله ، فعليكم قيس بن مكشوح ».

وقال في الأخبار الطوال/135: «إن قتل النعمان فوليُّ الأمر حذيفـة بن اليمان ، وإن قتل حذيفـة فولى الأمر جرير بن عبد الله البجلي، وإن قتل جرير فالأمير المغيرة بن شعبة ، وإن قتل المغيرة فالأمير الأشعث بن قيس ».

أقول: تضاربت الرواية فيمن يخلف النعمان ، ولا يعلم أن جريراً كان منهم ، والمتفق عليه حذيفة بن اليمان رضـي الله عنه ، وقد أثبت كفاءة عالية ، وفتح الله على يده وانتصر المسلمون ، وانهزم الفرس ، ثم واصل فتح المدن والمناطق داخل إيران .

وقد رويت بطولات لعدد من الفرسان والقبائل في نهاوند ، ومنهم بنو بجيلة .

قـال ابن الأعثم في الفتوح:2/306: «ثم أقبل جرير بن عبـد الله البجلي على الناس فقال: يا معشـر المسـلمين ، إنكم قـد علمتم بأن أميرنا النعمان بن مقرن قـد قتل منذ ثلاثة أيام وهذا الرابع ، وهؤلاء الأعاجم كلما كسـرنا لهم جيشاً زحفوا إلينا بجيش هو أعظم منه ، وقد تعلمون أن يزدجرد ملك الأعاجم قاطبـة قد صار إلى أصـفهان ، ولست آمن أن يبعث إليكم بجيش عظيم فيكون فيه البوار ، وهذه الشـمس قد زالت كما ترون ، فاعلموا أنها لا تغيب إلا ونحن في جوف قلعـة نهاونـد إن شاء الله ولا قوة إلا بالله . قال فقال طليحة بن خويلد الأسدي: والله ما الرأي إلا ما رأيت يا أبا عمرو ! ولقد قلت قولاً ويجب أن نجعلها واحدة ، لنا أم علينا ، فإنا لا نطيق كثرة هؤلاء القوم . قال: فقال عمرو بن معد يكرب: ويحك يا طليحة ! لا تقل علينا فإني أرجو أن تكون لنا وقلبي يشـهد بذلك ، كما أنه يشهد أني مقتول في هذا اليوم ، ألا ! وإني حامل فاحملوا معي رحمكم الله ، فوالله لأجهدن أني لا أرجع دون أن أفتح أو أقتل ».

18. ثم عيَّن عمر جريراً واليـاً على همـدان ، وبقي والياً عليها في زمن عثمان ، قال البلاذري:2/394: « فلما ولى المغيرة بن شـعبة الكوفة ، ولى جرير بن عبد الله همذان ، وولى البراء بن عازب قزوين ، وأمره أن يسير إليها فإن فتحها الله على يده غزا الديلم منها ، وإنما كان مغزاهم قبل ذلك من دستبى ، فسار البراء ومعه

حنظلة بن زيد الخيل حتى أتى أبهر فقام على حصنها ، وهو حصن بناه بعض الأعاجم على عيون سدها بجلود البقر والصوف واتخذ عليها دكة ، ثم أنشأ الحصن عليها ، فقاتلوه ثم طلبوا الأمان ، فآمنهم على مثل ما أمن عليه حذيفة أهل نهاوند ، وصالحهم على ذلك ، وغلب على أراضي أبهر ».

ويظهر أن جريراً كان ينتقد عثمان ، فقد كان مع مالك الأشتر في الذين ذهبوا لشكاية والي عثمان على الكوفة ، وكانوا عائدين من العمرة ، فوجدوا أبا ذر قد توفي في الربذة فجهزوه وصلوا عليه ودفنوه . (أنساب الأشراف:5/545).

قال اليعقوبي:2/165: «ولي الوليد بن عقبة بن أبي معيط الكوفة مكان سعد ، وصلى بالناس الغداة وهو سكران أربع ركعات ، ثم تهوع في المحراب ، والتفت إلى من كان خلفه فقال: أزيدكم؟ ثم جلس في صحن المسجد وأتى بساحر يدعى بطروى من الكوفة ، فاجتمع الناس عليه فجعل يدخل من دبر الناقة ويخرج من فيها ويعمل أعاجيب... وأخذ الوليد أبا سنان فضربه مائتي سوط ، فوثب عليه جرير بن عبد الله ، وعدي بن حاتم ، وحذيفة بن اليمان ، والأشعث بن قيس ، وكتبوا إلى عثمان مع رسلهم ، فعزله وولى سعيد بن العاص مكانه» .

لكن يظهر أن جريراً تقرب الى عثمان واسترضاه ، وسيأتي أن مالك الأشتر رضي الله عنه اتهمه بأن عثمان اشترى منه دينه بولاية همدان . (وقعة صفين/60).

19. وكان جرير البجلي يشرب الخمر ، ويظهر من كلامه أنه كان مدمناً عليها !

فقد روى ابن حزم في المحلى:7 /488: « عن عثمان بن قيس أنه خرج مع جرير بن عبد الله البجلي إلى حمام له بالعاقول ، فأكلوا معه ثم أوتوا بعسل وطلاء، فقال: إشربوا العسل أنتم ، وشرب هو الطلاء وقال: إنه يستنكر منكم ولا يستنكر منى !قال: وكانت رائحته توجد من هنالك ، وأشار إلى أقصى الحلقة » !

أقول: دير العـاقول بين بغـداد والنعمانيـة ، والمقصود هنا العاقول بالكوفـة ، وهو على شاطئ الفرات ، ومعناه أن جريراً كان عنـده بسـتان فيه حمام، ودعا اليه بعض الشخصيات المحترمين، وجاء لهم بعـد الغـداء بشـراب عسل، وله بخمر، وقال لهم: هـذا يناسـبني ولا يناسـبكم ! وكانت رائحته قوية فوصلت الى آخر الحلقة !

20. وكان جرير تلميذ الأشعث ، وأداته في الحسد ، والفتنة ، والتحريش ، وقد رووا كيف كذب على عمر فسقَّط شرحبيل بن السمط ، وعزل عمار بن ياسـر. قال عمر بن شـبَّة في تاريخ المدينة:3/819: « أوفـد سـعد بن أبي وقاص جرير بن عبـد الله إلى عمر ، فقال له الأشـعث بن قيس: إن اسـتطعت أن تنال من شـرحبيل بن السـمط عنـد عمر فافعل ! وكان شـرحبيل قـد شـرف بالكوفـة وكان أثيراً عند سـعد ، فغَمَّ ذلك الأشعث ! فلما قدم جرير على عمر سأله عن الناس فقال: هم كقداح الحصير فيها الأعضل الطائش والقائم الرائش، وسعد أمامها يقيم ميلها ويعمر عضاها، وقد قال قائل ! قال: وماقال القائل ؟قال: قال:

ألا ليتني والمرء سعد بن مالك *** وزبراء وابن السمط في لجة البحر

فيغرق أصحابي وأخرج سالماً *** على ظهر قرقور أنادي أبا بكر

قـال عمر: أقـد فعلها؟وكيف طاعـة الناس له؟ قال: يقيمون الصـلاة لوقتها ويؤتون الزكاة ولاتها. قال: الله أكبر، إذا أقيمت الصـلاة ، وأوتيت الزكاة كانت الطاعة . وكتب إلى سعد: أن احمل إلي زبراء وشرحبيلاً ، فأرسلهما ، فأمسك زبراء عنده بالمدينة ، وحمل شرحبيل إلى الشام ، فشرف بها ».

وفي مصنف ابن أبي شيبة:8 /9، أن جريراً وفد مع عمار الى عمر ، وكان عمار والياً على الكوفة: «فقال عمر: ألا تخبراني عن منزليكم هذين(يقصد الكوفة والمدائن) قال فقال جرير: أنا أخبرك يا أمير المؤمنين ، أما أحد المنزلين فأدنى نخلة من السواد إلى أرض العرب ، وأما المنزل الآخر فأرض فارس وعليها وَحْرُها وبقها ، يعني المدائن . قال: فكذبني عمار فقال: كذبت !

قال: فقال عمر: أنت أكذب ! ثم قال: ألا تخبروني عن أميركم هذا أمجزٍ هو؟ قالوا: لاوالله ما هو بمجزٍ ولاعالم بالسياسة . فعزله وبعث المغيرة بن شعبة» . والطبري:3/242، وتاريخ دمشق:43/450.

ومسألة عزل عمار أعمق من هذا التبسيط ، وقد كان جرير أداة للأشعث وعمر فيها.

21. عندما بايع المسلمون علياً (عليه السلام) دعا جرير المسلمين عنده الى بيعته ووفد اليه قال في أعيان الشيعة:4/73: «كتب(علي (عليه السلام)) إلى جرير بن عبد الله البجلي مع زحر بن قيس ، وكان جرير عاملاً لعثمان على ثغر همدان ، يخبره بوقعة الجمل ونكثهم بيعته ، وفعلهم بعامله عثمان بن حنيف وعفوه عنهم، ومسيره إلى الكوفة . فخطبهم جرير فقال: أيها الناس، هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو المأمون على الدين والدنيا ، وقد كان أمره وأمر عدوه ما نحمد الله عليه ، وقد بايعه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ولو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين كان أحقهم بها . ألا وإن البقاء في الجماعة والفناء في الفرقة، وعليٌّ حاملكم على الحق ما استقمتم فإن ملتم أقام ميلكم. فقال

الناس: سمعاً وطاعةً، رضينا. فأجاب جرير وكتب جواب كتابه بالطاعة.. وقال جرير في ذلك:

أتانا كتاب عليٍّ فلم *** نردَّ الكتاب بأرض العجم

ولم نعصِ ما فيه لمَّا أتى *** ولما نُضام ولما نُلَم

ونحن ولاةٌ على ثغرها *** نضيم العزيز ونحمي الذمم

نساقيهم الموت عند اللقاء *** بكأس المنايا ونشفي القرم

طحناهم طحنةً بالقنا *** وضرب سيوف تطير اللمم

مضينا يقيناً على ديننا *** ودين النبي مجلي الظلم

أمين الإله وبرهانه *** وعدل البرية والمعتصم

رسول المليك ومِن بعده *** خليفتنا القائم المدَّعم

علياً عنيت وصيَّ النبي *** نجالد عنه غواة الأمم

له الفضل والسبق والمكرمات *** وبيتُ النبوة لا يهتضم

قال: ثم أقبل جرير سائراً من ثغر همذان حتى ورد على علي (عليه السلام) بالكوفة ، فبايعه ودخل فيما دخل فيه الناس من طاعة علي (عليه السلام) واللزوم لأمره ». وكتاب صفين لنصر بن مزاحم/7، والإمامة والسياسة:1/82 ، وجمهرة خطب العرب:1/308.

22. وبعثه علي (عليه السلام) الى معاوية يدعوه أن يدخل فيما دخل فيه المسلمون ويبايعه ، قال الطبري:3/560: «وجه علي عند منصرفه من البصرة إلى الكوفة وفراغه من الجمل ، جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعوه إلى بيعته ، وكان جرير حين خرج علي إلى البصرة لقتال من قاتله بها بهمذان عاملاً عليها ، كان عثمان استعمله عليها ، وكان الأشعث بن قيس على آذربيجان عاملاً عليها، كان عثمان

استعمله عليها. فلما قدم علي الكوفة منصرفاً اليها من البصرة كتب إليهما يأمرهما بأخذ البيعة له على من قبلهما من الناس والإنصراف إليه ، ففعلا ذلك وانصـرفا إليه ، فلما أراد علي توجيه الرسول إلى معاوية قال جرير بن عبد الله..إبعثني إليه فإنه لي وُدّ ، آتيه فأدعوه إلى الدخول في طاعتك .

فقال الأشتر لعلي: لا تبعثه فوالله إني لأظن هواه معه ! فقال علي: دعه حتى ننظر ما الـذي يرجع به إلينا. فبعثه إليه وكتب معه كتاباً يعلمه فيه اجتمـاع المهـاجرين والأنصـار على بيعته ونكث طلحـة والزبير وما كان من حربه إياهما ، ويـدعوه إلى الـدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته ، فشخص إليه جرير ، فلما قدم عليه ماطله واستنظره ، ودعا عمراً (بن العاص) فاستشاره فيما كتب به إليه ، فأشار عليه أن يرسل إلى وجوه الشام ، ويُلزم علياً دم عثمان ويقاتله بهم ، ففعل ذلك معاوية .

وكان أهل الشام.. لما قدم عليهم النعمان بن بشـير بقميص عثمان الذي قتل فيه مخضباً بدمه وبأصابع نائلة زوجته مقطوعة بالبراجم إصبعان منها وشئ من الكف، وإصبعان مقطوعتان من أصولهما ونصف الإبهام ، وضع معاوية القميص على المنبر وكتب بالخبر إلى الأجناد وثاب إليه النـاس ، وبكوا سـنة وهو على المنبر والأصـابع معلقـة فيه ، وآلى الرجال من أهل الشام ألا يأتوا النساء ولا يمسـهم الماء للغسل إلا من احتلام ولا يناموا على الفرش ، حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم بشئ أو تفنى أرواحهم !

فمكثوا حول القميص سـنة والقميص يوضع كل يوم على المنبر ، ويجلله أحياناً فيلبسه ، وعلق في أردانه أصابع نائلة ، فلما قدم جرير بن عبد الله على علي فيما

حـدثني عمر بن شـبة قـال: حـدثنا أبو الحسن عن عوانـة ، فأخبره خبر معاويـة واجتماع أهل الشأم معه على قتاله ، وأنهم يبكون على عثمان ويقولون إن علياً قتله وآوى قتلته ، وإنهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه .

فقال الأشتر لعلي: قـد كنت نهيتك أن تبعث جريراً وأخبرتك بعـداوته وغشه ، ولو كنت بعثتني كان خيراً من هـذا ، الذي أقام عنده حتى لم يدع باباً يرجو فتحه إلا فتحه ، ولا باباً يخاف منه إلا أغلقه !

فقال جرير: لو كنت ثَمَّ لقتلوك ، لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان !

فقال الأشتر: لو أتيتهم والله يا جرير لم يُعْيِنِي جوابهم ، ولحملت معاويـة على خطـة أعجله فيها عن الفكر ، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين (عليه السلام) لحبسك وأشباهك في محبس لا تخرجون منه ، حتى تستقيم هذه الأمور !

فخرج جرير بن عبد الله إلى قرقيسـياء ، وكتب إلى معاوية ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ، وخرج أمير المؤمنين فعسكر بالنخيلة ، وقدم عليه عبد الله بن عباس بمن نهض معه من أهل البصرة ».

أقول: صـرح جرير في كلاـمه وشـعره بعقيـدته في علي (عليه السـلام) وأنه وصـي النبي (صـلى الله عليه و آله) ، فكان عقله مع علي (عليه السلام) وهواه مع معاوية ، وذلك لضعف إيمانه ، مع أنه صرح برأيه السلبي في معاوية . وعندما كان مبعوثاً من علي (عليه السلام) في الشام ، كانت له مواقف ضعيفة ومواقف قوية ، منها ما كتبه الى شرحبيل بن السمط وهو من أركان معاوية:

شرحبيل يا ابن الصمت لاتتبع الهوى *** فما لك في الدنيا من الدين من بدل

وقل لابن حرب ما لك اليوم حرمة *** تروم بها ما رمت فاقطع له الأمل

شرحبيل ان الحق قد جد جده *** وأنك مأمون الأديم من النغَل

فأوردْ ولا تُفرط بشئ نخافه *** عليك ولا تعجل فلا خير في العجل

ولا تك كالمجري إلى شر غاية *** فقد خرق السربال واستنوق الجمل

وقال ابن هند في علي عُضَيْهَةً *** ولله في صدر ابن أبي طالب أجل

وما لعلي في ابن عفان سقطة *** بأمر ولا جلْبٍ عليه ولا قتل

وما كان إلا لازماً قعر بيته *** إلى أن أتى عثمان في بيته الأجل

فمن قال قولاً غير هذا فحسبه *** من الزور والبهتان قول الذي احتمل

وصي رسول الله من دون أهله *** وفارسه الحامي به يضرب المثل

فلما قرأ شرحبيل الكتاب ذُعر وفكر وقال: هذه نصيحة لي في ديني ودنياي، ولا والله لا أعجل في هذا الأمر بشئ . وفي نفسي منه ! فلفَّفَ له معاوية الرجال يدخلون اليه ويخرجون ، ويُعظمون عنده قتل عثمان ويرمون به علياً (عليه السلام) ! ويقيمون الشهادة الباطلة والكتب المختلفة ، حتى أعادوا رأيه وشحذوا عزمه ! وذلك لما سبق في علم الله من شقائه». «أعيان الشيعة:4/73».

ويظهر أن جريراً كان يحب أن يلتحق بمعاوية ويكون معه في صفين قائداً أو مشاوراً ، خاصة أنه كتب له يدعوه للحضور اليه ، لكنه اصطدم برأي قبيلته بجيلة التي أجمعت على نصرة علي (عليه السلام) وحرب معاوية ، فقرر أن يعتزل الطرفين ! واتخذ من توبيخ الأشتر وشتمه له مبرراً لذلك !

قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين/60: «فلما سمع جرير ذلك لحق بقرقيسيا ولحق به أناس من قسر من قومه(قسر بطن صغير من بجيلة) ولم يشهد صفين من قسر غير تسعة عشر ، ولكن أحمس (بطن من بجيلة وهم كثرة وفرسان) شهدها منهم سبع مائة رجل ! وخرج علي إلى دار جرير فشعث منها ، وحرق مجلسه(فقط) وخرج أبو زرعة بن عمر بن جرير فقال: أصلحك الله ، إن فيها أرضاً لغير جرير ، فخرج على منها إلى دار ثوير بن عامر فحرقها وهدم منها(مجلسه) وكان

ثوير رجلاً شريفاً وكان قد لحق بجرير . وقال الأشتر فيما كان من تخويف جرير إياه بعمرو ، وحوشب ذي ظليم ، وذي الكلاع:

لعمرُك يا جرير لَقولُ عَمْرٍ *** وصاحبه معاويةُ الشآمي

وذي كلع وحوشبَ ذي ظليمٍ *** أخفُّ عليَّ من زفِّ النعام

إذا اجتمعوا عليَّ فخلِّ عنهم *** وعن بازٍ مخالبه دوام

فلستُ بخائف ما خوفوني *** وكيف أخاف أحلامَ النيام

وهمُّهمُ الذين حاموا عليه *** من الدنيا ، وهمي ما أمامي

فإن أسلم أعمُّهم بحربٍ *** يشيبُ لهولها رأس الغلام

وإن أهلك فقد قدمتُ أمراً *** أفوز بفلجةٍ يوم الخصام

وقد زأروا إليَّ وأوعدوني *** ومن ذا مات من خوف الكلام»

أقول: لاحظ أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أحرق من بيت جرير وثوير غرفة مجلسهما فقط ، وكأنه يقصد مركز الفساد والنفاق في منزليهما .

كما كان الوجهاء ورؤساء العشائر يتخذون في دورهم أو أحيائهم مساجد ، وكان المنافقون أمثال الأشعث وجرير يتذخونها مساجد ضرار ، فسماها أمير المؤمنين (عليه السلام) المساجد الملعونة في الكوفة !

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : « إن بالكوفة مساجد ملعونة ومساجد مباركة..وأما المساجد الملعونة فمسجد ثقيف ، ومسجد الأشعث ، ومسجد جرير ، ومسجد سماك ، ومسجد بالخمراء بُنِيَ على قبر فرعون من الفراعنة . وروي أنها المساجد التي فرح أهلها بقتل الحسين (عليه السلام) ». (الكافي:3/490، والخمراء: هي باخمرى قرية قرب الكوفة ، وفيها قبر ابراهيم بن عبد الله بن الحسن).

23. وكان جرير يبغض علياً (عليه السلام) ، وقد حرَّف حديث الغدير فأضاف فيه مدح أبي بكر وعمر! وزعم أن النبي (صلى الله عليه و آله) أخذ بذراع علي (عليه السلام) يوم الغدير ، وقال: من

يكن الله ورسوله مولاه ، فإن هـذا مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . اللهم من أحبّه من الناس فكن له حبيباً ، ومن أبغضه فكن له مبغضاً . اللهم إنّي لا أجد أحداً استودعه في الأرض بعد العبدين الصالحين.أي أبا بكر وعمر!

وكان جرير والأشعث بن قيس وابن حريث وعدة من مترفي الكوفة وشخصياتها المنافقة ، يتنزهون ويشربون ، وقد سخروا من أمير المؤمنين (عليه السلام) وبايعوا ضباً بإمرة المؤمنين ! (رجال الطوسي/33، والنجاشي/71، ومعجم السيد الخوئي:4 /362 ، والوافي للصفدي:1/59 ، والنهاية:5/91).

وروى في مناقب آل أبي طالب:2/97، والخرائج:2/747: «بإسناده عن الأصبغ قال: أمرنا أمير المؤمنين بالمسير من الكوفة إلى المداين ، فسرنا يوم الأحد وتخلف عنا عمرو بن حريث والأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلي ، مع خمسة نفر فخرجوا إلى مكان بالحيرة يقال له الخورنق والسدير وقالوا: إذا كان يوم الجمعة لحقنا علياً قبل أن يجمع الناس ، فصلينا معه . فبينا هم جلوس وهم يتغدون إذ خرج عليهم ضب فاصطادوه ، فأخذه عمرو بن حريث فبسط كفه فقال: بايعوا هذا أمير المؤمنين! فبايعه الثمانية، ثم أفلتوه وارتحلوا وقالوا: إن علي بن أبي طالب يزعم أنه يعلم الغيب ، فقد خلعناه وبايعنا مكانه ضباً !

فقدموا المداين يوم الجمعة ، فدخلوا المسجد وأمير المؤمنين (عليه السلام) يخطب على المنبر فقال (عليه السلام) : يا أيها الناس، إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أسرَّ فيما أسرَّ إليَّ من العلم حديثاً فيه ألف باب، وكل باب يفتح منه ألف باب ، وإني سمعت الله يقول: يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ..وإني أقسم بالله قسماً حقاً ليبعثن يوم القيامة ثمانية نفر من عسكري هذايدعون أنهم أصحابي، لحقوا بنا آنفاً ، إمامهم ضبٌّ اصطادوه في طريقهم وبايعوه ، ولو شئت أن أسميهم لفعلت ! فتغيرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ، وكان عمرو بن حريث ينتفض كما تنتفض السعفة جبناً وفرقاً » !

24. لكن بجيلة أخلصت ولاءها لأمير المؤمنين (عليه السلام) واستبدلت جريراً برفاعة ، وقد شاركت مع علي (عليه السلام) في صفين فقد كان الأحمسيون الفرسان سبع مئة ، وربما كان الباقون من بقية بطون بجيلة أكثر . بينما لم يكن منهم مع معاوية إلا قلة .

قال نصر في صفين/229: «وأمر(علي (عليه السلام))كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام ، إلا قبيلة ليس منهم بالشام أحد ، مثل بجيلة لم يكن بالشام منهم إلا عدد يسير ، فصرفهم إلى لخم » . أي جعلهم مقابل قبيلة لخم .

وذكر في صفين /205، أن رئيسهم كان رفاعة بن شداد رضي الله عنه ، وهو فارس ، وفقيه ، وسيد قراء الكوفة ، وكان من كبار شيعة علي (عليه السلام) وشارك معه في حرب الجمل هو وكثير من البجليين . وهذا يدل على أن رئاسة بجيلة خرجت من يد جرير رغم ثروته من الفتوحات ، وولايته لمنطقة همدان المهمة .

وقد روى النسائي وابن ماجة عن رفاعة ، ووثقوه . وروى هو عن أستاذه الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي. (تهذيب التهذيب:3/243)

وقد ثبت رفاعة على التشيع بعد علي (عليه السلام) . وعندما قبض معاوية على حجر بن عدي وأصحابه، طلبه فهرب مع عمرو بن الحمق الى الموصل . ثم كان من رؤساء التوابين. ثم خرج مع المختار للطلب بدم الإمام الحسين (عليه السلام) .(راجع: أنساب الأشراف:5/272، و:6/364، والفتوح لابن الأعثم:2/462، والطبري:4/523).

نتيجة

يتضح لك من سيرة جرير بن عبد الله البجلي، دوره الحقيقي في معارك الفتوحات ، وأنه كان دوراً متوسطاً أو أقل ، وقد ضخموه لأنه مرضي عند السلطة ! على أنه يبقى أشجع من خالد وسعد ، ويبقى دوره الميداني أكبر من أدوارهما المزعومة ، لأن جريراً كان مقاتلاً أحياناً ، بينما كان خالد وسعد سياسيين ، في ثوب فرسان !

ص: 126

عمرو بن العاص.. لا نبلٌ ولا شجاعة !

1. كان أبوه العاص بن وائل السهمي من زنادقة قريش ، وقد سماه الله الأبتر قال المؤرخ ابن حبيب في المنمق/388 ، إن زنادقة قريش..تعلموا الزندقة (الإلحاد) من نصارى الحيرة: «وهم: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي ، وصخر بن حرب ، وعقبة بن أبي معيط ، وأبي بن خلف ، وأبو عزة ، والنضر بن الحارث بن كلدة ، من بني عبد الدار ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج » .

وفي الكنى والألقاب:1/56: «وكان العاص بن وائل السهمي بيطاراً يعالج الخيل، وكان ابنه عمرو جزاراً ، وكذلك أبو حنيفة صاحب الرأي والقياس».

وكان العاص أحد المستهزئين الخمسة ، وهم أشد المشركين عداءً للنبي (صلى الله عليه و آله) . وقد عملوا لقتله (صلى الله عليه و آله) ثلاث سنوات وهم يتربصون الفرصة لقتله غيلةً ، ويطالبون أبا طالب وبني هاشم أن يدفعوه اليهم ليقتلوه ، ثم أنذروه وحددوا له وقتاً ليتراجع عن نبوته ، وإلا قتلوه جهاراً ! فأنزل الله عليه قوله:فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ .

وجاءه جبرئيل (عليه السلام) وقال له: لقد كفاك الله إياهم ! فقتل الله خمستهم ، كل واحد منهم بغير قتلة صاحبه ، في يوم واحد .

فأما الوليد بن المغيرة والد خالج فمرَّ بنبل لرجل راشه ووضعه في الطريق فأصابه شظية منه فانقطع أكحله حتى أدماه فمات وهو يقول: قتلني رب محمد!

وأما العاص بن وائل السهمي ، فإنه خرج في حاجة له إلى موضع فتدهده تحته حجر ، فتقطع قطعة قطعة ، فمات وهو يقول: قتلني رب محمد !

ص: 127

وأما الأسود بن عبد يغوث ، فخرج يستقبل ابنه زمعة فاستظل بشجرة ، فأتاه جبرئيل (عليه السلام) فأخذ رأسه فنطح به الشجرة ، فقال لغلامه: إمنع هذا عني فقال: ما أرى أحداً يصنع بك شيئاً إلا نفسك! فقتله وهو يقول:قتلني رب محمد !

وأما الأسود بن المطلب فدعا عليه النبي (صلى الله عليه و آله) أن يعمي الله بصره ، ويثكله ولده فلما كان في ذلك اليوم خرج حتى صار إلى موضع ، فأتاه جبرئيل (عليه السلام) بورقة خضراء فضرب بها وجهه فعمي ، وبقي حتى أثكله الله عز وجل ولده !

وأما الحارث بن الطلاطلة فخرج من بيته في السموم فتحول حبشياً فرجع إلى أهله فقال: أنا الحارث ، فغضبوا عليه فقتلوه وهو يقول: قتلني رب محمد !

فقتل الله خمستهم ! قد قتل كل واحد منهم بغير قتلة صاحبه ، في يوم واحد ! وذلك أنهم كانوا بين يدي رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقالوا له: يا محمد ننتظر بك إلى الظهر فإن رجعت عن قولك وإلا قتلناك ! فدخل النبي (صلى الله عليه و آله) منزله فأغلق عليه بابه مغتماً لقولهم ، فأتاه جبرئيل (عليه السلام) عن الله عز وجل من ساعته فقال: يامحمد ، السلام يقرأ عليك السلام، ويقول لك: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. يعني أظهر أمرك لأهل مكة ، وادعهم إلى الإيمان. قال: يا جبرئيل كيف أصنع بالمستهزئين وما أوعدوني؟ قال له: إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ، قال: يا جبرئيل كانوا الساعة بين يدي! قال:وقدكفيتهم.فأظهر أمره عند ذلك».(حلية الأبرار:1/127).

وفي سيرة ابن هشام:2/265 ، وأسباب النزول للواحدي/307: « كان العاص بن وائل السهمي إذا ذُكر رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: دعوه فإنما هو رجل أبتر لاعقب له ، لو هلك انقطع ذكره واسترحتم منه،فأنزل الله تعالى في ذلك:إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ.

ما هو خير لك من الدنيا وما هو فيها ، والكوثر: العظيم من الأمر . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ: العاص بن وائل ».

« عن ابن عباس قال: نزلت هذه السورة في العاص بن وائل بن هشام بن سُعَيْد بن سهم ، أنه رأى رسول الله (صلى الله عليه و آله) يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا، وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس، فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تحدث؟ قال: ذاك الأبتر ، يعني النبي (صلى الله عليه و آله) وكان قد توفى قبل ذلك عبد الله بن رسول الله وكان من خديجة ، وكانوا يسمون من ليس له ابن: أبتر، فسمته قريش عند موت ابنه أبتر وصنبوراً فأنزل الله سبحانه: إنا أعطيناك الكوثر». (أسباب النزول/306)

وفي مناظرة الإمام الحسن (عليه السلام) مع عمرو كما في التشريف بالمنن لابن طاووس/362: «أنت كالكلب لايحمد منه رأس ولا ذنب . قديمك مذموم ، وحديثك بالشر موسوم ، ولدت على فراش مشترك ، واختصم فيك خمسة ، فغلب عليك ألأمهم حسباً وأخبثهم منصباً . وأنت الأبتر شانئ محمد (صلى الله عليه و آله) ، وأنت الراكب إلى النجاشي لانتقاص جعفر وتعريضه للتلف . وأنت الهاجي رسول الله (صلى الله عليه و آله) بسبعين بيتاً حتى قال: اللهم العنه بكل بيت لعنة ! وأنت الملهب المدينة ناراً على عثمان ، والهارب إلى فلسطين ، والبائع بعدُ من معاوية بدنياه الدين ».

ورواه في الاحتجاج:1/411، مفصلاً وفيه: «ثم قمت خطيباً وقلت: أنا شانئ محمد وقال العاص بن وايل: إن محمداً رجل أبتر لا ولد له فلو قد مات انقطع ذكره ،

فأنزل الله تبارك وتعالى: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ . وكانت أمك تمشي إلى عبد قيس تطلب البغية ، تأتيهم في دورهم ورحالهم وبطون أوديتهم!

ثم كنت في كل مشهد يشهده رسول الله (صلى الله عليه و آله) من عدوه أشدهم له عداوة ، وأشدهم له تكذيباً. ثم كنت في أصحاب السفينة الذين أتوا النجاشي والمهجر الخارج إلى الحبشة في الإشاطة بدم جعفر بن أبي طالب وساير المهاجرين إلى النجاشي، فحاق المكر السئ بك ، وجعل جدك الأسفل ، وأبطل أمنيتك ، وخيب سعيك ، وأكذب أحدوثتك ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا. ولسنا نلومك على بغضنا ، ولا نعاتبك على حبنا ، وأنت عدو لبني هاشم في الجاهلية والإسلام ، وقد هجوت رسول الله (صلى الله عليه و آله) بسبعين بيتاً من شعر فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : اللهم إني لا أحسن الشعر ولا ينبغي لي أن أقوله ، فالعن عمرو بن العاص بكل بيت ألف لعنة » !

أقول: في سورة الكوثر حقائق كثيرة ، لايتسع لها المجال. ومعناها أن الله تعالى أعطى لرسوله (صلى الله عليه و آله) كوثر الذرية من فاطمة (عليها السلام) ، وحوض الكوثر في المحشر ، ونهر الكوثر في الجنة . فقد استعملت الكلمة في عدة معان ، وهذا من بلاغة القرآن .

2. وتُعرف أم عمرو بالنابغة ، وهي أَمَةٌ لبني عنزة ، كانت في مكة صاحبة راية وقد اختارت أباً لعمرو بعد ولادته ، من بين خمسة رجال زنوا بها! قال الزمخشري في ربيع الأبرار:4/275: «كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمةً رجل من عنزة ، فسبيت فاشتراها عبد الله بن جدعان فكانت بَغِيّاً ثم عتقت ، ووقع عليها أبو لهب ، وأمية بن خلف ، وهشام بن المغيرة ، وأبو سفيان بن حرب ، والعاص بن

وائل في طهر واحد ، فولدت عمراً ، فادعاه كلهم فحُكِّمَتْ فيه أمه (وكانت القاعدة تحكيم البغية) فقالت: هو للعاص ، لأن العاص كان ينفق عليها ، وقالوا: كان أشبه بأبي سفيان ».

وقال الأميني (رحمة الله) في الغدير (2/122) ما خلاصته: قال الكلبي في مثالب العرب في باب تسمية ذوات الرايات: وأما النابغة أم عمرو بن العاص فإنها كانت بغيّاً قدمت مكة ومعها بنات لها، فوقع عليها العاص بن وائل ، وأبو لهب ، وأمية بن خلف، وهشام بن المغيرة ، وأبو سفيان بن حرب ، في طهر واحد فولدت عمراً فاختصم القوم جميعاً فيه كل يزعم أنه ابنه ، ثم إنه أضرب عنه ثلاثة وأكبَّ عليه اثنان: العاص بن وائل، وأبو سفيان بن حرب فقال أبو سفيان: أنا والله وضعته في حر أمه . فقال العاص: ليس هو كما تقول هو ابني ، فحكَّمَا أمه فيه ، فقالت: للعاص . فقيل لها بعد ذلك: ما حملك على ما صنعت وأبو سفيان أشرف من العاص؟ فقالت: إن العاص كان ينفق على بناتي ، ولو ألحقته بأبي سفيان لم ينفق عليَّ العاص شيئاً ، وخفت الضيعة .

وقال حسان بن ثابت لعمرو بن العاص ، رداً على هجائه لرسول الله (صلى الله عليه و آله) :

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت *** لنا فيك منه بينات الدلائلِ

ففاخر به إما فخرت ولا تكن *** تفاخر بالعاص الهجين بن وائلِ

وإن التي في ذاك يا عمرو حكمت *** فقالت رجاء عند ذاك لنائلِ

من العاص عمرو تخبر الناس كلما *** تجمعت الأقوام عند المحاملِ

ووصفوا أبا سفيان بأنه: دميمٌ قصيرٌ أخفش العينين. (سمط اللآلي/332).

ووصفوا عمرو العاص بأنه قصير ، يخضب لحيته بالسواد . (الحاكم:3/452) .

«قصيراً عظيم الهامة ناتئ الجبهة ، واسع الفم ، عظيم اللحية ، عريض ما بين المنكبين ، عظيم الكفين والقدمين » . (فتوح مصر للقرشي المصري/133) .

ومما نلاحظه أن علياً (عليه السلام) كان يسميه: ابن النابغة ، ولم يقل ابن العاص أبداً !

3. وكان عمرو من طفولته كأبيه العاص يُبغض النبي (صلى الله عليه و آله) ويُبغض عشيرته ، فقد روى المقريزي في إمتاع الأسماع:5/333 ، عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: «توفي القاسم بن النبي (صلى الله عليه و آله) فمر رسول الله وهو آت من جنازته على العاص بن وائل وابنه عمرو بن العاص ، فقال عمرو حين رأى رسول الله (صلى الله عليه و آله) : إني لأشنؤه فقال العاص: لاجرم لقد أصبح أبتراً ، وأنزل الله تعالى: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَالأَبْتَرُ ».

وقد عمل عمرو مع أبيه ضد النبي (صلى الله عليه و آله) ، وأرسلته قريش مرتين الى النجاشي تطلب منه أن يرد اليها المسلمين الذين اضطهدتهم وهاجروا الى الحبشة !

ففي ذخائر العقبى/213 ، عن ابن مسعود:« أمرنا رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي ، فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ، وجمعوا للنجاشي هدية.. ».

وقال دحلان في سيرته:1/ 417:«كان لعمرو بن العاص هجرتان إلى الحبشة في شأن المهاجرين على ما يذكره التاريخ: أحدهما مع عمارة في بدء الهجرة ، والثاني مع عبد الله بن ربيعة بعد بدر ، ورجع خائباً خاسراً ».

وقال له الإمام الحسن (عليه السلام) في مناظرته (الإحتجاج:1/415): «وأما أنت يا عمرو بن العاص الشاني اللعين الأبتر..كنت في كل مشهد يشهده رسول الله (صلى الله عليه و آله) من عدوه أشدهم له عداوة وأشدهم له تكذيباً ! ثم كنت في أصحاب السفينة الذين

أتوا النجاشي في الإشاطة بدم جعفر بن أبي طالب وساير المهاجرين ، فحاق المكر السئ بك ، وجعل جدك الأسفل ، وأبطل أمنيتك وخيب سعيك ، وأكذب أحدوثتك، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا».

وقد أبغض عمرو النبي (صلى الله عليه و آله) وحاربه وهجاه في حياته، وكذب عليه بعد وفاته!

ففي مصباح البلاغة:4/27: «ومن كلامه (عليه السلام) لما بلغه أن عمرو بن العاص خطب الناس بالشام فقال: بعثني رسول الله (صلى الله عليه و آله) على جيش فيه أبو بكر وعمر فظننت أنه إنما بعثني لكرامتي عليه ، فلما قدمت قلت: يا رسول الله ، أي الناس أحب إليك؟ فقال: عايشة . قلت: من الرجال؟ قال: أبوها . وهذا عليٌّ يطعن على أبي بكر وعمر وعثمان . وقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول إن الله ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه ، وقال في عثمان: إن الملائكة لتستحي من عثمان ، وقد سمعت علياً وإلا فَصُمَّتا يروي على عهد عمر أن نبي الله نظر إلى أبي بكر وعمر مقبلين فقال: يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، ما خلا النبيين منهم والمرسلين ، ولا تحدثهما بذلك فيهلكا !

فقال علي (عليه السلام) : العجب من طغاة أهل الشام حيث يقبلون قول عمرو ويصدقونه وقد بلغ من حديثه وكذبه وقلة ورعه أن يكذب على رسول الله (صلى الله عليه و آله) وقد لعنه سبعين لعنة ، ولعن صاحبه الذي يدعو إليه في غير موطن ! وذلك أنه هجا رسول الله (صلى الله عليه و آله) بقصيدة سبعين بيتاً فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : اللهم إني لا أقول الشعر ، فالعنه أنت وملائكتك بكل بيت لعنة تترى على عقبه إلى يوم القيامة !

ما لقيت من هذه الأمة من كذابها ومنافقها ! لكأني بالقراء الضعفة المجتهدين قد رووا حديثه وصدقوه فيه ، واحتجوا علينا أهل البيت بكذبه أنا نقول خير هذه الأمة أبو بكر وعمر ، ولو شئت لسميت الثالث . والله ما أراد بقوله في عايشة وأبيها إلا رضا معاوية!ولقد استرضاه بسخط الله! وأما حديثه الذي يزعم أنه سمعه مني ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لَيَعلم أنه كذب عليَّ يقيناً ، وإن الله لم يسمعه مني سراً ولا جهراً! اللهم العن عمرواً والعن معاوية بصدهما عن سبيلك، وكذبهما على كتابك، واستخفافهما بنبيك (صلى الله عليه و آله) ، وكذبهما عليه وعليَّ»

وفي شرح النهج:4/63: «إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي (عليه السلام) تقتضي الطعن فيه والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله ، فاختلقوا ما أرضاه ، منهم أبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير.. وأما عمرو بن العاص، فروى عنه الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما مسنداً متصلاً بعمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء ، إنما وليي الله وصالح المؤمنين !

وأما أبو هريرة ، فروى عنه الحديث الذي معناه أن علياً خطب ابنة أبي جهل في حياة رسول الله (صلى الله عليه و آله) فأسخطه ، فخطب على المنبر وقال: لاها الله! لا تجتمع ابنة ولى الله وابنة عدو الله أبي جهل! إن فاطمة بضعة منى يؤذيني ما يؤذيها ، فإن كان على يريد ابنة أبي جهل ، فليفارق ابنتي وليفعل ما يريد » .

وهذا يدل على أن عمرو العاص كان محترفاً للكذب ، وكان يؤكد ذلك بفجور !

4. وكـان عمرو من نشأته حريصاً على أن يظهر بمظهر الفروسـية والشـجاعة ، كغيره من شـباب المجتمع القرشـي ، وقـد شارك في حروب قريش ضد النبي (صلى الله عليه و آله) لكن لم يعهد عنه أنه برز الى أحد ، أو شارك في القتال بجدية في حرب من الحروب ، بل كان مناوراً يجنب نفسه القتال ، كصديقه خالد بن الوليد .

وكان صديقه معاوية أصـغر منه سناً ، ورووا لهما حفلات لهو ، فقد كانا بعد وقعة أُحُد يتغنيان بمقتل حمزة رضي الله عنه ، ويسخران بالنبي (صلى الله عليه و آله) !

قال الصـحابي أبو برزة وغيره: «كنا مع رسول الله (صـلى الله عليه و آله) في سـفر , فسـمع رجلين في غرفة في ربوة يتغنيان وأحدهما يجيب الآخر ، وهو يقول:

تركت حوارياً تلوح عظامه *** زوى الحرب عنه أن يُجنَّ فيُقبرا

فقـال النبي (صـلى الله عليه و آله) : أنظروا من همـا ؟ قـال: فقالوا: عمرو ومعاويـة . فقال (صـلى الله عليه و آله) : الّلهم اركسـهما ركساً ، ودُعَّهما إلى النار دعّاً ».

وقد صـححه بعض أئمة الحديث . أنظر: جزء أحاديث الشعر/95 ، للمقدسـي ، ومسند أبي يعلى: 13 /429 ، والطبراني الكبير:11/38 ، والأوسط: 7/133 ، وابن أبي شيبة: 7/508 .

ومعنى البيت: افتخار المشـركين بأنهم تركوا بعيراً في أحد ظاهرة عظامه ، وقد شـغل الحرب المسلمين أن يدفنوه ، ويقصدون حمزة (رحمة الله) .

ومعنى الرَّكْسُ: قلبُ الشئ على رأْسه أَو ردُّ أَوله على آخره . والدَّعُّ: الدفع بدون احترام .

وفي الغارات:2/513: «بلغ علياً (عليه السـلام) أن ابن العاص ينتقصه عنـد أهل الشام فصـعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا عجباً لاينقضـي لابـن النابغـة ، يزعم لأهـل الشام أن فيَّ دعابـة ، وأني أمروٌ تلعابـة ، أعافس وأمارس ، إنه والله يعلم لقـد قال كاذباً ونزغ آثماً ، أما يشغله عن ذلك ذكر الموت وخوف الله والحساب؟

أما وشر القول الكذب ، إنه ليقول فيكذب ، ويعد فيخلف ، ويسأل فيلحف ، ويُسأل فيبخل ، وينقض العهد ويقطع الإلّ . فإذا كان عند البأس فزاجر وآمر ، ما لم تأخذ السيوف مآخذها من الهام ، فإذا كان ذلك فأكبر مكيدته أن يُمَرْقط ويمنح إسته ، قبحه الله وترّحه » . وأمالي الطوسي/131

ولم أجد معنى يُمرقط، ولابد أن تكون بمعنى ينكص ويهرب . وقد تفرد برواياتها الثقفي ، وفي أكثر المصادر: فغاية مكيدته أن يمنح القِرْمَ سُبَّته ! أي إذا تفوق عليه من يبارزه كشف عورته أمامه ، ليغض بصره ويتركه ، فينجو من القتل !

وهذا أمر مشهور عن عمرو ، تكرر منه في مبارزته لعلي (عليه السلام) ، وعيَّره به معاوية ، وكفى به رداً على من ادعى له بطولة في الفتوحات !

قال في شرح النهج:6/317: «وروى الواقدي قال: قال معاوية يوماً بعد استقرار الخلافة له لعمرو بن العاص: يا أباعبد الله لا أراك إلا ويغلبني الضحك! قال: بماذا ؟ قال: أذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفين ، فأزريت نفسك فرقاً من شبا سنانه وكشفت سوأتك له ! فقال عمرو: أنا منك أشد ضحكاً ، إني لأذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سحرك ، وربا لسانك في فمك ، وغصصت بريقك ، وارتعدت فرائصك ، وبدا منك ما أكره ذكره لك !

فقال معاوية: لم يكن هذا كله ، وكيف يكون ودوني عك والأشعريون ! قال: إنك لتعلم أن الذي وصفت دون ما أصابك ، وقد نزل ذلك بك ودونك عك والأشعريون ، فكيف كانت حالك لو جمعكما مأقط الحرب؟ فقال:يا أبا عبد الله خض بنا الهزل إلى الجد ، إن الجبن والفرار من عليٍّ لا عار على أحد فيهما » !

5. اعترف عمرو وزميله خالد بن الوليد أن سبب إسلامهما هو الطمع الدنيوي فقد قال كما في مجمع الزوائد ووثقه: (9/350):«لما انصرفنا من الأحزاب عن الخندق جمعتُ رجالاً من قريش كانوا يرون مكاني ويسمعون مني ، فقلت لهم: تعملون والله إني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإني قد رأيت أمراً فما ترون فيه ؟ قالوا: وما رأيت؟ قلت: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ! وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير . قالوا: إن هذا الرأي ».

ثم وصف عمرو كيف أن خالد بن الوليد وافقه على رأيه . لكنهما قررا أن يُسلما بعد عمرة القضاء في السنة السابعة ، وجاءا الى المدينة وأسلما .

6. ضخموا دور عمرو وزميله خالد مع النبي (صلى الله عليه و آله) في السنتين اللتين أسلما فيهما ،

وقد كشفنا ذلك في السيرة النبوية عند أهل البيت (عليهم السلام) ، فراجع ما كتبناه عن دور خالد في غزوة مؤتة ، ودور عمرو في غزوة ذات السلاسل .

7. وضخموا دور عمرو في فتوحات فلسطين ومصر ، واخترعوا له بطولات !

ونلاحظ أنه لا أثر له في معارك الردة ، في الدفاع عن المدينة ، ثم في معركة بزاخة مع طليحة الأسدي ، ولا في معركة اليمامة مع مسيلمة الكذاب ، ولا في معارك البحرين وعمان مع المرتدين، وكذا في فتح العراق وفارس .

ثم ننظر في معارك وفلسطين والشام ومصر فلا نجد له مبارزةً ولا قتالاً جاداً في أي منها ، بل نجد أنه والرواة معه اخترعوا معارك لاوجود لها ! وقد كان غائباً عن بعضها، وحاضراً في بعضها ، لكنه غير مقاتل ، ولاقائد ميداني !

قال البلاذري:1/130 : «فأول وقعة كانت بين المسلمين وعدوهم بقرية من قرى غزة يقال لها دائن، كانت بينهم وبين بطريق غزة ، فاقتتلوا فيها قتالاً شديداً ، ثم إن الله تعالى أظهر أولياءه وهزم أعداءه وفض جمعهم ، وذلك قبل قدوم خالد بن الوليد الشام . وتوجه يزيد بن أبي سفيان في طلب ذلك البطريق فبلغه أن بالعربة من أرض فلسطين جمعاً للروم ، فوجه إليهم أبا أمامة الصديّ بن عجلان الباهلي فأوقع بهم ، وقتل عظيمهم ثم انصرف .

روى أبو مخنف في يوم العربة أن ستة قواد من قواد الروم نزلوا العربة ، في ثلاثة آلاف ، فسار إليهم أبو أمامة في كثف من المسلمين فهزمهم وقتل أحد القواد ، ثم اتبعهم فصاروا إلى الدبية وهي الدابية ، فهزمهم وغنم المسلمون غنماً حسناً..

كانت أول وقائع المسلمين وقعة العربة ولم يقاتلوا قبل ذلك مذ فصلوا من الحجاز . ولم يمروا بشئ من الأرض فيما بين الحجاز وموضع هذه الوقعة إلا غلبوا عليه بغير حرب ، وصار في أيديهم ».

أقول: لم يكن عمرو بن العاص ولا خالد في هذه الوقعة . وأبو أمامة إسمه صديُّ بن عجلان الباهلي رضي الله عنه ، وهو صحابي من خيرة شيعة علي (عليه السلام) .

فقد روى عنه محمد بن سليمان في مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) :1/545 ، بسنده أنه: «دخل على معاوية بن أبي سفيان فألطفه وأدناه ، ثم دعا بغداء فجعل يطعم أبا

أمامـة بيده ، ثم أوسع رأسه ولحيته طيباً بيده ثم أمر له ببدرة دنانير فأتي بها فدفعها إليه ثم قال: يا أبا أمامة سألتك بالله ، أنا خير أم علي بن أبي طالب؟! فقال أبو أمامة: والله لا كذبت ، ولو بغير الله سألتني لصدقت، فكيف وسألتني بالله! عليٌّ والله خير منك وأكرم وأقدم هجرة ، وأقرب من رسول الله (صلى الله عليه و آله) قرابة وأشد في المشركين نكاية وأعظم على المسلمين مِنَّةً، وأعظم غَنَاءً عن الأمة منك! يا معاوية أتدري ويلك مَن علي؟ ابن عم رسول الله (صـلى الله عليه و آله) وزوج ابنته فاطمة سـيدة نساء العالمين، وأبو الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ، وابن أخي حمزة سيد الشهداء ، وأخو جعفر ذي الجناحين الطيار مع الملائكة في الجنة ، فأين تقع أنت من هذا يا معاوية ، أو ظننت أني سأخيِّرُك على علي بن أبي طالب بإلطافك و إطعامك ومالك، فأدخل إليك مؤمناً وأخرج عنك كافراً ! بئس ما سولت لك نفسك يا معاوية ! ثم نفض ثوبه وخرج من عنده . قال: فأتبعه معاوية بالمال فقال: والله لا أرزأ منه ديناراً أبداً ».

8. وجعلوا دور شـرحبيل وخالد بن سـعيد وغيرهم لابن العاص وابن الوليد ! قال الحموي في معجم البلدان:2/127: «وفتحت طبرية على يد شـرحبيل بن حسنة في سنة13صلحاً على أنصاف منازلهم وكنائسـهم، وقيل: إنه حاصـرها أياماً ، ثـم صالح أهلها على أنفسـهم وأموالهم وكنائسهم إلا ما جلوا عنه وخلوه ، واستثنى لمسجد المسلمين موضعاً . ثم نقضوا في خلافة عمر ، واجتمع إليهم قوم من شواذ الروم فسير أبو عبيدة إليهم عمرو بن العاص في أربعة آلاف وفتحها على

مثل صلح شرحبيل . وفتحَ (شرحبيل) جميع مدن الأردن على مثل هذا الصلح ، بغير قتال... جرش.. وهو من فتوح شرحبيل بن حسنة في أيام عمر ».

وقال اليعقوبي:2/141: «وكان المتولي لذلك (صلح الأردن) شرحبيل بن حسنة».

وقال الحموي:4/311: «قَدَس: بالتحريك والسين المهملة أيضاً: بلد بالشام قرب حمص ، من فتوح شرحبيل بن حسنة ، وإليه تضاف بحيرة قدس ».

أما معركة أجنادين التي كانت سبب فتح فلسطين ، فكانت قيادتها مشتركة وكانت بطولتها للصحابي خالد سعيد بن العاص رضي الله عنه ، وهو من كبار شيعة علي (عليه السلام) . لكن الرواة جعلوا قيادتها وبطولتها لعمرو بن العاص !

لقد نص المؤرخون على أن أبا بكر أرسل الى بلاد الشام أربعة ، وأمَّر كل واحد منهم على جيشه ، وأمَّر عليهم إن اجتمعوا أبا عبيدة بن الجراح . فكان الجيش الأول بقيادة يزيد بن أبي سفيان ، الى البلقاء في الأردن ، وكان أول من خرج . والثاني بقيادة شرحبيل بن حسنة ، الى الأردن ، وقصد في طريقه بُصرى في شرق سوريا . والثالث بقيادة أبي عبيدة الى الجابية قرب دمشق . والرابع بقيادة عمرو بنالعاص الى فلسطين ، وكان آخر الجيوش .

أما خالد بن سعيد بن العاص ، فكان القائد العام لجيوش الشام ، ثم أصرَّ عمر على أبي بكر أن يعزله فعزله وهو في الطريق ، فسلم الجيش ليزيد بن أبي سفيان ، وذهب مع شرحبيل بن حسنة ، وكان شرحبيل يحترمه ويعامله كقائده .

قال في الطبقات:4/98: «لما عزل أبو بكر خالد بن سعيد أوصى به شرحبيل بن حسنة ، وكان أحد الأمراء فقال: أنظر خالد بن سعيد فاعرف له من الحق عليك مثلما كنت تحب أن يعرفه لك من الحق عليه لو خرج والياً عليك ، وقد عرفت مكانه من الإسلام ، وأن رسول الله (صلى الله عليه و آله) توفي وهو له وال ، وقد كنتُ وليتُه ثم رأيت عزله ، وعسى أن يكون ذلك خيراً له في دينه ، ما أغبط أحداً بالأمارة ! وقد خيرته في أمراء الأجناد فاختارك على غيرك على ابن عمه ، فإذا نزل بك أمر تحتاج فيه إلى رأي التقي الناصح فليكن أول من تبدأ به أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل، وليكن خالد بن سعيد ثالثاً ، فإنك واجد عندهم نصحاً وخيراً. وإياك واستبداد الرأي عنهم ، أو تطوي عنهم بعض الخبر .

قال محمد بن عمر (وهو الواقدي): فقلت لموسى بن محمد: أرأيت قول أبي بكر قد اختارك على غيرك؟ قال: أخبرني أبي أن خالد بن سعيد لما عزله أبو بكر كتب إليه أي الأمراء أحب إليك؟فقال: ابن عمي أحب إليَّ في قرابته وهذا أحب إلي في ديني فإن هذا أخي في ديني على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) وناصري على ابن عمي. فاستحب أن يكون مع شرحبيل بن حسنة ».

أقول: يقصد بابن عمه يزيد بن أبي سفيان . أما شرحبيل فهو بن المطاع الكندي صحابي عرف باسم أمه حسنة ، وهو من قبيلة غوث من كندة ، ولد في مكة وتحالف مع بني زهرة ، وأسلم وهاجر إلى الحبشة ، وكان فارساً صديقاً لخالد بن سعيد ، فاختار سعيد أن يكون معه ، فأعطاه قيادة الخيل ، ولعل خطط شرحبيل العسكرية كلها من خالد بن سعيد .

وكان هرقل يومها في حمص ، فأخذ يجمع الجيش لقتال المسـلمين في أجنادين بفلسطين ، وتقع في منطقة الخليل قرب مدينة بيت جبرين .

قال البلاذري:1/135:ثم كانت وقعة أجنادين وشـهدها من الروم زهاء مئة ألف سـرَّب هرقل أكثرهم، وتجمع باقوهم من النواحي، وهرقل يومئـذ مقيم بحمص». « واجتمعت الروم بأجنـادين ، وعليهم تـذارق أخو هرقل لأبويه ، وقيل كان على الروم القبقلار. والكامل: 2/417 ، وفتوح ابن الأعثم:1/113.

« فتوافت جنود المسلمين والروم بأجنادين ، فالتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، فظهر المسلمون وهزم الله المشركين ، وقتل خليفة هرقل » .(تاريخ الطبري: 2 /611).

وقال ابن عساكر في تاريـخ دمشق:16/66:«فحملت خيلهم على خالـد بن سـعيد ، وكان واقفاً في جماعـة من المسـلمين في ميمنة الناس يحرض الناس ويدعو الله عز وجل ثم ينقض عليهم فحملت طائفة منهم عليه فنازلهم فقاتلهم قتالاً شديداً».

واسـتبسل فيها أخوه أبان بن سـعيد: «ورُمِيَ أبان بن سـعيد بن العاص بنشابة فنزعها وعصبها بعمامته فحمله أخواه خالد بن سعيد وعمرو بن سعيـد فقـال: لا تنزعوا عمامتي عن جرحي ، فإنكم إذا انتزعتموها عن جرحي تبعتها نفسـي ، أما والله ما أحب أنها بأقصـى حجر من البلاد مكاني ، فلما نزعوا العمامـة مات (رحمـة الله) .. واستشـهد من المسـلمين طائفـة..وانتهى خبر الوقعـة إلى هرقل ، فنَخِبَ قلبه ومُلِئ رعباً ، فهرب من حمص إلى أنطاكية ». (معجم البلدان:1/103) .

ص: 142

وفي التنبيه للمسعودي/248: «ولقيتهم الروم بأجنادين،ثم بمرج الصُّفَّر ، فهزموا وقتلوا قتلاً ذريعاً. وسار المسلمون إلى دمشق فنزلوا عليها(عادوا الى محاصرتها) وتوفي أبو بكر وهم محاصروها ، وكانت وفاته بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة13للهجرة ».

أقول: تكشف النصوص المتقدمة عن أن دور عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كان في أجنادين كغيرهما أو أقل ، فلم يسجل لهما الرواة ضربةً بسيف ولا طعنةَ برمح ، لكنهم مع ذلك جعلوا المعركة مرة لهذا ، ومرة لذاك !

ففي تاريخ دمشق:2/100: «كانت أجنادين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأميرها عمرو بن العاص ، ومعه خالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة».

وقال ابن عبد البر في الإستيعاب:1/64: «وكان بأجنادين أمراء أربعة: أبو عبيدة ابن الجراح ، وعمرو بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة كلٌّ على جنده. وقيل إن عمرو بن العاص كان عليهم يومئذ» .

واكتفى المتعصبون ب-«قيلَ» أو بقول عمرو ، أو بقول ابنه عبد الله الذي كان يفتخر بأبيه في بيت المقدس ! كما في تاريخ دمشق:2/102: «عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث في بيت المقدس يقول: شهدنا أجنادين ونحن يومئذ عشرون ألفاً وعلى الناس يومئذ عمرو بن العاص فهزمهم الله تعالى ، ففاءت فئة (من الروم) إلى فحل في خلافة عمر، فسار إليهم في الناس عمرو بن العاص » .

أما المتعصبون لخالد بن الوليد ، فقالوا إن أجنادين معركة خالد ، ولاقائد غيره ولا بطل غيره ! قالت رواية البلاذري:1/135 : «ثم كانت وقعة أجنادين، وشهدها من الروم زهاء مئة ألف سرَّب هرقل أكثرهم، وتجمع باقوهم من النواحى ، وهرقل يومئذ مقيم بحمص ، فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً ، وأبلى خالد بن الوليد يومئذ بلاءً حسناً ثم إن الله هزم أعداءه ».

وفي رواية البلاذري أيضاً:1/134 : « إن خالد بن الوليد صار إلى غوطة دمشق ، ثم فرعها إلى ثنية ومعه راية بيضاء تدعى العقاب فبها سميت ثنية العقاب ، وصار إلى حوران ، فقصد مدينة بصرى فحاربهم ، فسألوه الصلح فصالحهم ، ثم صار إلى أجنادين وبها جمع للروم ، فحاربهم محاربة شديدة ، وتفرق جمع الكفرة » .

وقال ابن الأعثم:1/115 : «ذكر وقعة أجنادين وهي أول وقعة لخالد بن الوليد مع الروم، قال:فأصبح خالد يوم السبت يعبي أصحابه فجعل على ميمنته معاذ بن جبل، وعلى ميسرته سعيد بن عامر بن جديم ، وعلى جناح الميمنة يزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة على جناح الميسرة، وخالد بن سعيد بن العاص على الكمين، ثم جعل خالد بن الوليد نساء المسلمين من وراء الصفوف وأمرهن فاحتزمن وتشمرن وأخذن في أيديهن الحجازة ، وجعلن يدعون الله ويستنصرنه على أعداء المسلمين . قال: وجعل خالد بن الوليد لا يقر بمكان واحد ، ولكنه يقف على كتيبة كتيبة من المسلمين ويقول: إتقوا الله عباد الله ! وقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تنكصوا على أعقابكم..».

ص: 144

ثم لم تصف الرواية كيف قتال خالد للروم ، بل وصفت تقتيل خالد لأسراهم بعد هزيمتهم ، فقالت: «واحتوى المسلمون على غنائم الروم فجمعوها ، وقدم خالد من أسر منهم وهم يزيدون على ثمان مائة رجل ، فضرب أعناقهم صبراً ، وما أبقى على واحد منهم ».

وهكذا يلخصون المعركة بعبقريةٍ لابن العاص أو ابن الوليد ، لاترى أثرها ، أو بطولةٍ تسمع إسمها ولا تجد فعلها ، إلا قتل الأسرى المكتَّفين !

ولا ينفعهم أن يكون القائد العام للمعركة عمرو ، بعد أن وصفه الإمام علي (عليه السلام) : «فإذا كان عند البأس فزاجرٌ وآمر ، ما لم تأخذ السيوف مآخذها من الهام »!

ومن عجيب تعصبهم لخالد ، أن أبا بكر توفي بعد معركة أجنادين مباشرةً ، فكان أول مرسوم كتبه عمر بعزل خالد بن الوليد . لكن الرواة واصلوا رواية عبقرية خالد القيادية وبطولاته حتى وهو معزول ، وحتى وهو غائب .

ومن عجيب تعصبهم لابن العاص أنهم يروون حوله وعنه أنه كان دنيوياً لا دين له ، يتاجر بدماء المسلمين ويسرقهم ، ثم يمدحون بطولاته ومكره وكيده !

9. لفقدان عمرو البطولة الحقيقية اخترع لنفسه بطولات في المكر والدهاء فصرت تقرأ له قصصاً أسطورية عن مناوراته ودهائه ، كقصة ذهابه متنكراً الى الأرطبون ، الذي زعم أنه كان قائد جيش الروم في معركة أجنادين .

ففي الطبري:2/101: «وكان الأرطبون أدهى الروم وأبعدها غوراً وأنكاها فعلاً ، وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيماً ، وبإيلياء جنداً عظيماً ، وكتب عمرو إلى عمر

بالخبر ، فلما جاءه كتاب عمرو قال: قد رمينا أرطبون الروم وبأرطبون العرب ، فانظروا عم تتفرج » !

فـذهب عمرو الى الأرطبون كأنه رسول من عمرو ، فاكتشـفه أرطبون من فصاحته أنه هو عمرو بن العاص قائـد جيوش المسـلمين ، فأراد أن يقتله ، لكن عمرواً تخلص منه عمرو وقال له نحن عشـرة قادة فصـحاء أرسلنا عمر بن الخطاب مشاورين لولي الله عمرو بن العاص ، فأرسل معه شـخصاً لآتيك بهم ، فأرسل معه شـخصاً فتخلص منه ونجا ! «وعلم الرومي بأنه قـد خـدعه فقال: خـدعني الرجل، هذا أدهى الخلق، فبلغت عمر فقال: غلبه عمرو ، لله عمرو» !

ثم صار الأرطبون صديقاً لعمرو ، وكان يعلم المغيبات ، فأخبره أن الذي يفتح بيت المقدس هو عمر: «قال: صاحبها رجل إسـمه عمر ثلاثة أحرف ، فرجع الرسول إلى عمرو فعرف أنه عمر ، وكتب إلى عمر يسـتمده ويقول: إني أعالج حرباً كؤداً صدوماً ، وبلاداً ادُّخِرَتْ لك ، فرأيك .

ولما كتب عمرو إلى عمرو بذلك عرف أن عمرواً لم يقل إلا بعلم ، فنادى في الناس ، ثم خرج فيهم حتى نزل بالجابية». (الطبري:3/103).

ثم ذكرت الأسـطورة أن الأرطبون هذا ذهب الى مصـر ، فكان في بلبيس يحرك المقوقس أن يقاتل المسلمين ولا يصالحهم ، وكان يعدهم بنصرة الروم لهم لكن عمرواً قاتلهم وانتصر عليهم ، وهرب الأرطبون ! (الطبري:3/198).

قال الدكتور حسن ابراهيم حسن في كتابه: تاريخ عمرو بن العاص/76:

«ذكر بطلر/ 215، أن لفظ أرطبون الذي يطلقه العرب على هذا القائد خطأ، والصحيح أريطيون». فترى هذا الدكتور يقبل أساطير عمرو، لم يوثِّق قصة أرطبون ولا قيادته التي زعمها لجيش الروم في أجنادين ، والمعروف أن قادة الجيش الرومي كانوا: أخ هرقل لأبيه وأمه ، وابنه ولي عهده ، وآخرون ليس فيهم أرطبون .

أما الواقدي فكأنه لم يعجبه إسم الأرطبون ، فجعله المقوقس ملك مصر! ونقل قصته (2/56) شبيهاً بقصة أرطبون عند الطبري وأن عمرواً ذهب اليه متنكراً ! ومما جاء فيها: «فلما سمعوا كلام عمرو وفصاحته وجوابه الحاضر قالوا بالقبطية للملك: إن هذا العربي فصيح اللسان جرئ الجنان ، ولا شك أنه المقدم على قومه وصاحب الجيش ، فلو قبضت عليه لانهزم أصحابه عنا . قال، وغلام عمرو وردان يسمع ذلك ، فقال الملك: إنه لا يجوز لنا أن نغدر برسول لا سيما ونحن استدعيناه الينا . فقال وردان بلسان آخر ما قالوه ، ففهم عمرو كلامه.. فقالوا..يا أخا العرب ما نظن أن في أصحابك من هو أقوى منك جناناً ولا أفصح منك لساناً . فقال عمرو:أنا ألكن لساناً ممن في صحابي ، ومنهم من لو تكلم لعلمت أني لا ـ أقاس به.فقال الملك: هذا من المحال أن يكون فيهم مثلك. فقال: إن أحب الملك أن آتيه بعشرة منهم يسمع خطابهم؟ فقال الملك: أرسل فاطلبهم.فقال عمرو: لا يأتون برسالة ، وإنما إن أراد الملك مضيت وأتيت بهم. فقال الملك لوزرائه: إذا حضروا قبضنا عليهم ، والأحد عشر أحسن من الواحد ووردان يفهم ذلك . ثم إن الملك قال لعمرو: إمض ولا تبطئ عليَّ ، فوثب عمرو قائماً وركب جواده ، فقال الملك بالقبطية: لأقتلنهم أجمعين . فلما خرج

من مصر قال له وردان ما قاله الملك، فلما وصل إلى الجيش أقبلت الصحابة وسلموا عليه وهم يقولون:والله يا عمرو لقد ساءت بك الظنون، فأقبل يحدثهم بما وقع له معهم ، وبما قالوه وبما قاله وردان ، فحمدوا الله على سلامته».

10. وبلغ عمرو أوج كذبه في أسطورة الملكة العروس أرمانوسة بنت المقوقس!

تقرأ في الواقدي(2/43) أسطورة أخرى عن لسان البطل الداهية عمرو بن العاص ، بأنه أغار على موكب الملكة أرمانوسة بنت الملك المقوقس ، وكانوا يزفونها الى زوجها ابن هرقل، ويحرسها جيش من عشرة آلاف مقاتل وأكثر فغنمها عمرو ، ومن معها وما معها ، ثم تفضل وأرجعها الى أبيها ، فأسلمت !

قال الواقدي(2/44): «كان فلسطين بن هرقل قد تزوج بابنة المقوقس أرمانوسة وكان قد جهزها أبوها وأرسلها مع غلمانها وأموالها إلى بلبيس ، ثم إنها وجهت حاجبها تميلاطوس إلى الفرماء في ألفي فارس ، لحفظ ذلك المكان..

وأتوا إلى عسكر أرمانوسة وإذا به عسكر كبير أكثر من عشرة آلاف .. أنفذت (أرمانوسة) كتاباً إلى أبيها المقوقس تعلمه بذلك وأنها مغلوبة معهم وأن العرب متوجهون مع رجل يقال له عمرو بن العاص ، وأنا منتظرة جوابك .

قال: فلما وصل الكتاب اليه دعا أرباب دولته وقال لهم: قد تم من الأمر علي كذا وكذا ، فما تشيرون به علي؟ قالوا: أيها الملك نرى لك من الأمر أن تنفذ جيشاً إلى الملكة ينصرها على عدوها ، وتنفذ إلى جلباب ملك البرية تستنصر به على هؤلاء العرب ، وتنفذ إلى مازع بن قيس ملك البجاوة ينفذ لك جيشاً ،

وتنفذ إلى من بالإسكندرية يأتون ، والى من بالصعيد يأتون ، فإذا اجتمعت إليك هذه الأمم فالق بهم العرب ، ولا تأمن لهم فيطمعوا فيك .

فقال: يا أهل دين النصرانية إعلموا أن الملك محتاج إلى سياسة ، ومن ملك عقله ملك رأيه ، ومن ملك رأيه أمن من حوادث دهره ، وليست الغلبة بالكثرة وانما هي بحسن التدبير ، والله لقد كان قيصر أكثر مني جنداً وأوسع بلاداً وأعظم عدة ، وقد جمع من بلاد الروم إلى اليونانية ، ومن أقاليمه ومن القسطنطينية ومن سائر البلاد ، وبلاد الأندلس واستنصر بنا وبغيرنا ، فما أغنى عنه جمعه شيئاً ، ولا قدر أن يرد القضاء والقدر عنه...

قال: فترك عمرو بن العاص الأثقال ومعها من يحفظها ، وركب وسار بجرائد الخيل وترك مع الأثقال عامر بن ربيعة العامري... فما كان قبل طلوع الفجر... ووضعوا السيف في القبط ، فما طلعت الشمس إلا وقد قتل من القبط أكثر من ألف ، وأسر منهم خلق كثير ، وولى الباقي منهزمين ، وأخذت أرمانوسة ابنة الملك وجميع ما معها من الأموال والرجال والجواري والغلمان .

فقال عمرو بن العاص لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) :إن الله سبحانه وتعالى قد قال: هل جزاء الإحسان ، وهذا الملك قد علمتم أنه كاتب رسول الله (صلى الله عليه و آله) وبعث هدية ، ونحن أحق بمن كافأ عن نبيه (صلى الله عليه و آله) هديته، وقد رأيت أن ننفذ إلى المقوقس ابنته وما أخذنا معها..فاستصوبوا رأيه ، فبعث بها مُكَرَّمةً مع جميع ما معها ...قال الواقدي: وأسلمت أرمانوسة ومن كان يلوذ بها ».

وغرض هذه الأسطورة إثبات بطولة عمرو العاص بأنه واجه عشرة آلاف جندي وأكثر ! بمجموعة قليلة من الفرسان ، فقتل منهم ألفاً وانتصر عليهم !

ولم يقل عمرو العاص هل كان هؤلاء الجنود من الروم ، وقد انسحبوا من مصر ؟ أم كانوا من الأقباط ولم يكن عندهم جيش منظم ؟! أو من الملائكة !

ثم تريد الأسطورة إثبات أن عمرو مؤمنٌ ونبيل ، فقد أطلق ابنة المقوقس ، ليشكر المقوقس ويردَّ له احترامه للنبي (صلى الله عليه و آله) وهديته له !

11. ونسبوا الى عمرو قصة اليمامة التي باضت على فسطاطه ليقولوا كان نبيلاً! قال الحموي في معجم البلدان:4/263: «وذكر يزيد بن أبي حبيب أن عدد الجيش الذين شهدوا فتح الحصن خمسة عشر ألفاً وخمس مائة ، وقال عبد الرحمن بن سعيد بن مقلاص: إن الذين جرت سهامهم في الحصن من المسلمين اثنا عشر ألفاً وثلاث مائة بعد من أصيب منهم في الحصار بالقتل والموت ، وكان قد أصابهم طاعون ، ويقال إن الذين قتلوا من المسلمين دفنوا في أصل الحصن .

فلما حاز عمرو ومن معه ما كان في الحصن ، أجمع على المسير إلى الإسكندرية فسار إليها في ربيع الأول سنة20 ، وأمر عمرو بفسطاطه أن يقوض فإذا بيمامة قد باضت في أعلاه فقال: لقد تحرمت بجوارنا ، أقروا الفسطاط حتى تنقف (تخرج من البيضة) وتطير فراخها ، فأقر فسطاطه ووكل به من يحفظه أن لا تهاج ، ومضى إلى الإسكندرية وأقام عليها ستة أشهر ، حتى فتحها الله عليه».

أقول: لا شك أنه يوجد في المسلمين أهل نبل ووجدان ديني رفيع ، وأصحاب قلوب شفافة ، يصدر منها أمثال هذا العمل ، وقد كان في الثلاثة آلاف أو أربعة آلاف الذين دخلوا مصر مع عمرو, من هم أهل لأن يصدر منهم هذا الفعل .

لكن الكلام في نسبته الى عمرو بن العاص ، لأنه لاينسجم مع شخصيته وتاريخه ولا مع حصاره لذلك الحصن القبطي ، وقتل أهله ونهبه !

على أنه لم يثبت حصول أي مقاومة أو معركة للمسلمين مع المصريين .

12. وكل المعارك في فتح مصر من مكذوباتهم ، لأنها فتحت صلحاً بلا قتال! فقد اخترع عمرو واخترعوا له معارك وبطولات في فتح مصر، مع أنه لم تكن فيه أي معركة على الإطلاق ! فلم يكن في مصر جيش رومي لأنهم سحبوا قواتهم الى فلسطين وسوريا والقسطنطينة ، والذين بقوا من الروم في مصركانوا سكاناً أو موظفين لا مقاتلين . أما أهل مصر الأقباط فقد قرروا أن يصالحوا المسلمين ولا يحاربوهم ، وقد تحملوا لذلك غضب هرقل .

إن حقيقة فتح مصر أن عمرواً دخلها في ثلاثة آلاف وخمس مئة رجل ، فاستقبله ملكها المقوقس ووقَّع معه عهد الصلح على أن يدفع مبلغاً فعلاً ، ويدفع عن كل مصري دينارين في السنة، وتم ذلك بدون ضربة سيف ولا سوط وحكم المسلمون مصر بدل الروم ، وأخذوا يديرونها ، ويأتون اليها للسكنى .

وقد ذكرنا الأدلة على ذلك في الفصل الثاني من هذا الكتاب ، وأن كل ما ادعاه عمرو العاص ورواته من معارك ، مكذوب مخترع من أصله !

ومن هذه المعارك المزعومة:

أ.«فقدم عمرو بن العاص، فكان أول موضع قوتل فيه الفرما ، قاتلته الروم قتالاً شديداً نحواً من شهر ، ثم فتح الله على يديه ». (فتوح مصر وأخبارها/134).

ب.«أتى أم دنين فقاتلوه بها قتالاً شديـداً ، وأبطأ عليه الفتـح فكتب إلى عمر يسـتمده فأمـده بأربعـة آلاف تمام ثمانية آلاف فقاتلهم». (فتوح مصر وأخبارها/136).

ج.«أن عمرو بن العاص حصـرهم بالقصر الذي يقال له باب اليون حيناً، وقاتلهم قتالاً شديداً يصبِّحهم ويُمَسِّيهم، فلما أبطأ عليه الفتح كتب إلى عمر بن الخطاب يسـتمده ويعلمه بـذلك ، فأمده بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم رجل ، وكتب إليه عمر بن الخطاب: إني قـد أمـددتك بأربعـة آلاـف رجـل، على كـل ألف رجل منهم رجل مقام الألف:الزبير بن العوام، والمقـداد بن عمرو وعبادة بن الصامت ، ومسـلمة بن مخلد... وقال آخرون بل خارجة بن حذافة الرابع ، لا يعدون مسـلمة ، وقال عمر بن الخطاب: إعلم أن معك اثنا عشـر ألفاً ولا تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة ». (فتوح مصر وأخبارها/138).

وقد تقدمت رواية الطبري أنهم فتحوا باب الحصن، وخرجوا اليهم مصالحين.

د. «لمـا حاصـروا بـاب اليون وكان به جماعـة من الروم وأكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فقاتلوهم بها شـهراً، فلما رأى القوم الجد منهم على فتحه والحرص، ورأوا من صـبرهم على القتـال ورغبتهم فيه خـافوا أن يظهروا عليهم فتنحى المقـوقس وجماعـة من أكـابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلي». (فتوح مصر وأخبارها/136).

ه. «ثم التقوا بسـلطيس فاقتتلوا بها قتالاً شديداً ، ثم هزمهم الله .ثم التقوا بالكريون فاقتتلوا بها بضـعة عشر يوماً. وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة ، وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو». (فتوح مصر وأخبارها/156).

ومما يوجب الشك في هـذه المعارك أنه روي ما يضادها ، وأن روايتها لاتـذكر صورة عن جانب أو حدث منها، ولا تسـمي أحداً قتل فيها ، من المسلمين أو غيرهم !

13. واستطاب عمرو طعم خراج مصر ، فخوَّنه عمر وصادر نصف أمواله ! ففي فتوح مصر وأخبارها/173 : «لما فتح عمرو بن العاص مصر، صولـح على جميع من فيهـا من الرجـال من القبط ، ممن راهق الحلم إلى ما فوق ذلك ، ليس فيهم امرأة ولا صبي ولا شـيخ ، على دينارين دينارين ، فأحصوا ذلك فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف ».

وفي معجم البلدان(4/263): «وكان الذي انعقد عليه الصـلح أن فرض على جميع من بمصـر ، أعلاها وأسـفلها ، من القبط ، ديناران على كل نفس في السـنة من البالغين ، شـريفهم ووضـيعهم ، دون الشيوخ والأطفال والنساء. وعلى أن للمسلمين عليهم النزول حيث نزلوا ثلاثة أيام ، وأن لهم أرضـهم وأموالهم لا يعترضون في شـئ منها ، وكان عدد القبط يومئذ أكثر من سـتة آلاف ألف نفس والمسلمون خمسة عشر ألفاً ».

وفي معجم البلدان(5/141): «وكان المقوقس قد تضمن مصر من هرقل بتسعة عشر ألف ألف دينار ، وكان يجبيها عشرين ألف ألف دينار ، وجعلهـا عمرو بن العاص عشـرة آلاف ألف دينار أول عام ، وفي العام الثاني اثني عشـر ألف ألف ، ولما وليها في أيام معاويـة جباها تسـعة آلاف ألف دينار ، وجباها عبد الله بن سعد بن أبي سرح أربعة عشر ألف ألف دينار» .

وهذا يدل على أن مجموع سكان مصر من الأقباط ، كان بضعة عشر مليوناً .

ص: 153

وفي شرح النهج:1/174 : «وروى الزبير بن بكار قال: لما قلد عمر عمرو بن العاص مصر، بلغه أنه قد صار له مال عظيم من ناطق وصامت ، فكتب إليه: أما بعد ، فقد ظهر لي من مالك ما لم يكن في رزقك ، ولا كان لك مال قبل أن أستعملك ، فأنى لك هذا ! فوالله لو لم يهمني في ذات الله إلا من أختان في مال الله لكثر همى وانتثر أمري ، ولقد كان عندي من المهاجرين الأولين من هو خير منك ولكني قلدتك رجاء غنائك ، فاكتب إليَّ من أين لك هذا المال ، وعجل .

فكتب إليه عمرو: أما بعد ، فقد فهمت كتاب أمير المؤمنين ، فأما ما ظهر لي من مال فإنا قدمنا بلاداً رخيصة الأسعار كثيرة الغزو ، فجعلنا ما أصابنا في الفضول التي اتصل بأمير المؤمنين نبؤها ، ووالله لو كانت خيانتك حلالاً ما خنتك وقد ائتمنتني . فإن لنا أحساباً إذا رجعنا إليها أغنتنا عن خيانتك .

وذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هو خير منى ، فإذا كان ذاك فوالله ما دققت لك يا أمير المؤمنين باباً ، ولا فتحت لك قفلاً .

فكتب إليه عمر: أما بعد، فإني لست من تسطيرك الكتاب وتشقيقك الكلام في شئ ، ولكنكم معشر الأمراء قعدتم على عيون الأموال ولن تعدموا عذراً ، وإنما تأكلون النار وتتعجلون العار ! وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ، فسلم إليه شطر مالك . فلما قدم محمد صنع له عمرو طعاماً ودعاه فلم يأكل ، وقال هذه تقدمة الشر ، ولو جئتني بطعام الضيف لأكلت ، فنح عنى طعامك ، وأحضر لي مالك ، فأحضره ، فأخذ شطره . فلما رأى عمرو كثرة ما أخذ منه قال: لعن الله زماناً صرت فيه عاملاً لعمر، والله لقد رأيت عمر وأباه على كل واحد منهما

عباءة قطوانيـة ، لا تجاوز مأبض ركبتيه ، وعلى عنقه حزمـة حطب ، والعاص بن وائل في مزررات الـديباج. فقال محمد: إيهاً عنك يا عمرو ! فعمر والله خير منـك ، وأمـا أبوك وأبوه فإنهما في النار ، ولولا الإسـلام لألفيت معتلفاً شاة ، يسـرك غزرها ، ويسوءك بكؤها. قال: صـدقت ، فاكتم عليَّ .قال: أفعل ».

وفي أنساب الأشـراف للبلاذري:1/258: «لمـا قـاسم محمـد بن مسـلمة عمرو بن العـاص قال عمرو: إن زماناً عاملنا فيه ابن حنتمـة هـذه المعاملـة لزمان سوء . لقـد كان العاص يلبس الخز بكفاف الـديباج . فقال محمد: مه ! لولا زمان ابن حنتمة هذا الذي تكرهه ألفيت معتقلاً عنزاً بفناء بيتك يسـرك غزرها ويسوءك بكؤها. قال: أنشـدك الله أن لا تخبر عمر بقولي فإن المجالس بالأمانة . فقال: لا أذكر شـيئاً مما جرى بيننا وعمر حي». والغَزْر: غزارة الحليب . والبكأ: شحة الحليب .

وفي الوافي(5/20) أن عمرواً حاول أن يرشو محمد بن مسلمة، فلم يقبل!

14. وأحرق سـعد كتب الفرس وأحرق عمرو مكتبـة الإسـكندرية ، بأمر عمر! فقـد روى ذلك المؤرخون وحاول بعضـهم نفيه، لكن علماء الوهابيـة افتخروا به ! قال ابن خلدون في تاريخه:1/480 : « ولما فتحت أرض فارس ووجـدوا فيها كتباً كثيرة ، كتب سـعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب ليستأذنه في شأنها وتنقيلها للمسلمين ، فكتب إليه عمر أن اطرحوها في الماء ، فإن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه ، وإن يكن ضلالاً فقد كفانا الله ! فطرحوها في الماء أو في النار ، وذهبت علوم الفرس فيها عن أن تصل إلينا .

وأما الروم فكانت الدولة منهم اليونان أولاً ، وكان لهذه العلوم بينهم مجال رحب ، وحملها مشاهير من رجالهم مثل أساطين الحكمة وغيرهم ، واختص فيها المشاؤون منهم أصحاب الرواق بطريقة حسنة في التعليم ، كانوا يقرأون في رواق يظلهم من الشمس والبرد على ما زعموا ، واتصل فيها سند تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه بقراط الدن، ثم إلى تلميذه أفلاطون ثم إلى تلميذه أرسطو ، ثم إلى تلميذه الإسكندر الأفرودسي وتامسطيون ، وغيرهم ، وكان أرسطو معلماً للإسكندر ملكهم الذي غلب الفرس على ملكهم وانتزع الملك من أيديهم ، وكان أرسخهم في هذه العلوم قدماً وأبعدهم فيه صيتاً ، وكان يسمى المعلم الأول فطار له في العالم ذكر .

ولما انقرض أمر اليونان وصار الأمر للقياصرة ، وأخذوا بدين النصرانية هجروا تلك العلوم كما تقتضيه الملل والشرائع فيها ، وبقيت في صحفها ودواوينها مخلدة باقية في خزائنهم ، قد ملكوا الشام وكتب هذه العلوم باقية فيهم ، ثم جاء الله بالإسلام وكان لأهله الظهور الذي لا كفاء له ، وابتزوا الروم ملكهم فيما ابتزوه للأمم، وابتدأ أمرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع ، حتى إذا تبحبح من السلطان والدولة وأخذ الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الأمم ، وتفننوا في الصنائع والعلوم تشوقوا إلى الاطلاع على هذه العلوم الحكمية ، بما سمعوا من الأساقفة والأقسسة المعاهدين بعض ذكر منها ، وبما تسمو إليه أفكار الإنسان فيها فبعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم أن يبعث

إليه بكتب التعاليم مترجمة فبعث إليه بكتاب أوقليدس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها، وازدادوا حرصاً على الظفر بما بقي منها.

وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان ينتحله ، فانبعث لهذه العلوم حرصاً ، وأوفد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربي ، وبعث المترجمين لذلك فأوعى منه واستوعب ، وعكف عليها النظار من أهل الإسلام ، وحذقوا في فنونها ، وانتهت إلى الغاية أنظارهم فيها، وخالفوا كثيراً من آراء المعلم الأول ، واختصوه بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده ، ودونوا في ذلك الدواوين ، وأربوا على من تقدمهم في هذه العلوم. وكان من أكابرهم في الملة أبو نصر الفارابي ، وأبو علي بن سينا بالمشرق ، والقاضي أبو الوليد بن رشد ، والوزير أبو بكر بن الصائغ بالأندلس ، إلى آخرين بلغوا الغاية في هذه العلوم، واختص هؤلاء بالشهرة والذكر ، واقتصر كثيرون على انتحال التعاليم ، وماينضاف إليها من علوم النجامة والسحر والطلسمات ، ووقفت الشهرة في هذا المنتحل على مسلمة بن أحمد المجريطي ، من أهل الأندلس وتلاميذه». ورواه في كشف الظنون:1/679 .

وقد ألف الشيخ ناصر بن حمد الفهد وهو من علماء الوهابية كتاباً للدفاع عن فعل عمر سماه: إقامة البرهان على وجوب كسر الأوثان .

وألف الشيخ سفر الحوالي الوهابي كتاباً باسم:ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، وزعم في (2/41) أن قوله تعالى: مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً. يدل على وجوب إحراق هذه الكتب! لكن

الآيـة لاـ علاقـة لهـا بالموضوع ! قال الحوالي: «فهـذه الآيـة نسـفت كل النظريات والفلسـفات المخالفـة للوحي ، الكوني منها والإنساني ، ووسـمت أصـحابها باسم المضـلين، وما كانوا دائماً إلا كذلك ، وعلى هذا المنهج سار عمر بن الخطاب –نفسه فإنه لما فتحت أرض فارس ووجدوا فيها كتبا كثيرة ، كتب سـعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب ليسـتأذن في شأنها وتنقيلها للمسـلمين...وعليه كذلك كان موقف أئمة الإسـلام وعلماء الملة ، كالأئمة الأربعة ووكيع وابن المبارك والسـفيانين والفضـيل، وغيرهم ممن سبقهم أو لحقهم . وعلى هذا ثبتت الطائفـة المنصورة أهـل السـنة والجماعـة في كـل العصور، فقـد تعرضت كتب الفلسـفة والمنطق للحرق والمصـادرة في عصور متعاقبـة ، ولاحقها علماء الإسلام بالفتاوى المدمرة ».

أقول: هناك فرق في الموقف من الكتب التي تتضـمن أفكاراً مخالفـة للإسـلام ، بين مـذهب أهل البيت (عليهم السـلام) ومذهب الخلافة القرشية ، وقد تمسكت الخلافة بموقف عمر بن الخطاب وحكمه بوجوب حرقها وإتلافها ومعاقبة الذين يدرسونها .

بينما يرى مذهب أهل البيت (عليهم السـلام) بأن ملاك الحكم فيها هو سوء الإسـتفادة منها والإضرار بالمسلمين، ولهذا أفتوا بجواز اقتنائها ودراستها لنقد ما فيها من مخالفات . وقد بحثوا حكمها في كتب الفقه تحت عنوان: كتب الضلال .

15. ونقض عمرو عهد الصـلح مع أهل مصـر وزعم أن بعضـهم استنصر بالروم ! قال عمرو بن العاص وإعلام السلطة إن أهل الإسكندرية نقضوا عهد الصـلح مع المسلمين ، ودعوا الروم فبعث لهم هرقل ثلاث مئة مركب ، وقاتلوا المسلمين ليخرجوهم من مصر ، ويعيدوها الى حكم الروم !

وادعى عمرو مجيئ جيش الروم الى الإسكندرية ، وجعله حجةً لمهاجمة قرى الإسكندرية ومدينتها ، فهاجمها ونهبها وسباها وهدم سورها !

وقال عمرو إنها كانت معركة كبرى كان هو بطلها ، ولم تذكر رواية منها أنه شارك في قتال ، بل ذكرت رواية أن فرسه أصيب بسهم .

وعندما تدقق في النصوص والمصادر تجد أن الذي نقض عهد الصلح هو عمرو، حيث رفع مبلغ الصلح المتفق عله ، وجعله متغيراً كل سنة حسب رأيه !

ثم تجد أن الخليفة عثمان نفى أن يكون أهل مصر نقضوا الصلح أو استنصروا بالروم ، وأمر عمرواً بإرجاع الأموال التي نهبها وبإطلاق السبايا من النساء والأطفال الذين استرقهم ! وفيما يلي رواية عمرو ، ثم ما ينقضها .

قالت رواية السيوطي في المواعظ والإعتبار:1/209: «وكانت الإسكندرية انتقضت وجاءت الروم عليهم منويل الخصيّ في المراكب ، حتى أرسوا بالإسكندرية فأجابهم من بها من الروم ، ولم يكن المقوقس تحرّك ولا نكث . وقد كان عثمان عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فلما نزلت الروم سأل أهل مصر عثمان أن يقرّ عمراً حتى يفرغ من قتال الروم ، فإن له معرفة بالحرب وهيبة في العدوّ ففعل .

وكان على الإسكندرية سورها فحلف عمرو بن العاص: لئن أظفره الله عليهم ليهدمن سورها ، حتى تكون مثل بيت الزانية يؤتى من كل مكان ، فخرج إليهم عمرو في البرّ والبحر فضموا إلى المقوقس من أطاعه من القبط ، وأمّا الروم فلم يطعه منهم أحد فقال خارجة بن حذافة لعمرو: ناهضهم قبل أن يكثر مددهم

فلا آمن أن تنتقض مصر كلها. فقال عمرو: لا ، ولكن أدعهم حتى يسيروا إليّ فإنهم يصيبون من مرّوا به فيخزي الله بعضهم ببعض، فخرجوا من الإسكندرية ومعهم من نقض من أهل القرى ، فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خمورها ويأكلون أطعمتها وينتهبون ما مروا به ، فلم يتعرّض لهم عمرو حتى بلغوا نفيوس ، فلقوهم في البرّ والبحر فبدأت الرومُ القبطَ ، فرموا بالنشاب في الماء رمياً شديداً ، حتى أصابت النشاب يومئذٍ فرس عمرو في لبته وهو في البر فعقر فنزل عنه عمرو . ثم خرجوا من البحر فاجتمعوا هم والذين في البرّ فنفحوا المسلمين بالنشاب فاستأخر المسلمون عنهم شيئاً ، وحملوا على المسلمين حملة ولى المسلمون منها وانهزم شريك بن سميّ في خيله ، وكانت الروم قد جعلت صفوفاً خلف صفوف. وبرز يومئذ بطريق ممن جاء من أرض الروم على فرس له عليه سلاح مذهب ، فدعا إلى البراز فبرز إليه رجل من زبيد يقال له: حومل يكنى أبا مذحج فاقتتلا طويلاً برمحين يتطاردان ، ثم ألقى البطريق الرمح وأخذ السيف فألقى حومل رمحه وأخذ سيفه ، وكان يعرف بالنجمة ، فجعل عمرو يصيح: أبا مذحج فيجيبه: لبيك ، والناس على شاطئ النيل في البر على تعبيتهم وصفوفهم ، فتجاولا ـ ساعة بالسيف ثم حمل عليه البطريق فاحتمله ، وكان نحيفاً فاخترط حومل خنجراً كان في منطقته أو في ذراعه ، فضرب به نحر العلج أو ترقوته ، فأثبته ووقع عليه ، فأخذ سلبه ثم مات حومل بعد ذلك بأيام فرؤي عمرو يحمل سريره بين عمودي نعشه حتى دفنه بالمقطم .

ص: 160

ثم شدّ المسلمون عليهم فكانت هزيمتهم فطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالإسكندرية ففتح اللّه عليهم ، وقتل منويل الخصي ، وقتلهم عمرو حتى أمعن في مدينتهم ، فكلم في ذلك فأمر برفع السيف عنهم ، وبنى في ذلك الموضع الذي رفع فيه السيف مسجداً وهو المسجد الذي بالإسكندرية الذي يقال له مسجد الرحمة ، سُمي بذلك لرفع عمرو السيف هناك . وهدم سورها كله وجمع ما أصاب منهم ، فجاءه أهل تلك القرى ممن لم يكن نقض فقالوا: قد كنا على صلحنا ، وقد مرّ علينا هؤلاء اللصوص فأخذوا متاعنا ودوابنا ، وهو قائم في يديك ، فردّ عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه ، وأقاموا عليه البينة ، وقال بعضهم لعمرو: ما حلّ لك ما صنعت بنا ، كان لنا أن تقاتل عنا لأنا في ذمّتك ولم ننقض ، فأما من نقض فأبعده الله !فندم عمرو وقال: يا ليتني كنت لقيتهم حين خرجوا من الإسكندرية ».

وقالت رواية البلاذري:1/260 : «ثم إن عمرو بن العاص استخلف على الإسكندرية عبد الله بن حذافة.. في رابطة من المسلمين وانصرف إلى الفسطاط. وكتب الروم إلى قسطنطين بن هرقل، وهو كان الملك يومئذ ، يخبرونه بقلة من عندهم من المسلمين وبما هم فيه من الذلة وأداء الجزية . فبعث رجلاً من أصحابه يقال له منويل في ثلاث مئة مركب مشحونة بالمقاتلة . فدخل الإسكندرية وقتل من بها من روابط المسلمين إلا من لطف للهرب فنجا ، وذلك في سنة خمس وعشرين . وبلغ عمرواً الخبر فسار إليهم في خمسة عشر ألفاً فوجد مقاتلتهم قد خرجوا يعيثون فيما يلي الإسكندرية من قرى مصر. فلقيهم

المسلمون فرشقوهم بالنشاب ساعة والمسلمون متترسون،ثم صدقوهم الحملة فالتحمت بينهم الحرب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً . ثم إن أولئك الكفرة ولوا منهزمين ، فلم يكن لهم ناهية ولا عرجة دون الإسكندرية فتحصنوا بها ونصبوا العرادات ، فقاتلهم عمرو عليها أشد قتال ونصب المجانيق فأخرب جدرها ، وألح بالحرب حتى دخلها بالسيف عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية، وهرب بعض رومها إلى الروم ، وقتل عدو الله منويل . وهدم عمرو والمسلمون جدار الإسكندرية ، وكان عمرو نذر لئن فتحها ليفعلن ذلك ».

أقول:هذا ما رووه ، لكن توجد رواية ترد على النقاط الأساسية في هذه الرواية ، رواها عامة المؤرخين ، منهم المقريزي في المواعظ والإعتبار:1/210، قال: «وكان سبب نقض الإسكندرية هذا أن «طلما » صاحب إخنا ، قدم على عمرو فقال: أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فيصير لها؟ فقال عمرو وهو يشير إلى ركن كنيسة: لو أعطيتني من الركن إلى السقف ما أخبرتك ! إنما أنتم خزانة لنا ، إن كثر علينا كثرنا عليكم وإن خفف عنا خففنا عنكم ! فغضب صاحب إخنا وخرج إلى الروم فقدم بهم، فهزمهم الله تعالى وأُسر، فأتي به إلى عمرو فقال له الناس: أقتله فقال:لا بل إنطلق فجئنا بجيش آخر! وسوَّره وتوَّجه وكساه برنس، فرضي بأداء الجزية،فقيل له:لو أتيت ملك الروم؟فقال:لو أتيته لقتلني وقال:قتلت أصحابي».

فالذي نقض عهد الصلح هو عمرو بسياسته الظالمة مع أهل مصر ، فقد كان يزيد على الخراج المقرر وهو ديناران عن كل بالغ ، ما عدا الصغار والنساء والشيوخ ، وكان

لا يخبرهم بقدر ما يريد منهم حتى يأتي الموسم فيعلن مقرراته لهذه السنة ، فلما سأله رئيس الأقباط في إخنا عن مقدار الجزية في تلك السنة لم يخبره وقال كلمة سيئة: إنما أنتم خزانة لنا، نأخذ منها حسب حاجتنا ورغبتنا ! فغضب رئيس إخنا ، قيل استنصر بالروم وأتى بجيش هرقل ، فهزمهم عمرو ، وقتلهم جميعاً ، وأسر الإخنوي !

وقد ذكر المؤرخون بنود عهد الصلح الذي يظهر بوضوح أنه عمرواً نقضه ! منهم ابن تغري في النجوم الزاهرة:1/20 : «قال عبيد الله بن أبي جعفر: حدثني رجل ممن أدرك عمرو بن العاص قال: للقبط عهد عند فلان ، وعهد عند فلان ، فسمى ثلاثة نفر . وفي رواية أن عهد أهل مصر كان عند كبرائهم ، قال: وسألت شيخاً من القدماء عن فتح مصر ، قلت له: فإن ناساً يذكرون أنه لم يكن لهم عهد ، فقال: ما يبالي ألا يصلي من قال إنه ليس لهم عهد! فقلت: فهل كان لهم كتاب؟ فقال: نعم ، كتب ثلاثة: كتاب عند طلما صاحب إخنا ، وكتاب عند قزمان صاحب رشيد ، وكتاب عند يحنس صاحب البرلس.قلت:كيف كان صلحهم؟ قال: دينارين على كل إنسان جزية ، وأرزاق المسلمين. قلت: أفتعلم ما كان من الشروط؟ قال: نعم ، ستة شروط: لا ـ يُخرجون من ديارهم، ولا تنزع نساؤهم ، ولا أولادهم، ولا كنوزهم ، ولا أراضيهم ، ولا يزاد عليهم . وكان فتح مصر يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة». والأموال للقاسم بن سلام: 1/366، والأربعون البلدانية لابن عساكر:1/124، ومعجم البلدان للحموي:/77، وفتوح مصر وأخبارها /270 ،و 302 ، وحسن المحاضرة في أخبار مصرللسيوطي/57 .

ص: 163

ولم يثبت أن طَلْمَـا صاحب إخنا ذهب الى الروم أو استعان بهم، نعم قد يكون قاوم بجماعته مأموري عمرو لجمع الخراج ، بالروم فقاتله المسلمون وأسروه. ثم ادعى عمرو أنه استعان بالروم فهاجم إخنا والإسكندرية وقراها واستباحها وسباها !

وقد كشفت بعض المصادر مكيدة عمرو فقال ابن العماد في شذرات الذهب:1/36 : «وسبب العزل أنه غزا الإسكندرية ، ظاناً نقض العهد ، فقتل وسبى . ولم يصح عند عثمان نقضهم للعهد ، فأمر برد السبي وعزله ، فاعتزل عمرو في ناحية فلسطين ، وكان ذلك بدء المخالفة» .

وقال في شرح النهج:6/320: «قال أبو عمر: ثم إن عمرو بن العاص ادعى على أهل الإسكندرية أنهم قد نقضوا العهد الذي كان عاهدهم ، فعمد إليها فحارب أهلها وافتتحها ، وقتل المقاتلة وسبى الذرية ، فنقم ذلك عليه عثمان ، ولم يصح عنده نقضهم العهد ، فأمر برد السبي الذي سبوا من القرى إلى مواضعهم ، وعزل عمراً عن مصر، وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري مصر بدله ، فكان ذلك بدو الشر بين عمرو بن العاص وعثمان بن عفان ، فلما بدا بينهما من الشر ما بدا ، اعتزل عمرو في ناحية فلسطين بأهله ، وكان يأتي المدينة أحياناً . فلما استقر الأمر لمعاوية بالشام ، بعثه إلى مصر بعد تحكيم الحكمين فافتتحها، فلم يزل بها إلى أن مات أميراً عليها في سنة ثلاث وأربعين».

لاحظ قوله: «فأمر برد السبي الذي سبوا من القرى إلى مواضعهم» لتعرف أن مكيدة عمرو كانت طمعاً بأموال الإسكندرية ، وأنه سبي بناتهم وصبيانهم !

ص: 164

ولا بـد أنه نهب الملايين في تلك الحملـة التي سـماها جهاداً وفتحاً ، وسبى الألوف من نسائهم وصبيانهم ، فباع أكثرهـم ، وعندما انكشـف أمره أرجع أقلهم !

ومما يوجب الشك في مجيئ أي قوات من الروم الى مصر في عهد عمرو ، أن روايات المعركة تضمنت أوصاف قوات معركة ذات الصواري التي وقعت بعد عشر سنين ، مما يدل على أن الرواة أسقطوها عليها ، ولـم يكن فيها عمرو بن العاص بل قادها محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة رضي الله عنهما.

ثم تجد التفاوت في روايات القصة في المراكب الرومية ، التي زعم ابن العاص أنها كانت ثلاث مئة مركب مشحونة بالمقاتلة ، فذكرت رواية البلاذري أنهم دخلوا الإسكندرية وقتلوا المرابطين المسلمين ، إلا من لطف للهرب فنجا .

لكن رواية ابن خلدون: (1/126) تقول: «ونزلوا بساحل الإسكندرية لمنعهم المقوقس من الدخول إليه».

ورواية نهاية الإرب(19/407) تقول: «فانهزم الروم ، وتبعهم المسلمون إلى أن أدخلوهم الإسكندريّة».

وتؤيـدها رواية السـيوطي في (حسن المحاضـرة/57) قـالت: «ثـم شـد المسـلمون عليهـم ، فكـانت هزيمتهم . فطلبهم المسـلمون حـتى ألحقوهم بالإسكندرية».

إن عدد جيش الروم المزعوم حسب الرواية نحو ثلاثين ألف جندي ، لأن معدل المركب العادي مئة مقاتل.(مروج الذهب:1/205) .

فكيف يعقـل أن يكون عمرو قاتـل ثلاـثين ألف جنـدي رومي بقليل من المسـلمين وقتلهم كلهم كما تقول الروايـة ، أو يكون ألجأهم الى دخول الإسكندرية ، أو

يكونوا نزلوا خارج الإسكندرية وانتظروا هم والمسلمون حتى أرسل أهل مصر الى عثمان يطلبون منه أن يطلب من عمرو دفع ذلك الجيش ، فجاء عمرو البطل من الفسطاط ، وقاتلهم ؟!

قال ابن تغري في النجوم الزاهرة (1/78): «السنة الخامسة من ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر ، وهي سنة أربع وعشرين من الهجرة . فيها سار منويل الخصي إلى الإسكندرية ، فسأل أهل مصر عثمان إرسال عمرو بن العاص لقتال منويل المذكور ، فجاء إليها عمرو وحارب حتى افتتحها الفتح الثاني في هذه السنة وقيل بل كان ذلك في سنة خمس وعشرين وهو الأصح».

والمرجح عندي أن عمرواً عندما أحس أن عثمان سيعزله عن مصر ، وضع هذه المكيدة ، فادعى أن هرقل أرسل جيشاً الى قرى الإسكندرية ، فهاجمها عمرو وبطش فيها ونهبها وسباها ، وكان منها طَلْما رئيس إخنا ، ولعل فيها بعض الروم المقيمين .

ثم هاجم عمرو الإسكندرية ، وهدم سورها ، ورجع الى الفسطاط ، وجعل عبده وردان حاكماً على الإسكندرية .

قال البلاذري:2/262: «لما ولى عمرو وردان مولاه الإسكندرية ورجع إلى الفسطاط، فلم يلبث إلا قليلاً حتى أتاه عزله، فولى عثمان بعده عبد الله بن سعد بن أبي سرح..وكان أخا عثمان من الرضاعة ، وكانت ولايته في سنة خمس وعشرين».

وتلاحظ هنا تناقضات فقهاء السلطة ، فقد حكموا بصحة عقد الصلح الذي عقده عمرو مع المصريين ، فصارت مفتوحة صلحاً ، وثبتت ملكية أهلها لأرضهم .

ص: 166

ثم نقض عمرو عهد الصلح ، وادعى عليهم زوراً أنهم نقضوه ، وغزاهم وأخضعهم ، فحكم فقهاء السلطة بأنها صارت أرضاً مفتوحة عنوةً ، وسلبت ملكية أرضها من أهلها وصارت لكل المسلمين ! فاتبع الفقهاء هوى الحاكم مع الأسف !

16. ولم يكتف عمرو بالبطش والنهب ، بل هدم سور الإسكندرية كالجبابرة ! وقد ألبس فعله ثوباً شرعياً فقال إنه نذر أن يهدم سور الإسكندرية ، وهو نذر غير شرعي ، في أي مذهب من مذاهب المسلمين !

قال القرشي المصري في فتوح مصر وأخبارها:1/190 : «كان على الإسكندرية سور فحلف عمرو بن العاص لئن أظهره الله عليهم ليهدمن سورها ، حتى تكون مثل بيت الزانية ، تؤتى من كل مكان ! فخرج إليهم عمرو في البر والبحر . قال غير الليث: وضوى إلى المقوقس من أطاعه من القبط ، فأما الروم فلم يطعه منهم أحد». والإكتفاء للكلاعي:4/49، والمواعظ للمقريزي:1/210.

ونلاحظ أن المقوقس حسب الرواية كان مع قواته القبطية الى جانب عمرو ، كما نلاحظ جبروت عمرو وبذاءة لسانه في قوله إن سيجعل الإسكندرية مثل بيت الزانية! وهي مدينة عريقة ، ويسكنها المعاهدون والمرابطون .

ويشبه ذلك ما رواه عنه الزمخشري في ربيع الأبرار:1/107، وفي طبعة:2/66، قال: «حبس عمرو بن العاص عن جنده العطاء ، فقام إليه رجل حِمْيَرِي فقال: أصلح الله الأمير إذا لم تعطنا فاتخذ جنداً من حجارة لا يأكلون ولا يشربون! قال: أسكت يا كلب ! قال: إن كنت كذلك ، فأنت أمير الكلاب »! والأذكياء لابن الجوزي/97، وغرر الخصائص الواضحة للوطواط:1 /109.

وقد لطَّفه من يحب عمرواً كالطبري:3/201 ، وابن كثير في النهاية:7/113، والنجوم الزاهرة: 1/26، فقالوا إنه كان يحُمس المقاتلين في معركته مع المقوقس: «ويحثهم على الثبات،فقال له رجل من أهل اليمن: إنا لم نخلق من حجارة ..».

مع أنه لم تكن له معركة مع المقوقس أبداً ، ولا معركة مهمة مع غيره ، كما بينا .

17. حكم عمرو مصر سبع سنين ، ثم عزله عثمان وولى أخاه لأمه ابن أبي سرح الأموي ، فغضب عمرو غضباً شديداً ، وأخذ يحرض الناس على عثمان .

قال عمر بن شبة في تاريخ المدينة:3/1089 : «كان عمرو بن العاص من أشد الناس طعناً على عثمان ، وقال: والله لقد أبغضت عثمان وحرضت عليه ، حتى الراعي في غنمه ، والسَّقَّاية تحت قربتها ».

وفي الطبري:3/392 : «قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان ، فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به فقال: يا ابن النابغة ! ما أسرع ما قَمِلَ جِرْبَانُ جُبَّتِك ، إنما عهدك بالعمل عام أول ، أتطعن عليَّ وتأتيني بوجه وتذهب عني بآخر ، والله لولا أكلةٍ (تريدها) ما فعلت ذلك! قال فقال عمرو: إن كثيراً مما يقول الناس وينقلون إلى ولاتهم باطل، فاتق الله يا أمير المؤمنين في رعيتك . فقال عثمان:والله لقد استعملتك على ظَلَعِك وكثرة القالة فيك . فقال عمرو: قد كنت عاملاً لعمر بن الخطاب ففارقني وهو عني راض. قال فقال عثمان: وأنا والله لو آخذتك بما آخذك به عمر لاستقمت ولكني لنت عليك فاجترأت عليَّ.

أما والله لأنا أعز منك نفراً في الجاهلية وقبل ان أليَ هذا السلطان. فقال عمرو: دع عنك هذا ، فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وهدانا به . قد رأيت العاص بن

وائـل ورأيت أبـاك عفان ، فوالله للعاص كان أشـرف من أبيك ! قال: فانكسـر عثمان وقال: مالنا ولـذكر الجاهليـة . قال: وخرج عمرو ودخل مروان فقال يا أمير المؤمنين وقـد بلغت مبلغاً يـذكر عمرو بن العاص أباك؟ فقال عثمان: دع هذا عنك . من ذكر آباء الرجال ذكروا أباه . قال: فخرج عمرو من عنـد عثمان وهو محتقـد عليه ، يأتي علياً مرة فيؤلبه على عثمان ، ويأتي الزبير مرة فيؤلبه على عثمان ويأتي طلحـة مرة فيؤلبه على عثمان ، ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان ! فلما كان حصر عثمان الأول خرج من المدينة حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبع ، فنزل في قصر له يقال له العجلان ، وهو يقول: العجب ما يأتينا عن ابن عفان ! قال فبينا هو جالس في قصره ذلك ومعه ابناه محمد وعبد الله وسلامة بن روح الجذامي ، إذ مر بهم راكب فناداه عمرو: من أين قدم الرجل؟ فقال: من المدينة . قال: ما فعل الرجل يعني عثمان؟ قال: تركته محصوراً شديد الحصار . قال عمرو: أنا أبو عبد الله ، قد يضـرط العير والمكواة في النار ! فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مر به راكب آخر فنـاداه عمرو: مـا فعل الرجل يعني عثمان؟ قال: قتل . قال: أنا أبو عبـد الله ، إذا حككت قرحـة نكأتها ، إن كنت لأحرِّض عليه حتى أني لأحـرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبـل! فقـال له سـلامة بن روح: يـا معشـر قريش إنه كـان بينكم وبين العرب بـاب وثيق فكسرتموه فما حملكم على ذلك؟ فقال: أردنا أن نخرج الحق من خاصرة الباطل ، وأن يكون الناس في الحق شرعاً سواء . وكانت عند عمرو أخت عثمان لأمه ، أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، ففارقها حين عزله».

ص: 169

18. وجمع عمرو ثروة طائلة من الفتوحات ، وكان شديد الحرص على الولاية وقد ظهرت ثروته مبكراً في عهد عمر، ففي شرح النهج:1/174 : «وروى الزبير بن بكار قال: لما قلد عمر عمرو بن العاص مصر، بلغه أنه قد صار له مال عظيم من ناطق وصامت ، فكتب إليه...» . وقد خونه عمر ، لكن أبقاه على مصر!

وفي معجم البلدان:5/386 : «الوَهْط: وهو مالٌ كان لعمرو بن العاص بالطائف.. عَرَشَ عمرو بن العاص بالوهط ألف ألف عود كرم على ألف ألف خشبة ، ابتاع كل خشبة بدرهم ، فحج سليمان بن عبد الملك فمر بالوهط فقال: أحب أن أنظر إليه ، فلما رآه قال: هذا أكرم مال وأحسنه ، ما رأيت لأحد مثله أ لولا أن هذه الحرة (بورة) في وسطه فقيل له: ليست بحرة ولكنها مسطاح الزبيب ، وكان زبيبه جمع في وسطه فلما رآه من البعد ظنه حرة سوداء! وقال ابن موسى: الوهط قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وج كانت لعمرو بن العاص».

وفي تاريخ دمشق:46/109 : «وشهد فتح دمشق وكان له بها دار عند سقيفة كرمس في جيرون ، ودار في ناحية باب الجابية ما بين دار الشعارين وزقاق الهاشميين ، ودار تعرف ببني حجيحة في رحبة الزبيب ، ودار تعرف بالمارستان الأول عند عين الحمى».

وفي التراتيب الإدارية:2/402 : « وممن كان يعد من أغنياء الصحابة عمرو بن العاص خرج ابن عساكر أن عمراً كان يلقح كروم الوهط بستان له بالطائف بألف الف خشبة كل خشبة بدرهم فالكرم الذي يحتاج إلى خشب بألف الف كم تكون غلته وكانت له دور كثيرة بمصر ودور بدمشق منها دار بجرون ودار

في ناحيـة الجابيـة ودار تعرف بـدار بني أحيحـة ودار تعرف بالمارسـتان . أنظر تاريـخ ابن عسـاكر حتى قـال بعض العصـريين: إن مـا ذكره المؤرخون من مقدار ثروة عمرو لا يقبله العقل ».

وفي مستدرك الحاكم:3/452: «لما حضـرت عمرو بن العاص الوفاة قال: كيلوا مالي، فكالوه فوجدوه اثنين وخمسـين مُداً ، فقال من يأخذه بما فيه ، يا ليته كان بعراً ! قال: وكان المد سـتة عشر أوقية ، الأوقية منه مكوكان . ومات عمرو بن العاص يوم الفطر وقد بلغ أربعاً وتسعين سنة ».

وفي تاريخ دمشق:46/191: «لما احتضـر عمرو بن العاص ، نظر إلى صـناديق فقال: من يأخذها بما فيها ، يا ليته كان بعراً ! ثم أمر الحرس فأحاطوا بقصره ، فقال بنوه ما هذا ؟ فقال: ما ترونَ هذا يغني عني شيئاً » !

19. ولم يشـبع عمرو ، وظل يفكر ، حتى أخـذ خراج مصـر طُعمـةً من معاوية روى البلاذري في أنساب الأشـراف:2/285: أن علياً (عليه السـلام) أرسل جرير بن عبـد الله البجلي الى معاويـة يطلب منه أن يبايعه ويدخل فيما دخل فيه المسـلمون ، فأرسل معاوية الى عمرو بن العاص وكان مقيماً في فلسطين: «فلما أتاه الكتاب دعا ابنيه عبد الله ومحمداً فاستشارهما، فقال له عبد الله: أيها الشيخ إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قبض وهو عنك راض ، ومات أبو بكر وعمر وهما عنك راضـيان ، فإياك أن تفسد دينك بدنيا يسيرة تصيبها من معاوية ، فتكبَّ كبّاً في النار . ثم قال لمحمد: ما ترى؟ فقال: بادر هذا الأمر ، تكن فيه رأساً قبل أن تكون ذنَباً..

فلما أصبح عمرو دعا مولاه وردان فقال: إرحل بنا يا وردان فرحل ، ثم قال: حطّ ، فحط . ففعل ذلك مراراً ، فقال له وردان: أنا أخبرك بما في نفسك ، اعترضت الدنيا والآخرة في قلبك ، فلست تدري أيّتهما تختار ! قال: للّه درّك ما أخطأت، فما الرأي ؟ قال: تقيم في منزلك فإن ظهر أهل الدين عشت في دينهم وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغن عنك ! فقال عمرو: إرحل يا وردان على عزم .

ثم قدم على معاوية فذاكره أمره ، فقال: أما عليٌّ فلا تسوي العرب بينك وبينه في شئ من الأشياء ، وإن له في الحرب لَحَظّاً ما هو لأحد من قريش.

قال: صدقت ، وإنما نقاتله على ما في أيدينا ونلزمه دم عثمان . فقال عمرو: وإن أحق الناس أن لا يذكر عثمان لأنا وأنت ، أما أنا فتركته عياناً وهربت إلى فلسطين ، وأما أنت فخذلته ومعك أهل الشام حتى استغاث بيزيد بن أسد البجلي فسار إليه ، فقال معاوية: دع ذا وهات فبايعني.

قال: لا لعمرو الله ، لا أعطيك ديني حتى آخذ من دنياك ! فقال معاوية: سل . قال: مصر تطعمني إياها . فغضب مروان بن الحكم وقال: ما لي لا أستشار؟ فقال معاوية: أسكت فما يستشار إلا لك .

فقام عمرو مغضباً فقال له معاوية: يا أبا عبد الله ، أقسمت عليك أن تبيت الليلة عندنا . وكره أن يخرج فيفسد عليه الناس، فبات عنده وقال:

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنلْ *** به منك دنياً فانظرن كيف تصنعُ

فإن تعطني مصراً فأربح صفقة *** أخذت بها شيخاً يضرُّ وينفع

وما الدين والدنيا سواء وإنني *** لآخذ ما تعطي ورأسي مقنّع

ولكنني أعطيك هذا وإنني *** لأخدع نفسي والمخادع يُخدع

فلما أصبح معاوية دخل عليه عتبة بن أبي سفيان فقال له: يا معاوية ما تصنع؟ أما ترضى أن تشتري من عمرو دينه بمصر! فأعطاه إياها وكتب له كتاباً ».

وفي شرح النهج:2/67: «فخرج عمرو من عنده ، فقال له إبناه: ما صنعت؟ قال: أعطانا مصر طعمة . قالا: وما مصر في ملك العرب؟!

قال: لا أشبع الله بطونكما إن لم تشبعكما مصر.. قال: وكتب معاوية له بمصر كتاباً ، وكتب:على ألا ينقض شرطٌ طاعة ، فكتب عمرو:على ألا تنقض طاعةٌ شرطاً ، فكايد كل واحد منهما صاحبه.

يقصد معاوية أن بيعة عمرو غير مشروطة بمصر ، وقصد عمرو أنها مشروطة بها.

قال نصر:فلما كتب الكتاب قال معاوية لعمرو: ماترى الآن؟ قال: إمض الرأي الأول ، فبعث مالك بن هبيرة الكندي في طلب محمد بن أبي حذيفة فأدركه فقتله ، وبعث إلى قيصر بالهدايا فوادعه...». (راجع صفين لنصر بن مزاحم/44).

وقال ابن سعد في الطبقات:4/258: « لما صار الأمر في يدي معاوية استكثر طُعْمَةَ مصر لعمرو ما عاش ، ورأى عمرو أن الأمر كله قد صلح به وبتدبيره وعنائه وسعيه فيه ، وظن أن معاوية سيزيده الشام مع مصر فلم يفعل معاوية ، فتنكر عمرو لمعاوية ، فاختلفا وتغالطا ، وتميز الناس وظنوا أنه لا يجتمع أمرهما ، فدخل بينهما معاوية بن حديج فأصلح أمرهما ، وكتب بينهما كتاباً وشرط فيه شروطاً لمعاوية وعمرو خاصة ، وللناس عليه ، وأن لعمرو ولاية مصر سبع سنين ، وعلى أن على عمرو السمع والطاعة لمعاوية ، وتواثقا وتعاهدا على ذلك

وأشـهد عليهما به شهوداً .ثم مضى عمرو بن العاص على مصر والياً عليها وذلك في آخر سنة تسع وثلاثين، فوالله ما مكث بها إلا سنتين أو ثلاثاً حتى مات» !

يشـير الراوي الى أن معاويـة دس السم لعمرو ! وتاريخ دمشق: 46/174، وتاريخ اليعقوبي:2/185 ، ومروج الذهب:2/354، وتاريخ أبي الفدا/184.

20.أشار عمرو بن العاص على معاويـة بإيقاف الفتوحات الإسـلامية فأوقفها وبعث معاوية إلى قيصـر بالهدايا وعقد معه صـلحاً على جزية سنويـة يـدفعها معاويـة ، وهي مئة ألف دينار ذهباً ، ليتفرغ لحرب علي (عليه السـلام) ! بل نصت رواية ابن الأعثم على أن معاوية اتفق مع هرقل على أن يساعده إذا انهزم في صفين !

قال المسعودي في مروج الذهب(2/377): «وامتنع المسـلمون عن الغزو في البحر والبر لشغلهم بالحروب ، وقد كان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله اليه لشغله بعلي (عليه السلام) » .

وقال ابن الأعثم(2/539): «فنادى علي في الناس فجمعهم ، ثم خطبهم خطبـة بليغـة وقال: أيها الناس ! إن معاويـة بن أبي سـفيان قد وادع ملك الروم ، وسار إلى صـفين في أهل الشام عازماً على حربكم ، فإن غلبتموهم اسـتعانوا عليكم بالروم ». وقـد صـححوا روايته في مسـند أحمد:4/111، وتفسير ابن كثير: 2/333.

بينما لم يوقف علي (عليه السـلام) الفتوحات، رغم أن أعـداءه شـغلوه بثلاثـة حروب داخليـة فقد فتح ولاته (عليه السـلام) مناطق كثيرة من خراسان والهند وإفريقيا .

فقـد أرسل ابن أخته جعـدة بن هبيرة لإكمال فتـح خراسان .وأرسل من لـم يرغـب في حرب معاويـة الى مناطق من فارس والقفقاز . وأرسـل جيشاً من البحرين لفتح مناطق في الهند . كما أرسل بالتهديد الى هرقل .

وقال اليعقوبي في تاريخه: 2/183: «ولما فرغ من حرب أصحاب الجمل ، وجه جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي إلى خراسان » .

وفي شرح النهج: 18/308 : «هبيرة بن أبي وهب ، كان من الفرسان المـذكورين ، وابنه جعدة بن هبيرة ، وهو ابن أخت علي بن أبي طالب ، أمه أم هاني بنت أبي طالب ، وابنه عبد الله بن جعدة بن هبيرة ، هو الذي فتح القندهار ، وكثيراً من خراسان ، فقال فيه الشاعر:

لولا ابن جعدةَ لم تُفتح قهندركم *** ولا خراسانُ حتى ينفخ الصور

وفي معجم البلدان: 4/419 ، وصحاح الجوهري: 1/433: قهندز بالزاي ، والظاهر أن جعدة رضي الله عنه فتح بقية خراسان وأفغانستان .

وقـال الطبري في تاريخه: 4 /46: « فـانتهى إلى أبر شـهر وقـد كفروا وامتنعوا فقـدم على علي (عليه السـلام) فبعث خليـد بن قرة اليربوعي فحاصـر أهـل نيسـابور حتى صـالحوه وصالحه أهل مرو ، وأصاب جاريتين من أبناء الملوك نزلتا بأمان ، فبعث بهما إلى علي فعرض عليهما الإسـلام وأن يزوجهما ، قالتا زوجنا ابنيك فأبى، فقال له بعض الدهاقين ادفعهما إليَّ فإنه كرامة تكرمني بها ، فدفعهما إليه فكانتا عنده يفرش لهما الديباج ويطعمهما في آنية الذهب ، ثم رجعتا إلى خراسان». .

ص: 175

وقال خليفة بن خياط في تاريخه/143 ، في حوادث سنة 36: « وفيها نـدب الحارث بن مرة العبـدي(من البحرين) الناس إلى غزو الهند ، فجاوز مكران إلى بلاد قندابيل ووغل في جبال الفيقان...».

وفي فتوح البلدان للبلاذري:3 /531: « فلما كان آخر سنة ثمان وثلاثين وأول سنة تسع وثلاثين في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، توجه إلى ذلك الثغر الحارث بن مرة العبدي متطوعاً بإذن علي (عليه السلام) فظفر وأصاب مغنماً وسبياً ، وقسم في يوم واحد ألف رأس» .

وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم/115: «فأجاب علياً إلى السير والجهاد جل الناس إلا أن أصحاب عبد الله بن مسعود أتوه ، وفيهم عبيدة السلماني وأصحابه ، فقالوا له: إنا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم، ونعسكر على حدةٍ حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام ، فمن رأيناه أراد ما لا يحل له ، أو بـدا منه بغي كنا عليه. فقال على: مرحباً وأهلاً، هـذا هو الفقه في الدين والعلم بالسـنة. من لم يرض بهذا فهو جائر خائن . وأتاه آخرون من أصحاب عبد الله بن مسعود ، فيهم ربيع بن خيثم وهم يومئذ أربع مائة رجل، فقالوا: يا أمير المؤمنين إنا شككنا في هذا القتال على معرفتنا بفضلك ، ولاغناء بنا ولا بك ولا المسلمين عمن يقاتل العدو ، فولنا بعض الثغور نكون به تم نقاتل عن أهله . فوجهه على على ثغر الري ، فكان أول لواء عقده بالكوفة لواء ربيع بن خيثم .

عن ليث بن سليم قال: دعا عليٌّ باهلة فقال: يا معشر باهلة ، أشهد الله أنكم تبغضوني وأبغضكم ، فخذوا عطاءكم واخرجوا إلى الديلم . وكانوا قد كرهوا أن يخرجوا معه إلى صفين » !

21. وكان موقف علي (عليه السلام) من عمرو شديداً ، متناسباً مع شدة نفاقه ومكائده فلم يعبر عنه الإمام (عليه السلام) إلا بابن النابغة ، وكأنه بذلك يُعيره بأمه وسلوكها السيئ، أو ثبت عنده أنه ليس ابن العاص، أو يرى أن معنى قوله تعالى عن العاص: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ . ينفي وجود ذرية للعاص ، وأنه عقيم حقيقة !

وقال (عليه السلام) في إحدى خطبه: «أنبهوا نائمكم ، واجتمعوا على حقكم، وتجردوا لحرب عدوكم . قد بدت الرغوة عن الصريح ، وقد بان الصبح لذي عينين ، إنما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء ، وأولي الجفاء ، ومن أسلم كرهاً ، وكان لرسول الله (صلى الله عليه و آله) أنفَ الإسلام كله حرباً . أعداءُ الله والسنة والقرآن ، وأهلُ البدع والإحداث ، ومن كانت بوائقه تتقى ، وكان على الإسلام وأهله مخوفاً ، وأَكَلَة الرشا، وعبدة الدنيا! لقد أنهيَ إليَّ أن ابن النابغة لم يبايع حتى أعطاه ثمناً، وشرط أن يؤتيه أَتِيَّةً ، هي أعظم مما في يده من سلطانه . ألا صفرت يد هذا البائع دينه بالدنيا ، وخزيت أمانة هذا المشترى نصرة فاسق غادر ، بأموال المسلمين ». (الغارات للثقفي:1/316، ونهج البلاغة/115)

وفي شرح النهج:20/326:«كنت في أيام رسول الله (صلى الله عليه و آله) كجزء من رسول الله (صلى الله عليه و آله) ينظر إلي كما ينظر إلى الكواكب في أفق السماء ، ثم غض الدهر مني فقُرِنَ بي فلانٌ وفلان ، ثم قُرِنْتُ بخمسة أمثلهم عثمان، فقلت: وا ذفراه ! ثم لم يرض الدهر لي

بذلك ، حتى أرذلني ، فجعلني نظيراً لابن هند وابن النابغة ! لقد استنت الفصال حتى القرعى».

ومعنى واذِفْرَاهْ: أي فاحت رائحـةٌ كريهة . واسـتنت الفصال حتى القرعى: أي تسابقت الإبل حتى المريضة بالقرع . وهو مثل «يضـرب لمن يتشبه بمن هو فوقه» (فتح الباري:6/4) .«يضـرب للـذي يتكلم مع الذي لا ينبغي له أن يتكلم بين يديه لجلالة قدره ، والقرعى: جمع قريع كمريض ومرضى ، وهو الذي به قرع بالتحريك ، وهو بثر أبيض يطلع في الفصال». (حياة الحيوان:2/304).

وكتب (عليه السـلام) الى معاويـة جوابـاً على كتـابه: «وسأجيبك فيما قـد كتبت بجواب ، لا أظنك تعقله أنت ولا وزيرك ابن النابغـة عمرو ، الموافق لك كما وافق شنٌّ طَبَقَـة، فإنه هو الذي أمرك بهذا الكتاب وزينه لك ، وحضـركما فيه إبليس ومردة أصـحابه . والله لقد أخبرني رسول الله (صـلى الله عليه و آله) وعرفني أنه رأى على منبره اثني عشـر رجلاً أئمة ضلال من قريش ، يصعدون منبر رسول الله وينزلون على صورة القرود ، يردون أمته على أدبارهم عن الصـراط المستقيم . قد خبرني بأسمائهم رجلاً رجلاً ، وكم يملك كل واحد منهم ، واحد بعد واحد . عشرة منهم من بني أمية ورجلان من حيين مختلفين من قريش، عليهما مثل أوزار الأمة جميعاً إلى يوم القيامة ، ومثل جميع عذابهم ، فليس من دم يهراق في غير حقه ، ولا ـ فرج يغشـى حرامـاً ، ولا ـ حكم بغير حق إلا ـ كان عليهما وزره . وسـمعته يقول: إن بني أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلاً جعلوا كتاب الله دخلاً وعباد الله خولاً ومال الله دولاً». (كتاب سُلَيْم/302).

ص: 178

وعندما غزا عمرو بن العاص مصر بجيش من الشام ، وقاتل محمد بن أبي بكر والي عليٍّ عليها ، خطب (عليه السلام) مستنهضاً المسلمين لمساعدة المصريين ، فقد روى جندب بن عبد الله: « إني لعند علي جالسٌ إذ جاءه عبد الله بن قعين جد كعب يستصرخ من قبل محمد بن أبي بكر ، وهو يومئذ أميرٌ على مصر، فقام علي (عليه السلام) فنادى في الناس: الصلاة جامعة فاجتمع الناس ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (صلى الله عليه و آله) ثم قال: أما بعد فهذا صريخ محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر ، وقد سار إليهم ابن النابغة عدو الله وعدوكم ، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت ، أشد اجتماعاً على باطلهم وضلالتهم منكم على حقكم ، فكأنكم بهم قد بدؤوكم وإخوانكم بالغزو ، فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر. عباد الله إن مصر أعظم من الشام خيراً، وخير أهلاً ، فلا تُغلبوا على مصر، فإن بقاء مصر في أيديكم عزٌّ لكم ، وكبتٌ لعدوكم . أخرجوا إلى الجرعة لنتوافى هناك كلنا غداً ، إن شاء الله». (الغارات:1/290).

وروى أبو جعفر الإسكافي في المعيار والموازنة/103، جواب رسالة من علي (عليه السلام) الى عمرو، وفيها «ابن العاصي وليس العاص»: «من علي بن أبي طالب إلى عمرو بن العاصي، أما بعد ، فإن الذي أعجبك مما تلويت من الدنيا ، ووثقت به منها منفلت منك ، فلا تطمئن إلى الدنيا فإنها غرارة ، ولو اعتبرت بما مضى حذرت ما بقي ، وانتفعت منها بما وعظت به ، ولكن أتبعت هواك وآثرته ، ولولا ذلك لم تؤثر على ما دعوناك إليه ».

لكن أشد موقف لأمير المؤمنين (عليه السلام) من عمرو كان في صفين ، يوم كتبوا عهد الهدنة والتحكيم . روى الطوسي في أماليه/187: «لما وقع الإتفاق على كتْب القضية بين أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين معاوية بن أبي سفيان ، حضر عمرو بن العاص في رجال من أهل الشام ، وعبد الله بن عباس في رجال من أهل العراق، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) للكاتب: أكتب هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان . فقال عمرو بن العاص: أكتب إسمه واسم أبيه ولا تسمه بإمرة المؤمنين، فإنما هو أمير هؤلاء وليس بأميرنا. فقال الأحنف بن قيس: لا تمح هذا الاسم فإني أتخوف إن محوته لا يرجع إليك أبداً . فامتنع أمير المؤمنين (عليه السلام) من محوه ، فتراجع الخطاب فيه ملياً من النهار ، فقال الأشعث بن قيس: أمح هذا الإسم ترَّحه الله ! فقال أمير المؤمنين: الله أكبر سُنَّةٌ بسنة ومَثَلٌ بمثل ، والله إني لكاتب رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم الحديبية وقد أملى علي: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . فقال له سهيل: أمح رسول الله فإنا لا نقر لك بذلك ولا نشهد لك به ، أكتب إسمك و إسم أبيك ، فامتنعت من محوه فقال النبي (صلى الله عليه و آله) : أمحه يا علي وستدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض . فقال عمرو بن العاص: سبحان الله ، ومثل هذا يشبه بذلك ، ونحن مؤمنون وأولئك كانوا كفاراً !

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : يا ابن النابغة ، ومتى لم تكن للفاسقين ولياً وللمسلمين عدواً ، وهل تُشبه إلا أمك التي دفعت بك؟ فقال عمرو: لا جرم لا يجمع بيني

وبينـك مجلس أبـداً . فقـال أمير المؤمنين (عليه السـلام) : والله إني لأرجو أن يطهر الله مجلسـي منـك ومن أشـباهك ! ثم كتب الكتـاب وانصرف الناس ».

وفي الإيضاح/235، أن معاوية كان يلعن في قنوته علياً (عليه السلام) وأصحابه على المنابر. وأن علياً كان يلعن معاوية في قنوته ، وعمرو بن العاص ، وأبا الأعور السلمي وأبا موسى الأشعري .

وللإمـام الحسـن (عليـه السـلام) مواقـف صـريحة مـن عمرو في منـاظراته معـه بعـد صـلحه مـع معاويـة، منهـا مـا رواه الطبرسـي في الإحتجاج:1/411:«وأمـا أنت يـا عمرو بن العـاص ، الشاني اللعين الأبتر ، فإنما أول أمرك أن أمك بَغِيَّة ، وأنك ولـدت على فراش مشترك ، فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبو سـفيان بن حرب ، والوليد بن المغيرة ، وعثمان بن الحرث ، والنضـر بن الحرث بن كلدة ، والعاص بن وايل ، كلهم يزعم أنك ابنه ، فغلبهم عليك من بين قريش ألأمهم حسباً ، وأعظمهم بغية .

ثم قمت خطيباً وقلت: أنا شانئ محمـد ، وقال العاص بن وايل: إن محمـداً رجل أبتر لا ولـد له ، فلو قـد مات انقطع ذكره . فأنزل الله تبارك وتعالى: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ . وكانت أمك تمشي إلى عبد قيس تطلب البغية ، تأتيهم في دورهم ورجالهم وبطون أوديتهم ، ثـم كنت في كل مشهد يشهده رسول الله (صلى الله عليه و آله) من عدوه أشدهم له عداوة ، وأشدهم له تكذيباً .

ثم كنت في أصحاب السفينة: الذين أتوا النجاشي والمهجر الخارج إلى الحبشة في الإشاطة بدم جعفر بن أبي طالب وساير المهاجرين إلى النجاشي ، فحاق المكر

السـئ بك ، وجعل جدك الأسفل ، وأبطل أمنيتك ، وخيب سعيك ، وأكذب أحدوثتك ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا .

وأما قولك في عثمان ، فأنت يا قليل الحياء والـدين الهبت عليه نارا ، ثم هربت إلى فلسـطين تتربص به الـدوائر ، فلما أتاك خبر قتله حبسـت نفسـك على معاويـة ، فبعته دينـك يـا خبيث بـدنيا غيرك ، ولسـنا نلومـك على بغضـنا ، ولـم نعاتبك على حبنا ، وأنت عـدو لبني هاشم في الجاهلية والإسـلام ، وقد هجوت رسول الله (صـلى الله عليه و آله) بسـبعين بيتاً من شعر ، فقال رسول الله: اللهم إني لا أحسن الشعر ، ولا ينبغي لي أن أقوله ، فالعن عمرو بن العاص بكل بيت ألف لعنة !

ثم أنت يا عمرو المؤثر دنياك على دينك . أهـديتَ إلى النجاشـي الهـدايا ، ورحلت إليه رحلتك الثانيـة ، ولـم تنهك الأولى عن الثانيـة ، كل ذلك ترجع مغلوباً حسيراً تريد بذلك هلاك جعفر وأصحابه ، فلما أخطأك ما رجوت وأملت ، أحلت على صاحبك عمارة بن الوليد ».

22.كان عمرو في الثمانينات ومعاويـة في الأربعينات، ويشـعر بالحاجـة الى مكائـده فعندما قرر معاوية أن يخرج على علي (عليه السـلام) ويقاتله ، أرسل الى عمرو وكان في فلسـطين وأحضـره ، وفاوضه واتفق معه على إعطائه الثمن وهو مصـر طعمـةً له ! عنـدها قال معاوية لنبدأ بـأول رأي عنـدك: «فلمـا كتب الكتـاب قـال معاويـة لعمرو: ماترى الآن؟قال: إمض الرأي الأول . فبعث مالك بن هبيرة الكنـدي في طلب محمد بن أبي حذيفة فأدركه فقتله ، وبعث إلى قيصر بالهدايا فوادعه». (كتاب صفين لنصر بن مزاحم/44).

إن كثيراً من أعمال معاوية وجرائمه ، كانت تطبيقاً لآراء عمرو بن العاص ، وكان معاوية يجاهر بذلك ، وقد يفتخر به ! وأعظم مكائد عمرو بن العـاص ، وأكثرها تأثيراً على التاريـخ الإسـلامي ، مكيـدته في رفع المصاحف في صـفين ، عنـدما شارف علي (عليه السـلام) على النصـر ومعاوية على الهزيمة !

قال في الأخبار الطوال/188: «ثم إن علياً قام من صبيحـة ليلة الهرير في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ، إنه قد بلغ بكم وبعـدوكم الأمر إلى ما ترون، ولم يبق من القوم إلا آخر نفس ، فتأهبوا رحمكم الله لمناجزة عـدوكم غداً ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين .

وبلغ ذلك معاويـة ، فقال لعمرو: ما ترى ، فإنما هو يومنا هـذا وليلتنا هذه ! فقال عمرو: إني قد أعددت بحيلتي أمراً أخرته إلى هذا اليوم ، فإن قبلوه اختلفوا ، وإن ردوه تفرقوا ، قـال معاويـة: ومـا هو؟ قال عمرو: تـدعوهم إلى كتاب الله حكماً بينك وبينهم فإنك بالغ به حاجتك . فعلم معاويـة أن الأمر كما قال . قالوا: وإن الأشـعث بن قيس قال لقومه وقد اجتمعوا إليه: قد رأيتم ما كان في اليوم الماضـي من الحرب المبيرة . وإنا والله إن التقينا غـداً إنه لبوار العرب وضـيعة الحرمات ! قالوا: فانطلقت العيون إلى معاويـة بكلام الأشـعث فقال: صدق الأشـعث ، لئن التقينـا غـداً ليميلن الروم على ذراري أهل الشام ، وليميلن دهاقين فارس على ذراري أهل العراق ، وما يبصـر هـذا الأمر إلا ذوو الأحلام ، أربطوا المصاحف على أطراف القنا .

قالوا: فربطت المصاحف ، فأول ما ربط مصحف دمشق الأعظم ربط على خمسة أرماح ، يحملها خمسة رجال ، ثم ربط سائر المصاحف ، جميع ما كان معهم وأقبلوا في الغلس، ونظر أهل العراق إلى أهل الشام قد أقبلوا ، وأمامهم شبيه بالرايات فلم يدروا ما هو حتى أضاء الصبح ، فنظروا فإذا هي المصاحف...

فقال علي رضي الله عنه: ما الكتاب تريدون ، ولكن المكر تحاولون...

ثم أقبل أبو الأعور السلمي على برذون أشهب وعلى رأسه مصحف ، وهو ينادي: يا أهل العراق ، هذا كتاب الله حكماً فيما بيننا وبينكم . فلما سمع أهل العراق ذلك قام كردوس بن هانئ البكري فقال: يا أهل العراق ، لا يهدئكم ما ترون من رفع هذه المصاحف ، فإنها مكيدة...

ثم تكلم الحضين بن المنذر فقال: أيها الناس، إن لنا داعياً قد حمدنا ورده وصدره وهو المأمون على ما فعل ، فإن قال: لا، قلنا: لا، وإن قال: نعم، قلنا: نعم .فتكلم علي وقال: عباد الله، أنا أحرى من أجاب إلى كتاب الله ، وكذلك أنتم ، غير أن القوم ليس يريدون بذلك إلا المكر ، وقد عضتهم الحرب ، والله لقد رفعوها وما رأيهم العمل بها ، وليس يسعني مع ذلك أن أدعى إلى كتاب الله فأبى، وكيف وإنما قاتلناهم ليدينوا بحكمه .

فقال الأشعث: يا أمير المؤمنين نحن لك اليوم على ما كنا عليه لك أمس ، غير أن الرأي ما رأيت من إجابه القوم إلى كتاب الله حكماً .

فأما عدي بن حاتم وعمرو بن الحمق فلم يهويا ذلك ، ولم يشيروا على علي به . ولما أجاب علي رضي الله عنه قالوا له: فابعث إلى الأشتر ليمسك عن الحرب

ويأتيك . وكان يقاتل في ناحيـة الميمنـة ، فقال علي ليزيـد بن هانئ:إنطلق إلى الأشتر فمره أن يدع ما هو فيه ويقبل ، فأتاه فأبلغه فقال: إرجع إلى أمير المؤمنين فقل له إن الحرب قد اشـتجرت بيني وبين أهل الناحية ، فليس يجوز أن انصـرف . فانصـرف يزيد إلى علي فأخبره بذلك ، وعلت الأصوات من ناحية الأشتر ، وثار النقع ، فقال القوم لعلي: والله ما نحسبك أمرته إلا بالقتال !

فقال: كيف أمرته بـذلك ولـم أساره سـراً ! ثم قال ليزيـد: عد إلى الأشتر ، فقل له أقبل فإن الفتنة قد وقعت . فأتاه فأخبره بذلك . فقال الأشتر: ألرفع هـذه المصاحف؟ قال: نعم . قال: أما والله لقد ظننت بها حين رفعت أنها سـتوقع اختلافاً وفرقة . فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم فقال: يا أهل الوهن والذل ، أحين علوتم القوم تنكلون لرفع هذه المصاحف ؟ أمهلوني فواق ناقة ، قالوا: لا ندخل معك في خطيئتك !

قال: ويحكم ، كيف بكم وقـد قتل خياركم وبقي أراذلكم، فمتى كنتم محقين؟ أحين كنتم تقاتلون أم الآن حين أمسـكتم؟ فما حال قتلاكم الذين لا تنكرون فضـلهم، أفي الجنة أم في النار ؟ قالوا: قاتلناهم في الله ، وندع قتالهم في الله . فقال: يا أصحاب الجباة السود ، كنا نظن أن صلاتكم عبادة وشوق إلى الجنة ، فنراكم قد فررتم إلى الدنيا ، فقبحاً لكم .

فسـبوه وسـبهم ، وضـربوا وجه دابته بسياطهم ، وضرب هو وجوه دوابهم بسوطه. وكان مسعر بن فدكي وابن الكواء وطبقتهم من القراء الذين صاروا بعد خوارج ، كانوا من أشد الناس في الإجابة إلى حكم المصحف ».

وفي تاريخ الطبري:4/34: «عبد الرحمن بن جندب الأزدي عن أبيه أن علياً قال: عباد الله إمضوا على حقكم وصدقكم قتال عدوكم ، فإن معاوية وعمرو بن العاص ، وابن أبي معيط ، وحبيب بن مسلمة ، وابن أبي سرح ، والضحاك بن قيس ، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف بهم منكم ، قد صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً ، فكانوا شر أطفال وشر رجال ! ويحكم إنهم ما رفعوها ثم لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيها ، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهناً ومكيدةً .فقالوا له: ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عز وجل فنأبى أن نقبله .

فقال لهم: فإني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب ، فإنهم قد عصوا الله عز وجل فيما أمرهم ، ونسوا عهده ونبذوا كتابه .

فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي ثم السنبسي في عصابة معهما من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا علي أجب إلى كتاب الله عز وجل إذ دعيت إليه ، والا ندفعك برمتك إلى القوم ، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان، إنهم دعونا أن نعمل بما في كتاب الله عز وجل فقبلناه ، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك! قال قال: فاحفظوا عنى نهيي إياكم ، واحفظوا مقالتكم لي . أما أنا فإن تطيعوني تقاتلوا ، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم ».

أقول: كانت مكيدة عمرو ضربة كبيرة للإسلام ، نتج عنها اختلاف جيش علي (عليه السلام) ، ثم خدعة التحكيم التي كان بطلها عمرو ، وظهور الخوارج ، ثم قتل علي (عليه السلام) وغلبة معاوية ، وما ارتكبه هو وابنه يزيد من كبائر في الأمة..الخ.

كل ذلك أسس له عمرو العاص بمكيدته ، وهو يعلم أنه أن عمله ضد مصلحة الإسلام والمسلمين ، لكنه الطمع الدنيوي بخراج مصر !

23. غزا عمرو مصر بجيش معاوية وقتل واليها محمد بن أبي بكر فلعنته عائشة وكان عمرو لايحترمها فقد قال لها بعد هزيمتها في حرب الجمل: «لوددت أنك قُتِلْتِ يوم الجمل. قالت:ولِمَ لا أباً لك ! قال: كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة ، ونجعلك أكبر التشنيع على علي بن أبي طالب» ! (شرح النهج:6/322) .

وعندما جاءها خبر قتل عمرو لأخيها محمد وإحراق جثته ، بكت عليه ولعنت معاوية وعمرو بن العاص ! ثم استرضاها معاوية بالمال فسكتت . ثم ساءت علاقتها به لما أراد أخذ البيعة ليزيد ، لأنها كانت تأمل بها لأخيها عبد الرحمن !

قال الثقفي في الغارات:1/285 : « لما أتاها نعي محمد بن أبي بكر وما صُنع به ، كظمت حزنها ، وقامت إلى مسجدها حتى تشخَّبَتْ دماً ». وفي رواية تشخَّب ثدياها دماً ، وقد يفسر ذلك إن صح بارتفاع ضغط الجسم من الحزن !

لكن الذي زاد ارتفاع ضغط عائشة أكثر أن ضُرَّتها رملة بنت أبي سفيان ، المعروفة بأم حبيبة أم المؤمنين ، فرحت بقتل أخيها معاوية لمحمد أخ عائشة ، واحتفلت به بطريقة هند آكلة الأكباد ! «لما قتل ووصل خبره إلى المدينة مع مولاه سالم ومعه قميصه ، ودخل به داره اجتمع رجال ونساء ! فأمرت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي بكبش فَشُوِيَ ، وبعثت به إلى عائشة وقالت: هكذا قد شُوِيَ أخوك ! فحلفت عائشة لا تأكل شواءً أبداً، فما أكلت شواءً بعد مقتل محمد سنة 38 حتى لحقت بالله سنة57 ، وما عثرت قط إلا قالت: تَعِسَ معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج».(الغارات:1/287، و:2/757 وأنساب الأشراف:2/403 ، وحياة الحيوان للدميري:1/404).

ص: 187

وفي الكامل لابن الأثير:3/357: «لما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً وقنتت في دبر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو ، وأخذت عيال محمد إليها ».

وفي سير الذهبي:2/186: « إن معاوية لما حج قدم فدخل على عائشة ، فلم يشهد كلامها إلا ذكوان مولى عائشة ، فقالت لمعاوية: أأمنت أن أخبئ لك رجلاً يقتلك بأخي محمد ! قال: صدقت . وفي رواية قال لها: ما كنت لتفعلي».ونحوه الطبري: 4/205 ، والإستيعاب:1/238 ، وشرح الأخبار:2/171. راجع جواهر التاريخ: 2 /148.

24. ونقل الرواة عن عمرو حالة صحو وجرأة اعترف فيها بالحق على نفسه ففي كتاب تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن إبراهيم/270: «وقال عمرو بن العاص: أعجب الأشياء أن المبطل يغلب المحق ! يُعَرِّض بعلي ومعاوية !

فقال معاوية: بل أعجب الأشياء أن يعطى الإنسان ما لايستحق . يعرض بعمرو ومصر التي أخذها له طُعمة » !

وروى في الفصول المختارة للمفيد/265، اعترافاً من عمرو بن العاص لعلي (عليه السلام) ، قال عمرو: «مرَّ علي بن أبي طالب على أبي بكر ومعه أصحابه ، فسلم عليه ومضى ، فقال أبو بكر: من سره أن ينظر إلى أول الناس في الإسلام سبقاً ، وأقرب الناس برسول الله قرابةً ، فلينظر إلى علي بن أبي طالب » !

25. تزوج عمرو العديد من النساء ، لعل أشهرهن بنت أبي معيط الخمار بمكة وهي أخت عثمان بن عفان من أمه . (الطبقات:8/230) .

وكان له ولدان عبد الله ومحمد ، واشتهر عبد الله بأنه كان يحب العلم ، فأخذ يكتب أحاديث النبي (صلى الله عليه و آله) فنهاه أبوه وفلان لأنها تفضح قريشاً ! قال: «كنت

أكتب كل شئ أسـمعه من رسول الله (صـلى الله عليه و آله) أريد حفظه ، فنهتني قريش وقالوا أتكتب كل شـئ تسـمعه ، ورسول الله بشـر يتكلم في الغضب والرضـا ! فأمسـكت عن الكتـاب ، فـذكرت ذلك لرسول الله (صـلى الله عليه و آله) فأومأ بإصـبعه إلى فيه فقال: أكتب ، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق ». (سنن أبي داود:2/176).

لكن الشاب عبـد الله بن عمرو أطاع قريشاً ولـم يكتب الحديث النبوي ، وأُغرم بثقافة اليهود ، فكان التلميذ المطيع لكعب الأحبار ، ثم وجد حمل بعير من كتبهم مترجمة الى العربية فكان يحدث منها !

قال ابن حجر في فتح الباري:1/167: « إنه قد ظفر في الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب ، فكان ينظر فيها ويحدث منها » .

وكان يؤمن بنسخة التوراة الموجودة فقال:«رأيت فيما يرى النائم كأن في إحدى أصبعيَّ سمناً وفي الأخرى عسلاً فأنا ألعقهما، فلما أصبحت ذكرت ذلك لرسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال:تقرأ الكتابين التوراة والفرقان فكان يقرؤهما»!(مسند أحمد:2/222).

قـال عنه الشـيخ الأزهري محمود أبو ريـة في كتابه القيم: شـيخ المضـيرة أبو هريرة/124: « هو أحـد العبادلـة الثلاثـة الذين رووا عن كعب الأحبار ، وكان قـد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب ، وكان يرويها للناس ، فتجنب كثير من أئمـة التابعين الأخـذ عنه.وكان يقال له:لا تحدثنا من الزاملتين».

ومعنى قولهم إنه كان يحدث منها: أنه كان ينسب ما فيها إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) لأنه قال: حدثوا عن أهل الكتاب ولا حرج !

قال ابن تيمية في فتاواه:13/366: « قال(ص): بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسـرائيل ولاحرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو.ولهذا كان عبد الله قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما ، بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك».

يقصد أن ابن العاص فهم الإذن من النبي (صـلى الله عليه و آله) أن ينسـبوا اليه الإسرائيليات! وهذا من نوع حيل أبيه عمرو ، لأن معنى قول النبي (صلى الله عليه و آله) : حدثوا عن بني إسرائيل ولاحرج: قولوا في انحرافهم ما شئتم فهو صحيح ، فحرفه وجعل معناه: خذوا الحديث منهم وانسبوه إليَّ ، ولاحرج عليكم !

قال ابن كثير في النهاية:2 /12: «عن عبـد الله قال: نظر رسول الله إلى الشـمس حين غابت فقال: في نار الله الحامية ، لولا ما يَزَعُها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض فيه غرابـة.. وقـد يكون موقوفاً من كلام عبـد الله بن عمرو، فإنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب المتقدمين فكان يحدث منها» !

أقول: نهى زعماء قريش عن تدوين السـنة النبوية في حياة النبي (صلى الله عليه و آله) ، ثم منعوا تدوينها بعد وفاته ، وقربوا حاخامات اليهود مثل كعب الأحبار وعبـد الله بن سـلام ووهب بن منبه ، وأطلقوا أيـديهم في نشـر الإسـرائيليات ، ونشأ لهم تلاميذ كأبي هريرة وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن عمر ، ولذلك ترانا لانقبل رواياتهم وقد بحثنا ذلك في كتاب تدوين القرآن،وكتاب ألف سؤال وإشكال .

هـذا ، وذكر ابن عبـد البر أن عبد الله بن عمرو كان نادماً على حضوره صـفين وقتاله علياً (عليه السـلام) لكن أنى ينفعه ذلك مع مذهبه في التحديث ولم يصلح ما أفسد !

قال في الإستيعاب:3/958: «واعتذر رضي الله عنه من شهوده صفين، وأقسم أنه لم يرم فيها برمح ولا سهم، وأنه إنما شهدها لعزمة أبيه عليه في ذلك، وأن رسول الله قال له: أطع أباك ! كان يقول:ما لي ولصـفين! ما لي ولقتال المسلمين! والله لوددت أني متُّ قبل هذا بعشر سنين ثم يقول: أما والله ما ضـربت فيها بسـيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم ، ولوددت أني لم أحضر شيئاً منها، وأستغفر الله عز وجل عن ذلك وأتوب إليه .إلا أنه ذُكر أنه كانت بيده الراية يومئذ ، فندم ندامة شديدة على قتاله مع معاوية وجعل يستغفر الله ويتوب إليه».

26. أخذ عمرو لقب فاتح فلسـطين ومصـر ، لكنه ترك في الإسـلام أسوأ الآثار قال ابن حجر الإصابة:4/540، إنه عاش تسـعين سنة ، وكان أكبر من عمر بن الخطاب ببضع سنين ، ومات بعده بعشرين سنة ».

وفي تاريخ اليعقوبي:2/187: «فلمـا نزل به قال له ابنه عبـد الله بن عمرو: يا أبت إنك كنت تقول عجباً لمن نزل به الموت وعقله معه ، كيف لا يصـفه ، فصف لنا الموت وعقلك معك . فقال: يا بني الموت أجل من أن يوصف ، ولكني سأصف لك منه شـيئاً أجـدني كأن على عنقي جبال رضوى ، وأجدني كأن في جوفي شوك السـلاء ، وأجدني كأن نَفَسـي يخرج من ثقب إبرة...توفي عمرو بن العاص يوم الفطر بمصر سنة اثنتين وأربعين، وهو وال عليها».والحاكم: 3 /454.

وفي الإستيعاب لابن عبد البر:3/1190، عن الشافعي قال: «دخل ابن عباس على عمرو بن العاص في مرضه فسلّم عليه وقال: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: أصلحت من دنياي قليلاً وأفسدت من ديني كثيراً ! فلو كان الَّذي أصلحت هو الَّذي أفسدت ، والَّذي أفسدت هو الَّذي أصلحت ، لفُزت . ولو كان ينفعني أن أطلب طلبت ، ولو كان ينجيني أن أهرب هربت ، فصرت كالمنجنيق بين السماء والأرض ، لا أرقى بيدين ولا أهبط برجلين» !

وهكذا اعترف عمرو بأنه أفسد دينه بالمعاصي ، لكن بعد فوات الأوان ! ولو كانت معاصيه شخصية لكان الأمر أهون ، لكنها معاصٍ كتبت تاريخ المسلمين وبعض عقائدهم ، الى يومنا هذا ، مع الأسف .

«جزع عمرو بن العاص عند الموت جزعاً شديداً فلما رأى ذلك ابنه عبد الله بن عمرو قال: ياأبا عبد الله ما هذا الجزع وقد كان رسول الله يدنيك ويستعملك؟ قال: أي بنى قد كان ذلك، وسأخبرك عن ذلك: إني والله ما أدري أحباً ذلك كان أم تألفاً يتألفني! ولكن أشهد على رجلين أنه قد فارق الدنيا وهو يحبهما: ابن سمية وابن أم عبد». «مسند أحمد: 4/200، وصححه في الزائد:9/353).

ومعناه أنه أحس أن النبي (صلى الله عليه و آله) كان يتألفه ، فهو من المؤلفة قلوبهم وليس من المؤمنين !

الفصل الخامس: الأبطال الشيعة قادة الفتوحات

فاتح العراق المثنى بن حارثة رضي الله عنه

1. «المثنى بن حارثة ، بن سلمة ، بن ضمضم ، بن سعد ، بن مرة ، بن ذهل ، بن شيبان » . (الإصابة:5/568).

قال ابن قتيبة في المعارف/100، ملخصاً: «وأما ذهل بن شـيبان فولده مرة بن ذهل بن شيبان وفيه العدد والبيت، وربيعة بن ذهل، ومحلم بن ذهل، والحارث بن ذهل..ومن الأشـراف من بنى شيبان عوف بن محلم بن ذهل الذي قيل فيه: لاحُرَّ بوادي عوف . ومنهم الضحاك بن قيس الشـارى، وشبيب وقعنب الخارجيـان. ومنهم هانئ بن مسـعود صاحب يوم ذي قار ، وأخوه قيس بن مسـعود . ومنهم جساس قاتل كليب ، والمثنى بن حارثة الذي افتتح السواد ».

2. كـان بنو شـيبان متحـالفين مع أبناء عمهم بني عجل وكانوا يعيشون معهم ومع اللهازم من هـذيل ، في جنوب العراق . وقـد زارهم النبي (صـلى الله عليه و آله) في موسم الحج وعرض عليهم دعوته وتلا عليهم من القرآن ، فأعجبهم الإسلام . وطلب منهم أن يذهب معهم الى العراق ويحموه من قريش والعرب ليبلغ رسالة ربه ، فاعتذروا له بأنهم مجاورون لكسرى ، ولا يستطيعون ذلك .

وزعمـاؤهم يومهـا مفروق وهـانئ بن مسـعود والمثنى، فقال له مفروق: (دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة ، فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا. فقال هانئ: قد سـمعت مقالتك يا أخا قريش وإني أرى إن تركنا ديننا واتبعناك على دينك لمجلس جلسـته إلينا زلـةٌ في الرأي وقلـة فكر في العواقب ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، ومن ورائنا قوم نكرهُ أن نعقد عليهم عقداً ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر!

وكأنه أحب أن يشـركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى بن حارثة شـيخنا وصاحب حربنا . فقال المثنى: قد سمعت مقالتك يا أخـا قريش والجواب هو جواب هـانئ بن قبيصـة في تركنـا ديننا واتباعنا إياك على دينك، وإنما أنزلنا بين ضـرتين (صـيرتين)! فقال رسول الله (صـلى الله عليه و آله) :ما هاتان الضرتان؟ قال: أنهار كسرى ومياه العرب ، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى لانحدث حدثاً ولا نؤي محدثاً ، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعو إليه مما تكرهه الملوك ، فإن أحببت أن نؤويك وننصـرك مما يلي مياه العرب فعلنا . فقال رسول الله (صـلى الله عليه و آله) :ما أسأتم في الرد ، إذ أفصـحتم بالصدق ، وإن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه الله من جميع جوانبه . أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضـهم وديارهم وأموالهم ويفرشـكم نساءهم ، أتسـبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعمان بن شـريك: اللهم نعم» .

وفي روايـة أن النبي (صـلى الله عليه و آله) أعجب بهم وقال: (أيَّةُ أخلاق في الجاهلية ما أشـرفها ، بها يدفع الله بأس بعضـهم عن بعض». (ثقات ابن حبان: 1/80).

فقد عرض المثنى على النبي (صلى الله عليه و آله) أن يحميه من قبائل العرب دون الفرس ، فشكره النبي (صلى الله عليه و آله) ومدح صدقهم وأخلاقهم ، وبشرهم بأن الله سيورثهم ملك كسرى .

3. وبعد سنوات قليلة كانت معركة ذي قار، قرب مدينة الناصرية بين بني شيبان ومعهم بنو عجل، وبين الفرس، فقال شيخهم: إجعلوا شعاركم إسم الرجل القرشي الذي دعاكم في مكة ، فجعلوا شعارهم: يا محمد ، يا محمد . فنصرهم الله باسم النبي (صلى الله عليه و آله) ، وكان ذلك بعد معركة بدر بأربعة أشهر ، وأرسلوا خمس الغنائم الى النبي (صلى الله عليه و آله) فقبلها وشكرهم ، كما يأتي .

4. بدأ المثنى فعاليته بتحرير العراق زمن النبي (صلى الله عليه و آله) ، وواصلها بعد وفاته (صلى الله عليه و آله) ، قال ابن عبد البر في الإستيعاب:4/1456: «المثنى بن حارثة الشيباني كان إسلامه وقدومه في وفد قومه على النبي (صلى الله عليه و آله) سنة تسع ، وقد قيل سنة عشر . وبعثه أبو بكر سنة إحدى عشرة في صدر خلافته إلى العراق . كان المثني شجاعاً شهماً بطلاً ميمون النقيبة ، حسن الرأي والإمارة ، أبلى في حروب العراق بلاء لم يبلغه أحد .. قدم على أبي بكر فقال: يا خليفة رسول الله إبعثني على قومي فإن فيهم إسلاماً ، أقاتل بهم أهل فارس وأكفيك أهل ناحيتي من العدو .

ففعل ذلك أبو بكر ، فقدم المثنى العراق فقاتل وأغار على أهل فارس ونواحي السواد ، حولاً مُجَرَّماً (كاملاً) ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر يسأله المدد ، ويقول له: إن أمددتني وسمعت بذلك العرب أسرعوا إليَّ وأذل الله المشركين . مع أني أخبرك يا خليفة رسول الله أن الأعاجم تخافنا وتتقينا .

فقال له عمر: إبعث خالد بن الوليد مدداً للمثنى بن حارثة ، يكون قريباً من أهل الشام ، فإن استغنى عنه أهل الشام ألح على أهل العراق حتى يفتح الله عليه ، فهذا الذي هاج أبا بكر على أن يبعث خالد بن الوليد إلى العراق».

وفي فتوح ابن الأعثم (1/72): «وبلغ أبا بكرعنه فعاله فقال للمسلمين:ويحكم مَن هذا الذي تأتينا أخباره ووقائعه قبل معرفة خبره؟ قال: فوثب قيس بن عاصم المنقري فقال: يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه و آله) هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول الحسب ، ولا بقليل العدد والمدد ، هذا المثنى بن حارثة الشيباني . قال: فأرسل إليه أبو بكر فجعله رئيساً على قومه ، وبعث إليه بخلعة ولواء وأمره بقتال الفرس . قال: فجعل المثنى بن حارثة يقاتل الفرس من ناحية الكوفة وما يليها ، ويغير على أطرافها ، فلم يترك لهم سارحة ولا رائحة إلا استاقها (أخذ المواشي) وأقام على ذلك حولاً كاملاً أو نحواً من ذلك..

ثم إنه (المثنى) دعا بابن عم له يقال له سويد بن قطبة بن قتادة بن جرير بن بشار بن ثعلبة بن سدوس ، فضم إليه جيشاً ووجهه إلى نحو البصرة ، فجعل يحارب أهل أُبُلَّة وما يليهم من الفرس . قال: فكان المثنى بن حارثة بناحية الكوفة وما يليها ، وسويد بن قطبة من ناحية البصرة وما يليها، هذا في جيش وهذا في جيش، جميعاً يحاربان الفرس ، ولا يفتران عن ذلك ».

أقول: فقد اتسعت فعاليات المثني الى البصرة ، وكان عنده قادة ، ذكروا منهم: «سبرة بن عمرو التميمي..كان مع المثنى بن حارثة في جملة قواده في حروب العراق ». (الإصابة(3/25) .«مضارب بن زيد البجلي ، له إدراك (صحابي) ثم شهد بعد ذلك القادسية». (الإصابة(6/99).

فقد اغتنم المثنى انشغال الفرس بصراعهم الداخلي ، ووسع جهاده في كل العراق ما عدا شرقي دجلة من جهة إيران ، وذلك قبل مجئ خالد بن الوليد .

5. ينبغي الإلتفات الى ثلاثة عوامل في فتح العراق ، أولها: حالة الإنهيار في النظام الفارسي مما شَجَّعَ العرب وساعدهم في عمليات الفتح ومعاركه .

وثانيها: أن النبي (صلى الله عليه و آله) بشَّر الأمة بفتح بلاد كسرى وقيصر، وبشر بني شيبان خاصة بفتح العراق فقال لهم: «أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعمان بن شريك:اللهم لك ذلك ». (شرح الأخبار للقاضي النعمان: 2/387).

وثالثها: الهمة العالية والشجاعة التي اتصف بها زعيم بني شيبان المثنى بن حارثة الشيباني ، فقد كان هذا الصحابي الجليل شخصية مميزة وقائداً شجاعاً . وكانت أخباره تصل الى المدينة فيعجب المسلمون به .

قال ابن حجر في الإصابة(5/568): «قال عمر بن شبة: كان المثنى بن حارثة يغير على السواد ، فبلغ أبا بكر خبره فقال: من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه ! ثم قدم على أبي بكر فقال: يا خليفة رسول الله إبعثني على قومي فإن فيهم إسلاماً أقاتل بهم أهل فارس ، وأقتل أهل ناحيتي من العدو . ففعل ، فقدم المثنى العراق فقاتل وأغار على أهل السواد وفارس ».

وقال البلاذري(2/295): «فبلغ أبا بكر خبره فسأل عنه فقال له قيس بن عاصم بن سنان المنقري: هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العماد ، هذا المثنى بن حارثة الشيباني . ثم إن المثنى قدم على أبى بكر فقال له: يا خليفة رسول الله ، استعملني على من أسلم من قومي أقاتل هذه الأعاجم من

أهل فارس . فكتب له أبو بكر في ذلك عهداً ، فسار حتى نزل خفان ، ودعا قومه إلى الإسلام فأسلموا » .

وهذا يدل على أن إسلام المثنى قبل ذلك ، ويدل على استجابة قومه له ، وإن كان الإسلام انتشر فيهم من بعد معركة ذي قار .

6. كان المثنى وعشيرته من شيعة علي (عليه السلام) ، وكان أبناؤه وعشيرته مع علي (عليه السلام) في حرب الجمل، واستشهد فيها ابنه ثمامة (رحمة الله) .قال في أنساب الأشراف/244: «وقتل يومئذ ثمامة بن المثنى بن حارثة الشيباني ، فقال الأعور الشني:

يا قاتل الله أقواماً هم قتلوا *** يوم الخُريبة علباءً وحسانا

وابن المثنى أصاب السيف مقتله *** وخير قرائهم زيد بن صوحانا

وكانت وقعة الجمل بالخريبة ، وحسان الذي ذكره: حسان بن محدوح بن بشر بن حوط (الذهلي) كان معه لواء بكر بن وائل ، فقتل فأخذه أخوه حذيفة بن محدوح فأصيب ، ثم أخذه بعده عدة من الحوطيين فقتلوا ، حتى تحاموه ».

وفي مصنف ابن أبي شيبة (3/139) أن أخاه مصعب بن المثنى بن حارثة: «قال يوم الجمل: أدفنونا وما أصاب الثرى من دمائنا »! أي نحن شهداء الله تعالى.

وفي أنساب السمعاني:1/44: « التقى رجلان من بكر بن وائل ، أحدهما من بني شيبان بن ثعلبة، والآخر من بني ذهل بن ثعلبة ، فقال الشيباني: أنا أفضل منك. وقال الذهلي: بل أنا أفضل منك . فتحاكما إلى رجل من همدان ، فقال: لست مفضلاً واحداً منكما على صاحبه ، ولكن إسمعا ما أقول لكما: من أيكما كان عمران بن مرة الذي ساد في الجاهلية والإسلام ؟ قال الشيباني: كان مني . قال:

فمن أيكما كان عوف بن النعمان الذي كان يأخذ في الإسلام ألفين وخمس مائة (لشجاعته في الحرب) ؟ قال الشيباني: كان مني. قال: فمن أيكما كان المثنى بن حارثة الذي فتح الكوفة وخطب على منبرها؟ قال الشيباني: كان مني. قال: فمن أيكما كان مصقلة بن هبيرة الذي أعتق خمس مائة أهل بيت من بني ناجية؟ قال الشيباني: كان مني. قال: فمن أيكما كان يزيد بن رويم الذي كان يقود الجيش؟ قال الشيباني: كان مني. قال: فمن أيكما كان بشير بن الخصاصية الذي هاجر إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) وكان إسمه زحماً فسماه رسول الله بشيراً ؟ قال الذهلي: كان مني . قال: فمن أيكما كان عبد الله بن الأسود الذي هاجر إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) ؟ قال الذهلي: كان مني . قال: فمن أيكما كان قطبة بن قتادة الذي أغار على البصرة والأبلة ووليهما؟ قال الذهلي: مني. قال: فمن أيكما كان علباء بن الهيثم صاحب لواء ربيعة وكندة يوم الجمل، وعزل عنه الأشعث بن قيس؟ قال الذهلي: مني. قال: فمن أيكما حسان بن محدوج الذي قتل يوم الجمل ومعه لواء ربيعة وكندة؟ قال الذهلي: مني ، قال: فمن أيكما كان مجزأة بن ثور الذي شرى المسلمين بنفسه وفتح الله على وجهه الأهواز ؟ قال الذهلي: مني ، قال: فمن أيكما شقيق بن ثور الذي ساد قومه ورئسهم أربعين سنة؟ قال الذهلي: مني. قال: فمن أيكما كان سود بن منجوف الذي كان أعظم الناس وفادة وأكثرهم شفاعة وخير شريف قوم ليتيم وأرملة؟ قال الذهلي: مني. قال: فمن أيكما كان مرثد بن ظبيان الذي هاجر إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فوهب له أسرى بكر بن وائل وكتب معه إلى بكر بن وائل كتابا أن: أسلموا تسلموا ؟ قال الذهلي: مني ، قال: فمن أيكما كان الحضين بن المنذر صاحب راية ربيعة يوم صفين؟ قال الذهلي: مني. قال: فمن

أيكما كان عبـد الله بن الأسود ، الـذي هاجر إلى رسول الله (صـلى الله عليه و آله) صاحب القرون باليمامة ؟ قال الذهلي: مني. قال: فمن أيكما القعقاع بن شور الذي كان أكرم العرب مجالسة ، وأفصـحهم لساناً ، وأحسنهم وجهاً ، وأكرمهم طروقة ؟ قال الذهلي: مني. قال: فهذا الذي أقول لكما ».

أقول: يظهر أنه يفضـل الـذهليين على الشـيبانيين وإن كـان لكـل منهمـا مفـاخر ، لكنه يكشف عن أنهم جميعاً كانوا من شـيعة علي (عليه السـلام) ، وانهم قـدَّموا معه شـهداء في حياته ، وبعـد مماته . وقد قتل ابن رئيسـهم عبد الرحمن بن حسان بن محدوج ، مع حجر بن عدي (رحمة الله) ، لأنه رفض أن يسب علياً (عليه السلام) .

ولا بد أن المثنى كان يلتقي بعليٍّ (عليه السـلام) عندما كان يذهب الى المدينة في وفد بني شـيبان الى النبي (صـلى الله عليه و آله) أو بعد وفاته (صـلى الله عليه و آله) ،ولعله (عليه السـلام) أشار على أبي بكر باعتماد المثنى وإمـداده بالمقاتلين فاعتمـده ، كما نصوا على أنه أشار على عمر باعتماد النعمان بن مقرن قائداً لمعركة نهاوند ، وبعده حذيفة .

ولعل حساسية عمر من المثنى كانت بسبب تشيعه لعلي (عليه السلام) وارتباطه به ، فقد صرح من زمن ابي بكر بأنه سيعزله إن تولى الخلافة ، وعزله فلم ينعزل ، ثم مات المثنى في ظرف غامض ، كما يأتي .

7. ذكروا للمثنى عدة إخوة ، وكلهم قادة شـجعان ، أبرزهـم مسـعود والمعنى ، وذكر ابن الأعثم (1/166) أخاه إبراهيم بن الحارثة ، في قادة معركة جلولاء . وذكروا أن أخاه مسـعوداً استشـهد في معركة البويب ، وسيأتي . وذكروا ابنته الفارعة ، وقد تزوجت أنس بن مالك ، ورزقت منه بأولاد . (الطبقات:7/192) .

وذكروا مضافاً الى ابنه ثمامة الذي استشـهد في حرب الجمل أخاه مصعباً ، الذي كان معه في حرب الجمل، وابنه عبد الرحمن بن المثنى ، وذكروا عنه قصة غريبة ، وهي أنه زوج بنت عامر بن عبد الأسود بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار ، الى عبيد الله بن زياد ، بحكم أن عبد الرحمن ابن المثنى رئيس بني شيبان، والبنت من أحفاد حليفهم حنظلة وهو رئيس بني عجل بن لجيم ، وهو قائد معركة ذي قار فغضب عليه عمر بن الخطاب وضربه وحبسه ، لأن ابن زياد ليس كفؤاً لهم ، فهو عبدٌ للحارث بن كلدة . (إكمال الكمال:4/436).

وهذا يدلنا على أن حساسية عمر من المثنى انتقلت الى أولاده ، رضي الله عنهم !

8. أرسل أبو بكر خالد بن الوليد مدداً للمثنى ، فبقي في العراق سـنةً وكسراً ، وكانت فترة هادئة عسكرياً ، لأن الفرس كانوا مشغولين بوضعهم الـداخلي ، وكانت العمليات على بقايا المسالـح الفارسـية ، وبعض الـدساكر لإخضاعها. ولم يخض خالد أي معركة منها ، بل كان القتال على المثنى وفرسانه .

قال الدينوري في الأخبار الطوال/111: « فلما أفضـى الملك إلى بوران بنت كسـرى بن هرمز، شاع في أطراف الأرضـين أنه لا مَلِكَ لأرض فارس وإنما يلوذون بباب امرأة ، فخرج رجلان من بكر بن وائل ، يقال لأحدهما المثنى بن حارثة الشـيباني والآخر سويد بن قطبة العجلي ، فأقبلا حتى نزلا فيمن جمعا بتخوم أرض العجم ، فكانا يغيران على الدهاقين فيأخذان ما قدرا عليه ، فإذا طلبا أمعنا في البر فلا يتبعهما أحد ، وكان المثنى يغير من ناحية الحيرة ، وسويد من ناحية الأبلة ، وذلك في خلافة أبي بكر .

فكتب المثنى بن حارثة إلى أبي بكر يعلمه ضراوته بفارس ويعرفه وهنهم ، ويسأله أن يمده بجيش . فلما انتهى كتابه إلى أبي بكر كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد ، وقد كان فرغ من أهل الردة ، أن يسير إلى الحيرة فيحارب فارس ، ويضم إليه المثنى ومن معه .

وكره المثنى ورود خالد عليه وكان ظن أن أبا بكر سيوليه الأمر ، فسار خالد والمثنى بأصحابهما ، حتى أناخا على الحيرة وتحصن أهلها في القصور الثلاثة...

ثم صالحوه من القصور الثلاثة على مائة ألف درهم يؤدونها في كل عام إلى المسلمين . ثم ورد كتاب أبي بكر على خالد مع عبد الرحمن جميل الجمحي، يأمره بالشخوص إلى الشام ليمد أبا عبيدة بن الجراح بمن معه من المسلمين ، فمضى وخلف بالحيرة عمرو بن حزم الأنصاري مع المثنى » .

أقول: يمكن أن يكون المثنى في نفسه كره تأمير خالد عليه ، لكن لم يظهر منه إلا الطاعة لأنه القائد المعين من الخليفة . وكان المثنى معتمد خالد في عامة عملياته العسكرية ، كما بينا ذلك في الحديث عن خالد .

وقد بالغ رواة السلطة في دور خالد ، والتنقيص من دور المثنى ، لكن لم يثبت لخالد أي مبارزة أو مشاركة في حملة فيها قتال ، بل كان عمله استعراضياً ، أو مباغتةً وغدراً لنائمين كما صنع في تغلب ، أو حضوراً لقبض مبلغ الصلح المقرر .

ففي فتوح البلاذري (2 /295) مختصراً: «وكتب لأبي بكر أن يمدَّه بالجيش لحرب الفرس، فأرسل إليه خالد بن الوليد فوجَّه المثنى بن حارثة الى أُلَّيس، منطقة قرب السماوة فخرج إليه صاحبها جابان بجيشه فالتقوا قرب النهر ، فهزمهم المثنى ثم صالحهم . ثم دنا المثنى بمن معه الى الحيرة ، فخرجت إليه خيول

صاحب كسرى التي كانت في المخافر فهزمهم . ثم جاء خالد فصالحهم ، بعد أن وطّدَ المثنى بن حارثة له الأمور » .

وفي الطبري(2/552): «وأقبل خالد بن الوليد يسير فعرض له جابان صاحب أليس ، فبعث إليه المثنى بن حارثة فقاتله فهزمه وقتل جل أصحابه ، إلى جانب نهر ثم يدعى نهر الدم لتلك الوقعة ، وصالح أهل أُلّيس ».

فكان خالد يبتعد بنفسه ، ويبعث المثنى لقتال هذه الحامية الفارسية ، أو تلك الجماعة أو القرية ، فينتصر عليهم ويتفق معهم ، فيأتي خالد ويوقع الصلح ويأخذ المبلغ والأعيان المتفق عليها، ونادراً ما يذهب هو في غارة !

لذلك، نجد رواية الطبري (2/552) تقول إنه بعث المثنى فقاتل في أليس فقبلوا بالمصالحة . ثم نجد رواية (2/560) تقول إنهم كانوا ألوفاً فبرز خالد الى قائدهم وقتله ، وكانوا أعدوا طعاماً فقال لهم ضعوا فيه السم فسمموه ، وجاء خالد والمسلمون فأكلوا منه ولم يتسمموا ، ثم اتفقوا معه فصالحهم .

فتعرف أن هذه الرواية تريد مدح خالد بأنه مقاتل بطل، وأنه ضد التسمم لقوة إيمانه!

ومثلها رواية (تاريخ الطبري:2/559) عن وقعة يوم الولجة ، تزعم أن خالداً بارز «رجلاً من أهل فارس يعدل بألف رجل فقتله فلما فرغ اتكأ عليه ودعا بغدائه» !

ثم نجد أن هذه المعركة كانت غارة على نصارى بكر بن وائل العرب وقتل منهم خالد وأسر! (الطبري:2/560) ، أما القادة الفرس فكانوا معروفين ، وردت أسماؤهم في المعارك الكبيرة والصغيرة التي خاضها المسلمون ، مثل جابان ، ومردانشاه ، وذي الحاجب ، ومهران ، والجالينوس ، وقائدهم العام رستم . وقد أخفى الراوي هنا إسم القائد الذي قتله خالد ، لأنه لاوجود له !

والصحيح أن خالداً كان يصالح ويقبض المال ، والذي كان يقاتل هو المثنى!

وتقرأ في فتوح البلاذري(2/297وما بعدها) عن آخر أعمال خالد: « وسار خالد إلى الأنبار فتحصن أهلها ، ثم أتاه من دله على سوق بغداد وهو السوق العتيق الذي كان عند قرن الصراة ، فبعث خالد المثنى بن حارثة فأغار عليه ، فملأ المسلمون أيديهم من الصُّفَّراء والبيضاء وما خف محمله من المتاع... فلما رأى أهل الأنبار ما نزل بهم صالحوا خالداً على شئ رضى به فأقرهم...

وأتى خالد بن الوليد رجل دله على سوق يجتمع فيها كلب وبكر بن وائل وطوائف من قضاعة فوق الأنبار، فوجه إليها المثنى بن حارثة ، فأغار عليها فأصاب ما فيها ، وقتل وسبى . ثم أتى خالد عين التمر فألصق بحصنها ، وكانت فيه مسلحة للأعاجم عظيمة فخرج أهل الحصن فقاتلوا ، ثم لزموا حصنهم فحاصرهم خالد والمسلمون حتى سألوا الأمان فأبى أن يؤمنهم، وافتتح الحصن عنوة وقتل وسبى، ووجد في كنيسة هناك جماعة سباهم ، فكان من ذلك السبي حمران ابن أبان بن خالد التمري..وسيرين أبو محمد بن سيرين وإخوته وهم: يحيى بن سيرين ، وأنس بن سيرين ، ومعبد بن سيرين ..ثم سار خالد من عين التمر إلى الشام ، وقال للمثنى بن حارثة: إرجع رحمك الله إلى سلطانك فغير مقصرٍ ولا وانٍ ».

ومع ذلك تقرأ عنتريات خالد وقوله كما في تاريخ الطبري (2/319): «لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة أسياف ، وما لقيت قوماً كقوم لقيتهم من أهل فارس وما لقيت من أهل فارس قوماً كأهل أَليس » .

فهو يفتخر ببطولته في مؤتـة ، ويزعم أنه كسَّر على رؤوس الروم تسـعة أسـياف ، ويقول إن الفرس أشـجع من الروم ، وإن أهل ألّيس أشـجع الفرس! فأين قاتل خالـد في مؤتة وقد هرب منها حتى المسـلمون التراب في وجهه؟ وأين قاتل أهل ألّيس ولم يذهب الى منطقتهم بل بعث المثنى فقاتلهم وصالحوه ؟!

وفي الطبري(2/308):«وأقبـل حتى دنـا من الحيرة ، فخرجت إليه خيول آزاذبه صـاحب خيـل كسـرى التي كانت في مسالـح ما بينه وبين العرب ، فلقوهم بمجتمع الأنهار، فتوجه إليهم المثنى بن حارثة فهزمهم الله . ولما رأى ذلك أهل الحيرة خرجوا يستقبلونه.. قال لهم خالد: إني أدعوكم إلى الله وإلى عبادته وإلى الإسـلام فإن قبلتم فلكم مالنا وعليكم ما علينا وإن أبيتم فالجزيـة ، وإن أبيتم فقد جئناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم شـرب الخمر ، فقالوا: لاحاجـة لنا في حربك ، فصالحهم على تسـعين ومائة ألف درهم ، فكانت أول جزية حملت إلى المدينة من العراق ».

وفي الطبري(2/584): «ثم أعطوه شيئاً رضى به فأقرهم..وجه المثنى على سوق فيها جمع لقضاعة وبكر فأصاب ما في السوق».

وذكر النويري(19/115) وقعة حصيد ووقعة الخنافس وما بعدها التي نسبوها الى خالد ، وقال لم تكن مع خالد بل مع خليفته على العراق أي المثنى !

ويكفي لرد الوقعـات التي نسـبوها الى خالـد أن ابن الأعثم (1/134) قـال عن وقعـة الجسـر ما لفظه: «ذكر وقعـة الجسـر وهي أول وقعة للمسلمين مع الفرس». وقد كانت بعد ذهاب خالد بشهور وربما بسنة !

ص: 205

ومعناه أن كل ما قبلها من عمليات المثنى رضـي الله عنه ، قبل خالد ، إنما هو عمليات على حاميات وليس على جيش نظامي ، وكانت أول معركة مع جيش فارسي نظامي معركة بابل بعد ذهاب خالد ، وبعدها معركة النمارق ، ثم معركة الجسر .

معركة بابل أول معركة مع الجيش الفارسي النظامي

9. كانت أول معركة مع الجيش النظامي الفارسي بعد ذهاب خالد من العراق

وكانت قبل أن يمد عمر المثنى بأبي عبيد الثقفي ونحو ألف مقاتل ، فقد عاجل الفرس المثنى عندما ملكوا عليهم شـهر براز ، فأرسل جيشـاً لحربه .

قال الطبري:2/605: «واسـتقام أهل فارس على رأس سنة من مقدم خالد الحيرة ، بعد خروج خالد بقليل ، وذلك في سنة ثلاث عشرة على شهر براز بن أردشـير بن شـهريار ، ممن يناسب إلى كسـرى ثم إلى سابور ، فوجه إلى المثنى جنـداً عظيماً ، عليهم هرمز جاذويه في عشـرة آلاف ومعه فيـل ، وكتبت المسالـح إلى المثنى بإقبـاله ، فخرج المثنى من الحيرة نحوه وضم إليه المسالـح ، وجعـل على مجنبـتيه المعنى ومسعوداً ابني حارثة ، وأقام له ببابل .

وأقبل هرمز جاذويه وعلى مجنبتيه الكوكبد والخوكبذ ، وكتب إلى المثنى:

من شهر براز إلى المثنى: إني قد بعثت إليك جنداً من وحش أهل فارس ، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ، ولست أقاتلك إلا بهم !

فأجابه المثنى: من المثنى إلى شهر براز: إنما أنت أحد رجلين ، إما باغ فذلك شر لك وخير لنا ، وإما كاذب فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وفي الناس

الملوك ! وأما الذي يدلنا عليه الرأي فإنكم إنما اصطررتم إليهم ، فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير!

فجزع أهل فارس من كتابه وقالوا: إنما أتى شهر براز من شؤم مولده ولؤم منشئه ، وكان يسكن ميسان ، وبعض البلدان شين على من يسكنه ! وقالوا له: جرأت علينا عدونا بالذي كتبت به إليهم ، فإذا كاتبت أحداً فاستشر!

فالتقوا ببابل فاقتتلوا بعدوة الصراة الدنيا ، على الطريق الأول قتالاً شديداً .

ثم إن المثنى وناساً من المسلمين اعتوروا الفيل ، وقد كان يفرق بين الصفوف والكراديس ، فأصابوا مقتله فقتلوه وهزموا أهل فارس ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم ، حتى جازوا بهم مسالحهم ، فأقاموا فيها ، وتتبع الطلب الفالة حتى انتهوا إلى المدائن . وفى ذلك يقول عبدة بن الطبيب السعدي ، وكان عبدة قد هاجر لمهاجرة حليلة له ، حتى شهد وقعة بابل فلما آيسته رجع إلى البادية فقال:

هل حبلُ خولةَ بعد البين موصولُ *** أم أنت عنها بعيدُ الدار مشغولُ

وللأحبةِ أيامٌ تُذكِّرُها *** وللنوى قبل يوم البيْن تأويل

حلت خويلةُ في حيٍّ عهدتهم *** دون المدائن فيها الديك والفيل

يقارعون رؤس العُجْمِ ضاحيةً *** منهم فوارسُ لا عزلٌ ولا ميللُ

القصيدة للفرزدق يعدد بيوتات بكر بن وائل. وذكر المثنى وقتله الفيل:

وبيت المثنى قاتلُ الفيل عنوةً *** ببابل إذ في فارس ملك بابل

ومات شهر براز منهزم هرمز جاذويه (حكم أربعين يوماً فقتلوه) واختلف أهل فارس وبقى ما دون دجلة وبرس من السواد في يدي المثنى والمسلمين .

ص: 207

ثم إن أهل فارس اجتمعوا بعد شهربراز على دخت زنان ابنة كسرى ، فلم ينفذ لها أمر فخلعت وملك سابور بن شهربراز . قالوا: ولما ملك سابور بن شهربراز قام بأمره الفرخزاذ بن البندوان فسأله أن يزوجه أزر ميدخت ابنة كسرى ففعل، فغضبت من ذلك وقالت: يا ابن عم أتزوجني عبدي؟ قالت: استحى من هذا الكلام ولا تعيديه على فإنه زوجك فبعثت إلى سياوخش الرازي وكان من فتاك الأعاجم فشكت فيه الذي تخاف ، فقال لها: إن كنت كارهة لهذا فلا تعاوديه فيه وأرسلي إليه وقولي له فليقل له فليأتك فأنا أكفيكه ، ففعلت وفعل واستعد سياوخش ، فلما كان ليلة العرس أقبل الفرخزاذ حتى دخل فثار به سياوخش فقتله ومن معه ، ثم نهد بها معه إلى سابور فحضرته ، ثم دخلوا عليه فقتلوه وملكت آزر ميدخت بنت كسرى ، وتشاغلوا بذلك وأبطأ خبر أبي بكر على المسلمين فخلف المثنى على المسلمين بشير بن الخصاصية ووضع مكانه في المسالح سعيد بن مرة العجلي وخرج المثنى نحو أبى بكر ليخبره خبر المسلمين والمشركين ، وليستأذنه في الإستعانة بمن قد ظهرت توبته وندمه من أهل الردة ممن يستطعمه الغزو ، وليخبره أنه لم يخلف أحداً أنشط إلى قتال فارس وحربها ومعونة المهاجرين منهم. فقدم المدينة وأبو بكر مريض ، وقد مرض أبو بكر بعد مخرج خالد إلى الشام مرضته التي مات فيها بأشهر ، فقدم المثنى وقد أشفى وعقد لعمر فأخبره الخبر ، فقال: عليَّ بعمر ، فجاء فقال له: إسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به ، إني لأرجو أن أموت من يومي هذا وذلك يوم الإثنين فإن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، وإن تأخرت إلى الليل فلا

تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى... فمات أبو بكر ، وندب عمر الناس مع المثنى » .

ومعنى ذلك أن قوة المثنى التي وصلت الى بضعة آلاف بلغت من القوة أنها هزمت جيشاً نظامياً من عشرة آلاف ، وقد كان لبطولته مع إخوانه قادة المعركة الفضل الأول في تحقيق النصر . وقد أدركت الخلافة أهمية فتح العراق وتقوية جبهته .

10. وكان أول من أمدَّ بهم عمر المثنى أبا عبيد الثقفي ، أرسله والياً على العراق

قال الطبري:2/630: «أول ما عمل به عمر أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني إلى أهل فارس قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات فيها أبو بكر، ثم أصبح فبايع الناس ، وعاد فندب الناس إلى فارس ، وتتابع الناس على البيعة ففرغوا في ثلاث ، كل يوم يندبهم فلا ينتدب أحد إلى فارس ، وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم ، لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم . قالوا: فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس إلى العراق فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود وسعد بن عبيد الأنصاري حليف بنى فزارة هرب يوم الجسر».

أقول: وصفت الروايات خوف المسلمين من قتال الفرس، وأن عمر ندبهم ثلاثة أيام وخطب فيهم المثنى ، فاستجاب له أبو عبيد بن مسعود أبو المختار الثقفي (رحمة الله) فذهب المثنى قبله ، وجمعوا لأبي عبيد ألف مقاتل أو أكثر .

ثم وصفت الرواية أوضاع فارس ومعارك المسلمين معهم ، وفيها مناقبية أبي عبيد ونزاهته عن المال الحرام ، وبطولات المثنى ، الذي تحمَّل ثقل المعارك .

وكان أبو عبيد رضي الله عنه من أفضل القادة الذين أمدت بهم الخلافة المثنى ، فهو من نوع عمار وهاشم المرقال وحجر بن عدي شجاعة ونزاهة وتعففاً .

قال الطبري (2/630): «وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم ، وقهرهم الأمم ! قالوا: فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس إلى العراق ، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود ، وسعد بن عبيد الأنصاري.. وتكلم المثنى بن حارثة فقال: يا أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه ، فإنا قد تبحبحنا ريف فارس ، وغلبناهم على خير شِقَّي السواد ، وشاطرناهم ونلنا منهم ، واجترأ مَن قبلنا عليهم ، ولها إن شاء الله ما بعدها . وقام عمر في الناس فقال: إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النعجة ، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك . أين القرَّاء المهاجرون عن موعود الله ، سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها ، فإنه قال: ليظهره على الدين كله . والله مظهر دينه ومعز ناصره ومولي أهله مواريث الأمم..

فلما اجتمع ذلك البعث قيل لعمر: أَمِّر عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين والأنصار. قال: لاوالله لا أفعل إن الله إنما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو فإذا جبنتم وكرهتم اللقاء فأولى بالرياسة منكم من سبق إلى الدفع وأجاب إلى الدعاء . والله لا أؤمر عليهم الا أولهم انتداباً . ثم دعا أبا عبيد وسليطاً وسعداً فقال: أما إنكما لو سبقتماه لوليتكما ولأدركتما بها إلى مالكما من القدمة ، فأمَّر أبا عبيد على الجيش وقال لأبي عبيد: إسمع من أصحاب النبي (صلى الله عليه و آله) وأشركهم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين ، فإنها الحرب والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث ، الذي يعرف الفرصة والكف ».

المعركة الثانية مع الجيش الفارسي معركةالنمارق

11. خاض المثنى وأبو عبيد معركتين ، أبليا فيهما بلاء حسناً: النمارق، والجسر. فقد جاءت بوران ملكة الفرس برستم بن فرخزاد حاكم خراسان ، ونصبته نائباً لها وقائداً عاماً لجيش الفرس لعشر سنين ، وألبسته تاجاً ، ثم عزَّز ذلك ملكهم يزدجرد عندما تَوَّجوه في السنة التي جاء فيها أبو عبيدة الى العراق .

فحرك رستم المرازبة الفرس(حرس الحدود) وقادة الدساكر في العراق ، لينقضوا عقود الصلح ويثوروا على المسلمين ، فسارع الى الثورة قائدان هما جوبان في منطقة النمارق ، والنرسي في منطقة زند رود . وكلاهما قرب واسط .

قال ابن كثير في النهاية (7/35): «فملكوه (يزدجرد) عليهم وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وهو من ولد شهريار بن كسرى ، وعزلوا بوران واستوثقت الممالك له واجتمعوا عليه وفرحوا به وقاموا بين يديه بالنصر أتم قيام واستفحل أمره فيهم وقويت شوكتهم به ، وبعثوا إلى الأقاليم والرساتيق فخلعوا الطاعة للصحابة ونقضوا عهودهم وذممهم ! وبعث الصحابة إلى عمر بالخبر ، فأمرهم عمر أن يتبرزوا من بين ظهرانيهم (يخرجوا من مناطق العراق الزراعية)وليكونوا على أطراف البلاد حولهم على المياه ، وأن تكون كل قبيلة تنظر إلى الأخرى بحيث إذا حدث حدث على قبيلة لا يخفى أمرها على جيرانهم . وتفاقم الحال جداً ، وذلك في ذي القعدة من سنة ثلاث عشرة ».

ص: 211

وقال الطبري (2/634): «وقدم المثنى الحيرة من المدينة في عشر ، ولحقه أبو عبيد بعد شهر فأقام المثنى بالحيرة خمس عشرة ليلة. وكتب رستم إلى الدهاقين للسواد أن يثوروا بالمسلمين ، ودس في كل رستاق رجلاً ليثور بأهله ، فبعث جابان إلى البهقباذ الأسفل ، وبعث نرسي إلى كسكر ووعدهم يوماً وبعث جنداً لمصادمة المثنى ، وبلغ المثنى ذلك فضم إليه مسالحه وحَذِرَ . وعجَّل جابان فثار ونزل النمارق ، وتوالوا على الخروج ، فخرج نرسي زندورد (وكلها ما بين الكوت والكوفة) وثار أهل الرساتيق من أعلى الفرات إلى أسفله ، وخرج المثنى في جماعة حتى ينزل حفان ، لئلا يؤتى من خلفه بشئ يكرهه ، وأقام حين قدم عليه أبو عبيد فكان أبو عبيد على الناس ، فأقام بخفان أياماً ليستجم أصحابه ، وقد اجتمع إلى جابان بشر كثير . وخرج أبو عبيد بعد ما جمَّ الناس وظَهْرُهم (دوابهم) وتعبأ فجعل المثنى على الخيل، وعلى ميمنته والق بن جيدارة ، وعلى ميسرته عمرو بن الهيثم بن الصلت بن حبيب السلمي . وعلى مجنبتي جابان: جشنس ماه ، ومردانشاه . فنزلوا على جابان بالنمارق فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزم الله أهل فارس وأُسِر جابان ، أسره مطر بن فضة التميمي ، وأُسِر مردان شاه ، أسره أكتل بن شماخ العكلي ، فأما أكتل فإنه ضرب عنق مردانشاه ، وأما مطر بن فضة فإن جابان خدعه حتى تفلت منه بشئ فخلى عنه ، فأخذه المسلمون فأتوا به أبا عبيد وأخبروه أنه الملك ، وأشاروا عليه بقتله فقال: إني أخاف الله أن أقتله ، وقد آمنه رجل مسلم ، والمسلمون في التواد والتناصر كالجسد ، ما لزم بعضهم فقد لزمهم كلهم .

ص: 212

فقالوا له إنه الملك ! قال: وإن كان ، لا أغدر ، فتركه... ما تروني فاعلاً معاشر ربيعة ، أيؤمنه صاحبكم وأقتله أنا ! معاذ الله من ذلك .

وقسم أبو عبيد الغنائم وكان فيها عطر كثير ونفل ، وبعث بالأخماس ...

وقال أبو عبيد حين انهزموا وأخذوا نحو كسكر ليلجؤوا إلى نرسي ، وكان نرسي ابن خالة كسرى، وكانت كسكر قطيعة له ، وكان النرسي يحميه لا يأكله بشر ولا يغرسه غيرهم ، أو ملك فارس إلا من أكرموه بشئ منه ، وكان ذلك مذكوراً من فعلهم في الناس، وأن ثمرهم هذا حمى ، فقال له رستم وبوران: إشخص إلى قطيعتك فاحمها من عدوك وعدونا وكن رجلاً ، فلما انهزم الناس يوم النمارق ، ووجهت الفالة نحو نرسي ونرسي في عسكره ، نادى أبو عبيد بالرحيل وقال للمجردة: إتبعوهم حتى تدخلوهم عسكر نرسي ، أو تبيدوهم فيما بين النمارق إلى بارق إلى درتا...

ومضى أبو عبيدة حين ارتحل من النمارق حتى ينزل على نرسي بكسكر ، ونرسي يومئذ بأسفل كسكر، والمثنى في تعبيته التي قاتل فيها جابان ، ونرسي على مجنبتيه ابنا خاله وهما ابنا خال كسرى: بندويه وتيرويه ابنا بسطام ، وأهل باروسما ونهر جوبر والزوابي معه إلى جنده ، وقد أتى الخبر بوران ورستم بهزيمة جابان ، فبعثوا إلى الجالنوس ، وبلغ ذلك نرسي وأهل كسكر وباروسما ونهر جوبر والزاب ، فرجوا أن يلحق قبل الوقعة ، وعاجلهم أبو عبيد فالتقوا أسفل من كسكر بمكان يدعى السقاطية ، فاقتتلوا في صحارى ملس قتالاً شديداً ، ثم إن الله هزم فارس ، وهرب نرسي وغُلب على عسكره وأرضه .

ص: 213

وأخرب أبو عبيد ما كان حول معسكرهم من كسكر ، وجمع الغنائم فرأى من الأطعمة شيئاً عظيماً ، فبعث فيمن يليه من العرب ، فانتقوا ما شاؤوا ، وأخذت خزائن نرسي ، فلم يكونوا بشئ مما خزن أفرح منهم بالنرسيان ، لأنه كان يحميه ويمالؤه عليه ملوكهم فاقتسموه ، فجعلوا يطعمونه الفلاحين وبعثوا بخمسه إلى عمر ، وكتبوا إليه: إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحرمونها ! وأحببنا أن تروها لتذكروا إنعام الله وإفضاله !

وأقام أبو عبيد وسرح المثنى إلى باروسما ، وبعث والقاً إلى الزوابي ، وعاصماً إلى نهر جوبر ، فهزموا من كان تجمع ، وأخرجوا وسبوا وكان مما أخرب المثنى وسبى أهل زندورد وبسريسي ، وكان أبو زعبل من سبى زندورد .

وهرب ذلك الجند إلى الجالنوس ، فكان ممن أسر عاصم أهل بيتيق من نهر جوبر ، وممن أسر والق أبو الصلت ، وخرج فروخ وفرونداذ إلى المثنى يطلبان الجزاء والذمة ، دفعاً عن أرضهم فأبلغهما أبا عبيد.. فأعطياه عن كل رأس أربعة دراهم ، فروخ عن باروسما وفرونداذ عن نهر جوبر، ومثل ذلك لزوابي وكسكر ، وضمنا لهم الرجال عن التعجيل ، ففعلوا وصاروا صلحاً .

وجاء فروخ وفرونداذ إلى أبي عبيد بآنية فيها أنواع أطعمة فارس من الألوان والأخبصة وغيرها ، فقالوا: هذه كرامة أكرمناك بها وقِرى لك . قال: أأكرمتم الجند وقريتموهم مثله؟ قالوا لم يتيسر، ونحن فاعلون ، وإنما يتربصون بهم قدوم الجالنوس وما يصنع.

فقال أبو عبيد: لا حاجة لنا فيه ، بئس المرء أبو عبيد إن صحب قوماً من بلادهم أهرقوا دماءهم دونه أو لم يهريقوا ، فاستأثر عليهم بشئ يصيبه ، لاوالله

لا يأكل مما أفاء الله عليهم ، إلا مثل ما يأكل أوساطهم.. ودخل أبو عبيد باروسما ونزل هو وأصحابه قرية من قراها ، فاشتملت عليهم ، فصنع لأبي عبيد طعام فأتى به ، فلما رآه قال:ما أنا بالذي آكل هذا دون المسلمين. فقالوا له: كل، فإنه ليس من أصحابك أحد إلا وهو يؤتى في منزله بمثل هذا ، أو أفضل. فأكل . فلما رجعوا إليه سألهم عن طعامهم ، فأخبروه بما جاءهم » .

وفي الطبري:2/638: «كان جابان ونرسي استمدا بوران فأمدتهما بالجالنوس في جند جابان ، وأمر أن يبدأ بنرسي ثم يقاتل أبا عبيد بعد ، فبادره أبو عبيد فنهض في جنده قبل أن يدنو ، فلما دنا استقبله أبو عبيد فنزل الجالنوس بباقسياثا من باروسما ، فنهد إليه أبو عبيد في المسلمين وهو على تعبيته ، فالتقوا على باقسياثا فهزمهم المسلمون وهرب الجالنوس. وأقام أبو عبيد قد غلب على تلك البلاد».

وفي تاريخ خليفة/46: «وبعث أبو عبيد المثنى بن حارثة إلى زندورد فحاربوه ، فقتل وسبى » .

وروى الكلاعي في الاكتفاء:2/404، عن المدائني: «وبلغ يزدجرد أن ملك العرب يسير إليه ، فشاور أهل بيته ومرازبته ، فقالوا له: وجه إلى أطرافك فحصنها وأخرج من فيها من العرب ، فوجه جالينوس ورستم وليس بالأزدى ومردان شاه ونرسي ابن خال أبرويز ، وكل واحد فى خمسة آلاف ، وأمرهم أن ينزلوا متفرقين ، ويكون بعضهم قريباً من بعض كل رجل فى أصحابه ، ويمد بعضهم بعضاً إن احتاجوا إلى ذلك ، وأمرهم أن يقتلوا من قدروا عليه من العرب ، فخرجوا والمثنى بالحيرة ، فبلغه مسيرهم ، فخرج لينزل على البلاد ، فلقى على

قنطرة النهرين خرزاذبه فقتله . ومضى المثنى فنزل من وراء أليس ، ونزل العجم متفرقين ، فنزل نرسى كسكر ، ونزل مردان شاه فيما بين سورا وقبين ، ونزل رستم بابل ، ونزل جالينوس بارسمى ، ووجه جالينوس جابان فى ألف إلى أليس ، ووجه أزاذبه إلى الحيرة فى ألف ، وفصل أبو عبيد بن مسعود من المدينة فى ألف وثمان مائة من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فيهم من ثقيف أربع مائة معهم أبو محجن ، كان مع خالد بن الوليد بالشام فلما أتتهم وفاة أبى بكر رجع إلى المدينة ، فخرج مع أبى عبيد ، وانضم إلى أبي عبيد فى الطريق مائة من بنى أسد ، ومائتان من طيئ ومائة من بنى ذبيان بن بغيض ، ومائة من بنى عبس ، معهم خمسة وعشرون فرساً .

وخرج المثنى بن حارثة فى ثلاث مائة وسبعين من بكر بن وائل ، وثلاث مائة من بنى تميم حنظلة وعمرو وسعد والرباب ، فتلقى أبا عبيد ثم أقبل معه حتى نزل عسكره الذى كان فيه ، ووضع عيوناً على المسلحة التى بأليس فأتوه فأعلموه فأخبر أبا عبيد ، فقال له: إن أذنت لي سرت إليهم ، فأذن له وضم إليه ابنه جبر بن أبى عبيد وقال لابنه جبر: لا تخالفه ، فسار المثنى فصبح أليس وهم آمنون فلم يكن بينهم كبير قتال حتى انهزموا ، فأصاب المسلمون سلاحاً ومتاعاً ليس بالكثير ، ورجع إلى أبى عبيد .

ونزل جابان فيما بين الحيرة والقادسية وكتب أبو عبيد إلى عمر بخبر أليس ، فسر المسلمون ونشطوا ، وخرج قوم من المدينة إلى أبي عبيد ، وتقدم أبو عبيد

فلقى جابان فيما بين الحيرة والقادسية ، وجابان فى ألفين معه آزاذبه ، فلم يطل القتال بينهم حتى انهزم المشركون » .

أقول: هكذا سارت عمليات تحرير العراق باطراد في مصلحة المسلمين ، وكان الفضل فيها لإخلاص المثنى وأبي عبيد الثقفي وتضحياتهما ، رضي الله عنهما .

وكان أبو عبيد من أفضل القادة الذين بعثتهم الخلافة الى العراق ، شجاعاً نزيهاً مخلصاً، كعمار وحذيفة والمرقال ، يعيش مع جنوده ويقاتل أمامهم ، ولا يجلس في خيمته كسعد ، ولا يغير ويقتل وينهب ويسبي كخالد ، ولا يسرق الحيوانات من أهل القرى ليطعم جيشه كجرير وأمثاله !

وقد ختم أبو عبيد انتصاراته بخطأ ذريع بسبب عنفوانه وعجلته ، فلا عصمة إلا للمعصومين صلوات الله عليهم ، فقد خيَّره القائد الفارسي في معركة الجسر في العبور، فاختار أبو عبيد أن يعبر هو حتى لايقال إنه خاف ، فعبر بجيشه الى مكان ضيق لا يصلح للمسلمين للقتال ، فكانت معركة صعبة عليهم ، وخسروا أربعة آلاف شهيد وغريق ، واستشهد فيها أبو عبيد نفسه ، وسبعة من خواصه الثقفيين .

معركة الجسر

12. وخاض المثنى وأبو عبيد رضي الله عنهما ، معركة الجسر أو قِسُّ الناطف ، وتسمى أيضاً معركة المروحة ، وسماها الطبري معركة القرقس ، وكانت في أواخر السنة الثالثة عشرة وقيل الرابعة عشرة للهجرة . ووقعت فيها أكبر خسارة على المسلمين وأقساها بسبب إصرار أبي عبيد (رحمة الله) على خطئه العسكري !

قال البلاذري (2/313): (وأقبل رستم ، وهو من أهل الري ، ويقال بل هو من أهل همذان ، فنزل بَرْس (قرب الحلة- معجم البلدان:1/103)ثم سار فأقام بين الحيرة والسيلحين أربعة أشهر ، لايقدم على المسلمين ولا يقاتلهم ، والمسلمون معسكرون بين العذيب والقادسية . وقدَّمَ رستمُ ذا الحاجب فكان معسكراً بطيزناباذ . (قرب الكوفة- معجم البلدان:4/55) وكان المشركون زهاء مئة ألف وعشرين ألفاً ومعهم ثلاثون فيلاً ، ورايتهم العظمى التي تدعى درفش كابيان .

وكان جميع المسلمين ما بين تسعة آلاف إلى عشرة آلاف ، فإذا احتاجوا إلى العلف والطعام أخرجوا خيولاً في البر ، فأغارت على أسفل الفرات ».

و«درفش كابيان:إضافة إلى كابي صاحبها، والدرفش بالفارسية القديمة الراية. وقد حليت بالذهب وأنواع الجواهر الثمينة ، وكانت لا تظهر إلا في حروب عظيمة تنشر على رأس الملك أو ولى عهده ، أو من يقوم مقامه ، فلم تزل معظمة عند جميع ملوكهم إلى أن وجه بها يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس من الساسانية ، مع رستم الآذري لحرب العرب ». (التنبيه والإشراف/76).

ويلفظ الفرس كابي«كاوه» وهو حدادٌ أصفهاني قتل الملك الضحاك ابنيه ، فأخذ حربة وعلق عليها قطعة ودعا الى حرب الضحاك ، فأجابه الناس وقصد الضحاك فقتله ، وملَّك عليهم إفريدون من عقب جمشيد ، فصار لكابي عندهم مقام ، وعظموا رايته وكللوها بالجواهر واليواقيت ، وكان ملوكهم يستفتحون بها في الحرب المهمة حتى غنمها المسلمون في القادسية.(صبح الأعشى:13/297).

ص: 218

وفي الطبري:2/640: «استعمل رستم على حرب أبى عبيد بهمن جاذويه وهو ذو الحاجب ورد معه الجالنوس ومعه الفيلة فيها فيل أبيض عليه النخل ، وأقبل في الدهم وقد استقبله أبو عبيد حتى انتهى إلى بابل ، فلما بلغه انحاز حتى جعل الفرات بينه وبينه فعسكر بالمروحة .

ثم إن أبا عبيد ندم حين نزلوا به وقالوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر ، فحلف ليقطعن الفرات إليهم وليمحصن ما صنع ، فناشده سليط بن قيس ووجوه الناس وقالوا إن العرب لم تلق مثل جنود فارس مذ كانوا ، وإنهم قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزهاء والعدة بما لم يلقنا به أحد منهم ، وقد نزلت منزلاً لنا فيه مجال وملجأ ومرجع ، من فرة إلى كرة . فقال: لا أفعل جبنت والله ! وكان الرسول فيما بين ذي الحاجب وأبى عبيد مردانشاه الخصي ، فأخبرهم أن أهل فارس قد عيروهم! فازداد أبو عبيد مَحْكاً ، ورد على أصحابه الرأي وجبَّن سليطاً فقال سليط: أنا والله أجرأ منك نفساً وقد أشرنا عليك الرأي فستعلم».

وفي تاريخ الطبري (2/641): «أقبل ذو الحاجب حتى وقف على شاطئ الفرات بقس الناطف ، وأبو عبيد معسكر على شاطئ الفرات بالمروحة ، فقال: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم؟ فقال أبو عبيد: بل نعبر إليكم ، فعقد ابن صلوبا الجسر للفريقين جميعاً... ثم نهد بالناس فعبروا وعبروا إليهم ، وعضلت الأرض بأهلها وألحم الناس الحرب . فلما نظرت الخيول إلى الفيلة عليها النخل، والخيل عليها التجافيف ، والفرسان عليهم الشعر ، رأت شيئاً منكراً لم تكن ترى مثله ! فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم لم تقدم خيولهم ، وإذا حملوا على المسلمين بالفيلة والجلاجل(الأجراس) فرقت بين كراديسهم ، لا تقوم لها الخيل

ص: 219

إلا على نفار ، وخزَّقهم الفُرس بالنشَّاب ، وعضَّ المسـلمين الألم ، وجعلوا لا يصـلون إليهم ، فترجل أبو عبيد وترجل الناس ثم مشوا إليهم فصافحوهم بالسيوف ، فجعلت الفيلـة لا تحمل على جماعـة إلا دفعتهم ، فنادى أبو عبيـد: احتوشوا الفيلـة وقطعوا بُطُنها (أحزمتها) وأقلبُوا عنهـا أهلهـا ، وواثب هو الفيـل الأبيض فتعلق ببطانـة فقطعه، ووقع الـذين عليه وفعل القوم مثل ذلك ، فما تركوا فيلاً إلا حطوا رحله وقتلوا أصـحابه ! وأهوى الفيل لأبي عبيد فنفح مشـفره بالسيف فاتقاه الفيل بيده ، وأبو عبيد يتجرثمه فأصابه بيده فوقع ، فخبطه الفيل وقام عليه ، فلما بصـر الناس بأبي عبيد تحت الفيل، خشعت أنفس بعضهم وأخذ اللواء الذي كان أمَّره بعده فقاتل الفيل حتى تنحى عن أبي عبيد فاجترَّه إلى المسلمين وأحرزوا شلوه (جثته)... وتتابع سبعة من ثقيف كلهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت ، ثم أخذ اللواء المثنى وهرب الناس .

فلما رأى عبـد الله بن مرثـد الثقفي ما لقى أبو عبيـد وخلفاؤه وما يصـنع الناس ، بادرهم إلى الجسـر فقطعه وقال: يا أيها الناس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم ، أو تظفروا . وحاز المشركون المسلمين إلى الجسر وخشع ناس فتواثبوا في الفرات فغرق من لم يصبر وأسرعوا فيمن صبر ، وحما المثنى وفرسان من المسـلمين الناس ونادى: يا أيها الناس إنا دونكم فاعبروا على هينتكم ولا تـدهشوا ، فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ، ولا تغرقوا أنفسكم .

فعبروا الجسـروعبد الله بن مرثد قائم عليه يمنع الناس من العبور ، فأخذوه فأتوا به المثنى فضـربه وقال: ما حملك على الذي صـنعت؟ قال: ليقاتلوا .

ونادى من عبر فجاؤوا بعلوج فضموا إلى السفينة التي قطعت سفائنها ، وعبر الناس ، وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس .

وعبر المثنى وحمى جانبه فاضطرب عسكره ، ورامهم ذو الحاجب فلم يقدر عليهم ، فلما عبر المثنى ارفضَّ عنه أهل المدينة حتى لحقوا بالمدينة ، وتركها بعضهم ونزلوا البوادي ، وبقي المثنى في قلة... هلك يومئذ أربعة آلاف بين قتيل وغريق، وهرب ألفان وبقي ثلاثة آلاف ، وأتى ذا الحاجب الخبر باختلاف فارس فرجع بجنده ، وكان ذلك سبباً لارفضاضهم عنه ، وجرح المثنى وأثبت فيه حلق من درعه هتكهن الرمح ».

وفي رواية خليفة بن خياط/91: « وبدأت المعركة واقتتلوا أعظم قتال ، فقتل أبو عبيد ، وقتل عدد كبير من المسلمين ، قيل إنه بلغ أربعة آلاف ، وبعضهم مات غرقاً ، فاضطرَّ المثنى وحذيفة الى الإنسحاب بالباقين ».

وجاء في رواية البلاذري:2/308: « فقال سليط بن قيس: يا أبا عبيد ، قد كنت نهيتك عن قطع هذا الجسر إليهم وأشرت عليك بالإنحياز إلى بعض النواحي.. فأبيت! وقاتل سليط حتى قتل... وقاتل عروة بن زيد الخيل يومئذ قتالاً شديداً عُدل بقتال جماعة ، وقاتل أبو زبيد الطائي الشاعر حمية للمسلمين بالعربية ، وكان أتى الحيرة في بعض أموره وكان نصرانياً. وأتى المثنى أليس فنزلها، وكتب إلى عمر بن الخطاب بالخبر مع عروة بن زيد . وكانت وقعة الجسر يوم السبت آخر شهر رمضان سنة ثلاث عشرة».

وجاء في رواية ابن الأعثم:1/134: «ذكر وقعة الجسر، وهي أول وقعة للمسلمين مع الفرس...وتقدمت قبيلة من الفرس ومعهم فيل لهم يقال له الأصم على

ظهره قبة ديباج ، فيها قائد من قواد كسرى يقال له شهريار وهو أخو رستم. قال: فلما نظرت خيل المسلمين إلى ذلك الفيل كأنها فزعت منه ، ونظر أبو عبيـد إلى ذلك الفيل فتهيأ للحملـة عليه.. فقال سـليط بن قيس: أيها الأمير! ما تريد أن تصـنع؟ قال: أريد أن أحمل على هذا الفيل حملة وأضـرب خرطومه بسيفي فأقتله إن شاء الله تعالى! قال سليط: أيها الأمير ! دع عنك هذا الفيل فلك في غيره سعة فقال أبو عبيد: ما أريد سواه ولا أقصد غيره ، ثم قال أبو عبيد: إقرأ على قبر محمد (صلى الله عليه و آله) مني السلام ، ثم قال: يا معشر المسلمين أنظروا إن أنا قتلت فأميركم من بعدي وهب ابني، فإن أصـيب فابني مالك ، فإن أصـيب فابني جبر، فإن أصيب فسليط بن قيس ، فإن أصيب فأبو محجن الثقفي، فإن أصـيب فالمثنى بن حارثة ، فإن أصـيب فأمر بعضـكم إلى بعض. ثـم تقدم راجلاً بسيفه نحو الفيل ثم حمل على الفيل فضرب خرطومه ضربـة فقطعه ، وذهب ليولي إلى عسـكره فعـثر على وجهه ، ووقع عليه الفيـل فحطمه رحمـة الله عليه... واشـتبك الحرب وكـثر القتـل في المسلمين ، ثم وقعت الهزيمة ..

وأفلت رجل يقال له معاذ بن حصـين الأنصاري ، فمرَّ على وجهه يقطع البلاد حتى صار إلى المدينـة ، فدخل إلى عمر بن الخطاب.. فقال: أنعى إليك أبـا عبيـد وأنعي إليـك بنيه الثلاثـة وهباً ومالكاً وجبراً ، وأنعى إليك سـليط بن قيس الأنصاري وفلاناً وفلاناً ، فلم يزل يعـد وجوه المهـاجرين والأنصـار ، فقال له عمر: فالمثنى بن حارثـة الشـيباني ما حاله؟ فقال: تركته جريحاً يا أمير المؤمنين . قال: فضـج الناس بالبكاء والنحيب ».

ص: 222

وقال البلاذري:2/310: «مكث عمر بن الخطاب سنة لا يذكر العراق لمصاب أبى عبيد وسليط. وكان المثنى بن حارثة مقيماً بناحية أليس يدعو العرب إلى الجهاد . ثم إن عمر ندب الناس إلى العراق فجعلوا يتحامونه ويتثاقلون عنه ، حتى هم أن يغزو بنفسه . وقدم عليه خلق من الأزد يريدون غزو الشام ، فدعاهم إلى العراق ورغبهم في غناء آل كسرى ، فردوا الإختيار إليه فأمرهم بالشخوص . وقدم جرير بن عبد الله من السراة في بجيلة، فسأل أن يأتي العراق على أن يعطيه وقومه ربع ما غلبوا عليه . فأجابه عمر إلى ذلك فسار نحو العراق ».

13. واصل المثنى جهاده بعد معركة الجسر مباشرة ، فأسر قائدين من الفرس ! وهذا أيضاً يضعف روايتهم بأنه أصيب في معركة الجسر، ومات بسبب جراحه! قال الطبري (2/643): «خبر أليس الصغرى.. وخرج جابان ومردانشاه حتى أخذا بالطريق وهم يرون أنهم (المسلمين) سيرفضون ولا يشعرون بما جاء ذا الحاجب من فرقة أهل فارس . فلما ارفضَّ أهل فارس وخرج ذو الحاجب في آثارهم ، وبلغ المثنى فعلة جابان ومردانشاه ، استخلف على الناس عاصم بن عمرو ، وخرج في جريدة خيل يريدهما ، فظنا أنه هارب فاعترضاه ، فأخذهما أسيرين ! وخرج أهل أليس على أصحابهما فأتوه بهم أسراء وعقد لهم بها ذمة . وقدمهما وقال أنتما غررتما أميرنا وكذبتماه واستفززتماه ، فضرب أعناقهما وضرب أعناق الأسراء ». ونهاية الإرب:19/185.

ص: 223

أقول: قام المثنى بعملية جريئة فذهب بمجموعة من فرسانه ، وأسر قائدين كانا يحكمان منطقة أليس المهمة ، وبعث الى بلدهما بالخبر ، وطلب وفداً منهم ليعقد معهم صلحاً ، وعقد الصلح ، ثم قتل القائدين والأسرى الذين كانوا معهما .

واتخذ المثنى بلدة ألِّيس مقراً لقيادته ، وواصل عملياته واستعداده للحرب ، لأن الفرس كانت تتهيأ . قال البلاذري:2/308: «وأتى المثنى أليس فنزلها (بعد وقعة الجسر) وكتب إلى عمر بن الخطاب بالخبر ، مع عروة بن زيد ».

المثنى يقود معركة البويب بجدارة

14. وأمدَّ عمر المثنى بجرير سنة 13بعد معركة الجسر، وقبيل معركة البويب. قال البلاذري:2/311 ، وابن سلام في الأموال/79: «أخبرني الشعبي أن عمر وجه جرير بن عبد الله إلى الكوفة بعد قتل أبي عبيد أول من وجه ، قال: هل لك في العراق وأنفلك الثلث بعد الخمس؟ قال: نعم » !

وقال ابن الأعثم:1/136 : «فسار جرير بن عبد الله من المدينة في سبع مائة رجل حتى صار إلى العراق فنزلها، وبلغ ذلك المثنى بن حارثة الشيباني فكتب إليه:

أما بعد يا جرير فإنا نحن الذين أقدمنا المهاجرين والأنصار من بلدهم ، وأقمنا نحن في نحر العدو نكابدهم ليلاً ونهاراً ، وإنما أنت مدد لنا، فما انتظارك رحمك الله لا تصير إلينا؟ فصر إلينا وكثِّرنا بأصحابك ، فإن زعمت أنك رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) لايلي عليك إلا من كان مثلك ، فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولى أبا عبيد بن مسعود الثقفي على المهاجرين والأنصار فلما

حضرته وفاته قد كان ولاني ، ولو علم أني لا أقوم مقامه ما فعل، فرأيك أبا عمرو فيما كتبت إليك ، والسلام .

قال: فكتب إليه جرير: أما بعد فقد ورد كتابك عليَّ فقرأته وفهمته ، فأما ما ذكرت أنك الذي قدمت المهاجرين والأنصار إلى حرب العدو، فصدقت وليتك لم تفعل . وأما قولك: إن المهاجرين والأنصار لحقوا ببلدهم ، فإنه لما قتل أميرهم لحقوا بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وأما ما ذكرت أنك أقمت في نحر العدو فإنك أقمت في بلدك ، وبلدك أحب إليك من غيره .

وأما ما سألتني من المصير إليك ، فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لم يأمرني بذلك ، فكن أنت أميراً على قومك ، وأنا أمير على قومي. والسلام .

قال: وجرى بينهما اختلاف وبلغ ذلك عمر، فجمع المهاجرين والأنصار وشاورهم في أن يصير إلى العراق بنفسه ، فكلٌّ أشار عليه بذلك.. وقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال.. الرأي عندي أن لا تصير إلى العراق بنفسك».

ثم ذكر ابن الأعثم أن علياً (عليه السلام) أشار على عمر أن يبعث سعد بن أبي وقاص فبعثه. وهذا بعيد ، لأن رأي علي (عليه السلام) في سعد كان سيئاً، وكان لا يراه شجاعاً .

ومعنى قول المثنى: «فإن زعمت أنك رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) لا يلي عليك إلا من كان مثلك» ، فهو تنزل من المثنى لأنه لايعرف أن جريراً أسلم قبل وفاة النبي (صلى الله عليه و آله) بأربعين يوماً ! والمثنى صحابي وفد على النبي (صلى الله عليه و آله) وسمع منه .

ويظهر من قول جرير: «فأما ما ذكرت أنك الذي قدمت المهاجرين والأنصار إلى حرب العدو، فصدقت وليتك لم تفعل» ! على شدة تأثير هزيمة معركة الجسر

عليهم ، وأن رأي عمر أن المثنى أخطأ وورط المسـلمين في فتح العراق ! وهذا يفتح الباب لأن يكون المثنى قتل غيلة ، ولم يجرح في معركة الجسر كما زعموا .

15. وأدار المثنى خلافه مع جرير ، حتى شارك ومن معه في معركة البويب . قال الطبري:2/644: «وبعث المثنى بعد الجسر فيمن يليه من المُمِدِّين ، فتوافوا إليه في جمع عظيم . وبلغ رستم والفيرزان ذلك ، وأتتهم العيون به وبما ينتظرون من الإمداد . واجتمعا على أن يبعثا مهران الهمذاني حتى يريا من رأيهما ، فخرج مهران في الخيول ، وأمراه بالحيرة . وبلغ المثنى الخبر وهو معسكر بمرج السباخ بين القادسية وخفان ، في الذين أمدوه من العرب عن خبر بشير وكنانة وبشير يومئذ بالحيرة ، فاستبطن فرات بادقلى وأرسل إلى جرير ومن معه:

إنا جاءنا أمر لم نستطع معه المقام حتى تقدموا علينا ، فعجلوا اللحاق بنا وموعدكم البويب ، وكان جرير ممداً له .

وكتب إلى عصمة ومن معه وكان ممداً له بمثل ذلك ، وإلى كل قائد أظله بمثل ذلك ، وقال: خذوا على الجوف فسلكوا القادسية والجوف، وسلك المثنى وسط السواد فطلع على النهرين ، ثم على الخورنق. وطلع عصمة على النجف ومن سلك معه طريقه . وطلع جرير على الجوف ومن سلك معه طريقه..

فاجتمع عسكر المسلمين على البويب مما يلي موضع الكوفة اليوم ، وعليهم المثنى وهم بإزاء مهران وعسكره ، فقال المثنى لرجل من أهل السواد: ما يقال للرقعة التي فيها مهران وعسكره؟ قال: بسوسيا فقال: أكدى مهران وهلك ! نزل منزلاً هو البسوس ! وأقام بمكانه حتى كاتبه مهران ، إما أن تعبروا إلينا

وإما أن نعبر إليكم ، فقال المثنى: أعبروا ، فعبر مهران فنزل على شاطئ الفرات معهم في الملطاط ، فقال المثنى لذلك الرجل: ما يقال لهذه الرقعة التي نزلها مهران وعسكره؟ قال: شوميا . وذلك في رمضان، فنادى في الناس: إنهدوا لعدوكم فتناهدوا ، وقد كان المثنى عبى جيشه فجعل على مجنبتيه مذعوراً والنسير وعلى المجردة عاصماً ، وعلى الطلائع عصمة ، واصطف الفريقان وقام المثنى فيهم خطيباً فقال: إنكم صُوَّام ، والصوم مَرَقَّةٌ ومَضْعَفَةٌ ، وإني أرى من الرأي أن تفطروا ثم تقووا بالطعام على قتال عدوكم . قالوا: نعم ، فأفطروا . فأبصر رجلاً يستوفز ويستنتل من الصف فقال: ما بال هذا؟ قالوا: هو ممن فر من الزحف يوم الجسر ، وهو يريد أن يستقتل ، فقرعه بالرمح وقال: لا أباً لك إلزم موقفك ، فإذا أتاك قرنك فأغنه عن صاحبك ، ولا تستقتل . قال: إني بذلك لجدير ، فاستقر ولزم الصف .

وروى الطبري(2/653): «فأقبلوا إلى المسلمين في صفوف ثلاثة ، مع كل صف فيل ورَجْلُهم أمام فيلهم ، وجاؤا ولهم زجل، فقال المثنى للمسلمين: إن الذي تسمعون فشل، فالزموا الصمت وائتمروا همساً ، فدنوا من المسلمين وجاؤوهم من قبل نهر بني سليم.. وكان على مجنبتي المثنى بسربن أبى رهم ، وعلى مجردته المعنى وعلى الرجل مسعود (وهما أخو المثنى)وعلى الطلائع قبل ذلك اليوم النسير ، وعلى الردء مذعور (العجلي). وكان على مجنبتي مهران: بن الآزاذ به مرزبان الحيرة ، ومردانشاه .

ص: 227

ولما خرج المثنى طاف في صفوفه يعهد إليهم عهده ، وهو على فرسه الشموس وكان يدعى الشموس من لين عريكته وطهارته ، فكان إذا ركبه قاتل وكان لا ـ يركبه إلا ـ لقتال يودعه ما لم يكن قتال ، فوقف على الرايات راية يحضضهم ويأمرهم بأمره ويهزهم بأحسن ما فيهم تحضيضاً لهم، ولكلهم يقول: إني لأرجو أن لا تؤتى العرب اليوم من قبلكم ، والله ما يسرني اليوم لنفسي شئ إلا وهو يسرني لعامتكم ، فيجيبونه بمثل ذلك . وأنصفهم المثنى في القول والفعل وخلط الناس في المكروه والمحبوب فلم يستطع أحد منهم أن يعيب له قولاً ولا عملاً. ثم قال: إني مكبر ثلاثاً فتهيؤوا ثم احملوا مع الرابعة . فلما كبر أول تكبيرة أعجلهم أهل فارس وعاجلوهم فخالطوهم مع أول تكبيرة ، وركدت حربهم ملياً فرأى المثنى خللاً ـ في بعض صفوفه ، فأرسل إليهم رجلاً ـ وقال إن الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول: لا تفضحوا المسلمين اليوم! فقالوا: نعم واعتدلوا ، وجعلوا قبل ذلك يرونه وهو يمد لحيته لما يرى منهم فاعتنوا بأمر لم يجئ به أحد من المسلمين يومئذ ، فرمقوه فرأوه يضحك فرحاً والقوم بنو عجل، فلما طال القتال واشتد عمد المثنى إلى أنس بن هلال فقال: يا أنس إنك امرؤ عربي ، وإن لم تكن على ديننا ، فإذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي ! وقال لابن مردى الفهر مثل ذلك فأجابه ، فحمل المثنى على مهران فأزاله حتى دخل في ميمنته ، ثم خالطوهم واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنبات تقتتل لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم ، لا المشركون ولا المسلمون ، وارتث مسعود يومئذ وقواد من قواد المسلمين ، وقد كان قال لهم إن رأيتمونا أصبنا فلا

تـدعوا مـا أنتم فيه ، فإن الجيش ينكشف ثم ينصـرف ، إلزموا مصافكم وأغنوا غناء من يليكم . وأوجع قلب المسـلمين في قلب المشـركين ، وقتل غلام من التغلبيين نصراني مهران ، واستوى على فرسه فجعل المثنى سلبه لصاحب خيله وكذلك إذا كان المشرك في خيل رجل فقتل وسلب فهو للذي هو أمير على من قتل ، وكان له قائدان فاقتسما سلاحه ، أحدهما جرير ، والآخر ابن الهوبر ».

وفي الطبري(2/649):«جلب فتيـة من بنى تغلب أفراسـاً ، فلما التقى الزحفان يوم البويب قالوا: نقاتل العجم مع العرب ، فأصاب أحـدهم مهران يومئذ ومهران وتقدم ذلك في ترجمة جرير ..

عن أبي روق قـال:والله إن كنا لنأتي البويب فنرى فيما بين موضع السـكون وبنى سـليم عظاماً بيضاً تلولاً ، تلوح من هامهم وأوصالهم يعتبر بها.

عن محمد وطلحة قالا: وقف المثنى عند ارتفاع الغبار حتى أسـفر الغبار وقد فنى قلب المشركين والمجنبات قد هز بعضها بعضاً ، فلما رأوه وقـد أزال القلب وأفنى أهله قويت المجنبـات مجنبات المسـلمين على المشـركين ، وجعلوا يردون الأعاجم على أدبارهم ، وجعل المثنى والمسـلمون في القلب يدعون لهم بالنصـر ويرسل عليهم من يذمرهم ، ويقول إن المثنى يقول: عاداتكم في أمثالهم، أنصروا الله ينصركم . حتى هزموا القوم فسـابقهم المثنى إلى الجسـر فسـبقهم ، وأخـذ الأعـاجم فـافترقوا بشاطئ الفرات مصـعدين ومصوبين ، واعتورتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم ثم جعلوهم جُثَىً (بضم الجيم كومة التراب)! فما كانت بين العرب والعجم وقعة كانت أبقى رِمَّةً منها .

ص: 229

ولما ارتث مسعود بن حارثة يومئذ وكان صرع قبل الهزيمة ، فتضعضع من معه فرأى ذلك وهو دنف قال: يا معشر بكر بن وائل إرفعوا رايتكم ، رفعكم الله ، لا يهولنكم مصرعي! وقاتل أنس بن هلال النمري يومئذ حتى ارتث ، ارتثه المثنى(مَرَّضه) وضمه وضم مسعوداً إليه .

وقاتل قرط بن جماح العبدي يومئذ حتى دق قنى وقطع أسيافاً ، وقتل شهربراز من دهاقين فارس وصاحب مجردة مهران .

قال: ولما فرغوا جلس المثنى للناس من بعد الفراغ يحدثهم ويحدثونه ، وكلما جاء رجل فتحدث قال له: أخبرني عنك ، فقال له قرط بن جماح: قتلت رجلاً فوجدت منه رائحة المسك ، فقلت مهران ورجوت أن يكون إياه ، فإذا هو صاحب الخيل شهربراز ، فوالله ما رأيته إذ لم يكن مهران ، شيئاً !

فقال المثنى: قد قاتلت العرب العجم في الجاهلية والإسلام ، والله لمائة من العجم في الجاهلية كانوا أشد على من ألف من العرب . ولمائة اليوم من العرب أشد على من ألف من العجم ! إن الله أذهب مصدوقتهم وأوهن كيدهم ، فلا يروعنكم زهاء ترونه ، ولا سواد ولا قسى فج ، ولا نبال طوال ، فإنهم إذا أعجلوا عنها أو فقدوها كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت !

وقال ربعي وهو يحدث المثنى: لما رأيت ركود الحرب واحتدامها قلت: تترسوا بالمجان ، فإنهم شادُّون عليكم فاصبروا لشدتين ، وأنا زعيم لكم بالظفر في الثالثة ، فأجابوني والله فوفى الله كفالتي .

وقال ابن ذي السهمين محدثاً: قلت لأصحابي إني سمعت الأمير يقرأ ويذكر في قراءته الرعب ، فما ذكره إلا لفضل عنده ، إقتدوا برايتكم وليحم راجلكم خيلكم ، ثم احملوا فما لقول الله من خلف ، فأنجز الله لهم وعده وكان كما رجوت . وقال عرفجة محدثاً: حُزْنا كتيبةً منهم الفرات ، ورجوت أن يكون الله تعالى قد أذن في غرقهم وسلى عنها بها مصيبة الجسر ، فلما دخلوا في حد الإحراج كروا علينا فقاتلناهم قتالاً ـ شديداً حتى قال بعض قومي لو أخرت رايتك فقلت عليَّ إقدامُها وحملت بها على حاميتهم فقتلته ، فولوا نحو الفرات فما بلغه منهم أحد فيه الروح !

وقال ربعي بن عامر بن خالد: كنت مع أبي يوم البويب ، قال وسمى البويب يوم الأعشار: أحصى مائة رجل قتل كل رجل منهم عشرة في المعركة يومئذ!

وكان عروة بن زيد الخيل من أصحاب التسعة ، وغالب من بنى كنانة من أصحاب التسعة ، وعرفجة من الأزد من أصحاب التسعة .

وقُتل المشركون فيما بين السكون اليوم ، إلى شاطئ الفرات ضفة البويب الشرقية ، وذلك أن المثنى بادرهم عند الهزيمة الجسر فأخذه عليهم ، فأخذوا يمنة ويسرة ، وتبعهم المسلمون إلى الليل ومن الغد إلى الليل. وندم المثنى على أخذه بالجسر وقال: لقد عجزت عجزة وقى الله شرها ، بمسابقتي إياهم إلى الجسر وقطعه حتى أحرجتهم ، فإني غير عائد فلا تعودوا ولا تقتدوا بي أيها الناس ، فإنها كانت منى زلة لا ينبغي إحراج أحد ، إلا من لا يقوى على امتناع .

ومات أناس من الجرحى من أعلام المسلمين ، منهم خالد بن هلال ومسعود بن حارثة فصلى عليهم المثنى ، وقدمهم على الأسنان والقرآن وقال: والله إنه ليهون على وجدى أن شهدوا البويب ، أقدموا وصبروا ولم يجزعوا ولم ينكلوا».

ويدلك كلام المثنى هذا على أخلاقيته ومناقبيته ، فهو يعتبر أن استيلاءه على الجسر ومنعه عدوه من الفرار ، خطيئة وعمل غير أخلاقي يوصي المسلمين أن لا يرتكبوه !

وقال الطبري(2/647): «وقدم أنس بن هلال النمري ممداً للمثنى ، في أناس من النمر نصارى وجلاب ، جلبوا خيلاً . وقدم ابن مردى الفهر التغلبي في أناس من بنى تغلب نصارى وجلاب جلبوا خيلاً ، وهو عبد الله بن كليب بن خالد وقالوا حين رأوا نزول العرب بالعجم: نقاتل مع قومنا ».

وجاء في رواية ابن كثير في النهاية:7/35:«فلما سمع بذلك أمراء الفرس، وبكثرة جيوش المثنى، بعثوا إليه جيشاً آخر مع رجل يقال له مهران ، فتوافوا هم وإياهم بمكان يقال له البويب ، قريب من مكان الكوفة اليوم..

وقال المثنى لهم: إني مكبر ثلاث تكبيرات فتهيؤوا ، فإذا كبرت الرابعة فاحملوا، فقابلوا قوله بالسمع والطاعة والقبول ، فلما كبر أول تكبيرة عاجلتهم الفرس فحملوا حتى غالقوهم واقتتلوا قتالاً شديداً ، ورأى المثنى في بعض صفوفه خللاً فبعث إليهم رجلا يقول: الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: لا ـ تفضحوا العرب اليوم ! فاعتدلوا . فلما رأى ذلك منهم وهم بنو عجل أعجبه وضحك وبعث إليهم يقول: يامعشر المسلمين عاداتكم ، أنصروا الله ينصركم..

فلما طالت مدة الحرب جمع المثنى جماعة من أصحابه الأبطال يحمون ظهره ، وحمل على مهران فأزاله عن موضعه حتى دخل الميمنة ، وحمل غلام من بني تغلب نصراني فقتل مهران وركب فرسه...وهربت المجوس وركب المسلمون أكتافهم يفصلونهم فصلاً.. بقية ذلك اليوم وتلك الليلة ، ومن بعد إلى الليل فيقال إنه قتل منهم يومئذ وغرق قريب من مائة ألف ولله الحمد والمنة...

وذلت لهذه الوقعة رقاب الفرس، وتمكن الصحابة من الغارات في بلادهم فيما بين الفرات ودجلة ، فغنموا شيئاً عظيماً لا يمكن حصره... وكانت هذه الواقعة بالعراق نظير اليرموك بالشام» .

وقال ابن خلدون في تاريخه:2 ق2/90: «وكتب (المثنى) بالخبر إلى جرير وعصمة أن يقصدا العذيب مما يلي الكوفة ، فاجتمعوا هنالك ، ومهران قبالتهم عَدْوَةَ الفرات وتركوا له العبور فأجاز إليهم.. ثم حمل المثنى على مهران فأزاله عن مركزه وأصيب مسعود أخو المثنى وخالط المثنى القلب ، ووثبت المجنبات على المجنبات قبالتهم – فانهزمت الفرس وسبقهم المثنى إلى الجسر فهربوا مصعدين ومنحدرين ، واستلحمتهم خيول المسلمين ، وقتل فيها مائة ألف أو يزيدون وأحصى مائة رجل من المسلمين قتل كل واحد منهم عشرة ، وتبعهم المسلمون إلى الليل ، وأرسل المثنى في آثار الفرس فبلغوا ساباط ، فغنموا وسبوا ساباط واستباحوا القرى وسخروا السواد بينهم وبين دجله ، لا يلقون مانعاً ».

16. بعد انتصاره في معركة البويب، بسط المثنى غاراته ونفوذه على أكثر العراق،

قال الطبري(2/652): «كان أول الناس انتدب يومئذ للمثنى واتبع آثارهم المستبسل وأصحابه ، وقد كان أراد الخروج بالأمس إلى العدو من صف المسلمين واستوفز واستقتل، فأمر المثنى أن يعقد لهم الجسر، ثم أخرجهم في آثار القوم واتبعتهم بخيله ، وخيول من المسلمين تغذ من كل فارس ، فانطلقوا في طلبهم حتى بلغوا السيب...وألقى الله الرعب في قلوب أهل فارس وكتب القواد الذين قادوا الناس في الطلب إلى المثنى ، وكتب عاصم وعصمة وجرير: إن الله عز وجل قد سلم وكفى ووجه لنا ما رأيت ، وليس دون القوم شئ ، فتأذن لنا في الإقدام؟ فأذن لهم فأغاروا حتى بلغوا ساباط ، وتحصن أهل ساباط منهم . واستباحوا القريات دونها ، وراماهم أهل الحصن بساباط عن حصنهم ، وكان أول من دخل حصنهم ثلاثة قواد عصمة وعاصم وجرير ، وقد تبعتهم أوزاع من الناس كلهم ثم انكفؤا راجعين إلى المثنى ...

وقد كان المثنى وعصمة وجرير أصابوا في أيام البويب على الظهر نَزْل مهران غنماً ودقيقاً وبقراً ، فبعثوا بها إلى عيالات من قدم من المدينة وقد خلفوهن بالقوادس ، وإلى عيالات أهل الأيام قبلهم وهم بالحيرة ، وكان دليل الذين ذهبوا بنصيب العيالات الذين بالقوادس عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة ، فلما رفعوا للنسوة فرأين الخيل يصايحن حسبنها غارة ، فقمن دون الصبيان بالحجارة والعمد ! فقال عمرو: هكذا ينبغي لنساء هذا الجيش ، وبشروهن بالفتح وقالوا هذا أوله وعلى الخيل التي أتتهم بالنزل النسير . وأقام في خيله حامية لهم ورجع عمرو بن عبد المسيح فبات بالحيرة ».

ص: 234

وقال الطبري(2/653): «عن عطية بن الحارث قال: لما أهلك الله مهران استمكن المسلمون من الغارة على السواد فيما بينهم وبين دجلة ، فمخروها لا يخافون كيداً ولا يلقون فيها مانعاً.وانتقضت مسالح العجم فرجعت إليهم ، واعتصموا بساباط ، وسرهم أن يتركوا ما وراء دجلة ، وكانت وقعة البويب في رمضان سنة ثلاث عشرة، قتل الله عليه مهران وجيشه وأفعموا جنبتي البويب عظاماً حتى استوى وما عفى عليها إلا التراب...وكان مغيضاً للفرات أزمان الأكاسرة يصب في الجوف . وقال الأعور العبدي الشني:

هاجت لأعور دار الحي أحزانا *** واستبدلت بعد عبد القيس حسانا

وقد أرانا بها والشمل مجتمعٌ *** إذ بالنخيلة قتلى جند مهرانا

إذ كان سار المثنى بالخيول لهم *** فقتَّل الزحف من فرس وجيلانا

سما لمهران والجيش الذي معه *** حتى أبادهم مثنى ووحدانا

وجاء في رواية في الأخبار الطوال/114: «وزحف الفريقان بعضهم لبعض، ولهم زجل كزجل الرعد ، وحمل المثنى في أول الناس... وصدقتهم العجم القتال، فجال المسلمون جولة (انهزموا) فقبض المثنى على لحيته وجعل ينتف ما تبعه منها، من الأسف (خاف أن تتكرر معركة الجسر) ونادى: أيها الناس إليَّ إليَّ ، أنا المثنى! فثاب المسلمون فحمل بالناس ثانية ، وإلى جانبه مسعود بن حارثة أخوه ، وكان من فرسان العرب فقتل مسعود ، فنادى المثنى: يا معشر المسلمين ، هكذا مصرع خياركم ، إرفعوا راياتكم .

وحض عـدي بن حاتم أهل الميسـرة ، وحرض جرير أهل القلب وذمرهم وقال لهم: يا معشـر بجيلـة ، لا يكونن أحد أسـرع إلى هذا العدو منكم ، فإن لكم في هذه البلاد إن فتحها الله عليكم حظوة ليست لأحد من العرب ، فقاتلوهم التماس إحدى الحسنيين . فتداعى المسلمون وتحاضوا وثاب من كان انهزم ، ووقف الناس تحت راياتهم ثم زحفوا ، فحمل المسـلمون على العجم حملة صدقوا الله فيها ، وباشـر مهران الحرب بنفسه وقاتل قتالاً شديداً وكان من أبطال العجم ، فقتل مهران وذكروا أن المثنى قتله ، فانهزمت العجم لما رأوا مهران صريعاً واتبعهم المسـلمون ، وعبـد الله بن سـليم الأزدي يقدمهم، واتبعه عروة بن زيد الخيل ، فصار المسـلمون إلى الجسـر وقد جازه بعض العجم وبقي بعض ، فصار من بقى منهم في أيدي المسـلمين ، ومضت العجم حتى لحقوا بالمدائن ، وانصرف المسلمون إلى معسكرهم ، فقال عروة بن زيد الخيل في ذلك.. (وذكر الأبيات المتقدمة وبعدها):

ما إن رأينا أميراً بالعراق مضى *** مثل المثنى الذي من آل شيبانا

إن المثنى الأمير القرم لا كذب *** في الحرب أشجع من ليث بخفانا

قالوا:ولما أهلك الله مهران ومن كان معه من عظماء العجم ، اسـتمكن المسلمون من الغارة في السواد ، وانتقضت مسالح الفرس ، وتشتت أمرهم واجترأ المسلمون عليهم ، وشنوا الغارات ما بين سورا وكسكر والصراة إلى الفلاليج والأستانات».

وقال الطبري(2/657): «فلما رجع المثنى إلى الأنبار سرح فرات بن حيان وعتيبة بن النهاس ، وأمرهما بالغارة على أحياء من تغلب والنمر بصفين ، ثم اتبعهما وخلف على الناس عمرو بن أبي سلمى الهجيمي ، فلما دنوا من صفين افترق المثنى وفرات وعتيبة وفر أهل صفين ، وعبروا الفرات إلى الجزيرة ...

فخرج المثنى على مقدمته في غزواته هذه بعد البويب كلها حذيفة بن محصن الغلفاني ، وعلى مجنبتيه النعمان بن عوف بن النعمان مطر الشيبانيان ، فسرح في أدبارهم حذيفة واتبعه فأدركوهم بتكريت دوينها من حيث طلبوهم يخوضون الماء ، فأصابوا ما شاؤوا من النعم.. حتى أغاروا على صفين وبها النمر وتغلب متساندين فأغاروا عليهم حتى رموا بطائفة منهم في الماء » !

عمر يعزل المثنى في أوج انتصاراته !

17. كان عمر لا يطيق ظهور شخص ناجح قوي ، خاصة إذا كان يوالي غيره ، ولذلك كان يكره المثنى! فقد روى ابن عساكر (16/261) بسند صحيح عندهم عن ابن عباس أنه كان يقول في خلافة أبي بكر: « أما والله لئن صير الله هذا الأمر إليَّ ، لأعزلن المثنى بن حارثة عن العراق ، وخالد بن الوليد عن الشام ، حتى يعلما إنما نصر الله دينه ليس إياهما ما نصر»! وهو نص في أن المثنى هو الوالي على العراق !

وفي تاريخ خليفة/81: «بويع عمر بن الخطاب فعزل خالد بن الوليد عن الشام ، والمثنى بن حارثة عن ناحية السواد سواد الكوفة » !

وفي الإصابة:5/569: «وللمثنى أخبار كثيرة في الفتوح ساقها سيف والطبري والبلاذري وغيرهم . وذكر ثابت في الدلائل أن عمر كان يسميه: مُؤَمِّرُ نَفْسِهِ».

يقصد عمر أن المثنى بادر الى تحرير العراق دون أن يأخذ إجازة من الخليفة، لكن أبا بكر كان معجباً بعمل المثنى ، وقد اعتمده ونصبه والياً وقائداً . وقد يكون سبب كره عمر للمثنى موالاة المثنى لعلي (عليه السلام) . والسبب الذي ذكره عمر غير مقنع وهو أن المثنى وخالداً قد أعجبا بنفسيهما وأخذهما الغرور بما حققاه من انتصارات فيجب تأديبهما !

لكن المثنى كان يباشر الحرب بنفسه ، ولم يكن مغروراً . أما خالد فكان يستعمل الخديعة والغدر ولا يقاتل بنفسه ، بل يفر من المعركة كما بيناه في حرب طليحة وحرب اليمامة ، ثم ينسب انتصارات المسلمين الى نفسه .

والصحيح أن عزلهما لأسباب أخرى ، وقد ذكروا أن السبب الحقيقي لعزل عمر لخالد عداوتهما من شبابهما !

قال ابن كثير في النهاية(7/ 131): «اصطرع عمر وخالد وهما غلامان ، وكان خالد ابن خال عمر (نفى خالد ذلك) فكسر خالد ساق عمرفعولجت وجبرت ، وكان ذلك سبب العداوة بينهما » .

ويضاف اليه أن خالداً كان يسخر من حنتمة أم عمر ويسميها أم شملة وينكر قول عمر إنها من بني مخزوم ! كما كان يسخر من عمر ويسميه الأعيسر!

قال الطبري (2/608) وابن حبان في الثقات (2/185): «فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد يأمره أن يمد أهل الشام فيمن معه من أهل القوة ، ويستخلف على بقية الناس رجلاً منهم، فلما أتاه كتاب أبي بكر قال خالد: هذا عمل الأعيسر بن أم شملة ، يعني عمر بن الخطاب ، حسدني أن يكون فتح العراق على يدي» !

وفي تاريخ اليعقوبي:2/139: «وكتب عمر إلى أبي عبيدة إن أكذب خالد نفسه فيما كان قاله فله عمله ، وإلا فانزع عمامته وشاطره ماله . فشاور خالد أخته فقالت:

والله ما أراد ابن حنتمة إلا أن تكذب نفسك ثم ينزعك من عملك ، فلا تفعلن! فلم يكذب نفسه ، فقام بلال فنزع عمامته ، وشاطره أبو عبيدة ماله حتى نعله فأفرد واحدة عن الأخرى » !

أي أخذ فردة من نعليه ! وحنتمة أم عمر . وأم شملة: أي تلبس إزاراً واحداً !

ومهما يكن ، فقد اتفقت هذه الأسباب مع نظرية عمر في خفض رؤوس شخصيات المجتمع وإذلالهم ، وقد طبقها مع أبي سفيان ، ومع رئيس بني تميم ، ورئيس الأنصار أبيّ بن كعب ، وحتى مع طفله الصغير الذي كان فرحاً بثيابه ، فضربه حتى تذل نفسه! « دخل ابن لعمر بن الخطاب عليه وقد ترجل(تمشط) ولبس ثياباً فضربه عمر بالدرة حتى أبكاه فقالت له حفصة: لم ضربته؟ قال:رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت أن أصغرها إليه»!(كنز العمال: 12/ 668).

واعترف عمر بأنه عزل المثنى ثم خالداً بسبب بروزهما ! فقال كما في الطبري(3/98): «إني لم أعزلهما عن ريبة ، ولكن الناس عظموهما ، فخشيت أن يوكلوا إليهما ».

18. لكن المثنى لم ينعزل بعزل عمر إياه، فقد سلم المناصب والأموال لخلفه ، وهو عتبة بن غزوان في البصرة ، وجرير البجلي في الكوفة ، لكنه واصل جهاده بحكم إسلامه ، وبحكم أن العراق بلده ، وهو الذي بنى فيه الوجود القوي للمسلمين . ثم لا ننسى مكانته في قبيلته وقبائل العرب .

19. جاءت موجةٌ فارسية مقدمةً لمعركة القادسية ، فاستعاد الفرس المسالح فقد استمر تفوق المسلمين العسكري على الفرس سنة وأكثر ، وجعل المثنى فيها مقر قيادته في ألِّيس في وسط العراق ، ووصلت غاراته الى البصرة جنوباً ، والى

صفين وسوريا غرباً ، وكانت هزيمة الفرس في معركة البويب قاسية عليهم ، فأخذوا يستعدون لمعركة فاصلة بقوات أكبر .

قال خليفة/92: «وعاد جيش المسلمين الى ما كان عليه قبل يوم الجسر من الإغارة على القرى الواقعة تحت سلطان الفرس».

ثم بدأت موجة الفرس بإعادة مسالحهم وتقويتها، فكتب المثنى الى عمر يخبره بالوضع ، ففاجأه عمر بأمره أن يسحب المسلمين الى أطراف العراق !

قال الطبري:3/3: «كتب المثنى إلى عمر باجتماع فارس على يزدجرد وببعوثهم وبحال أهل الذمة ، فكتب إليه عمر أن تَنَحَّ إلى البَرِّ وادع من يليك ، وأقم منهم قريباً على حدود أرضك وأرضهم ، حتى يأتيك أمري !

وعاجلتهم الأعاجم فزاحفتهم الزحوف وثار بهم أهل الذمة ، فخرج المثنى بالناس حتى ينزل العراق ففرقهم فيه من أوله إلى آخره ، فأقاموا ما بين غضى إلى القطقطانة مسالحه ، وعادت مسالح كسرى وثغوره واستقر أمر فارس ، وهم في ذلك هائبون مشفقون والمسلمون متدفقون ، قد ضَرَوْا بهم كالأسَد ينازع فريسته ، ثم يعاود الكر . وأمراؤهم يكفكفونهم لكتاب عمر ».

أقول: معناه أن أمْر عمر بسحب المسلمين الى أطراف العراق من جهة الحجاز كان مفاجئاً للمثنى وقادة جيشه ، وثقيلاً عليهم على كل المسلمين !

ولا ـ أرى له سبباً إلا الخوف أو الإنتقام من المثنى ! وقد فرح الفرس بذلك فحركوا عليهم الفلاحين وأهل الدساكر ، فنقض أكثرهم عهود صلحهم مع المسلمين !

المثنى يموت فجأة بعد أن غضب عليه عمر !

20. وفي أوج انتصارات المثنى وقبول جرير بقيادته ، جاء سعد بن أبي وقاص وجاء معه أمر عمر المسلمين بالإنسحاب من العراق الى حدود الحجاز ، فلم يرتض ذلك المثنى، فمات المثنى فجأة بسبب غير مقنع ، كما مات العلاء الحضرمي وعتبة بن غزوان ، عندما غضب عليهما عمر !

وتحرك سعد بن أبي وقاص بجيشه من المدينة ، وقطع ثلث الطريق الى الكوفة، وخيَّمَ في نجد على أبواب العراق في شُراف أو زرود ، وأرسل الى المثنى أن ينسحب من العراق ويأتيه، ويظهر أن المثنى امتنع أولاً ، ثم ذهب اليه وأبقى معسكره عند ذي قار!

قال ابن الأعثم:1/137 : «فالتأمت العساكر إلى سعد في جمع عظيم ، وهو نازل بشُراف ، وقد هجم عليه الشتاء وأكبت عليه الأمطار ، والفرس في جمع عظيم.. فكان سعد بن أبي وقاص مقيماً بشراف ينتظر أن ينحسر عنه الشتاء ».

وقال الطبري:3/7 : «وأمدَّ عمر سعداً بعد خروجه بألفي يماني ، وألفي نجدي من غطفان وسائر قيس ، فقدم سعد زرود في أول الشتاء فنزلها ، وتفرقت الجنود فيما حولها من أمواه بني تميم وأسد ، وانتظر اجتماع الناس وأمر عمر ، وانتخب من بني تميم والرباب أربعة آلاف ثلاثة آلاف تميمي ، وألف رِبي ، وانتخب من بني أسد ثلاثة آلاف ، وأمرهم أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن والبسيطة ، فأقاموا هنالك بين سعد بن أبي وقاص وبين المثنى بن حارثة .

وكان المثنى في ثمانية آلاف من ربيعة: ستة آلاف من بكر بن وائل وألفان من سائر ربيعة ، أربعة آلاف ممن كان انتخب بعد فصول خالد ، وأربعة آلاف كانوا

معه ممن بقي يوم الجسر . وكان معه من أهل اليمن ألفان من بجيلة وألفان من قضاعة وطيئ ، ممن انتخبوا إلى ما كان قبل ذلك. على طيئ عدي بن حاتم ، وعلى قضاعة عمرو بن وبرة ، وعلى بجيلة جرير بن عبد الله .

فبينا الناس كذلك سعد يرجو أن يقدم عليه المثنى والمثنى يرجو أن يقدم عليه سعد ، مات المثنى من جراحته التي كان جرحها يوم الجسر ، انتقضت به ، فاستخلف المثنى على الناس بشير بن الخصاصية ، وسعد يومئذ بزرود ، ومع بشير يومئذ وجوه أهل العراق ، ومع سعد وفود أهل العراق الذين كانوا قدموا على عمر ، منهم فرات بن حيان العجلي ، وعتيبة ، فردهم مع سعد ».

وقال الطبري(2/376) إن المثنى وجريراً جاءا الى سعد: «وكتب إلى المثنى وجرير بن عبدالله أن يجتمعا إلى سعد بن أبي وقاص ، وأمَّرَ سعداً عليهما ، فسار سعد حتى نزل شَراف ، وسار المثنى وجرير حتى نزلا عليه ، فشتى بها سعد ، واجتمع إليه الناس . ومات المثنى بن حارثة ».

وقال البلاذري:2/313 :« وكان المثنى بن حارثة مريضاً، فأشار عليه (على سعد) بأن يحارب العدو بين القادسية والعذيب ، ثم اشتد وجعه ، فحمل إلى قومه فمات فيهم . وتزوج سعد امرأته » .

21- ملاحظات على روايات موت المثنى

أ. قطع سعد بجيشه نحو نصف الطريق من المدينة الى الكوفة ، وأقام في زرود على طرف الصحراء الحجازية ، ولم يدخل عملياً الى العراق !

وهـذه استراتيجيـة أصـر عليها عمر، لأنه كان يرى أنه بـذلك يجر الفرس الى طرف الصـحراء من جهـة الحجاز ويحاربهم هناك ، فإذا انهزم المسلمون انهزموا في الصحراء التي يعرفونها ولا يعرفها الفرس ، وقد صرح في كلامه بذلك .

لكن المثنى والمسـلمين عامة ، لم ينفذوا أمره بالإنسـحاب من العراق ، لأنه صعب عملياً ويفسره الفرس بأنه هزيمة ، كما أن الماء في زرود وشـراف وأمثالها من عيون الماء وآباره في الصـحراء ، لا تكفي لهـم ولا لعشـرة آلاف جندي وأكثر جاء بهم سـعد ، ولذلك اضطر أن يرسل قسماً من جيشه الى هنا ، وقسماً الى هناك .

وقد دافعت رواية الطبري(2/659) عن عمر دفاعاً شديداً ، وجعلت نقض أهل السواد لعهود الصلح قبل وصول أمره !

قـالت: «وبلـغ ذلـك من أمرهم واجتمـاعهم على يزجرد المثنى والمسـلمين ، فكتبوا إلى عمر بمـا ينتظرون ممن بين ظهرانيهم، فلم يصـل الكتـاب إلى عمر حتى كفر أهـل السواد من كان له منهم عهـد ومن لم يكن له منهم عهـد ، فخرج المثنى على حاميته حتى نزل بـذى قار، وتنزل النـاس بـالطف في عسـكر واحـد ، حتى جـاءهم كتـاب عمر: أما بعـد فاخرجوا من بين ظهري الأعاجم ، وتفرقوا في المياه التي تلى الأعاجم ، على حدود أرضكم وأرضهم » !

والصحيح أن نشاط الفرس كان متواصلاً ، وأنهم زادوا فعاليتهم مع قرى العراق ودساكره ، واستطاعوا أن يقنعوا عدداً منها بنقض عهودهـم مع المسـلمين. وأن عمر أرسل أمره بانسـحاب المسـلمين بعد انتصار المثنى في معركة البويب ، وربما قبل ذلك، ففرح به الفرس وطمعوا بغلبة المسلمين ، وسارعوا بتحشيد قواتهم للقادسية !

ص: 243

ب. اقترح المثنى على عمر وسعد أن تكون ساحة الحرب بينهم وبين الفرس قرب الكوفة كما نصت رواية البلاذري: (فأشار عليه بأن يحارب العدو بين القادسية والعذيب) . وهذا ما حدث أخيراً لأنه واقع عملي .

ج. لا يمكن الأخذ برواية الطبري التي تقول إن المثنى زار سعداً في زرود ، فقد نصت رواية أخرى على أنه وسعد كان ينتظر أحدهما الآخر . (فبينا الناس كذلك سعد يرجو أن يقدم عليه المثنى والمثنى يرجو أن يقدم عليه سعد ، مات المثنى من جراحته التي كان جرحها يوم الجسر ، انتقضت به ، فاستخلف المثنى على الناس بشير بن الخصاصية ، وسعد يومئذ بزرود). فقد كان المثنى في ذي قار قرب الناصرية وبينها وبين زرود مسافة كبيرة .

د. طالت إقامة سعد على مشارف العراق ستة أشهر ، فالروايات تقول إنه انتظر حتى ينقضي الشتاء ، وتقول إن المثنى في هذه المدة توفي وتزوج سعد بزوجته لما جاءته وبنى بها في زرود . فلا بد أنها أمضت عدتها بعد وفاته أربعة أشهر وعشرة أيام ، مما يعني أن المثنى توفي في أوائل نزول سعد في زرود .

وقد ذكرت الروايات أن أخاه المعنى تأخر حتى حضر مع زوجة أخيه الى سعد ، فقد انشغل بترتيب وضع الحيرة ، إعداداً لمعركة القادسية .

ه. توفي المثنى في ذي قار ، ولا توجد رواية عن مدة مرضه إلا قولهم إن جراحه يوم الجسر انتقضت عليه فمات ، وأن جراحه كانت في وجهه من حلق الدرع ! وكل ما قالوه عن سبب وفاته رضي الله عنه غير مقنع .

قال الطبري:3/7: « مات المثنى من جراحته التي كان جرحها يوم الجسر انتقضت به ، فاستخلف المثنى على الناس بشير بن الخصاصية . وسعد يومئذ بزرود ومع بشير

ص: 244

يومئذ وجوه أهل العراق ، ومع سعد وفود أهل العراق الذين كانوا قدموا على عمر ، منهم فرات بن حيان العجلي وعتيبة ، فردهم مع سعد ».

وفرات العجلي هذا من سكان مكة ، حليف لبني سهم ، وكان جاسوساً لقريش على النبي (صلى الله عليه و آله) فأسرته سرية ، فادعى أنه مسلم فتركه النبي (صلى الله عليه و آله) !

وعتيبة بن النهاس عجلي أيضاً ، وكانا من قادة المثنى ، ويبدو أنهما كانا جاسوسين لعمر على المثنى ، أوكانا وفداً يشكوان المثنى لعمر ، لأنهما يحسدانه !

وقال الطبري:2/642:«وأثبت فيه حلق من درعه هتكهن الرمح» وكذا نهاية الإرب (19/184) لكن المثنى قام بعد معركة الجسر بنفسه بعمليات عسكرية ، فقد أسر قائدين من الفرس هما جابان ومردان شاه ، ثم قاد معركة بحجم معركة اليرموك وخاض معاركها بنفسه ، ثم قام بعمليات واسعة بنفسه عبر في بعضها حدود العراق الى صفين داخل سوريا ، ولم يظهر عليه أي شكاية ! وهذا يوجب الشك في أن يكون سبب وفاته جرح من حلق الدرع ، كما زعموا.

ويظهر أن سلامة المثنى وفعاليته بعد معركة الجسر جعلت رواة السلطة يكذبون علناً!

ففي رواية خليفة/91: «لكن المثنى أصيب بجرح عميق فاضطر للإنسحاب بمن تبقَّى معه ، وأوغل بقومه بكر بن وائل وبني شيبان الى أعماق الصحراء ، خشية أن يفتك بهم الفرس ، فأدركته المنية فمات في بعض الطريق » !

تقول هذه الرواية إنه هرب من معركة الجسر بقومه ، فمات في الطريق! وهو كذب صريح ، لأنه بعد معركة الجسر قام بعمليات بطولية بنفسه ، وأعد لحرب البويب وقادها وخاض قتالها بنفسه ، ثم قام بعمليات واسعة بنفسه ، لا لاحظ أحد منه شكاية أو أثراً في وجهه !

و. ومما يؤكـد الشك في موت المثنى تأكيد الرواة على أنه لـم يخالف عمر أبداً ، وأنه أوصـى وصـية مؤكدة ولـم يكتبها ويبعثها الى عمر على عادته ، بل أوصـى أخاه المعنَّى وزوجته سلمى (الطبري:3 /9) بأن يسـرعا بها الى سعد ، فانشغل المعنَّى بمعالجة وضع ملك الحيرة الذي أخذ الفرس يسـتميلونه ، ثم ذهب الى زرود مع أرملة أخيه سـلمى ، وأوصـلا الوصـية الى سـعد ، بموافقة المثنى على رأي عمر أن لا يقاتل الفرس داخـل العراق: « وأن يقـاتلهم على حـدود أرضـهم على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مـدرة من أرض العجم ، فـإن يظهر الله المسـلمين عليهم فلهم ما وراءهم ، وإن يكن الأخرى فاؤا إلى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم . فلما انتهى إلى سعد رأي المثنى ووصيته ترحم عليه ، وأمَّر المعنَّى على عمله ، وأوصى بأهل بيته خيراً وخطب سلمى فتزوجها ، وبنى بها ».

وهـذا يـدلك على أن الغرض من وصـية المثنى المزعومة تسـكيت الذين اعترضوا على قرار عمر بسـحب المسـلمين ، وما سـبَّبه من جرأ ة المزارعين ومَلِك الحيرة على نقض عهودهم مع المسلمين ، وانضمامهم الى الفرس !

ويدلك على أن السـلطة واجهت اتهاماً من القاعدة الشـعبية للمثنى بأن السـلطة قتلته ، فدبرت السـلطة أخاه وزوجته ليقولوا إن علاقته بسعد وعمر كانت على أفضل ما يرام وإن خطة عمر حكيمة ، وقد وافق عليها المثنى وأوصى بها عند موته ، وأمر أخاه وزوجته أن يسرعوا ويبلغوها الى سعد ليبلغها الى عمر !

وبقي عليهم أن يقولوا إن المثنى كان معجباً بسعد ، وقد أوصى زوجته أن تتزوج سعداً ولا تتزوج أحد إخوته الذين هم أجمل من سعد ، فقد كـان سـعد أسـمر أفطس بينما عرف المثنى وإخوته بكمال الأجسام ، وقـد اختاروا المعنى في الوفـد الى يزدجرد وقالوا: (وأما من لهم منظر لأجسامهم وعليهم مهابة ولهم آراء ، فعطارد بن حاجب ،

والأشعث بن قيس ، والحارث بن حسان ، وعاصم بن عمرو ، وعمرو بن معدي كرب ، والمغيرة بن شعبة ، والمعنى بن حارثة ، فبعثهم دعاة إلى الملك). (الطبري:3/14)

ز. إذا لاحظنا عهد عمر على نفسه من زمن أبي بكر أن يعزل المثنى ، وأنه كان يسميه مؤمر نفسه بنفسه ! ففي الإصابة:5/569: « وذكر ثابت في الدلائل أن عمر كان يسميه: مُؤَمِّرُ نَفْسِهِ». مع أن أبا بكر أمَّر المثنى على العراق ، ومات وهو يوصي عمر به فاضطر عمر أن يمده بجيش ، ويتبنى جهاده لفتح العراق وإيران ، لكن لفترة !

ثم عزله عمر فلم ينعزل ، بل فرض المثنى قيادته حتى على جرير وكل الصحابة الذين بعثهم عمر الى العراق . ثم رآه عمر ينتقد سياسته عندما قرر سحب المسلمين الى أطراف العراق الصحراوية ، ويترك العراق عملياً للفرس !

فقد يكون عمر دعا على المثنى فمات ، كما دعا سعد عبادة فقتلته الجن ، أو دعا على عتبة بن غزوان عندما اعترض على تأميره سعداً عليه ، فمات في محطة في طريقه الى العراق ! (تاريخ بغداد:1/168).

أو كما دعا على العلاء الحضرمي عندما خالفه وغزا جنوب إيران فمات في نفس المحطة في طريقه الى العراق ! «كتب عمر بن الخطاب إلى العلاء بن الحضرمي وهو بالبحرين أن سر إلى عتبة بن غزوان فقد وليتك عمله..وقد وليت قبلك رجلاً فمات قبل أن يصل، فإن يرد الله أن تلي وليت » ! (الطبقات:4/260).

أوكما دعا على بلال وجماعته ، وكانوا نحو ثلاثين صحابياً في الشام فاعترضوا على عمر لتوليته معاوية المتهتك ، فدعا عليهم دعوة واحدة ، فماتوا واحداً بعد الآخر ، فلم تَدُرْ عليهم السنة حتى ماتوا جميعاً. (سنن البيهقي: 9/138) .

فقد يكون دعا على المثنى دعوة واحدة ، فاستجاب الله له ، ومات المثنى !

ص: 247

هاشم المرقال نقيض أبيه وعكس عمه

1. هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال الزهري رضي الله عنه، صحابي جليل، وخطيب مُفَوَّهٌ وبطلٌ شجاع ، وشيعيٌّ صلب .

كان ضخم الجثة بطلاً ، قائداً في معركة أجنادين في فتح فلسطين ، ومعركة اليرموك ، وقد سارع بعدها بجيش وشارك في معركة القادسية ، ثم قاد فتح المدائن ، وفتح جلولاء ، وفتح حلوان ، وعدة مناطق من إيران .

وقلنا إنه نقيض أبيه ، لأنه صاحب إيمان وتقوى ، بينما أبوه عتبة بن أبي وقاص من عتاة قريش ، وقد بقي على شركه وعداوته للنبي (صلى الله عليه و آله) حتى مات .

وقلنا إنه على عكس عمه سعد بن أبي وقاص ، لأنه من أبطال الإسلام والتاريخ ، وعمه سعداً بشهادة لم يبرز يوماً لفارس ، ولا شارك بجدية في حملة أبداً ! وإذا حضر المعركة يحفظ نفسه في الخط الخلفي في مكان آمن . وقد كان قائد معركة القادسية ، فوكل بها رجلاً وقعد في قصر العذيب مدعياً أن في فخذه دُمَّلاً ، حتى عيرته زوجته والمسلمون ووصفوه بالجُبن !

وسُمِّيَ المرقال لأنه يرقل برايته في الحرب ، أي يهرول فيها هرولة خاصة . وفي العبقات(3/39)عن القرطبي أن النبي (صلى الله عليه و آله) قال له: أرقل يا ميمون !

وكان عمه سعد والياً على الكوفة ، فاستفاد هاشم من ذلك ، فكان يقود جيش المسلمين في المعارك ، وكانت علاقته بعمه جيدة ، وهذا من ذكاء هاشم ، فهو شيعي ورأيه بعمه سئ لكنه كان يداريه ، وقد تزوج ابنته أم إسحاق . (المحبر/69) وكان سعد يفتخر بابن أخيه ، لأنه قائد بطل ، رغم أنه شيعي !

ص: 248

وقد انتصر له سعد عندما أهانه سعيد بن العاص ، وكان والياً على الكوفة فسأل حضّاره: «من رأى الهلال منكم؟ وذلك في فطر رمضان. فقال القوم: ما رأيناه ، فقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص: أنا رأيته . فقال له سعيد: بعينك هذه العوراء رأيته من بين القوم ؟فقال هاشم: تعيرني بعيني وإنما فقئت في سبيل الله ! وكانت عينه أصيبت يوم اليرموك .

ثم أصبح هاشم في داره مفطراً وغدا الناس عنده ، فبلغ ذلك سعيد بن العاص فأرسل إليه فضربه وحرق داره ، فخرجت أم الحكم بنت عتبة بن أبي وقاص وكانت من المهاجرات ، ونافع بن عتبة بن أبي وقاص من الكوفة ، حتى قدما المدينة فذكرا لسعد بن أبي وقاص ما صنع سعيد بهاشم ، فأتى سعد عثمان فذكر له ذلك ، فقال عثمان: سعيد لكم بهاشم ، إضربوه بضربه ، ودار سعيد لكم بدار هاشم ، فأحرقوها كما حرق داره . فخرج عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وهو يومئذ غلام يسعى ، حتى أشعل النار في دار سعيد بالمدينة ، فبلغ الخبر عائشة فأرسلت إلى سعد بن أبي وقاص تطلب إليه وتسأله أن يكف ففعل. ورحل من الكوفة ». (تاريخ دمشق:21/114)

2. مدح علماء السنة وأئمتهم هاشم المرقال وروى عنه الستة ، ووثقه ابن معين والنسائي، وأحمد والبزار . وحدث عن ابن المسيب وعامر وعائشة ابني سعد بن مالك ، وإسحاق بن عبد الله ، وغيرهم . وعنه موسى بن يعقوب الزمعي، ومالك وأبو أسامة وابن نمير ومردان بن معاوية وشجاع بن الوليد وأبو ضمرة وجماعة.(تهذيب التهذيب:11/20). وعقدوا لمناقبه أبواباً كالحاكم في المستدرك (3/395).

وقال في الإستيعاب (4/1546): «كان من الفضـلاء الخيار، وكان من الأبطال البُهْم ، فُقئت عينه يوم اليرموك ، ثم أرسـله عمر من اليرموك مع خيل العراق إلى سعد كتب إليه بذلك ، فشهد القادسية وأبلى بها بلاء حسناً، وقام منه في ذلك ما لم يقم من أحد، وكان سبب الفتح على المسـلمين . وكان بهمةً من البَهم فاضـلاً خيراً. وهو الذي افتتح جلولاء فعقد له سعد لواء ووجهه، وفتح الله عليه جلولاء ولم يشهدها سعد ». والبُهْمَة الفارس الشديد البأس . (الصحاح:5/1875).

وروى المرقـال أحـاديث النبي (صـلى الله عليه و آله) في فضائل أهل البيت (عليهم السـلام) كحـديث الغـدير، وحـديثاً صـححه الحاكم والذهبي بشرط الشيخين(4/398):«عن أم سلمة أن رسول الله اضطجع ذات يوم فاستيقظ وهو خائر النفس ، وفي يده تربة حمراء فقلت: ما هـذه التربـة يا رسول الله؟فقال: أخبرني جبريل أن هذا يقتل بأرض العراق للحسـين ، فقلت لجبريل: أرني تربة الأرض التي يقتل بها ، فهذه تربتها » .

وقال ابن حجر في الإصابة:6/404: «هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بن أهيب بن زهرة بن عبد مناف الزهري ، الشـجاع المشـهور ، المعروف بالمرقـال ، بن أخي سـعد بن أبي وقـاص . قـال الـدولابي: لقب بالمرقال لأنه كان يرقل في الحرب أي يسـرع ، من الإرقال وهو ضـرب من العَدْو...قال الهيثم بن عـدي: عقد له عمه سـعد على الجيش الذي جهزه إلى قتال يزد جرد ملك الفرس ، فكانت وقعة جلولاء.. كانت راية علي يوم صفين مع هاشم بن عتبة .

ص: 250

قال المرزباني: لما جاء قتل عثمان إلى أهل الكوفة ، قال هاشم لأبي موسى الأشعري: تعال يا أبا موسى بايع لخير هذه الأمة علي ! فقال: لا تعجل . فوضع هاشم يده على الأخرى فقال: هذه لعلي وهذه لي، وقد بايعت علياً (عليه السلام) ، وأنشد:

أبايع غير مكترثٍ عليا *** ولا أخشى أميراً أشعريا

أبايعه وأعلم أن سأرضي *** بذاك الله حقاً والنبيا».

وذكر ابن الأعثم(2/438)أن موقف هاشم في قصر الإمارة كان مطلب أهل الكوفة بعد بيعة علي (عليه السلام) في المدينة ، فهو يدل على تخلف أبي موسى عن البيعة حتى ضغط عليه المسلمون: « فقامت الناس إلى أميرهم أبي موسى الأشعري فقالوا: أيها الرجل! لم لا تبايع علياً وتدعو الناس إلى بيعته ، فقد بايعه المهاجرون والأنصار؟ فقال أبو موسى: حتى أنظر ما يكون ، وما يصنع الناس بعد هذا » !

3. ومدحه علماء الشيعة ، فوصفوه بأنه صحابي جليل ، خَيِّرٌ فاضلٌ رضي الله عنه من خواص أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، شهد معه حرب الجمل ، وكان حامل لوائه الأعظم يوم صفين ، واستشهد فيها هو وعمار بن ياسرفصلى عليهما علي (عليه السلام) ودفنهما بثيابهما ولم يُغسِّلهما، وأعطى لواءه لابنه عبد الله ، وكان زعيماً في البصرة ورئيس الشيعة فيها. (معجم السيد الخوئي:15/241، والمستدركات:8/133).

وفي الطبقات (3/258و362): «لما كان اليوم الذي قتل فيه عمار والراية يحملها هاشم بن عتبة ، وقد قتل أصحاب عليٍّ ذلك اليوم حتى كانت العصر، ثم تقرب عمار من وراء هاشم يقدمه ، وقد جنحت الشمس للغروب ، ومع عمار ضياح من لبن ، فكان وجوب الشمس أن يفطر ، فقال حين وجبت الشمس وشرب

الضياح: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: آخر زادك من الدنيا ضياحٌ من لبن ! قال: ثم اقترب فقاتل حتى قتل ، وهو يومئذ ابن أربع وتسعين سنة !

عن أبي إسحاق أن علياً (عليه السلام) صلى على عمار بن ياسر وهاشم بن عتبة رضي الله تعالى عنهما ، فجعل عمار مما يليه وهاشماً أمام ذلك ، وكبر عليهما تكبيراً واحداً ، خمساً أو ستاً أو سبعاً ، والشك في ذلك من أشعث ».

وكانت الأنصار عامتها مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وقريش عامتها مع معاوية ، ولم يكن مع علي (عليه السلام) إلا خمسة ، ولكنهم شخصيات .

ففي رجال الكشي(1/281) ، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «كان مع أمير المؤمنين (عليه السلام) من قريش خمسة نفر ، وكانت ثلاثة عشر قبيلة مع معاوية . فأما الخمسة فمحمد بن أبي بكر رحمة الله عليه ، أتته النجابة من قبل أمه أسماء بنت عميس. وكان معه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال . وكان معه جعدة بن هبيرة المخزومي ، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) خاله وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان: إنما لك هذه الشدة في الحرب من قبل خالك . فقال له جعدة: لو كان خالك مثل خالي لنسيت أباك . ومحمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، و الخامس سِلْفُ أمير المؤمنين ابن أبي العاص بن ربيعة ، وهو صهر النبي (صلى الله عليه و آله) أبو الربيع ».

4. فضَّله أمير المؤمنين (عليه السلام) على محمد بن أبي بكر مع حبه لمحمد ، رضي الله عنهما ، ففي نهج البلاغة (1/116): «من كلام له (عليه السلام) لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فمُلكت عليه ، فقُتل: وقد أردتُ تولية مصر هاشم بن عتبة ، ولو وليته إياها لما خلى لهم العرصة ولا أنهزهم الفرصة. بلا ذم لمحمد بن أبي بكر ، فلقد كان إليَّ حبيباً

وكان لي ربيباً».«رحم الله محمداً ، كان غلاماً حدثاً . أما والله لقد كنت أردت أن أولي المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص مصر. والله لو أنه وليها لما خلى لعمرو بن العاص وأعوانه العرصة ، ولما قتل إلا وسيفه في يده بلا ذم لمحمد بن أبي بكر ، فلقد أجهد نفسه وقضى ما عليه. فقيل لعلي (عليه السلام) : لقد جزعت على محمد بن أبي بكر جزعاً شديداً يا أمير المؤمنين ! قال: وما يمنعني؟ إنه كان لي ربيباً وكان لبنيَّ أخاً ، وكنت له والداً ، أُعِدُّه ولداً ». (الغارات للثقفي:1/300).

5. بقي هاشم في الكوفة بعد أن تركها عمه سعد، ثم جاء مع علي (عليه السلام) الى البصرة ، وأرسله الإمام (عليه السلام) من ذي قار برسالة الى عامله على الكوفة أبي موسى الأشعري ليستنهض المسلمين لموافاته في ذي قار .

قال في فتح الباري(13/48): «كان عليٌّ أقرَّ أبا موسى على إمرة الكوفة، فلما خرج من المدينة أرسل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إليه أن أنهض من قبلك من المسلمين ، وكن من أعواني على الحق، فاستشار أبو موسى السائب بن مالك الأشعري فقال: إتبع ما أمرك به. قال: إني لا أرى ذلك ! وأخذ في تخذيل الناس عن النهوض ! فكتب هاشم إلى علي بذلك وبعث بكتابه مع محل بن خليفة الطائي، فبعث على عمار بن ياسر والحسن بن علي ، يستنفران الناس ».

ورواه في شرح النهج (14/9) ، وفيه: «فأبى ذلك، وحبس الكتاب وبعث إلى هاشم يتوعده ويخوفه. قال السائب: فأتيت هاشماً فأخبرته برأي أبي موسى، فكتب إلى علي (عليه السلام) : لعبد الله على أمير المؤمنين من هاشم بن عتبة أما بعد يا أمير المؤمنين فإني قدمت بكتابك على امرئ مشاق بعيد الود ، ظاهر الغل والشنآن، فتهددني بالسجن وخوفني بالقتل ، وقد كتبت إليك هذا الكتاب مع المحل بن خليفة

أخي طئ ، وهو من شيعتك وأنصارك ، وعنده علم ما قِبلنا فاسأله عما بدا لك ، واكتب إلى برأيك. والسلام...فقال علي (عليه السلام) : والله ما كان عندي بمؤتمن ولا ناصح، ولقد أردت عزله ، فأتاني الأشتر فسألني أن أُقره ، وذكر أن أهل الكوفة به راضون ، فأقررته».

وروى الطبري (3/501) أن الأشتر ذهب الى الكوفة بعد عمار والإمام الحسن (عليه السلام) «فأقبل الأشتر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس في المسجد الأعظم ، فجعل لا يمر بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلا دعاهم ويقول:إتبعوني إلى القصر، فانتهى إلى القصر في جماعة من الناس، فاقتحم القصر فدخله وأبو موسى قائم في المسجد يخطب الناس ويثبطهم ، يقول: أيها الناس إن هذه فتنة عمياء صماء تطأ خطامها . النائم فيها خير من القاعد ، والقاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي ، والساعي فيها خير من الراكب . إنها فتنة باقرة كداء البطن ، أتتكم من قبل مأمنكم تدع الحليم فيها حيران كابن أمس ، إنا معاشر أصحاب محمد أعلم بالفتنة ، إنها إذا أقبلت شبهت و إذا أدبرت أسفرت !

وعمار يخاطبه ، والحسن يقول له: اعتزل عملنا لا أم لك ، وتنح عن منبرنا . وقال له عمار: أنت سمعت هذا من رسول الله (صلى الله عليه و آله) ؟ فقال أبوسى: هذه يدي بما قلت . فقال له عمار: إنما قال لك رسول الله (صلى الله عليه و آله) هذا خاصة ، فقال: أنت فيها قاعداً خير منك قائماً ! ثم قال عمار: غلب الله من غالبه ، وجاحده !

عن أبي مريم الثقفي قال: والله إني لفي المسجد يومئذ وعمار يخاطب أبا موسى ويقول له ذلك القول ، إذ خرج علينا غلمان لأبي موسى يشتدون ، ينادون يا أبا

موسى هذا الأشتر قد دخل القصر فضربنا وأخرجنا . فنزل أبو موسى فدخل القصر، فصاح به الأشتر: أخرج من قصرنا لا أم لك ، أخرج الله نفسك ، فوالله إنك لمن المنافقين قديماً ! قال: أجلني هذه العشية . فقال: هي لك ، ولا تبيتن في القصر الليلة . ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى فمنعهم الأشتر ، وأخرجهم من القصر وقال: إني قد أخرجته . فكف الناس عنه ».

أقول: وافي ألوف المسلمين من الكوفة أمير المؤمنين (عليه السلام) بذي قار ، وساروا معه الى البصرة. ولم يؤثر فيهم تثبيط أبي موسى ، فقد واجهه عمار بالتكذيب وفضحه بأنه من أصحاب العقبة الذين أرادوا قتل النبي (صلى الله عليه و آله) فلعنه ليلتها ! فلم ينكر ذلك أبو موسى، بل قال لعمار: إن النبي (صلى الله عليه و آله) استغفر له بعد ذلك ! فأجابه عمار: لقد شهدت اللعن، ولم أشهد الإستغفار ! ثم واجهه الأشتر رضي الله عنه بقوته وتأثيره في الكوفة .

أما هاشم المرقال «فجرد معه من بنيه من كان منهم قد أنبت ، وخرج بهم إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ذي قار ، فكان أول من قدم عليه ». (أخبار الشعراء للمرزباني/ 38).

6. وكان هاشم بصيراً بمعاوية والقرشيين المخالفين لعلي (عليه السلام) ويرى أنهم طلاب دنيا فقد روى نصر بن مزاحم في وقعة صفين/92: «لما أراد علي (عليه السلام) المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال: أما بعد فإنكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم ، مقاويل بالحق ، مباركو الفعل والأمر. وقد أردنا المسير إلى عدونا وعدوكم ، فأشيروا علينا برأيكم. فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد يا أمير المؤمنين فأنا بالقوم جد خبير، هم لك ولأشياعك أعداء ، وهم لمن

يطلب حرث الدنيا أولياء ، وهم مقاتلوك ومجاهدوك لا يبقون جهداً ، مشاحة على الدنيا ، وضناً بما في أيديهم منها . وليس لهم إربة غيرها إلا ما يخدعون به الجهال من الطلب بدم عثمان بن عفان . كذبوا ليسوا بدمه يثأرون ولكن الدنيا يطلبون . فسر بنا إليهم فإن أجابوا إلى الحق فليس بعد الحق إلا الضلال . وإن أبوا إلا الشقاق فذلك الظن بهم. والله ما أراهم يبايعون وفيهم أحد ممن يطاع إذا نهى ويسمع إذا أمر».

7. كان هاشم المرقال صاحب راية علي (عليه السلام) في حرب صفين ، أي القائد العام لجيشه ففي وقعة صفين/326: «دفع على الراية إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وكانت عليه درعان ، فقال له على كهيئة المازح: أيا هاشم ، أما تخشى من نفسك أن تكون أعور جباناً ؟ قال: ستعلم يا أمير المؤمنين . والله لألُفَّنَّ بين جماجم القوم لفَّ رجل ينوي الآخرة . فأخذ رمحاً فهزه فانكسر، ثم آخر فوجده جاسياً فألقاه ثم دعا برمح لين فشد به لواءه ».

8. وقاتل هاشم في أيام صفين قتال الأبطال ، حتى استشهد هو وعمار في يوم واحد ! ففي وقعة صفين/353: «عن أبي سلمة ، أن هاشم بن عتبة دعا في الناس عند المساء: ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فليقبل. فأقبل إليه ناس فشد في عصابة من أصحابه على أهل الشام مراراً ، فقاتل قتالاً شديداً ثم قال لأصحابه: لا يهولنكم ماترون من صبرهم ، فوالله ما ترون منهم إلا حمية العرب وصبرها تحت راياتها وعند مراكزها ، وإنهم لعلى الضلال وإنكم لعلى الحق.

يا قوم إصبروا وصابروا واجتمعوا ، وامشوا بنا إلى عدونا على تؤده رويداً واذكروا الله ، ولا يسلمن رجل أخاه ، ولا تكثروا الإلتفات ، وجالدوهم

محتسبين حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين . قال أبو سلمة: فبينا هو وعصابة من القراء يجالدون أهل الشام ، إذ خرج عليهم فتى شاب يقول:

أنا ابن أرباب الملوك غسان *** والدائن اليوم بدين عثمان

أنبأنا أقوامنا بما كان *** أن علياً قتل ابن عفان

ثم شد فلا ينثني يضرب بسيفه ثم يلعن علياً ويشتمه ويسهب في ذمه ! فقال له هاشم بن عتبة: إن هذا الكلام بعده الخصام ، وإن هذا القتال بعده الحساب . فاتق الله فإنك راجع إلى ربك فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به .

قال: فإني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلي كما ذُكر لي ، وأنكم لا تصلون . وأقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله .

فقال له هاشم: وما أنت وابن عفان؟ إنما قتله أصحاب محمد وقراء الناس، حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب ، وأصحاب محمد هم أصحاب الدين ، وأولى بالنظر في أمور المسلمين . وما أظن أن أمر هذه الأمة ولا أمر هذا الدين عناك طرفة عين قط !

قال الفتى: أجل أجل ، والله لا أكذب ، فإن الكذب يضر ولا ينفع ، ويشين ولا يزين . فقال له هاشم: إن هذا الأمر لا علم لك به ، فخله وأهل العلم به . قال: أظنك والله قد نصحتني . وقال له هاشم: وأما قولك إن صاحبنا لايصلي فهو أول من صلى مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) ، وأفقهه في دين الله ، وأولاه برسول الله .

وأما من ترى معه فكلهم قارئ الكتاب ، لا ينامون الليل تهجداً . فلا يغررك عن دينك الأشقياء المغرورون !

قال الفتى: يا عبد الله إني لأظنك امرأً صالحاً وأظنني مخطئاً آثماً ، أخبرني هل تجد لي من توبة ؟ قال: نعم ، تب إلى الله يتب عليك ، فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، ويحب التوابين ويحب المتطهرين.

قال: فذهب الفتى بين الناس راجعاً ، فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي ! قال: لا ، ولكن نصحني العراقي » .

«ولما دفع على الراية إلى هاشم قال له رجل من بكر بن وائل من أصحاب هاشم: أقدم هاشم ، يكررها، ثم قال: مالك يا هاشم قد انتفخ سحرك ، أعَوَراً وجُبْناً ؟ قال: من هذا ؟ قالوا: فلان . قال: أهلها وخير منها ، إذا رأيتني قد صُرِعتُ فخذها. ثم قال لأصحابه: شدوا شسوع نعالكم وشدوا أزركم ، فإذا رأيتموني قد هززت الراية ثلاثاً ، فاعلموا أن أحداً منكم لا يسبقني إليها...ثم نظر هاشم إلى عسكر معاوية فرأى جمعاً عظيماً فقال: من أولئك؟ قيل أصحاب ذي الكلاع..قال: من عند هذه القبة البيضاء؟قيل معاوية وجنده . قال فإني أرى دونهم أسودة ؟ قالوا: ذاك عمرو بن العاص وابناه ومواليه . وأخذ الراية فهزها فقال له رجل من أصحابه: أمكث قليلاً ، ولا تعجل. فقال هاشم:

قد أكثروا لومي وما أقلا *** إني شريت النفس ، لن أعتلا

أعور يبغي نفسه محلا *** لا بد أن يَفل أو يُفلا

قد عالج الحياة حتى ملا *** أشدُّهم بذي الكعوب شلا

مع ابن عم أحمد المعلى *** فيه الرسول بالهدى استهلا

أولُ من صدقه وصلى *** فجاهد الكفار حتى أبلى».

وقال (رحمة الله) : أيها الناس، إني رجل ضخم فلا يهولنكم مسقطي إن أنا سقطت ، فإنه لايفرغ مني أقل من نحر جزور حتى يفرغ الجزار من جزرها ». (صفين/353).

وفي الأخبار الطوال/183: «فلما أصبح عليٌّ غادى أهل الشام القتال ، ودفع رايته العظمى إلى هاشم بن عتبة فقاتل بها نهاره كله ، فلما كان العشي انكشف أصحابه انكشافه ، وثبت هاشم في أهل الحفاظ منهم والنجدة ، فحمل عليهم الحارث بن المنذر التنوخي فطعنه طعنة جائفة ، فلم ينته عن القتال. ووافاه رسول علي (عليه السلام) يأمره أن يقدم رايته ، فقال للرسول: أنظر إلى ما بي ، فنظر إلى بطنه فرآه منشقاً ! فرجع إلى علي فأخبره ، ولم يلبث هاشم أن سقط ، وجال أصحابه عنه وتركوه بين القتلى ، فلم يلبث أن مات .

وحال الليل بين الناس وبين القتال ، فلما أصبح علي (عليه السلام) غَلَّسَ بالصلاة ، وزحف بجموعه نحو القوم على التعبية الأولى، ودفع الراية إلى ابنه عبد الله بن هاشم بن عتبة ، وتزاحف الفريقان فاقتتلوا . فروي عن القعقاع الظفري أنه قال: لقد سمعت في ذلك اليوم من أصوات السيوف ما الرعد القاصف دونه . وعلي رضي الله عنه واقف ينظر إلى ذلك ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله ، والله المستعان ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين .

ثم حمل علي بنفسه على أهل الشام حتى غاب فيهم ، فانصرف مخضباً بالدماء ، فلم يزالوا كذلك يومهم كله والليل حتى مضى ثلثه ، وجرح عليٌّ (عليه السلام) خمس جراحات ، ثلاث في رأسه واثنتان في وجهه .

ص: 259

«وقاتل هاشم هو وأصحابه قتالاً شديداً حتى أتت كتيبة لتنوخ ، فشدوا على الناس فقاتلهم وهو يقول:أعور يبغي أهله محلا..الخ. حتى قتل تسعة نفر أو عشرة ، وحمل عليه الحارث بن المنذر التنوخي فطعنه فسقط ». (صفين /155).

وفي أسد الغابة (5/49): «فقطعت رجله يومئذ ، وجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك ويقول: الفحل يحمى شوله معقول . وقيل فيه يقول أبو الطفيل عامر بن واثلة: يا هاشم الخير جزيت الجنة...قاتلت في الله عدو السنة ».

وفي وقعة صفين/359، وفتوح ابن الأعثم:3/119: «وفي قتل هاشم بن عتبة يقول أبو الطفيل عامر بن واثلة وهو من الصحابة ، وقيل إنه آخر من بقي من صحب رسول الله (صلى الله عليه و آله) وشهد مع علي (عليه السلام) صفين ، وكان من مخلصي الشيعة:

يا هاشمَ الخير جزيت الجنهْ *** قاتلت في الله عدوَّ السنه

والتاركي الحق وأهل الظِّنَّه *** أعظم بما فزت به من منه

صيرني الدهر كأني شنه *** يا ليت أهلي قد علوني رنه

من حَوْبةٍ وعمةٍ وكِنَّه

«ولما قتل هاشم جزع الناس عليه جزعاً شديداً،وأصيب معه عصابة من أسلم من القراء، فمرَّ عليهم علي (عليه السلام) وهم قتلى حول أصحابه الذين قتلوا معه، فقال:

جزى الله خيراً عصبةً أسلميةً *** صباحَ الوجوه صُرِّعُوا حولَ هاشمِ

يزيدٌ وعبد الله بشرٌ ومعبدٌ *** وسفيانُ وابنا هاشم ذي المكارم

وعروة لايبعد ثناه وذكره *** إذا اخترطت يوماً خفاف الصوارم

ثم قام عبد الله بن هاشم ، وأخذ الراية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:يا أيها الناس ، إن هاشماً كان عبداً من عباد الله ، الذين قدر أرزاقهم ، وكتب آثارهم ،

وأحصى أعمالهم ، وقضى آجالهم ، فدعاه ربه الذي لا يعصى فأجابه، وسلم لأمر لله ، وجاهد في طاعة ابن عم رسول الله (صلى الله عليه و آله) وأول من آمن به ، وأفقههم في دين الله ، المخالف لأعداء الله المستحلين ما حرم الله ، الذين عملوا في البلاد بالجور والفساد ، واستحوذ عليهم الشيطان ، فزين لهم الإثم والعدوان، فحق عليكم جهاد من خالف سنة رسول الله (صلى الله عليه و آله) ، وعطل حدود الله ، وخالف أولياء الله .

فجودوا بمهج أنفسكم في طاعة الله في هذه الدنيا ، تصيبوا الآخرة والمنزل الأعلى، والملك الذي لايبلى. فلو لم يكن ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار، لكان القتال مع علي أفضل من القتال مع معاوية ، ابن أكالة الأكباد . فكيف وأنتم ترجون ما لا يرجون ». (وقعة صفين /356) .

9.كان هاشم من خاصة أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد كان يمازحه ، وأخبره بيوم شهادته ، وبشره بأنه سيأكل هذا اليوم من طعام الجنة .

قال نصر/346: «ثم إن علياً (عليه السلام) دعا في هذا اليوم هاشم بن عتبة ومعه لواؤه، وكان أعور، فقال له: يا هاشم ، حتى متى تأكل الخبز وتشرب الماء؟! فقال هاشم: لأجهدن على ألا أرجع إليك أبداً ! قال علي (عليه السلام) : إن بإزائك ذا الكلاع وعنده الموت الأحمر. فتقدم هاشم ، فلما أقبل قال معاوية: من هذا المقبل؟ فقيل هاشم المرقال . فقال: أعور بني زهرة قاتله الله.. فأقبل هاشم وهو يقول:

أعْوَرُ يبغي نفسه خلاصا *** مثل الفنيق لابساً دلاصا

قد جرب الحرب ولا أناصا *** لا ديةً يخشى ولا قصاصا

كل امرئ وإن كبا وحاصا *** ليس يرى من موته مناصا

وحمل صاحب لواء ذي الكلاع وهو رجل من عذرة ، وهاشم حاسر وهو يقول:

يا أعور العين وما بي من عوزْ *** أثبت فإني لست من فرعي مضر

نحن اليمانون وما فينا خور *** كيف ترى وقع غلام من عذر

ينعي ابن عفان ويلحى من غدر *** سيان عندي من سعى ومن أمر

فاختلفا طعنتين فطعنه هاشم فقتله ، وكثرت القتلى وحمل ذو الكلاع فاجتلد الناس ، فقتلا جميعاً . وأخذ ابن هاشم اللواء ، وهو يقول:

أهاشم بن عتبة بن مالك *** أعزز بشيخ من قريش هالك

تخبطه الخيلات بالسنابك *** في أسود من نقعهن حالك

أبشر بحور العين في الأرائك *** والروح والريحان عند ذلك».

10. وصفوا شجاعته في الفتوحات وصفين ، ومن ذلك ما في الأخبار الطوال/174: «وخرج يوماً آخر المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص في خيل ، فخرج إليه أبو الأعور السلمي في مثل ذلك ، فاقتتلوا بين الصفين جل النهار . فلم يفر أحد ».

«فحمل يومئذ يرقل إرقالاً..فجعل عمرو بن العاص يقول: إني لأرى لصاحب الراية السوداء عملاً لئن دام على هذا لتفنين العرب اليوم..والتقى الزحفان فاقتتل الناس قتالاً شديداً لم يسمع الناس بمثله..عن أبي السفرقال:لما التقينا بالقوم في ذلك اليوم وجدناهم خمسة صفوف قد قيدوا أنفسهم بالعمائم ، فقتلنا صفاً صفاً حتى قتلنا ثلاثة صفوف ، وخلصنا إلى الصف الرابع ، ما على الأرض شامي ، ولا عراقي يولي دبره ». (وقعة صفين/327).

وقال نصر في وقعة صفين/326: (ودفع على الراية إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وكانت عليه ذلك اليوم درعان ، فقال له على كهيئة المازح: أيا هاشم ،

أما تخشى من نفسك أن تكون أعور جباناً؟ قال: ستعلم يا أمير المؤمنين ، والله لألُفَّنَّ بين جماجم القوم لفَّ رجل ينوي الآخرة ».

وفي الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة/422: «قال المؤيد الخوارزمي: كان عمار بن ياسر وهاشم بن عتبة وعبد الله بن بديل فرسان العراق ، ومردة الحرب ، ورجال المعارك ، وسيوف الأقران ، وأمراء الأخيار ، وأمراء أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد أوقعوا بأهل الشام ما بقى ذكره على مرِّ الأحقاب حتى احتالوا لقتلهم . وفيهم يقول الأشتر ذاكراً لهم متأسفاً عليهم:

أبعد عمارٍ وبعد هاشمِ *** وابن بديلٍ فارس الملاحمِ

أرجو البقاءَ ضلَّ حُلمُ الحالم

وفي فتوح ابن الأعثم:3/43: (وخرج عمرو بن العاص فجعل يقول:

لا عيش إن لم ألق يوماً هاشما *** ذاك الذي أجشمني المجاشما

ذاك الذي يشتم عرضي ظالما *** ذاك الذي أقام فينا الماتما

ذاك الذي إن ينج مني سالما *** يكن شجى حتى الممات لازما

قال: فما لبث عمرو أن خرج إليه هاشم المرقال وهو يرتجز ويقول:

لا عيش إن لم ألق يومي عمرا *** ذاك الذي نذرت فيه النذرا

ذاك الذي أعذرت فيه العذرا *** ذاك الذي ما زال ينوي الغدرا

أو يحدث الله لأمر أمرا *** لا تجزعي يا نفس صبراً صبرا

ضرباً إذا شئت وطعناً شزرا *** يا ليت ما تحتي يكون قبرا

قال: ثم حمل هاشم على عمرو بن العاص واختلفا بطعنتين ، فطعنه هاشم طعنة جرحه منها جراحة منكرة،فرجع عمرو إلى معاوية وجراحته تشخب دماً»

«وقـد كان قال معاويـة لعمرو: ويحك ، إن اللواء اليوم مع هاشم بن عتبـة ، وقد كان من قبل يرقل به إرقالاً ، وإنه إن زحف به اليوم زحفاً ، إنه لليوم الأطول لأهل الشام ، وإن زحف في عنق من أصـحابه إني لأطمع أن تقتطع . فلم يزل به عمار حتى حمل ، فبصـر به معاويـة فوجه إليه حماة أصـحابه ومن يزن بالبأس والنجدة منهم في ناحيته ، وكان في ذلك الجمع عبد الله بن عمرو بن العاص ، ومعه يومئذ سيفان ، قد تقلد واحـداً وهو يضـرب بالآخر ، وأطافت به خيل علي (عليه السـلام) فقال عمرو: يا الله ، يا رحمن ، إبني إبني ! قال: ويقول معاوية: صبراً صبراً فإنه لا بأس عليه . قال عمرو: ولو كان يزيد بن معاوية ، إذاً لصبرت ! ولم يزل حماة أهل الشام يذبون عنه حتى نجا هارباً على فرسه ومن معه ، وأصيب هاشم في المعركة ». (وقعة صفين/340).

11. خاض هاشم المرقال رضي الله عنه معارك الجهاد ، وقادها ، لمدة ربع قرن ، في فتوح فلسطين ، والشام ، ومصر ، والعراق ، وإيران ، ثم في حروب علي (عليه السلام) وهي مدة طويلة ، والأهم من بطولاته: إيمانه وإخلاصه (رحمة الله) !

فقد أرسـله أبو بكر قائداً في فتح فلسطين والشام، قال ابن الأعثم:1/85 ، ملخصاً: «دعا أبو بكر بهاشم بن عتبـة بن أبي وقاص ، وهو ابن أخي سعيـد بن أبي وقاص فقال: يا هاشم إن من سـعادة جِدِّك ووفاء حظك أنك أصـبحت ممن تسـتعين به الأمة على جهاد عدوها ، وممن يثق الوالي بوفائه وصدقه ونصـحه وبأسه وشـجاعته. وقد بعث أبو عبيدة بن الجراح والمسلمون يخبرونني باجتماع الكفار عليهم ، فاخرج فعسكر حتى أندب إليك الناس..قال هاشم: أفعل ذلك إن شاء الله . فعندها قام أبو بكر في الناس خطيباً فحمد الله عز وجل وأثنى عليه،

ثم قال: أيها الناس، إن إخوانكم من المسلمين الذين أغزيناهم إلى الشام إلى جهاد عدوهم معافون، مدفوع عنهم مصنوع لهم ، قد ألقى الله الرعب في قلوب أعدائهم ، وقد جاءني كتاب أبي عبيدة يخبرني بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم ونزوله مدينة أنطاكية ، وقد اجتمع عليه خلق كثير من النصرانية . وقد رأيت أن أمد إخوانكم بجند منكم فيشد الله عز وجل بكم ظهورهم ، ويكبت بكم أعداءهم ويلقى الرعب في قلوبهم، فانتدبوا رحمكم الله مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، واحتسبوا في ذلك الأجر العظيم فإنكم إن قاتلتم ونصرتم فهو الفلح والغنيمة ، وإن هلكتم فهو الشهادة والسعادة. قال: فانتدب لأبي بكر خلق كثير من همدان وأسلم وغفار ومزينة ومراد والأزد ، وجميع القبائل ».

وقال ابن الأعثم:1/95: «ثم سار هاشم بن عتبة في ثلاثة آلاف مجهز ، حتى قدم على أبي عبيدة بن الجراح ، قال: فَسُرَّ أبو عبيدة وجميع المسلمين بقدوم هاشم بن عتبة ومن معه سروراً شديداً » .

وكانت أول مشاركة لهاشم في معركة أجنادين ، وهي المعركة الفاصلة التي فتحت على أثرها فلسطين ، وقادها هاشم مع خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنهما ، فكان هو قائد الميسرة في معارك فتح وفلسطين والشام: أجنادين ومرج الصُّفَّر وفِحل واليرموك ، وكان خالد بن سعيد قائد الخيل كلها ، في المعارك الأربعة .

ففي تاريخ دمشق:16/66:«عن سهل بن سعد الأنصاري قال: كانت وقعة أجنادين وقعة عظيمة ، كانت بالشام وكانت في سنة ثلاث عشرة في جمادى الأولى ، فذكر بعض أمرها ، ثم ذكر إغاثة الروم لأهل دمشق حين حصارها ، قال: فتركوا مرج الصُّفَّر ، فصمد المسلمون صمدهم ، وخرج إليهم أهل القوة

من أهل دمشق وصحبهم ناس كثير من أهل حمص ، فالقوم نحو من خمسة عشر ألفاً . فلما نظر إليهم خالد عبأ لهم كتعبئة يوم أجنادين ، فجعل على ميمنته معاذ بن جبل ، وعلى ميسرته هاشم بن عتبة ، وعلى الخيل سعيد بن زيد بن نفيل ، وترك أبا عبيدة في الرجال ، وزحف إليهم..».وقد صحح ابن عساكر إسم سعيد بن زيد بخالد بن سعيد ، وهو الصحيح ، كما يأتي .

وفي تاريخ اليعقوبي:2/140: « وقد كان الروم لما بلغهم إقبال أبي عبيدة تحولوا إلى فحل ، فعبأ أبو عبيدة المسلمين فجعل على ميمنته معاذ بن جبل ، وعلى ميسرته هاشم بن عتبة ، وعلى الرجالة سعد بن زيد ، وعلى الخيل خالد بن الوليد (بن سعيد) وأقبلت الروم فكان أول من لقيهم خالد (بن سعيد لأنه في جيش شرحبيل) فهزم الله الروم وطلبوا الصلح ، على أن يؤدوا الجزية ، فأجابهم أبو عبيدة إلى ذلك وانصرف ، وخلف عمرو بن العاص على باقي الأردن ».

وقال بن الأعثم:1/151: «ثم حمل خالد بن الوليد وحمل معه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، في زهاء ألف رجل من أهل الصبر واليقين ، فنقضوا تعبية الكفار وكسروا صفوفهم بعضها على بعض ». وخالد هنا هو ابن سعيد كما يأتي.

وقال البلاذري:1/160: «وذهبت يوم اليرموك عين الأشعث بن قيس ، وعين هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري ، وهو المرقال ، وعين قيس بن مكشوح . واستشهد عامر بن أبي وقاص الزهري ، وهو الذي كان قدم الشام بكتاب عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة بولايته الشام ».

12. وبعد اليرموك مباشرة سارع هاشم في نخبة من جيش المسلمين من الشام الى العراق ، للمشاركة في معركة القادسية .

ففي تاريخ اليعقوبي:2/144: «ثم أصبحوا من غدٍ فوافاهم ستة آلاف من جيش أبي عبيدة بن الجراح ، وهم الذين كانوا مع خالد بن الوليد: خمسة آلاف من مضر وربيعة ، وألف من أفناء المسلمين ، عليهم المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وكان فتح الشأم قبل القادسية بشهر، فأصبحوا في اليوم الثالث على مواقفهم ، وأخرج رستم الفيلة فلما نظرت إليها الكتائب كادت أن تفترق ، ثم حمل المسلمون عليها ففقأوا أعينها وقطعوا مشافرها .

وزحف المسلمون وأصبحوا في اليوم الرابع وللمسلمين العلو ، وقتل رستم ، وقع عليه عدل كان على بغل فقتله ، وكان الذي طرح عليه العدل هلال بن علفة ، وصعد على سريره وصاح: قتلت رستم ورب الكعبة ، إليَّ إلي ! وقيل قتله زهير بن عبد شمس بن أخي جرير بن عبد الله ، وقتل منهم مقتلة عظيمة وانكشفوا مدبرين ، وجمعت الأموال والأسلاب وبيع سلب رستم فبلغ سهم الرجل لكل فارس أربعة عشر ألفاً ، وسهم الراجل سبعة آلاف ومائة ، ورضخ لعيال الشهداء من صلب الفئ ، ورضخ للنساء من صلب الفئ ، فأما العبيد فإنهم عفواً، وأوفد سعد إلى عمر وفداً فأجازهم عمر ثمانين ديناراً ثمانين ديناراً .

وكان بالقادسية من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) من أهل بدر سبعون رجلاً ، ومن أهل بيعة الرضوان ومن شهد الفتح مائة وعشرون ، ومن أصحاب رسول الله مائة . ونفرت جميع الفرس إلى المدائن منهزمين ، لا يلوون على شئ ، ويزدجرد

الملك بها ، فاتبعهم سعد(أي هاشم) بالمسلمين فحاصرهم شهراً وخمسة عشر يوماً ثم خرج الفرس هاربين ، وفتحت المدائن، وقيل إن ذلك كان في سنة 16».

وفي الطبري:2/627: «قدم على أبي عبيدة كتاب عمر بأن اصرف جند العراق إلى العراق وأَمُرهم بالحث ، إلى سعد بن مالك . فأمَّر على جند العراق هاشم بن عتبة ، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو ، وعلى مجنبتيه عمر بن مالك الزهري وربعي بن عامر ، وضربوا بعد دمشق نحو سعد ، فخرج هاشم نحو العراق في جند أهل العراق ، وخرج القواد نحو فحل ، وأصحاب هاشم عشرة آلاف ، إلا من أصيب منهم ، فأتموهم بأناس ممن لم يكن منهم ، منهم قيس والأشتر».

يقصد أن الأشتر وقيساً ولعله قيس بن سعد بن عبادة ، كانا جريحين فبقيا في الشام ، ولم يشاركا في القادسية ، لكن الأشتر كان يطارد جيش الروم ، حتى وصل بهم الى جبال اللكام في تركيا ، كما سيأتي في محله .

وفي تاريخ الطبري:3/60: «قدم هاشم في أهل العراق من الشام ، فتعجل في أناس ليس معه أحد من غيرهم إلا نفر ، منهم ابن المكشوح ، فلما دنا تعجل في ثلاث مائة ، فوافق الناس وهم على مواقفهم فدخلوا مع الناس في صفوفهم .

قدم هاشم بن عتبة القادسية يوم عماس ، فكان لا يقاتل إلا على فرسن أنثى لا يقاتل على ذكر ، فلما وقف في الناس رمى بسهم فأصاب أذن فرسه ، فقال: واسوأتاه من هذه ، أين ترون سهمي كان بالغاً ولم يصب أذن الفرس؟ قالوا: كذا وكذا . فأجال فنزل وترك فرسه ، ثم خرج يضربهم حتى بلغ حيث قالوا ».

وفي تاريخ دمشق:49/496: «وأمدهم يعني أبا عبيدة بن الجراح لأهل القادسية بتسعة عشر رجلاً ممن شهد اليرموك ، منهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي ،

وطليحة بن خويلد الأسدي، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري ، والأشعث بن قيس الكندي ، وقيس بن مكشوح المرادي ».

وفي تاريخ الطبري:3/59: فلما ذر قرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيل وطلعت نواصيها كبَّر وكبر الناس وقالوا جاء المدد ، وقد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها ، فجاؤوا من قبل خفان فتقدم الفرسان وتكتبت الكتائب ، فاختلفوا الضرب والطعن ومددهم متتابع ، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم وقد طلعوا في سبع مائة ، فأخبروه برأي القعقاع وما صنع في يوميه ، فعبأ أصحابه سبعين سبعين فلما جاء آخر أصحاب القعقاع خرج هاشم في سبعين معه ، فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث ، ولم يكن من أهل الأيام إنما أتى من اليمن اليرموك فانتدب مع هاشم ، فأقبل هاشم حتى إذا خالط القلب كبَّر ، كبر المسلمون وقد أخذوا مصافهم ..

وقد بات المشركون في علاج توابيتهم حتى أعادوها وأصبحوا على مواقفهم ، وأقبلت الفيلة معها الرجالة يحمونها أن تقطع وُضُنُها ، ومع الرجالة فرسان يحمونهم ، إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بفيل وأتباعه لينفروا بهم خيلهم ، فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس ، لأن الفيل إذا كان وحده ليس معه أحد كان أوحش ، وإذا أطافوا به كان آنس ، فكان القتال كذلك حتى عدل النهار ، وكان يوم عماس من أوله إلى آخره شديداً، العرب والعجم فيه على السواء ، ولا يكون بينهم نقطة إلا تعاورها الرجال بالأصوات (كالبريد) حتى تبلغ يزدجرد ، فيبعث إليهم أهل النجدات ، ممن بقى عنده فيقوون بهم ، وأصبحت عنده للذي لقى

بالأمس الإمداد على البرد ، فلولا الذي صنع الله للمسلمين بالذي ألهم القعقاع في اليومين ، وأتاح لهم بهاشم لكسر ذلك المسلمين».

وفي تاريخ الطبري:3/60: «قدم هاشم بن عتبة من قبل الشام معه قيس بن المكشوح المرادي في سبع مائة بعد فتح اليرموك ودمشق ، فتعجل في سبعين فيهم سعيد بن نمران الهمداني . قال مجالد: وكان قيس بن أبي حازم مع القعقاع في مقدمة هاشم..فتعجل في أناس ليس معه أحد من غيرهم إلا نفر ، منهم ابن المكشوح، فلما دنا تعجل في ثلاث مائة فوافق الناس وهم على مواقفهم فدخلوا مع الناس في صفوفهم.. كان اليوم الثالث يوم عماس ولم يكن في أيام القادسية مثله ، خرج الناس منه على السواء كلهم على ما أصابه كان صابراً».

وفي تاريخ الطبري:3/16: «فانهزموا حتى انتهوا إلى الصراة ، فطلبناهم فانهزموا حتى انتهوا إلى المدائن ، فكان المسلمون بكوثى وكان مسلحة المشركين بدير المسلاخ ، فأتاهم المسلمون فالتقوا فهزم المشركون حتى نزلوا بشاطئ دجلة ، فمنهم من عبر من كلواذى ومنهم من عبر من أسفل المدائن.. وعلى مقدمة سعد هاشم بن عتبة ».

حصار المسلمين للمدائن

13. وحاصر المسلمون المدائن شهوراً، وقيل تسعة أشهر ، وقيل أكثر من ذلك وكانوا يترامونهم بالمنجنيق والسهام . قال في معجم البلدان:1/515: «بَهُرَسِير.. إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن.. كأن معناه خير مدينة أردشير ، وهي في غربي دجلة ، وقد خربت مدائن كسرى ولم يبق ما فيه عمارة غيرها ،

وهي تجاه الإيوان ، لأن الإيوان في شرقي دجلة وهي في غربيه..وفي كتاب الفتوح: لما فرغ سعد بن أبي وقاص من القادسية سار حتى نزل بهر سير ففتحها وأقام عليها تسعة أشهر وقيل ثمانية ، حتى أكلوا الرطب مرتين ، ثم عبر دجلة فهرب منهم يزدجرد ، وذلك في سنة خمس عشرة وست عشرة ».

وفي فتوح البلاذري: 2/338: «لما فرغ سعد بن أبي وقاص من وقعة القادسية ، وجه إلى المدائن فصالح أهل الرومية وبهرسير ، ثم افتتح المدائن وأخذ أسبانبر وكردبنداذ عنوة ، فأنزلها جنده فاحتووها ».

وفي تاريخ الطبري:3/117: «نزل المسلمون على بهرسير وعليها خنادقها وحرسها وعدة الحرب فرموهم بالمجانيق والعرادات ، فاستصنع سعد شيرزاذ المجانيق فنصب على أهل بهرسير عشرين منجنيقاً ، فشغلوهم بها».

وفي فتوح الواقدي:2/197: «فلما نظر سعد إلى ذلك دعا سرزاد وقال له:إن أهل هذا البلد لم يتركوا للصلح موضعاً ، وأريد منكم أن تصنعوا لنا مجانيق ففعل سرزاد وعمل مجانيق ، فما مضت ثلاثة أيام حتى صنع له ذلك ونصب له ذلك على نهمشير ، أكثر من عشرين منجنيقاً فأشغلوهم بها عن قتال المسلمين ، والعرب فرحت بذلك ، فلما طال على البلد الحصار خرجوا يقاتلون المسلمين وتبايعوا على الصبر ، فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً ، وترامت الفرس بنشابها والعرب بنبالها ».

وهنا ظهرت شجاعة هاشم وبطولته ، مقتدياً بإمامه ومولاه أمير المؤمنين (عليه السلام) : قال الواقدي: (2/197): «فلما ترتبت الصفوف كان أول من برز واشتهر وسما

وافتخر فيروز ورطن بالفارسية وقال: يا هؤلاء العرب لقد أطمعتم أنفسكم فيما لا تصلون اليه ، وساءت ظنونكم وزعمتم أنكم تملكون العراق وتأخذونه من أيدي الأكاسرة ، وهذا ظن لا يصير أبداً ! ونحن كتيبة كسرى أولوا الشدة والباس والقوة والمراس ، وأنا مقدمهم والرئيس فيهم ، فليبرز إليَّ مقدمكم ويفعل مثل ما فعلت أنا من بين قومي . قال فما استتم كلامه حتى خرج اليه هاشم بن المرقال يجر قناته من ورائه ، وحمل عليه وحصل بينهما حرب يشيب منها الطفل ، ثم إن هاشماً طعنه في صدره فأطلع السنان من ظهره ! قال: فلما قتله هاشم ورجع إلى المسلمين قبَّله سعد بين عينيه ..فكتب سعد إلى أمير المؤمنين..وإننا نزلنا على نهمشير بعد ما لقينا فيما بين القادسية ونهمشير عسكراً مع قرط بن فيروز ، وظفرنا الله به وبمن معه ، وإن فيروز قتله هاشم ، وانهزم من بقي معه ، ونزلنا بعد ذلك على نهمشير ، وبثنا عساكرنا فأصابوا من الفلاحين ألف نفر فما رأيك فيهم؟».

ثم ذكر الواقدي أن المسلمين حاصروا المدينة شهرين ، حتى هرب يزدجرد ، فدخلوها بدون مقاومة .

وقال الواقدي في فتوح الشام:2/209: «لما انهزمت الفرس من المدائن واستولى عليها سعد بن أبي وقاص..وأنشد عاصم بن عمر في ذلك:

شهدنا بعون الله أفضل مشهد *** بأكرم من يقوى على كل موكب

ركبنا على الجرد الجياد سوابحاً *** بكل قناة بل بكل مقضب

وكنا بعون الله لا نرعوى إذا *** تبادر طعن كالغمام المشطب

ص: 272

وكان جهادٌ قد ملكنا بأمره *** من الملك مستعلى البناء المذهب

ترانا وإنا في الحروب أسودها *** لنا العزم لا يخفى لكل مجرب

نجول ونحمي والرماح شوارع *** ونطعن يوم الحرب كل مخبب

قدمنا على كسرى بشدة حربنا *** وما حربنا في النائبات بمختبي».

14. وبعد قيادته فتح المدائن ، قصد هاشم تجمع الفرس في جلولاء وخانقين، ففي تاريخ الطبري:3/79: «ثم إن الفرس هربت من ديرقرة إلى المدائن يريدون نهاوند ، واحتملوا معهم الذهب والفضة والديباج والفرند والحرير والسلاح وثياب كسرى وبناته ، وخلوا ما سوى ذلك ، وأتبعهم سعد الطلب من المسلمين ، فبعث خالد بن عرفطة حليف بني أمية ، ووجه معه عياض بن غنم في أصحابه ، وجعل على مقدمة الناس هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى ميمنتهم جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى ميسرتهم زهرة بن حوية التميمي، وتخلف سعد لما به من الوجع ، فلما أفرق سعد من وجعه ذلك اتبع الناس بمن بقى معه من المسلمين حتى أدركهم دون دجلة على بهرسير .

فلما وضعوا على دجلة العسكر والأثقال طلبوا المخاضة فلم يهتدوا لها حتى أتى سعداً علج من أهل المدائن فقال: أدلكم على طريق تدركونهم قبل أن يمعنوا في السير، فخرج بهم على مخاضة بقطربل فكان أول من خاض المخاضة هاشم بن عتبة في رجله فلما جاز اتبعته خيله ، ثم أجاز خالد بن عرفطة بخيلة ، ثم أجاز عياض بن غنم بخيله ، ثم تتابع الناس فخاضوا حتى أجازوا ، فزعموا أنه لم يهتد لتلك المخاضة بعد .

ثم ساروا حتى انتهوا إلى مظلم ساباط فأشفق الناس أن يكون به كمين للعدو فتردد الناس وجبنوا عنه ، فكان أول من دخله بجيشه هاشم بن عتبة ، فلما أجاز ألاح للناس بسيفه ، فعرف الناس أن ليس به شئ تخافونه ، فأجاز بهم خالد بن عرفطة ، ثم لحق سعد بالناس حتى انتهوا إلى جلولاء وبها جماعة من الفرس فكانت وقعة جلولاء بها فهزم الله الفرس ، وأصاب المسلمون بها من الفئ أفضل مما أصابوا بالقادسية ، وأصيب ابنة لكسرى يقال لها منجانة ، ويقال بل ابنة ابنه ». والصحيح أن سعداً لم يكن في الجيش الذي قصد جلولاء .

وفي تاريخ الطبري:3/113: « ثم إن سعداً ارتحل بعد الفراغ من أمر القادسية كله.. ثم أتبعهم هاشم بن عتبة وقد ولاه خلافته عمل خالد بن عرفطة ، وجعل خالداً على الساقة ، ثم أتبعهم وكل المسلمين فارس مؤد ، قد نقل الله إليهم ما كان في عسكر فارس من سلاح وكراع ومال ، لأيام بقين من شوال ..».

وفي تاريخ الطبري:3/116: «ثم إن سعداً قدَّم زهرة إلى بهرسير (المدائن) فمضى زهرة من كوثي في المقدمات حتى ينزل بهرسير ، وقد تلقاه شيرزاذ بساباط بالصلح وتأدية الجزاء ، فأمضاه إلى سعد ، فأقبل معه وتبعته المجنبات .

وخرج هاشم وخرج سعد في أثره ، وقد فلَّ زهرة كتيبة كسرى بوران حول المظلم ، وانتهى هاشم إلى مظلم ساباط (كالننفق) ووقف لسعد حتى لحق به ، فوافق ذلك رجوع المُقَرَّط أسدٌ كان لكسرى قد ألَّفه وتخيَّره من أسود المظلم (أسود حماية النفق) وكانت به كتائب كسرى التي تدعى بوران ، وكانوا يحلفون بالله كل يوم لا يزول ملك فارس ما عشنا . فبادر المقرط الناس حين انتهى إليهم سعد ، فنزل إليه هاشم فقتله ، فقبَّل سعد رأس هاشم ».

ص: 274

«وقيل نظر هاشم إلى الناس قد أحجموا ووقفوا فقال: ما لهم؟ فقيل له: أسد قد منعهم ، ففرج هاشم الناس وقصد له فثاوره الأسد وضربه هاشم فقطع وصليه كأنما احتدم غضباً ، ووقعت الضربة في خاصرته». (الروض المعطار/297).

أقول: الذي فلَّ كتيبة كسرى أو كتيبة بوران بقتل قائدها هو هاشم رضي الله عنه ، وليس زهرة بن حوية ، كما نصت الروايات .

15. وقاد هاشم المرقال جيش المسلمين في معركة جلولاء الكبرى ، وبعدها ، في تاريخ الطبري:3/134، عن محفَّز قال: «إني لفي أوائل الجمهور مدخلهم ساباط ومظلمها ، وإني لفي أوائل الجمهور حين عبروا دجلة ودخلوا المدائن، ولقد أصبت بها تمثالاً لو قسم في بكر بن وائل لسد منهم مسداً ، عليه جوهر فأديته ، فما لبثنا بالمدائن إلا قليلاً حتى بلغنا أن الأعاجم قد جمعت لنا بجلولاء جمعاً عظيماً ، وقدموا عيالاتهم إلى الجبال ، وحبسوا الأموال ».

أقول: تقع جلولاء في شمال شرق بغداد قرب الحدود العراقية الإيرانية ، وتبعد عن بغداد 180كيلو متراً ، وقد اتخذها الفرس مركزاً لتجميع القوات الآتية من أنحاء إيران لنجدة يزدجرد في المدائن . وعندما انهزم يزدجرد في المدائن هرب الى خانقين مع من بقي من جيشه ، ثم هرب في مجموعة قليلة الى حلوان ، ثم الى أصفهان .

وتجمَّع في جلولاء جيش الفرس في مئة ألف كما روي ، وجاءهم جيش المسلمين وكان اثني عشر ألفاً بقيادة هاشم المرقال ، وروي أربع وعشرون ألفاً.

وفي الطبري:3/134:«ففَصَلَ هاشم بن عتبة بالناس من المدائن في صفر سنة ست عشرة في اثني عشر ألفاً ، منهم وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب ، ممن

ارتـد وممن لـم يرتـد ، فسـار من المـدائن إلى جلولاـء أربعـاً ، حتى قـدم عليهـم وأحـاط بهـم ، فحاصـرهـم وطاولـهـم أهل فارس، وجعلوا لا يخرجون عليهم إلا إذا أرادوا وزاحفهم المسـلمون بجلولاء ثمانين زحفاً ، كل ذلك يعطى الله المسـلمين عليهم الظفر ، وغلبوا المشـركين على حسك الخشب ، فاتخذوا حسك الحديد ».

والحسك ، قطع مسننة من حديد أو خشب ترمى على الأرض لتدوسها الخيل فتعقر أقدامها أو تصاب .

16. وانشـغل سـعد بخزائن كسرى في المدائن ، وكتب له هاشم والمسلمون يطلبون حضوره اليهم فحضر على مضض، ورجع ولـم يذهب معهم الى حلوان! قال ابن الأعثم في الفتوح(1/216): «ورحل المسلمون من جلولاء إلى خانقين فنزلوها يومهم ذلك ، ثم رحلوا منها إلى قصـر شـيرين فنزلوها ، وكتبوا إلى سـعد بن أبي وقاص يستأذنونه في التقدم إلى حلوان ، ويحثونه على المصير إليهم ليكون لهم ملجأ وسنداً يلجؤون إليه ويشاورونه في أمورهم ، وقد كان سعد عليلاً فتباطأ عنهم ولم يصر إليهم، وكتب إليهم يأمرهم بالتقدم إلى حلوان !

قال: فغضب المسلمون لقعود سعد عنهم وإبطائه عن نصرتهم ، ثم أنشأ إبراهيم بن حارثة الشيباني يقول في ذلك:

أما بال سعد خامَ عن نصر جيشه *** لقد جئت يا سعد ابن زهرة منكرا

وأقسم بالله العلي مكانه *** لو ان المثنى كان حياً لأصحرا

وقاتل فيها جاهداً غير عاجز *** وطاعن حتى يحسب الجون أحمرا

كشداته يوم البجيلة معلماً *** يريد بما يبلي الثواب الموفرا

وضارب بالسيف الحسام مقدماً *** جموع الأعادي خشية أن يعيرا

ولكن سعداً لم يرد أجر يومه *** ولم يأتنا في يوم بأس فيعذرا

قال: فبلغت سعداً هذه الأبيات فكأنه تحرك للمسير على علته ، ثم دعا سلمان الفارسي فاستخلفه على المدائن ، وأوصاه بحفظ الغنائم ، وصار فيمن معه من أصحابه حتى لحق بالمسلمين ، وهم يومئذ نزول بقصر شيرين فنزل معهم يومهم ذلك . فلما كان من غد نادى في الناس بالرحيل إلى حلوان ، فرحل ورحل الناس معه ، وبلغ ذلك منوشهر بن هرمزدان المقيم بحلوان ، فخرج عن حلوان هارباً حتى لحق بيزدجرد وهو في جمع أصحابه .

وأقبل سعد بن أبي وقاص وعلى مقدمته جرير بن عبد الله البجلي ، حتى دخل حلوان ، فأنشأ عبد الله بن قيس الأزدي يقول:

فأبلغ أبا حفص بأن خيولنا *** بحلوانَ أضحت بالكماة تُجمجمُ

ونحن دهمناها صباحاً بفيلقٍ *** جريرٍ علينا في الكتيبة معلمُ

ونحن أبدنا الفرس في كل موطن *** بجمع كمثل الليل والليل مظلمُ

نقاتل حتى أنزل الله نصره *** وسعدٌ بباب القادسية مُعْصِمُ

فأُبنا وقد أَيْمَتْ نساءٌ كثيرةٌ *** ونسوة سعد ليس فيهن أَيِّمُ

أولئك قومي إن سمعت بمعشري *** وموضع أيسارى إذا نيل مغنمُ».

أقول: لاحظ أن ابراهيم بن المثنى رضي الله عنهما كان في جلولاء ، وأنه كان ممن هجا سعداً لعدم مشاركته المسلمين في الحرب ، وعيَّره بأبيه المثنى ، فتحرك سعد !

وقال البلاذري:2/324: « فلقوهم وحجر بن عدي الكندي على الميمنة ، وعمرو بن معدى كرب على الخيل ، وطليحة بن خويلد على الرجال ، وعلى الأعاجم يومئذ خرزاد أخو رستم . فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله ، رمياً بالنبل وطعناً بالرماح حتى تقصفت ، وتجالدوا بالسيوف حتى انثنت .

ثم إن المسـلمين حملوا حملـة واحـدة قلعوا بهـا الأعاجم عن موقفهم وهزموهم ، فولوا هاربين ، وركب المسـلمون أكتافهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً حتى حال الظلام بينهم ، ثم انصرفوا إلى معسكرهم .

وجعل هاشم بن عتبـة جرير بن عبـد الله بجلولاء في خيل كثيفـة ليكون بين المسـلمين وبين عـدوهم . فارتحل يزدجرد من حلوان ، وأقبل المسلمون يغيرون في نواحي السواد ، من جانب دجلة الشرقي ، فأتوا مهروذ ، فصالح دهقانها هاشماً على جريب من دراهم ».

17. بقي هاشم المرقال القائد العام لجيش المسلمين من القادسية الى نهاوند ، فقد جعله عمه سعد خليفته والقائد العام لجيش الفتح ، بدل خالد بن عرفطة ، قال الطبري:3/113: «ثم إن سـعداً ارتحل بعد الفراغ من أمر القادسـية كله وبعد تقدم زهرة بن الحوية في المقدمات إلى اللسان ، ثم أتبعه عبـد الله بن المعتم ، ثم أتبع عبـد الله شـرحبيل بن السـمط ، ثم أتبعهم هاشم بن عتبـة ، وقد ولاه خلافته عمل خالد بن عرفطة ، وجعل خالداً على الساقة ، ثم أتبعهم ».

فقـد كان سـعد والي العراق ، لكنه لايباشـر الحرب بنفسه ، بل اعتمـد على خالـد بن عرفطة العذري وهو كالمراسل عنده فجعله خليفته في معركة القادسية. ولما جاء ابن أخيه هاشم من اليرموك جعله خليفته بدل ابن عرفطة .

ثم ذهب سعد الى المدائن ، لكن بعد فتحها أو بعد أن حاصرها المسلمون شهوراً ، وظهرت علائم فتحها .

ثم أرسل سعد هاشم الجيش بقيادة المرقال الى جلولاء ، فكانت معركة شديدة انتصر فيها المسلمون ، وألحوا على سعد بالحضور فحضر . ثم أرسل الجيش الى حلوان ، ورجع هو الى المدائن ، وقسم الغنائم ورجع الى الكوفة .

وكان هاشم يباشر المعاركة بنفسه ويديرها ، واستمر في منصبه القيادي حتى بعد أن عزل عمر سعداً عن ولاية الكوفة ، وولى عمار بن ياسر ، فقد اعتمد عمار على هاشم أيضاً في الإعداد لمعركة نهاوند .

18. كان الإعداد لمعركة نهاوند على عاتق عمار وهاشم ، ثم النعمان وحذيفة ، فقد كان فتح المدائن ضربة موجعة للفرس هرب بسببها ملكهم يزدجرد ، واستطاع المسلمون أن يحتلوا بقية العراق ، وينتصروا على بقية جيشه في جلولاء وخانقين وحلوان . هذا من جهة بغداد والكوفة ، أما من جهة البصرة فقد فتحوا أكثر الأهواز ، فاتصلت فتوحاتهم من الجانبين .

لكن الفرس رغم ذلك استعادوا المبادرة ، وجمعوا قوات كبيرة في نهاوند بلغت مئة وخمسين ألفاً، واستعادوا كثيراً من المناطق التي فتحها المسلمون داخل إيران وكتب عمار بن ياسر والي الكوفة الى عمر بن الخطاب ، كما في فتوح ابن الأعثم: 2/291: «قد اجتمعوا بأرض نهاوند في خمسين ومائة ألف ، من فارس وراجل من الكفار ، وقد كانوا أمروا عليهم أربعة من ملوك الأعاجم ، منهم ذو الحاجب خرزاد بن هرمز ، وسنفاد بن حشروا ، وخهانيل بن فيروز، وشروميان بن إسفنديار، وإنهم قد تعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا وتكاتبوا وتواصوا وتواثقوا على أنهم يخرجوننا من أرضنا ويأتونكم من بعدنا . وهم جمع عتيد وبأس شديد ودواب فره وسلاح شاك ، ويد الله فوق أيديهم . فإني أخبرك يا أمير المؤمنين

أنهم قد قتلوا كل من كان منا في مدنهم ، وقد تقاربوا مما كنا فتحناه من أرضـهم ، وقد عزموا أن يقصدوا المدائن ويصـيروا منها إلى الكوفة ، وقد والله هالنا ذلك وما أتانا من أمرهم وخبرهم ».

وفي الأخبار الطوال/133: «ثم كانت وقعـة نهاونـد سـنة إحدى وعشـرين ، وذلك أن العجم لما قُتلوا بجلولاء ، وهرب يزدجرد فصار بقم، ووجه رسـله في البلدان يسـتجيش ، فغضب له أهل مملكته ، فتحلبت إليه الأعاجم من أقطار البلاد ، فأتاه أهل قومس وطبرسـتان وجرجان ودنباونـد والري وأصـبهان وهمـذان والماهين ، واجتمعت عنـده جموع عظيمـة ، فولى أمرهم مردان شاه بن هرمز ، ووجههم إلى نهاونـد . وكتب عمار بن ياسر إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فخرج عمر بن الخطاب ، وبيده الكتاب حتى صعد المنبر..».

وقد ذكرنا جانباً من أدوار هؤلاء الشيعة الأربعة في معركة نهاوند رضوان الله عليهم.

19. وذكر الواقدي أن هاشم المرقال شارك بعد القادسية في فتوح الشام ومصر قال الواقدي في فتوح الشام:1/147: «وقسم الأمير أبو عبيدة عسـكر المسلمين أربع فرق ، فبعث فرقة مع المسيب بن نجبة الفزاري ، فنزل بهم على باب الجبل مما يلي باب الصغير ، وبعث فرقة أخرى مع المرقال هاشم بن عتبـة بن أبي وقاص ، فنزل بهم على باب الرسـتق ، وبعث فرقـة أخرى مع يزيد بن أبي سـفيان ، فنزل على باب الشام . ونزل الأمير أبو عبيدة وخالد بن الوليد على باب الصغير . وزحف المسلمون إليهم من كل مكان وقاتلوهم بقية يومهم هذا ، وسهام الروم

تصل إليهم فيتلقونها بالحجف ، ونبال العرب تصل إليهم والى من بأعلى السور فأثرت لأجل ذلك ..» .

وفي فتوح الشام:1/151 : «قال الواقدي: عن ثابت بن قيس بن علقمة قال: كنت ممن حضر عند أبي عبيدة ، فعند ذلك دعا أهل الرأي والمشورة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) وقال لهم: إن هذا حصن شديد منيع ليس لنا إلى فتحه سبيل إلا بالحيلة والخديعة ، وأريد أن أجعل منكم عشرين رجلاً في عشرين صندوقاً ، وتكون الأقفال عندهم من باطنها ، فإذا صاروا في المدينة فثوروا على اسم الله تعالى ، فإنكم تنصرون على من فيها من المشركين . فقال خالد بن الوليد فإذا عزمت على ذلك فلتكن الاقفال ظاهرة ويكون أسفل الصناديق أنثى في ذكر من غير شئ يمسكها ، فإذا حل أصحابنا في حصن من هؤلاء القوم يخرجون جملة واحدة ويكبرون فإن النصر مقرون بالتكبير ، فأجابه أبو عبيدة إلى ذلك ، وأخذ صناديق الطعام المنتخبة عند الروم ، ففض أسافلها وجعلها ذكراً في أنثى فأول من دخل في الصناديق ضرار بن الأزور ، والمسيب أبن نجبة ، وذو الكلاع الحميري ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، والمرقال هاشم بن عتبة ، وقيس بن هبيرة ، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، ومالك بن الأشتر ، وعوف بن سالم وصابر بن كلكل ، ومازن بن عامر ، والأصيد بن سلمة ، وربيعة بن عامر وعكرمة بن أبي جهل ، وعتبة بن العاص ، ودارم بن فياض العبسي ، وسلمة بن حبيب ، والفازع بن حرملة ، ونوفل بن جرعل ، وجندب بن سيف ، وعبد الله بن جعفر الطيار ، وجعله أميراً عليهم، وسلموا الصناديق إلى الروم . فلما حطت الصناديق في الرستن ألقاها نقيطاس في قصر إمارته ، وارتحل الأمير أبو

عبيـدة ، وسـار حتى نزل في قريـة يقـال لها السوديـة ، فلما أظلم الليل بعث خالـد بن الوليـد بجيش الزحف إلى الرسـتن ينظر ما يكون من أصـحابه ، وما فعلت الصـحابة ، فسار خالـد بن الوليـد برجاله حتى وصل القنطرة وإذا بالصـياح قـد علا والتهليل والتكبير من داخل مدينة الرستن .

قال الواقدي: كان من أمر الصـحابة أنه لما ركهم نقيطاس في دار إمارته ركب إلى البيعة مع بطارقته وأهل مدينته ليصلوا صلاة الشكر ، لأجل رحيـل المسـلمين عنهم ، وارتفعت أصـواتهم بقراءة الإنجيـل وسـمع أصـواتهم أصـحاب رسـول الله (صـلى الله عليه و آله) فخرجـوا من الصـناديق وشدوا على أنفسـهم وشـهروا سـلاحهم ، وقبضوا على امرأة نقيطاس وحريمه ، وقالوا نريد مفاتيح الأبواب فسلمتها إليهم ، فلما حصـلت المفاتيـح في أيديهم رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصـلاة والسـلام على البشـير النذير ، وكبس القوم على أبواب مدينتهم فلم يجسـروا عليهم لأنهم بدون عدة وسـلاح ، وبعث عبد الله بن جعفر الطيار ربيعة بن عامر والأصيد بن سلمة وعكرمة بن أبي جهل وعتبة بن العاص والفارع بن حرملـة ، وسـلم إليهم المفاتيـح وقال:إفتحوا الأبواب وارفعوا أصواتكم بالتهليل وإخوانكم المسـلمين من حول المـدينة كاملون ، فتبادر الخمسـة إلى الباب القبلي ، وهو باب حمص وفتحوه ، ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة ، وإذا هم بعسـكر الزحف وعلى المقدمة خالد بن الوليد ، فأجابوهم بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة ، وسمع أهل الرستن أصوات أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) فعلموا أنهم في قبضتهم ، وأن مدينتهم قد أخذت من أيديهم فاستسلموا جميعاً..».

ص: 282

وقال الواقدي:1/230 : «ثم دعا بالمرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وضم اليه خمسة آلاف فارس مع جمع من المسلمين ، وسرحه على أثر شرحبيل بن حسنة ، وقال له: إنزل على حصنها(بيت المقدس)وأنت منعزل عن أصحابك ».

وقال الواقدي:2/222: «وكانت الصحابة لما فتحت مصر والوجه البحري قد تفرقوا ، فمنهم في الإسكندرية وأمسوس ودمياط ورشيد وبلبيس، وكان أكثرهم بوسط البحيرة في المكان المعروف بالمنزلة ، مثل القعقاع بن عمرو التميمي، وهاشم بن المرقال، وميسرة بن مسروق العبسي، والمسيب بن نجبة».

أقول: الرستن هو نهر العاصي ، وهذه المدينة التي قال الواقدي إنهم فتحوها بهذه الحيلة ، هي مدينة العاصي قرب حمص ، ولا نعرف وجود مدينة بهذا الإسم هناك ، وأكبر ظني أن القصة من الموضوعات !

وينبغي التنبيه الى أمثال هذه القصة في فتوح العراق والشام ومصر، والمرجح أنها موضوعة لإثبات بطولة المسلمين وذكر المعجزات التي رافقت الفتوحات ، أو البطولات الخارقة لبعض القادة والفرسان ، وقد يكون الواحد منهم ميتاً قبل تلك القصة المدعاة بسنين كضرار بن الأزور ! وقد تتضمن القصة أو الأسطورة خللاً تاريخياً أو جغرافياً واضحاً فاضحاً !

لذلك لايمكننا قبول معركة الرستن ولا معركة فتح دمشق والقدس، لأن كل هذه المدن سقطت بهزيمة الروم في اليرموك ، وتوديع هرقل لسوريا ، وانسحابه منها الى القسطنطينية . وكذلك انسحب الروم من مصر فكان فتحها صلحاً بدون قتال . أما معركة ذات الصواري فكانت بعد فتح مصر ببضع عشرة سنة ، وقد وقعت مع الروم وليس مع الأقباط .

ص: 283

والقاعـدة العامـة لفهم واقع الفتوحات:أن ننطلق من الأحـداث والمعارك القطعيـة وهي في العراق غارات المثنى على الحاميات الفارسـية والمحلية ، ومعركة بابل والجسر والبويب والقادسية وجلولاء ونهاوند .

وفي فلسطين: معركة أجنادين ومرج الصفر وفحل واليرموك .

20.كان لهاشم المرقال إخوة قادة ، وكان أبناؤه أكثر شـبهاً به وكانوا شـيعة مثله ومن إخوته حمزة بن عتبـة ، وكان مع علي (عليه السـلام) في صفين واستشهد فيها. كما في وقعة صفين/278، وذكر الحاكم نافع بن عتبة:3 /430، وذكره ابن حبان في ثقاته:3/412، وذكر أن له صحبة ورواية ، وأنه هو الذي استشهد في صفين .

وذكر البخـاري في تاريخه الصـغير:2/72، ابنه هـاشم بن هـاشم ، وذكره ابن حبـان في ثقـاته:2/342، والذهبي في سـيره:6/206. وذكر خليفة/185، ابنه إسحاق بن هاشم . وذكر ابن حجر في الإصابة:3/201، ابنه سليمان ، وفي تقريب التهذيب:1/229، ابنه حفصاً .

كما ذكروا له ابنين استشـهدا معه في صـفين ، وأنهما المقصودان بقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في رثائه: وابنا هاشم ذي المكارمِ . لكن في رواية شرح النهج:8/34: وابنا معبد ذي المكارم .

وذكر له في تاريـخ دمشق:33/347 ، ثلاثـة أولاـد ، قال: (عبـد الرحمن وعبـد الله وعبـد الملك، وأمهم أميـة بنت عوف..من الأزد).وذكر الإصابة:4/601،ابنته درة .

لكن أشـهر أبنائه عبد الله ، الذي نص ابن مزاحم وغيره من المؤرخين على أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أعطاه الراية في صفين بعد شهادة أبيه فخطب خطبـة بليغـة سـجلها الرواة . واشـتهر في أجوبته المفحمـة لمعاوية وعمرو بن العاص ، لما قبض عليه بعد صـفين . وكان وجيه الشيعة في البصرة .

ففي شرح النهج:8/32، ومروج الذهب:3/8 ، عن أبي عبيد الله المرزباني قال: «إن معاوية لما تم له الأمر بعد وفاة علي (عليه السلام) بعث زياداً على البصرة ونادى منادى معاوية: أمن الأسود والأحمر بأمان الله ، إلا عبد الله بن هاشم بن عتبة !

فمكث معاوية يطلبه أشد الطلب ولا يعرف له خبراً ، حتى قدم عليه رجل من أهل البصرة فقال له: أنا أدلك على عبد الله بن هاشم بن عتبة ، أكتب إلى زياد فإنه عند فلانة المخزومية ! فدعا كاتبه فكتب: من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان ، أما بعد ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعمد إلى حي بنى مخزوم ففتشه داراً داراً حتى تأتى إلى دار فلانة المخزومية ، فاستخرج عبد الله بن هاشم المرقال منها ، فاحلق رأسه وألبسه جبة شعر وقيده وغل يده إلى عنقه واحمله على قتب بعير بغير وطاء ولا غطاء ، وانفذ به إليَّ... فاقتحم الدار واستخرج عبد الله منها ، فأنفذه إلى معاوية ، فوصل إليه يوم الجمعة وقد لاقى نصباً كثيراً ، ومن الهجير ما غير جسمه ، وكان معاوية يأمر بطعام ، فيتخذ في كل جمعة لأشراف قريش ولأشراف الشام ووفود العراق .

فلم يشعر معاوية إلا وعبد الله بين يديه وقد ذبل وسَهِمَ وجهه فعرفه ولم يعرفه عمرو بن العاص ، فقال معاوية: يا أبا عبد الله ، أتعرف هذا الفتى؟ قال لا ، قال: هذا ابن الذي كان يقول في صفين:

إني شَرَيْتُ النفس لما اعتلَّا *** وأكْثَرَ اللوم وما أقلَّا

أعور يبغي أهله محلَّا *** قد عالج الحياة حتى ملَّا

لا بد أن يفُلَّ أو يُفَلا *** أشلُّهم بذي الكعوب شلا

لا خير عندي في كريمٍ ولَّى

فقال عمرو متمثلَا:

وقد ينبتُ المرعى على دمن الثرى *** وتبقى حَزازاتُ النفوس كما هيا

دونك يا أمير المؤمنين الضب المضب ، فاشخب أوداجه على أسباجه ، ولا تردَّه الى أهل العراق ، فانه لا يصبر على النفاق ، وهم أهل غدر وشقاق ، وحزب إبليس ليوم هيجاء ، وأن له هوى سيرديه ، ورأياً سيطغيه ، وبطانة ستقويه ، وجزاء سيئة سيئة مثلها .

فقال عبد الله: ياعمرو إن أُقتَل فرجلٌ أسلَمه قومه وأدركه يومه ، أفلا كان هذا منك إذ تحيد عن القتال ، ونحن ندعوك الى النزال ، وأنت تلوذ بسمال النطاف ، وعقائق الرصاف ، كالأمة السوداء ، والنعجة القوداء ، لا تدفع يد لامس !

فقال عمرو: أما والله لقد وقعت في لهاذم شَذقم للأقران ذي لبد ، ولا أحسبك منفلتاً من مخاليب أمير المؤمنين.

فقال عبد الله: أما والله يا ابن العاص إنك لبطر في الرخاء ، جبان عند اللقاء ، غشوم إذا وليت ، هيابة إذا لقيت ، تهدر كما يهدر العَوْد المنكوس المقيد ، بين مجرى الشول لا يستعجل في المدة ، ولا يرتجى في الشدة ، أفلا كان هذا منك إذا غمرك أقوام لم يعنفوا صغاراً ، ولم يمزقوا كباراً ، لهم أيدٍ شداد ، وألسنة حداد ، يدعمون العوج ، ويذهبون الحرج ، يكثرون القليل ، ويشفون الغليل ، ويعزون الذليل ، ويذهبون الحرج ، يكثرون القليل ، ويشفون الغليل ، ويعزون الذليل!

فقال عمرو: أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تخفق أحشاؤه ، وتبق أمعاؤه ، وتضطرب أطلاؤه ، كأنما انطبق عليه صمد .

فقال عبد الله: يا عمرو ، إنا قد بلوناك ومقالتك فوجدنا لسانك كذوباً غادراً ، خلوت بأقوام لا يعرفونك ، وجند لا يسامونك ، ولو رمت المنطق في غير أهل

الشام لجحظ إليك عقلك ، ولتلجلج لسانك ، ولاضطرب فخذاك اضطراب القَعود الذي أثقله حمله . فقال معاوية: إيهاً عنكما ، وأمر باطلاق عبد الله ، فقال عمرو لمعاوية: أمرتُك أمراً حازماً فعصيتني ، وكان من التوفيق قتل ابن هاشم أليس أبوه يا معاوية الذي أعان علياً يوم حزِّ الغَلاصم فلم ينثني حتى جرت من دمائنا بصفين أمثال البحور الخضارم ، وهذا ابنه والمرء يُشبه شيخه ويوشك أن تقرع به سن نادم !
فقال عبد الله يجيبه:

معاويَ إن المرء عمراً أَبَتْ له *** ضغينةُ صدرٍ غشُّها غير نائم

يرى لك قتلي يا ابن هند وإنما *** يرى ما يرى عمرٌو ملوك الأعاجم

على أنهم لا يقتلون أسيرهم *** إذا منعت عنه عهودُ المسالم

وقد كان منا يوم صِفِّين نفرةٌ *** عليك جناها هاشم وابن هاشم

قضى ما انقضى منها وليس الذي مضى *** ولا ما جرى إلا كأضغاث حالم

فإن تعْفُ عني تعفُ عن ذي قرابةٍ *** وإن تَرَ قتلي تستحل محارمي

فقال معاوية:

أرى العفو عن عُليا قريش وسيلة *** إلى الله في يوم العصيب القماطر

ولست أرى قتلي الغداة ابن هاشم *** بإدراك ثأري في لؤي وعامر

بل العفو عنه بعدما بان جُرمُه *** وزلت به إحدى الحدود العوائر

فكان أبوه يوم صفين جمرةً *** علينا فأردته رماحُ نهابِرِ ».

أقول: كان معاوية يتحالم ، لأنه لايريد أن يفتح معركة مع بني زهرة ، فيكون لهم ثأر عنده بقتل ابن المرقال . أما عمرو العاص فلا يعرف الحلم ولا التحالم.

ص: 287

سلمان الفارسي المحمدي رضي الله عنه

1. نشأ سلمان في أصفهان على المجوسية ، ثم أعجبته المسيحية فهاجر إلى الشام، وعاش مع كبير علماء النصارى ، ثم ذهب إلى العراق ، ثم الى تركيا ، حيث كان كبير علمائهم ، فأخبره بأنه سيظهر نبي في بلاد العرب ، فجاء سلمان إلى أرض العرب ينتظر ظهوره ، فوجد جماعة من اليهود ينتظرونه أيضاً.

ففي كمال الدين/161، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «كان بين عيسى وبين محمد (صلى الله عليه و آله) خمس مائة عام ، منها مائتان وخمسون عاماً ليس فيها نبي ولاعالم ظاهر . قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا متمسكين بدين عيسى (عليه السلام) . قلت: فما كانوا ؟ قال: كانوا مؤمنين . ثم قال: ولا تكون الأرض إلا وفيها عالم. وكان ممن ضرب في الأرض لطلب الحجة سلمان الفارسي رضي الله عنه ، فلم يزل ينتقل من عالم إلى عالم ومن فقيه إلى فقيه ، ويبحث عن الأسرار ويستدل بالأخبار ، منتظراً لقيام القائم سيد الأولين والآخرين محمد (صلى الله عليه و آله) أربع مائة سنة، حتى بشر بولادته فلما أيقن بالفرج خرج يريد تهامة فسبي » . أي أخذ على أنه عبد وباعوه .

ووجد سلمان في المدينة امرأة فارسية جاءت قبله تنتظر النبي الموعود (صلى الله عليه و آله) ! «قال سلمان: لما قدمت المدينة رأيت امرأة إصبهانية كانت قد أسلمت قبلي ، فسألتها عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) فهي التي دلتني على رسول الله».(طبقات المحدثين بأصبهان لابن حبان: 1/123 ، والإصابة لابن حجر: 8/29 ، وأخبار إصبهان: 1/44).

وفي إعلام الورى:1/60 : «وكان آخر من أتى آبي ، فمكث عنده ما شاء الله ، فلما

ظهر النبي (صلى الله عليه و آله) قال آبي: يا سلمان إن صاحبك الذي تطلبه بمكة قد ظهر ، فتوجه إليه سلمان ». أي آخر عالم نصراني عاش معه سلمان إسمه آبي .

وقال له الراهب: «أي بني والله ما أعلمه بقيَ أحد على مثل ما كنا عليه . ولكنه قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم ، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل . وإن فيه علامات لا تخفى: بين كتفيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة . فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل ، فإنه قد أظلك زمانه . فلما وارنياه أقمت على خير حتى مر بي رجال من تجار العرب من كلب ، فقلت لهم: تحملوني معكم حتى تقدموني أرض العرب وأعطيكم غنمتي هذه وبقراتي؟ قالوا: نعم ، فأعطيتهم إياها وحملوني حتى إذا جاءوا بي وادي القرى ظلموني فباعوني عبداً من رجل من يهود بوادي القرى ».

ثم باعه مالكه إلى بني قريظة في المدينة ، وبقي نحو سنتين حتى هاجر النبي (صلى الله عليه و آله) : «فوالله إني لفي رأس عذق إذ جاء ابن عم له فقال: قاتل الله بني قَيْلَة، والله إنهم الآن لفي قباء مجتمعون على رجل جاء من مكة يزعمون أنه نبي! فوالله ما هو إلا أن سمعتها فأخذتني العرواء يقول الرعدة حتى ظننت لأسقطن على صاحبي ، ونزلت أقول: ما هذا الخبر وما هو؟فرفع مولاي فلكمني لكمة شديدة وقال: ما لك ولهذا، أقبل قبل عملك! فقلت:لاشئ، إنما سمعت خبراً وأحببت أعلمه فلما أمسيت وكان عندي شئ من طعام فحملته وذهبت إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) وهو بقبا فقلت: إنه بلغني أنك رجل صالح وأن معك أصحاباً لك غرباء ، وقد كان عندي شئ للصدقة فرأيتكم أحق من بهذه البلاد به فها هو هذا فكل منه، فأمسك رسول الله (صلى الله عليه و آله) يده وقال لأصحابه:كلوا ولم يأكل ، فقلت في نفسي: هذه

خلة مما وصف لي صاحبي.. فاستدرت لأنظر إلى الخاتم في ظهره فلما رآني رسول الله (صلى الله عليه و آله) استدير عرف أني أستثبت من شئ قد وصف لي ، فوضع رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لي صاحبي، فأكببت عليه أقبله وأبكي ! فقال: تحول يا سلمان هاكني، فتحولت فجلست بين يديه، وأحب أن يسمع أصحابه حديثي فحدثته».(سيرة ابن إسحاق:2/68وأحمد: 5/443) .

وقال سلمان: « فكنت أسقي كما يسقي البعير ، حتى دَبَر ظهري وصدري (جُرح) من ذلك ، ولا أجد أحداً يفقه كلامي ، حتى جاءت عجوز فارسية تستقي فكلمتها ففهمت كلامي ، فقلت لها: أين هذا الرجل الذي خرج دليني عليه؟ قالت: سيمر بك بكرةً إذا صلى الصبح ». (أخبار أصبهان:1/76) .

2. كان سلمان رضي الله عنه في أعلى درجات الإيمان ، بعد المعصومين (عليهم السلام) ، ففي الخصال /447، عن عبد العزيز القراطيسي قال: « قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : يا عبد العزيز، إن الإيمان عشر درجات ، بمنزلة السلم ، يُصعد منه مِرْقاةٌ بعد مرقاة ، فلا يقولن صاحب الواحدة لصاحب الاثنتين لست على شئ . حتى تنتهي إلى العاشرة . ولا تسقط من هو دونك فيسقطك الذي هو فوقك. وإذا رأيت من هو أسفل منك فارفعه إليك برفق، ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره ، فإنه من كسر مؤمناً فعليه جبره . وكان المقداد في الثامنة ، وأبو ذر في التاسعة ، وسلمان في العاشرة » .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : «أدرك سلمان العلم الأول والعلم الآخر، وهو بحرٌ لا يُنزح، وهو منا أهل البيت..وكان عنده الإسم الأعظم» .(الكشي:1/52و56).

ص: 290

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) :«كان سلمان مُحَدَّثاً. قال قلت: فما آية المحدث؟قال:يأتيه مَلَكٌ فينكت في قلبه كيت وكيت ». (بصائر الدرجات/342).

3. لم يرو المسلمون لأحد بعد النبي (صلى الله عليه و آله) من المعجزات والكرامات ، كما رووا لأهل البيت المعصومين (عليهم السلام) . ولم يرووا لأحد من الصحابة معجزات وكرامات كما رووا لسلمان الفارسي رضوان الله عليه . فشخصيته شبيهةٌ بشخصيات الأنبياء (عليهم السلام) في علمه ، ومنطقه ، وسيرته ، وبقية ملامح شخصيته .

فقد أعده الله تعالى من شبابه ونشأته ليكون من آيات رسوله (صلى الله عليه و آله) ، وعاش عمراً طويلاً ، ليكون شاهداً على وراثة النبي (صلى الله عليه و آله) لعيسى المسيح (عليه السلام) ورسالته .

وأعطاه من العلم والأسرار ما يعجز عن حمله أكثر الناس . ومن العقلانية والحكمة والصبر ما جعل النبي (صلى الله عليه و آله) يشترط على أبي ذر عندما آخى بينهما ، أن يطيعه ولا يعصيه ، وكان حذيفة وأمثاله تلاميذ بين يديه !

وأعطاه من قوة الإرادة والأعصاب أنه كان يحمل الإسم الأعظم ، فلا تردُّ له دعوة ، لكنه لايدعو لأغراضه الشخصية ، بل لتبليغ الدين وهداية الناس !

وجعل معه ملكاً يحدثه ويوجهه كيف يتصرف ، فيقول له: إعمل كذا ، ولا تعمل كذا ، وقل كذا ، أو لا تقل ! وجعل الملائكة يسمعون كلامه ويطيعونه !

ففي أمالي الطوسي/128 : «مرض رجل من أصحاب سلمان فافتقده فقال: أين صاحبكم؟ فقالوا: مريض. قال: إمشوا بنا نعوده فقاموا معه ، فلما دخلوا على الرجل إذا هو يجود بنفسه ، فقال سلمان: يا ملك الموت إرفق بولي الله . قال ملك

الموت بكلام يسمعه من حضر: يا أبا عبد الله ، إني أرفق بالمؤمنين ، ولو ظهرت لأحد لظهرت لك » !

وقد تبلغ كرامات سلمان ومعجزاته رضي الله عنه مئة معجزة ، من إخباره بغيب ، الى رده السهام بقراءة آية عندما كان يفاوض الرماة من أبراج قصر كسرى ، الى تكليمه الظباء ومجيئها اليه طائعة ، الى تسخيره الكلاب لحراسة المدائن ودفع السراق ..الخ.

4. كان سلمان أبيض اللون ، بهيَّ الطلعة والشيبة ، قويَّ البنية ، عاش طويلاً ، وروي أنه عاش نحو500 سنة ، وأدرك حواريي المسيح (عليه السلام) ، وقيل360 سنة ، وأقل قول في عمره250 سنة . وروي أنه إسمه روز به (الواقدي:2/204) أي النهار الحسن ، وفي ذكر أخبار إصبهان:1/48 ، إسمه ماهويه بن بدخشان بن آذرجشنس، من ولد منوشهر الملك . وقد آمن بالنبي (صلى الله عليه و آله) عند هجرته، واشتراه النبي (صلى الله عليه و آله) من مالكه وأعتقه ، فهو مولى رسول الله (صلى الله عليه و آله) .

ففي مسند أحمد:5/354: (وكان لليهود فاشتراه رسول الله (صلى الله عليه و آله) بكذا وكذا درهماً ، على أن يغرس نخلاً فيعمل سلمان فيها حتى تطعم . قال: فغرس رسول الله (صلى الله عليه و آله) النخل إلا نخلة واحدة غرسها عمر ، فحملت النخل من عامها ولم تحمل النخلة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) :ما شأن هذه؟ قال عمر: أنا غرستها يا رسول الله . قال فنزعها رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثم غرسها فحملت من عامها » .

واكتمل تحرير سلمان رضي الله عنه بعد حرب أحُد ، فشهد حروب النبي (صلى الله عليه و آله) بعدها ، وكان من خواص أصحابه وحوارييه .

5. كان سـلمان يعمل في حفر الخندق بقدر عشرة رجال فأصابوه بالعين فعالجه النبي (صلى الله عليه و آله) ! ففي الإمتاع (1/226) وسبل الهدى (4/365): «وجعل لسـلمان خمس أذرع طولاً وخمساً في الأرض ففرَّغها وحـده ، وهو يقول: اللهم لاعيش إلا عيش الآخرة..وكان سلمـان يعمل عمل عشـرة رجال حتى عانه قيس بن أبي صعصـعة ، فلُبِطَ به (أصابه بالعين فصـرع) فقال رسول الله (صـلى الله عليه و آله) : مروه فليتوضأ له وليغتسل به سلمان ، وليكفئ الإناء خلفه ، ففعل فكأنما حُلَّ من عقال».

ولُبِطَ به الأرض: «صرع من عين أو حمى أو أمر يغشاه شبه مفاجأة ». (العين: 7/431).

ومروه فليتوضأ له: أي يغسل الذي أصابه بالعين يديه في طشت أو إناء ، فيصبه سلمان على بدنه ، ويلقي ما بقي منه خلفه . ففعلوا ذلك فصح سلمان ونهض .

وروى البيهقي بمعناه (9/351) أن عامر بن ربيعة مرَّ على سـهل بن حنيف وهو يغتسل فقال: لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة (أي لا تصل الى جماله الجارية المخدرة)!

فما لبث أن لُبِط به، فأتى النبي (صـلى الله عليه و آله) فقيل له: أدرك سـهلاً صـريعاً، فقال: من تتهمون به؟ قالوا عامر بن ربيعـة، فقال على مَ يقتل أحدكم أخاه ! إذا رأى ما يعجبه فَلْيَدْعُ بالبركة . وأمره أن يتوضأ ويغسل وجهه ويديه إلى مرفقيه وركبتيه وداخلة إزاره ، ويصب الماء عليه . قال معمر قال الزهري: ويكفئ الإناء من خلفه).

وفي المناقب:1/75 : «وكان الناس يحفرون الخندق وينشدون ، سوى سـلمان، فقال النبي (صلى الله عليه و آله) :اللهم أطلق لسان سلمان ولو على بيتين من الشعر، فأنشأ سلمان:

مالي لسانٌ فأقول شعرا *** أسأل ربي قوةً ونصرا

على عدوي وعدو الطهرا *** محمد المختار حاز الفخرا

حتى أنال في الجنان قصرا *** مع كل حوراء تحاكي البدرا

فضج المسلمون وجعلت كل قبيلة تقول: سلمان منا،فقال النبي (صلى الله عليه و آله) :سلمان منا أهل البيت).

6. اشتهر تشيع سلمان رضي الله عنه بمواقفه واحتجاجه عند وفاة النبي (صلى الله عليه و آله) ، وقد رويت عنه أحاديث كثيرة احتج بها على أهل السقيفة ، واستنكر إقصاءهم لعلي (عليه السلام) وبيعتهم لأبي بكر ، وقال: كرديد ونكرديد ، حق علي را برديد ! أي فعلتم وما فعلتم ، حق علي (عليه السلام) غصبتم !

وقال: « أما والله لقد فعلتم فعلةً أطمعتم فيها الطلقاء ولعناء رسول الله (صلى الله عليه و آله) ! ولو بايعتم علياً لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم .

قال ابن عمر: فلما سمعت سلمان يقول ذلك أبغضته وقلت: لم يقل هذا إلا بغضاً منه لأبي بكر . فأبقاني الله حتى رأيت مروان بن الحكم يخطب على منبر رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقلت: رحم الله أبا عبد الله ، لقد قال ما قال بعلم كان عنده».

(أنساب الأشراف للبلاذري:1/591 ، والثاقب في المناقب/129، والإيضاح/457).

وفي الإحتجاج: 1/151، عن الإمام الصادق (عليه السلام) : «خطب سلمان الفارسي بعد أن دفن النبي (صلى الله عليه و آله) بثلاثة أيام فقال: ألا يا أيها الناس: إسمعوا عني حديثي ثم اعقلوه عني ، ألا وإني أوتيت علماً كثيراً ، فلو حدثتكم بكل ما أعلم من فضايل أمير المؤمنين (عليه السلام) لقالت طائفة منكم هو مجنون ، وقالت طائفة أخرى: اللهم اغفر لقاتل سلمان ! ألا إن لكم منايا تتبعها بلايا ، ألا وإن عند علي (عليه السلام) علم المنايا والبلايا وميراث الوصايا ، وفصل الخطاب ، وأصل الأنساب ، على منهاج هارون بن عمران من موسى إذ يقول له رسول الله (صلى الله عليه و آله) : أنت وصيي في

أهل بيتي وخليفتي في أمتي ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى !

ولكنكم أخـذتم سـنة بني إسـرائيل، فأخطأتم الحق ، فأنتم تعلمون ولاتعلمون! أما والله لتركبن طبقاً عن طبق ، حـذو النعل بالنعل ، والقـذة بالقذة !

أما والذي نفس سـلمان بيده لو وليتموها علياً لأكلتم من فوقكم ومن تحت أقدامكم ، ولو دعوتم الطير لأجابتكم في جو السماء ، ولو دعوتم الحيتان من البحار لأتتكم ، ولما عال ولي الله ، ولا طاش لكم سهم من فرائض الله ، ولا اختلف اثنان في حكم الله .

ولكن أبيتم فوليتموها غيره ، فأبشروا بالبلايا ، واقنطوا من الرخاء ، وقد نابذتكم على سواء ، فانقطعت العصمة فيما بيني وبينكم من الولاء !

عليكم بآل محمد فإنهم القادة إلى الجنة ، والدعاة إليها يوم القيامة .

عليكم بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فوالله لقد سلمنا عليه بالولاية وإمرة المؤمنين مراراً جمة مع نبينا ، كل ذلك يأمرنا به ويؤكده علينا ! فما بال القوم عرفوا فضـله فحسدوه ، وقد حسد هابيل قابيل فقتله ! وكفاراً قد ارتدت أمة موسى بن عمران ، فأمر هذه الأمة كأمر بني إسرائيل ، فأين يذهب بكم !

أيها الناس: ويحكم ما لنا وأبو فلان وفلان ؟! أجهلتم أم تجاهلتم؟ أم حسدتم أم تحاسدتم؟ والله لترتدن كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف ، يشهد الشاهد على الناجي بالهلكة ، ويشهد الشاهد على الكافر بالنجاة !

ألا وإني أظهرت أمري وسـلمت لنبيي (صلى الله عليه و آله) ، واتبعت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة علياً أمير المؤمنين ، وسيد الوصيين ، وقائد الغر المحجلين ، وإمام الصديقين ، والشهداء والصالحين ».

أقول: ركز سلمان في احتجاجه على أهل السقيفة على علم علي (عليه السلام) ، وأن الذين يريدون عزله ليس عندهم علم الكتاب ولا علوم رسول الله (صلى الله عليه و آله) .

ثم ركز على الرخاء والرفاهية والنتائج المادية التي سيحققونها لو ولوا علياً (عليه السلام) .

7. شهد سلمان رضي الله عنه جميع حروب النبي (صلى الله عليه و آله) بعد أن تحرر من العبودية ثم شارك في فتوحات العراق و إيران والشام ومصر ، وكان في فتح العراق و إيران داعية المسلمين ورائدهم ، أي المفاوض عنهم ، وكان وجوده مؤثراً في إقناع بعض قادة الفرس بالتسليم وعدم الحرب ، و إقناع بعضهم بالإسلام .

قال الطبري في تاريخه:3/9: «بعث عمر الأطبة ، وجعل على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ذا النور ، وجعل إليه الأقباض وقسمة الفئ ، وجعل داعيتهم ورائدهم سلمان الفارسي » .

وفي تاريخ الطبري:3/124: «عن عطية بن الحارث وعطاء بن السائب ، عن أبي البختري قال: كان رائد المسلمين سلمان الفارسي ، وكان المسلمون قد جعلوه داعية أهل فارس . قال عطية: وقد كانوا أمروه بدعاء أهل بهرسير. وأمروه يوم القصر الأبيض فدعاهم ثلاثاً . قال عطية وعطاء: وكان دعاؤه إياهم أن يقول: إني منكم في الأصل ، وأنا أرقُّ لكم ، ولكم في ثلاث أدعوكم إليها ، ما يصلحكم: أن تسلموا ، فإخواننا لكم ما لنا وعليكم ما علينا ، وإلا فالجزية ، وإلا نابذناكم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين . قال عطية: فلما كان اليوم الثالث في بهرسير أبوا أن يجيبوا إلى شئ ، فقاتلهم المسلمون حين أبوا . ولما كان

اليوم الثالث في المدائن ، قبل أهل القصر الأبيض وخرجوا ، ونزل سعد القصر الأبيض ، واتخذ الإيوان مصلى ، وإن فيه لتماثيل جص فما حركها ».

وفي سنن الترمذي:3/52 ، وذكر أخبار إصبهان:1/55 : «عن أبي البختري: أن جيشاً من جيوش المسلمين كان أميرهم سلمان الفارسي، فحاصروا قصراً من قصور فارس فقيل: يا أبا عبد الله ألا تنهد إليهم؟ قال:دعوني أدعوهم كما سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يدعوهم. قال: فأتاهم سلمان فقال لهم: إنما أنا رجل منكم فارسي ترون العرب تطيعني، فإن أسلمتم فلكم مثل الذي لنا وعليكم مثل الذي علينا وإن أبيتم إلا دينكم تركناكم عليه ، وأعطيتمونا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، وأنتم غير محمودين . وإن أبيتم نابذناكم على سواء . قال: فرطن لهم بالفارسية . رواه زائدة عن عطاء فيه فقالوا: وما الجزية قال: درم وخاكت بسر».

ومعناه: أن تعطي المال وأنت ذليل . وهذا يدل على أن سلمان كان قائداً في الفتح، مضافاً الى أنه داعية المسلمين ورائدهم . ونستطيع أن نقدر له أدواراً غير معلنة ، ونرجح أن يكون ساعد في إقناع الفرس بعدم المقاومة ، وفي دخول شخصيات منهم في الإسلام ، وربما كان منهم الهرمزان الذي هو خال شيروية ابن كسرى ، وكان حاكم الأهواز وقائداً في معركة القادسية وغيرها ، ثم استأسر للمسلمين في معركة تستر ، وأخذه عمار بن ياسر الى المدينة ، وأمنه عمر ، وأسلم على يد علي فصار مولى علي (عليه السلام) .

8.أتقن سلمان العربية فكان يتكلم بها وقد ينظم الشعر، لكن بقيت عنده لُكْنَةٌ فارسية ، ولذلك كان يقدم أحد الصحابة الفصحاء ليخطب الجمعة ويصلي

بالناس ، ففي طبقات ابن سعد: 6/124، عن أبي قدامة: «أنه كان في جيش عليهم سلمان الفارسي ، فكان يؤمهم زيد بن صوحان ، يأمره بذلك سلمان ».

وفي مصنف ابن أبي شيبة:8/17: «كان سلمان أمير المدائن ، فإذا كان يوم الجمعة قال لزيد: قم فذكر قومك ».

أقول: هذا من فقه سلمان رضي الله عنه وتقواه ، فهو يقدم من هو أفصح منه ، للخطبة والصلاة . وفي قوله لزيد: ذكر قومك ، إلفاتٌ الى حسن كون القارئ والخطيب من نفس القوم الذين يذكرهم ، كما قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ، وقال تعالى: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ .

لكن سلمان رضي الله عنه كان يعرف دقائق القرآن وأحكامه أفضل من زيد .

ففي مصنف ابن أبي شيبة:7/152: «عن خليد العصري قال: لما قدم علينا سلمان أتيناه ليستقرئنا القرآن فقال: القرآن عربي فاستقرؤوه رجلاً عربياً ، فاستقرأنا زيد بن صوحان ، فكان إذا أخطأ أخذ عليه سلمان ، فإذا أصاب قال: أيم الله ».

وفي تاريخ دمشق:19/439: «كان يقرؤنا زيد بن صوحان ، ويأخذ عليه سلمان ، فإذا أخطأ رد عليه سلمان. هذا لفظ المحاملي، وقال الجروي: فإذا أخطأ غير علته ، فإذا أصاب قال: إي والله».

أقول: خُلَيْد بن حسان العصري ، من كبار التابعين ، وهو شيخ قتادة المفسر ، وبنو عصر بطن من عبد القيس ، وكان خليد في البصرة وسكن بخارى (تاريخ دمشق: 47/104، وتاريخ الذهبي:10/168) فمعنى قوله: لما قدم علينا سلمان ، أي الى البصرة . ولعل ذلك في فتح الأهواز ، لما استأسر الهرمزان ، وفتحت تستر.

9. ورووا «أن قوماً من الفرس سألوه أن يكتب لهم شيئاً من القرآن، فكتب لهم فاتحة الكتاب بالفارسية ». (مجموع النووي:3/380، ومناهل العرفان:2/115).

ولعله ترجم لهم كل القرآن ، أو قسماً منه ، فهو أول مترجم للقرآن الى غير العربية ، ولا بد أن يكون لذلك تأثير كبير في إقبال الفرس على الإسلام .

وروى ابن سعد (4/84) أن سلمان رضي الله عنه سكن الكوفة في زمن عمر ، وكانت الكوفة مقصد الفرس الذين يريدون أن يتعلموا الإسلام .

10. أخفى رواة السلطة دور سلمان في الفتوحات والمفاوضات مع الفرس ! وتتعجب عندما تقرأ في معركة القادسية وفتح المدائن وغيرها أن الملك يزدجرد أو رستم طلبوا من المسلمين أن يرسلوا لهم ممثلاً ليتفاوض معه ، فأرسلوا المغيرة بن شعبة ، أو وفداً من فلان وفلان وبعضهم حديثوا الإسلام ، ووصفوا لباسهم وذهابهم وحديثهم مع يزدجرد ورستم ، ورجوعهم ، ولم يذكروا سلمان مع أنه كان «رائد المسلمين وداعيتهم» الرسمي بمرسوم الخليفة عمر ، وقد تقدمت رواية وفدهم في معركة القادسية !

وغاية ما ذكروه أن قالوا: «كان رائد المسلمين سلمان الفارسي، وكان المسلمون قد جعلوه داعية أهل فارس. وقد كانوا أمروه بدعاء أهل بهرسير. وأمروه يوم القصر الأبيض فدعاهم ثلاثاً ». (الطبري:3/124).

قال الطبري (3/121): «فانتهينا إلى القصر الأبيض وفيه قوم قد تحصنوا ، فأشرف بعضهم فكلَّمَنا ، فدعوناهم وعرضنا عليهم فقلنا: ثلاث تختارون منهن

أيتهن شئتم.قالوا: وما هن؟قلنا:الإسلام فإن أسلمتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا. وإن أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم فمناجزتكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم.

فأجابنا مجيبهم: لا حاجة لنا في الأولى ولا في الآخرة ولكن الوسطى..عن عطية بمثله قال: والسفير سلمان ».

لاحظ أن الرواية ذكرت مفاوضة المسلمين مع حامية قصر كسرى ، ولم تذكر سلمان الفارسي ، بينما ذكرته رواية عطية ، وهذا يدل على سياسة الحكومات في كتابة الفتوحات ، وتعمدهم طمس دور سلمان وأمثاله من شيعة علي (عليه السلام) !

11. ورووا معجزةً لسعد بن أبي وقاص وسلمان رضي الله عنه في فتح المدائن ، وذلك لما حاصروها ، وكان نهر دجلة يفصلهم عنها ، فقالوا إن سعداً أمر الناس بالعبور وكان معه سلمان ، فعبرت خيولهم الماء .

قال الطبري:3/121: «فلما استووا على الفراض هم وجميع كتيبة الأهوال (كتيبة عمرو بن معديكرب) بأسرهم، أقحم سعد الناس ، وكان الذي يساير سعداً في الماء سلمان الفارسي، فعامت بهم الخيل وسعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصرن الله وليه وليظهرن الله دينه ، وليهزمن الله عدوه ، إن لم يكن في الجيش بغيٌ أو ذنوب تغلب الحسنات. فقال له سلمان: الإسلام جديد ، ذُلِّلَتْ لهم والله البحور كما ذُلل لهم البر . أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجاً. فطبقوا الماء حتى ما يرى الماء من الشاطئ ، ولهم فيه أكثر حديثاً منهم في البر لو كانوا فيه، فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفقدوا شيئاً،ولم يغرق منهم أحد ».

أقول: دلت روايات فتح المدائن على أنه لم تقع معركة فيه إلا مع كتيبة كسرى الخاصة التي كانت في موقع يدعى «مظلم ساباط» قبل المدائن ، فخرج قائدها وطلب المبارزة ، فبرز له هاشم المرقال رضي الله عنه وقتله ، فانهزمت الكتيبة ، وتقدم المسلمون نحو المدينة الرومية ، ثم الى قصر كسرى في المدائن .

وروي أن بعض فرسان المسلمين كحجر بن عدي رضي الله عنه ، عبر بفرسه: «فتقدم حِجْر وقرأ: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ. وأقحم فرسه وهو يقول: باسم الله ، فعبر وعبر المسلمون على أثره ! فلما رآهم العدو قالوا: ديوان ديوان (جمع دِيو: الغول) يعني شياطين شياطين ! فهربوا فدخلنا عسكرهم».(تفسير ابن كثير:1/419) .

وروي أن عامر بن مالك الأشعري (تاريخ قم/268، وأسد الغابة:4/282) أول من عبر بفرسه نهر دجلة الى المدائن ، وقال في ذلك مرتجزاً:

إمضوا على البحر إن البحر مأمور *** والأول القاطع منكم مأجور

قد خاب كسرى وأبوه سابور *** ما تصنعون والحديث مأثور

ورووا أن شخصاً دلَّ المسلمين على معبر ، فعبروا منه . فأين معجزة سعد ؟ كما رووا أن سعد بن أبي وقاص لم يكن في الجيش الذي توجه الى المدائن ، بل كان بقيادة خالد بن عرفطة ، وهاشم المرقال .

قال البلاذري(2/323): «وجه سعد بن أبي وقاص خالد بن عرفطة على مقدمته ، فلم يَرِد سعد حتى فتح خالد ساباط . ثم قدم فأقام على الرومية حتى صالح أهلها على أن يجلو من أحب منهم ويقيم من أقام على الطاعة والمناصحة ، وأداء

الخراج ، ودلالـة المسـلمين ، ولا ينطووا لهم على غش . ولم يجـد معابر فـدُلَّ على مخاضة عند قرية الصـيادين فأخاضوها الخيل ، فجعل الفرس يرمونهم فسلِموا غير رجل من طيئ يقال له سليل بن يزيد بن مالك السنبسي ، لم يصب يومئذ غيره » .

ورواية البلاذري هذه مقدمة على رواية الطبري التي تقول إن سعداً أمرهم بالعبور بدوابهم وأثقالهم فعبروا سالمين . لأنها تريد إثبات معجزةً لسعد ، وقد استعانت بسلمان رضي الله عنه لأجل تصديقها .

كما أنها لاتنافي رواية البلاذري بعبور بعضهم سباحة بخيولهم ، كحجر بن عدي وعامر بن مالك. وشاهدنا حضور سلمان رضي الله عنه في فتح المدائن، حضوراً مميزاً.

12. رووا نموذجاً من عمل سـلمان ، وأنه أقنع كتيبة المرازبة باعتناق الإسلام ! قال الواقدي في فتوح الشام:2/204: «خرجنا بعد فتح القصر الأبيض وكان قـد تحصن به رجال من المرازبـة ، وكانوا أشـد جلداً وأقوى عزيمة من جميع الفرس ، وتحالفوا أنهم لا يسـملون أبداً ، والذين حصـلوا وتولوا حصارهم كتيبة الأهوال وهي كتيبة القعقاع ، فلما رأينا عزمهم على الموت بَعُدْنَا عن نَشَّابهم وحجارة مجانيقهم ، وطال علينا ذلك وشـكونا ذلك إلى سـعد وقلنا له: قد حرمنا الجهاد بحصارنا لهؤلاء الأعلاج . فقال سـعد لسـلمان:تقدم إليهم ودبِّر شـيئاً فيه مصـلحة المسـلمين وأمنهم. فتقدم إليهم سلمان رضي الله عنه وكلمهم بالفارسية فأمسكوا عن رميه وقالوا له: من أنت؟ فقال: أنا رسول من المسلمين ، إعلموا أن الرجل يقاتل عن نفسه وماله وولده إذا رجا الخلاص ، وما أرى لكم من خلاص قط

وهذا الملك قد انهزم وأخذنا مملكته وخزائنه ، وما بقي في المدائن أحد غيركم فاتقوا الله في أنفسكم ولا تهلكوها ، وسلموا لنا هذا الحصن ، ولكم الأمان إلى أي جهة توجهتم ، لايعارضكم منا أحد .

قال: فلما سمعوا قوله قالوا: لا نسلم حتى نهلك عن آخرنا ، ثم رموا سلمان بالنشاب فقرأ: وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ، وأشار إلى النشاب بيده فذهبت السهام يميناً وشمالاً ولم يصبه منها شئ ! قال: فلما رأوا ذلك قالوا: زنهار(إنتبه وأمسك) فبحق ما تشير اليه من أنت؟ قال: أنا روزبه ، وقد عمرت أربع مائة سنة ولحقت آخر أيام عيسى بن مريم ، وطفت الأرض حتى لحقت بنبي هذه الأمة ، فلما أتيته أكرمني وخدمته ، فعظمني حتى أنه جعلني من أهل بيته فقال: سلمان منا أهل البيت . فلما سمعوا قوله وحققوا معرفته ، علموا أنه كان من عظماء أهل دينهم ، قال: فصقعوا له ، وقالوا: والله ما نخفي عليك شيئاً من أمرنا ، وسبب قتالنا ليس بسبب مال ولا متاع ، وإنما الملك قد مضى يريد نهاوند ، ولم يقدر على أخذ ابنته معه ، وهي مريضة ، وقد سلمها الينا ، فلزمنا من أمرها ما لزم. فإن كنتم تعطون الأمان عليها سلمنا لكم ، وإلا نموت يداً واحدة !

فلما سمع سلمان منهم ذلك قال: دعوا هذا الأمر حتى أشاور الأمير ، ثم عاد وحدث سعداً بما سمعه فقال: يا أبا عبد الله إن المسلمين قد انتشروا في العراق ونخاف أن يقع بهم أحد فلا يُبقي عليهم . ولكن قل لهم: لكم علينا أن نذب عنكم وتكونوا في ذمامنا حتى تجاوزوا أي جهة تريدونها ، وبعد ذلك لا نضمن

لهم ما يأتي عليهم . قال: فحدثهم سلمان بما قاله الأمير ، فقال العقلاء منهم: لولا أن العرب على حق ما نصروا علينا ، ومن الرأي أن نرجع إلى دين هؤلاء العرب ونعيش في ظلهم ، وإن القوم لا يريدون ملكاً ، وقد رأيتم هذا الرجل وما ظهر لكم من كرامته .

قال: ففتحوا باب السر وخرجوا إلى العسكر ، وأتوا إلى سلمان فأتى بهم إلى سعد ، وأسلموا على يديه . فلما جرى ذلك بكى سعد وقال: اللهم انصر الإسلام ، وقرأ قوله تعالى: وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ .

وبعث إلى صاحب الأقباض فأخذ جميع ما في القصر الأبيص من الأموال وخزانة الملك ، فلما قسم الغنائم على المسلمين ، أعطى أولئك أوفى نصيب ، وأنزلهم منازل كسرى ، وسائر دور المدائن ».

أقول: تلاحظ أن رواية الواقدي عن المتحصنين في القصر ، هي نفس رواية الطبري التي طمسوا فيها دور سلمان رضي الله عنه . وأن سلمان بإيمانه حوَّل هؤلاء المرازبة (كتيبة حراس الحدود) وهم من كبار الموظفين ، من أعداء مقاتلين الى مسلمين مؤمنين .

أما حضور سعد يومها فقد يكون صحيحاً لأن حصارهم للمدائن طال شهوراً ، وقد يكون سعد حضر في آخر الحصار .

13. جمعوا أموال قصور كسرى وبيوت المدائن، وجعلوها بيد سلمان الفارسي ، ففي تاريخ الطبري:3/125: «ووكل بالأقباض عمرو بن عمرو بن مقرن ، وأمره بجمع ما في القصر والإيوان والدور وإحصاء ما يأتيه به الطلب ، وقد كان أهل المدائن تناهبوا عند الهزيمة غارة ، ثم طاروا في كل وجه فما أفلت أحد منهم

بشئ لم يكن في عسكر مهران بالنهروان ولا بخيط ، ألح عليهم الطلب فتنقذوا ما في أيديهم ورجعوا بما أصابوا من الأقباض فضموه إلى ما قد جمع ، وكان أول شئ جمع يومئذ ما في القصر الأبيض ، ومنازل كسرى ، وسائر دور المدائن».

وفي الإصابة:3/192: «عن غلام لسلمان يقال له سويد وأثنى عليه خيراً ، قال: لما فتحت المدائن أصبت سلة ، فقال سلمان: هل عندك شئ؟ قلت: سلة ، قال: هاتها فإن كان طعاماً أكلناه ، أو مالاً رفعناه إلى هؤلاء . قال: ففتحناها فإذا أرغفة حواري وجبنة ، فكان أول ما رأت العرب الحواري ».

وقد تقدم في ترجمة هاشم أن سعداً بقي في المدائن ، ولم يذهب الى جلولاء إلا بعد أن هجاه المسلمون، ومنهم ابراهيم بن المثنى بن حارثة ، فذهب على مضض ، ثم رجع من هناك ، ولم يذهب مع جيشه الى حلوان !

14. وصار الفارسي المشرد حاكماً لعاصمة كسرى، ونموذجاً للحاكم المسلم قال ابن الأعثم:1/220: «كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يولي سلمان الفارسي المدائن وما والاها ، ويرجع هو إلى الكوفة ».

وروى في تاريخ دمشق:21/435 ، أنه كتب الى عمر يعتذر عن تولي المدائن فلم يقبل منه ، فقد قال لمن سأله لماذا قبلت الولاية: « إن عمر أكرهني ، فكتبت إليه فأبى مرتين ، وكتبت إليه فأوعدني » !

واستقبله الناس ومهدوا له قصر الإمارة ، فقال: إستأجروا لي حانوتاً في السوق أحكم بين الناس، فاستمر على هذا الحال حتى فاضت دجلة وخربت أكثر المنازل ».(نفس الرحمن في فضائل سلمان/551) .

وفي تاريخ دمشق:21/436: «قال حذيفة لسلمان:ألا نبني لك مسكناً يا أبا عبد الله؟ قال: لمَ تجعلني مَلِكاً ، أوَتجعلُ لي بيتاً مثل دارك التي بالمدائن؟قال: لا، ولكن نبني لك بيتاً من قصب ونسقفه بالبردي ، إذا قمت كاد أن يصيب رأسك وإذا نمت كاد أن يمس طرفيك ! قال: فكأنك كنت في نفسي » !

وفي الطبقات: 4/90: «كان سلمان يقول لنفسه: سلمان بمير . يقول: مُتْ» !

وكان لا يأكل إلا من عمل يده ، فكان يتصدق براتبه أو عطائه ، وكان أربعة آلاف درهم في السنة (البلاذري:3/559) أوستة آلاف درهم (ابن أبي شيبة:7/616).

ويصنع من الخوص حصراً وزنابيل ، ويقول: « أشتري خُوصاً بدرهم فأعمله فأبيعه بثلاثة دراهم ، فأعيد درهماً فيه ، وأنفق درهماً على عيالي ، وأتصدق بدرهم . ولو أن عمر بن الخطاب نهاني عنه ما انتهيت ». (الطبقات:4/89).

و«كان إذا سَجَدَت له العجم طأطأ رأسه وقال: خشعت لله». (الطبقات:4/88).

وكان لايتميز عن فقراء المسلمين بلباسه ، وقد حسبه بعضهم فقيراً أو حمالاً ففي الطبقات:4/88: «كان سلمان أميراً على المدائن ، فجاء رجل من أهل الشام من بني تيم الله ، معه حمل تينٍ وعلى سلمان أندرورد (سروال) وعباءة ، فقال لسلمان: تعال إحمل ، وهو لا يعرف سلمان ، فحمل سلمان فرآه الناس فعرفوه فقالوا: هذا الأمير ! قال: لم أعرفك.. !

وعن شيخ من بني عبس: «أتيت السوق فاشتريت علفاً بدرهم ، فرأيت سلمان ولا أعرفه فسخرته فحملت عليه العلف ، فمر بقوم فقالوا: نحمل عنك يا أبا عبد الله . فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا سلمان صاحب رسول الله (صلى الله عليه و آله) . فقلت: لم أعرفك ضعه عافاك الله ، فأبى حتى أتى منزلي ، فقال: قد نويت فيه نية فلا أضعه حتى أبلغ بيتك ».

وقيل له: «مايُكرهك الإمارة؟ قال: حلاوة رضاعها ، ومرارة فطامها». (الطبقات:4/88). أي أكره الإمارة لمرارة عاقبتها ، وحساب الإنسان عليها .

ورويَ أن سُراق المدائن استهانوا به ، فسلط عليهم الكلاب ! « لما أرسل سلمان إلى المدائن والياً على أهلها جلس في مسج ، وجعل يسفُّ الخوص بيده لأجل قوته فلما علم به الرعية إن مثل هذا حاكم عليهم ، لم يعبؤوا به ، وكثرت السرقة والفساد فيهم ، فخرج من المسجد فرأى كلباً فأومى إليه فجاء الكلب فتكلم معه ، فرجع الكلب مسرعاً وصعد على مرتفع وعوى بصوت مرتفع ، فاجتمعت عليه كلاب البلاد فسارَّها ، ثم تفرقت في البلاد ، ثم إن سلمان أرسل رجلاً ينادي في البلاد: من خرج بعد ساعة كذا من الليل فإنه يقتل، فخرجت اللصوص ولم يبالوا بأمر حاكمهم ، فمزقتهم الكلاب ، ولم تبق منهم أحداً» . (نفس الرحمن في فضائل سلمان/358).

15. واختار سلمان مكان الكوفة منزلاً ومِصراً للمسلمين ، بما عنده من علم فقد ذكرت بعض مصادر الحكومات أن الذي اختار مكان الكوفة للمسلمين

ص: 307

سعد بن أبي وقاص أو عمر ، والصحيح أن الذي اختارها سلمان رضي الله عنه بما عنده من علم رسول الله (صلى الله عليه و آله) وتوجيهات أمير المؤمنين (عليه السلام) .

فقد روى الكشي(1/73) عن المسيب بن نجبة الفزاري قال: «لما أتانا سلمان الفارسي قادماًتلقيته فيمن تلقاه ، فسار حتى انتهى إلى كربلاء فقال: ما تسمُّون هذه؟ قالوا: كربلاء ، فقال: هذه مصارع إخواني ، هذا موضع رحالهم ، وهذا مناخ ركابهم ، وهذا مهراق دمائهم ، قُتل بها خير الأولين ، ويقتل بها خير الآخرين!

ثم سار حتى انتهى إلى حروراء فقال: ما تسمون هذه الأرض؟ قالوا: حروراء فقال: حروراء خرج بها شر الأولين ويخرج بها شر الآخرين . ثم سار حتى انتهى إلى بانقيا وبها جسر الكوفة الأول فقال: ما تسمون هذه؟ قالوا: بانقيا . ثم سار حتى انتهى إلى الكوفة قال:هذه الكوفة؟ قالوا: نعم . قال: قبة الإسلام »!

أقول: لم أعرف المقصود بخير الأولين الذي قتل في كربلاء . وكذا شر الأولين ، الذين خرجوا في حروراء . ويحتمل أن يكون خير الأولين هابيل (عليه السلام) .

وقد ذكرنا في سلسلة القبائل العربية أن الكوفة كانت معروفة للنبي وأهل بيته (صلى الله عليه و آله) وأن إبراهيم (عليه السلام) كما أسس القدس وجدد الكعبة لذريته ، أسس القادسية وهي النجف والكوفة والسهلة والنخيلة لولده المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، واشترى أرض كربلاء لولده الحسين (عليه السلام) .

وبهذا العلم اختار سلمان رضي الله عنه الكوفة منزلاً ومدينة للمسلمين .

روى في كامل الزيارات/78 ، عن النبي (صلى الله عليه و آله) قال: «عُرِجَ بي إلى السماء ، وإني هبطت إلى الأرض فأهبطت إلى مسجد أبي نوح (عليه السلام) وأبي إبراهيم وهو مسجد الكوفة ، فصليت فيه ركعتين » .

وفي تاريخ الطبري:3/145: «كتب عمر إلى سعد: أنبئني ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم؟ فكتب إليه: إن العرب خددهم وكفأ ألوانهم وخومة المدائن ودجلة فكتب إليه إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان ، فابعث سلمان رائداً وحذيفة ، وكانا رائدي الجيش ليرتادا منزلاً برياً بحرياً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر، ولم يكن بقى من أمر الجيش شئ إلا وقد أسنده إلى رجل فبعث سعد حذيفة وسلمان فخرج سلمان حتى يأتي الأنبار ، فسار في غربي الفرات لايرضى شيئاً حتى أتى الكوفة . وخرج حذيفة في شرقي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة .

والكوفة على حصباء وكل رملة حمراء ، يقال لها سهلة ، وكل حصباء ورمل هكذا متخلطين فهو كوفة ، فأتيا عليها وفيها ديرات ثلاثة: دير حرقة ودير أم عمرو ودير سلسلة وخصاص خلال ذلك ، فأعجبتهما البقعة فنزلا فصليا وقال كل واحد منهما: اللهم رب السماء وما أظلت ، ورب الأرض وما أقلت ، والريح وما ذرت ، والنجوم وما هوَت ، والبحار وما جرت ، والشياطين وما أضلت ، والخصاص وما أجنت ، بارك لنا في هذه الكوفة ، واجعله منزل ثبات .وكتب إلى سعد بالخبر » .

وفي فتوح البلاذري(2/354) أن سلمان رضي الله عنه قال: « الكوفة قبة الإسلام ، يأتي على الناس زمان لا يبقى مؤمن إلا وهو بها ، أو يهوي قلبه إليها ».

وفي تاريخ دمشق:37/15: «عن عبد الملك بن أبي ذر الغفاري ، قال: أمرني أبي بصحبة سلمان الفارسي ، فصحبته إلى الشام فرابطنا بها ، حتى إذا انقضى رباطنا أقبلنا نريد الكوفة ، فلما أتينا إلى النجف قال لي سلمان: أهي هي؟ قال: قلت لا ، وكانت أبيات الحيرة . قال: فسرنا حتى بدت لنا أبيات الكوفة فقال لي: أهي هي؟ قال: قلت نعم . قال: واهاً لك أرض البلية ، وأرض التقية ! والذي نفس سلمان بيده إني لأعلم أن لك زماناً لا يبقى تحت أديم السماء مؤمن إلا وهو فيك أو يحن إليك . والذي نفس سلمان بيده كأني أنظر إلى البلاء يصب عليك صباً ، ثم يكشفه عنك قاصم الجبارين . والذي نفس سلمان بيده ما أعلم أنه تحت أديم السماء أبيات يدفع الله عنها من البلاء والحزن إلا دون ما يدفع عنك ، إلا أبياتاً أحاطت ببيت الله الحرام أو بقبر نبيه (عليه السلام) . والذي نفس سلمان بيده كأني أنظر إلى المهدي قد خرج منك في أثني عشر ألف عنان لا يرفع له راية إلا أكبها الله لوجهها ، حتى يفتح مدينة القسطنطينية».

أقول: يذكر هذا النص سفر سلمان الى الشام وبيروت والصرفندة ، لمشاركة المرابطين على ثغور الدولة الإسلامية ، مقابل الروم والفرنجة ، وتثبيتهم بآيات القرآن وأحاديث النبي (صلى الله عليه و آله) ، وقد رويت عنه أحاديث هناك .

كما يدل كلامه عن الكوفة على أن مروره عليها كان قبل مجيئه هو وحذيفة لاختيارها مركزاً للمسلمين وتمصيرها .

ص: 310

أما كلامه عن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وأن الكوفة عاصمته فهو من أحاديث النبي (صلى الله عليه و آله) ، ولا بد أن يكون معنى قوله إنه يفتح القسطنطينية أنه يفتح بلاد الروم . ولعله قال يَفتح الروم كما في بعض الأحاديث ، فطبقها الراوي على القسطنطينية .

16. قدم سلمان نموذج الحاكم المسلم الذي ينبغي أن يقتدي به كل الحكام ، فقد كان يتصدق بمخصصاته من بيت المال ، ويصرف من كسب يده ، ويعيش كأدنى مستوى في الذين يحكمهم ، في مأكله وملبسه ومسكنه ، فكان له بيت متواضع ، وقطعة أرض صغيرة يزرع فيها الخضروات ، وتوفيت زوجته الكِنْدية فتزوج أمةً له: « وتزوج مولاة له يقال لها بَقِيرة ...فأتاه يطلبه فأخبره أنه في مبقلة له ، فتوجه إليه فلقيه معه زبيل فيه بقل ، قد أدخل عصاه في عروة الزبيل وهو على عاتقه ، فقال: يا أبا عبد الله..». (مسند أحمد:5/439).

«كان يأكل من عمل يده ويطحن مع الخادمة ، ويعجن عنها إذا أرسلها في حاجة ويقول: لا تجمع عليها عملين . وكان يعمل من الخوص قفافاً، فيبيع ذلك بثلاثة دراهم فيرد درهماً في الخوص وينفق على عياله درهماً ويتصدق بدرهم ، وكان لا يأكل من صدقات الناس ويقول: إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: سلمان منا أهل البيت ». (الدرجات الرفيعة/261).

وفي الطبقات: 4/90: «أن رجلاً دخل على سلمان وهو يعجن قال فقال: أين الخادم؟قال: بعثناها لحاجة فكرهنا أن نجمع عليها عملين . قال: إن فلاناً يقرؤك السلام. فقال له سلمان: منذ كم قدمت؟ قال: منذ ثلاثة أيام . قال: أما إنك لو لم تؤدها لكانت أمانة لم تؤديها».

17. وكان وهو والٍ على المـدائن يخرج الى الجهاد والغزو قائـداً ويرجع الى المدائن ففي تاريخ دمشق:21/429: «أن سلمان الفارسي مر بجسـر المدائن غازياً وهو أمير الجيش ، وهو ردف رجل من كندة على بغل موكوف ، فقال أصحابه: أعطنا اللواء أيها الأمير نحمله عنك فيأبى ويقول: أنا أحق من حمله ، حتى قضى غزاته ورجع وهو ردف ذلك الرجل الكندي ، على ذلك البغل الموكوف»!

وستأتي مشاركته في غزوة بلنجر سنة 22 أي بعد 4 سنوات من حكمه المدائن.

وفي الطبقات:4/87: «عن رجل من عبد القيس قال: كنت مع سـلمان الفارسـي وهو أمير على سرية ، فمرَّ بفتيان من فتيان الجند فضحكوا وقالوا: هذا أميركم ! فقلت: يا أبا عبد الله ، ألا ترى هؤلاء ما يقولون ؟قال: دعهم ، فإنما الخير والشر فيما بعد هذا اليوم» !

18. وشارك سـلمان رضـي الله عنه في فتح إرمينيا والقفقاز في سـنة 22 هجريـة ، قـال ابن الأثير في الكامل:4/42: «وكـان زهير بن القين البجلي قد حج ، وكان عثمانياً ، فلما عاد جمعهما الطريق وكان يساير الحسـين (عليه السـلام) من مكة ، إلا أنه لا ينزل معه ، فاستدعاه يوماً الحسين فشق عليه ذلك ، ثم أجابه على كره ، فلما عاد من عنده نقل ثقله إلى ثقل الحسين (عليه السلام) ، ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهـد ، وسأحدثكم حديثاً: غزونا بلنجر ففتح علينا وأصـبنا غنائم ففرحنا ، وكان معنا سـلمان الفارسـي فقال لنا: إذا أدركتم سيد شباب أهل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم !

فأما أنا فأستودعكم الله ، ثم طلق زوجته وقال: لها إلحقي بأهلك، فإني لا أحب أن يصيبك في سببي إلا خير ، ولزم الحسين (عليه السلام) حتى قتل معه» .

وروى نحوه الحميري في الروض المعطار/94، والطبري في تاريخه:4/298 ، لكنه جعل القائل سلمان الباهلي . ومن المؤكد أن سلمان الفارسي رضي الله عنه كان في تلك الغزوة ، فقد تقدم من الطبقات (4/92) وغيرها أنه غنم فيها عطراً ، ولم نجد أنه كان فيها جندياً أو قائداً ، أما سلمان بن ربيعة الباهلي فكان فيها قائداً وقتل فيها . ولعلهم فتحوها أولاً ثم جمع لهم حاكمها جيشاً ففتحوها ثانية ، فقُتل سلمان بن ربيعة الباهلي في الفتح الثاني .

وقال البكري في معجمه:1/276 : « بَلَنْجَر..مدينة ببلاد الروم ، شهد فتحها عدد من الصحابة . قال زهير بن القين البجلي: غزوت بلنجر وشهدت فتحها ، فسمعت سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول: أفرحتم بفتح الله لكم ، فإذا أدركتم شباب آل محمد ، فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم..الخ.».

وكان فتح بلنجر سنة22هجرية ، وذكرت بعض الروايات أنها تقع في أرمينيا ، وبعضها أنها تقع في بلاد الروم . ولا توجد اليوم مدينة بهذا الإسم .

وقال بعض المؤرخين إنها كانت مكان مدينة بُويْنَاكْس الفعلية ، الواقعة جنوبي بحر الخزر . وقال بعضهم إنها تقع في دولة داغستان في شرق آسيا ، قرب نهر سولاك . ولا فائدة مهمة في تحقيق ذلك .

والمهم في القصة أن سلمان رضي الله عنه كان عنده من علم النبي (صلى الله عليه و آله) أن الحسين (عليه السلام) يقتل ، وأن بعض الذين كانوا معه في فتح بلنجر ، كزهير بن القين ، سيدركون خروجه ، فدعاهم الى الجهاد معه !

وقد حدث تحول سريع في موقف زهير رضي الله عنه من العثمانية الى ولاية العترة النبوية ، وانضم الى الحسين (عليه السلام) بيقين وشوق كأنه وجد ضالته في كلام سلمان معه قبل ثمانية عشرة سنة ! ولا يبعد أن يكون الحسين (عليه السلام) ذكَّره به !

وننبه الى خطأ وقعت فيه بعض المصادر وكتب المقاتل نسبت هذا الحديث الى سلمان بن ربيعة الباهلي ، وقد كان فعلاً في قائداً فتح بلنجر وقتل في أرمينية ، لكن نص البكري وغيره على أن الحديث مع سلمان الفارسي رضي الله عنه .

19. كان سلمان رضي الله عنه يزور الشام ، فيستقبلونه بإجلال كاستقبالهم للخليفة فقد روى البخاري في التاريخ الصغير:1/98، وابن عساكر في تاريخ دمشق:12/374، عن القاسم أبي عبد الرحمن قال:«زارنا سلمان وخرج الناس يتلقونه كما يُتلقى الخليفة فلقيناه وقد صلى بأصحابه العصر وهو يمشي، فتوقفنا نسلم عليه ، فلم يبق فيها شريف إلا عرض عليه أن ينزل به ، فقال: جعلت في نفسي مرتي هذه أن أنزل على بشير بن سعد . فلما قدم سأل عن أبي الدرداء فقالوا هو مرابط ، فقال: وأين مرابطكم؟ فقالوا: بيروت . قال فتوجه قِبَلَه فقال لهم سلمان: يا أهل بيروت ، ألا أحدثكم حديثاً يذهب الله به عنكم غرض الرباط: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: رباط يوم وليلة كصيام شهر وقيامه ، ومن مات مرابطاً في سبيل الله أجير من فتنة القبر ، وجرى له صالح ما كان يعمل إلى يوم القيامة ».

أقول: هذا النص يدلنا على المكانة العظيمة لسلمان رضي الله عنه عند المسلمين ، ولا عجب في ذلك ، لأنهم رأوا منه معجزات وسلوكاً لم يروه من غيره من الصحابة ، فسلمان بعد المعصومين (عليهم السلام) أكثر الصحابة كرامات ومعجزات !

كما يدل هذا النص على أنه رضي الله عنه ذهب الى الشام عدة مرات التي أقام فيها مدة طويلة في أول شبابه . وكان يأتي ليقوي إيمان المسلمين وعقيدتهم ، ويحدثهم عن النبي (صلى الله عليه و آله) رغم منع الخلافة للتحدثي وتدوين الحديث .

روى عبد الله بن المبارك في كتابه الجهاد/160، أن سلمان زارهم وهم محاصرون لحصن في بلاد الروم . قال شرحبيل بن السمط الكندي: «طال رباطنا وإقامتنا على حصن ، فاعتزلت من العسكر أنظر في ثيابي لما آذاني منه ، قال فمر بي سلمان فقال: ماتعالج يا أبا السمط؟ فأخبرته فقال: إني لأحسبك تحب أن تكون عند أم السمط ، فكانت تعالج هذا منك . قلت: إي والله . قال: لا تفعل فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: رباط يوم وليلة أو يوم أو ليلة كصيام شهر وقيامه ، ومن مات مرابطاً أجريَ عليه مثل ذلك من الأجر ، وأجريَ عليه الرزق ، وأمن من الفتّان ، واقرؤوا إن شئتم: وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا ، وَإِنَّ اللهَ لَهُوَخَيْرُ الرَّازِقِينَ . لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ». وفتح القدير:3/466، وفيه: حصن بأرض الروم .

20. آخى النبي (صلى الله عليه و آله) بينه وبين أبي ذر: « واشترط على أبي ذر أن لا يعصي سلمان» (الكافي: 8 /162). كما آخى بينه وبين أبي الدرداء ، فسكن أبو الدرداء الشام ، وكانا يتراسلان ويتزاوران: «كتب أبو الدرداء إلى سلمان: أما بعد فإني أدعوك

إلى الأرض المقدسة وأرض الجهاد ، قال فكتب إليه سلمان: أما بعد فإنك قد كتبت إلى تدعوني إلى الأرض المقدسة وأرض الجهاد ، ولعمري ما الأرض تقدس أهلها ، ولكن المرء يقدسه عمله ». (مصنف ابن أبي شيبة:8/182).

وكتب سلمان الى أبي الرداء: « إنما العلم كالينابيع فينفع به الله شاء ، ومثل حكمة لا يتكلم بها كجسد لاروح له ، ومثل علم لا يعمل به كمثل كنز لا ينفق منه ، ومثل العالم كمثل رجل أضاء له مصباح في طريق ، فجعل الناس يستضيئون به وكل يدعو له بالخير ». (مصنف ابن أبي شيبة:8/1179).

21. مرَّتْ علاقة سلمان بعمر في مراحل، من عداء الى صداقة ، ثم الى عداء ، فقد: «دخل مجلس رسول الله (صلى الله عليه و آله) ذات يوم فعظموه وقدموه وصدروه ، إجلالاً لحقه وإعظاماً لشيبته ، فدخل عمر فنظر إليه فقال: من هذا العجمي المتصدر فيما بين العرب؟! فصعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) المنبر فخطب فقال: إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط ، لا فضل للعربي على العجمي ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى ، سلمان بحر لاينزف ، وكنز لاينفد ، سلمان منا أهل البيت ، سلسل يمنح الحكمة ، ويؤتى البرهان ». (الإختصاص للمفيد/341).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) : «جلس عدة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) ينتسبون وفيهم سلمان الفارسي، وإن عمر سأله عن نسبه وأصله، فقال: أنا سلمان بن عبد الله كنت ضالاً فهداني الله بمحمد (صلى الله عليه و آله) ، وكنت عائلاً فأغناني الله بمحمد (صلى الله عليه و آله) ، وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمد (صلى الله عليه و آله) . وهذا حسبي ونسبي. ثم خرج رسول

الله (صلى الله عليه و آله) فحدثه سلمان وشكى إليه ما لقي من القوم وما قال لهم. فقال النبي (صلى الله عليه و آله) : يا معشر قريش، إن حسب الرجل دينه ، ومروته وأصله عقله ، قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ . يا سلمان ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا بتقوى الله ، وإن كان التقوى لك عليهم فأنت أفضل». (الكافي:8/181).

ورووا أن سعد بن أبي وقاص هو الذي عيَّر سلمان بنسبه ، فانتصر له عمر ! ففي تاريخ دمشق:21/424:«كان بين سعد بن أبي وقاص وسلمان الفارسي شئ فقال سعد وهم في مجلس: إنتسب يا فلان فانتسب ، ثم قال للآخر انتسب ، ثم قال للآخر حتى بلغ سلمان فقال: إنتسب يا سلمان . فقال: ما أعرف لي أباً في الإسلام ، ولكني سلمان بن الإسلام . فنمي ذلك إلى عمر فقال عمر لسعد ولقيه: إنتسب يا سعد . فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين . قال: وكأنه عرف ، فأبى أن يدعه حتى انتسب . ثم قال للآخر ، حتى بلغ سلمان فقال: إنتسب يا سلمان . فقال: أنعم الله عليَّ بالإسلام فأنا سلمان بن الإسلام . فقال عمر: قد علمت قريش أن الخطاب كان أعزهم في الجاهلية ، وأنا عمر بن الإسلام ، أخو سلمان بن الإسلام ».وذكر البلاذري(10/17) أن حذيفة هو الذي شكى سعداً.

وقد ساءت علاقة سلمان مع عمر عند وفاة النبي (صلى الله عليه و آله) وإدانته السقيفة وبيعتهم لأبي بكر ، فقد خطب سلمان ، ومما قال: «فأين يذهب بكم؟! ما أنا وفلان وأبو فلان ! ويحكم والله ما أدري أتجهلون أم تتجاهلون ، أم نسيتم أم تتناسون!

أنزلوا آل محمد (صلى الله عليه و آله) منكم منزلة الرأس من الجسد ، بل منزلة العينين من الرأس ، والله لترجعن كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف ، يشهد الشاهد على الناجي بالهلكة ويشد الناجي على الكافر بالنجاة ، ألا اني أظهرت أمري وآمنت بربي وأسلمت بنبيي ، واتبعت مولاي ومولى كل مسلم» .(رجال الكشي/88).

ثم وصلت علاقته بهم الى حد الصدام، في آخر احتجاجات أمير المؤمنين (عليه السلام) عليهم بعد أيام: «وقام إليه سلمان الفارسي فقال: الله أكبر الله أكبر! سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) بهاتين الأذنين وإلا صُمَّتَا، يقول: بينا أخي وابن عمي جالس في مسجدي مع نفر من أصحابه، إذ تكبسه جماعة من كلاب أصحاب النار يريدون قتله وقتل من معه ، فلست أشك إلا وإنكم هم ! فهمَّ به عمر بن الخطاب ، فوثب إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخذ بمجامع ثوبه ثم جلد به الأرض، ثم قال: يا ابن صهاك الحبشية ! لولا كتاب من الله سبق وعهد من رسول الله تقدم ، لأريتك أينا أضعف ناصراً وأقل عدداً ! ثم التفت إلى أصحابه فقال: إنصرفوا رحمكم الله ، فوالله لا دخلت المسجد إلا كما دخل أخواي موسى وهارون إذ قال له أصحابه: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ . والله لا دخلته إلا لزيارة رسول الله (صلى الله عليه و آله) أو لقضية أقضيها ، فإنه لا يجوز لحجة أقامها رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن يترك الناس في حيرة »! والإحتجاج:1/105.

وفي عهد أبي بكر وعمر خف التوتر وساعد على ذلك جلالة سلمان واحترام المسلمين له. وكان يحضر في مجلس عمر في دار الخلافة ، وكان عمر يزوره:

ففي مجمع الزوائد(8/174) عن أنس: «دخل عمر على سلمان الفارسي فألقى له وسادة فقال: ما هذا يا أبا عبد الله ؟فقال سلمان الفارسي: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول:ما من مسلم يدخل عليه أخوه المسلم فيلقى له وسادة إكراماً و إعظاماً إلا غفر الله له ».

وكان علي (عليه السلام) يرسله في الأمور المهمة الى عمر، ففي الخرائج(1/233) قال سلمان: «دعاني علي (عليه السلام) فقال: صر إلى عمر فإنه حمل إليه مال من ناحية المشرق ولم يعلم به أحد ، وقد عزم أن يحتبسه فقل له: يقول لك علي: أخرج ما حمل إليك من المشرق ففرقه على من جعل لهم ، ولا تحبسه فأفضحك !

قال سلمان: وأديت إليه الرسالة فقال: حيرني أمر صاحبك فمن أين علم هو به؟ قلت: وهل يخفى عليه مثل هذا . فقال: ياسلمان إقبل مني ما أقول لك: ما عليٌّ إلا ساحر ، وإني لمشفق عليك منه ، والصواب أن تفارقه وتصير في جملتنا . قلت: بئس ما قلت ، لكن علياً قد ورث من آثار النبوة ما قد رأيت منه وما هو أكبر منه. قال: إرجع إليه فقل له: السمع والطاعة لأمرك... ».

وروينا أن سلمان خطب من عمر ابنته: «فرده ، ثم ندم فعاد إليه ، فقال: إنما أردت أن أعلم ذهبت حمية الجاهلية عن قلبك ، أم هي كما هي» ! (الكشي:1/62).

ورووا في ذلك روايات مضطربة ، منها أن عمر وافق لكن ابنه عبد الله «شكاه إلى عمرو بن العاص فقال: أنا أردُّه عنك. فقال: إن رددته بما يكره أغضبت أمير المؤمنين ، قال: عليّ أن أردّه عنك راضياً ، فأتى سلمان فضرب بين كتفيه بيده ثم قال: هنيئاً لك أبا عبد الله هذا أمير المؤمنين يتواضع بتزويجك ! فالتفت إليه مغضباً وقال:أبي يتواضع! واللّه لا أتزوّجها أبداً» . (عيون الأخبار لابن قتيبة:1/380).

ثم رووا أن سلمان قال: «إنكم معشر العرب لا نتقدمكم في صلاتكم، ولاننكح نساءكم.إن الله فضلكم علينا بمحمد (صلى الله عليه و آله) ».(إرواء الغليل:6/278، وجَوَّدَهُ).

وهم بذلك يريدون الدفاع عن عمر ، وعن رأيه في تحريم زواج العربية من غير عربي ، لأنه بزعمه ليس كفؤاً لها !

وروى في سبل السلام (3/130): «عرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على سلمان الفارسي ». وأن سلمان تزوج امرأة من كندة ! (عبد الرزاق:6/153).

لكن هذه الأحداث لم تؤثر كثيراً على علاقة سلمان بعمر ، فقد كانت مكانته وأخلاقه وليونته الفارسية تفرض على عمر احترامه والطمع فيه . وقد عينه والياً على المدائن ، ولما جاء سلمان الى المدينة خرج عمر مع المسلمين لاستقباله .

ففي شعب الإيمان للبيهقي:7/378: «كتب عمر بن الخطاب إلى سلمان أن زرني . قال فخرج سلمان إليه ، فلما بلغ عمر قدومه قال لأصحابه: هذا سلمان قد قدم فانطلقوا نتلقاه . قال: فلقيه عمر فالتزمه ، وساءله ، ثم رجعا إلى المدينة ».

وكان عمر يسأل سلمان عن بعض أمور دينه، فقد قال له: «بلغني أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: ما من وال يلي شيئاً من أمور الناس إلا يأتي به يوم القيامة يده مغلولة إلى عنقه ، فيوقف على جسر من النار ينتفض ذلك الجسر انتفاضة يزيل كل عضو منه عن موضعه ، ثم يعاد فيحاسب ، فإن كان محسناً نجاه إحسانه ، وإن كان مسيئاً انخرف به ذلك الجسر فهوى به في النار سبعين خريفاً !

قال له: ممن سمعت هذا؟ قال من أبي ذر وسلمان ، فأرسل إليهما عمر فسألهما فقالا: نعم سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه و آله) . فقال عمر: واعمراه ، من يتولاها بما

فيها؟ فقال أبو ذر: من أرغم الله أنفه وألصق خده بالأرض! قال: فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ، ثم بكى وانتحب حتى أبكاني » . (شعب الإيمان:6/32).

وكان عند عمر سؤال يسأله دائماً: هل أنا ملك من ملوك الدينا ، أم خليفة لرسول الله (صلى الله عليه و آله) ؟ فقد روى الطبري:3/279، أن عمر سأله: « أَمَلِكٌ أنا أم خليفة؟ فقال له سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ، ثم وضعته في غير حقه ، فأنت ملك غير خليفة . فاستعبر عمر».

وفي تاريخ المدينة:2/702 ، أن عمر سأله عندما خرج من المدينة لاستقباله: «فقال عمر لسلمان: أبا عبد الله أتراني مستحقاً لهذا الاسم؟قال:نعم ، ما لم تستأثر على الناس بتمرة ، فقال عمر: الله أكبر».

22. ثم ساءت علاقة سلمان بعمر في أواخر حياته ، كما تدل رسالة سلمان اليه ، وقد روى نصها في الإحتجاج: (1/185): «بسم الله الرحمن الرحيم . من سلمان مولى رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى عمر بن الخطاب: أما بعد ، فإنه أتاني منك كتاب يا عمر تؤنبني وتعيرني ، وتذكر فيه أنك بعثتني أميراً على أهل المدائن ، وأمرتني أن أقصَّ أثر حذيفة وأستقصي أيام أعماله وسيرته ، ثم أعلمك قبيحها ، وقد نهاني الله عن ذلك يا عمر في محكم كتابه حيث قال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَابٌ رَحِيمٌ . وما كنت لأعصي الله في أثر حذيفة وأطيعك . وأما ما ذكرت أني أقبلت على سفِّ الخوص وأكل الشعير ، فما هما مما يعيَّرُ به مؤمن ويؤنَّب عليه ، وأيم الله يا عمر لأكل الشعير وسف

الخوص والإستغناء به عن رفيع المطعم والمشرب ، وعن غصب مؤمن حقه وادعاء ما ليس له بحق ، أفضل وأحب إلى الله عز وجل وأقرب للتقوى . ولقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه و آله) إذا أصاب الشعير أكل وفرح به ولم يسخطه .

وأما ما ذكرت من عطائي ، فإني قدمته ليوم فاقتي وحاجتي . ورب العزة يا عمر ما أبالي إذا جاز طعامي لهواتي وانساغ في حلقي ، ألباب البر ومخ المعز كان أو خشارة الشعير .

وأما قولك: إني ضعَّفْتُ سلطان الله ووَهَّنْتُهُ وأذللت نفسي وامتهنتها ، حتى جهل أهل المدائن إمارتي واتخذوني جسراً يمشون فوقي ، ويحملون عليَّ ثقل حمولتهم ، وزعمت أن ذلك مما يوهن سلطان الله ويذله .

فاعلم أن التذلل في طاعة الله أحب إليَّ من التعزز في معصيته ، وقد علمت أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) يتألف الناس ويتقرب منهم ويتقربون منه في نبوته وسلطانه ، حتى كأنه بعضهم في الدنو منهم ، وقد كان يأكل الجشب ويلبس الخشن ، وكان الناس عنده قرشيهم وعربيهم وأبيضهم وأسودهم سواء في الدين .

وأشهد أني سمعته يقول: من وليَ سبعة من المسلمين بعدي ثم لم يعدل فيهم ، لقي الله وهو عليه غضبان . فليتني يا عمر أسلم من إمارة المدائن مع ما ذكرت أني أذللت نفسي وامتهنتها ، فكيف يا عمر حال من ولي الأمة بعد رسول الله وإني سمعت الله يقول: تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ . إعلم أني لم أتوجه ، أسوسهم وأقيم حدود الله فيهم إلا بإرشاد دليل عالم ، فنهجت فيهم بنهجه ، وسرت فيهم بسيرته .

واعلم أن الله تبارك وتعالى لو أراد بهذه الأمة خيراً، أو أراد بهم رشداً، لولى عليهم أعلمهم وأفضلهم .

ولو كانت هـذه الأمة من الله خائفين ، ولقول نبي الله متبعين ، وبالحق عالمين ، ما سـموك أمير المؤمنين ، فاقض ما أنت قاض إنما تقضـي هذه الحياة الدنيا !

ولا تغتر بطول عفو الله عنك وتمديـده ذلك ، من تعجيل عقوبته . واعلم أنه سـيدركك عواقب ظلمك في دنياك وآخرتك ، وسوف تسأل عما قدمت وأخرت ، والحمد لله وحده ».

أقول: لانعلم تاريـخ هـذه الرسالـة ، لكن يظهر أنها كانت قبيل وفاة سـلمان ووفاة عمر بقليل . ولم أجـد روايـة عن ردة فعل عمر على هـذه الرسالة الصريحة ، ويبدو أن عمر تحملها في الظاهر ولم يعزله ، فقد توفي سلمان رضي الله عنه وهو والي المدائن .

23. تزوج سـلمان امرأة من كنـدة ورزق منها أولاداً ذكروا منهم محمداً وعبد الله وعبد الرحمن . روى الكشـي:1/68، عن الإمام الصادق (عليه السـلام) قال: «تزوج سـلمان امرأة من كندة فدخل عليها ، فإذا لها خادمة وعلى بابها عباءة ، فقال سلمان: إن في بيتكم هذا لمريضاً ، أوقد تحولت الكعبة فيه؟ فقيل: المرأة أرادت أن تستر على نفسها فيه . قال: فما هذه الجارية ؟ قالوا: كان لها شئ فأرادت أن تُخدم . قال: إني سمعت رسول الله (صـلى الله عليه و آله) يقول: أيما رجل كانت عنـده جاريـة ، فلم يأتها أولم يزوجها من يأتيها ثم فجرت ، كان عليه وزر مثلها ».

وعاشت معه حتى توفيت في المـدائن ، فكتب له أمير المؤمنين (عليه السـلام) يعزيه: «بسم الله الرحمن الرحيم ، قـد بلغني يا أبا عبـد الله مصيبتك بأهلك ، وأوجعني بعض ما

أوجعك . ولعمري لمصيبة يتقدم أجرها خير من نعمة يسأل عن شكرها ولعلك لا تقوم بها ، والسلام عليك» . (تاريخ دمشق:21/429).

وتزوج بعدها أمةً له إسمها بقيرة وكانت عنده حتى توفي .(الطبقات:4/92).

ورزق من زوجته الكندية أولاداً ، فقد رووا عن ابنه عبد الله ، كما في تاريخ دمشق: 21/403، وذكر أخبار إصبهان:1/52، والمنفردات لمسلم /105. وعن ابنه عبد الرحمن ، كما في أسد الغابة:5/440، وعن ابنه محمد ، كما في مستدركات رجال الحديث:7/114.

ورووا عن ابنه يحيى بن سلمان ، كما في تاريخ دمشق: 5 /227. وعامر بن سلمان ، كما في المنفردات لمسلم بن الحجاج /104. ولعله هو عمر بن سلمان كما في كشف الظنون:2 /1488. رووا عن ابنه زاذان بن سلمان ، كما في الدر النظيم /321 .

وذكر في فهرست منتجب الدين/52، ذريةً له من ولده محمد هو: الشيخ بدر الدين الحسن بن على بن سلمان بن أبى جعفر بن أبي الفضل... بن محمد بن سلمان الفارسى رضى الله عنه صاحب رسول الله (صلى الله عليه و آله) ، نزيل أشناباد السد من الري ، واعظ فصيح صالح.

وقال في مستدركات رجال الحديث:2/454: (ينتهي إلى إبراهيم بن سلمان بن محمد بن سلمان الفارسي بعشرين واسطة».

وفي نفس الرحمن في فضائل سلمان/561: «قيل إنه (سلمان) عاد إلى إصفهان في زمان عمر ، وقيل: كان له أخ بشيراز له نسل ثَمَّ ، وبنت بإصفهان لها نسل ، وبنتان بمصر ، وقيل كان له ابن يقال له: كثير » .

24. علم سلمان بوفاته ، وجاء علي (عليه السلام) من المدينة وصلى عليه ورجع من يومه ، روى الكشي (1/66) بسنده عن ابن أبي عمير عن عمر بن يزيد ، قال: «قال سلمان: قال لي رسول الله (صلى الله عليه و آله) : إذا حضرك أو أخذك الموت ، حضر أقوامٌ يجدون الريح

ولا يأكلون الطعام ، ثم أخرج صرة من مسك فقال: هبةٌ أعطانيها رسول الله (صلى الله عليه و آله) ، قال: ثم بلها ونضحها حوله ، ثم قال لامرأته: قومي أجيفي الباب ، فقامت وأجافت الباب ، فرجعت وقد قُبض رضي الله عنه » !

وفي رواية الطبقات:4/92: «أصاب سلمان صُرَّة مسك يوم فتحت جلولاء فاستودعها امرأته ، فلما حضرته الوفاة قال: هاتي هذه المسكة فمرسها في ماء ، ثم قال: إنضحيها حولي فإنه يأتيني زوار الآن . قال ففعلت ، فلم يمكث بعد ذلك إلا قليلاً حتى قبض » . وفي رواية: أصاب مسكاً عند فتح مدينة بلنجر في أرمينيا ، وهي اليوم في داغستان . فكأن الرواة استكثروا عليه هدية النبي (صلى الله عليه و آله) فجعلوا المسك من مناطق شارك في فتحها ، لكن مع وجود العطر من النبي (صلى الله عليه و آله) فلا يفضل سلمان ولا الملائكة عليه عطراً آخر . والأمر المهم في الموضوع أن سلمان رضي الله عنه يعرف وقت وفاته ، ويستقبل ملائكة الموت بالعطر !

وفي الطبقات:4/92: «لما حضرته الوفاة دعاني وهو في عِلِّيَّةٍ له لها أربعة أبو أب فقال: إفتحي هذه الأبواب يا بقيرة، فإن لي اليوم زواراً لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون عليّ ، ثم دعا بمسك له فقال أديفيه في تنور ففعلت ، ثم قال: إنضحيه حول فراشي ، ثم انزلي فامكثي ، فسوف تطلعين فترينى على فراشي . فاطلعت فإذا هو قد أخذت روحه ، فكأنما هو نائم على فراشه».

وفي رواية: يحضرني خلق من خلق الله يجدون الريح ولا يأكلون الطعام ، ثم اجفئي عليَّ الباب وانزلي . قالت: ففعلت وجلست هنيهة فسمعت هسهسة . قالت: ثم صعدت فإذا هو قد مات ».

وقد توفي سلمان في خلافة عمر ، وقيل في خلافة عثمان . (الطبقات:4/93).

وروى في الخرائج(2/562) «أن علياً (عليه السلام) دخل المسجد بالمدينة غداة يوم وقال: رأيت في النوم رسول الله (صلى الله عليه و آله) البارحة ، وقال لي: إن سلمان توفي ، ووصاني بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ، وها أنا خارج إلى المدائن لذلك .

فقال عمر: خذ الكفن من بيت المال . فقال علي (عليه السلام) : ذاك مكفيٌّ مفروغٌ منه . فخرج والناس معه إلى ظاهر المدينة ، ثم خرج وانصرف الناس ، فلما كان قبل الظهيرة رجع وقال: دفنته . وكان أكثر الناس لم يصدقوه ، حتى كان بعد مدة ووصل من المدائن مكتوب: إن سلمان توفي ليلة كذا ، ودخل علينا أعرابي فغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه ، ثم انصرف ! فتعجبوا كلهم» .

وفي الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة/219، أن جابر بن عبد الله الأنصاري وغلامه قنبر ذهبا مع علي (عليه السلام) الى المدائن لتغسيل سلمان ، فدخل علي (عليه السلام) وكشف الرداء عن وجهه فتبسم سلمان وهمَّ أن يجلس ، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) : عد إلى موتك . فلما صلى عليه كنا نسمع تكبيراً شديداً، وكنت رأيت معه رجلين فسألته عنهما، فقال: أحدهما أخي جعفر والآخر الخضر ، ومع كل واحد منهما سبعون صفاً من الملائكة . وقد أشار إلى هذه الحكاية أبو الفضل اليمنى في قوله:

سمعت منى يسيراً من عجائبه *** وكل أمر عليٍّ لم يزل عجبا

دَرَيْتَ عن ليلةٍ سار الوصيُّ بها *** إلى المدائن لما أن لها طلبا

فألحدَ الطهرَ سلماناً وعاد إلى *** عراص يثرب والإصباح ما قربا

كآصفٍ قبل رَدِّ الطرف من سبأ *** بعرش بلقيس وافى يخرق الحجبا

أراك في آصف لم تغل فيه بلى *** بحيدر أنا غال أوردُ الكذبا !

إن كان أحمد خير المرسلين فذا *** خير الوصيين أو كل الحديث هبا).

حجر بن عدي الكندي رضي الله عنه

1. حجر بن عـدي الكنـدي رضـي الله عنه ، صـحابيٌّ جليـل ، وفـارسٌ من كبـار قـادة الفتوحات ، كان كثير العبادة ، حتى وصـفوه براهب الصحابة .

قال الحاكم في المستدرك:3/468: «ذكر مناقب حجر بن عدي رضي الله عنه ، وهو راهب أصحاب محمد (صلى الله عليه و آله) » .

وكان باراً بأمه محباً لها: فكان يرتب لها مكان نومها بيـديه ، ثم ينام فيه ليطمئن أنه ممهـد ! (تاريخ دمشق:12/212 ، ومكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا/76) .

2.كان فارساً قائداً في فتح العراق وإيران والشام ، فكان في معركة القادسـية قائد الميسرة . وفي معركة فتح المدائن، ومعركة جلولاء أو خانقين . وشـارك في فتــح الشـام ، وهـو الــذي فتـح مرج عـذراء ، الــذي حبسـه فيـه معاويـة وقتلـه فيـه ! (المحـبر/292والطبري:3/135، وابن الأعثم:1/211، والطبقات:6/217، والغارات:2/812) .

وفي مذيل الطبري /149: «وفد إلى النبي (صلى الله عليه و آله) مع أخيه هانئ بن عدي ، وشهد القادسية . وهو الذي افتتح مرج عذراء ».

وكان قائد الميمنة في معركة جلولاء . قال البلاذري:2/324: (فقال المسلمون: ينبغي أن نعاجلهم قبل أن تكثر أمدادهم فلقوهم وحجر بن عدي الكندي على الميمنة » . والأخبار الطوال/127 .

وفي فتـح حلوان: «عن عائشـة بنت سـعد بن أبي وقاص قالت: لما قَتل معاويـةُ حجرَ بن عـدي الكندي ، قال أبى: لو رأى معاوية ما كان من حجر في قنطرة حلوان ، لعرف أن له غَنَاءً عظيماً عن الإسلام ». (فتوح البلاذري:2/370).

وجاء في معركة جلولاء الكبرى(البلاذري:2/324): « فلقوهم وحجر بن عدي الكندي على الميمنة، وعمرو بن معدى كرب على الخيل ، وطليحة بن خويلد على الرجال وعلى الأعاجم يومئذ خرزاد أخو رستم . فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله ، رمياً بالنبل وطعناً بالرماح حتى تقصفت ، وتجالدوا بالسيوف حتى انثنت . ثم إن المسلمين حملوا حملة واحدة قلعوا بها الأعاجم عن موقفهم وهزموهم فولوا هاربين ، وركب المسلمون أكتافهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً.. وكانت وقعة جلولاء في آخر سنة ست عشرة ».

3. كان شجاعاً تقياً ، وظهرت له كرامات في حروبه وشهادته ، وكان أول من اقتحم بفرسه نهر دجلة العريض في فتح المدائن ، فقد طال اصطفاف المسلمين والفُرس ، وكان الفُرس على الضفة الأخرى لدجلة ، فتقدم حِجْر وقرأ: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ. وأقحم فرسه وهو يقول باسم الله ، فعبر وعبر المسلمون على أثره ! فلما رآهم العدو قالوا: ديوان ديوان ! يعني شياطين شياطين (ديوان: جمع دِيو: الغول) فهربوا فدخلنا عسكرهم». (كرامات الأولياء اللالكائي/152، وتفسير ابن كثير:1/419)

4. كان حِجر من كبار أصحاب علي (عليه السلام) ، وأراد أن يوليه رئاسة كندة ، ويعزل الأشعث بن قيس ، وكلاهما من ولد الحارث بن عمرو آكل المرار ، فأبى حِجر بن عدي أن يتولى الأمر والأشعث حيّ ». (الأخبار الطوال:/224).

وكان يكتب الحديث عن علي (عليه السلام) ولا يطيع أمر تحريم تدوين السنة ! «قال: ناولني الصحيفة من الكوة ، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما سمعت علي بن أبي

طالب يذكر: إن الطهور نصف الإيمان» . (الغارات:2/812) .

وكان في صفين قائد ميمنة علي (عليه السلام) :(تاريخ الطبري:4/63). وقائد قوات كندة (تاريخ خليفة146 ، والغارات:1/51) .

وهو أول من خرج لرد غارات معاوية على مسالح العراق:«وطارد الضحاك بن قيس فلحقه في تدمر فقتل منهم تسعة عشر رجلاً ، وقُتل من أصحابه رجلان،وحال بينهم الليل فهرب الضحاك وأصحابه». (تاريخ الطبري:4/104) .

5. كان مع بعض أصحابه يشتمون أهل الشام ، فنهاهم أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال حجر: يا أمير المؤمنين نقبل عظتك ، ونتأدب بأدبك .

ففي بحار الأنوار:32/399: «روى نصر عن عبد الله بن شريك قال: خرج حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يُظهران البراءة من أهل الشام، فأرسل علي (عليه السلام) إليهما أن كُفَّا عما يبلغني عنكما ، فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين ألسنا محقين؟ قال: بلى . قالا: فلم منعتنا من شتمهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لَعَّانين شتامين تشتمون وتبرؤون ، ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا ومن أعمالهم كذا وكذا ، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر . وقلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم: اللهم أحقن دماءهم ودماءنا ، وأصلح ذات بينهم وبيننا ، واهدهم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحق منهم من جهله ، ويرعوي عن الغي والعدوان منهم من لج به ، لكان أحب إلي وخيراً لكم . فقالا: يا أمير المؤمنين نقبل عظتك ونتأدب بأدبك» .

6. وحِجْر هو الذي فضح تآمر الأشعث رئيس كندة في قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) . ففي مقاتل الطالبيين/20: «والأشعث في بعض نواحي المسجد ، فسمع حجر بن

عدي الأشعث يقول لابن ملجم: النجاء النجاء لحاجتك ، فقد فضحك الصبح ، فقال له حجر: قتلته يا أعور ، وخرج مبادراً إلى علي (عليه السلام) ».

7.وكان حِجْر معتمدَ الإمام الحسن (عليه السلام) :« تحرك الحسن (عليه السلام) وبعث حجر بن عدي فأمر العمال بالمسير ، واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه ، ثم خفَّ معه أخلاط من الناس». (الإرشاد:2/10، ومقاتل الطالبيين/39) .

8. وقتله معاوية بدون أي حجة إلا تشيعه لعلي (عليه السلام) ، وبعد أن وقَّع في صلحه مع الإمام الحسن (عليه السلام) أن لايتعقب أحداً من شيعة علي (عليه السلام) .

واعترف بجريمته وقال: «ما قتلت أحداً إلا ـ وأنا أعرف فيمَ قتلتُه وما أردت به ! ما خلا حجر بن عدي ، فإني لا أعرف فيمَ قتلته».(تاريخ دمشق:12/231)

وكان قتله في صفر سنة إحدى وخمسين هجرية: (الطبري:4/187، وتاريخ خليفة بن خياط/160، ومستدرك الحاكم:3/468، ومعارف ابن قتيبة/178).

9. وغضب الإمام الحسين (عليه السلام) لقتل حجر ، وعائشة والصحابة وأخيار الأمة . ففي الإحتجاج:2/19: «عن صالح بن كيسان قال: لما قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه حج ذلك العام فلقي الحسين بن علي (عليه السلام) فقال:يا أبا عبد الله هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشياعه وشيعة أبيك؟ فقال (عليه السلام) : وما صنعت بهم؟قال: قتلناهم وكفناهم وصلينا عليهم! فضحك الحسين (عليه السلام) ثم قال: خَصَمَكَ القوم يا معاوية، لكننا لو قتلنا شيعتك ما كفناهم ولا صلينا عليهم ولا قبرناهم ! ولقد بلغني وقيعتك في عليٍّ وقيامك ببغضنا ، واعتراضك بني هاشم بالعيوب ، فإذا فعلت ذلك فارجع إلى نفسك ثم سلها الحق عليها ولها ،

فإن لم تجدها أعظم عيباً فما أصغر عيبك فيك، وقد ظلمناك يا معاوية فلا توترن غير قوسك ولا ترمين غير غرضك ، ولا ترمنا بالعداوة من مكان قريب ، فإنك والله لقد أطعت فينا رجلاً ما قدم إسلامه ولا حدث نفاقه ولا نظر لك! فانظر لنفسك أو دع». يقصد عمرو العاص ، الذي له دور أساسي في خطط معاوية !

وقالت له عائشة:«يامعاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه؟ قال:لست أنا قتلتهم ، إنما قتلهم من شهد عليهم»! (الطبري:4/208، والإستيعاب:1/331، وأنساب الأشراف/1265. وفي الطبقات:6/219،أن عائشة بعثت رسالة الى معاوية وأنها وصلت بعد قتله ! والروض الأنف:3/366 ، وفيه: (فقال أوَأنا؟ ! إنما قتلهم من شهد عليهم) !

يقصد بذلك شهدوا عليهم بأنهم طعنوا في معاوية وخرجوا من بيعته !

قال ابن سيرين: «أربع خصال كنَّ في معاوية ، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة ، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ! واستخلافه بعده ابنه سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير . وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : الولد للفراش وللعاهر الحجر . وقتله حجراً وأصحاب حجر ، فيا ويلاً له من حجر ! ويا ويلاً له من أصحاب حجر » . (الطبري:4/208).

10. كان الربيع بن زياد المذحجي من القادة أبطال الفتح ، وهو يشبه حجر بن عدي الكندي رضي الله عنهما ، وعندما قتل حجر كان حاكم خراسان .

قال ابن سعد في الطبقات(6/159): «وكان عمر يقول: دلوني على رجل إذا كان في القوم وهو أمير ، فكأنه ليس بأمير ، وإذا كان فيهم وهو غير أمير فكأنه أمير . فقالوا: ما نعلمه إلا الربيع بن زياد بن أنس ، وكان متواضعاً خيراً ، وقد ولي

خراسان ، وفتح عامتها ».

وقـد نزل عليه قتل حجر بن عدي كالصاعقة ، فقال: ذلت العرب بعد قتل حجر صبراً ! قال الطبري:4/216: « فقال:لاتزال العرب تُقتل صبراً بعـده ، ولو نَفَرَتْ عنـد قتله لم يقتل رجل منهم صبراً ، ولكنها أقرت فذلت ! فمكث بعد هذا الكلام جمعة ، ثم خرج في ثياب بياض في يوم جمعـة فقال: أيها الناس إني قـد مللت الحياة ، وإني داع بدعوة فأمنوا . ثم رفع يده بعد الصـلاة وقال: اللهـم إن كان لي عندك خير فاقبضـني إليك عاجلاً ، وأمَّن الناس ، فخرج فما توارت ثيابه حتى سقط ، فحمل إلى بيته واستخلف ابنه عبد الله ، ومات من يومه».

11. وكان حجرٌ يردد عند موته الحديث النبوي: الموت في حب علي (عليه السـلام) شـهادة ! ففي مختصـر أخبار الشـعراء للمرزباني/49: «لما قَدِمَ حجر عذراء قال:ماهذه القرية؟ فقيل: عذراء . فقال: الحمد لله ، أما والله إني لأول مسـلم ذكر الله فيها وسـجد ، وأول مسـلم نبح عليه كلابها في سبيل الله ، ثم أنا اليوم أحمل إليها مصـفداً في الحديد ! ثم قال حجر للذي أمر بقتلهم: دعني أصـلي ركعتين خفيفتين ، فلما سلم انفتل إلى الناس فقال: لولا أن يقولوا جزع من الموت لأحببت أن يكونا أنفس مما كانتا وأيم الله لئن لم تكن صلاتي فيما مضى تنفعني ما هاتان بنافعتيَّ شـيئاً ، ثم أخـذ ثوبه فتحزَّم به ، ثم قال لمن حوله من أصـحابه: لاتحلوا قيودي فإني أجتمع ومعاوية على هذه المحجة ! ثم مشـى إليه هدبة الأعور بالسيف ، فشخص إليه حجر فقال: ألـم تقل إنك لم تجزع من الموت؟ فقال: أرى كفناً منشوراً ، وقبراً محفوراً ، وسيفاً مشهوراً ، فما لي لا أجزع ! أما والله لئن جزعت لا أقول ما يسخط الرب ! فقال له: فابرأ من علي وقد أعدَّ لك معاوية جميع ما

تريد إن فعلت ! فقال: ألم أقل إني لاأقول مايسخط الرب ! والله لقد أخبرني حبيبي رسول الله (صلى الله عليه و آله) بيومي هذا ! ثم قال: إن كنت أمرت بقتل ولدي فقدمه ، فقدمه فضربت عنقه ، فقيل له: تعجلت الثكل ! فقال: خفت أن يرى هوْل السيف على عنقي فيرجع عن ولاية علي (عليه السلام) فلا نجتمع في دار المقامة التي وعدها الله الصابرين !

ولما حمل عبد الرحمن بن حسان العنزي ، وكريم بن عفيف الخثعمي ، وكانا من أصحابه ، قال العنزي: يا حجر لاتُبعد ولايبعد ثوابك ، فنعم أخو الإسلام كنت . وقال الخثعمي:ياحجر لاتُبعد ولاتُفقد، فلقد كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ثم ذهب بهما فأتبعهما حجر بصره ، وقال:

كفى بشَفَاةِ القبر بعداً لهالكٍ وبالموت قطَّاعاً لحبل القرائن

ثم التفت إلى بقية أصحابه فرأى منهم جزعاً ، فقال: قال لي حبيبي رسول الله (صلى الله عليه و آله) : يا حجر تقتل في محبة عليٍّ صبراً ، فإذا وصل رأسك إلى الأرض مادت وأنبعت عين ماء فتغسل الرأس! فإذا شاهدتم ذلك فكونوا على بصائركم ، وقدم فضربت عنقه فلما وصل رأسه إلى الأرض مادت من تحته وأنبعت عين ماء فغسلت الرأس ! قال: فجعل أصحابه يتهافتون إلى القتل فقال لهم أصحاب معاوية: يا أصحاب علي ، ما أسرعكم إلى القتل ! فقالوا: من عرف مستقره سارع إليه » !

وعندما كان محبوساً في بستان في مرج عذراء أصابته جنابة ، فقال للسجان أعطني من الماء شرابي اليوم وغداً لأتطهر به، ولا أطلب منك شيئاً . قال: أخاف أن تموت عطشاً فيقول معاوية أنت قتلته ! قال: فبنى حِجْر حِجَاراً (حوضاً) ودعا الله فأسكبت سحابة فصبت من الماء ما أراد ، فتطهر حجر ! فقال له بعض أصحابه: لو دعوت الله أن يخلصنا لفعل ! فقال حجر: اللهم خِرْ لنا ،

ثلاثاً » . (فيض القدير:4/166، والغارات:2/812 ، ومختصر أخبار شعراء الشيعة/49):

وقيل إن شجر ذلك البستان جفَّت من يوم شهادته ! (شرح الأخبار:2/171).

12. وقُتل مع حِجْر خمسة من أصحابه ضربت أعناقهم رضي الله عنهم وهم: شريك بن شداد الحضرمي ، وصيفي بن فسيل الشيباني ، وقبيصة بن ضبيعة العبسي ، ومحرز بن شهاب السعدي ثم المنقري ، وكدام بن حيان العنزي . أما السابع عبد الرحمن بن حسان العنزي ، فأعاده معاوية إلى زياد بن أبيه ، وأمره أن يدفنه حياً في الكوفة ليرهب به الناس !

وتوسط لهم الصحابة وزعماء القبائل والشخصيات ، فلم يقبل معاوية وساطتهم إلا في سبعة فأطلقهم ، وهم: كريم بن عفيف الخثعمي ، وعبد الله بن حوية التميمي ، وعاصم بن عوف البجلي ، وورقاء بن سمي البجلي ، والأرقم بن عبد الله الكندي ، وعتبة بن الأخنس من بني سعد بن بكر، وسعيد بن نمران الهمداني» . (تاريخ دمشق:8/27)

13. وقد أخبر النبي (صلى الله عليه و آله) وعلي (عليه السلام) بأن حجر بن عدي سيقتل ويغضب الله له روت عائشة كما في تاريخ دمشق:12/226: «عن أبي الأسود قال: دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملك على قتل حجر وأصحابه؟ فقال: يا أم المؤمنين أني رأيت قتلهم صلاحاً للأمة وأن بقاءهم فساد للأمة!فقالت:سمعت رسول الله يقول: سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم أهل السماء». وفيض القدير:4/166.

وفي تاريخ دمشق:12/227: «عن ابن زرير الغافقي عن علي (عليه السلام) قال: يا أهل الكوفة ، سيقتل فيكم سبعة نفر خياركم ، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود ».

وقال حجر: «قال لي علي (عليه السلام) :كيف تصنع أنت إذا ضربت وأمرت بلعنتي؟قلت له: كيف أصنع؟ قال: إلعني ولا تبرأ مني فإني على دين الله». (البحار:39/324) .

14. أرسل اليه معاوية مجرماً كبيراً فأحضره اليه ثم قتله ! «سمعت أبا داود قال: قتل حجر بن عدي على يدي أبي الأعور السلمي». (سؤالات الآجري:1/331)

وفي تاريخ الطبري:4/190: «فشُدَّ في الحديد ثم حُمل إلى معاوية ، فلما دخل عليه قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال له معاوية: أمير المؤمنين ! أما والله لا أقيلك ولا أستقيلك ، أخرجوه فاضربوا عنقه ! فأخرج من عنده ، فقال حجر للذين يلون أمره: دعوني حتى أصلي ركعتين فقالوا: صَلِّهْ فصلى ركعتين خفف فيهما ، ثم قال: لولا أن تظنوا بي غير الذي أنا عليه ، لأحببت أن تكونا أطول مما كانتا ، ولئن لم يكن فيما مضى من الصلاة خير فما في هاتين خير . ثم قال لمن حضره من أهله: لا تطلقوا عني حديداً ولا تغسلوا عني دماً فإني ألاقي معاوية غداً على الجادة ، ثم قدم فضربت عنقه».

معناه أن حجر قال له إني بايعتك بأمر الإمام الحسن (عليه السلام) ولم أنقض بيعتي ، وقد افترى عليَّ عاملك على الكوفة وقال إنه نقض بيعتك ! فقال له معاوية: لا أقبل منك وسأقتلك !

15. وأصيب معاوية بالهلوسة قبل موته ، فكان يهذي باسم علي (عليه السلام) ، وحجر، وعمرو بن الحمق . قال ابن الأعثم في الفتوح:4/344: «وجعل معاوية يبكي لما قد نزل به...وكان في مرضه يرى أشياء لاتسره ! حتى كأنه ليهذي هذيان المدنف وهو يقول: إسقوني إسقوني فكان يشرب الماء الكثير فلا يروى ! وكان ربما غُشيَ عليه اليوم واليومين ، فإذا أفاق من غشوته ينادي بأعلى صوته: ما لي ومالك يا

حجر بن عدي!مالي وما لك يا عمرو بن الحمق! مالي ومالك يا ابن أبي طالب»!

وقال الطبري في تاريخه:4/191:«قال ابن سيرين: بلغنا أنه لما حضرته الوفاة جعل يغرغر بالموت وهو يقول: يومي بك ياحجر يوم طويل». ونهاية الإرب/4459.

16. ووقد حاول معاوية وواليه أن يلعن حِجْرٌ علياً (عليه السلام) ويتبرأ منه فلم يفعل، ففي شرح النهج:4/58: «وأمر المغيرة بن شعبة وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل معاوية ، حجرَ بن عدي أن يقوم في الناس فليلعن علياً ! فأبى ذلك فتوعده فقام فقال: أيها الناس ، إن أميركم أمرني أن ألعن علياً فالعنوه ! فقال أهل الكوفة: لعنه الله ، وأعاد الضمير إلى المغيرة بالنية والقصد ».

وفي رجال الكشي:1/319 ، أنه قال مثل ذلك عندما طلب منه حاكم اليمن أن يلعن علياً (عليه السلام) في صنعاء ! وفي الغدير:9/119: «قاموا إليهم فقالوا: تبرؤون من هذا الرجل؟ قالوا: بل نتولاه ونتبرأ ممن تبرأ منه . فأخذ كل رجل منهم رجلاً وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً، حتى قتلوا ستة».(الطبري:6/141،والنهاية: 7/49).

17. وأوصى حجر أن يدفنوه بثيابه ودمائه ، ليخاصم معاوية وهو مضرج بدمه ففي مصنف ابن أبي شيبة:3/139: «قال حجر بن عدي لمن حضره من أهل بيته: لا تَغْسلوا عني دماً ، ولا تُطلقوا عني حديداً ، وادفنوني في ثيابي ، فإني ألتقي أنا ومعاوية على الجادة غداً !». (ونحوه في تاريخ دمشق:12/225 ، والطبقات: 6/219).

وبعد أن قتل معاوية حجراً ، أمر عامله فهدم داره بالكوفة! (الطبري:4/536).

18. كان حجر رئيس قبائل كندة ، أو في مرتبة رئيسها ، وقد تحمل الإضطهاد أو القتل معه عدد من أصحابه من رؤساء القبائل وشخصيات الإسلام

وفرسانه ، الذين فتحوا العراق والشام ، فمنهم مثلاً: «سعيد بن نمران الهمداني الناعطي، كان كاتباً لعلي (عليه السلام) وأدرك من حياة النبي (صلى الله عليه و آله) أعواماً وشهد اليرموك ، وسار إلى العراق مدداً لأهل القادسية ، وكان من أصحاب حجر بن عدي ، وسيَّره زياد مع حجر إلى الشام ، فأراد معاوية قتله مع حجر ، فشفع فيه حمزة بن مالك الهمداني فخلى سبيله». (أسد الغابة:2/316).

وكفى بذلك دليلاً على اضطهاد قادة الفتح وفرسانه بيد الحكام السياسيين والإداريين ، فالعسكريون يضحون ويحققون النصر للمسلمين ويفتحون البلاد ، ويسلمونها الى الخليفة ، فيسلمها الى أناس يختارهم لإدارتها ، وهم عادة من أجبن الناس وأبعدهم عن الجهاد والفروسية وأخلاقها ، فيصادرون جهود غيرهم ، ويضطهدونهم ، ثم يزعمون أنهم هم الذين جاهدوا وفتحوا !

وقد كان لاعتقال حِجْرٍ وسجنه ثم قتله تأثير كبير على المجتمع الإسلامي آنذاك ، رغم سيطرة معاوية . وقد روى الطبري:4/191، والبلاذري في أنساب الأشراف/1256، وغيرهما مواقف حجر مع حاكم الكوفة المغيرة بن شعبة ، ومع ابن زياد ، وتفاصيل حملة اعتقاله وأصحابه ، وتسفيرهم الى الشام ، وما كذبوه عليهم .

وقال الشعراء كثيراً في رثاء حجر الشهيد رضي الله عنه ، ورووا قصائد عديدة في أمهات المصادر كالطبري وابن عساكر . وقال ابن سعد:6/220: «وقد كانت هند بنت زيد الأنصارية ، وكانت شيعية ، قالت حين سير بحجر إلى معاوية:

ترفع أيها القمر المنيرُ *** ترفع هل ترى حجراً يسيرُ

يسير إلى معاوية بن حرب *** ليقتله كما زعم الخبير

تجبرت الجبابر بعد حجر *** وطاب لها الخورنق والسدير

وأصبحت البلاد له محولا *** كأن لم يحيها يوما مطير..الخ).

حذيفة بن اليمان أمين سرّ رسول الله (صلى الله عليه و آله)

1. عُرِفَ حذيفة رضي الله عنه بأنه صاحب سِرِّ النبي (صلى الله عليه و آله) علَّمه بعض المغيبات وأسماء المنافقين، خاصة الصحابة الذين حاولوا اغتياله (صلى الله عليه و آله) ليلة العقبة في طريق رجوعه من تبوك . وقد سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن حذيفة كما في الإحتجاج(1/388) ، فقال: «ذاك امرؤٌ عُلِّم أسماء المنافقين ، إن تسألوه عن حدود الله تجدوه بها عالماً» .

وفي تاريخ دمشق:12/275: «امرؤ عُلِّمَ المعضلات».

وأضاف فيه في تاريخ دمشق:12/275، و:21/422: «وسأل عن المعضلات حين غُفل عنها، فإن تسألوه تجدوه بها عالماً . قالوا:فحدثنا عن سلمان؟ قال: من لكم بمثل لقمان الحكيم ! ذاك امرؤ منا وإلينا أهل البيت ، أدرك العلم الأول وعلم الآخر ، وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر ، بحر لا ينزف ».

وفي أمالي الطوسي/222، قال حذيفة: «إن الناس كانوا يسألون رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن الخير ، وكنت أساله عن الشر ، فأنكر ذلك القوم عليه فقال: سأحدثكم بما أنكرتم: إنه جاء أمر الإسلام ، فجاء أمر ليس كأمر الجاهلية ، وكنت أعطيت من القرآن فقهاً ، وكانوا يجيئون فيسألون النبي (صلى الله عليه و آله) فقلت أنا: يا رسول الله ، أيكون بعد هذا الخير شر؟ قال: نعم . قلت: فما العصمة منه . قال: السيف . قال: قلت: وهل بعد السيف بقية؟ قال: نعم ، تكون إمارة على إقذاء وهدنة على دخن . قال: قلت: ثم ماذا ؟ قال: ثم تفشو دعاة الضلالة ، فإن رأيت يومئذ خليفة عدل فالزمه ، وإلا فمت عاضاً على جذل شجرة » .

وفي صحيح البخاري:4/178و:8/93، قال: «كان الناس يسألون رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاء نا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم . قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: نعم ، وفيه دُخْن . قلت: وما دُخْنُهُ؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر . قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟قال: نعم ، دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ! قلت: يا رسول الله صفهم لنا . فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » !

وفي كتاب الفتن لابن حماد/17: «قلت: وما دُخْنُه ؟ قال قوم يستنون بغير سنتي ، ويهتدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر » .

2. وكان عمر بن الخطاب لا يصلي على صحابي مات إلا إذا صلى عليه حذيفة ، ففي سنن البيهقي: 8/200: « كان عمر بن الخطاب في خلافته إذا مات رجل يظن أنه من أولئك الرهط ، أخذ بيد حذيفة فاقتاده إلى الصلاة عليه ، فإن مشى معه حذيفة صلى عليه ، وإن انتزع حذيفة يده فأبى أن يمشي معه ، انصرف عمر معه فأبى أن يصلي عليه ».

وفي شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي:1/44: «كان عمر لا يصلي على ميت حتى يصلي عليه حذيفة ، يخشى أن يكون من المنافقين » .

وذكر ابن كثير في السيرة النبوية:4/35، أن عمر سأل حذيفة عن نفسه هل هو من المنافقين ! قال: «وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال

لحذيفة: أقسمت عليك بالله أأنا منهم؟ قال: لا. ولا أبرى بعدك أحداً . يعني حتى لا يكون مفشياً سر النبي (صلى الله عليه و آله) ».

أقول: لقد استفاد عمر من علم حذيفة بالمنافقين والفتن استفادةً محدودة جداً وكذلك فعل أبو بكر وعثمان ، وهذا لايتناسب مع عقيدتهم وإجماعهم على أن حذيفة خبير بالمنافقين وبالفتن، وموثقٌ من النبي (صلى الله عليه و آله) ، فكان يجب عليهم الإستفادة من علمه الخطير ، وسؤاله عن المنافقين لاستبعادهم عن مناصب الدولة ، وعن الفتن لتوقي ما يمكن توقيه منها ! فلماذا يا ترى لم يفعلوا ذلك ؟

الجواب: أنه لايناسبهم العمل بعلمه لأن رأيه منحاز لعلي وعترة النبي (صلى الله عليه و آله) يرى أنهم ورثة علم النبي (صلى الله عليه و آله) الذي لاتنجو الأمة بدونه ، وأنهم أولياء الأمة وأئمتها بأمر الله تعالى ، ولانجاة من المنافقين والفتن والضلال إلا بتسليم قيادتها لهم وطاعتهم .

قال الباحث حسن بن فرحان المالكي في كتابه: نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي/184 : «كما أنه من المعلوم أن أعلم الناس بالفتنة حذيفة بن اليمان ، وقد أوصى باتباع علي في الفتنة ، ولم يأمر بالإعتزال . فكان يقول: « عليكم بالطائفة التي تدعو إلى أمر علي بن أبي طالب فإنها على الحق » رواه البزار وصححه الحافظ ابن حجر . وحذيفة أعلم بالفتن من المعتزلين ، بل هو أعلم الصحابة مطلقاً بأخبار الفتن وما يجب فيها ».

3. اشتهر حذيفة بتشيعه لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهو أحد الأركان الأربعة للتشيع الذين ثبتوا مع أمير المؤمنين (عليه السلام) واستعدوا للموت في مواجهة مؤامرة السقيفة .

قال العلامة في الخلاصة/131: «حذيفة بن اليمان العبسي (رحمة الله) عداده في الأنصار ، أحد الأركان الأربعة ، من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ».

وروى عنه في الكافي:8/32 ، أن أمير المؤمنين (عليه السلام) خطب بعد السقيفة خطبة بليغة ، جاء فيها: «أيها الأمة التي خُدعت فانخدعت ، وعرفت خديعة من خدعها فأصرت على ما عرفت ، واتبعت أهواءها ، وضربت في عشواء غوايتها ، وقد استبان لها الحق فصدت عنه ، والطريق الواضح فتنكبته...

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لقد علمتم أني صاحبكم والذي به أمرتم ، وأني عالمكم والذي بعلمه نجاتكم ، ووصي نبيكم وخيرة ربكم ولسان نوركم ، والعالم بما يصلحكم ، فعن قليل رويداً ينزل بكم ما وُعدتم ، وما نزل بالأمم قبلكم ، وسيسألكم الله عز وجل عن أئمتكم ، معهم تحشرون وإلى الله عز وجل غداً تصيرون... قال ثم خرج من المسجد فمر بصيرة فيها نحو من ثلاثين شاة ، فقال: والله لو أن لي رجالاً ينصحون لله عز وجل ولرسوله (صلى الله عليه و آله) بعدد هذه الشياه لأزلت أبن آكلة الذبان عن ملكه . قال: فلما أمسى بايعه ثلاث مائة وستون رجلاً على الموت ، فقال لهم أمير المؤمنين (عليه السلام) : أغدوا بنا إلى أحجار الزيت مُحَلِّقِين، وحَلَقَ أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فما وافى من القوم محلقاً إلا أبو ذر والمقداد وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر ، وجاء سلمان في آخر القوم .

فرفع يده (عليه السلام) إلى السماء فقال: اللهم إن القوم استضعفوني ، كما استضعفت بنو إسرائيل هارون ، اللهم فإنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى عليك شئ في الأرض ولا في السماء ، توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ».

وأحاديث تشيع حذيفة رضي الله عنه، وتشدده في التشيع ، كثيرة تزيد على مئة حديث ، وفيها متواتر ، وقد روت مصادر الطرفين عدداً منها!

فمن ذلك ما رواه محمد بن سليمان في المناقب:1/222 ، بسنده عن ربيعة السعدي ، وروته مصادر الطرفين ، قال ربيعة: « أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله إنا نتحدث في علي وفي مناقبه فيقول لنا أهل البصرة: إنكم لتفرطون في علي وفي مناقبه ، فهل أنت تحدثني في علي بحديث ؟ فقال حذيفة: يا ربيعة إنك لتسألني عن رجل والذي نفسي بيده لو وضع عمل جميع أصحاب محمد (صلى الله عليه و آله) في كفة الميزان من يوم بعث الله محمداً إلى يوم الناس هذا ، ووضع عمل علي يوماً واحداً في الكفة الأخرى، لرجح عمله على جميع أعمالهم!

فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد ! فقال حذيفة: وكيف لا يُحتمل هذا يا ملكعان (يا أحمق) ! أين كان أبو بكر وعمر وحذيفة ثكلتك أمك ، وجميع أصحاب محمد يوم عمرو بن عبد ود ينادي للمبارزة؟ فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً فقتله الله على يديه ؟! والذي نفسي بيده لعمله ذلك اليوم أعظم عند الله من جميع أعمال أمة محمد (صلى الله عليه و آله) إلى يوم القيامة » .

ومن ذلك: فرحته قبل أن يموت لما بلغه بيعة المسلمين لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، فخطب خطبة بليغة صريحة ، روى منها في مروج الذهب:2/383، فقال: «وقد كان حذيفة عليلاً بالكوفة في سنة ست وثلاثين ، فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلي فقال: أخرجوني وادعوا الصلاةَ جامعةً فوضع على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وعلى آله ، ثم قال:

أيها الناس، إن الناس قد بايعوا علياً فعليكم بتقوى الله وانصروا علياً ووازروه فو الله إنه لعلى الحق آخراً وأولًا ، وإنه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقي الى يوم القيامة ، ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال: اللهم اشهد إني قد بايعت علياً ، وقال: الحمد لله الذي أبقاني الى هذا اليوم . وقال لابنيه صفوان وسعد: إحملاني وكونا معه ، فستكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس ، فاجتهدا أن تستشهدا معه ، فإنه والله على الحق ومن خالفه على الباطل . ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام ، وقيل: بأربعين يوماً ».

وروى هذه الخطبة بتفصيلها الديلمي في إرشاد القلوب:2/323: وفيها: «صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد وآل محمد ، ثم قال: الحمد لله الذي أحيا الحق وأمات الباطل وجاء بالعدل ودحض الجور وركبت الظالمين .

أيها الناس إنما وليكم الله ورسوله وأمير المؤمنين حقاً حقاً، وخير من نعلمه بعد نبينا رسول الله (صلى الله عليه و آله) ، وأولى الناس بالناس، وأحقهم بالأمر ، وأقربهم إلى الصدق وأرشدهم إلى العدل ، وأهداهم سبيلاً ، وأدناهم إلى الله وسيلة وأقربهم برسول الله (صلى الله عليه و آله) رحماً . أنيبوا إلى طاعة أول الناس سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأصدقهم طريقة ، وأسبقهم إيماناً ، وأحسنهم يقيناً ، وأكثرهم معروفاً ، وأقدمهم جهاداً ، وأعزهم مقاماً...

فقام الناس بأجمعهم فبايعوا أمير المؤمنين (عليه السلام) بأحسن بيعة وأجمعها .

فلما استتمت البيعة ، قام إليه فتى من أبناء العجم وولاة الأنصار لمحمد بن عمارة بن التيهان أخي أبي الهيثم بن التيهان ، يقال له مسلم متقلداً سيفاً ، فناداه

من أقصى الناس: أيها الأمير ، إنا سمعناك تقول في أول كلامك إنما وليكم الله ورسوله وأمير المؤمنين حقاً حقاً ، تعريضاً بمن كان قبله من الخلفاء أنهم لم يكونوا أمراء المؤمنين حقاً ، فعرِّفنا ذلك أيها الأمير رحمك الله ، ولا تكتمنا ، فإنك ممن شهد وغبنا ، ونحن مقلدون ذلك في أعناقكم ، والله شاهد عليكم فيما تأتون به من النصيحة لأمتكم ، وصدق الخبر عن نبيكم (صلى الله عليه و آله) .

قال حذيفة: أيها الرجل ، أما إذا سألت وفحصت هكذا فاسمع وافهم ما أخبرك به . أما من تقدم من الخلفاء قبل علي بن أبي طالب ممن تسمى بأمير المؤمنين ، فإنهم تسموا بذلك ، وسماهم الناس به .

وأما علي بن أبي طالب (عليه السلام) فإن جبرائيل سماه بهذا الإسم عن الله تعالى وشهد له الرسول (صلى الله عليه و آله) عن جبرائيل بإمرة المؤمنين ، وكان أصحاب رسول الله يدعونه في حياة رسول الله بأمير المؤمنين . قال الفتى: أخبرنا كيف كان ذلك ، يرحمك الله.

قال حذيفة... وذكر حديث النبي (صلى الله عليه و آله) في ذلك وهو طويل وفيه موقف أبي بكر وعمر وأبي عبيدة من أمر النبي (صلى الله عليه و آله) .. وقال للفتى: هذه أنباء ما سألتني عنه .

فقال الفتى: لا جزى الله الذين شاهدوا رسول الله (صلى الله عليه و آله) وسمعوه يقول هذا القول في عليٍّ ، خيراً ، فقد خانوا الله ورسوله وأزالوا الأمر عمن رضي به الله وأقروه فيمن لم يره الله ولارسوله لذلك أهلاً ، لا جرم والله لن يفلحوا بعدها أبداً ! ونزل حذيفة عن منبره فقال: يا أخا الأنصار إن الأمر كان أعظم مما تظن! إنه عزب والله البصر، وذهب اليقين، وكثر المخالف، وقل الناصر لأهل الحق !

فقال له الفتى: فهلا انتضيتم أسيافكم ووضعتموها على رقابكم ، وضربتم بها الزائلين عن الحق قدماً قدماً حتى تموتوا ، أو تدركوا الأمر الذي تحبونه من طاعة الله عز وجل ، وطاعة رسوله (صلى الله عليه و آله) ؟

فقال له: أيها الفتى إنه أُخذ والله بأسماعنا وأبصارنا وكرهنا الموت ، وزينت عندنا الحيرة وسبق علم الله بإمرة الظالمين ، ونحن نسأل الله الصفح لذنوبنا ، والعصمة فيما بقي من آجالنا ، فإنه مالك رحيم .

ثم انصرف حذيفة إلى منزله وتفرق الناس .

ثم قال الراوي وهو عبد الله بن سلمة: فبينما أنا ذات يوم عند حذيفة أعوده في مرضه الذي مات فيه وقد كان يوم قدمت فيه من الكوفة وذلك من قبل قدوم علي (عليه السلام) إلى العراق ، فبينما أنا عنده إذ جاء الفتى الأنصاري فدخل على حذيفة فرحب به..ثم ذكر حديث حذيفة مع الفتى الأنصاري ، وهو طويل وفيه حقائق كثيرة عن إخبار النبي (صلى الله عليه و آله) بما يجري بعده على علي والعترة (عليهم السلام) ، وإتمامه الحجة على المخالفين لهم .

4. وكان حذيفة رضي الله عنه يستعمل أسلوب المدارة والتقية ، مع الحاكم ، روى عنه ذلك الموالون والمخالفون ، قال الذهبي في سيره:2 /361: « حذيفة بن اليمان ، من نجباء أصحاب محمد ، وهو صاحب السر... كان يقول: ما أدرك هذا الأمر أحد من الصحابة إلا قد اشترى بعض دينه ببعض ! قالوا: وأنت ؟ قال: وأنا والله » ! إني لأدخل على أحدهم وليس أحد إلا فيه محاسن ومساوئ

فأذكر من محاسنه ، وأعرض عما سوى ذلك ، وربما دعاني أحدهم إلى الغداء فأقول: إني صائم ، ولست بصائم ».

ومعنى شراء بعض دينه ببعض: أنه كان يكتم أحاديث النبي (صلى الله عليه و آله) ويكتم رأيه في الحاكم الذي يعتقد بنفاقه ، حتى لا يعاديه ويمنعه من خدمة الإسلام وأمته ، وقيادة معارك الفتوحات ! ويدل قوله (رحمة الله) إنه صائم وليس بصائم، على أنه يرى جواز الكذب للتخلص من أكل الحرام أو المشبوه .

قال السرخسي في المبسوط:24/46: «وقد كان حذيفة رضي الله عنه ممن يستعمل التقية على ما روى أنه يداري رجلاً فقيل له إنك منافق ! فقال: لا ، ولكني أشتري ديني بعضه ببعض ، مخافة أن يذهب كله ».

وقال السرخسي:30/214: «عن النزال بن سيدة قال: جعل حذيفة يحلف لعثمان رضي الله عنه على أشياء بالله ما قالها ، وقد سمعناه يقولها ، فقلنا له: يا أبا عبد الله سمعناك تحلف لعثمان على أشياء ما قلتها ، وقد سمعناك قلتها ! فقال: إني أشتري ديني بعضه ببعض، مخافة أن يذهب كله . وإن حذيفة رضي الله عنه من كبار الصحابة ، وكان بينه وبين عثمان رضي الله عنه بعض المداراة ، فكان يستعمل معاريض الكلام فيما يخبره به ويحلف له عليه ، فلما أشكل على السامع سأله عن ذلك فقال: إني اشترى ديني بعضه ببعض ، يعني أستعمل معاريض الكلام على سبيل المداراة ، أو كأنه كان يحلف ما قالها ويعنى ما قالها في هذا المكان ، أو في شهر كذا..فهذا ونحوه من باب استعمال المعاريض ».

ومعنى المعاريض: التورية تقيةً وتخلصاً من الكذب ، لكن الظاهر من كلام حذيفة أنه يستحل الكذب للضرورة ، وأن الضرورة عنده واسعة ، فهي تشمل التعايش مع الحاكم ومدحه لأغراض دينية .

ومع أن علاقة حذيفة مع الخلفاء كانت جيدة ، وكانوا يحترمونه احتراماً خاصاً ، فقد كان بعضهم يتجسس عليه لينم عليه عند الخليفة .

روى الترمذي:3/253: « عن همام بن الحارث قال: مر رجل على حذيفة بن اليمان فقيل له هذا يبلغ الأمراء الحديث عن الناس ، فقال حذيفة: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: لا يدخل الجنة قَتَّات » . أي جاسوس نمام.

وقد وصف حذيفة تسلط المنافقين بعد وفاة النبي (صلى الله عليه و آله) .

قال البخاري في صحيحه:8/100: «عن حذيفة بن اليمان قال: إن المنافقين اليوم شرٌّ منهم على عهد النبي (صلى الله عليه و آله) ، كانوا يومئذ يُسِرُّون ، واليوم يجهرون » !

وفي صحيح البخاري: 4/34: «ابتلينا حتى أن الرجل ليصلى وحده وهو خائف».

وفي صحيح مسلم:1/91: «فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سراً »‏.

وقال ابن حجر في شرحه في فتح الباري:6/124: «وأما قول حذيفة: فلقد رأيتنا ابتلينا إلى آخره ، فيشبه أن يكون أشار بذلك إلى ما وقع في أواخر خلافة عثمان من ولاية بعض أمراء الكوفة كالوليد بن عقبة ، حيث كان يؤخر الصلاة أو لا يقيمها على وجهها، وكان بعض الورعين يصلي وحده سراً أ ثم يصلي معه خشية من وقوع الفتنة.وقيل كان ذلك حين أتم عثمان الصلاة في السفر أ وكان بعضهم يقصر سراً وحده أ خشية الإنكار » .

أقول: يدل قول حذيفة على أن تحريف الحكام وصل في عهده الى الوضوء والصلاة !

ولا ننس أن حذيفة من كبار الفقهاء ، فقد اختصم جيرانٌ في ملكية جدار قصب بينهم فبعثه النبي (صلى الله عليه و آله) ليقضي بينهم ، فقضى أن معاقد القصب من جهة أحدهم أمارة على ملكيته ، فأمضى ذلك النبي (صلى الله عليه و آله) وصار قاعدة في أمارات اليد والملكية . (العروة الوثقى:6/649، ومغني ابن قدامة:5/43)

5. قال حذيفة إن النبي (صلى الله عليه و آله) حَذَّرَ من اثني عشر إماماً ، وبَشَّرَ باثني عشر إماماً ! روى ابن حماد في كتاب الفتن/15، عن حذيفة قال: «ما من صاحب فتنة يبلغون ثلاث مائة إنسان إلا ولو شئت أن أسميه باسمه واسم أبيه ومسكنه إلى يوم القيامة ، كل ذلك مما علمنيه رسول الله (صلى الله عليه و آله) ».

وقال كما في صحيح مسلم:8/122، قال النبي (صلى الله عليه و آله) : « في أصحابي اثنا عشر رجلاً منافقاً لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ».

وفي كفاية الأثر/136، قال: «صلى بنا رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثم أقبل بوجهه الكريم علينا فقال: معاشر أصحابي أوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته ، فمن عمل بها فاز وغنم ، ومن تركها حلت به الندامة ، فالتمسوا بالتقوى السلامة من أهوال يوم القيامة ، فكأني أدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا ، ومن تمسك بعترتي من بعدي كان من الفائزين ، ومن تخلف عنهم كان من الهالكين . فقلت: يا رسول الله على من تخلفنا؟ قال: على من خلف موسى بن عمران قومه؟ قلت: على وصيه يوشع بن

نون . قال: فإن وصي وخليفتي من بعدي علي بن أبي طالب ، قائد البررة وقاتل الكفرة ، منصور من نصره مخذول من خذله .

قلت: يا رسول الله فكم يكون الأئمة من بعدك؟ قال: عدد نقباء بني إسرائيل تسعة من صلب الحسين ، أعطاهم الله علمي وفهمي...ثم رفع رسول الله (صلى الله عليه و آله) يده إلى السماء ودعا بدعوات فسمعته فيما يقول: اللهم اجعل العلم والفقه في عقبي وعقب عقبي ، وفي زرعي وزرع زرعي» .

6. كان حذيفة (رحمة الله) يخبر المسلمين بغرائب ستحدث ، فيدهشون ويتحيرون ، فقد روى ابن حماد بسند صحيح عندهم في كتابه الفتن/45، أن حذيفة قال:« لو حدثتكم أن أمكم تغزوكم أتصدقوني ؟ قالوا أو حق ذلك ؟ قال حق » !

وفي إرشاد القلوب/337: عن حذيفة قال: « أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) خادمةً لأم سلمة فقال: إجمعي لي هؤلاء يعني نساءه ، فجمعتهن له في منزل أم سلمة ، فقال لهن: إسمعن ما أقول لكن ، وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب ، فقال لهن: هذا أخي ووصيي ووارثي ، والقائم فيكن وفي الأمة من بعدي ، فأطعنه فيما يأمركن به ، ولا تعصينه فتهلكن لمعصيته . ثم قال: يا علي أوصيك بهن ، فأمسكهن ما أطعن الله وأطعنك ، وأنفق عليهن من مالك ، وأمرهن بأمرك ، وانههن عما يريبك ، وخل سبيلهن إن عصينك . فقال علي (عليه السلام) : يا رسول الله إنهن نساء وفيهن الوهن وضعف الرأي . فقال (صلى الله عليه و آله) : إرفق بهن ما كان الرفق أمثل ، فمن عصاك منهن فطلقها طلاقاً يبرأ الله ورسوله منها . قال: كل نساء النبي (صلى الله عليه و آله) قد صمتن فما يقلن شيئاً ، فتكلمت عائشة فقالت: يا رسول الله ما كنا لتأمرنا بشئ فنخالفه

إلى ما سواه ! فقال لها: بلى قد خالفت أمري أشد خلاف ! وأيم الله لتخالفين قولي هذا ولتعصينه بعدي،ولتخرجين من البيت الذي خلفتك فيه متبرجة فيه ، قد حف بك فئامٌ من الناس ، فتخالفينه ظالمة له عاصية لربك ولتنبحنك في طريقك كلاب الحوأب. ألا أن ذلك كائن! ثم قال:قمن فانصرفن إلى منازلكن. فقمن فانصرفن » !

وفي أمالي المفيد/58: «سمعت حذيفة بن اليمان قبل أن يقتل عثمان بن عفان بسنة وهو يقول: كأني بأمكم الحميراء قد سارت ، يساق بها على جمل وأنتم آخذون بالشوى والذنب ، معها الأزد أدخلهم الله النار ، وأنصارها بنوضبة جذَّ الله أقدامهم ! قال: فلما كان يوم الجمل وبرز الناس بعضهم لبعض نادى منادي أمير المؤمنين صلوات الله عليه: لا يبدأنَّ أحد منكم بقتال حتى آمركم . قال: فرموا فينا فقلنا: يا أمير المؤمنين قد رمينا ، فقال: كُفُّوا ، ثم رمونا فقتلوا منا ، قلنا يا أمير المؤمنين قد قتلونا ، فقال: إحملوا على بركة الله . قال: فحملنا عليهم فأنشب بعضنا في بعض الرماح حتى لو مشى ماش لمشي عليها ، ثم نادي منادي علي: عليكم بالسيوف فجعلنا نضرب بها البيض فتنبوا لنا ، فنادى منادي أمير المؤمنين:عليكم بالأقدام . قال: فما رأينا يوماً كان أكثر قطع أقدام منه .

قال: فذكرت حديث حذيفة أنصارها بنو ضبة جذَّ الله أقدامهم فعلمت أنها دعوة مستجابة . ثم نادى منادي أمير المؤمنين (عليه السلام) : عليكم بالبعير فإنه شيطان . قال: فعقره رجل برمحه ، وقطع إحدى يديه رجل آخر فبرك ورغا ، وصاحت عائشة صيحة شديدة ، فولى الناس منهزمين ، فنادى منادي أمير المؤمنين (عليه السلام) : لا

تجيزوا على جريح ، ولا تتبعوا مدبراً ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ».

7. رووا عنه مديحاً لبعض الخلفاء ، فإن صح فلا بد أن يكون من باب التقية كالذي رواه الذهبي في سيره:1/478 : «عن حذيفة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمار ، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد » .

والذي رواه البخاري:1/133 : «سمعت حذيفة قال: كنا جلوساً عند عمر رضي الله عنه فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله (صلى الله عليه و آله) في الفتنة؟ قلت.. ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ، إن بينك وبينها باباً مغلقاً . قال: أيكسر أم يفتح؟ قال: يكسر . قال إذاً لا يغلق أبداً. قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كما أن دون الغد الليلة . إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط ، فهبنا أن نسأل حذيفة ، فأمرنا مسروقاً فسأله فقال: الباب عمر». على أن هذا إخبار عما سيحدث أكثر منه مدحاً .

8. شارك في حرب أُحُد وما بعدها ، واستشهد فيها أبوه (رحمة الله) وكان شيخاً كبيراً !

في معجم الطبراني الكبير:3/162 : «عن عامر بن سعد أنه أقبل حذيفة وأبوه يوم بدر فلقيهم أبو جهل وأصحابه ، فقالوا لهما: لعلكما تريدان محمداً ، قالا قلنا: لا . قال: فأخذ علينا أن لا نعين عليهم . فلما أتينا النبي (صلى الله عليه و آله) ذكرنا ذلك له وقلنا: يا نبي الله إن القوم قد أخذوا علينا ، وإن أمرتنا أن نقاتل معك فعلنا . فقال: بل نستعين الله ونفي لهم». ونحوه الحاكم:3/201 .

وقال ابن هشام في السيرة النبوية:3/604: « لما خرج رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى أحُد ، رُفع حسيل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان ، وثابث بن وقش ، في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أباً لك ما تنتظر! فوالله ما بقي لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار إنما نحن هامة اليوم أوغد ، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله (صلى الله عليه و آله) لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) ؟ فأخذا أسيافهما ثم خرجا، حتى دخلا في الناس ولم يُعلم بهما . فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حسيل بن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه ، فقال حذيفة: أبى ! فقالوا: والله إن عرفناه ، وصدقوا. قال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن يَدِيَهُ، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله خيراً ».

وفي أنساب الأشراف:1/322: «والتفَّت سيوف المسلمين على أبى حذيفة بن اليمان وهو حسيل بن جابر فقتل، وحذيفة يقول: أبي أبي ! ثم قال: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. ويقال إن الذي أصابه عتبة بن مسعود ، فوهب حذيفة دمه للمسلمين.. وأظهر المسلمون الشعار بعدُ » .

وكان لحذيفة أدوار تضحية في معارك النبي (صلى الله عليه و آله) ، منها: أن النبي (صلى الله عليه و آله) اختاره يوم الخندق ، وأمره أن يذهب ليلاً ، ويدخل الى معسكر المشركين ويأتيه بخبرهم !

ص: 352

قال الإمام الصادق (عليه السلام) ، كما في الكافي:8/277: «قام رسول الله (صلى الله عليه و آله) على التل الذي عليه مسجد الفتح في غزوة الأحزاب ، في ليلة ظلماء قرَّة (باردة) فقال: من يذهب فيأتينا بخبرهم وله الجنة؟ فلم يقم أحد ، ثم أعادها فلم يقم أحد !

فقال أبو عبد الله بيده: وما أراد القوم ، أرادوا أفضل من الجنة ؟!

ثم قال: من هذا ؟ فقال: حذيفة ، فقال: أما تسمع كلامي منذ الليلة ولا تكلم! أقُبِرْت؟! فقام حذيفة وهو يقول:القَرُّ والضُّرُّ جعلني الله فداك منعني أن أجيبك فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : إنطلق حتى تسمع كلامهم وتأتيني بخبرهم ، فلما ذهب قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتى ترده . وقال له رسول الله (صلى الله عليه و آله) : يا حذيفة لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ، فأخذ سيفه وقوسه وحجفته .

قال حذيفة: فخرجت وما بي من ضُر ولا قَر ، فمررت على باب الخندق وقد اعتراه المؤمنون والكفار . (تواجدوا عليه) .

فلما توجه حذيفة قام رسول الله (صلى الله عليه و آله) ونادى: يا صريخ المكروبين ، ويا مجيب المضطرين ، إكشف همي وغمي وكربي ، قد ترى حالي وحال أصحابي .

فنزل عليه جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا رسول الله إن الله عز ذكره قد سمع مقالتك ودعاءك ، وقد أجابك وكفاك هول عدوك . فجثى رسول الله (صلى الله عليه و آله) على ركبتيه وبسط يديه وأرسل عينيه ، ثم قال: شكراً شكراً كما رحمتني ورحمت أصحابي .

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : قد بعث الله عز وجل عليهم ريحاً من السماء الدنيا فيها حصى ، وريحاً من السماء الرابعة فيها جندل .

قال حذيفة: فخرجت فإذا أنا بنيران القوم ، وأقبل جند الله الأول ريحٌ فيها حصى ، فما تركت لهم ناراً إلا أذرتها ، ولا خباءً إلا طرحته ، ولا رمحاً إلا ألقته حتى جعلوا يتترسون من الحصى ، فجعلنا نسمع وقع الحصى في الأترسة ، فجلس حذيفة بين رجلين من المشركين ، فقام إبليس في صورة رجل مطاع في المشركين ، فقال: أيها الناس إنكم قد نزلتم بساحة هذا الساحر الكذاب ، ألا وإنه لن يفوتكم من أمره شئ ، فإنه ليس سنة مقام ، قد هلك الخف والحافر فارجعوا ، ولينظر كل رجل منكم من جليسه ، قال حذيفة: فنظرت عن يميني فضربت بيدي فقلت: من أنت؟ فقال: معاوية . فقلت للذي عن يساري: من أنت ؟ فقال سهيل بن عمرو !

قال حذيفة: وأقبل جند الله الأعظم ، فقام أبو سفيان إلى راحلته ثم صاح في قريش: النجاء النجاء ! وقال طلحة الأزدي: لقد زادكم محمد بشرا! ثم قام إلى راحلته وصاح في بني أشجع: النجاء النجاء ! وفعل عيينة بن حصن مثلها ، ثم فعل الحرث بن عوف المزني مثلها ، ثم فعل الأقرع بن حابس مثلها ، وذهب الأحزاب ، ورجع حذيفة إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فأخبره الخبر . قال أبو عبد الله (عليه السلام) : إنه كان ليشبه يوم القيامة » .

وفي رواية الواقدي:1/488 : «فكان حذيفة بن اليمان يقول: لقد رأيتنا في الخندق مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) في ليلةٍ شديدة البرد ، قد اجتمع علينا البرد والجوع والخوف ، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : من رجلٌ ينظر لنا ما فعل القوم جعله الله رفيقي في الجنة . فقال حذيفة: يشرط له رسول الله (صلى الله عليه و آله) الجنة والرجوع فما قام منا رجلٌ ! ثم عاد

يقول ذلـك ثلاث مرات ، وما قام رجلٌ واحـدٌ من شـدة الجوع والقر والخوف. فلما رأى رسول الله (صـلى الله عليه و آله) ذلك لا يقوم أحد دعاني فقال: يا حذيفـة ! قال: فلم أجد بداً من القيام حين فوَّهَ باسـمي ، فجئته ولقلبي وَجَبَانٌ في صدري، فقال: تسـمع كلامي منذ الليلة ولا تقوم ! فقلت: لا والذي بعثك بالحق إن قدرت على ما بي من الجوع والبرد . فقال: إذهب فانظر ما فعل القوم ولا ترمين بسـهمٍ ولا بحجر ولا تطعن برمح ولا تضـربن بسـيفٍ حتى ترجع إلي . فقلت: يا رسول الله مابي يقتلوني ، ولكني أخاف أن يمثلوا بي . قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : ليس عليك بأس! فعرفت أنه لا بأس عليَّ.. فأقبلت فجلست على نارٍ مع قوم ، فقام أبو سفيان فقال: إحذروا الجواسيس والعيون ، ولينظر كل رجلٍ جليسه . قال فالتفتُّ إلى عمرو بن العاص فقلت: من أنت وهو عن يميني. فقال: عمرو بن العاص . والتفت إلى معاويـة بن أبي سـفيان فقلت: من أنت فقال: معاويـة بن أبي سـفيان . ثم قال أبو سـفيان: إنكم والله لسـتم بدار مقام ، لقد هلك الخف والكراع وأجدب الجناب ، وأخلفتنا بنو قريظـة وبلغنا عنهم الذي نكره ، وقد لقينا من الريح ما ترون ! والله ما يثبت لنا بناءٌ ، ولا تطمئن لنا قِدْر ، فارتحلوا فإني مرتحل..الخ.».

ومنها: مشاهدته الصحابة المنافقين الذين شاركوا في مؤامرة اغتيال النبي (صلى الله عليه و آله) ، فقد روى مسلم في صحيحه: 8/123، عن أبي الطفيل قال: «كان بين رجل من أهل العقبـة وبين حذيفـة بعض ما يكون بين الناس ، فقال: أنشـدك بالله كم كان أصـحاب العقبـة؟ قال فقال له القوم: أخبره إذْ سألك ! قال: كنا نُخْبَر أنهم أربعة عشر ،

فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر! وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ! وعَذَرَ ثلاثة قالوا: ما سمعناه منادي رسول الله (صلى الله عليه و آله) ولا علمنا بما أراد القوم ! وقد كان في حَرَّة فمشى فقال: إن الماء قليل فلايسبقني إليه أحد ، فوجد قوماً قد سبقوه فلعنهم يومئذ».

يقصد الراوي أن النبي (صلى الله عليه و آله) عَذَر ثلاثة منافقين كانوا في أعلى الجبل مع الذين كمنوا لقتله ، وقَبل قولهم إنهم لم يسمعوا منادي النبي (صلى الله عليه و آله) في جيش تبوك بأن يمروا من خلف الجبل ولا يمر أحد من طريق العقبة ، الذي أراد أن يسلكه !

أما قصة الذين سبقوا النبي (صلى الله عليه و آله) الى الماء وشربوا فلعنهم ، فهي حادثة منفصلة عن مؤامرة العقبة في المكان والزمان ، وقد شرب منه بعض أصحاب العقبة ، فلعنهم النبي (صلى الله عليه و آله) ثانيةً ، بعد لعنة العقبة !

وقد أنزل الله في مؤامرة العقبة: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ..

واتفق الرواة على أن غزوة تبوك كانت في الصيف ، وكانوا يسيرون ليلاً اتقاء الحر ، وكان أمامهم طريق مختصر من العقبة لا يصلح لجيش من ثلاثين ألفاً فسلك الجيش طريق الوادي ، وقرر النبي (صلى الله عليه و آله) أن يسلك طريق العقبة ، وأحس بشئ ، فنادى مناديه أن لايسلك أحد العقبة .

فبادر المتآمرون وصعدوا الجبل ليدحرجوا صخوراً كبيرة عليه فتقتله ، أو تنفر ناقته فتسقط في الوادي، وكان مسلكاً ضيقاً يتسع في نقطة منه لجمل واحد ، وكان واديه عميقاً ، روي أنه مقدار ألف رمح ! (البحار: 82/267).

ومعنى رواية صحيح مسلم الرسمية أن المتآمرين كانوا بعد وفاة النبي (صلى الله عليه و آله) بين المسلمين ، وكان حذيفة وعمار يعرفانهم . وقد أمر الله نبيه (صلى الله عليه و آله) أن لا يعاقبهم وأن يكتم أسماءهم ، لأن قتلهم يسبب ارتداد قريش وبعض العرب !

قال الواقدي: 2/1042: «فلما أصبح قال له أسيد بن الحضير...يا رسول الله فقد اجتمع الناس ونزلوا ، فمُرْ كل بطنٍ أن يقتل الرجل الذي همَّ بهذا . فيكون الرجل من عشيرته هو الذي يقتله . وإن أحببت والذي بعثك بالحق فنبئني بهم فلا تبرح حتى آتيكم برؤوسهم ، وإن كانوا في النبيت فكفيتكهم ، وأمرت سيد الخزرج فكفاك من في ناحيته ، فإن مثل هؤلاء لا يتركون يا رسول الله ! حتى متى نداهنهم وقد صاروا اليوم في القلة والذلة ، وضرب الإسلام بجرانه ، فما تستبقي من هؤلاء؟! قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : يا أسيد إني أكره أن يقول الناس إن محمداً لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين ، وضع يده في قتل أصحابه ! فقال: يا رسول الله فهؤلاء ليسوا بأصحاب ! قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله؟ قال: بلى ولا شهادة لهم ! قال: أليس يظهرون أني رسول الله؟ قال: بلى ولا شهادة لهم ! قال: فقد نهيت عن قتل أولئك ».

وفي تاريخ دمشق: 32/93، عن حكيم قال: «كنت جالساً مع عمار فجاء أبو موسى فقال: مالي ولك ألست أخاك ؟ قال: ما أدري ، إلا أني سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يلعنك ليلة الجبل ! قال: إنه قد استغفر لي ! قال عمار: قد شهدت اللعن ، ولم أشهد الإستغفار!

ص: 357

9. شارك حذيفـة في فتوح الشام ، وجاء ببشارة النصـر في اليرموك ، الى عمر ، ففي أسد الغابة:1/391 : « شهد حذيفة فتح الجزيرة ، ونزل نصيبين وتزوج بها ».

وقال الواقدي في فتوح الشام:2/165: (وأرسل النعمان بن معرف إلى أهل أنكل فأسلموا ، وسميت باليمانية لأنها فتحت على يد حذيفة بن اليمان ».

وفي تاريخ اليعقوبي:2/141: «وأوفد أبو عبيدة إلى عمر وفداً ، فيهم حذيفة بن اليمان ، وقد كان عمر أرِقَ عدة ليال واشتد تطلعه إلى الخبر ، فلما ورد عليه الخبر خرَّ ساجداً وقال: الحمد لله الذي فتح على أبي عبيدة ، فوالله لو لم يفتح لقال قائل: لو كان خالد بن الوليد ».

وقال الواقـدي في فتوح الشام:1/227 : «ودعا (أبو عبيـدة) بحذيفـة بن اليمان ودفع الكتاب اليه ، وضم اليه عشـرة من المهاجرين والأنصار وقال لهم: سـيروا بكتاب الفتـح والبشـرى إلى أمير المؤمنين وبشـروه بـذلك وأجركم على الله ، فأخذ حذيفة الكتاب وسار هو والعشـرة من وقتهم وساعتهم ، يجدُّونَ السير ليلاً ونهاراً ».

10. سـكن حذيفة في الكوفة وشارك في فتح المدائن ومعركة جلولاء وخانقين ففي أعيان الشيعة:4/595: «وأقطع (سعد في الكوفة) حذيفة بن اليمان مع جماعة من عبس نصف الآري ، وهو فضاء كانت فيه خيل المسـلمين . وكان تمصير الكوفة سنة 15من الهجرة ، وكان حذيفة في الجيش الذي فتح العراق ، فلما أقطعه سعد الآري ابتنى داراً وسكنه مع عشيرته ».

وقد ذكرنا في ترجمة سلمان أنه استطلع هو وحذيفة رضي الله عنهما الأماكن في العراق ، فاختارا الكوفة منزلاً للمسلمين فمَصَّرُوها.

وقال الطبري:3/145:« كتب حذيفة إلى عمر: إن العرب قد أترفت بطونها وخفت أعضادها وتغيرت ألوانها ، وحذيفة يومئذ مع سعد..كتب عمر إلى سعد.. فابعث سلمان رائداً وحذيفة، وكانا رائدي الجيش ليرتادا منزلاً برياً بحرياً ، ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر ».

وقال ابن حجر في الإصابة:2/40: «وفي الصحيحين أن أبا الدرداء قال لعلقمة: أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ؟ يعني حذيفة . وفيهما عن عمر أنه سأل حذيفة عن الفتنة . وشهد حذيفة فتوح العراق وله بها آثار شهيرة ».

ثم ذهب حذيفة الى الشام وشارك في معركة اليرموك ، وجاء بخبر النصر فيها الى المدينة ، ثم رجع الى الشام ثم الى العراق ، فشارك في فتح المدائن وما بعدها .

قال الطبري:3/16، في فتح المدائن: «وعلى مقدمة سعد هاشم بن عتبة...فبعث عمر بن الخطاب حذيفة بن اليمان على أهل الكوفة ..».

قال البلاذري:2/334: «أن عمر بعث حذيفة وابن حنيف إلى خانقين ، وكانت من أول ما افتتحوا ، فختما أعناق أهل الذمة ، ثم قبضا الخراج» .

11. ثم توغل جيش المسلمين داخل إيران ، فشارك حذيفة في معركة تستر قال ابن الأعثم:2/277: «وعزم المسلمون على حرب أهل تستر ، فوثب أبو موسى يعبئ أصحابه، فكان على ميمنته جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى ميسرته النعمان بن مقرن المزني ، وعلى الجناح البراء بن عازب ، وعلى أعنة الخيل عمار بن

ياسـر ، وعلى رجالته حذيفـة بن اليمان . ثم إنه زحف بخيله ورجله نحو تستر ، ورجل من المسـلمين يقرأ هـذه الآيـة: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً. قـال: وخرج الهرمزدان صـاحب تسـتر إلى حرب المسـلمين في الأساورة والمرازبـة ، وبين يديه قواد الأعاجم ، وكذلك عن يمينه وشـماله ، فقال رجل من المسـلمين: اللهم تعلم أني أحب لقاءك وأبغض أعداءك ، فانصـرنا عليهم ، واقبضـني إليك يا رب ، إنك على كل شـيء قدير ، قال: ثم إنه حمل على أهل تستر فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم جماعة ، ثم وقف في ميدان الحرب ، قال: ثم حمل ثانية على أهل تستر ، فلم يزل يقاتل حتى قتل رحمة الله عليه .

قال: واشـتبك الحرب بين الفريقين فاقتتلوا ساعـة من النهار ، وحمل رجل من الفرس يقال له مراد شاه في زهاء ألف فارس من أبطال الفرس على ميسـرة أهل الكوفـة ، وفيهم يومئـذ بنو بكر بن وائل وجماعـة من كنـدة ، قال: وانكشف الكوفيون بين يدي الفرس كشـفة أطمعوهم في أنفسهم ، ثم رجعوا عليهم فطردوهم بين أيديهم طرداً وكدوهم بحملتهم عليهم كداً ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، قال: ثم وقعت الهزيمة على أهل تستر ، فانهزموا والسـيف يأخـذهم حتى دخلوا مدينتهم. فلما كان من غد ، عبأ أبو موسـى أصـحابه كما عبأهم بالأمس ، ثم زحف بهم نحو باب تستر .

قال: وخرج الهرمزدان صاحب تستر إلى قتال المسلمين ، وقد عبأ أصحابه تعبية خلاف تعبيته بالأمس ، وعلى ميمنته رجل من قواد يزدجرد يقال له

مهريار في نيف من عشرة آلاف من الأساورة ، وعلى ميسرته رجل من الري يقال له شيرواهات في أربعة آلاف من الفرس ، وبين يديه ملك من ملك الأهواز يقال له خرشيد بن بهرام في نيف عن عشرة آلاف فارس ، ما يبين منهم شئ سوى حوافر الخيل من كثرة السلاح والتجافيف ، والهرمزدان يومئذ في القلب في جماهير الأعاجم ، عليه جوشن مذهب وبيضة مذهبة وسيف محلى بالذهب ، وقد التحف بدرقة مذهبة ، وفي يده طبرزين مذهب ، وكل ذلك مما أتحفه به يزدجرد حين قاتل معه يوم جلولاء».الى آخر ما ورد في وصف معركة تستر.

12. ثم قاد حذيفة معركة نهاوند ، أكبر معارك فتح فارس، وحقق فيها النصر ،

فقد كانت معارك المسلمين المهمة مع الفرس خمسة: معركة الجسر ، والبُويب ، والقادسية ، وجلولاء ، ونهاوند . وأكبرها نهاوند ، وسميت فتح الفتوح .

فقد جمع الفرس فيها قواتهم من أنحاء البلاد وقيل بلغت مئة وخمسين ألف مقاتل ، ونووا أن يقصدوا المدينة المنورة لاستئصال أصل دين العرب بزعمهم !

فكتب عمار بن ياسر رضي الله عنه وكان والي الكوفة الى بخبرهم الى عمر ، فخاف عمر وجمع الصحابة .

قال ابن الأعثم (2/291): «فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقرأه وفهم ما فيه ، وقعت عليه الرعدة والنفضة حتى سمع المسلمون أطيط أضراسه . ثم قام عن موضعه حتى دخل المسجد ، وجعل ينادي: أين المهاجرون والأنصار ! ألا فاجتمعوا رحمكم الله ، وأعينوني أعانكم الله».

فأشاروا عليه بآراء مختلفة ، فقال له علي (عليه السلام) : «فأقم بالمدينة ولاتبرحها ، فإنه أهيب لك في عدوك ، وأرعب لقلوبهم ، فإنك متى غزوت الأعاجم بنفسك يقول بعضهم لبعض: إن ملك العرب قد غزانا بنفسه لقلة أتباعه وأنصاره ، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وعلى المسلمين ، فأقم بمكانك الذي أنت فيه وابعث من يكفيك هذا الأمر والسلام .

قال فقال عمر رضي الله عنه: يا أبا الحسن ! فما الحيلة في ذلك ، وقد اجتمعت الأعاجم عن بكرة أبيها بنهاوند في خمسين ومائة ألف يريدون استئصال المسلمين؟ فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الحيلة أن تبعث إليهم رجلاً مجرباً قد عرفته بالبأس والشدة ، فإنك أبصر بجندك وأعرف برجالك ، واستعن بالله وتوكل عليه واستنصره للمسلمين ، فإن استنصاره لهم خير من فئة عظيمة تمدهم بها ، فإن أظفر الله المسلمين فذلك الذي تحب وتريد ، وإن يكن الأخرى وأعوذ بالله من ذلك، تكون ردءً للمسلمين وكهفاً يلجؤون إليه، وفئة ينحازون إليها . قال فقال له عمر: نعمَ ما قلت يا أبا الحسن...

فلما سمع عمر مقالة علي كرم الله وجهه ومشورته ، أقبل على الناس وقال: ويحكم عجزتم كلكم عن آخركم أن تقولوا كما قال أبو الحسن ! والله لقد كان رأيه رأيي الذي رأيته في نفسي .ثم أقبل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أبا الحسن ! فأشر علي الآن برجل ترتضيه ويرتضيه المسلمون أجعله أميراً ، أستكفيه من هؤلاء الفرس فقال علي رضي الله عنه: قد أصبته . قال عمر: ومن هو ؟ قال: النعمان بن مُقرن المزني ، فقال عمر وجميع المسلمين:

أصبت يا أبا الحسن! وما لها من سواه . قال: ثم نزل عمر رضي الله عنه عن المنبر ودعا بالسائب بن الأقرع بن عوف ..».

وقال الطبري (4/122): «وكتب (عمر) إلى النعمان وكان بالبصرة ، أن يسير بمن هناك من الجنود إلى نهاوند ، وإذا اجتمع الناس فكل أمير على جيشه ، والأمير على الناس كلهم النعمان بن مقرن ، فإذا قتل فحذيفة بن اليمان ، فإن قتل فجرير بن عبد الله ، فإن قتل فقيس بن مكشوح ، فإن قتل قيس ففلان ثم فلان ، حتى عد سبعة أحدهم المغيرة بن شعبة .وقيل لم يُسم منهم ، والله أعلم ».

كما روى الطبري(3/203) أن النعمان بن مقرن: «عبَّأ كتائبه وخطب الناس فقال: إن أصبت فعليكم حذيفة بن اليمان ، وإن أصيب فعليكم جرير بن عبد الله ، وإن أصيب جرير بن عبد الله ، فعليكم قيس بن مكشوح».

وقال الطبري:3/207: «ثم هز اللواء الثالثة ، فحمل كل إنسان على من يليه من العدو، قال: فوالله ما علمت من المسلمين أحداً يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله حتى يقتل أو يظفر فحملنا حملة واحدة ، وثبتوا لنا فما كنا نسمع إلا وقع الحديد على الحديد حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة ، فلما رأوا صبرنا وأنا لا نبرح العرصة انهزموا فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة بعضهم على بعض في قياد (سلسلة) فيقتلون جميعاً وجعل يعقرهم حسك الحديد الذي وضعوا خلفهم.

فقال النعمان رضي الله عنه: قدموا اللواء فجعلنا نقدم اللواء ونقتلهم ونهزمهم فلما رأى أن الله قد استجاب له ورأى الفتح ، جاءته نشابة فأصابت خاصرته فقتلته . قال: فجاء أخوه معقل فسجى عليه ثوباً وأخذ اللواء فقاتل ، ثم قال:

تقدموا نقتلهم ونهزمهم ، فلما اجتمع الناس قالوا: أين أميرنا؟ قال معقل: هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح ، وختم له بالشهادة . قال: فبايع الناس حذيفة ».

وقال ابن الأعثم:2/303: «وتقدم أخوهما الأصغر واسمه سويد بن مقرن ، قال: وجعل سويد بن مقرن يقاتل حتى أثخن بالجراحات ولم يقتل ، فرجع بالراية فدفعها إلى حذيفة بن اليمان ، قال: فأخذها حذيفة فرفعها للمسلمين ، ثم قال: إني حامل ، وحمل حذيفة وحمل الناس معه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً يومهم ذلك ، إلى أن جاء الليل فحجز بينهم ، ورجع الفريقان بعضهم عن بعض .

قال: فلما أصبح القوم زحف بعضهم إلى بعض ، وتقدم رجل من الأساورة على فرس له لا ينال من طوله حتى وقف بين الجمعين ، ثم نادى: يا معشر العرب ! أنا بوذان بن أرديه فهلموا إلى البراز ! قال: فلما سمعه الناس وهو يتكلم بالعربية كأنهم هابوه فلم يخرج إليه أحد ، قال: ونظر الفارسي أنه ليس يخرج إليه أحد فحمل على المسلمين حملة فشق الصفوف وخرج من الجانب الآخر ، ثم كر راجعاً على المسلمين فخالطهم واستلب منهم رجلاً عن فرسه فجعل يركض به والرجل معلق بيده حتى صار به إلى أصحابه فرمى به إليهم فقتل الرجل !

ثم أقبل بوذان حتى صار إلى الموضع الذي كان فيه بدياً . قال: فاغتم المسلمون لذلك وجعل عمرو بن معد يكرب يرتجز ، ثم حمل بوذان على المسلمين ليفعل كفعلته الأولية ، وحمل عليه عمرو بن معد يكرب من ورائه فضربه بالصمصامة ضربة على بيضته فقدَّ البيضة والهامة ، ومرت الصمصامة تهوي حتى صارت

إلى جوف بوذان فسقط قتيلاً ، فنزل إليه عمرو فسلبه ما كان عليه ، فيقال إنه كان في وسط بوذان منطقة قُوِّمت بسبعة آلاف دينار .

قال: ودنت الفرس حتى تقاربت من صفوف المسلمين في خلق عظيم ، فجعلوا يرمون بالنشاب حتى جرحوا جماعة ، وهمَّ المسلمون بالحملة عليهم فقال حذيفة: لا- تعجلوا حتى آذن لكم ، قال: فصبر المسلمون ساعة والفرس في خلال ذلك لا يفترون من الرمي ، وما يسقط منهم نشابة إلا في رجل من المسلمين ، فلما رأوا ذلك وإن الجراحات قد فشت فيهم تركوا وصية حذيفة ، ثم كبروا وحملوا على الفرس فكشفوهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ثم رجعوا إلى مراكزهم . قال: ورجعت إليهم الفرس كأنهم السباع الضارية في جموع لم يروا مثلها قبل ذلك ، فصاح عمرو بن معد يكرب: يا معاشر العرب والموالي ! ويا أهل الإسلام والدين والقرآن ! إنه لا ينبغي لكم أن يكون هؤلاء الأعاجم أصبر منكم على الحرب ، ولا أحرص منكم على الموت ، فتناسوا الأولاد والأزواج ، ولا تجزعوا من القتل فإنه موت الكرام ومنايا الشهداء .

قال: ثم نزل عمرو عن فرسه ونزل معه أبطال بني عمه ، قال: والأعاجم في الآلة والأسلحة ، وبين أيديهم ثلاثون فيلاً ، على كل فيل منهم جماعة من أساورة الفرس، قال: ونظر عامة المسلمين إلى عمرو بن معد يكرب وأصحابه وقد ترجلوا ، فنزل الناس وترجلوا ، ثم تقدموا نحو الخيل والفيلة ، فلم يكن إلا ساعة من أول النهار حتى إحمرت الأرض من دماء الفرس ، وقتلت الفيلة بأجمعها ، فما أفلت منها واحد . قال: فتراجعت الفرس إلى ورائها ، وإذا بفيلة

أخرى من الفرس قد أقبلت في قريب من عشرة آلاف بمطاردها وأعلامها ، وبين أيديهم رجل من قواد كسرى يقال له لرداود بن ادركرد ، وكان من أهل قاشان ، قال فتقدم على فيل له مزين وعلى رأسه تاج له يلمع بالجوهر ، وعن يمينه خمسة فيلة وعن يساره كذلك، على كل فيل منها جماعة من أساورة الفرس. قال: ونظر إليهم قيس بن هبيرة المرادي فلم يكذب أن حمل على ذلك الفيل المزين، فضرب خرطومه ضربة وقطعه ، ثم تأخر عنه وطعنه في عينه طعنة فإذا الفيل تقهقر إلى ورائه حتى أنه مر بساقية فيها ماء فعثر بها وسقط عنه لرداد بن ادركرد . قال: وتقدم قائد من قواد نهاوند يقال له هرمزد بن داران في نيف على خمسة آلاف فارس من نخبة الأعاجم حتى وقف بين الجمعين ، فأقبل حذيفة بن اليمان على الناس فقال: أيها المسلمون ! إن هؤلاء الأعاجم ليست معهم نَصَّفَة أن يخرج منهم رجل إلى رجل ، وذلك أنه إذا خرج منهم قائد لم يجد بداً من أن يخرج معه كل أصحابه ، وهذا عسكر لجب قد برز إليكم في مثل هذه التعبية من الخيل والجنود والفيلة ، فثقوا بربكم وقاتلوا عن دينكم وصلوا على نبيكم . قال: فكان أول من خرج إلى هرمزد وأصحابه رجلان من قيس عيلان من بني مضر يقال لأحدهما بكير والآخر مالك ، فخرجا على فرسين لهما ثم أقبل أحدهما على الآخر فقال له: يا أخي إعلم أني حامل على هذا الجيش ولست أطلب منهم إلا عميدهم وكبيرهم هرمزد بن داران ، فما الذي ترى ؟

فقال أخوه: أرى أني معك أحمل إذا حملت ، ومعك أقتل إن قتلت ، ومعك أرجع إن رجعت . قال: فخرجا جميعاً نحو هرمزد وأصحابه فطعنا في الخيل

ساعة حتى فروا هائمين يمنة ويسرة ، ثم إنهما حملا على هرمزد بن داران ، هذا عن يمينه وهذا عن يساره فطعناه فسقط إلى الأرض قتيلاً!

قال: وتكاثرت الفرس من كل ناحيـة على هـذين الفتيين بكير ومالك ، فقتلا جميعاً ، رحمـة الله عليهما..». الى آخر وصف المعركـة ، وقد واصـلها حذيفـة حتى كتب الله لهم النصـر المبين ، وسـميت فتـح الفتوح ، لما ترتب عليها من انهيار قوة الفرس ، وهرب ملكهم يزجرد ، وانفتاح الطريق أمام المسلمين لاستكمال فتح إيران .

قال البلاذري: 2/274: (فسميَ ذلك الفتح فتح الفتوح . وكان فتح نهاوند في سنة تسع عشرة يوم الأربعاء . ويقال في سنة عشرين».

وفي معجم البلدان:5/314: «وذلك أول سنة 19، لسبع سنين من خلافة عمر بن الخطاب ، وقيل: كانت سنة 20 ، والأول أثبت»..

وقال في الأخبار الطوال/133: «كانت وقعة نهاوند سنة إحدى وعشرين».

13. ثم قاد حذيفـة أغلب معارك فتح إيران ، من الشـرق والغرب والوسط ، من نهاوند الى همدان وأصـفهان والري وخراسان وجرجان ، ثم الى بلاد آسيا التي خلف إيران ! ويكفي أن تقرأ قول خليفة بن خياط/107: «مضى حذيفة بن اليمان بعد نهاوند ، إلى مدينة نهاوند فصالحه دينار على ثماني مائة ألف درهم في كل سـنة . ثم غزا حذيفة بن اليمان مدينة الدينور فافتتحها عنوة ، وقد كانت فتحت لسعد فانتقضت . ثم غزا حذيفة ماسبدان فافتتحها عنوة ، وقد كانت

فتحت لسعد فانتقضت ، وقد قيل في ماه غير هذا ، ويقال أبو موسى افتتح ماه دينار ، ويقال السائب بن الأقرع افتتح ماه دينار..

عن طارق بن شـهاب قال: غزا أهل البصـرة ماه ، فأمـدهم أهل الكوفة وعليهم عمار، فأرادوا أن يشتركوا في الغنائم فأبى أهل البصـرة ، فكتبوا إلى عمر فكتب عمر: إن الغنيمة بين من شهد الوقعة .

قـال أبو عبيـدة: غزا حذيفـة همـذان فافتتحهـا عنوة ولم تكن فتحت قبل ذلك . ثم غزا الري فافتتحها عنوة ولم تكن فتحت قبل ذلك ، وإليها انتهت فتوح حذيفة . قال أبو عبيدة: فتوح حذيفة هذه كلها في سنة اثنتين وعشرين».

ويقصد ابن خياط أن فتوح حذيفة في تلك السنة انتهت، وإلا فقد واصل جهاده .

وقال الحافظ الأصـفهاني في أخبار إصبهان:1/63: «لما قتل النعمان بنهاونـد وولِيَ حذيفـة فتـح الله على يده الجبل ، فبعث(عبد الله بن) بديل بن ورقاء ومجاشع بن مسـعود فتوجها نحو إصـبهان ، فعدلا عن مدينتها فأخذ بديل إلى الطبسـين وفتحها ، ثـم خرج يريد قهسـتان من أرض خراسان .

وأقبل مجاشع إلى قاسان ففتح القاسانين ، وأتى حصن أبروز فحاصـر من فيه فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، وكان أبو موسـى أمير البصرة فخرج أبو موسى يريد ما يليه من الأرض ، فوافى أبو موسى من قبل الأهواز يريد إصبهان ».

وقال الطبري:3/321: «أمر عمر جيـوش العراق بطلـب جيـوش فـارس حيث كـانت ، وأمر بعض من كـان بالبصـرة من جنـود المسـلمين وحواليها بالمسير إلى أرض فارس وكرمان وأصبهان، وبعض من كان منهم بناحية الكوفة وماهاتها

إلى أصبهان وآذربيجان والري ، وكان بعضهم يقول إنما كان ذلك من فعل عمر في سنة ثمان عشرة ».

أقول: كان رأي عمر أن لايتوسع المسلمون داخل إيران ، وأن يحصنوا حدود العراق مع الفرس ، فأقنعه علي (عليه السلام) فغير رأيه .

وروى ابن الأعثم في الفتوح (2/78): أن علياً (عليه السلام) حدَّث عمر عن خراسان ومدنها، فقال عمر: «يا أبا الحسن لقد رغبتني في فتح خراسان ، قال علي (عليه السلام) : قد ذكرت لك ما علمت منها مما لا شك فيه ».

وروى الطبري (3 /246) « عن أبي الجنوب اليشكري عن علي بن أبي طالب قال: لما قدم على عمر فتح خراسان ، قال لوددت أن بيننا وبينها بحراً من نار ، فقال علي: وما يشتد عليك من فتحها ، فإن ذلك لموضع سرور » !

وفي الطبري:3/222: «بدا له (عمر) أن يأذن في الإنسياح...لما رأى عمر أن يزدجرد يبعث عليه في كل عام حرباً ، وقيل له لا يزال هذا الدأب حتى يخرج من مملكته . أذن الناس في الإنسياح في أرض العجم حتى يغلبوا يزدجرد على ما كان في يدي كسرى . فوجه الأمراء من أهل البصرة بعد فتح نهاوند ، ووجه الأمراء من أهل الكوفة بعد فتح نهاوند...وولى عمار بن ياسر .. وقدمت الألوية من عند عمر إلى نفر بالكوفة زمان زياد بن حنظلة فقدم لواء منها على نعيم بن مقرن.. إلى خراسان . وبعث عتبة بن فرقد وبكير بن عبد الله وعقد لهما على آذربيجان.. وجعل مكانهما حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف حذيفة على ما سقت دجلة وما وراءها وعثمان على ما سقى الفرات من السوادين جميعاً...

وكتب إلى أهل الكوفة إني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً ، وجعلت عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً ، ووليت حذيفة بن اليمان ما سقت دجلة وما وراءها ، ووليت عثمان بن حنيف الفرات وما سقى ».

وقال الطبري:3/308: «ثم إن الوليد (بن عقبة والي عثمان على الكوفة)صالح أهل آذربيجان على ثمان مائة ألف درهم ، وذلك هو الصلح الذي كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان سنة اثنين وعشرين بعد وقعة نهاوند بسنة . ثم إنهم حبسوها عند وفاة عمر ، فلما ولى عثمان وولى الوليد بن عقبة الكوفة سار حتى وطأهم بالجيش، فلما رأوا ذلك انقادوا له وطلبوا إليه أن يتم لهم على ذلك الصلح ، ففعل فقبض منهم المال وبث فيمن حولهم من أعداء المسلمين الغارات ».

وقال الطبري في تاريخه:3/324، عن فتح خراسان وشمال إيران: «غزا سعيد بن العاص (والي الكوفة) من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان ، ومعه حذيفة بن اليمان وناس من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) ومعه الحسن والحسين ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير ..

وخرج عبد الله بن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيداً (بن العاص) ونزل أبرشهر ، وبلغ نزوله أبرشهر سعيداً فنزل سعيد قومس ، وهي صلح صالحهم حذيفة بعد نهاوند ، فأتى جرجان فصالحوه على مائتي ألف .

ثم أتى طميسة وهي كلها من طبرستان متاخمة جرجان ، وهي مدينة على ساحل البحر وهي في تخوم جرجان ، فقاتله أهلها حتى صلى صلاة الخوف ، فقال لحذيفة:كيف صلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فأخبره ، فصلى بها سعيد صلاة الخوف

وهم يقتتلون ، وضرب يومئذ سعيد رجلاً من المشركين على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه ، وحاصرهم فسألوا الأمان ، فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً ، ففتحوا الحصن فقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً ، وحوى ما كان في الحصن»!

أقول: ذكرنا في فصل تأصيل الفتوحات ، عدم صحة مشاركة الحسن والحسين (عليهما السلام) في الفتوحات ، فلا يمكن قبول هذه الفقرة من الرواية .

وقال البلاذري:2/400: «إن المغيرة بن شعبة قدم الكوفة والياً من قبل عمر بن الخطاب ، ومعه كتاب إلى حذيفة بن اليمان بولاية آذربيجان ، فأنفذه إليه وهو بنهاوند أو بقربها ، فسار حتى أتى أردبيل ، وهي مدينة آذربيجان وبها مرزبانها وإليه جباية خراجها ، وكان المرزبان قد جمع إليه المقاتلة من أهل باجروان وميمذ والنرير وسراة والشيز والميانج وغيرهم . فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً أياماً ، ثم إن المرزبان صالح حذيفة عن جميع أهل آذربيجان على ثمان مئة ألف درهم وزن ثمانية ، على أن لا يقتل منهم أحداً ولا يسبيه ولا يهدم بيت نار ، ولا يعرض لأكراد البلاسجان وسبلان وساترودان، ولا يمنع أهل الشيز خاصة من الزفن في أعيادهم ، وإظهار ما كانوا يظهرونه . ثم إنه غزا موقان وجيلان ، فأوقع بهم وصالحهم على أتاوة ».

ثم ولاه عمر آذربيجان فعقد صلحاً مع أهل أردبيل وجيلان ، ففي فتوح البلاذري: 2/400: «أن المغيرة بن شعبة قدم الكوفة والياً من قبل عمر بن الخطاب ، ومعه كتاب إلى حذيفة بن اليمان بولاية أذربيجان ، فأنقذه إليه وهو بنهاوند أو بقربها ،

فسار حتى أتى أردبيل ، وهي مدينـة أذربيجان وبها مرزبانها ، وإليه جبايـة خراجها . وكان المرزبان قـد جمع إليه المقاتلـة من أهل باجروان وميمذ والنرير وسـراة والشـيز والميانج وغيرهم ، فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً أياما ، ثم إن المرزبان صالح حذيفة عن جميع أهل أذربيجان على ثمان مئـة ألف درهم وزن ثمانيـة ، على أن لا يقتل منهم أحـداً ولا يسبيه ولا يهـدم بيت نار ، ولا يعرض لأكراد البلاسـجان وسـبلان وسـاترودان ، ولا يمنع أهل الشـيز خاصـة من الزفن في أعيادهم وإظهار ما كانوا يظهرونه . ثم أنه غزا موقان وجيلان ، فأوقع بهم وصالحهم على أتاوة» .

وفي تاريخ جرجان للسهمي/46: «باب ذكر من دخل جرجان من أصحاب النبي (صلى الله عليه و آله) : منهم أبو عبد الله الحسين بن علي وعبـد الله بن عمر وحذيفـة بن اليمان وسـعيد بن العاص ، وسويد بن مقرن ، وعبد الله بن أبي أوفى وأبو هريرة ، وعبد الله بن الزبير ، ويقال الحسن بن علي ، وسواد بن قطبة ويقال سوادة بن قطبة ، وسـماك بن مخرمة ، وهند بن عمرو ، وعتيبة بن نهاس... عن سليم بن عبد قال: كنا مع سـعيد بن العاص بطبرسـتان ومعه حذيفة بن اليمان وأصـحاب محمد (صـلى الله عليه و آله) فقال: من سمع من رسول الله (صلى الله عليه و آله) في صـلاة الخوف؟فقال حذيفـة: أنا سـمعت رسول الله (صـلى الله عليه و آله) قال: صُفَّ صـفاً مما يليك وصـفاً مما يلي العدو فصل بمن يليك ركعة وسجدتين، ثم ينطلق هؤلاء يصلون معك ركعة وسجدتين ، ثم سلم». وتقدم نفي مشاركة الحسنين (عليهما السلام) بنفسيهما في الفتوح .

وقال الطبري:3/333: «صرف (عثمان) حذيفة عن غزو الري إلى غزو الباب مدداً لعبد الرحمن بن ربيعة ، وخرج معه سعيد بن العاص ، فبلغ معه آذربيجان وكذلك كانوا يصنعون ، يجعلون للناس ردءً، فأقام حتى قفل حذيفة ثم رجعا».

وقال في:3/375: «ورجع العمال إلى أعمالهم ومضى حذيفة إلى الباب».

وقال الطبري:3/353: «استعمل (والي الكوفة) على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان ، وكان على ذلك الفرج (أرمينيا وما حاذاها) قبل ذلك عبد الرحمن بن ربيعة وأمدهم عثمان في سنة عشر بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة القرشي... فأراد حبيب أن يتأمر على صاحب الباب كما كان يتأمر أمير الجيش إذا جاء من الكوفة ، فلما أحس حذيفة أقر وأقروا ، فغزاها حذيفة بن اليمان ثلاث غزوات ، فقتل عثمان في الثالثة ، ولقيهم مقتل عثمان ».

وفي صحيح بخاري:6/99: «أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وآذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ».

وسيأتي دور حذيفة رضي الله عنه في توحيد نسخة القرآن الكريم .

والنتيجة: أن حذيفة رضي الله عنه قاد جيش المسلمين بعد نهاوند في الفتوحات سنين متطاولة، حتى أنه عندما قتل عثمان كان يفتح مناطق جديدة في آسيا الوسطى .

وقـد كان دوره وافراً في معارك فتـح إيران: ففي معركـة جلولاء التي كان قائـدها وبطلها هاشم المرقال ، كان حذيفة فيها قائداً . ثم قاد حذيفة معركة حلوان وفتحها. ثم كان في معركة تستر قائداً .

14. شارك حذيفـة في فتـح أرمينيا وكان والياً عليها لفترة ، في زمن عمر وعثمان ذكر ابن الأعثم:2/346 ، أن عثمان عزل حبيب بن مسلمة عن أرمينيـة وولى عليها حذيفـة بن اليمان ، فـدعا حذيفة برجل من بني عمه يقال له صـلة بن زفر العبسـي ، فوجه به إلى بلاد أرمينية وجعله خليفـة لها بها ، وأقام حذيفـة بالمدينـة ، وأقبل صـلة بن زفر العبسـي إلى بلاد أرمينيـة فأقام بها حولاً كاملاً ، وجعل يـذل ملوكها بغاية الذل والهوان ، حتى أذعنوا له بالسمع والطاعة .

ثم عزل عثمان حذيفة من أرمينية وولى عليها المغيرة بن شـعبة مع آذربيجان ، ثـم عزله عثمان وولى مكانه الأشـعث بن قيس ، فكان بها إلى أن قتل عثمان بن عفان، فكان الأشعث على أرمينية وأذربيجان يجبي خراجها ويحمله إلى عثمان.

بينما قال الطبري(3/353): «فغزاها حذيفة بن اليمان ثلاث غزوات ، فقتل عثمان في الثالثة ، ولقيهم مقتل عثمان ».

والجمع بين هاتين الروايتين بأن الأشـعث كان والياً على الخراج ، وكان حذيفة يتولى غزو المناطق الباقية . وإسم أرمينية يشمل في روايات الفتوحات عدة دول في آسيا الشرقية ، فقد ورد أن بلنجر مدينة في أرمينية ، وهي الآن مدينة في منطقة داغستان .

15. وكان حذيفة والي المدائن مع سـلمان رضـي الله عنهما ، ومسح أرض العراق في الطبري:3/222: «وكتب (عمر) إلى أهل الكوفة إني بعثت إليكم عمار بن ياسر

أميراً ، وجعلت عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً ، ووليت حذيفة بن اليمان ما سقت دجلة وما وراءها ، ووليت عثمان بن حنيف الفرات وما سقى».

وفي تاريخ اليعقوبي:2/152: «ووجه (عمر) عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان ، فمسحا السواد ، وأمرهما أن لا يحملا أحداً فوق طاقته ، فاجتبى خراج السواد ثمانين ألف ألف درهم ، وأجرى على عثمان بن حنيف خمسة دراهم في كل يوم وجراباً من دقيق ، وأمره أن لا يمسح تلاً ولا أجمةً ولا مستنقع ماء ولا ما لا يبلغه الماء . وأن يمسح بالذراع السوداء وهو ذراع وقبضة وأقام إبهامه فوق القبضة شيئاً يسيراً ، فمسح عثمان كل شئ دون جبل حلوان إلى أرض العرب وهو أسفل الفرات ، فكتب إلى عمر: إني وجدت كل شئ بلغه الماء من عامر وغير عامر ، بلغه الماء ، عمله صاحبه أو لم يعمله درهماً وقفيزاً وعلى الكرم عشرة دراهم ، وعلى الرطاب خمسة دراهم . وفرض على رقابهم: على الموسر ثمانية وأربعين ، وعلى من دون ذلك أربعة وعشرين ، وعلى من لا يجد اثني عشر درهماً، وقال: درهم في الشهر لا يعوز رجلاً ! فحمل من خراج السواد ، في أول سنة ، ثمانون ألف ألف درهم، وحمل من قابل عشرون ومائة ألف ألف درهم».

وقال البلاذري:2/333: «مسح حذيفة سقى دجلة ، ومات بالمدائن . وقناطر حذيفة نسبت إليه وذلك أنه نزل عندها ويقال جددها ».

وروي أن حذيفة كان في تلك الفترة يتردد على الكوفة وعلى المدينة ، وفي تاريخ دمشق: 12/294 : «سمعت أبا إسحاق يقول: كان حذيفة يجئ كل جمعة من المدائن إلى الكوفة . قال أبو بكر: فقلت له يستطيع أن يجئ من المدائن إلى الكوفة؟ قال: نعم

كانت له بغلة فارهة». والمسافة بين الكوفة والمدائن نحو مئة كيلو متر، لكن الفرس أو البغلة السريعة يمكن أن تقطعها في بضع ساعات .

وفي تاريخ الطبري:3/88: «عن سعيد بن جبير قال: بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بعد ما ولاه المدائن وكثر المسلمات أنه بلغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلقها . فكتب إليه: لا أفعل حتى تخبرني أحلال أم حرام ، وما أردت بذلك؟ فكتب إليه: لا بل حلال ، ولكن في نساء الأعاجم خلابة ، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم ، فقال الآن . فطلقها».

16. ومضافاً الى بطولات حذيفة في الفتوحات ،كان بطل توحيد نسخة القرآن فعندما كان قائداً لجيش المسلمين في فتح أرمينيا ، وقع اختلاف بين جند الشام وجند العراق في ألفاظ في قراءة القرآن ، فكان بعضهم يقول إن ما تقرأه لم ينزله الله تعالى وليس قرآناً ، ويجيبه الآخر كذلك ، فكادت تقع بينهم حرب !

فهدأهم حذيفة وقصد الى المدينة يطلب من عثمان توحيد نسخة القرآن ، فكلفه أن يجمع نسخة أبي بن كعب التي عند ابنه محمد ، ونسخة عمر التي عند حفصة ونسخة أبي موسى الأشعري من البصرة، ونسخة عبدالله بن مسعود في الكوفة فنهض حذيفة بذلك .

وكلف عثمان سعيد بن العاص وزيد بن ثابت أن يكتبا النسخة المعتمدة ، فكتبا كثيراً منها عن نسخة علي (عليه السلام) ، ثم أرسلها عثمان الى الأمصار .

وسبب ما وقع من خلاف في ألفاظ القرآن أن النبي (صلى الله عليه و آله) كان يصحح للمسلمين قراءتهم للقرآن ، لأنه نزل بصيغة واحدة لا تقبل التغيير ولا التعدد .

ص: 376

وبعد وفاته (صلى الله عليه و آله) كان الناس يراجعون الخليفة فيقول لهم عمر: إقرؤوا كيفما شئتم ، فالقرآن كله صواب ! ثم سمع أن النبي (صلى الله عليه و آله) قال إن القرآن نزل على سبعة أحرف ، أي أقسام: أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل ومثل وقصص، فاتخذها عمر حجة للتوسع في نص القرآن ، وقال إن القرآن نزل على سبعة أحرف أي يتسع لسبة أنواع من القرأءة ! فنتج عن ذلك التفاوت في القراءات حتى انفجر ذلك بين المسلمين في فتح أرمينيا ! (تدوين القرآن للمؤلف/192).

روى عمر بن شبه في تاريخ المدينة:3/991: « عن ابن شهاب قال: حدثني أنس بن مالك ،أنه اجتمع لغزوة أرمينية وأذربيجان أهل الشام وأهل العراق ، فتذاكروا القرآن ، فاختلفوا فيه حتى كاد يكون بينهم فتنة، فركب حذيفة بن اليمان إلى عثمان لما رأى من اختلافهم في القرآن ، فقال: إن الناس قد اختلفوا في القرآن حتى والله إني لأخشى أن يصيبهم ما أصاب اليهود والنصارى من الإختلاف ! ففزع لذلك عثمان فزعاً شديداً... فإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود ، ويأتون بما لم يسمع أهل الشام ، ويقرأ أهل الشام بقراءة أبي بن كعب ويأتون بما لم يسمع أهل العراق ، فيكفرهم أهل العراق.. أن ناساً كانوا بالعراق يسأل أحدهم عن الآية ، فإذا قرأها قال: فإني أكفر بهذه » !

ووصف ابن شبة مصادرة حذيفة مصحف أبي موسى الأشعري بما فيه من زيادات ! فقال في تاريخ المدينة:3 /998: « استأذن رجل على ابن مسعود فقال الآذن: إن القوم والأشعري (جالسين معه)وإذا حذيفة يقول لهم: أما إنكما إن شئتما أقمتما هذا الكتاب على حرف واحد، فإني قد خشيت أن يتهون الناس فيه تهون أهل

الكتاب ، أما أنت يا أبو موسى فيطيعك أهل اليمن ، وأما أنت يا ابن مسعود فيطيعك الناس. قال ابن مسعود: لو أني أعلم أن أحداً من الناس أحفظ مني لشددت رحلي براحلتي حتى أنيخ عليه. قال: فكان الناس يرون أن حذيفة رضي الله عنه ممن عمل فيه حتى أتى على حرف واحد.. أتيت دار أبي موسى الأشعري فإذا حذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري فوق إجار (دكة) فقلت: هؤلاء والله الذين أريد ، فأخذت أرتقي لهم فإذا غلام على الدرجة فمنعني أن أرتقي إليهم فنازعته حتى التفت إليَّ بعضهم فأتيتهم حتى جلست إليهم ، فإذا عندهم مصحف أرسل به عثمان فأمرهم أن يقيموا مصاحفهم عليه ، فقال أبو موسى: ما وجدتم في مصحفي هذا من زيادة فلا تنقصوها ، وما وجدتم من نقصان فاكتبوه فيه ! فقال حذيفة: فكيف بما صنعنا ، والله ما أحد من أهل هذا البلد يرغب عن قراءة هذا الشيخ يعني ابن مسعود ، ولا أحد من أهل اليمن يرغب عن قراءة هذا الآخر يعني أبا موسى . وكان حذيفة هو الذي أشار على عثمان أن يجمع المصاحف على مصحف أحد».انتهى.

(راجع تفصيل ذلك في كتاب تدوين القرآن/177، وكتاب قرآن علي للمؤلف) .

17. ذكر بعضهم أن حذيفة كان عامل النبي (صلى الله عليه و آله) على دُبا وهي عاصمة قديمة لعمان ، لأنهم أزديون وحذيفة عبسي وعبس من الأزد .

قال ابن سعد في الطبقات:5/527: «قبض رسول الله (صلى الله عليه و آله) وعامله على دُبا حذيفة بن اليمان ». والصحيح أنه حذيفة آخر ، وقد ورد اسمه في بعض الروايات: حذيفة بن محصن البارقي .(البلاذري:1/92).

وقال في الطبقات: 7/101: « ودُباء فيما بين عمان والبحرين ، وقد كانوا أسلموا وقدم وفدهم على رسول الله (صلى الله عليه و آله) مقرين بالإسلام ، فبعث عليهم مصدقاً منهم يقال له حذيفة بن اليمان الأزدي من أهل دباء ، وكتب له فرائض الصدقات ، فكان يأخذ صدقات أموالهم ويردها على فقرائهم ، فلما توفي رسول الله (صلى الله عليه و آله) ارتدوا ومنعوا الصدقة فكتب حذيفة إلى أبي بكر بذلك ، فوجه أبو بكر عكرمة بن أبي جهل إليهم فالتقوا فاقتتلوا ، ثم رزق الله عكرمة عليهم الظفر فهزمهم الله وأكثر فيهم القتل ، ومضى فلهم إلى حصن دباء فتحصنوا فيه ، وحصرهم المسلمون في حصنهم ثم نزلوا على حكم حذيفة بن اليمان الأزدي فقتل مائة من أشرافهم وسبى ذراريهم ، وبعث بهم إلى أبي بكر إلى المدينة وفيهم أبو صفرة غلام لم يبلغ يومئذ».

أقول: نصت الرواية على أن حذيفة هذا من أهل دبا ، وحذيفة بن اليمان عبسي أزدي لكنه من عبس في الحجاز ، وليس من عمان .

18. من صفات حذيفة: أن النبي (صلى الله عليه و آله) خيَّره بين أن يكون مهاجراً أو أنصارياً فاختار أن يكون أنصارياً ، لأنه عبسي أسلم وهاجر ، ولأن أباه ترك بني عبس لصراع بينهم وقد قتل منهم رجلاً وهرب الى المدينة ، وتحالف مع الأنصار وسمي اليماني لأنه حالف الأنصار اليمانيين ، (الطبقات:3/441، والإصابة:2/39

وتقدم ذكر أبيه واستشاده في أحد ، وأمه أنصارية هي الرباب بنت كعب بن عدي بن عبد الأشهل . وقال ابن سعد: ولدت لليمان حذيفة وسعداً وصفوان ومدلجاً وليلى. (الإصابة: 8/131).

وأولاده: صفوان وسعيد ، فازا بالشهادة بين يدي أمير المؤمنين (عليه السلام) بوصية أبيهما رضي الله عنهم. وعمران بن حذيفة ، كان من مقدمي أصحاب المختار في ثورته لأخذ ثأر الحسين (عليه السلام) وقتله مصعب بن الزبير بعد قتل المختار. (الكامل:4/280).

وله إبن آخر هو ربيعة ، نسب اليه: إبراهيم بن مسلم الحذيفي، وهو ابن مسلم بن عثمان، بن مسلم، بن مسعود، بن مسلم، بن ربيعة، بن حذيفة بن اليمان العبسي ، بغدادي سكن همدان. (اللباب لابن الأثير:1/351 ، وتاريخ بغداد:6/184).

وذكر ابن سعد بنته أم موسى بنت حذيفة (6/297) وبنته أم سلمة وأنها روت عن أبيها (8/477) وذكر زوجته جمانة بنت المسيب بن نجبة الفزاري (8/482).

ص: 380

الأحنف بن قيس رائد فتح خراسان

1- إسـمه الضـحاك ، بن قيس ، بن معاوية ، بن الحصين «مقاعس» بن عبادة ، بن النزال، بن مرَّة بن عبيد، بن الحارث بن كعب، بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

أدرك النبي (صلى الله عليه و آله) ولم يره (أسد الغابة:1/55) وروي أن النبي (صلى الله عليه و آله) بعث رجلاً يدعو بني سعد الى الإسلام وكان الأحنف فيهم ، فجعل يعرض عليهم الإسـلام فقال الأحنف: والله إنه يدعو الى خير ويأمر بالخير ، وما أسـمع إلا حسـناً ، وإنه ليدعو الى مكارم الأخلاق ، وينهى عن ملا ئمها ، فذكر الرجل ذلك للنبي (صلى الله عليه و آله) فقال: اللهم إغفر للأحنف » .

2- وفد الى المدينة على عهد عمر بن الخطاب مع أبي موسـى الأشـعري ، الذي كان والياً على البصرة آنذاك، ليرفعوا إليه بعض حوائج أهل البصرة ، فلم يتكلم أحد سوى الأحنف ، وكان مما قال: « وإنَّا أناس بين سبحة وبين بحر أجاج ، لا يأتينا طعامنا إلا في مثل حلقوم النعامة ، فأعـد لنـا قفيزنا ودرهمنا ، فأعجب منه ذلك عمر ، لكنه أعرض عنه لحداثـة سـنه ، فقال له أجلس يا أحنف فغلب لقبه على إسـمه ». (تاريخ دمشق: 24/312).

قال الأحنف بن قيس:« قـدمت على عمر بن الخطاب فاحتبسـني حولاً ، فقال: يا أحنف ، إني قد بلوتك وخبرتك وخبرت علانيتك ، فلم أر إلا خيراً ، وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك ، وإنا كنا نتحدث إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم ، فإذا أنت مؤمن عليم اللسان ». (تهذيب الكمال: 2/285).

ص: 381

أقول: لا وجه لحبس عمر للأحنف لمدة سنة إلا مزاج عمر ، وقد أثبت بصبره أنه فهم مزاج عمر ، وأثبت أنه صاحب عقل وافر . وقد سماه عمر الأحنف ، فغلب عليه هذا الإسم ، والأحنف: الذي في مشط قدمه مَيْلٌ أو تشوه . (الصحاح:4/1374).

3- يضرب به المثل في الحلم والحكمة والنبل فيقال:أحلم من الأحنف بن قيس وله في ذلك أخبار مأثورة .(الغارات:2 :754). واشتهر بالحكمة ، ورويت عنه حكم كثيرة ، منها أنه قال: الكامل من عدت هفواته . (ربيع الأبرار:2/100).

وقال: جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام ، فإني أبغض الرجل يكون وصافاً لبطنه وفرجه » . (ربيع الأبرار:2/252).

وقال: إني لأجالس الأحمق ساعة ، فأتبين ذلك في عقلي . (ربيع الأبرار:2/40).

وقال: لا صديق لملول ، ولا وفاء لكذوب ، ولا راحة لحسود ، ولا مروءة لبخيل ، ولا سؤدد لسئ الخلق ». (عيون الأخبار لابن قتيبة:2/13) .

وقال: «أربع من كن فيه كان كاملاً، ومن تعلق بخصلة منها كان صالحاً: دين يرشده، أو عقل يسدده ، أو حسب يصونه، أو حياء يحجزه». (معدن الجواهر للكراجكي/45). وقال: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال. (ربيع الأبرار:2/215).

وقال: لقد مرت على مائة هنة كلها أطأطئ لها رأسي فتجوزني ، ولو نصبت لإحداهن لاصطلمتني . (ربيع الأبرار:2/226).

وقال: لست حليماً وإنما أنا صبور . (ربيع الأبرار:3/96).

وقيل لشيخ: علَّمني الحلم، قال: هو يا ابن أخي، الذل أفتصبر عليه!

وقال الأحنف: مايسرني بنصيبي من الذل حمر النعم! فقال له رجل: أنت أعز العرب فقال: إن الناس يرون الحلم ذلاً». (عيون الأخبار لابن قتيبة:1/407) .

وقال الحسن البصري: ما رأيت شريف قوم أفضل من الأحنف . وقال سفيان: ما وزن عقل الأحنف بعقل إلا وزنه . (تاريخ دمشق: 4/316) .

وفي ربيع الأبرار:2/135: «قيل لرجل: بمَ سادكم الأحنف فوالله ما كان أكبركم سناً ولا بأكثركم شيئاً؟ قال: بقوة سلطانه على نفسه».

وفي مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا/109: « صعد الأحنف بن قيس فوق بيته فأشرف على جاره ، فقال: سوءة سوءة ! دخلت على جاري بغير إذن ! لا صعدت فوق هذا البيت أبداً ». وبقي الأحنف سيداً لتميم أربعين سنة .

وتوفي الأحنف في الكوفة سنة سبع وستين ، ودفن في الثوية.(الغارات:2/754).

وفي معجم البلدان:1/55: «قال المدائني: إن الأحنف لم يكن له ولد إلا بحر ، وبه كان يكنى ، وبنت ، فولد بحر ولداً ذكراً ودرج ولم يعقب ، وانقرض عقبه من ابنته أيضاً » .

4- وعندما وصلت عائشة الى البصرة دعته لنصرتها ، وأرسلت إليه أن يأتيها مرتين فأبى! « فكتبت إليه: يا أحنف ما عذرك في ترك جهاد قتلة أمير المؤمنين ، أمن قلَّة عدد أو أنك لاتطاع في العشيرة ؟ فكتب إليها: إنه والله ما طال العهد بي ، ولانسيت عهدي في العام الأول ، وأنت تحرضين على جهاده ، وتذكرين أن جهاده أفضل من جهاد فارس والروم » ! (شرح الأخبار: 1/381).

5- كان الأحنف من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وروى عن أبي ذر (رحمة الله) قال: «كنا ذات يوم عند رسول الله (صلى الله عليه و آله) في مسجد قبا، ونحن نَفَرٌ من أصحابه فقال: معاشر أصحابي يدخل عليكم من هذا الباب رجل هو أمير المؤمنين، وإمام المسلمين، قال فنظروا وكنت فيمن نظر ، فإذا نحن بعلي بن أبي طالب قد طلع ، فقام (صلى الله عليه و آله) فاستقبله وعانقه وقبَّل مابين عينيه ، وجاء به حتى أجلسه الى جانبه ، ثم أقبل علينا بوجهه الكريم فقال:هذا إمامكم بعدي، طاعته طاعتي ومعصيته معصيتي وطاعتي طاعة الله ، ومعصيتي معصية الله عز وجل» . (أمالي الصدوق/634).

6- كان أول من أجاب دعوة أميرالمؤمنين (عليه السلام) حينما دعا أهل البصرة لقتال معاوية ، فلما وصل كتاب أمير المؤمنين الى ابن عباس في البصرة ، قرأه للناس وقال: «أيها الناس استعدوا للشخوص الى إمامكم، وانفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم.. فلما أتمَّ كلامه ، قام الأحنف فقال: نعم والله لنجيبك ، ونخرج معك على العسر واليسر ، والرضا والكره ، نحتسب في ذلك الأجر، ونأمل به من الله الثواب العظيم». (شرح النهج: 3/187).

وجاء الأحنف مع وجوه قومه وأشراف البصرة من القبائل الأخرى الى الإمام (عليه السلام) في الكوفة فقال الأحنف: يا أمير المؤمنين إن تك سعد لم تنصرك يوم الجمل فإنها لم تنصر عليك ، وقد عجبوا أمس ممن نصرك وعجبوا اليوم ممن خذلك ، لأنهم شكوا في طلحة والزبير ، ولم يشكوا في معاوية ، وعشيرتنا بالبصرة ، فلو بعثتنا إليهم فقدموا إلينا فقاتلنا بهم العدو وانتصفنا بهم ، وأدركوا اليوم ما فاتهم بالأمس..فقال (عليه السلام) : أكتب الى قومك من بني سعد، فكتب الأحنف الى بني

سعد:« أما بعد ، فإنه لم يبق أحد من بني تميم إلا وقد شقوا برأي سيدهم غيركم عصمكم الله برأيي حتى نلتم ما رجوتم ، وأمنتم ما خفتم ، وأصبحتم منقطعين من أهل البلاء ، لاحقين بأهل العافية ، وإني أخبركم بأنا قدمنا على تميم الكوفة فأخذوا علينا بفضلهم مرتين ، بمسيرهم إلينا مع علي ، وإجابتهم الى المسير الى الشام، فأقبلوا إلينا ، ولا تتكلوا عليهم». (أعيان الشيعة: 1/ 466).

7- اقترح الأحنف على أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يكون مندوبه للتحكيم بعد صفين ، مقابل ابن العاص فقال:«يا أمير المؤمنين: إنك رُميت بحجر الأرض ، ومن حارب الله ورسوله أنف الإسلام ، وإني قد عجمت هذا الرجل، يعني أبا موسى، وحلبت شطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر ، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يكون في أكفهم، ويتباعد منهم حتى يكون بمنزلة النجم منهم، فإن شئت أن تجعلني حكماً فاجعلني، وإن شئت فاجعلني ثانياً أو ثالثاً، فإن عمراً لايعقد عقدة إلاحللتها، ولا يحل عقدة إلا عقدت لك أشد منها ، فعرض الإمام ذلك على الناس فأبوه!وقالوا لايكون إلا أبو موسى»(شرح النهج:2/230).

ولما رأى الأحنف إصرار أهل الكوفة على تحكيم أبي موسى ، نصح أبا موسى عندما ودَّعه قائلاً: «يا أبا موسى إعرف خَطْبَ هذا الأمر ، واعلم إن له ما بعده وإنك إن أضعت العراق فلا عراق ، إتق الله فإنها تجمع لك دنياك وآخرتك ، وإذا لقيت غداً عمراً فلا تبدأه بالسلام ، فإنها وإن كانت سنة إلا أنه ليس بأهلها، ولا تعطه يدك فإنها أمانة ، وإياك أن يقعدك على صدر الفراش ، فإنها

خدعة ، ولا تلقه إلا وحده ، وأحذر أن يكلمك في بيت فيه مخدع ، تخبأ لك فيه الرجال والشهود ». (شرح النهج:2/249).

8- قال له معاويـة: « أنت الساعي على أمير المؤمنين عثمان ، وخاذل أم المؤمنين عائشـة، والوارد الماء على عليٍّ بصـفين؟! فقال الأحنف: من ذاك ما أعرف ومنه ما أنكر، أما أمير المؤمنين فأنتم معاشـر قريش حضـرتموه بالمدينـة ، والـدار منا عنه نازحـة ، وقد حضـره المهاجرون والأنصار وكنتم بين خاذل وقاتل ، أما عائشـة فإني خذلتها في طول باع ورحب سـرب، وذلك أني لم أجد في كتاب الله إلا أن تقرَّ في بيتها . أمـا ورودي المـاء بصـفين ، فـإني وردت حيـن أردت أن تقطـع رقابنـا عطشـاً ! فقـام معاويـة وأمر لـه بخمسـين ألـف درهـم » . (شـرح الأخبار:1/745).

9- خطب شاميٌّ في مجلس معاويـة: « فكان آخر كلامه أن لعن علياً (عليه السـلام) فأطرق الناس! وتكلم الأحنف فقال لمعاويـة: إن هـذا القائـل لو يعلم أن رضـاك في لعن المرسـلين للعنهم ، فاتق الله ودع عنك علياً ، فقـد لقي ربه وأفرد في قبره وخلا بعمله ، وكان والله المبرز بسـبقه ، الطاهر خلقه ، الميمون نقيبته ، والعظيم مصـيبته . فقال معاوية: يا أحنف لقد أغضيت العين على القذى ، وقلت بغير ما ترى ، وأيم الله لتصعدنَّ المنبر فلتلعنه طوعاً أو كرهاً !

فقال له الأحنف: إن تعفني فهو خير لك ، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجري به شـفتاي أبداً . قال: فاصعد المنبر ! قال الأحنف: أما والله لأنصـفنَّك في القول والفعل. قال: وما أنت قائل يا أحنف؟ قال: أصـعد المنبر فأحمد الله بما هو أهله ، وأصـلي على نبيه (صـلى الله عليه و آله) ثم أقول: أيها الناس إن معاوية أمرني أن ألعن علياً ،

وإن علياً ومعاوية إختلفا واقتتلا ـ وادَّعى كل واحد منها أنه بغى على فئته ، فإذا دعوت فأمِّنوا رحمكم الله ، ثم أقول:اللهم ألعن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه، وألعن الفئة الباغية، أللهم العنهم لعناً كثيراً ! يا معاوية: لا أزيد على هذا ولا أنقص حرفاً، ولو كان فيه ذهاب نفسي ، فسكت معاوية وأعفاه عن ذلك ».(مواقف الشيعة: 1/244).

«عن الحسن البصري قال:جلسوا عند معاوية فتكلَّموا وصمت الأحنف ، فقال معاوية: يا أبا بحر ، مالك لاتتكلَّم ؟ قال: أخافكم إن صدقتكم، وأخاف اللَّه إن كذبت .« (عيون الأخبار لابن قتيبة:2/195) .

وفي ربيع الأبرار للزمخشري:2/61: «خطب معاوية فقال: إن الله يقول: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ، فعلامَ يلومونني إذا قصرت في عطياتكم؟ فقال الأحنف: إنا والله لا نلومك على ما في خزائن الله ، ولكن على ما أنزله من خزائنه فجعلته أنت في خزانتك ، وحُلْتَ بيننا وبينه» !

10. «قال الأحنف: دخلت على معاوية فقدَّم إليَّ من الحلو والحامض ما كثر تعجبي منه ، ثم قدم لونا ما أدري ما هو فقلت: ما هذا ؟ قال: مصارين البط مَحْشُوَّةٌ بالمخ (بمخاخ العصافير)، قد قليت بدهن الفستق ، وذر عليه الطبرزد . فبكيت فقال: ما يبكيك؟قلت: ذكرت علياً ، بينا أنا عنده فحضر وقت إفطاره ، فسألني المقام إذ دعا بجراب مختوم ، قلت: ما في الجراب ؟ قال: سويق شعير . قلت: خفت عليه أن يؤخذ أو بخلت به ؟ قال: لا ولا أحدهما ، ولكني خفت أن يَلِتَّهُ الحسن والحسين بسمن أو زيت . قلت: محرم هو يا أمير المؤمنين ؟ قال:

لا ، ولكن يجب على أئمة الحق أن يعتدوا أنفسهم من ضعفة الناس ، لئلا يطغى بالفقير فقره ! قال معاوية: ذكرت من لا ينكر فضله ».(التذكرة الحمدونية/69).

11- كان (رحمة الله) شجاعاً قائداً ، فقد جعله أمير المؤمنين (عليه السلام) أميراً على تميم البصرة كلها في معركة صفين.(شرح نهج البلاغة: 4/27) كما كان له دور قيادي في الفتوحات ، فكان أول من توجه الى فتح خراسان ، وطارد يزدجرد وقاتله وهزمه ، وكان فتح مرو الروذ وغيرها على يديه . (تاريخ دمشق:24/313) .

وكان على مقدمة الجيش في فتح هرات، وطخارستان، وطالقان، والجوزجان وغيرها . (شرح النهج:4/27) . راجع ما كتبناه عنه في فتح إيران .

وفي عيون الأخبار لابن قتيبة:1/330 : «كتب معاوية إلى زياد: أنظر رجلاً يصلح لثغر الهند فولِّه، فكتب إليه إنّ قبلي رجلين يصلحان لذلك: الأحنف بن قيس، وسنان بن سلمة الهذلي . فكتب إليه معاوية: بأي يومي الأحنف نكافيه؟ أبخذلانه أمّ المؤمنين ، أم بسعيه علينا يوم صفّين؟ فوجه سناناً .

فكتب إليه زياد: إن الأحنف قد بلغ من الشرف والحلم والسؤدد ، ما لا تنفعه الولاية ، ولا يضرُّه العزل » !

خالد بن سعيد بن العاص بطل فتح فلسطين

1. شاء الله عز وجل أن يجعل من أبناء الفرعون أبي أُحَيْحَة ، مسلمين مؤمنين! وأبو أحيحة هو سعيد بن العاص الأموي ، من كبار أثرياء قريش ، ومعنى الأُحَيْحَة الضغينة في الصدر، وروي أن ابنه أحيحة قتل في حرب الفِجار .

والمعروف من أبنائه ابنه العاص الذي شهد بدراً مع المشركين فقتله علي (عليه السلام) ، وخالد ، وعمرو ، وأبان ، والحكم ، وسعيد ، وقد أسلموا وختم الله لهم بالشهادة ، وأفضلهم خالد . وانحصرت ذرية أبي أحيحية بحفيده سعيد بن العاص ، وقيل إن خالداً له عقب ولم يثبت ذلك .

«كان أبو أحيحة إذا اعْتَمَّ بمكة لا يعتم أحد بلون عمامته إعظاماً له، وكان يقال له: ذو التاج. وكان شديداً على المسلمين ، وكان أعز من بمكة ، فمرض فقال: لئن الله رفعني من مرضي هذا ، لا يعبد إلهُ ابن أبي كبشة بمكة ! فقال ابنه خالد عند ذلك: اللهم لا ترفعه . فتوفي في مرضه ذلك» . (أسد الغابة:2/82) .

2.أكرم الله خالداً برؤيتين كانتا سبب هدايته قبل أن يصدع النبي (صلى الله عليه و آله) بدعوته! ففي الإستيعاب:2/422: «عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال:كان إسلام خالد بن سعيد قديماً ، وكان أول إخوته إسلاماً ، وكان بدء إسلامه أنه رأى في النوم أنه وقف به على شفير النار ، فذكر من سعتهما ما الله أعلم به، وكأن أباه يدفعه فيها، ورأى رسول الله (صلى الله عليه و آله) آخذاً بحقويه لا يقع فيها، ففزع وقال: أحلف باللّه إنها لرؤيا حق».

ص: 389

وفي الطبقات:1/166،وتاريخ دمشق: 16/67، قالت ابنته أم خالد المولودة في الحبشة: «لما كان قبيل مبعث النبي (صلى الله عليه و آله) بينا خالد بن سعيد ذات ليلة نائم، قال: رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة حتى لايبصر امرؤٌ كفه، فبينا هو كذلك إذ خرج نور من زمزم ثم علا في السماء فأضاء في البيت ، ثم أضاء مكة كلها، ثم إلى نجد، ثم إلى يثرب فأضاءها حتى أني لأنظر إلى البُسْر(الرطب) في النخل! قال: فاستيقظت فقصصتها على أخي عمرو بن سعيد، وكان جَزِلَ الرأي (راجح الرأي) فقال: يا أخي إن هذا الأمر يكون في بني عبد المطلب! ألا ترى أنه خرج من حفيرة أبيهم (زمزم) قال خالد: فإنه لمما هداني الله به للإسلام .

قالت أم خالد: فأول من أسلم أبي ، وذلك أنه ذكر رؤياه لرسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال: يا خالد أنا والله ذلك النور ، وأنا رسول الله ، فقص عليه ما بعثه الله به ، فأسلم خالد ، وأسلم عمرو » . والمنمق/292 ، وكنز الفوائد/93 .

وفي طبقات ابن سعد(4/94و95): «فلقي رسول الله (صلى الله عليه و آله) وهو بأجياد فقال يا محمد إلى ما تدعو قال: أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، ولا يدري من عبده ممن لم يعبده ! قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله . فسُرَّ رسول الله بإسلامه... وتغيب خالد ، وعلم أبو ه بإسلامه فأرسل بطلبه من بقي من ولده ممن لم يسلم ، ورافعاً مولاه فوجدوه ، فأتوا به إلى أبيه أبي أحيحة ، فأنبه وبكَّته وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه ،

ثم قال: أتبعت محمداً وأنت ترى خلافه قومه ، وما جاء به من عيب آلهتهم ، وعيب من مضى من آبائهم ! فقال خالد: قد صدق والله واتبعته .

فغضب أبو أحيحة ونال من ابنه وشتمه ، ثم قال:إذهب يا لكع حيث شئت فوالله لأمنعك القوت ! فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به. فأخرجه وقال لبنيه: لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به ما صنعت به ، فانصرف خالد إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فكان يلزمه ويكون معه» والحاكم:3/248.

وفي الآحاد والمثاني:1/387: « وكان جميلاً ، وسيماً ، قُتل وهو ابن نحو خمسين » .

3. هرب من سجن أبيه وعاش هو وزجته في مكة فترةً ، ثم هاجر الى الحبشة. قال ابن سعد في الطبقات: 4/95: « كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص ثالثاً أو رابعاً ، وكان ذلك ورسول الله (صلى الله عليه و آله) يدعو سراً.. فضربه أبو أحيحة بقراعة في يده حتى كسرها على رأسه ، ثم أمر به إلى الحبس وضيق عليه وأجاعه وأعطشه ، حتى لقد مكث في حر مكة ثلاثاً مايذوق ماء ، فرأى خالد فُرجة فخرج ، فتغيب عن أبيه في نواحي مكة ، حتى حضر خروج أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى الحبشة في الهجرة الثانية » .

أقول: أثبتنا في السيرة النبوية من مصادر الطرفين أن النبي (صلى الله عليه و آله) بعث أولاً الى بني هاشم خاصة فجمعهم لحمايته مقابل قريش ، التي أصرت على قتله ، ولم يدعُ الناس إلا بعد ثلاث سنوات عندما أنزل الله تعالى عليه: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. وجاء جبرئيل (عليه السلام) وقال له: لقد كفاك الله إياهم! وكانوا خمسة فراعنة فقتلهم الله في يوم واحد ، كما تقدم في ترجمة ابن الوليد .

ص: 391

وفي تلك السنوات الثلاث لم يؤمن إلا بعض بني هاشم وأبو ذر بكرامة رآها ، وسعيد بن العاص بكرامة رآها . وهذا يدل على مقامهما المميز رضي الله عنهما .

وفي الإستيعاب:2/420: «هاجر إلى أرض الحبشة مع امرأته الخزاعية، وولد له بها ابنه سعيد بن خالد وابنته أم خالد...قالت..وشهد أبي مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) عمرة القضاء وفتح مكة وحنيناً والطائف وتبوك ، وبعثه رسول الله على صدقات اليمن ، فتوفى رسول الله (صلى الله عليه و آله) وأبي باليمن » .

أقول: لم ينقطع سعيد عن النبي (صلى الله عليه و آله) بعد هجرته ، ويظهر أنه كان مأموراً بالبقاء في الحبشة مع جعفر ، وكان يتحرك الى الشام واليمن بأمر النبي (صلى الله عليه و آله) .

قال ابن سعد(4/99) وابن عساكر في تاريخه (16/71): « إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعثه في رهط من قريش إلى ملك الحبشة فقدموا عليه..هو وأصحابه وقد فرغ رسول الله (صلى الله عليه و آله) من وقعة بدر ، فأقبل يمشي ومعه ابنته فقال: يا رسول الله لم نشهد معك بدراً ، فقال (صلى الله عليه و آله) : أوَمَا ترضى يا خالد أن يكون للناس هجرة ولكم هجرتان ثنتان ؟ قال: بلى يا رسول الله . قال: فذاك لكم . ثم إن خالداً قال لابنته: إذهبي إلى عمك ، إذهبي إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فسلمي عليه ، فذهبت الجويرية حتى أتته من خلفه فأكبت عليه ، وعليها قميص أصفر فأشارت به إلى رسول الله تريه فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : سنه سنه ، يعني بالحبشية: أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي».

كما أن قول ابن عبد البر: «وبعثه رسول الله على صدقات اليمن» خطأ أو مسامحة . وقد أرسله (صلى الله عليه و آله) الى اليمن مرات ، منها في فتحها مع علي (عليه السلام) ، وآخرها والياً على صنعاء الى أن توفي النبي (صلى الله عليه و آله) ، قال ابن عساكر (16/77): «فاستعمل على

صنعاء خالد بن سعيد بن العاص». وفي مكاتيب النبي (صلى الله عليه و آله) للأحمدي:1/303: «وكتب له (صلى الله عليه و آله) كتاب الفرائض».

4. أسلم خالد وأخوه عمرو ، وأقنعا بالمراسلة أخاهما أباناً ، فأسلم عند عودتهما من الهجرة وحسن إسلامه ، فولاه النبي (صلى الله عليه و آله) على البحرين ، وبقي والياً عليها حتى توفي النبي (صلى الله عليه و آله) وشارك في فتح الشام ، واستشهد مع أخويه في السنة الرابعة عشرة للهجرة . (الإصابة:1/169). وسيأتي الكلام في شهادة خالد !

ويفهم من شعر أبان أن زوجة خالد الخزاعية كان لها دور في إقناعه بالإسلام ، فقد بعث لأخويه خالد وعمرو رسالة إلى الحبشة ، كما في تاريخ دمشق: 6/129:

« ألا ليت ميتاً بالظريبة شاهداً *** لما يفترى في الدين عمرو وخالد

أطاعا بنا أمر النساء فأصبحا *** يعينان من أعدائنا من نكابد

فأجابه أخوه خالد:

أخي ما أخي لا شاتمٌ أنا عرضه *** ولا هو عن سوء المقالة مقصر

يقول إذا اشتدت عليه أموره *** ألا ليت ميتاً بالظريبة ينشر

فدع عنك ميتاً قد مضى لسبيله *** وأقبل على الحيِّ الذي هو أقفر »

ثم أسلم أبان وحسن إسلامه ، وكذا الحكم بن سعيد .

قال في دمشق:29/57: «استشهد الحكم بن سعيد بن العاص يوم مؤتة مع جعفر بن أبي طالب ، واستشهد مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم حصن الطائف سعيد بن سعيد بن العاص... وولد سعيد بن العاص أبو أحيحة ثمانية رجال ، لم يمت أحد منهم على فراشه ! فقتل ثلاثة مع المشركين ، وخمسة مع المسلمين ! قتل أحيحة

يوم الفجار ، وقتل العاص بن سـعيد بن العاص ، وعبيدة بن سـعيد بن العاص يوم بدر، وقتل سـعيد بن سـعيد يوم الطائف ، وقتل الحكم بن سعيد يوم اليمامة ، وكان يُعلم الحكمة بالمدينة ، وقتل خالد يوم مرج الصُّفَّر ، وهو الذي يقول:

مَنْ فارسٌ كَرِهَ الطعان يعيرني *** رمحاً إذا نزلوا بمرج الصُّفَّر

وقتل أبان وعمرو يوم أجنادين . وقال ابن الكلبي: قتل عمرو يوم فحل...قال علي بن محمد عن أبي معشر المدني في تسمية من استشهد من المسـلمين يوم اليمامة: الحكم بن سـعيد بن العاص بن أمية.. وذكر أبو بكر البلاذري أن الحكم قد استشهد يوم اليمامة ، قال: ويقال إنه قتل يوم مؤتة».

5. هاجر خالد إلى الحبشة فكان مع جعفر وكان يتردد على النبي (صـلى الله عليه و آله) ويكلفه بمهمات ، فقد أرسـله إلى قيصـر، وتأثر به كبير الأساقفة.(تاريخ دمشق: 16/67).

وكان يتاجر إلى اليمن فجاء إلى النبي (صلى الله عليه و آله) بمنجنيق من جرش(إمتاع الأسماع:2/21).

وكـان يكتب للنـبي (صـلى الله عليه و آله) ، وهو أول من بـدأ الرسائـل بكتابـة البسـملة في أول كتب النـبي (صـلى الله عليه و آله) (الـدر المنثور:1/11) وتجد في مكاتبات النبي (صلى الله عليه و آله) بضعة عشركتاباً ختمت بعبارة: « وكتبه خالد بن سعيد بن العاص» منها كتابه (صـلى الله عليه و آله) الى بني عمرو من حمير (مكـاتيب الرسول للأحمـدي:1/214) وكتابه الى ثقيف (المصـدر:3/58) وكتابه الى بني أسـد (المصدر:3 /239) ولبني عريض (المصـــدر:3/255) والى بني غاديـا (المصـــدر:3 /421) والى بني عــوف مــن بني سـليم (المصدر:3/434) والى راشد بن عبد رب السلمي (المصدر:3/436) والى بني جفال بن ربيعة بن زيد الجذاميين (المصدر:3/447) والى العداء بن خالد بن هوذة (المصدر:3/449) والى سعيد بن

سفيان الرعلي(المصدر:3 /475) والى عك ذي خيوان (سنن أبي داود:2/40) والى يهود تيماء (الفائق:3/231) والى بني عمرو من حمير (الطبقات:1/265) والى بني أسد (الطبقات:1/269) والى بني عريض طعمة وهم قوم من يهود (الطبقات: 1/ 278).

وكان سفير النبي (صلى الله عليه و آله) والمفاوض عنه لثقيف ، وكتب عهدهم . (الدرر/248).

ومن حبه للنبي (صلى الله عليه و آله) صنع لنفسه في الحبشة خاتماً عليه إسمه فأعجب النبي (صلى الله عليه و آله) فأخذه منه ، وكان خاتمه الشريف .

وقال في الإستيعاب:2/422: «ذكر البغوي..أنه أتى النبي (صلى الله عليه و آله) وعليه خاتم من فضّة مكتوب عليه:محمد رسول الله ، قال: فأخذه مني فلبسه وهو الَّذي كان في يده (صلى الله عليه و آله) ». وفي الإستيعاب:3/1177: أنه كان خاتم أخيه عمرو بن سعيد ، وأنه بعد النبي (صلى الله عليه و آله) : « أخذه أبو بكر فكان في يده ، ثم أخذه عمر فكان في يده ، ثم أخذه عثمان فكان في يده عامة خلافته ، حتى سقط منه في بئر أريس ».

ورجع من الهجرة مع جعفر بن أبي طالب في سنة سبع. (الإستيعاب: 3/1177) .

6. شارك سعيد بفعالية في حروب النبي (صلى الله عليه و آله) وأمَّره في فتح مكة على سرية وأرسله قائد سرية الى ذي عَرَنة . (التنبيه والإشراف/233).

وأرسله مع علي (عليه السلام) لفتح اليمن فجعله علي (عليه السلام) قائد مقدمته ، وبرز الى عمرو بن معدي كرب فنهاه علي (عليه السلام) ، وبرز اليه علي (عليه السلام) وصاح بعمرو صيحة علويةً فهرب ! ثم جاء عمرو واستأمن ، وأعطى سيفه المشهور الصمصامة الى خالد .

وكان النبي (صلى الله عليه و آله) بعث خالد بن الوليد في جيش الى اليمن ، فبقي ستة أشهر ولم يستطع فعل شئ ، فأرسل علياً (عليه السلام) فقصد جهة ، فتحرك خالد ليسبقه اليها فنهاه فلم ينتهِ ، فبعث اليه خالد بن سعيد فأجبره على طاعة أميره.(كشف الغمة:1/229).

وقال ابن حجر في الإصابة:2/203: «وثبت في ديوان عمرو بن معد يكرب أنه مدح خالد بن سعيد بن العاص لما بعثه النبي (صلى الله عليه و آله) مصدقاً عليهم بقصيدة يقول فيها:

فقلت لباغي الخير إن تأت خالداً *** تُسَرَّ وترجعْ ناعمَ البال حامدا

وقال ابن إسحاق وخليفة والزبير بن بكار: استشهد خالد يوم مرج الصفر وكذا قال إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة . وقال محمد بن فليح عن موسى بن عقبة: استشهد يوم أجنادين . كذا قال أبو الأسود عن عروة . وقد اختلف أهل التاريخ أيهما كان قبل».

7. وعندما توفي النبي (صلى الله عليه و آله) جاء الى المدينة ، وتفاجأ ببيعة أبي بكر ، فغضب ، واستنكر عمل أهل السقيفة ، ووقف بقوة الى جانب علي (عليه السلام) وقال لبني هاشم: أنتم الظهار والبطان ، والشعار دون الدثار، والعصا دون اللحا ، فإذا رضيتم رضينا ، و إذا أسخطتم سخطنا...وبلغت أبا بكر فلم يحفل بها ، واضطغنها عليه عمر ، فلما ولاه أبو بكر الجند الذي استنفر إلى الشام ، قال له عمر: أتُولي خالداً وقد حبس عليك بيعته ، وقال لبني هاشم ما قال !». (شرح النهج:2/58).

وفي أسد الغابة:2/84:«فقال لبني هاشم: إنكم لطوال الشجر طيبوا الثمر ، ونحن تبع لكم . فلما بايع بنو هاشم أبا بكر بايعه خالد وأبان . ثم استعمل أبو بكر

خالداً على جيش من جيوش المسلمين حين بعثهم إلى الشام ، فقتل بمرج الصُّفَّر في خلافة أبى بكر ».

وفي الإحتجاج:1/97، والخصال/461، عن أبان بن تغلب قال: « قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) : جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول الله (صلى الله عليه و آله) ؟

قال: نعم ، كان الذي أنكر على أبي بكر اثني عشر رجلاً. من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص وكان من بني أمية ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر ، وبريدة الأسلمي. ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان ، وسهل وعثمان ابنا حنيف ، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وأبي بن كعب ، وأبو أيوب الأنصاري.. وغيرهم، فلما صعد المنبر تشاوروا بينهم في أمره فقال بعضهم: هلا نأتيه فننزله عن منبر رسول الله (صلى الله عليه و آله) ، وقال آخرون: إن فعلتم ذلك أعنتم على أنفسكم، وقال الله عز وجل:وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، ولكن إمضوا بنا إلى علي بن أبي طالب نستشيره ونستطلع أمره . فأتوا علياً (عليه السلام) فقالوا: يا أمير المؤمنين ضيعت نفسك وتركت حقاً أنت أولى به ، وقد أردنا أن نأتي الرجل فننزله عن منبر رسول الله (صلى الله عليه و آله) ، فإن الحق حقك ، وأنت أولى بالأمر منه ، فكرهنا أن ننزله من دون مشاورتك .

فقال لهم علي (عليه السلام) : لو فعلتم ذلك ما كنتم إلا حرباً لهم ، ولا كنتم إلا كالكحل في العين أو كالملح في الزاد ، وقد اتفقت عليه الأمة التاركة لقول نبيها والكاذبة على ربها ! ولقد شاورت في ذلك أهل بيتي فأبوا إلا السكوت ، لما تعلمون من

وغر صدور القوم ، وبغضهم لله عز وجل ولأهل بيت نبيه (صلى الله عليه و آله) ، وأنهم يطالبون بثارات الجاهلية!

والله لو فعلتم ذلك لشهروا سيوفهم مستعدين للحرب والقتال ،كما فعلوا ذلك حتى قهروني وغلبوني على نفسي ولببوني ، وقالوا لي: بايع وإلا قتلناك ، فلم أجد حيلة إلا أن أدفع القوم عن نفسي ! وذاك أني ذكرت قول رسول الله (صلى الله عليه و آله) : يا علي إنِ القوم نقضوا أمرك واستبدوا بها دونك وعصوني فيك ، فعليك بالصبر حتى ينزل الأمر ! ألا وإنهم سيغدرون بك لامحالة ، فلا تجعل لهم سبيلاً إلى إذلالك وسفك دمك ، فإن الأمة ستغدر بك بعدي ! كذلك أخبرني جبرئيل عن ربي تبارك وتعالى !

ولكن إئتوا الرجل فأخبروه بما سمعتم من نبيكم (صلى الله عليه و آله) ، ولا تجعلوه في الشبهة من أمره ، ليكون ذلك أعظم للحجة عليه ، وأبلغ في عقوبته إذا أتى ربه وقد عصى نبيه (صلى الله عليه و آله) وخالف أمره !

قال: فانطلقوا حتى حفوا بمنبر رسول الله يوم جمعة فقالوا للمهاجرين: إن الله عز وجل بدأ بكم في القرآن فقال: لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ ، فبكم بدأ . وكان أول من بدأ وقام ، خالد بن سعيد بن العاص بإدلاله ببني أمية فقال: يا أبا بكر إتق الله فقد علمت ما تقدم لعلي من رسول الله (صلى الله عليه و آله) ألا تعلم أن رسول الله قال لنا ونحن محتوشوه في يوم بني قريظة ، وقد أقبل على رجال منا ذوي قدر فقال: يامعشر المهاجرين والأنصار أوصيكم بوصية فاحفظوها ، وإني مؤد إليكم أمراً فاقبلوه ، ألا إن علياً أميركم من بعدي ، وخليفتي فيكم ،

أوصاني بذلك ربي. وإنكم إن لم تحفظوا وصيتي فيه وتؤووه وتنصروه ، اختلفتم في أحكامكم ، واضطرب عليكم أمر دينكم ، وولي عليكم الأمر شراركم !

ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون أمري ، القائمون بأمر أمتي ، اللهم فمن حفظ فيهم وصيتي فاحشره في زمرتي ، واجعل له من مرافقتي نصيباً يدرك به فوز الآخرة . اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فأحرمه الجنة التي عرضها السماوات والأرض !

فقال له عمر بن الخطاب:أسكت يا خالد فلست من أهل المشورة ولا ممن يُرضى بقوله. فقال خالد: بل أسكت أنت يا ابن الخطاب ، فوالله إنك لتعلم أنك تنطق بغير لسانك ، وتعتصم بغير أركانك !

والله إن قريشاً لتعلم أني أعلاها حسباً ، وأقواها أدباً ، وأجملها ذكراً ، وأنك ألأمها حسباً ، وأقلها عدداً ، وأخملها ذكراً ، وأقلها من الله عز وجل ومن رسوله غنى . وإنك لجبانٌ عند الحرب ، بخيلٌ في الجدب ، لئيمُ العنصر ، ما لك في قريش مفخر ! قال: فأسكته خالد فجلس !

ثم قام أبو ذر (رحمة الله) فقال ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أما بعد يا معشر المهاجرين والأنصار، لقد علمتم وعلم خياركم أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: الأمر لعلي بعدي ، ثم للحسن والحسين ، ثم في أهل بيتي من ولد الحسين ، فاطَّرحتم قول نبيكم ، وتناسيتم ما أوعز إليكم ، واتبعتم الدنيا وتركتم نعيم الآخرة الباقية التي لايهدم بنيانها ولا يزول نعيمها ، ولا يحزن أهلها ، ولايموت سكانها .

وكـذلك الأمم التي كفرت بعـد أنبيائها بـدلت وغيرت ، فحاذيتموها حذو القذة بالقذة ، والنعل بالنعل ، فعما قليل تذوقون وبال أمركم ، وما الله بظلام للعبيد !

ثم قام سـلمان الفارسـي (رحمة الله) فقال: يا أبا بكر إلى من تسـتند أمرك إذا نزل بك القضاء ، وإلى من تفزع إذا سـئلت عما لا تعلم ، وفي القوم من هو أعلم منك وأكثر في الخير أعلاماً ومناقب منك ، وأقرب من رسول الله (صـلى الله عليه و آله) قرابـة وقدمة ، وفي حياته قد أوعز إليكم فتركتم قوله ، وتناسـيتم وصـيته ، فعما قليل يصـفو لكم الأمر حين تزوروا القبور ، وقد أثقلت ظهرك من الأوزار ، لو حملت إلى قبرك لقـدمت على ما قـدمت ، فلو راجعت إلى الحق وأنصـفت أهله لكان ذلك نجاة لك يوم تحتاج إلى عملك ، وتفرد في حفرتك بـذنوبك بما أنت له فاعل ، وقد سمعت كما سمعنا ورأيت كما رأينا ، فلم يردعك ذلك عما أنت له فاعل، فالله الله في نفسك ، فقد أعذر من أنذر !

ثم قام المقداد بن الأسود (رحمة الله) فقال: يا أبا بكر إربع على نفسك ، وقس شبرك بفترك والزم بيتك ، وابك على خطيئتك، فإن ذلك أسلم لك في حياتك ومماتك ورُدَّ هذا الأمر إلى حيث جعله الله عز وجل ورسوله (صـلى الله عليه و آله) ولا تركن إلى الدنيا ، ولا يغرنك من قد ترى من أوغادها ، فعما قليل تضـمحل عنك دنياك ، ثم تصـير إلى ربك فيجزيك بعملك . وقـد علمت أن هذا الأمر لعلي وهو صاحبه بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) . وقد نصحتك إن قبلت نصحي .

ثم قام بريدة الأسـلمي فقال: يا أبا بكر، نسيت أم تناسيت أم خادعتك نفسك أما تذكر إذا أمرنا رسول الله (صلى الله عليه و آله) فسلمنا على علي بإمرة المؤمنين ، ونبينا عليه

السلام بين أظهرنا ! فاتق الله ربك وأدرك نفسك قبل أن لا تدركها ، وأنقذها من هلكتها، ودع هذا الأمر ووكله إلى من هو أحق به منك ، ولا تمادِ في غيك ، وارجع وأنت تستطيع الرجوع ، فقد نصحتك نصحي ، وبذلت لك ما عندي ، فإن قبلت وفقت ورشدت !

ثم قام عبد الله بن مسعود فقال: يا معشر قريش قد علمتم وعلم خياركم أن أهل بيت نبيكم أقرب إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) منكم ، وإن كنتم إنما تدعون هذا الأمر بقرابة رسول الله (صلى الله عليه و آله) وتقولون: إن السابقة لنا ، فأهل نبيكم أقرب إلى رسول الله منكم وأقدم سابقة منكم . وعلي بن أبي طالب صاحب هذا الأمر بعد نبيكم فأعطوه ما جعله الله له ، ولا ترتدوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين !

ثم قام عمار بن ياسر فقال: يا أبا بكر ، لا تجعل لنفسك حقاً جعله الله عز وجل

لغيرك ، ولا تكن أول من عصى رسول الله (صلى الله عليه و آله) وخالفه في أهل بيته ، واردد الحق إلى أهله ، يخفّ ظهرك وتقل وزرك ، وتلقى رسول الله (صلى الله عليه و آله) وهو عنك راض ، ثم تصير إلى الرحمن فيحاسبك بعملك ويسألك عما فعلت !

ثم قام خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فقال: يا أبا بكر ألست تعلم أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قبل شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري؟ قال: نعم ، قال: فأشهد بالله أني سمعت رسول (صلى الله عليه و آله) يقول: أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل ، وهم الأئمة الذين يقتدى بهم !

ص: 401

ثم قام أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا أبا بكر أنا أشهد على النبي (صلى الله عليه و آله) أنه أقام علياً فقالت الأنصار: ما أقامه إلا للخلافة ، وقال بعضهم: ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه ولي من كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) مولاه ، فقال (صلى الله عليه و آله) : إن أهل بيتي نجوم أهل الأرض فقدموهم ولا تقدموهم .

ثم قام سهل بن حنيف فقال: أشهد أني سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال على المنبر: إمامكم من بعدي علي بن أبي طالب ، وهو أنصح الناس لأمتي .

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال: إتقوا الله في أهل بيت نبيكم ، وردوا هذا الأمر إليهم ، فقد سمعتم كما سمعنا في مقام بعد مقام ، من نبي الله (صلى الله عليه و آله) أنهم أولى به منكم . ثم جلس . ثم قام زيد بن وهب فتكلم ، وقام جماعة من بعده ، فتكلموا بنحو هذا ..

قال الصادق (عليه السلام) : فأفحم أبو بكر على المنبر حتى لم يحر جواباً ، ثم قال:وليتكم ولست بخيركم ، أقيلوني أقيلوني !

فقال له عمر بن الخطاب: إنزل عنها يا لكع! إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لم أقمت نفسك هذا المقام؟ والله لقد هممت أن أخلعك وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة. قال: فنزل ثم أخذ بيده وانطلق إلى منزله ، وبقوا ثلاثة أيام لايدخلون مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله) ! فلما كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل(يقصد هيأ ألفاً) فقال لهم: ماجلوسكم فقد طمع فيها والله بنو هاشم؟ وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل حتى اجتمع أربعة آلاف رجل،

ص: 402

فخرجوا شاهرين بأسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب حتى وقفوا بمسجد رسول الله، فقال عمر:

والله يا أصحاب علي لئن ذهب منكم رجل يتكلم بالذي تكلم بالأمس لنأخذن الذي فيه عيناه! فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال: يا ابن صهاك الحبشية أبأسيافكم تهددوننا ، أم بجمعكم تفزعوننا، والله إن أسيافنا أحد من أسيافكم ، وإنا لأكثر منكم وإن كنا قليلين ، لأن حجة الله فينا.

والله لولا ـ أني أعلم أن طاعة الله ورسوله (صلى الله عليه و آله) وطاعة إمامي أولى بي ، لشهرت سيفي وجاهدتكم في الله إلى أن أبلي عذري! فقام أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: أجلس يا خالد ، فقد عرف الله لك مقامك وشكر لك سعيك . فجلس .

وقام إليه سلمان الفارسي فقال: الله أكبر الله أكبر! سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) بهاتين الأذنين وإلا صُمَّتَا ، يقول: بينا أخي وابن عمي جالس في مسجدي مع نفر من أصحابه ، إذ تكبسه جماعة من كلاب أصحاب النار ، يريدون قتله وقتل من معه، فلست أشك إلا وإنكم هم ! فهمَّ به عمر بن الخطاب ، فوثب إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخذ بمجامع ثوبه ثم جلد به الأرض ، ثم قال: يا ابن صهاك الحبشية ! لولا كتاب من الله سبق وعهد من رسول الله تقدم ، لأريتك أينا أضعف ناصراً وأقل عدداً !

ثم التفت إلى أصحابه فقال: إنصرفوا رحمكم الله ، فوالله لا دخلت المسجد إلا كما دخل أخواي موسى وهارون إذ قال له أصحابه: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ. والله لا دخلته إلا لزيارة رسول الله (صلى الله عليه و آله) أو لقضية أقضيها ، فإنه لا يجوز لحجة أقامها رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن يترك الناس في حيرة »! والإحتجاج:1/104.

وتقـدم بعضه في الفصل الأول ، والفقرة الأخيرة تحدد موقف علي (عليه السـلام) من نظام الخلافة القرشـية بدقة . وقد كان موقف خالد بن سعيد رضي الله عنه شديداً على أهل السقيفة، فقام علي (عليه السلام) وهدأه ، وإلا لاصطدم بعمر وأهل السقيفة واقتتلوا !

وينبغي الإلتفات الى أن الفقرات التي نقلتها الرواية من خطب هؤلاء المهاجرين والأنصار هي بعض خطبهم ،ولا بد أنها تضـمنت حججاً أخرى منها بيعة الغدير ، وقد احتجت بها الزهراء (عليها السلام) فقالت: وهل ترك أبي لأحد في غدير خم عذرا ؟!

8. ووصف علي (عليه السلام) أيام السقيفة فقال: «فأتى رهط من أصحاب محمد (صلى الله عليه و آله) يعرضون عليَّ النصرة ، منهم خالد وأبان ابنا سـعيد بن العاص ، والمقداد بن الأسود الكندي ، وأبو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسـر ، وسـلمان الفارسـي ، والزبير بن العوام ، وأبو سفيان بن حرب ، والبراء بن مالك الأنصاري . فقلت لهم: إن عندي من نبي الله العهد وله الوصية ، وليس لي أن أخالفه ، ولست أجاوز أمره وما أخذه علي لله ! لو خزموا أنفي لأقررت سمعاً وطاعة لله عز وجل .

فبينا أنا على ذلك إذ قيل: قد انثال الناس على أبي بكر وأجفلوا عليه ليبايعوه ، وما ظننت أنه تخلف عن جيش أسامة ، إذ كان النبي (صلى الله عليه و آله) قـد أمَّره عليه وعلى صـاحبه ، وأمر أن يجهز جيش أسامـة ، فلمـا رأيته قـد تخلف وطمع في الأمـارة ، ورأيت انثيـال النـاس عليه أمسـكت يدي...فلبثت ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس ، رجعت عن الإسـلام وأظهرت ذلك ، يدعون إلى محو دين الله وتغيير ملة محمـد (صـلى الله عليه و آله) ! فخشـيت إن لـم أنصـر الإسـلام وقعدت ، أن أرى فيه ثلماً وهدماً تكون مصـيبته عليَّ أعظم من فوت ولاية أموركم ، التي إنما هي متاع أيام قلائل ، ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب ، وينقشع كما ينقشع السحاب .

ورأيت الناس قد امتنعوا بقعودي عن الخروج إليهم، فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فتألفته، ولولا أني فعلت ذلك لباد الإسلام !

ثم نهضت في تلك الأحداث حتى انزاح الباطل وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره المشركون». (المسترشد/411 , طبعة97، ودلائل الإمامة:1/83، من منشور من بضع صفحات كتبه (عليه السلام) ليقرأه المسلمون في بلادهم).

9. وعرض عليه أبو بكر وعلى إخوته أن يرسلهم ولاة على بلدان ، فرفضوا ، فقد روى في الإستيعاب:2/422:«قال خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد: أخبرني أبي أنّ أعمامه خالداً ، وأباناً ، وعمرا ، بني سعيد بن العاص رجعوا عن عمالتهم حين مات رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال أبو بكر: ما لكم رجعتم عن عمالتكم؟ ما أحد أحقُّ بالعمل من عمَّال رسول الله (صلى الله عليه و آله) إرجعوا إلى أعمالكم . فقالوا: نحن بنو أبى أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) أبداً . ثم مضوا إلى الشام (الى الجهاد) فقتلوا جميعاً . وكان خالد على اليمن ، وأبان على البحرين ، وعمرو على تيماء وخيبر وقرى عربية ، وكان الحكم يعلم الحكمة . ويقال: ما فتحت بالشام كورة إلا وجد فيها رجل من بنى سعيد بن العاص ميتاً . وكان سعيد بن سعيد بن العاص قد قتل مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) بالطائف». ونحوه الحاكم:3/249 مختصراً .

10. واستشار أبو بكر علياً (عليه السلام) في غزو الروم فشجعه ، وعين خالد بن سعيد قائداً عاماً لجيش الشام . ويظهر أنه عندما نهض علي (عليه السلام) لنصرة الإسلام ودفع هجوم القبائل على المدينة بعد ستين يوماً من وفاة النبي (صلى الله عليه و آله) ، كان معه خالد بن سعيد وإخوته ، ولا بد أن أدوارهم كانت مميزة كعادتهم ، وأن أبا بكر رأى

بطولتهم في رد هجوم أتباع طليحة ، ورآهم رفضوا الولاية ، فعرض على خالد قيادة جيش فتح الشام ، واستشار خالدٌ علياً (عليه السلام) فشجعه ، فكان أول لواء عقده أبو بكر لواء خالد ، وكان أول الأمراء الذين خرجوا إلى الشام ومعه سبعة آلاف ، ووصل الى ذي المروة ، وهو قرب تيماء على بعد أربعة أيام من المدينة .

وفي تاريخ اليعقوبي:2/133: «وأراد أبو بكر أن يغزو الروم ، فشاور جماعة من أصحاب رسول الله ، فقدموا وأخروا، فاستشار علي بن أبي طالب ، فأشار أن يفعل فقال: إن فعلت ظفرت . فقال: بُشِّرْتَ بخير ! فقام أبو بكر في الناس خطيباً وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم ، فسكت الناس ، فقام عمر فقال: لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً ، لانتدبتموه ! فقام عمرو بن سعيد فقال: لنا تضرب أمثال المنافقين يا ابن الخطاب ، فما يمنعك أنت ماعبت علينا فيه؟

فتكلم خالد بن سعيد وأسكت أخاه فقال: ما عندنا إلا الطاعة ! فجزَّاه أبو بكر خيراً ، ثم نادى في الناس بالخروج وأميرهم خالد بن سعيد ، وكان خالد من عمال رسول الله باليمن ، فقدم وقد توفي رسول الله (صلى الله عليه و آله) فامتنع عن البيعة ، ومال إلى بني هاشم، فلما عهد أبو بكر لخالد قال له عمر: أتولي خالداً وقد حبس عنك بيعته وقال لبني هاشم ما قد بلغك؟ فوالله ما أرى أن توجهه ! فحل لواءه ودعا يزيد بن أبي سفيان ، وأبا عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة، وعمرو بن العاص، فعقد لهم وقال: إذا اجتمعتم فأمير الناس أبو عبيدة».

وفي تاريخ الطبري:2/586 ، وشرح النهج:2/58:«واضطغنها عليه عمر ، فلما ولاه أبو بكر الجند الذي استنفر إلى الشام ، قال له عمر: أتولي خالداً وقد حبس عليك بيعته ، وقال لبني هاشم ما قال» !

وروى البلاذري(1/128) عن أبي مخنف: «لما عقد أبو بكر لخالد بن سعيد ، كره عمر ذلك، فكلم أبا بكر في عزله وقال: إنه رجل فخور يحمل أمره على المغالبة والتعصب . فعزله أبو بكر ووجه أبا أروى الدوسي لأخذ لوائه ، فلقيه بذى المروة فأخذ اللواء منه وورد به على أبى بكر ، فدفعه أبو بكر إلى يزيد بن أبي سفيان ، فسار به ومعاوية أخوه يحمله بين يديه . ويقال بل سلم إليه اللواء بذى المروة فمضى على جيش خالد وسار خالد بن سعيد محتسباً في جيش شرحبيل».

وفي تاريخ دمشق: 65/244: «عن ابن عمر قال: لما عقد أبو بكر الأمراء على الشام كنت في جيش خالد بن سعيد بن العاص ، فصلى بنا الصبح بذي المروة وهو على الجيوش كلها ، فوالله إنا لعنده إذ أتاه آت فقال قدم يزيد بن أبي سفيان ، فقال خالد بن سعيد: هذا عمل عمر بن الخطاب كلم أبا بكر في عزلي ، وولى يزيد بن أبي سفيان ! فقال ابن عمر: فأردت أن أتكلم ثم عزم لي على الصمت . قال: فتحولنا إلى يزيد بن أبي سفيان وصار خالد كرجل منهم . وقال محمد بن عمر (ابن عساكر): وهذا أثبت عندنا مما روي في عزل خالد وهو بالمدينة».

أقول: ذو المروة قرب أم القرى ، وتبعد عن المدينة مسير أربعة أيام وأكثر ، ومعناه أن خالداً بعد أن قطع بجيش الشام هذه المسافة وصله بريد أبي بكر ، وكان عبد الله بن عمر في جيشه ، فسلم الجيش الى يزيد بن أبي سفيان ، وعاد هو الى المدينة .

11. رجع خالد بن سعيد الى المدينة وعَتِبَ على أبي بكر ، فاعتذر منه واحترمه ، فقد روى ابن عساكر(16/81): «عن محمد بن إسحاق أن خالـد بن سـعيد لما بلغه قول أبي بكر ونزعه ، لبس ثيابه وتهيأ بأحسن هيئة ، ثم أقبل نحو أبي بكر وعنده المهاجرون والأنصار أجمع ماكانوا عنـده ، وقـد تهيأ الناس وأمروا بالنزول بالعسكر، فسـلم على أبي بكر ثم على المسـلمين ثم جلس ، فقال لأبي بكر: أما أنت قـد وليتني أمر المسـلمين وأنت غير مُتَّهِمٍ لي ورأيـك فيَّ حسن ، حتى خُوِّفْتَ أمراً (أي خوفه عمر أن ينقلب عليه) والله لأن أخِرَّ من رأس حالق وتخطفني الطير بين السماء والأرض أحب إلي من أن يكون مني.(كأن عمر اتهمه عمر بحركة انقلاب)!

والله مـا أنا في الإمارة براغب ، ولا أنا على البقاء في الـدنيا بحريص ، وإني لأشـهدكم أني وإخوتي ومن خرجنا في وجهنا به من عون أو قوة في سبيل الله نقاتل به المشركين أبداً حتى يهلكوا أو نموت ، لا نريد به سلطاناً ولا عرضاً من الدنيا . قال: فقال له الناس خيراً ودعوا له .

فقال أبو بكر: أعطاني الله في نفسـي الذي أحب لك ولإخوتك ، والله إني لأرجو أن تكون من فصـحاء الله في عباده، وإقامة كتابه واتباع سنة رسول الله.

قـال فخرج هو وإخوته وغلمـانه ومن اتبعه، وكان أول من عسـكر ، قال: ولما تهيأ الناس للخروج وترافق الناس وانضـمت المتطوعـة إلى من أحبت ، نزل خالد بن سعيد تحت لواء أبي عبيدة يسير معه ، قال فقال بعض الناس لخالد بن سعيد حين تهيأ للخروج مع أبي عبيدة: لو كنت خرجت مع ابن عمك يزيد بن أبي سفيان . فقال: ابن عمي أحب اليَّ من هذا لقرابته ، وهذا أحب إليَّ من ابن عمي

في دينه وقرابته . هـذا كان أخي على عهد رسول الله (صـلى الله عليه و آله) ووليي وناصـري قبل اليوم على ابن عمي ، فأنا به أشد استئناسـاً وإليه أشد طمأنينة .

فلما أراد أن يغدو سائراً إلى الشام لبس سـلاحه ، وأمر إخوته فلبسوا أسـلحتهم عمرو والحكم وغلمته ومواليه ، ثم أقبلوا من العسـكر إلى أبي بكر الصديق فصلـوا معه الغداة في مسـجد رسول الله (صـلى الله عليه و آله) فلما انصـرفوا قام إليه إخوته فجلسوا إليه فحمد الله خالد وأثنى عليه ثم قال: يا أبا بكر إن الله قد أكرمنا وإياك والمسـلمين طراً بهذا الدين ، فأحقُّ من أقام السـنة وأمات البدعة وعدل في السـيرة الوالي على الرعيـة . كل امرئ من هـذا الدين محقوق بالإحسان إلى إخوانه، ومَعْدَلَةُ الوالي أعم نفعاً، فاتق الله يا أبا بكر فيما ولاك الله من أمره ، وارحم الأرملـة واليتيم ، وأعن الضـعيف والمظلوم ، ولا ـ يكن رجل من المسـلمين إذا رضـيت عنه آثر في الحق عنـدك منه إذا سـخطت عليه ، ولا تغضب ما قدرت عليه فإن الغضب يجر الجور ، ولا تحقد وأنت تسـتطيع ، فإن حقدك على المسـلم يجعله لك عدواً ، فإن اطلع على ذلك منك عاداك ، فإذا عادت الرعية الراعي كان ذلك مما يكون إلى هلاكهم داعياً. ولِنْ للمحسن واشـتدَّ على المريب ، ولا تأخذك في الله لومة لائم .

ثم قال: هلم يدك يا أبا بكر أودعك ، فإني لا أدري هل تلقاني في الدنيا أبداً أم لا ، فإن قضى الله لنا الإلتقاء فنسأل الله لنا عفوه وغفرانه ، وإن كانت هي الفرقة التي ليس بعدها لقاء ، فعرفنا الله وإياك وجه النبي (صلى الله عليه و آله) في جنات النعيم .

ثم أخذ أبو بكر بيده وبكى وبكى المسـلمون ، وظنوا أنه يريد الشهادة ، فطال بكاؤهم ! قال: ثم إن أبا بكر قال له: إنتظرني حتى أمشي معك . قال: ما أريد أن تفعل . قال: لكني أنا أريد ذلك ، ومن أراده من المسلمين . وقام الناس معه مشيعين ، فما زال يمشي معه حتى كثر من يشيع خالداً .

قال: فما رأى الناس مشيعاً من المسلمين معه من الناس من الصالحين ، أكثر مما شيع خالد بن سعيد وإخوته يومئذ !

فلما خرج من المدينة قال له أبو بكر قد أنصـفت لك إذ أوصـيتني برشدي ، وقد وعيت وصـيتك ، فأنا مرضـيك فاسمع وصيتي: إنك امرؤ قد جعل الله لك شرفاً وسابقة في هذا الدين ، وفضيلة عظيمة في الإسلام ، والناس ناظرون إليك ومستمعون منك ، وقد خرجت في هذا الوجه ، وأنا أرجو أن يكون خروجك بنية صادقة ، فثبِّتِ العالم وعَلِّمِ الجاهل وعاتبِ السفيه المترف ، وانصح لعامة المسلمين ..ثم أخذ بيده فودعه ثم أخـذ بأيـدي إخوته بعـد ذلك فودعهم واحـداً واحـداً وودعهم المسـلمون ، ثم دعوا بإبلهم فركبوها ، وكانوا يمشون مع أبي بكر ثم قيدت خيلهم معهم بهيئـة حسـنة، فلمـا أدبروا قـال أبـو بكر: اللهم احفظهم من بين أيـديهم ومن خلفهم وعن أيمـانهم وعن شـمائلهم ، واحطط أوزارهم وأعظم أجورهم. ومضوا إلى العسـكر الأعظم..قال ابن إسحاق إن خالد بن سعيد خرج وهو بمرج الصُّفَّر في يوم مطير ليستمطر فيه فقتله أعلاج من الروم».

ص: 410

أقول: بهذا تعرف المكانة المميزة لخالد بن سعيد التي تجعله يعظ الخليفة أبا بكر فيسمع منه ، والتي لاتصل اليها مكانة خالد بن الوليد ، ولا عمرو العاص ، ولا ابن وقاص.. وأمثالهم .

ومن الطبيعي أن خالداً لو التحق بجيش يزيد بن أبي سفيان لكان له موقع القائد ، لأنه أكبر منه سناً ، وهو صحابي قديم ويزيد من مسلمة الفتح ، وهو القائد والوالي من قِبَل رسول الله (صلى الله عليه و آله) . وهو بعد ذلك ابن أبي أحيحة سعيد بن العاص ، الأعرق في قيادة بني أمية من أبي سفيان وأولاده .

ويظهر من كلام أبي بكر أنه كان يشعر بتأنيب الضمير لأنه أطاع عمر في عزله لكنه يريد كسب أبي سفيان الذي رفض بيعته حتى يعطيه مناصب لأولاده !

وقد وقع الإشتباه في هذه الرواية لأن الصحيح أن خالداً اختار الذهاب مع شرحبيل ، وليس مع أبي عبيدة . ويدل عليه توصية أبي بكر لشرحبيل به:

قال ابن سعد في الطبقات:4/98: «لما عزل أبو بكر خالد بن سعيد ، أوصى به شرحبيل بن حسنة ، وكان أحد الأمراء فقال: أنظر خالد بن سعيد فاعرف له من الحق عليك ، مثل ما كنت تحب أن يعرفه لك من الحق عليه ، لو خرج والياً عليك ، وقد عرفت مكانه من الإسلام ، وأن رسول الله (صلى الله عليه و آله) توفي وهو له والٍ ، وقد كنت وليته ثم رأيت عزله ، وعسى أن يكون ذلك خيراً له في دينه . ما أغبط أحداً بالأمارة ! وقد خيرته في أمراء الأجناد فاختارك على غيرك على ابن عمه ، فإذا نزل بك أمر تحتاج فيه إلى رأي التقي الناصح ، فليكن أول من تبدأ به أبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وليكن خالد بن سعيد ثالثاً ، فإنك واجد عندهم نصحاً وخيراً .وإياك واستبداد الرأي عنهم أو تطوي عنهم بعض الخبر.

قال محمد بن عمر: فقلت لموسى بن محمد: أرأيت قول أبي بكر: قد اختارك على غيرك؟ قال: أخبرني أبي أن خالد بن سعيد لما عزله أبو بكر كتب إليه أي الأمراء أحب إليك؟فقال: ابن عمي أحب إلي في قرابته وهذا أحب إلي في ديني، فإن هذا أخي في ديني على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) وناصري على ابن عمي، فاستحب أن يكون مع شرحبيل بن حسنة ».

أقول: شرحبيل صحابي عرف باسم أمه أو مربيته حسنة . واسم أبيه المطاع من قبيلة غوث من كندة ، ولد ونشأ في مكة وتحالف مع بني زهرة ، وأسلم وهاجر الى الحبشة ، وكان صديقاً لخالد بن سعيد يحترمه ويناصره ، ولذلك اختار خالد أن يكون معه ، فأعطاه شرحبيل قيادة الخيل، وهي عصب القوة المقاتلة في الجيش ، ولا بد أن تكون خطط معركة أجنادين والمعارك التي خاضها شرحبيل من فكر خالد ، ولذا قلنا إن ثقل معركة أجنادين كان على عاتق خالد .

ومما يلاحظ أن خالد بن سعيد ، وهاشم المرقال ، وحفيدي عبد المطلب ، كانوا مع شرحبيل ، وأنهم نهضوا بثقل معركة أجنادين التي هي تبوك الثانية ، والثأر لجعفر بن أبي طالب ، كما يأتي .

وبعد فتح الشام ، ولى أبو عبيدة شرحبيل بن حسنة على الأردن .

ففي الإستيعاب:2/794: «وولَّى أبو عبيدة حين فتح الشامات يزيد بن أبي سفيان على فلسطين ، وشرحبيل بن حسنة على الأردن ، وخالد بن الوليد على دمشق ، وحبيب بن مسلمة على حمص ».

لكن شرحبيل لم يكن يعجب عمر ، فعزله ! ولا سبب إلا علاقته الحسنة مع خالد بن سعيد ، وأبي ذر ، وبلال ، وبقية الصحابة الذين يميلون الى علي (عليه السلام) ،

ولم يشفع له أنه أبلى بلاء حسناً في معركة أجنادين ومرج الصُّفَّر واليرموك ، وغيرها من معارك فلسطين والشام والأردن !

قال الطبري:3/165: «وعزل شرحبيل ، واستعمل معاوية ، وأمَّر أبا عبيدة وخالداً تحته ! فقال له شرحبيل: أعن سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، إنك لكما أحب ، ولكن أريد رجلاً أقوى من رجل ! قال: نعم ، فاعذرني في الناس لا تدركني هِجنة ، فقام في الناس فقال: أيها الناس إني والله ما عزلت شرحبيل عن سخطة ، ولكني أردت رجلاً أقوى من رجل ».

وتوفي شرحبيل في طاعون عمواس وعمره 67سنة. (تاريخ دمشق:22/464).

12. ظلموا خالد بن سعيد لأنه شيعي ونسبوا بطولة معركة أجنادين الى غيره ! وتقع أجنادين قرب مدينة الخليل ، وقيل في وادي عَجُّور على بُعد 37 كيلو متراً عن الخليل، وثلاثين كيلو متراً عن الرملة. فهذه المنطقة بما فيها مؤتة ، كانت مركز قوات الروم المدافعة عن القدس .

وقد ذكرنا في السيرة النبوية عند أهل البيت (عليهم السلام) ، أن هرقل بعد انتصاره على كسرى حج ماشياً الى القدس ، وكان ينوي غزو المدينة المنورة ويجمع قوات العرب في الشام ودومة الجندل مقدمةً لقوات الروم ، فأراد النبي (صلى الله عليه و آله) أن ينقل المعركة الى بلاد الشام، فأرسل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في السنة الثامنة للهجرة بجيش من ثلاثة آلاف مقاتل ، فاشتبك مع قوات هرقل في مؤتة .

وكانت معركة مؤتة غير متكافئة، وقد استبسل جعفر بن أبي طالب ورفاقه قادة الجيش الإسلامي حتى استشهدوا وانسحب المسلمون ، لكنهم أوصلوا رسالة

بليغة الى هرقل، وتبعتها في السنة التالية غزوة تبوك بقيادة النبي نفسه (صلى الله عليه و آله) فكانت رسالة أبلغ ، فانسحب هرقل من تبوك الى حمص، وراسله النبي (صلى الله عليه و آله) فأجابه هرقل بجواب ليِّن ، ليتفادى المواجهة في تلك المرحلة .

ولم تقع مواجهة بين المسلمين والروم بعد تبوك إلا في أجنادين ، وقد انتصر فيها المسلمون وانهزم الروم ، وترتب عليها تحرير فلسطين .

وكان بطل أجنادين خالد بن سعيد ، فقد ثأر فيها لصديقه الحميم جعفر بن أبي طالب شهيد مؤتة ، فقد عاش معه خالد في الحبشة ، وعمل معه في دعوة الروم الى الإسلام ، وحمل رسالة النبي (صلى الله عليه و آله) الى هرقل .

قال ابن عساكر في تاريخ دمشق:16/66 : «عن سهل بن سعد الأنصاري قال: كانت وقعة أجنادين وقعة عظيمة . كانت بالشام وكانت في سنة ثلاث عشرة في جمادى الأولى ، فذكر بعض أمرها ، ثم ذكر إغاثة الروم لأهل دمشق حين حصارها ، قال: فتركوا مرج الصُّفَّر فصمد المسلمون صَمْدهم...فلما نظر إليهم خالد عبأ لهم كتعبئة يوم أجنادين ، فجعل على ميمنته معاذ بن جبل ، وعلى ميسرته هاشم بن عتبة ، وعلى الخيل سعيد بن زيد بن نفيل ، وترك أبا عبيدة في الرجال ». وتقدم أن ابن عساكر صحح سعيد بن زيد بخالد بن سعيد .

قال البلاذري:1/135 :«ثم كانت وقعة أجنادين وشهدها من الروم زهاء مئة ألف سرَّب هرقل أكثرهم،وتجمع باقوهم من النواحي وهرقل يومئذ مقيم بحمص».

وفي فتوح الواقدي:1/48 : «ورد علينا عباد بن سعد الحضرمي، وكان قد بعثه شرحبيل بن حسنة...من بصرى يُعلم خالداً بمسير الروم اليه من أجنادين في تسعين ألف فارس.. وكان القادة أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) متفرقين في سوريا والأردن وفلسطين ، فكتب لهم أبو عبيدة أن يسيروا بقواتهم الى أجنادين ، وأمر الناس بالرحيل فرفعت القباب والهوادج على ظهور الجمال ، وساقوا الغنائم والأموال ». وهذا يدل على أن جيش شرحبيل كان أقرب الى جيش الروم .

«واجتمعت الروم بأجنادين ، وعليهم تذارق أخو هرقل لأبويه ، وقيل كان على الروم القبقلار » . (الكامل:2/417) .

وفي فتوح البلاذري:1/135 : «ثم كانت وقعة أجنادين.. ثم إن الله هزم أعداءه ومزقهم كل ممزق وقتل منهم خلق كثير . واستشهد يومئذ عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وأخوه أبان بن سعيد وذلك الثبت ، ويقال بل توفى أبان في سنة تسع وعشرين . وطُلَيْب بن عمير بن وهب بن عبد بن قصي، بارزه علج فضربه ضربة أبانت يده اليمنى فسقط سيفه مع كفه ، ثم غشيه الروم فقتلوه . وأمه أروى بنت عبد المطلب عمة رسول الله (صلى الله عليه و آله) وكان يكنى أبا عدى . وسلمة بن هشام بن المغيرة ، ويقال إنه قتل بمرج الصُّفَّر . وعكرمة بن أبي جهل بن هشام المخزومي . وهبَّار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي ، ويقال بل قتل يوم مؤتة . ونعيم بن عبد الله النحام العدوى ، ويقال قتل يوم اليرموك . وهشام بن العاص بن وائل السهمي، ويقال قتل يوم اليرموك . وعمر بن الطفيل بن عمرو الدوسي ، ويقال قتل يوم

اليرموك . وجندب بن عمرو الدوسـي . وسعيد بن الحارث . والحارث بن الحارث . والحجاج بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي..وقتل سعيـد بن الحارث بن قيس يوم اليرموك ، وقتل تميم بن الحارث يوم أجنادين ، وقتل عبيـد الله بن عبـد الأسد أخوه يوم اليرموك . قال: وقتل الحارث بن هشام بن المغيرة يوم أجنادين . قالوا: ولما انتهى خبر هذه الوقعة إلى هرقل ، نَخَبَ (صار خالياً) قلبه ، وسـقط في يده وملئ رعباً ، فهرب من حمص إلى أنطاكية ».

وفي الوافي:13/153 : «ولم يزل به عُمر حتى عزله ، واعتـذر إليه(أبو بكر) ثم أوصـى به الأـمراء ، وأبلى في حروب الشام بلاءً حسـناً ، وقُتل خالد بمرج الصُّفَّر، وقيل بأجنادين ، وقيل باليرموك ، وقال وهو يقاتل أعلاج الروم:

هل فارسٌ كرهَ النِّزالَ يُعيرُني *** رمحاً إذا نزلوا بمرج الصُّفَّر ».

والصحيح أنه لم يقتل في هذه المعارك ولا في اليرموك ، وأنهم قتلوه بعد ذلك .

قال ابن عساكر في تاريـخ دمشق:16/86 : «خالـد بن سـعيد بن العاص بن أمية قتل بأجنادين.. وذكر سـيف بن عمر في الفتوح أن خالد بن سعيد شـهد اليرموك ، وأنه لم يقتل بمرج الصُّفَّر ، وذكر أبو حسان الزيادي أن خالد بن سـعيد يكنى أبا سـعيد، وأنه قتل وهو ابن خمسـين أو أكثر ، وكان وسيماً جميلاً». وسيأتي خبر قتله .

وفي شرح النهج:2/59: «ثم إنه بايع أبا بكر ، وبلغت أبا بكر فلم يحفل بها ، واضـطغنها عليه عمر ، فلما ولاه أبو بكر الجند الذي استنفر إلى الشام قال له عمر: أتولى خالـدا وقـد حبس عليك بيعته ، وقال لبني هاشم ما قال ! وقد جاء بورق من اليمن وعبيد وحبشان ، ودروع ورماح ! ما أرى أن توليه وما آمن

خلافه . فانصرف عنه أبو بكر ، وولى أبا عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنه ».

13. ونسبوا قيادة معركة أجنادين الى خالد بن الوليد لأنهم يحبون أباه الوليد ! بينما كانت القيادة مشتركة بين القادة الأربعة ، كل واحد منهم على جيشه . وكانت عمدة الإشتباك مع العدو لجيش شرحبيل بقيادة خالد بن سعيد .

قال خليفة في تاريخه/79: «قال ابن إسحاق: ثم ساروا جميعاً قِبَل فلسطين ، فالتقوا بأجنادين بين الرملة وبين بيت جبريل ، والأمراء كلٌّ على جنده . ويزعم بعض الناس أن عمرو بن العاص كان عليهم جميعاً . وعلى الروم القنقلار ، فقتل القنقلار . وهزم الله المشركين ».

وقال ابن عبد البر في الإستيعاب:1/64 : «كانت وقعة أجنادين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة في خلافة أبى بكر الصديق قبل وفاة أبي بكر بدون شهر . ووقعة مرج الصُّفَّر في صدر خلافة عمر سنة أربع عشرة. وكان الأمير يوم مرج الصُّفَّر خالد بن الوليد ، وكان بأجنادين أمراء أربعة: أبو عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص ، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، كلٌّ على جنده . وقيل إن عمرو بن العاص كان عليهم يومئذ ».

أقول: الأمر الطبيعي أن يكون كل قائد على جنده ، لأن خالداً جاء من العراق بخمس مئة نفر وقيل ست مئة وقيل ثمان مئة ، وكان جيش شرحبيل سبعة آلاف ، وفيه أهل مكة وقدامى الصحابة ، ومنه أكثر شهداء أجنادين، وجيوش القادة الثلاثة الآخرين شبيهة به ، ولم يعط أحدٌ منهم جيشه لابن الوليد ، لكن الرواة يكذبون

لمصـلحته، لأن قريشاً مسكونة بحبه لأنه ابن زعيمها الوليد بن المغيرة ، فهي تحبه وتحترم أولاده ، وتغض النظر عن وصف الله تعالى له بأنه عُتُلٌّ زنيم !

لاحظ روايـة ابن عساكر في تاريـخ دمشق:2/113، و81: «وأرسـل أبو بكر إلى خالـد بن الوليـد وهو بالعراق وقـد فتـح الله عليه القادسـية وجلولاء ، فكتب له أن انصـرف بثلاثـة آلاف فارس فأمـد إخوانك بالشام والعجل العجل . قال: فنزل خالـد على شـرحبيل ويزيـد وعمرو فاجتمع هؤلاء الأمراء الأربعة ...

فأقبل خالد مغذاً جواداً فاشـتق الأرض بمن معه حتى خرج إلى ضـمير ، فوجد المسلمين معسكرين بالجابية . وتسامع الأعراب الذين كانوا في مملكـة الروم بخالـد ففزعوا له..فنزل خالـد على شـرحبيل بن حسـنة ويزيـد وعمرو ، فـاجتمع هؤلاء الأربعـة أمراء ، وسارت الروم من أنطاكيـة وحلب وقنسـرين وحمص وما دون ذلك . وخرج هرقل كراهيـة لمسـيرهم متوجهاً نحو الروم ، وسار باهان الرومي ابن الرومية إلى الناس بمن كان معه».

فقد بلغ الأمر في الراوي أنه من حبه الأعمى لخالد نسيَ أنه جاء من العراق قبل أن تقع القادسية وجلولاء بسنتين !

ونسي أن جيش خالد كان بضع مئات فقط ، قال البلاذري:1/130 : «لما أتى خالـد بن الوليد كتاب أبى بكر وهو بالحيرة ، خلف المثنى بن حارثة الشيباني على ناحية الكوفة وسار في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمان مئة ، ويقال في ست مئة ، ويقال في خمس مئة ».

ص: 418

ثم نسـي رواة السـلطة أن عمر بن الخطاب عزل خالـد بن الوليـد في أول يوم تولى فيه الخلافة بعد أبي بكر، وكان ذلك بعد معركة أجنادين ، وقبل فتح دمشق ! فتراهم يتحدثون عن خالد على أنه قائد الجيش وقائد المعارك بعد عزله !

ويظهر أنهم أخذوا من أخبار خالد بن سعيد في معركة أجنادين ومعركة فِحْل ومرج الصُّفَّر وفتح دمشق ، ونسبوها الى خالد بن الوليد !

والقاعدة لمعرفة ذلك ، أنهم إذا نسـبوا اليه أنه برز لأحد أو كان في الصف المشـتبك مع العدو ، فهذه صـفات خالد بن سـعيد ، أما خالد بن الوليـد فهو وعمرو العاص كما وصـفه علي (عليه السـلام) : «فإذا كان عند البأس فزاجر وآمر ، ما لم تأخذ السـيوف مآخذها من الهام . فإذا كان ذلك فأكبر مكيدته أن يُمَرْقط ويمنح إسته ، قبحه الله وترَّحَه » .(الغارات للثقفي:1/513).

وتظهر لك الحقيقـة من اعترافهم بأن خالـد بن الوليـد كان في آخر جيش المسـلمين ، بعيـداً عن المعركـة ! بينما كان خالـد بن سـعيد قائداً مقتحماً .

قال في تاريخ دمشق:16/84 : «حـدثني إسـحاق بن بشـر قال: فبينا المسـلمون قد طمعوا في فتح المدينة ، إذ قيل لخالد هذا جيش قد أقبل مـدداً لدمشق من ملك الروم بأنطاكية ، فنادى خالد في الناس أن انصـرفوا عن هذه المدينة إلى المدد الذي قد جاء من عند صاحب الروم ، وعبأ خالـد الناس فسـيروا الأثقال والنساء ، ثـم جعل يزيد بن أبي سـفيان أمامهم بينهم وبين العدو ، وصار خالد وأبو عبيدة من وراء الناس ، ثم رجعوا نحو الجيش وذلك الجيش خمسون ألفاً ، فلما نظر إليهم خالد بن الوليد نزل فعبأ أصحابه تعبئة القتال على تعبئة أجنادين

ثم زحف إليهم فوقف خالـد بن سـعيد في مقدمـة النـاس يحرض النـاس على القتال ويرغبهـم في الشـهادة فحملت عليه طائفـة من العـدو فقاتلهم واستشـهد (رحمة الله) . ومنهم من قال لم يستشـهد خالد بن سعيد في هذا الموضع ، ولكنه قتل بمرج الصُّفَّر ، وذلك أنه خرج في يوم مطير يستمطر فتفاوت عليه أعلاج من الروم فقتلوه ».

ومعنى قول الرواية إن خالد بن سعيد كان في مقدمة الناس ، وهو قائد خيل شرحبيل بن حسنة ، يكشف لك أن ثقل المعركة كان عليه .

بينما كان ابن الوليـد من وراء الناس، والناس هنا ثلاثون ألفاً، أو خمسون ألفاً كما قالوا، فكيف يقاتل خالـد أو أبو عبيدة جيش الروم من وراء الألوف؟!

ثم انظر الى الروايـة التي تبناها ابن الأعثم وفيها قيادة خالد لمعركة أجنادين ! فقد وصف ترتيبه للمعركة ، ولم يصف قتاله فيها ، ثم كتب عن لسانه رسالة الى أبي بكر يخبره عن مجرى الحرب ويبارك له النصر .

قال ابن الأعثم:1/115 : «ذكر وقعـة أجنادين ، وهي أول وقعـة لخالـد بن الوليد مع الروم . قال: فأصـبح خالد يوم السـبت يعبي أصـحابه ، فجعل على ميمنته معاذ بن جبل ، وعلى ميسـرته سـعيد بن عامر بن جذيم ، وعلى جناح الميمنة يزيد بن أبي سـفيان ، وشرحبيل بن حسنة على جناح الميسرة ، وخالد بن سعيد بن العاص على الكمين ، ثم جعل خالد بن الوليد نساء المسلمين من وراء الصفوف وأمرهن فاحتزمن وتشمرن وأخذن في أيديهن الحجارة ، وجعلن يدعون الله ويستنصرنه على أعداء المسلمين . قال: وجعل خالد بن الوليد لا يقر

بمكان واحـد ، ولكنه يقف على كتيبـة كتيبة من المسـلمين ويقول: إتقوا الله عباد الله ، وقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تنكصوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسـرين، ولا تهنوا ولا تجبنوا عن عـدوكم، ولكن إقداماً كإقدام الأسد الضارية فإنكم أحرار كرام ، وارفضوا عنكم هذه الدنيا واطلبوا ثواب الآخرة ، وأنتم الأعلون والله معكم . وبعـد فإنكم إن هزمتم هؤلاء القوم كانت لكم هذه البلاد داراً للإسـلام ما بقيتم أبداً ، مع رضوان الله والجنة .

قال: ودنت الروم من المسـلمين بخيلها ورجلها في الآلة والسلاح الشاك ، وقد تعبَّوا ميمنةً وميسرةً وقلباً وجناحاً ، وبين أيديهم يومئذ بطريق من بطارقة الروم يقال له قلفط ، عليه ديباجة منسوجة وعلى رأسه تاج من ذهب ، وتحته فرس أدهم مغرق السرج واللجام بالذهب .

قال:فقال أبو عبيدة بن الجراح: كبروا أيها المسـلمون تكبيرة واحدة ، فإن الله عز وجل مهلكهم ومبدد شـملهم ، قال: فكبر المسلمون وألقى الله الرعب في قلوب الكفار . قال: وهمَّ المسلمون بالحملة عليهم ، فقال خالد: لا تعجلوا حتى أحمل أنا، فإذا رأيتموني قد حملت فاحملوا . قال: فوقف المسـلمون وجعلت سـهام الروم تقع على عسكر المسلمين كالمطر ، فصاح رجل من المسلمين بخالد بن الوليد: أيها الأمير ! لماذا قـد نصـبتنا لهؤلاء الأعلاج هدفاً يرموننا بنشابهم حتى قد جرحوا منا جماعة ! فقال له خالد: ويحك ! إنما أنتظر الوقت الذي كان النبي (صلى الله عليه و آله) يحارب فيه فإنه وقت مبارك .

قال:فوقف المسلمون لا يزول واحد منهم من موضعه والسهام تعمل في ذلك عملها، فقتل يومئذ بالسهام أبان بن سعيد بن العاص رحمة الله عليه ، وقتل أيضاً هشام بن العاص، وسلمة بن هشام المخزومي ، ونعيم بن صخر العدوي، وهبار بن سفيان الأزدي ، وعبد الله بن عمر الدوسي ، فعندها ضج المسلمون إلى خالد وأمروه بالحملة ، فعندها قال خالد: إحملوا ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم كبر وحمل وحمل المسلمون معه ، وانكشفت الروم من بين أيديهم وأخذتهم السيوف ، فقتل منهم في المعركة ألف وسبع مائة رجل ، وقتل صاحبهم قلفط ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ، ومر القوم منهزمين على وجوههم حتى تفرقوا في الحصون . واحتوى المسلمون على غنائم الروم فجمعوها ، وقدم خالد من أسر منهم وهم يزيدون على ثمان مائة رجل ، فضرب أعناقهم صبراً ، وما أبقى على واحد منهم».

وأضاف ابن الأعثم: «ذِكْرُ كتاب خالد بن الوليد إلى أبي بكر رضي الله عنه بخبر وقعة أجنادين: بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله بن عثمان خليفة رسول الله (صلى الله عليه و آله) من خالد بن الوليد سيف الله المصبوب على أعداء الله المشركين . سلام عليك ! أما بعد فإني أخبرك أيها الصديق ، أنا لقينا المشركين بموضع من أرض الشام يقال له أجنادين ، وقد جمعوا لنا جموعهم ورفعوا صلبانهم ونشروا أناجيلهم، وتقاسموا بأيمانهم أنهم لايفرون ولا يبرحون ولا ينصرفون ، حتى يقتلونا ويبيدونا ويخرجونا من بلادهم ، فلقيناهم ونحن بالله واثقون وبحبله معتصمون وعليه متكلون ، فطاعناهم بالرماح وكافحناهم بالصفاح ،

وأرميناهم بالسهام ، وأذقناهم حر الحمام، فلم نزل كذلك حتى أعز الله عز وجل نصرة الإسلام وأظهر أمره وأنجز وعده وأفلح جنده وهزم الكافرين وحده ، فقتلنا في كل واد وحجر ، وتحت كل شجر ومدر ، فاحمد الله عز وجل يا خليفة رسول الله على إعزاز دينه وأوليائه ، وإذلال أعدائه ، وحسن صنعه بالمسلمين ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . قال: فلما قرأ أبو بكر الكتاب الذي لخالد بن الوليد ، تهلل لذلك وجهه فرحاً وفرح فرحاً شديداً وسُرَّ سروراً ظاهراً ، ثم رمى بالكتاب إلى عمر بن الخطاب ، فلما قرأ الكتاب قَطَّبَ حاجبه وعبس وجهه ، ثم قال: قبح الله صلف خالد وتيهه وعجبه بنفسه ! يكتب إليك: من خالد بن الوليد سيف الله المصبوب على أعدائه . إن سيف الله هو الذي وضعه بذلك الموضع .

قال: فسكت أبو بكر هنيهة ثم قال: أبا حفص ! الحمد لله على نصر المسلمين فقرت بذلك عيوننا ، فقال عمر: نعم فالحمد لله على ذلك ، ولكن لا يجب أن يتسمى بسيف الله . قال: ثم كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد كتاباً لطيفاً يشكره على فعله بالمشركين ويبشره بثواب الله عز وجل ، ويبشر من معه من المسلمين ، ويقوي عزمهم ، ويأمرهم بالشكر لله عز وجل وذكره كثيراً ».

أقول: لاحظ أن خالداً جاء من العراق ببضع مئات ، وتدعي الرواية أن الجميع سلموه جيوشهم ، فقادهم ووزع عليهم المسؤوليات ، ورتب المعركة ، وحقق النصر ، وكتب رسالة الى الخليفة بصفته قائد الجميع .

ص: 423

وأنه وجه المسلمين ووعظهم ، وفيهم كبار الصحابة كأبي ذر وخالد بن سعيد الذي تقدمت موعظته للخليفة أبي بكر عندما خرج لوداعه في المدينة .

وذكرت الرواية أن ابن الوليد ترك المسلمين تحت السهام حتى يحين الزوال ، فقتل منهم عدد من الصحابة ، ثم أمرهم بالحملة. ولم تذكر أنه أمرهم بالصلاة !

كما حذفت الرواية من المعركة المبارزة ، وقد روت المصادر أن المعركة بدأت بمبارزة البطريق الفارس ، الذي قتله الصحابي ابن عم النبي (صلى الله عليه و آله) وهو عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب رضي الله عنهم .

كما جعلت الرواية المعركة حملة واحدة قتل فيها قائد الروم قلفط ، وألفٌ وسبع مئة منهم ، فانهزموا ، وأسر المسلمون منهم ثمان مئة فذبحهم خالد ، ولم يستعملهم ورقة تفاوض لمصلحة المسلمين .

ثم أورد ابن الأعثم نص رسالة خالد الى أبي بكر ، وذكر أنه بدأ فيها باسمه قبل إسم الخليفة ، والرسالة الموجودة بالعكس ، وذكر أن خالداً أعطى لنفسه لقب سيف الله ، وأن عمر رد هذا اللقب ، مما يكشف كذب قولهم إن النبي (صلى الله عليه و آله) لقبه به وإلا لما رده عمر أو لأجابه أبو بكر بأن النبي (صلى الله عليه و آله) لقبه به فكيف ترده .

الى غير ذلك من الملاحظات .

14. وجاء عمرو بن العاص، فنسب الى نفسه قيادة معركة أجنادين وبطولتها ! قال ابن كثير في النهاية:7/63: «كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بالمسير إلى إيليا ومناجزة صاحبها،فاجتاز في طريقه عند الرملة بطائفة من الروم، فكانت وقعة أجنادين، وذلك أنه سار بجيشه وعلى ميمنته ابنه عبد الله بن عمرو

وعلى ميسرته جنادة بن تميم المالكي، من بني مالك بن كنانة ، ومعه شرحبيل بن حسنة ، واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمي، فلما وصل إلى الرملة وجد عندها جمعاً من الروم عليهم الأرطبون ، وكان أدهى الروم وأبعدها غوراً وأنكأها فعلاً ، وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيماً وبايلياء جنداً عظيماً ، فكتب عمرو إلى عمر بالخبر . فلما جاءه كتاب عمرو قال: قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب ، فانظروا عما تنفرج ! وبعث عمرو بن العاص علقمة بن حكيم الفراسي ، ومسروق بن بلال العكي على قتال أهل إيليا ، وأبا أيوب المالكي إلى الرملة ، وعليها التذارق ، فكانوا بإزائهم ليشغلوهم عن عمرو بن العاص وجيشه ، وجعل عمرو كلما قدم عليه إمداد من جهة عمر يبعث منهم طائفة إلى هؤلاء وطائفة إلى هؤلاء .

وأقام عمرو على أجنادين لايقدر من الأرطبون على سقطة ، ولا تشفيه الرسل فوليه بنفسه ، فدخل عليه كأنه رسول ، فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حضرته (مجلسه) حتى عرف ما أراد ، وقال الأرطبون في نفسه: والله إن هذا لعمرو أو أنه الذي يأخذ عمرو برأيه ، وما كنت لأطيب القوم بأمر هو أعظم من قتله . فدعا حرسياً فسارَّه فأمره بفتكه فقال: إذهب فقم في مكان كذا وكذا ، فإذا مرَّ بك فاقتله ، ففطن عمرو بن العاص، فقال للأرطبون: أيها الأمير إني قد سمعت كلامك وسمعت كلامي، وإني واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لنكون مع هذا الوالي لنشهد أموره، وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت. فقال الأرطبون: نعم ! فاذهب فأتني بهم ، ودعا رجلاً فسارَّه

فقال: إذهب إلى فلان فرُدَّه . وقام عمرو فـذهب إلى جيشه ثم تحقق الأرطبون أنه عمرو بن العاص ، فقال: خدعني الرجل ، هذا والله أدهى العرب . وبلغت عمر بن الخطاب فقال: لله در عمرو !

ثم نـاهضه عمرو فاقتتلوا بأجنادين قتالاً عظيماً كقتال اليرموك ، حتى كثرت القتلى بينهم ، ثم اجتمعت بقيـة الجيوش إلى عمرو بن العاص ، وذلك حين أعياهم صاحب إيليا وتحصن منهم بالبلـد وكثر جيشه ، فكتب الأرطبون إلى عمرو بأنك صديقي ونظيري ، أنت في قومك مثلي في قومي ، والله لا تفتـح من فلسـطين شـيئاً بعـد أجنادين ، فارجع ولا تُغَرّ فتلقى مثل ما لقي الـذين قبلك من الهزيمـة ، فدعا عمرو رجلاً يتكلم بالرومية فبعثه إلى أرطبون وقال إسـمع ما يقول لك ثم ارجع فأخبرني . وكتب إليه معه: جاءني كتابك وأنت نظيري ومثلي في قومك ، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي وقد علمت أني صاحب فتح هذه البلاد ، واقرأ كتابي هذا بمحضر من أصحابك ووزرائك . فلما وصله الكتـاب جمع وزراءه وقرأ عليهم الكتاب ، فقالوا للأرطبون: من أين علمت أنه ليس بصاحب فتـح هـذه البلاد ؟ فقال: صاحبها رجل إسـمه على ثلاثة أحرف !

فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره بما قال ، فكتب عمرو إلى عمر يسـتمده ويقول له: إني أعالج حرباً كؤداً صدوماً ، وبلاداً ادُّخِرت لك ، فرأيك . فلما وصل الكتاب إلى عمر علم أن عمراً لم يقل ذلك إلا لأمر علمه ، فعزم عمر على الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس » .

ص: 426

أقول: لاحظ أن الراوي يقول إن عمر أمر ابن العاص بفتح القدس ، فكانت أجنادين في طريقه ، كأنها معركة عابرة ، أو نزهة !

وقد نسي الراوي المحترم التاريخ ، فجعل معركة أجنادين بعد معركة اليرموك مع أنها قبلها بسنة وأشهر! وأهمل وجود جيش أبي عبيدة بن الجراح ، وجيش يزيد بن أبي سفيان ، وجنود خالد بن الوليد ، لكنه ذكر شرحبيل بن حسنة حتى لايفتضح، لأن الأبطال الذين قاتلوا وقطفوا النصر في أجنادين كانوا في جيش شرحبيل مثل قائد خيله خالد بن سعيد وإخوته ، وحفيدي عبد المطلب ، وقائد ميسرته هاشم المرقال ، وغيرهم .

ونلاحظ أن أرطبون عمرو يعرف المستقبل ، ويعرف إسم من يفتح القدس! وقد افترض الراوي وجود قوات رومية في القدس ، مع أن أقرب قواتهم اليها كانت في أجنادين ، ولم يكن في القدس قوة تذكر ، وبعد أجنادين هزم المسلمون الروم في مرج الصُّفَّر وفِحل ، ثم في اليرموك ، فأعلن هرقل انسحابه من سوريا وفلسطين ، وودعها ، وذهب من أنطاكية الى القسطنطينية . وبذلك تحررت سوريا وفلسطين ومصر من الروم نهائياً ، وتحررت القدس بلا ضربة سيف ، بل جاس المسلمون خلال ديار اليهود ، عملاء الروم ، كما وصف الله تعالى !

ثم انضم إمامهم ابن حبان الى الإمام ابن الأعثم والإمام ابن كثير ، في وصف بطولة عمرو العاص ، فقال في كتابه الثقات: 2/185: «ونزل عمرو بن العاص في قصره بغمر العربات ، ونزل الروم بثنية جلق بأعلى فلسطين في سبعين ألفاً ، عليهم تذارق أخو هرقل لأبيه وأمه ، فكتب عمرو بن العاص إلى أبى بكر يذكر له أمر الروم ويستمده ، فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد يأمره أن يمد أهل الشام فيمن معه

من أهل القوة ، ويستخلف على ضعفة الناس رجلاً منهم، فلما أتاه كتاب أبي بكر ، قال خالد: هذا عمل الأعيسر بن أم شملة ، يعنى عمر بن الخطاب ، حسدني أن يكون فتح العراق على يدي ، فسار خالد بأهل القوة من الناس ورد الضعفاء والنساء إلى المدينة ، وأمر عليهم عمير بن سعد الأنصاري ، واستخلف على من أسلم بالعراق من ربيعة وغيرهم المثنى بن حارثة الشيباني... واجتمع خالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان...ثم ساروا جميعاً إلى فلسطين مدداً لعمرو بن العاص وعمرو مقيم بالعربات من غور فلسطين ، وسمع الروم باجتماع المسلمين لعمرو بن العاص فانكشفوا عن جلق إلى أجنادين ، وأجنادين بلد بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين ، وسار المسلمون إلى أجنادين وكان الأمراء أربعة والناس أرباعاً إلا عمرو بن العاص كان يزعم أنه على جميعهم ».

أقول: كيف يثق الباحث بنصوص الفتوح وهو يرى هذه التناقضات في رواية معركة تحرير فلسطين ، بسبب التعصب لإثبات فضيلة لخالد بن الوليد ، أو لعمرو العاص ، وهما متنافسان مواليان للسلطة ، ويرى أحدهما يغمط حق الآخر ويهمل هو ، أو يخمل الراوي لمصلحته ، بطولة الأبطال وتضحيات المضحين ، ويصادر النصر من المسلمين ويكتبه لمن لم يضرب بسيف ولا رمح!

وكأن مهمة هذه المصادر أن تظلم الأبطال الأبرار ، وتصنع أبطالاً من ابن الوليد الذي تفرد بغارات القتل والنهب على العرب والفلاحين العُزَّل ، وأجاد فيهم الغدر والتكتيف والتقتيل ، وهرب من الفرس والروم !

ص: 428

وتصـنع الأسطورة من عمرو العاص ، الذي لا يجيد إلا الحيلة والمكيدة ، وقد شهد فيه الصادق الأمين علي (عليه السلام) فقال: «فإذا كان عنـد البأس فزاجر وآمر ، ما لم تأخـذ السـيوف مآخذها من الهام . فإذا كان ذلك فأكبر مكيدته أن يُمَرْقط ويمنح إسـته ، قبحه الله وترَّحَه » . (الغارات للثقفي:1/513).

وقد كشفنا في ترجم عمرو زيف عدد من ادعاءاته وادعاءات الرواة له .

قال الطبري:2/610: «وسار عمرو بن العاص حين سـمع بأبي عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، ويزيد بن أبي سفيان ، حتى لقيهم ، فاجتمعوا بأجنادين حتى عسكروا عليهم » .

وفي تاريخ دمشق: 2/66: «وكان جنـد عمرو الـذين خرجوا معه من المدينة ثلاثة آلاف ، فيهم ناس كثير من المهاجرين والأنصار ، وخرج أبو بكر الصديق يمشي إلى جنب راحلة عمرو بن العاص وهو يوصيه ويقول: يا عمرو إتق الله في سر أمرك وعلانيته واستحيه، فإنه يراك ويرى عملك ، وقد رأيت تقديمي إياك على من هو أقدم سابقة منك ، ومن كان أعظم غناء عن الإسلام وأهله منك ، فكن من عمال الآخرة وأرد بما تعمل وجه الله ، وكن والداً لمن معك ولا تكشفن الناس عن أستارهم واكتف بعلانيتهم ، وكن مجداً في أمرك وأصدق اللقاء إذا لاقيت ، ولا تجبن وتقدم ».

أقول: لم يكن لعمرو وجنده دور يذكر في أجنادين ، فالذي اشـتبك مع الروم هو جيش شرحبيل . كما أن وصية أبي بكر له بأن يصدق اللقاء ولايجبن ، تشير الى عادة عمرو في اللجوء الى الحيل ، لا إلى الشجاعة !

ومن حيله اختراعه قصة «أرطبون» وأنه تنكَّر وذهب اليه ، وعرفوه فنجا بأعجوبة ، ثم كتب الى عمر بن الخطاب ، فشكره على ذلك !

وقد بحثنا أسطورة الأرطبون في ترجمة عمرو ، ومما يكشف زيفها أن وقعة أجنادين كانت في خلافة أبي بكر ، وليس في خلافة عمر !

15. واعترفوا بأنه كان القائد في معركة مرج الصُّفَّر مع وجود القادة الأربعة !

في تاريخ خليفة/120 : «قال ابن إسحاق: في هذه السنة وقعة مرج الصُّفَّر يوم الخميس لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، والأمير خالد بن سعيد . وحدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال: استشهد يوم مرج الصُّفَّر خالد بن سعيد بن العاص».

وقال الذهبي في تاريخه عن معركة مرج الصُّفَّر:3/84: « قال خليفة: كانت لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى، والأمير خالد بن سعيد . قال ابن إسحاق: وعلى المشركين يومئذ قلقط ، وقتل من المشركين مقتلة عظيمة ، وانهزموا ».

أقول: كانت مرج الصُّفَّر امتداداً لمعركة أجنادين ، وهي موضع بين دمشق والجولان ، وكان عدد الروم فيها شبيهاً بعددهم في أجنادين .

وإن تنازل القادة الأربعة ابن الجراح وابن أبي سفيان وابن العاص وشرحبيل ، عن قيادتهم للمعركة وتسليمها الى خالد بن سعيد ، يدل على أنهم رأوا منه في أجنادين من صحة الرأي والبطولة ما جعلهم يسلمون له القيادة في المعركة التالية ، التي كانت بعدها بنحو عشرين يوماً .

كما اعترف الرواة لخالد بأنه كان قائد الخيل في فتح الشام ، وفي معركة فِحل.

روى ابن عساكر: 16/66: «عن سـهل بن سـعد الأنصاري قال: كانت وقعة أجنادين وقعة عظيمة . كانت بالشام وكانت في سنة ثلاث عشرة في جمادى الأولى ، فذكر بعض أمرها ، ثم ذكر إغاثة الروم لأهل دمشق حين حصارها ، قال: فتركوا مرج الصُّفَّر فصمد المسلمون صَمْدهم ، وخرج إليهم أهل القوة من أهل دمشق، وصـحبهم ناس كثير من أهل حمص فالقوم نحو من خمسة عشر ألفاً فلما نظر إليهم خالد عبأ لهم كتعبئة يوم أجنادين ، فجعل على ميمنته معاذ بن جبل وعلى ميسـرته هاشم بن عتبة، وعلى الخيل سعيد بن زيد بن نفيل ، وترك أبا عبيدة في الرجـال ، وزحف إليهم فـذهب خالـد فوقف في أول الصف يريـد أن يحرض النـاس ، ثم نظر إلى الصف من أوله إلى آخره ، فحملت لهم خيل على خالد بن سعيد بن زيد وكان واقفاً في جماعة من المسلمين في ميمنة الناس يحرض الناس ويدعو الله عز وجل ثم ينقض عليهم ، فحملت طائفة منهم عليه فنازلهم فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل . كذا في الكتاب: ابن سعيد بن زيد ، وإنما هو خالد بن سعيد بن العاص ».

أقول: صـحح ابن عساكر إسم قائد الخيل في المعركة الى خالد بن سـعيد بن العاص . وقد جعله الراوي ابن سعيد بن زيد بن نفيل ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب ، وهو صاحب حـديث العشـرة المبشـرة في الجنة ، الذي كذبه علي (عليه السـلام) ، وروي أن سـعيداً هذا حضـر في بعض الفتوحات ، لكن لم يكن من قادة الفتح . وسبب وضع إسمه بدل إسم خالد ، ما يأتي من أمر خالد مع عمر .

وقال الذهبي في العبر: 1/17: «وكانت وقعة هائلة استشهد فيها جماعة».

ص: 431

16. كان عدد الروم في أجنادين نحو سبعين ألفاً والمسلمين نحو ثلاثين ألفاً ، قال الطبري:2/600: « ونزلت الروم بثَنِيَّة جُلّق بأعلى فلسطين ، في سبعين ألفاً ، عليهم تذارق أخو هرقل لأبيه وأمه » .

وفي تاريخ دمشق:16/84 : «وعبأ خالد الناس فسيَّروا الأثقال والنساء ، ثم جعل يزيد بن أبي سفيان أمامهم بينهم وبين العدو ، وصار خالد وأبو عبيدة من وراء الناس ثم رجعوا نحو الجيش ، وذلك الجيش خمسون ألفاً » .

وفي معجم البلدان:1/103: «وقالت العلماء بأخبار الفتوح: شهد يوم أجنادين مائة ألف من الروم ».

وفي فتوح الشام للواقدي:1/22 : «واغتم عمرو بن العاص لفقدهم اغتماماً شديداً فلما أصبح النهار أمر عمرو الناس بجمع الغنائم ، وأن يخرجوا إخوانهم من بين الروم وبني الأصفر ، فالتقطوهم مائة وثلاثين رجلاً ، ثم صلى عليهم عمرو بن العاص ومن معه من المسلمين ثم أمر بدفنهم . وكان مع عمرو بن العاص من المسلمين تسعة آلاف رجل . وأرسل عمرو إلى أبي بكر كتاباً.. إني وصلت إلى أرض فلسطين ، ولقينا عسكر الروم مع بطريق يقال له روماس في مائة ألف رجل ، فمنَّ الله علينا بالنصر وقتلنا منهم أحد عشر ألفاً ، وقتل من المسلمين مائة وثلاثون رجلاً » .

أقول: هذه الرواية تريد إثبات قيادة عمرو العاص للمعركة ، وكأنه لايوجد غيره ، وزعمت أن جنوده تسعة آلاف وهم ثلاثة آلاف .

ص: 432

وتبالغ كتب المغازي والفتوحات في أعداد المقاتلين والقتلى والأسرى ، وتقليل القتلى من المسلمين ، فيحتاج الباحث الى تخمين ذلك ، من مجموع الروايات .

وقد كان قادة فتح الشام أربعة: شرحبيل بن حسنة ، وأبو عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، ومع كل واحد منهم نحو سبعة آلاف ، وعمرو بن العاص ، ومعه ثلاثة آلاف . أما خالد بن الوليد فقد جاء من العراق بأقل من ألف .

ولو فرضنا التحاق عدة ألوف بهم ، فيكون المجموع نحو ثلاثين ألفاً .

أما جيش الروم ، فذكر الرواة أنه كان مئة ألف، وقد يكون خمسين أو سبعين ألفاً ، بقرينة أن هرقل استعمل هذا العدد في معاركه مع الفرس .

أما خسائر المسلمين ففي الإستيعاب:3/1083: «استشهد من المسلمين بأجنادين ثلاثة عشر رجلاً ، منهم عكرمة بن أبي جهل ، وهو ابن اثنتين وستين سنة ».

بينما قالت رواية البلاذري(1/141) في معركة مرج الصُّفَّر التي هي شبيهة بأجنادين أو أقل منها: «وجرح من المسلمين زهاء أربعة آلاف» .

ويصعب قبول أن عدد الشهداء ثلاثة عشر فقط ، وينبغي أن لايقل عن مئة شهيد ، حتى يتناسب مع الأربعة آلاف جريح .

ويجب أن نأخذ في الإعتبار أن قائد الروم قتل في المعركة ، وقتل القائد والقادة يُسرِّعُ في انهيار الجيش وحدوث الهزيمة .

ومما يدل على سرعة هزيمة الروم في أجنادين بسبب قتل القائد الملكي وبقية القادة ، أن الروم لم يقبلوا بهذه الهزيمة السريعة ، فأعادوا تنظيم قواتهم ، وفتحوا معركة مرج الصُّفَّر بين دمشق والجولان ، بعد أجنادين بعشرين يوماً .

17. افتتح معركة أجنادين حفيدان لعبد المطلب ، ثأراً لجعفر بن أبي طالب ، فقد كان الزبير أكبر أبناء عبد المطلب ، وكان وصي أبيه رضي الله عنهما ، وهو صاحب حلف الفضول لنصرة المظلوم وحفظ حرمة الكعبة ، وقد حضره النبي (صلى الله عليه و آله) قبل بعثته ، مدحه وأقره بعد بعثته ، وتوفي الزبير قبل بعثة النبي (صلى الله عليه و آله) .

وابنه عبدالله كان مسلماً ، وكان من الذين ثبتوا مع النبي (صلى الله عليه و آله) في حنين .

قال المفيد في الإرشاد:1/141 : «ومن ثبت معه من بني هاشم يومئذ وهم ثمانية أمير المؤمنين تاسعهم: العباس بن عبد المطلب عن يمين رسول الله (صلى الله عليه و آله) ، والفضل بن العباس بن عبد المطلب عن يساره، وأبو سفيان بن الحارث ممسك بسرجه عند ثفر بغلته. وأمير المؤمنين (عليه السلام) بين يديه بالسيف ، ونوفل بن الحارث، وربيعة بن الحارث ، و عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب حوله.وقد ولت الكافة مدبرين ».ونحوه تاريخ دمشق:41/15.

وذكرت مصادر المغازي أن عبد الله كان أول من برز يوم أجنادين فقد جاء بطريق مُعَلَّم ودعا إلى المبارزة ، وكانوا يعطون للفارس الشجاع درجة بطريق ، وكان مُعلماً أي عنده درجة في الفروسية ، فبرز إليه عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، فاختلفا ضربات ثم قتله عبد الله بن الزبير ، ولم يتعرّض لسلبه مع أنهم كانوا يحرصون على سلب هذا النوع من الفرسان ، وقد يختلفون على سلبه إذا اشترك في قتله أكثر من فارس ، لأنه يلبس قلنسوة مُذَهَّبة ، وحزاماً عريضاً مُذهباً ، يسمى مَنطقة .

ص: 434

لكن حفيد عبد المطلب رضـي الله عنهما أعرض عنه ، لأنه رأى بطلاً رومياً آخر جاء يطلب المبارزة فبرز إليه ، فتشاولا بالرمحين ، ثم صارا إلى السـيفين ، وكان الرومي مُدَرَّعاً ، فحمل عليه عبد الله فضربه على عاتقه ، وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب ! فشقت ضربته الدرع ، وأسـرع السـيف في منكب الرومي ، فولى منهزماً ، ثم سقط .وقيل لعبد الله كفاك هذا فلا تقاتل ! فقال: لا أجدني أصبر ، وحمل على الروم وقتل عدداً من فرسانهم . وبحث المسلمون عنه بعد المعركة فوجدوه مثخناً بالجراح ، في وجهه ثلاثون ضربة سيف ، وحوله عشرة من الروم مجندلين ، ووجدوا سيفه بيده لاصقاً ، فعالجوه حتى نزعوه بعد عناء .

وذكروا أن أمـه مخزوميـة ، ولـه عـدة أخـوات ولا ـعقب لـه رضـي اللـه عنـه وأرضـاه . (الإستيعـاب:3/904، والإصابـة:4/78، وتاريخ دمشق:8/138).

أما الحفيد الثاني لعبد المطلب ، الذي برز واستشـهد في أجنادين فهو: طُلَيب بن عمير بن وهب من بنى عبد بن قصي: «أمّه أروى بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . يكنى أبا عديّ . وعبد بن قصـيّ هو أخو عبد الدار بن قصـيّ ، وعبد مناف بن قصيّ ، وعبد العزى بن قصيّ بن كلاـب . هاجر طُليب بن عمير إلى أرض الحبشـة ثم شـهد بـدراً.. وكان من خيار الصـحابة. قال الزبير بن بكار: كان طليب بن عمير بن وهب من المهاجرين الأولين ، وشهد بدراً ، قتل بأجنادين شهيداً ، ليس له عقب . وقال مصعب: قتل يوم اليرموك ».(الإستيعاب:2/772).

وفي تاريخ دمشق:25/145: «عن بَرَّة بنت أبي تجراة ، قالت: عرض أبو جهل وعدة معه من كفار قريش للنبي (صـلى الله عليه و آله) فآذوه ، فعمد طُليب بن عمير إلى أبي جهل

فضربه ضربةً شجه ، فأخذوه فأوثقوه ، فقام دونه أبو لهب حتى خلاه ، فقيل لأروى: ألا ترين ابنك طليباً قد صيَّر نفسه غرضاً دون محمد !

فقالت: خير أيامه يوم يذب عن ابن خاله وقد جاء بالحق من عند الله تعالى .

فقالوا:ولقد اتبعت محمداً ؟ فقالت: نعم ، فخرج بعضهم إلى أبي لهب فأخبره فأقبل حتى دخل عليها، فقال: عجباً لك ولاتباعك محمداً ولتركك دين عبد المطلب ! فقالت: قد كان ذلك ، فقم دون ابن أخيك فاعضده وامنعه ، فإن يظهر أمره فأنت بالخيار أن تدخل معه ، أو تكون على دينك ، وإن تصب كنت قد أعذرت في ابن أخيك .

فقال أبو لهب: ولنا طاقة بالعرب قاطبة ، جاء بدين محدث ! ثم انصرف أبو لهب . قال محمد: وسمعت غير محمد بن عمر يذكر أن أروى قالت يومئذ:

إن طُليباً نصر ابن خالِه *** آساه في ذي دمه ومالِه ».

وقال البلاذري (1/135): «واستشهد يومئذ عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وأخوه أبان بن سعيد ، وذلك الثبت ، ويقال بل توفي أبان في سنة تسع وعشرين . وطُليب بن عمير بن وهب بن عبد بن قصي ، بارزه علج فضربه ضربة أبانت يده اليمنى ، فسقط سيفه مع كفه ، ثم غشيه الروم فقتلوه ». وذكروا أنه لم يعقب ، رضي الله عنه .

وذكر ابن عساكر (25/142) أن عمره عندما كان استشهد خمساً وثلاثين سنة .

«وقد انقرض جميع ولد عبد بن قصيّ وكان آخر من مات منهم رجل مات في أيام بنى العباس فورثه بالقعدد عبد الصمد بن على بن عبد الله بن العباس بن

عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى، وإسماعيل بن محمّد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطَّلب بن عبد مناف بن قصى ». (جمهرة أنساب العرب/128).

أقول: قلنا إن هذين الصحابيين كانا يطلبان من الروم دم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، لأن النبي (صلى الله عليه و آله) جعل دم جعفر هدفه في غزوة تبوك !

قال اليعقوبي في تاريخه:2 /67: « سار رسول الله (صلى الله عليه و آله) في جمع كثير إلى تبوك من أرض الشأم يطلب بدم جعفر بن أبي طالب (رحمة الله) ، ووجه إلى رؤساء القبائل والعشائر يستنفرهم ويرغبهم في الجهاد ، وحض رسول الله (صلى الله عليه و آله) أهل الغنى على النفقة ، فأنفقوا نفقات كثيرة ، وقووا الضعفاء » .

وفي تاريخ ابن خلدون: 2 ق1 /224: «وَجِّد النبي(حَزِنَ) على من قتل من المسلمين، ولا كوجده على جعفر بن أبي طالب ، لأنه كان تلاده ، ثم أمر بالناس في السنة التاسعة بعد الفتح وحنين والطائف أن يتهيؤا لغزو الروم، فكانت غزوة تبوك».

والمعنى أن حزنه (صلى الله عليه و آله) على جعفر كان عميقاً ، لأنه من ذخائره القديمة العزيزة .

18. وقاد خالد بن سعيد والمرقال ، معركة أجنادين ومَرْجَ الصُّفَّر وفِحل ونهضا بثقل معاركها ، وحققا النصر للمسلمين ، وكذا في محاصرة دمشق !

قال ابن عساكر في تاريخ دمشق:16/66 : «فلما نظر إليهم خالد (في مرج الصُّفَّر) عبَّأ لهم كتعبئة يوم أجنادين ، فجعل على ميمنته معاذ بن جبل ، وعلى ميسرته هاشم بن عتبة ، وعلى الخيل سعيد بن زيد بن نفيل(خالد بن سعيد) وترك أبا عبيدة في الرجال وزحف إليهم فذهب خالد فوقف في أول الصف يريد أن يحرض الناس ثم نظر إلى الصف من أوله إلى آخره ، فحملت لهم خيل على خالد بن

سعيد بن زيد ، وكان واقفاً في جماعة من المسلمين في ميمنة الناس يحرض الناس ويدعو الله عز وجل ، ثم ينقض عليهم ، فحملت طائفة منهم عليه فنازلهم فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل . كذا في الكتاب ابن سعيد بن زيد وإنما هو خالد بن سعيد بن العاص» .

وسعيد بن زيد بن نفيل هو ابن عم عمر ، ولم يذكر أحد أنه كان في هذه المعارك !

وقال ابن سعد في الطبقات:4/98: «حدثني عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال: شهد خالد بن سعيد فتح أجنادين وفحل ومرج الصُّفَّر » .

وفي تاريخ دمشق:16/84 : «وعبأ خالد الناس فسيروا الأثقال والنساء ثم جعل يزيد بن أبي سفيان أمامهم بينهم وبين العدو وصار خالد وأبو عبيدة من وراء الناس ثم رجعوا نحو الجيش وذلك الجيش خمسون ألفاً .

فلما نظر إليهم خالد بن الوليد نزل فعبأ أصحابه تعبئة القتال على تعبئة أجنادين ثم زحف إليهم فوقف خالد بن سعيد في مقدمة الناس يحرض الناس على القتال ويرغبهم في الشهادة، فحملت عليه طائفة من العدو فقتلته واستشهد (رحمة الله) ومنهم من قال لم يستشهد خالد بن سعيد في هذا الموضع ولكنه قتل بمرج الصُّفَّر وذلك أنه خرج في يوم مطير يستمطر (يجمع ماء المطر) فتفاوت عليه أعلاج من الروم فقتلوه » ! وسيأتي كثرة مكذوباتهم في سبب موته .

وقال البلاذري:1/141 : «ثم اجتمعت الروم جمعاً عظيماً ، وأمدهم هرقل بمدد . فلقيهم المسلمون بمرج الصُّفَّر وهم متوجهون إلى دمشق ، وذلك لهلال المحرم سنة أربع عشرة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى جرت الدماء في الماء وطحنت بها

الطاحونة ، وجرح من المسلمين زهاء أربعة آلاف . ثم ولى الكفرة منهزمين مفلولين لا يلوون على شئ ».

19. غَضِبَ عمر على خالد بن سعيد فعزله ثم قتله ، وانهالت عليه الإتهامات ! وقد بدأ توتر العلاقة بينه وبين عمر بن الخطاب ، عندما رجع خالد من اليمن وكان والياً للنبي (صلى الله عليه و آله) عليها ، فتفاجأ بخبر أن ثلاثة مهاجرين هم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة صفقوا على يد أبي بكر في السقيفة ، وأعلنوه خليفة ، وتجمهر حولهم الطلقاء وأخذوا يجبرون الناس على بيعته بالسيف !

قال الجوهري في كتابه السقيفة/48: «لا يمرون بأحد إلا خبطوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه ، شاء ذلك أو أبى» !

فاستنكر ذلك خالد لأن النبي (صلى الله عليه و آله) نصب علياً (عليه السلام) خليفة بعده ، فقام هؤلاء باستغلال فرصة انشغاله والمسلمين بجنازة النبي (صلى الله عليه و آله) ، وقاموا بهذه الفعلة !

فتشاور مع علي (عليه السلام) هو وأحد عشر من كبار المهاجرين والأنصار ، وقرروا أن يخطبوا في المسجد ، ويلزموا أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بإرجاع الحق الى أهله !

وكان «أول من قام خالد بن سعيد بن العاص بإدلاله ببني أمية فقال: يا أبا بكر إتق الله فقد علمت ما تقدم لعلي من رسول الله (صلى الله عليه و آله) ألا تعلم أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال لنا ونحن محتوشوه في يوم بني قريظة ، وقد أقبل على رجال منا ذوي قدر فقال: يامعشر المهاجرين والأنصار أوصيكم بوصية فاحفظوها ، وإني مؤد إليكم أمراً فاقبلوه ، ألا إن علياً أميركم من بعدي ، وخليفتي فيكم ، أوصاني بذلك ربي . وإنكم إن لم تحفظوا وصيتي فيه وتؤازروه وتنصروه ، اختلفتم في أحكامكم ، واضطرب عليكم أمر دينكم ، وولي عليكم الأمر شراركم ! ألا

وإن أهـل بيتي هم الوارثون أمري ، القـائمون بأمر أمتي ، اللهم فمن حفظ فيهم وصـيتي فاحشـره في زمرتي ، واجعل له من مرافقتي نصـيباً يـدرك به فوز الآـخرة . اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي ، فاحرمه الجنـة التي عرضـها السـماوات والأرض ! فقال له عمر بن الخطاب: أسـكت يا خالـد فلست من أهل المشورة ولا ممن يُرضـى بقوله . فقال خالد: بل أسـكت أنت يا ابن الخطاب ، فوالله إنك لتعلم أنك تنطق بغير لسانك، وتعتصم بغير أركانك ! والله إن قريشاً لتعلم أني أعلاها حسـباً ، وأقواها أدباً ، وأجملها ذكراً ، وأنك ألأمها حسباً ، وأقلها عدداً ، وأخملهـا ذكراً ، وأقلهـا من الله عز وجل ومن رسوله غنى . وإنك لجبان عنـد الحرب ، بخيل في الجـدب ، لیئم العنصـر ، ما لك في قريش مفخر ! قال: فأسكته خالد فجلس » !(الإحتجاج:1/104).

وبعـد ثلاثـة أيام جاء أهل السـقيفة الى المسـجد وقد هيؤوا قوات الطلقاء وبني أسـلم ، فوقف عمر وقال: «والله يا أصـحاب علي لئن ذهب منكم رجل يتكلم بالذي تكلم بالأمس لنأخذن الذي فيه عيناه ! فقام إليه خالد بن سـعيد بن العاص وقال: يا ابن صـهاك الحبشـية أبأسيافكم تهددوننا ، أم بجمعكم تفزعوننا، والله إن أسـيافنا أحد من أسيافكم ، وإنا لأكثر منكم وإن كنا قليلين ، لأن حجة الله فينا. والله لولا أني أعلم أن طاعـة الله ورسوله (صـلى الله عليه و آله) وطاعـة إمـامي أولى بي ، لشـهرت سـيفي وجاهـدتكم في الله إلى أن أبلي عـذري ! فقام أمير المـؤمنين (عليـه السـلام) وقـال: أجلس يـا خالـد ، فقـد عرف اللـه لـك مقامـك ، وشـكر لـك سـعيك . فجلس » . (الإحتجـاج:1/97، والخصال/461).

وروى الحاكم (3/250) وصـححه على شرط مسلم: «قدم بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه و آله) وتربص ببيعته شهرين يقول: قد أمرني رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثم لم يعزلني حتى

قبضه الله عز وجل ، وقد لقي علي بن أبي طالب وعثمان بن عبد مناف فقال: يا بنى عبد مناف ، طبتم نفساً عن أمركم يليه غيركم ! فنقلها عمر إلى أبي بكر ، فأما أبو بكر فلم يحملها عليه وأما عمر فحملها عليه . ثم بعث أبو بكر الجنود إلى الشام فكان أول من استعمل على ربع منها خالد بن سعيد ، فأخذ عمر يقول: أتؤمره وقد صنع ما صنع وقال ما قال ؟! فلم يزل بأبي بكر حتى عزله ، وأمَّر يزيد بن أبي سفيان ».

أقول: هذا التصرف من عمر رد فعل طبيعي على هجوم خالد الكاسح عليه ، فعمر لم يواجه كل عمره مثل موقف خالد بن سعيد ! بل إن تأمير أبي بكر لخالد على جيش الشام كان غير طبيعي، بعد إدانته الشديدة لعملهم في السقيفة !

وهنا يظهر الفرق بين شخصية أبي بكر وعمر ، فأبو بكر أوسع صدراً من عمر لمن خالفه ، ويستطيع إخفاء غيضه أكثر من عمر !

ولذلك اختلفا في بعض الأمور والأشخاص ، منهم المثنى بن حارثة الشيباني ، وخالد بن الوليد ، وخالد بن سعيد ، ولم يستطع عمر أن يفرض عليه رأيه في خالد بن الوليد ، بل وبخه أبو بكر .

قال ابن الجوزي في المنتظم:4/80: «كان عمر يحرض أبا بكر على عزله ، وأن يقيد منه ، فقال أبو بكر: مه يا عمر، ما هو بأول من أخطأ ، فارفع لسانك عن خالد ، ثم ودى مالكاً» .

أي كان يحرضه على أن يقتل خالداً قصاصاً بقتله مالك بن نويرة وأخذه زوجته ، فوبخه أبو بكر وأعطى دية مالك !

لكن عمر بقي مصراً على عزل خالد فكان أول مرسوم كتبه عندما صار خليفة عزل خالد ، لكنه لم يذكر أن السبب قتله لمالك بن نويرة ، بل صرح أن السبب كلام خالد في نفي أم عمر من بني مخزوم ، فقد كتب عمر الى أبي عبيدة: «إن أكذب خالد نفسه

فيما كان قاله فله عمله ، وإلا فانزع عمامته وشاطره ماله . فشاور خالد أخته فقالت:والله ما أراد ابن حنتمة إلا أن تكذب نفسك ثم ينزعك من عملك ، فلا تفعلن». (اليعقوبي:2/139).

لكن أبا بكر أطاع عمر في خالد بن سعيد فعزله ، والسبب أن ابن الوليد من الكوادر الخاصة لأبي بكر ، بينما غرضه من تأمير ابن سعيد أن يكسب بني أمية ، وهذا يحققه استبداله بأموي آخر مقبول عندهم ، فأمَّر بدله يزيد بن أبي سفيان .

20. وتكاد تطمئن بأن خالد بن سعيد مات مقتولاً بمؤامرة وليس بيد الروم ! وذلك لكثرة الروايات وتناقضها في مكان قتله وسببه ! فقيل إنه قتل في معركة أجنادين ، وقيل في معركة مرج الصفر ، وقيل في معركة فحل ، وقيل في معركة اليرموك . وقيل لم يقتل في المعركة ، بل كان في المعسكر فخرج يستقي الماء فقتله رومي ، وقيل إن الرومي رأى نوراً ساطعاً من جنازته فأسلم !

وهكذا ضيعوا مكان شهادته ، وزمانها ، وسببها ، وهذا جزاء من يخالف الخليفة !

وقد يكون عمر دعا على خالد بن سعيد فمات ، كالمثنى بن حارثة الشيباني ، وقد رووا أنه دعا على بلال وجماعته ، وكانوا نحو ثلاثين صحابياً كانوا في الشام فاعترضوا على عمر، فدعا عليهم دعوة واحدة ، فماتوا واحداً بعد الآخر ، فلم تَدُرْ عليهم السنة حتى ماتوا جميعاً. (سنن البيهقي: 9/138) .

قال في تاريخ دمشق:16/67: «فواقع الروم بمرج الصفر فقيل إنه قتل به ، وقيل لم يقتل به وبقي حتى شهد اليرموك».

وقال الطبري:2/601: «ثم كانت مرج الصفر ، استشهد فيه خالد بن سعيد بن العاص أتاهم أدرنجار في أربعة آلاف وهم غارُّون ، فاستشهد خالد وعدة من

المسلمين . قال أبو جعفر: وقيل إن المقتول في هذه الغزوة كان ابناً لخالد بن سعيد ، وإن خالداً انحاز حين قتل ابنه ».

وقالوا إنه خرج يستمطر فقتله الروم ! (الطبري:2/601، وفيض القدير:5/280).

أي خرج تحت المطر لكي يغتسل ، أو يجمع الماء ويأتي به . وخروجه غير مفهوم لأنه كان في جيشه ، ومعه غلمانه وخدمه ، ومعه إخوته وابنه ، فكيف يخرج وحده ويقتل ، ولا يتحرك منهم أحد ؟!

وقالوا لما قتل الرومي خالد بن سعيد ، قلب ترسه وأسلم واستأمن ! وقال مَن الرجل الذي قتلنا ، فإني رأيت له نوراً ساطعاً في السماء ؟! (تاريخ دمشق: 16/83) وإذا صح ذلك فقد يكون هذا الرومي مستأجراً لقتل خالد ، فاحتال بإعلان إسلامه لينجو من القصاص ، وأخفى من وراءه إسمه !

ثم نقضوا ذلك بقولهم (تاريخ دمشق:21/45و46) إن ابنه سعيداً كان قائد كردوس في اليرموك ، وهو الذي خرج مستمطراً فقتل ، وليس أباه !

ثم تزداد شكاً في قصة قتل خالد بن سعيد ، عندما تجد أنه تزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، أخ أبي جهل ، وزوجة عكرمة بن أبي جهل ، وبنت عم خالد بن الوليد . وهي امرأة مخزومية معروفة ، كانت من نساء قريش المعدودات اللاتي جئن مع أزواجهن المشركين الى بدر . ولما فتح النبي (صلى الله عليه و آله) مكة هرب زوجها عكرمة ، فأخذت له أماناً من النبي (صلى الله عليه و آله) وذهبت اليمن وجاءت به . ولا بد أن عمرها عندما تزوجها خالد نحو أربعين سنة .

قال ابن سعد في الطبقات:4/98: «شهد خالد بن سعيد فتح أجنادين وفحل ومرج الصُّفَّر ، وكانت أم الحكيم بنت الحارث بن هشام تحت عكرمة بن أبي جهل ، فقتل عنها بأجنادين ، فأعدت أربعة أشهر وعشراً ، وكان يزيد بن أبي سفيان يخطبها ، وكان خالد بن سعيد يرسل إليها في عدتها يتعرض للخطبة فحطت إلى خالد بن سعيد فتزوجها على أربع مائة دينار .

فلما نزل المسلمون مرج الصُّفَّر أراد خالد أن يعرس بأم حكيم فجعلت تقول: لو أخرت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع ، فقال خالد: إن نفسي تحدثني أني أصاب في جموعهم . قالت: فدونك . فأعرس بها عند القنطرة التي بالصُّفَّر ، فبها سميت قنطرة أم حكيم ، وأولم عليها في صبح مدخله فدعا أصحابه على طعام، فما فرغوا من الطعام حتى صفَّت الروم صفوفها صفوفاً خلف صفوف ، وبرز رجل منهم معلم يدعو إلى البراز ، فبرز إليه أبو جندل بن سهيل بن عمرو العامري فنهاه أبو عبيدة، فبرز حبيب بن مسلمة فقتله حبيب ورجع إلى موضعه وبرز خالد بن سعيد فقاتل فقتل ، وشدت أم حكيم بنت الحارث عليها ثيابها وعَدَت وإن عليها لدرعاً والخلوق في وجهها...وقتلت أم حكيم يومئذ سبعة بعمود الفسطاط الذي بات فيه خالد بن سعيد معرساً بها . وكانت وقعة مرج الصُّفَّر في المحرم سنة أربع عشرة ، في خلافة عمر بن الخطاب». انتهى.

وهي رواية متهافتة ، لأن معركة مرج الصُّفَّر كانت بعد أجنادين بعشرين يوماً وعدتها بعد مقتل زوجها في أجنادين أربعة أشهر وعشراً ، فلا يصح أن يكون زواجهما في مرج الصُّفر .

ص: 444

وأوهى منها رواية تاريخ دمشق:70/226: «وقتل خالد بن سعيد بن العاص بمرج الصفر شهيداً ، وكانت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، دخل بها بمرج الصفر فخرج وهو عروس ، فقاتل فقتل وخرجت هي بعمود فقتلت سبعة من الروم ، وكانت قبله تحت ابن عمها عكرمة بن أبي جهل ، فقتل عنها يوم فحل ، فلما انقضت عدتها خطبها يزيد بن أبي سفيان وخالد بن سعيد فحطت إلى خالد ثم تزوجها عمر بن الخطاب ».

فإذا كان قتل عكرمة في معركة فِحل ، وهي بعد معركة مرج الصُّفر ومعركة أجنادين ، فيجب أن تكون العدة بعد ذلك .

على أن السؤال هنا:لماذا تكشف أم الحكم المخزومية علاقتها الزوجية مع زوجها خالد ، الذي أمضت معه سبعة أيام ، وقتل في اليوم الثامن،كما في رواية .

ولماذا مديح الرواة لزوجته وشجاعتها وأنها قتلت من الروم الذين قتلوا زوجها سبعة فرسان بعمود ! ومتى تزوجها بعده عدوه الخليفة عمر بن الخطاب ، فولدت له فاطمة بنت عمر.(تاريخ دمشق:70/225). راجع: الكافي:5/572، والموطأ:2/545 ، والمستدرك:3/241، وفتح الباري:8/9، والتوابين لابن قدامة/123 ، والطبقات:5/50.

وآخر ما نسجله من روايات السلطة، قولها إن خالد بن سعيد شارك في معركة اليرموك ، وجُرح فيها ، ثم اختفى فلا يدرى أين مات ؟!

قالت رواية الطبري:2/597: «عن أبي عثمان: وخالد كان ممن أصيب في الثلاثة الآلاف الذين أصيبوا يوم اليرموك ، عكرمة وعمرو بن عكرمة ، وسلمة بن هشام ، وعمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، وأثبت خالد بن سعيد (جُرح) فلا يدرى أين مات» !

وهنا نصل الى شهادة مهمة: لأحد كبار أئمة الزيدية الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم (245 – 298) في كتابه تثبيت الإمامة/18، بأن خالد بن سعيد قتله الخليفة لموقفه من السقيفة ، قال: «وأين الإجماع ، وكثير من أصحاب محمد (صلى الله عليه و آله) قد أبوا البيعة منهم: خالد بن سعيد ، كان ولاه رسول الله (صلى الله عليه و آله) زبيداً حين ارتد عمرو بن معديكرب ، فأخرج رسول الله (صلى الله عليه و آله) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لحربهم، فلما هزمهم وأمكن الله منهم ولى عليهم خالد بن سعيد رضي الله عنه وأرضاه وكان على مقدمتهم، فلم يزل فيهم حتى قبض رسول (صلى الله عليه و آله) ثم قدم بزكواتهم ، فدفعها إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وأبى أن يسلمها إلى أبي بكر ، فأرسل أبو بكر إلى علي (عليه السلام) فقبض منه الزكاة . ودعا أبو بكر خالد بن سعيد رضي الله عنه للبيعة فأبى، فأمره أن يلحق بأطراف الشام ! ثم زعم أصحاب الحديث والأخبار أنه أُمر بقتله فقتل . وزعم بعضهم أنه قُتل في وقعة كانت هنالك ، والصحيح أنه لم يكن ثَمَّ وقعة . وغيره ممن لم يبايع كثير » .

ويؤيد ذلك روايتهم بأنه خرج يستمطر ، وأن الرومي الذي قتله قد أسلم !

وقد يفهم من الرواية التالية أنه استقبل عمر، لما زار الشام. ففي الطبقات(4/99): «أن خالد بن سعيد بن العاص وهو من المهاجرين قتل رجلاً من المشركين ثم لبس سلبه ديباجاً أو حريراً ، فنظر الناس إليه وهو مع عمر، فقال عمر: ما تنظرون ! من شاء فليعمل مثل عمل خالد ، ثم يتلبس لباس خالد » !

ص: 446

والنتيجة: أن المرجح أن الصحابي خالد بن سعيد ، المجاهد البطل فاتح فلسطين والشريك في فتح الشام ، قد قتل بعد مشاركته في معركة اليرموك ، فيكون شارك في جميع معارك فتح فلسطين وبلاد الشام . رضي الله عنه .

والمظنون أن لزوجته أم الحكم المخزومية يداً في سمه ، فهي شبيهة بزوجة المثنى بن حارثة الشيباني ، التي تقدم ذكرها .

21. واضطربت السلطة ورواتها فوقعت في تناقضات فاضحة في موت خالد وسببه أن خالد بن سعيد رضي الله عنه شخصية مهمة ، يوازي في ميزان قريش وبني أمية شخصياتها الكبرى كعتبة بن الوليد والد هند ، أي أنه أكبر من أبي سفيان وأولاده ، لأنه ابن أبي أحيحة ، الثري الذي كان يلقب بذي التاج !

وهو في ميزان الحرب قائد معارك المسلمين في فتح الشام ، فبالرغم من أن أبا بكر عزله وجعل مكانه يزيد بن أبي سفيان ، لكنك لاتسمع ببطولة ليزيد ، بل رأيت أن يزيداً هذا وأبا عبيدة وخالد بن الوليد وابن العاص أعطوا قيادة معركة مرج الصفر الى خالد بن سعيد ! ويندر في التاريخ ، أن يعطي قادة أربعة جيوش قيادة معركة تشارك فيها جيوشهم ، الى قائد غير رسمي !

فقد فرض خالد نفسه على أولئك القادة ، ببطولته مع جماعته الفرسان مثل إخوته عمرو وأبان وابنه سعيد ، وزميله هاشم المرقال ، ثم انضم اليهم في معركة اليرموك مالك الأشتر ، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي ، ومجموعة فرسان النخع ، وكلهم ملتفون حول خالد ، كما كانوا في اليمن !

وهؤلاء هم الـذين قطفوا النصـر في اليرموك ، وكان في مقـدمتهم بدل خالد بن سـعيد أو معه ، مالك الأشتر ، الذي قتل أحد عشـر أو ثلاثة عشر من قادة الروم قبل المعركة ، فاضطرب جيشهم ، وكانت الحملة ومعها هزيمتهم !

قال الكلاعي الأندلسي في الإكتفاء: 3/273: « إن الأشتر كان من جلداء الرجال وأشدائهم وأهل القوة والنجدة منهم ، وإنه قتل يوم اليرموك قبل أن ينهزموا أحد عشر رجلاً من بطارقتهم ، قتل منهم ثلاثة مبارزة »!

وكان أول الذين قتلهم الأشتر قائد الروم المشهور باهان، ثم برز آخر فقتله، ثم ثالث ، ثم حمل على القادة أصحاب الرايات حملة حيدرية ، فقتل تسعة منهم واضطرب جيشهم مذعوراً ! فحمل عليهم المسلمون وكانت الهزيمة .

وقد نسـبوا البطولة والنصر الى خالد بن الوليد وأبي عبيدة ، مع أنهما كاعا عن مبارزة باهان وغيره . ونسبوه الى ضرار بن الأزور صاحب خالد وقاتل مالك بن نويرة بأمره ، مع أنه قُتل قبل سنين في حرب اليمامة !

فقـد لمع نجم خالـد إذن في معارك الشام ، ومعه مجموعته الفرسان المميزون ! ويكفي أن يسـطع نجم أحـد وهو مخالف للخليفـة ، حتى يتوجه اليه خطر التصفية !

ثم تتوجه اليه أنواع التهم الظالمة ، وهذا ما لاقاه خالد بن سعيد رضي الله عنه .

22. وكذب رواة السلطة على خالد بن سعيد واتهموه بأنه جبان في الحرب ! وقالوا إنه انهزم من الروم وظل يركض مئات الأميال حتى وصل الى تيماء ، فغضب عليه أبو بكر ومنعه من دخول المدينة ! ثم تفضل وسمح له بدخولها !

قال ابن كثير في النهاية:7/39: «وأمره الصديق على بعض الفتوحات كما تقدم . قتل يوم مرج الصُّفَّر في قول ، وقيل بل هرب فلم يمكنه الصديق من دخول المدينة تعزيراً له ، فأقام شهراً في بعض ظواهرها حتى أذن له» .

وجعلت رواية في الطبري (2/333) هزيمة خالد بن سعيد المزعومة في مرج الصُّفَّر مع أنه كان قائدها العام وحقق فيها النصر ، فقالت: « اقتحم على الروم طلبَ الحظوة (أي للفخر) وأعرى ظهره ، وبادر الأمراء بقتال الروم ، واستطرد له باهان فأرز هو ومن معه إلى دمشق ، واقتحم خالد في الجيش ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد حتى ينزل مرج الصفر من بين الواقوصة ودمشق ، فانطوت مسالح باهان عليه ، وأخذوا عليه الطرق ولا يشعر ، وزحف له باهان فوجد ابنه سعيد بن خالد يستمطر في الناس فقتلوه ، وأتى الخبر خالداً فخرج هارباً في جريدة فأفلت من أفلت من أصحابه على ظهور الخيل والإبل ، وقد أجهضوا عن عسكرهم، ولم تنته بخالد بن سعيد الهزيمة عن ذي المروة (قرب تيماء) وأقام عكرمة في الناس ردءً لهم فرد عنهم باهان وجنوده أن يطلبوه».

وفي رواية تاريخ دمشق:2/83: «كان أبو بكر قد وجه خالد بن سعيد بن العاص إلى الشام حيث وجه خالد بن الوليد إلى العراق ، وأوصاه بمثل الذي أوصى به خالداً ، أن خالد بن سعيد سار حتى نزل على الشام ولم يقتحم واستجلب الناس وعزَّ فهابته الروم ، وأحجموا عنه ، فلم يصبر على أمر أبي بكر ، ولكن توردها فاستطردت له الروم حتى أوردوه الصفرين ، ثم تعطفوا عليه بعدما أمن فوافقوا ابنه سعيد بن خالد مستمطراً فوافقوه فقتلوه ومن معه ، وأتى الخبر

خالداً (أباه) فخرج هارباً حتى أتى البر فنزل منزلاً ، واجتمعت الروم إلى اليرموك فنزلوا به وقالوا والله لنشغل أبا بكر في نفسه عن تورد بلادنا بخيوله !

وكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بالذي كان به ، فكتب أبو بكر إلى عمرو بن العاص وكان في بلاد قضاعة بالسير إلى بلاد اليرموك ففعل ، وبعث أبا عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان ، وأمر كل واحد منهما بالغارة وأن لا توغلوا حتى لايكون وراءكم أحد من عدوكم .

وقدم عليه شرحبيل بن حسنة بفتح من فتوح خالد(ابن الوليد) فسرحه نحو الشام في جند ، وسمى لكل واحد من أمراء الأجناد كورة من كور الشام فتوافوا باليرموك ، فلما رأت الروم توافيهم ندموا على الذي ظهر منهم ، ونسوا الذي كانوا يتواعدون أبا بكر به ، واهتموا وهمتهم أنفسهم وأشجوهم وشجوا بهم ثم نزلوا الواقوصة . وقال أبو بكر: والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد ، فكتب إليه بهذا الكتاب الذي فوق هذا الحديث وأمره أن يستخلف المثنى بن حارثة على العراق في نصف الناس، وإذا فتح الله على المسلمين الشام فارجع إلى عملك بالعراق ». ورواه الطبري:2/603.

وقالت رواية في الطبري:2/104: «اقتحم على الروم طلب الحظوة وأعرى ظهره وبادر الأمراء بقتال الروم ، فاستطرد له باهان فأرز(هرب) هو ومن معه إلى دمشق واقتحم خالد في الجيش ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد حتى نزل بالمرج مرج الصفر بين الواقوصة ودمشق ، فانطوت مسالح باهان عليه وأخذوا عليه الطرق ولا يشعر ، وزحف له باهان فوجد ابنه سعيد بن خالد يستمطر في

الناس فقتلوهم ، فأتى الخبر خالداً فخرج هارباً في جريدة فأفلت من أفلت من أصحابه على ظهور الخيل والإبل ، وقد أجهضوا عن عسكرهم ولم تنته بخالد بن سعيد الهزيمة عن ذي المروة ، وأقام عكرمة في الناس ردءاً لهم فرد عنهم باهان وجنوده أن يطلبوه ».

وقالت رواية أخرى للطبري:2/587: «عن المغيرة ومحمد عن أبي عثمان قالوا: أمر أبو بكر خالداً بأن ينزل تيماء.. وقد أمره أبو بكر أن لا يبرحها وأن يدعو من حوله للإنضمام إليه ، وأن لا ـ يقبل إلا ممن لم يرتد ولا يقاتل إلا من قاتله حتى يأتيه أمره ، فأقام فاجتمع إليه جموع كثيرة وبلغ الروم عظم ذلك العسكر ، فضربوا على العرب الضاحية البعوث بالشام إليهم ، فكتب خالد بن سعيد إلى أبى بكر بذلك وبنزول من استنفرت الروم ، ونفر إليهم من بهراء وكلب وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان من دون زيزاء بثلاث ، فكتب إليه أبو بكر أن أقدم ولا تحجم واستنصر الله ، فسار إليهم خالد فلما دنا منهم تفرقوا وأعروا منزلهم فنزله ودخل عامة من كان تجمع له في الإسلام ، وكتب خالد إلى أبى بكر بذلك فكتب إليه أبو بكر أقدم ولا ـ تقتحمن ، حتى لا ـ تؤتى من خلفك فسار فيمن كان خرج معه من تيماء وفيمن لحق به من طرف الرمل ، حتى نزلوا فيما بين آبل وزيزاء والقسطل ، فسار إليه بطريق من بطارقة الروم يدعى باهان فهزمه وقتل جنده ، وكتب بذلك إلى أبى بكر واستمده».

وقالت رواية ثالثة للطبري:2/588 و589، عن عروة بن الزبير: «أن عمر بن الخطاب لم يزل يكلم أبا بكر في خالد بن الوليد وفى خالد بن سعيد ، فأبى أن يعطيه في

خالد بن الوليد وقال لاأشيم سيفاً سله الله على الكفار. وأطاعه في خالد بن سعيد ، بعد ما فعل فعلته...لما قدم خالد بن سعيد ذا المروة وأتى أبا بكر الخبر ، كتب إلى خالد أقم مكانك فلعمري إنك مقدام محجام ، نجاء من الغمرات لا تخوضها إلى حق ولا تصبر عليه ! ولما كان بعد وأذن له في دخوله المدينة قال خالد: أعذرني ! قال: أخطلٌ وأنت آمر ، وجبانٌ لدى الحرب ! فلما خرج من عنده قال: كان عمر وعلي أعلم بخالد ، ولو أطعتهما فيه اختشيته واتقيته».

أقول: الرواية الأخيرة تبرر إصرار عمر على عزل خالد ، وهي تزعم أن أبا بكر اكتشف صحة رأي عمر . وقد حشرت الرواية إسم علي (عليه السلام) لهذا الغرض .

وكل هذه الروايات تقول إن خالد بن سعيد كان جباناً، ولم يتقيد بأمر أبي بكر ولاعمر فسبب هزيمة المسلمين أمام الروم ، وهرب منهم مئات الأميال ، فأنقذ أبو بكر الموقف بالأبطال الشجعان مثل عكرمة وأبي عبيدة ، وخاصة خالد بن الوليد ، وأقسم أبو بكر أن ينسي الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد ، فأرسل اليه فحضر من العراق وأنساهم وساوس الشيطان !

والحمد لله أنه لاحافظة لكذوب ، فقد نسي واضعوها أن أبا بكر توفي بعد معركة أجنادين ببضعة أيام، وأن عمر عزل خالد بن الوليد في أول يوم تولى فيه الخلافة ، وأن ابن الوليد جاء من العراق ببضع مئات فلم يكن له دور في معارك الشام الأساسية الأربعة: أجنادين ، ثم مرج الصُّفَّر ، ثم فِحل ، ثم اليرموك . وأن خالد بن سعيد وإخوته وأصحابه هم الذين انسوا الروم وساوس الشيطان وفرضوا إعجابهم على قادة الجيوش ، فسلموه قيادتها في معركة مرج الصفر، فكتب الله على يد النصر المبين!

ففي تاريخ خليفة/120: «قال ابن إسحاق: في هذه السنة وقعة مرج الصُّفَّر يوم الخميس لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، والأمير خالد بن سعيد. وحدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال: استشهد يوم مرج الصُّفَّر خالد بن سعيد بن العاص».

وقال الذهبي في تاريخه:3/84: «قال خليفة: كانت لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى والأمير خالد بن سعيد. قال ابن إسحاق: وعلى المشركين يومئذ قلقط، وقتل من المشركين مقتلة عظيمة، وانهزموا».

كما أن رواياتهم في اتهام خالد تناقضت فيما بينها في الأسباب والأحداث وتاريخها، وخلطت بين عهدي أبي بكر وعمر، وبين القادة والأحداث.

فقد قال بعضها إن أبا بكر منع خالد بن سعيد من دخول المدينة، لأنه انهزم أما الروم هزيمة قبيحة، وقال بعضها لأنه قرأ آيات من القرآن بقراءة مغايرة، ولا علاقة لمنعه بهزيمته! قال الطبري:2/623: «عن أبي سعيد قال: لما قام عمر رضي عن خالد بن سعيد والوليد بن عقبة فأذن لهما بدخول المدينة. وكان أبو بكر قد منعهما لقراءتهما التي قرآها وردهما إلى الشام وقال: ليبلغني عنكما عناء إبلاؤكما فانضما إلى أي أمرائنا أحببتما، فلحقا بالناس فأبليا وأغنيا».

ولم تذكر الرواية أي آيات وكيف قرآها، لكنها تدل أن منع خالد المزعوم من دخول المدينة، كان لسبب عقائدي وليس لهزيمته المزعومة!

وغرض الرواية تريد تبرئة عمر من عداوته لخالد بن سعيد، خوفاً من بني أمية الذين يحرص على علاقته معهم في مواجهة بني هاشم!

وقال بعض رواياتهم إن خالداً جاء من اليمن لابساً جبة ديباج ، فصاح عمر بمن يليه: مزقوا عليه جبته (الطبري:2/586) .لكن متى كان عمر يجرأ قبل خلافة أبي بكر أن يقول ذلك لابن أبي أحيحة ؟

وقد نقضتها رواية أخرى (الطبقات:4/99) قالت: «إن خالد بن سعيد بن العاص وهو من المهاجرين ، قتل رجلاً من المشركين ثم لبس سلبه ديباجاً أو حريراً ، فنظر الناس إليه وهو مع عمر، فقال عمر: ما تنظرون ! من شاء فليعمل مثل عمل خالد ، ثم يتلبس لباس خالد » !

وقالت رواية (الطبري:2/586) إن خالداً قال لعلي (عليه السلام) وعثمان أيام السقيفة: «يا أبا الحسن يا بنى عبد مناف أغلبتم عليها؟ فقال علي (عليه السلام) :أمغالبة ترى أم خلافة؟ قال: لا يغالب على هذا الأمر أولى منكم يا بنى عبد مناف. وقال عمر لخالد:فض الله فاك والله لا يزال كاذب يخوض فيما قلت!ثم لا يضر إلا نفسه».

وقالت أخرى عن لسان ابنته (الطبقات:4/97) «وكان رأى أبي بكر فيه حسناً ، وكان معظماً له ، فلما بعث أبو بكر الجنود على الشام عقد له على المسلمين وجاء باللواء إلى بيته ، فكلم عمر أبا بكر وقال: تولي خالداً وهو القائل ما قال... فما شعرت إلا بأبي بكر داخل على أبي يعتذر إليه ، ويعزم عليه ألايذكر عمر بحرف ، فوالله ما زال أبي يترحم على عمر حتى مات».

ومعنى هذا الكلام على لسان ابنة خالد وهي زوجة الزبير، أن عداوته مع أبي بكر وعمر كانت معروفة ، فأرادت ابنته أو من وضع الرواية على لسانها ، أن يغطوا هذه الحقيقة المضرة لهم . وزادوا في تغطية موقف خالد بوضع حديث نبوي على لسانه يمدح ابا بكر وعمر ، فقد زعموا ان خالد قال إن النبي (صلى الله عليه و آله)

خطب فقال: «أيها الناس: إني راض عن أبي بكر فاعرفوا ذلك له . إني راض عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ، والمهاجرين الأولين فاعرفوا ذلك لهم . أيها الناس: إن الله قد غفر لأهل بدر والحديبية .

أيها الناس: إحفظوني في أصهاري وأصحابي وأحبابي ، لايطلبنكم أحد منهم بمظلمة ، فإنها مظلمة لا توهب في القيامة . أيها الناس: إرفعوا ألسنتكم عن الناس، وإذا مات المؤمن فلا تقولوا فيه إلا خيراً ثم نزل ».

(الرياض النضرة للمحب الطبري:1/40، و:3/55، وتاريخ دمشق:30/132، والشفا:2/55)

وقد ضعف الحديث بعض علمائهم كالعقيلي(4/148) ولكنهم لايهتمون بالتضعيف .

والنتيجة: أن رواياتهم في ذم خالد بن سعيد ، تدور كلها حول تبرئة أبي بكر وعمر أمام بني أمية ، من ظلم زعيمهم وابن زعيمهم خالد بن سعيد ، وإثبات أنهما خدماه وأمَّراه مع أنه أساء اليهما ، لكنه لم يكن أهلاً للقيادة فعزلاه !

لكن هذا الدفاع يؤكد التهمة التي تملك عشرات القرائن ، ولا يدفعها !

23. ولإخوة خالد أبان وعمرو وابنه سعيد قصص تشبه قصصه مع السلطة! قابل الواقدي في فتوح الشام:1/13: «خرج بهم سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص وكان غلاماً نجيباً ، وذلك أن سعيد بن خالد أتى إلى الصديق فقال: يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه و آله) إنك أردت أن تعقد لأبي خالد راية ويكون قائداً من قواد جيشك، فتكلم فيه المتكلمون فعزلته حين رجع من بعثك ، وقد حبس نفسه في سبيل الله عز وجل ، ولم أزل مجيباً دعوتك في بعثك ، فهل لك أن تقدمني على هذا الجيش فوالله لا يراني الله وانياً أبداً ، ولا عاجزاً عن الحرب .

قال: وكان سعيد بن خالد نجيباً أنجب من أبيه وأفرس ، فعقد له أبو بكر راية ودفعها اليه ، وأمره على ألفين من العرب . قال: فلما سمع عمر بن الخطاب كلام سعيد بن خالد وأنه خير من أن يكون أميراً كره لك ذلك ، وأقبل على الصديق وقال: يا خليفة رسول الله عقدت هذه الراية لسعيد بن خالد على من هو خير منه ، ولقد سمعته يقول عندما عقدتها على رغم الأعادي . والله لتعلم أنه ما يريد بالقول غيري ، والله ما تكلمت في أبيه !

قال الواقدي: فثقل ذلك على أبي بكر ، وكره أن لا يعقد له ، وكره أيضاً أن يخالف عمر لمحبته له ونصحه ومنزلته عند النبي (صلى الله عليه و آله) ، ووثب قائماً ودخل على عائشة وأخبرها بخبر عمر بن الخطاب ، وما كان من كلامه فقالت عائشة: قد علمت أن عمر ينصر الدين ويريد النصر لرب العالمين ، وما في قلب عمر بغض للمسلمين . قال: فقبل قول عائشة ، ثم دعا بأزد الدوسي ، وقال له: إمض إلى سعيد بن خالد وقل له: رد علينا رايتك . قال: فردها وقال: والله لأقتلن تحت راية أبي بكر حيث كان ، فإني قد حبست نفسي في سبيل الله...

ثم إن أبا بكر دعا عمرو بن العاص فسلم اليه الراية وقال: قد وليتك على هذا الجيش يعني أهل مكة والطائف وهوازن وبني كلاب ، فانصرف إلى أرض فلسطين وكاتب أبا عبيدة وأنجده إذا أرادك..

قال أبو الدرداء: كنت مع عمرو بن العاص في جيشه ، فسمعت أبا بكر يقول وهو يوصيه... وابعث عيونك يأتونك بأخبار أبي عبيدة ، فإن كان ظافراً بعدوه فكن أنت لقتال من في فلسطين ، وإن كان يريد عسكراً ، فأنفذ اليه جيشاً في أثر

جيش ، وقدم سهل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل ، والحارث بن هشام وسعيد بن خالد..» .

أقول: تقـدم أن أبا بكر أرسل ابن العاص الى فلسـطين بثلاثة آلاف ، وأن أبا عبيدة اسـتدعاه الى أجنادين، ولـم يكن له مشاركة قتالية ، فاخترع قصة الأرطبون وكان سعيد بن خالد في ذلك الوقت مع أبيه وأعمامه عمرو وأبان.

ولا حاجة الى الإفاضة في مكذوباتهم عن خالد بن سعيد وابنه سعيد وإخوته ، رضي الله عنهم ، فهي من نوع مكذوباتهم عن خالد بن سعيد .

24. بَخِل رواة السلطة بأخبار جهاد خالد وابنه سعيد وإخوته أبان وعمرو ، مع أنهم بموازين السلطة أهم من آل أبي سفيان ، وقد خاضوا كل حروب فتح فلسطين والشام ، وكانوا قادة فيها ، وكان خالد القائد العام لمعركة مرج الصُّفَّر وهي من أهم معاركها ، وقد تكون الأهم .

ونذكر فيما يلي بعض أخبار بني سعيد بن العاص «أبي أحيحة»:

كان أبان على خيل المشركين في أيام الحديبيـة ، وعنـدما أرسل النبي (صـلى الله عليه و آله) عثمان بن عفان الى مكة ، أجاره أبان فدخل ، وقال له كما في تاريخ دمشق:6/134:

أسبل وأقبل لا تخف أحداً *** بنو سعيدَ أعزةُ الحرم».

أي أسـبل إزارك ولا تشمره فأنت في جوار بني سعيد ، لأن القرشيين كانوا يُسْبِلُون أُزرهم ، ويأمرون من يدخل مكة أن يشمر إزاره الى نصف ساقه .

وقـد أسـلم أبان بعد الحديبية وجاء الى خيبر، قال أبو هريرة إن أباناً قال للنبي (صـلى الله عليه و آله) : إقسم لنا.«قال أبو هريرة: قلت يا رسول الله لاتقسم لهم. قال أبان: وأنت بهذا يا وبرٌ تحدر من رأس ضأن » ! (صحيح البخاري:5/82) .

وفي معجم الطبراني الأوسط: 3/307: تحدر من رأس الجبل). وهو مثل لعدم قيمة المتكلم !

وفي معجم السيد الخوئي:8 /28 و:1/141: «خالد بن سـعيد بن العاص:من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) .. من الإثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر ، وكان أول من تكلم يوم الجمعة .. أبان بن سـعيد بن العاص..من أصـحاب النبي (صلى الله عليه و آله) وإخوته: خالد ، وعتبة ، وعمرو.. أبوا عن بيعة أبي بكر، وتابعوا أهل البيت (عليهم السلام) ، وبعدما بايع أهل البيت (عليهم السلام) بايعوا » .

وفي الإستيعاب:3/1178: «واسـتعمل رسول الله (صـلى الله عليه و آله) عمرو بن سـعيد على قرى عربيـة منها تبوك وخيبر وفـدك . وقُتل عمرو بن سـعيد مع أخيه أبان بن سـعيد بأجنادين سـنة ثلاث عشـرة ، هكذا قال الواقدي وأكثر أهل السـير. وقال ابن إسـحاق: قتل عمرو بن سعيد بن العاص يوم اليرموك ، ولم يتابع ابن إسـحاق على ذلك ، والأكثر على أنه قتل بأجنادين.. وكانت أجنادين ومرج الصـفر في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة» .

وفي تاريخ دمشق:6/126: «أبان بن سـعيد.. له صـحبة واسـتعمله النبي (صلى الله عليه و آله) على بعض سراياه ، ثم ولاه البحرين ، وقدم الشام مجاهداً فقتل يوم أجنادين ، وقيل يوم اليرموك وقيل مات سنة تسع وعشرين... لما توفي رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعث أبو بكر أبان بن سعيد بن العاص إلى اليمن فكلمه فيروز في دم داذويه ، فقال: إن

قيساً قتل عمي غدراً على عدائه ، وقد كان دخل في الإسلام وشرك في قتل الكذاب ، فأرسل أبان يعلى بن أمية إلى قيس فقال: إذهب فقل له أجب أبان بن سعيد ، وإن تردد فاضربه بسيفك . فقدم عليه يعلى فقال له: أجب الأمير أبان فقال له قيس: أنت ابن عمي ، فأخبرني لمَ أرسل إلي؟ فقال له: إن الديلمي كلمه فيك أنك قتلت عمه رجلاً مسلماً على عدائك ! قال قيس: ما كان مسلماً لا أنا ولا هو ، وكنت طالب ذحل قد قتل أبي وقتل عمي عبيدة وقتل أخي الأسود ، فأقبل مع يعلى فقال أبان لقيس: أقتلت رجلاً قد دخل في الإسلام وشرك في قتل الكذاب؟ قال: قدرت أيها الأمير فاسمع مني ، أما الإسلام فلم يسلم لا هو ولا أنا ، وكنت رجلاً طالب ذحل وأما الإسلام فتقبل مني وأبايعك عليه ، وأما يميني فهذه هي لك بكل حدث يحدثه كل إنسان من مذحج . قال: قد قبلنا منك . فأمر أبان المؤذن أن ينادي بالصلاة وصلى أبان بالناس صلاة خفيفة ، ثم خطب فقال:إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد وضع كل دم كان في الجاهلية».

ومن الملفت في أخبار أبان أنه تزوج بنت عتبة بن ربيعة ، أخت هند ، وإسمها: أم أبان ، وقالوا إنها كانت في الشام مع أخيها ، وإن أباناً قتل بعد زواجه منها بليلتين ، فكيف يكون قتل في أجنادين؟ «وقتل عنها يوم أجنادين . وقيل إنه لم يكن معها سوى ليلتين حتى قتل عنها». (تاريخ دمشق: 70/197).

ورووا أن عمر بن الخطاب خطب أم أبان بعد مقتل زوجها، فكرهته وقالت: « يغلق بابه ويمنع خيره ويدخل عابساً ويخرج عابساً». (تاريخ الطبري:3/270).

فهرس المجلد الثاني

الفصل الرابع:أصحاب الأدوار المدعاة في الفتوحات

كثرة القادة الحقيقيين والمدعى لهم القيادة3

هل اخترع رواة السلطة أبطالاً من خيالهم؟ 4

خالد بن الوليد والغدر ونبل الفروسية !

1. أبوه الوليد بن المغيرة العتل الزنيم 6

2. نشأ خالد على بغض النبي (صلى الله عليه و آله) 8

3.كان عمر بن الخطاب يبغض خالداً ولا يطيقه 9

4. وكتب عمر الى خالد: بلغني أنك تَدَلَّكْتَ بخمر.!11

5. وعاش خالد معزولاً ومات في حمص 11

6.تقرأ الكثير عن فروسية خالد ولا تجدها في المعارك 11

7. أوصاه أبو بكر أن يباشر الحرب فلم يباشرها 13

8. لم تثبت له مبارزة في كل تاريخه العسكري13

9. اشتهر غدر خالد ببني جذيمة رغم إعلانهم الإسلام !14

10. ارتكب خالد جريمةً تصلح فيلماً لمأساة العاشق ! 17

11. جعلوا جبن خالد في مؤتة بطولة !18

12. اعترفوا بجبن خالد لستة أشهر في اليمن!23

13. اخترعوا لخالد أبطالاً قتلهم لا وجود لهم !26

ص: 461

14. اخترعوا لخالد معارك عديدة لا وجود لها !28

15. ورووا أن خالداً حارب الفرس والروم في العراق !31

16. تخصص في شن الغارات على العرب لا الفرس ولا الروم!32

17.الصورة الحقيقية لعمل خالد في العراق36

18. اتهم عمر خالداً بقتل النفس المحترمة والسرقة 41

19تعمدت السلطة أن تصور خالداً على أنه بطل! 42

20. اخترع خالد صلاةً فتحير فيها فقهاء السلطة !43

21. وزعم خالد أنه يحمل شعر النبي (صلى الله عليه و آله) فينتصر!43

22. البطولة في حرب اليمامة لعدي بن حاتم والإسم لخالد !44

23. من بطولة خالد غارته على بيت الزهراء (عليها السلام) ! 44

24. ومن بطولته محاولته اغتيال أميرالمؤمنين (عليه السلام) 47

25. برز من أولاد خالد ابنه عبد الرحمن وابنه المهاجر الشيعي 49

سعد بن أبي وقاص قائد عيَّرته زوجته بالجُبن

1. نسب سعد بن أبي وقاص الزهري50

2. كان سعد قصيراً غليظاً أسمر أفطس 51

3. توجد أكثر من مشكلة في نسب سعد!52

4. كان سعد يكره علياً (عليه السلام) مع شهادته بفضله 54

5. امتنع سعد عن بيعة علي (عليه السلام) ونصرته 55

6. أدان سعد سب معاوية لعلي (عليه السلام) 55

7. زعموا أن سعداً من المبشرين بالجنة ، وردحديثهم علي (عليه السلام) 58

8. أسرة سعد بن أبي وقاص أسرةٌ عجيبة 59

9. اعترف سعد بفراره يوم أحد وزعم أنه رجع !61

ص: 462

10. سعد أحد: الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ..63

11. ادعى سعد لنفسه فضيلة أنه مستجاب الدعوة64

12.اقترض سعد من بيت المال وأبى أن يرده !65

13.سرق فاساً من حطاب وأبى أن يرجعها له !67

14.عينه عمر والياً على العراق 68

15. شهدوا عليه بأنه جبان وغير عادل 68

16. كان رأي عمر سلبياً فيه لكنه متمسك به !70

17. صادر عمر منه نصف ثرواته 71

18.كانت مشكلة سعد أنه رأى نفسه كبيراً 72

19. كان سعد جريئاً على معاوية 73

20. زعم سعد أنه أحق بالخلافة74

21. كان معاوية يرى أن عمر كبَّرسعداً !75

22.كان سعد ضعيف الشخصية أمام معاوية77

23. اعترض سعد على بيعة يزيد فقتله معاوية 77

24.جلب سعد لأولاده معلماً نصرانياً 78

25. ورَّث سعد طموحه للخلافة الى أولاده ! 78

26- هرب سعد من قيادة القادسية 79

جرير بن عبد الله البجلي مقاول حرب في سبيل الله

1. نسب جرير، بن عبد الله البجلي 87

2. أسلم قبل وفاة النبي (صلى الله عليه و آله) بأربعين يوماً 87

3. وصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) وصديقه الأشعث !89

4.ذهب الى العراق مع خالد بعد اليمامة89

ص: 463

5.ساعد خالداً قتال بني تغلب 90

6.زعموا أن جريراً قتل مرزبان المذار 91

7.كان جرير جندياً في جيش خالد بن سعيد 92

8.قاول جرير عمر على«الجهاد» بقومه 94

9. شارك جرير مع بني بجيلة في معركة البويب 96

10. رأى جرير القائد مهران مقتولاً فقطع رأسه !98

11. سكن جرير وقومه الكوفة 101

12.ملَّكه جريراً وقومه ربع الأرض المفتوحة وندم 102

13. كان جرير قائداً في معركة جلولاء 106

14.تقدم جرير داخل إيران وفتح بعض المدن 109

15.أمره عمار أن يُمد أبا موسى الأشعري في تستر110

16. أرسلوه الى رامهرمز داعيا فسباهم ونهبهم110

17. التحق جرير بجيش المسلمين الى نهاوند 113

18.عيَّنه عمر والياً على همدان 116

19.رووا أن جريراًكان يشرب الخمر 117

20. كان جرير تلميذ الأشعث في التحريش 118

21. عندما بايع المسلمون علياً (عليه السلام) بايعه جرير 119

22.بعثه علي (عليه السلام) الى معاوية يدعوه الى بيعته 120

23. كان جرير يبغض علياً (عليه السلام) ، وحرَّف حديث الغدير 125

24. مال جرير الى معاوية فعزلته قبيلته !126

عمرو بن العاص.. لا نبلٌ ولا شجاعة !

1. اختلف فيه أربعة فاختارت أمه العاص بن وائل !127

ص: 464

2. أمه النابغة ، أَمَةٌ لبني عنزة ذات علم !130

3.كان عمرو من طفولته يُبغض النبي (صلى الله عليه و آله) 132

4. وكان حريصاً على مظهر الفروسية 135

5. اعترف عمرو وخالد بأنهما أسلما طمعاً 137

6. ضخموا دوره وزميله خالد مع النبي (صلى الله عليه و آله) 137

7. وضخموا دوره في فتح فلسطين ومصر137

8. وجعلوا له دور شرحبيل وخالد بن سعيد 139

9. واخترع لنفسه بطولات في المكر والدهاء145

10. وبلغ أوج كذبه في أسطورة الملكة أرمانوسة 148

11.نسبوا له قصة اليمامة التي باضت !150

12.كذب لنفسه وكذبوا له معارك في فتح مصر 151

13. واستطاب عمرو طعم خراج مصر153

14. وأحرق عمرو مكتبة الإسكندرية 155

15.نقض عمرو عهد الصلح مع أهل مصر158

16. بطش بالإسكندرية بدون سبب ونهبها وهدم سورها 167

17. حكم عمرو مصر سبع سنين 168

18. جمع عمرو ثروة طائلة من الفتوحات 170

19. لم يشبع عمرو حتى أخذ خراج مصر طُعمةً 171

19.أشار على معاوية بإعطاء الروم جزية 174

20.كان موقف علي (عليه السلام) من عمرو شديداً177

21.كان عمرو في الثمانينات ومعاوية في الأربعينات182

22. غزا عمرو مصر بجيش معاوية وقتل واليها187

ص: 465

23. نقلوا عنه اعترافه بالحق على نفسه 188

24.أشهر زوجاته بنت أبي معيط الخمار 188

25. أخذ لقب فاتح فلسطين ومصر191

الفصل الخامس:الأبطال الشيعة قادة الفتوحات

فاتح العراق المثنى بن حارثة رضي الله عنه

1.المثنى بن حارثة بن سلمة من ذهل شيبان193

2. كان بنو شيبان حلفاء مع بني عجل بن لجيم 193

3. وخاضت القبيلتان معركة ذي قار مع كسرى 195

4. وبدأ المثنى فعاليته بتحرير العراق زمن النبي (صلى الله عليه و آله) 195

5. ثلاثة عوامل ساعدت على فتح العراق 197

6. كان المثنى وعشيرته من شيعة علي (عليه السلام) 198

7. للمثنى عدة إخوة كلهم قادة شجعان 200

8. أرسل أبو بكر خالد بن الوليد مدداً للمثنى 201

9. معركة بابل أول معركة مع الجيش الفارسي 206

10. خير من أمدَّ بهم عمر المثنى أبو عبيد الثقفي 209

11.المعركة الثانية مع الجيش الفارسي معركةالنمارق 211

12. وقاد أبو عبيد والمثنى معركة الجسر 217

13. واصل المثنى جهاده بعد معركة الجسر223

14. قاد المثنى معركة البويب بجدارة224

15.وأدار المثنى خلافه مع جرير وجره الى المشاركة 226

16. بعد معركة البويب، بسط المثنى غاراته233

17. عزل عمر المثنى في أوج انتصاراته !237

18. لكن المثنى لم ينعزل لعمق جذوره 239

19. جاءت موجةٌ فارسية مقدمةً لمعركة القادسية239

20. المثنى يموت فجأة بعد أن غضب عليه عمر !241

21. ملاحظات على روايات موت المثنى 242

هاشم المرقال نقيض أبيه وعكس عمه

1. هاشم المرقال بن عتبة بن أبي وقاص رضي الله عنه248

2. مدح علماء السنة وأئمتهم هاشم المرقال249

3. ومدحه علماء الشيعة ، فوصفوه بأنه صحابي جليل 251

4. فضَّله أمير المؤمنين (عليه السلام) على محمد بن أبي بكر 252

5. بقي هاشم في الكوفة بعد أن تركها عمه سعد253

6. كان هاشم بصيراً بمعاوية والمخالفين255

7. كان صاحب راية علي (عليه السلام) في صفين 256

8. قاتل هاشم في صفين قتال الأبطال256

9.كان من خاصة أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) 261

10. وصفوا شجاعته في الفتوحات وصفين 262

11. خاض معارك الفتوح والتصحيح لمدة ربع قرن ،264

12. سارع بعد اليرموك الى القادسية 267

13. وحاصر هاشم المدائن مدة طويلة 270

14. بعد فتح المدائن قاد معركة جلولاء 273

15. وقاد المرقال جيش المسلمين بعد جلولاء 275

16. انشغل سعد بخزائن کسری، فاستحضره هاشم 276

ص: 467

17. بقي هاشم القائد العام من القادسية الى نهاوند278

18.قام بالإعداد لمعركة نهاوند مع عمار279

19. ذكر الواقدي مشاركته في فتح مصر280

20.كان له إخوة قادة ، وكان أبناؤه أكثر شبهاً به284

سلمان الفارسي المحمدي رضي الله عنه

1. نشأ على المجوسية ، ثم أعجبته المسيحية فهاجر إلى الشام288

2. كان في أعلى درجات الإيمان بعد المعصومين (عليهم السلام) 290

3. أكثر صحابي رووا له كرامات 291

4. كان أبيض اللون ، بهيَّ الطلعة والشيبة ، قويَّ البنية292

5. كان يعمل في حفر الخندق فأصابوه بالعين 293

6. اشتهر تشيع سلمان رضي الله عنه 294

7. شهد جميع حروب النبي (صلى الله عليه و آله) بعد أحد 296

8.أتقن العربية وبقيت لكنته الفارسية 297

ترجم للفرس من القرآن 299

10. أخفى رواة السلطة دوره في الفتوحات 299

11 رووا له كرامات في فتح المدائن ، 300

12. رووا نموذجاً من عمله في الفتوحات 302

13. اختاروه أمين غنائم قصور كسرى304

14. وصار الفارسي المشرد حاكماً لعاصمة كسرى305

15. اختار سلمان مكان الكوفة منزلاً للمسلمين 307

16. قدم سلمان نموذج الحاكم المسلم 311

17. وكان يخرج من المدائن الى الجهاد312

ص: 468

18.شارك سلمان في فتح إرمينيا والقفقاز 312

19. كان يزور الشام فيستقبلونه كالخليفة 314

20 آخى النبي (صلى الله عليه و آله) بينه وبين أبي ذر 315

21. مرَّتْ علاقته بعمر في مراحل316

22.ساءت علاقة سلمان بعمر في أواخر حياته 321

23. تزوج سلمان امرأة من كندة 323

24 علم سلمان بوفاته وصلى عليه (عليه السلام) 324

حجر بن عدي الكندي رضي الله عنه

1.كان فارساً قائداً في فتح العراق وإيران والشام 327

2. كان شجاعاً تقياً، وظهرت له كرامات 327

4. كان من كبار أصحاب علي (عليه السلام) 328

5. كان مع بعض أصحابه يشتمون أهل الشام 329

6. فضح تآمر الأشعث في قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) 329

7.كان حِجْر معتمدَ الإمام الحسن (عليه السلام) 330

8. قتله معاوية بدون أي حجة إلا تشيعه لعلي (عليه السلام) 330

9. غضب الإمام الحسين (عليه السلام) لقتل حجر 330

10. ذلت العرب بقتل حجر بن عدي !331

11. كان يردد: الموت في حب علي (عليه السلام) شهادة !332

12. قُتل مع حِجْر خمسة من أصحابه الأبطال 334

13. أخبر النبي (صلى الله عليه و آله) وعلي (عليه السلام) بشهادة حجر334

14.أرسل معاوية مجرماً كبيراً فقتل حجراً 335

15.أصيب معاوية بالهلوسة لقتل حجر 335

ص: 469

16أراد معاوية أن يلعن حِجْرٌ علياً (عليه السلام) فأبى 336

17. وأوصى حجر أن يدفنوه بثيابه ودمائه 336

18. كان حجر رئيس قبائل كندة336

حذيفة بن اليمان أمين سرّ رسول الله (صلى الله عليه و آله)

1. كان حذيفة أمين النبي (صلى الله عليه و آله) على سره 338

2. كان عمر بن الخطاب يسأله عن المنافقين 339

3. حذيفة أحد أركان التشيع الأربعة 340

4. كان حذيفة يستعمل التقية مع الخلفاء345

5. روى تحذيرالنبي (صلى الله عليه و آله) من أئمة الضلال وبشارته بأئمة الهدي 348

6. كان يخبر المسلمين بغرائب ستحدث !349

7. رووا عنه مديحاً لبعض الخلفاء ولم يصح 351

8. شارك في حرب أُحُد وما بعدها351

9. شارك في فتوح الشام 358

10. سكن الكوفة وشارك في فتح المدائن وجلولاء358

11. ثم توغل جيش المسلمين داخل إيران359

12.قاد حذيفة معركة نهاوند 361

13.ثم قاد حذيفة أغلب معارك فتح إيران 367

14. شارك في فتح أرمينيا وكان والياً عليها 374

15. كان حذيفة والي المدائن مع سلمان 374

16. وكان حذيفة بطل توحيد نسخة القرآن 376

17. يوجد حذيفة بن اليمان آخر 378

18. خيَّره النبي (صلى الله عليه و آله) بين أن يكون مهاجراً أو أنصارياً 379

الأحنف بن قيس رائد فتح خراسان

1. وفد الى المدينة على عهد عمر 381

3. يضرب به المثل في الحلم والحكمة والنبل382

4. عندما وصلت عائشة الى البصرة دعته لنصرتها 383

5. كان من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) 384

6. كان أول من أجاب دعوة أميرالمؤمنين (عليه السلام) 384

7. اقترح على أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يكون مندوبه للتحكيم385

8.جوابه لمعاوية في مقتل عثمان 386

9. لعن شاميٌّ علياً عند معاوية فأفحمه الأحنف 386

10. وصف الأحنف سفرة معاوية وذكر علياً (عليه السلام) 387

11. كان (رحمة الله) شجاعاً قائداً 388

خالد بن سعيد بن العاص بطل فتح فلسطين

1. أخرج الله مؤمنين من أبناء الفرعون أبي أُحَيْحَة389

2.أكرم الله خالداً برؤيتين كانتا سبب هدايته389

3. هرب من سجن أبيه وعاش هو وزجته 391

4. أسلم وأخوه عمرو وأقنعا بالمراسلة أخاهما أباناً 393

5. هاجر خالد إلى الحبشة فكان مع جعفر 394

6. شارك سعيد بفعالية في حروب النبي (صلى الله عليه و آله) 395

7.عندما توفي النبي (صلى الله عليه و آله) جاء الى المدينة 396

8.ونصر علياً (عليه السلام) أيام السقيفة 404

9. عرض عليه أبو بكر وعلى إخوته أن يرسلهم ولاة 405

10.استشار أبو بكر علياً (عليه السلام) في غزو الروم فشجعه 405

11. عَتِبَ خالد على أبي بكر ، فاعتذر منه408

12. ظلموا خالد بن سعيد لأنه شيعي 413

13.قاد معركة أجنادين فنسبوا قيادتها الى بن الوليد!417

14. ونسبوها الى عمرو العاص!424

15. واعترفوا بقيادة خالد لمعركة مرج الصُّفَّر430

16. كان عدد الروم في أجنادين نحو سبعين ألفاً 432

17. افتتح معركة أجنادين حفيدان لعبد المطلب 434

18. وقاد خالد بن سعيد أجنادين ومَرْجَ الصُّفَّر وفِحل 437

19. غَضِبَ عمر على خالد بن سعيد فعزله ثم قتله 439

20. روايتهم تشير الى أن خالد بن سعيد مات مقتولاً 442

21 اضطربت السلطة ورواتها وتناقضوا في سبب موته 447

22. كذب رواة السلطة على خالد بن سعيد كثيراً 448

23. وظلموا معه إخوته أباناً وعمرواً وابنه سعيداً455

24. بَخِل رواة السلطة بأخباره خالد بن سعيد وأقاربه 457

(تم الكتاب والحمد لله رب العامين)

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشـعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصـيص النصـيب المبارك للإمام عليه السـلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
القائمیه
اصبهان
للبحوث والتحریات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المــركز من فضلــكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءٍ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹